محمد الفرحاني

فارس الخوري

وأيام لا تنسى

بيروت — ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي وأستاذي الكبير نصوح بك بابيل الموقر

صفحات من نضال عاصرتموه وخضتم معاركه الباردة واللاهبة بقلبكم وروحكم وقلمكم وتحملتم من أجله الاضطهاد والنكال من المستعمر الغاصب

كتاب .. كم وكم بشرت بقرب صدوره (أيامكم) الغراء التي لئن صحبها الطغيان لفترة من الزمن قد تطول وقد تقصر، فهي خالدة باقية دائماً وأبداً بارتقاب عودتها في فجر قريب ويتلذ منها الكثيرون الذين يسعدني ويشرفني أنني واحد منهم. مع كل محبة ومودة وتكريم وتجلة واحترام وتوقير

بيروت في ١٩٦٧/٤/٢٦

المؤلف

محمد الفرحاني

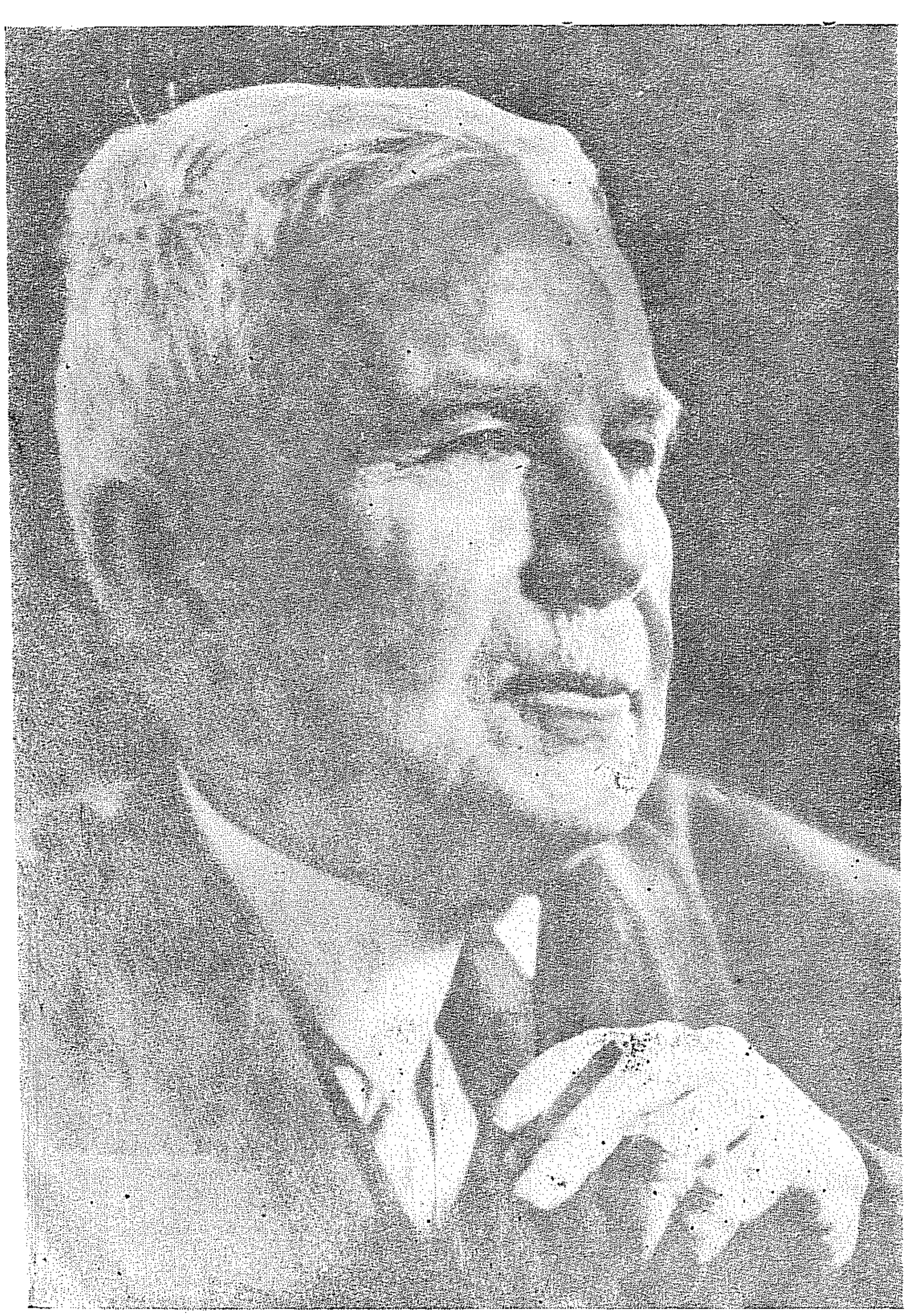
فارس الخوري

وأيام لا تنسى

يبحث هذا الكتاب في شخصية العلامة السياسي العربي الكبير الاستاذ فارس الخوري وتفصيل لاهم الاحداث السياسية والقومية والنضالية العربية الكبرى التي عاصرها ، من خلال ترجمة مكثفة لحياته ، وشرح موجز لسيرته ، وتبسيط لارائه ونظرياته . وتلخيص للبعض المهم من مذكراته ، وموقفه من الاسلام كدين وشريعة ونظام حكم ومن الصهيونية كعقيدة مخربة مدمرة وكغزو عنصري رهيب . مع تقديم نماذج مختارة من شعره ،وطرفه ونوادره ، ولمحة عن حياته الخاصة ، وصورة مفصلة عن مرض نهايته مزدانا بالصور التي تمثله في مختلف فترات حياته يقدمه الى قراء العربية اقرب القربين اليه والصقهم بمجلسه واكثرهم اطلاعا على شؤونه وخصوصياته .. كتب مقدمته الرئيس السوري السابق السيد حسن الحكيم وساهم بالكتابة فيه عدد من رجالات العالم العربي .

١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م





الاهداء

الى دماء الشهداء الابرار التي روت بطاح فلسطين وجبالها ووهادها دفاعاً عن حقها بالحرية والكرامة والعزة

الى أرواح الذين ماتوا في سبيل القضية العربية عن حق ويقين وصدق وايمان

الى رفاق نضال فارس الخوري وجهاده .. الاحياء منهم والاموات .

الى تلاميذه المستنيرين بهديه .. المستضيئين بنبراس عقله وحكمته

الى الاجيال الصاعدة .. في أمة العرب والاسلام

أقدم كتابي هذا

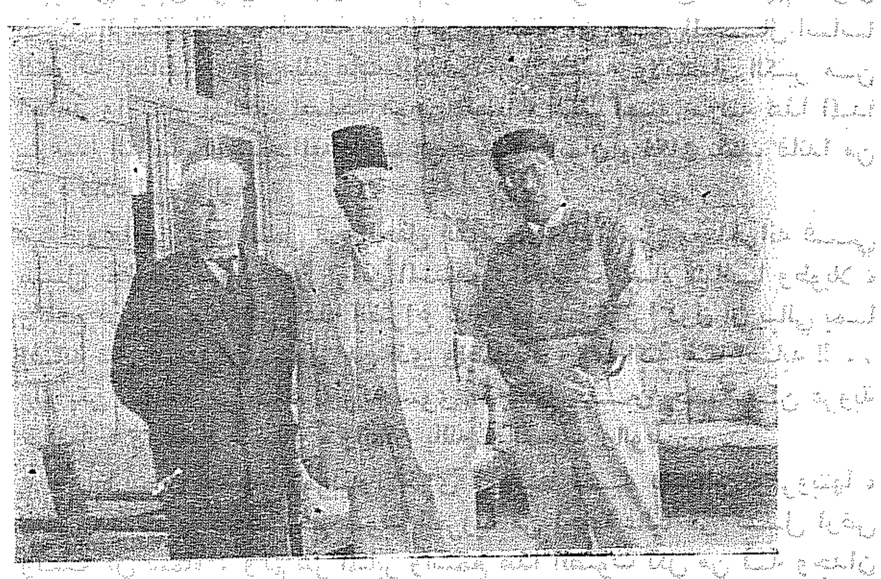
وحسبي أنني قمت ببعض الواجب نحو الحقيقة والتاريخ .

محمد الفرحاني

بيروت في ١٩ تموز ١٩٦٤

مقدمة

بقلم صاحب الدولة السيد حسن الحكيم رئيس الحكومة السورية الاسبق وقد تلاها بنفسه في حزيران ١٩٦١على مسامع الفقيد فارس الخوري أيام كان عـلى سرير مرضه الاخير في مستشفى السادات ولقيت اعجابـه واستحسانه



تنطوي جوانح الأستاذ محمد الفرحاني على تقدير عميق واحترام بالغ لدولة العلامة الكبير الاستاذ فارس الخوري ، لذلك ليس عجيبا أن يلازمـه أيام مرضه ملازمة الولد البار لوالده الحنون ، وأن يدون بهـذه الوسيلة

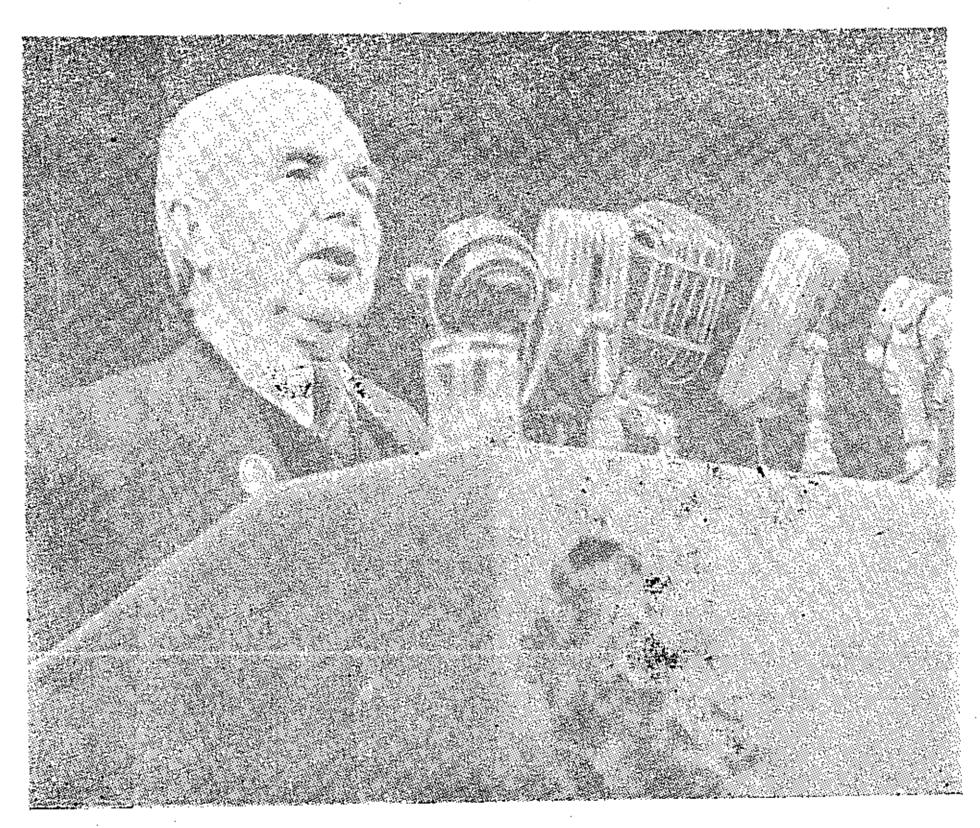
جميع ما سمع منه من أحاديث وآراء قيمة وما نثر من درر غاليـــة لينشر ذلك في مؤلفه هذا تحت عنوان (فارس الخوري وأيام لا تنسى) .

ولا غرو ، فالاستاذ الخوري علم من أعلام هذه الامة وقائد مـــن قادة الرعيل الاول فيها ، فاذا أطريت في هذه المقدمة مبدأه القويم ، ونضالـــه الشاق ، ومكانته العلمية ، وعبقريته الفذة ، فانما أعبر فـــي ذلك ــ وأنـا الصديق الحميم له ــ عما ترده البلاد مـــن عبارات التقدير العظيم لرجلها العظيم .

أما من جهة المبدأ ، فقد أدرك عافاه الله ، بثاقب نظره ان العمل فـــي الحقل القومي يحتاج الى رأي عام متجانس يدرك قضيته بوضوح ، ويتحمس لها عن قناعة وفهم ، وأن هذا لا يتيسر اذا لم يستند الـــى مبـدأ التربية الوطنية المقدس الذي يساوي بين افراد الامة في الحقوق والواجبات والذي لا تجد التفرقة الدينية والمذهبية الى نفوس معتنقيه سبيلا . ورأى شفـــاه الله ان التربية التي لا تقوم في العصر الحاضر على هذا المبدأ القويم تكـون سببا في تبلبل الرأي العام وانقسام ابناء الامة الواحدة على انفسهم . وان انحلال الرابطة القومية في أمة من الامم من شأنه ان يفسح المجـــال اساسا للنعرات الطائفية وحتى للنزعات العنصرية والاقليمية ولانتشار الكثير مـــن العقائد والافكار المنافية لمصلحة الوطن العليا ، لذلك اعتنق دولته هذا المبدأ ــ مبدأ التربية الوطنية المقدس ــ عن عقيدة وايمان ، فكان بذلك قائدا من خيرة قادة الرأي العام .

وأما من جهة العمل في الحقل القومي ، فقد ناضل مع اخوانه فـــي سبيل تخليص سورية من براثن المستعمر الغاصب نضالا شاقـا وطويلا ، وكافح في جميع مراحل هذا الصراع كفاحا مضنيا مريرا دون أن يبالي بمـــا اصابه على يد هذا المستعمر من أذى واضطهاد ، وما اكثر مـــا اصابه !! .. ولم يكن سلاحه في هذه المعركة سوى ما يحمل بـــين جنبيه مـــن عروبة صافية ، ووطنية صادقة ، وايمان بالله وبالشعب والوطن .

أما بشأن القضايا العربية الاخرى لا سيما قضية فلسطين وعروبتها ، ومصر وسيادتها ، فكم رفع صوت العروبة من اجلها عاليا في كـــل ارض وتحت كل سماء . وكم هز المنابر وأسمع هذا الصوت لكل من لـــه وجدان يتأثر وضمير يحكم . ولا بدع اذا سجل التاريخ اسمه بعد هذا فـــي سفر الحياة الخالدة . ودونت المحافل الدولية في سجلاتها صرخاته المدوية بكثير من الاعجاب والاكبار .



فارس الخوري يخطب من على منبر الهيئة العامة لمنظمة الامم المتحدة

هذا من ناحية المبدأ والعمل . واما من ناحية مكانته العلمية ، فان مـا يتحلى به دولته من علم واسع . جعل منه شخصية عالمية مرموقة ، تجتذب اليها الانظار وتتركز عليها الاضواء ، ولا أدل على مكانته العلمية وشهرتـه العالمية من أن هيئة الامم المتحدة انتخبته عام ١٩٤٨ عضواً في لجنة القانون الدولي وهي اللجنة التي تضم خمسة عشر عضواً من جهابذة العلم العالميين دون أن ترشحه حكومته لهذا المقام الرفيع ودون ان يقوم هــو بأية دعاية لنفسه من اجله . ولكن عارفي فضله والمطلعين على سعة علمه وعظيم مواهبه من اصدقائه في الشرق والغرب هم الذين قدموه له . ولا أدل كذلك علـى مكانته هذه من تقدير الجمهورية العربية المتحدة مركزه العلمي الكبير ومنحها

اياه في عام ١٩٦٠ وشاح النيل وجائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية . والى جانب علمه الواسع يتحلى دولته كذلك بعبقرية فذة امتاز فيها في صحة التعبير وفصاحة اللسان وقوة الحجة وحضور البديهة . ومن مزاياه الكبيرة بالاضافة الى كل ذلك انه اذا ناقش فانما يناقش بصبر وأناة . ويتجنب الشجار ، ويسيطر على نفسه اذا احتدم النقاش وطاشت الآراء .

يأبى ان يلطخ في نقاشه وجه الحقيقة بالاساليب الخادعة ، او ان يقلب قيم الحق بالادعاءات الباطلة . بل يقارع الحجة بالحجة ويرغم معارضيه على الاصغاء الى اقواله واحترام سديد آرائه بعد ان يفحمهم في حلبة المنطق ويتركهم لاهثي الانفاس .

يحكم على الحقائق الاساسية بفضل سعة علمه ونافذ بصيرته وبما اكسبته دروس الحياة من تجارب واختبارات ، حكما صائبا ومنزها عن الهوى .

يعرف بصفاء ذهنه ما يريد . ومع هذا فانه لا يسعى اليه الا بعد دراسة دقيقة حذرة . أما الاندفاع وراء تيار العواطف . وأما المغامرات المرتجلة فليس الى حمله عليها من سبيل .

نعم . بمثل هذه العبقرية الفذة ذات الطراز الرفيع وبما يزينها من علم صحيح وعقل راجح وفكر مركز وخلق رضي وتصرف حكيم وغير ذلك من المزايا والمواهب التي يندر ان تتوفر الا في أمثاله من أفذاذ الرجال . بلغ الاستاذ الخوري أوج شهرته ، وتبوأ بين أعلام العالم رفيع منزلته ، ولعمري، ان من جمع في شخصه مثل هذه الصفات النادرة كان حقا فارس قبيلته ومعلم جيله .

هذا واني اذ أشكر الاخ الفرحاني على عمله الطيب في تقديم هذا السفر النفيس للمكتبة العربية أرى لزاما علي أن أثني في نفس الوقت أطيب الثناء على السيدة الجليلة والزوجة الوفية (أسماء عيد) عقيلة دولة الاستاذ الخوري . على عنايتها الفائقة به . وتوفرها على خدمته . وسهرها الدائم على راحته ، وقد حطمتها آلامه وهد من قواها أنينه .

من الله على علامتنا الكبير بالشفاء العاجل وأجزل مثوبته والاحسان اليه فقد كان فخرا لامته ووطنه .

دمشق في حزيران ١٩٦١ حسن الحكيم

رئيس مجلس الوزراء السوري سابقا

فارس الخوري.. منارة الأجيال

مات فارس الخوري

والموت نهاية كل حي .. ولكنه ما مات كالذين يفارقون الدنيا **بلا وداع** ولا ذكر ،

مات فارس الخوري

وهو باق في نفوس تحوي ذكراه . وخالد في تاريخ لا تخلو صفحة من صفحات الجهاد من آثاره وأعماله فـي تشييد ذلك البنيان الاستقلالي الذي قام على جهاده وجهاد اخوانه أصحاب السابقة الاولى فـي ميادين الحروب والثورات والتحررية ..

سكنت الحياة في الرجل العظيم بعد ان اضطرمت زمناً كاد يقترب من الدهر . واذا شئت أن أعدد خدماته لقضيتنا فلا أدري من أين ابدأ . ولا كيف اترجمه وما هو بحاجة الى ترجمة ، **فالرجل كان مصباحاً وهاجا وصل نوره الى كل قلب . وأضاء كل نفس من نفوس الاجيال التـي سارت وراءه نحـو المطلب الاسمى .**

ولئن كانت المنية قد ابعدت فارسنا عنـا بالجسد . فانها لـم ولـن تستطيع ان تتغلب على روح الرجل العظيم الذي سيظل مطلا علينا من نوافذ الابدية كمنار للرجال ورمز للوطنية والتضحية والاخلاص والعبقرية . ما دام هنالك تاريخ ... وماض يحفظ ذلك التاريخ .

مات فارس الخوري الذي لم تخل صفحة مـن صفحات النضال مـن ذكره . وتوارى بعد ان أدى للحياة خلاصة ما وهبته اياه من عبقرية ونشاط .. فكان وحده .. الشهادة القوية والحجة الدامغة ضـد التخلف الذي كنـا

نتهم به .. والتاخر الذي كنا نوصم فيه !!

مات فارس الخوري ..

بعد ان ناضل في الحياة زمنا كاد يقرب من جيل ..

فاذا بالمنابر تهتز لموته .

والاعلام تنكس حدادا عليه ..

والاقلام تجري على القرطاس لتكتب الكثير مما عرفته فيه ..

واذا برؤساء الحكومات والدول ورجالات الامم والعظماء يسرعون بتقديم تعازيهم الى الشعب العربي في كل مكان .

وتردد في اذني صدى قول القائل :

ما انفرجت شفتا مواطن فيدنيا العروبة كلها عن صيحة استغاثة او نداء خافت او أنين مكبوت الا وكان له صدى سريع في قلب الفارس النبيل ، فقد كان في طليعة المناضلين امام جميع الحوادث التي تعرض لها العرب منذ اواخر الحكم العثماني حتى بداية ونهاية عهد الانتداب الفرنسي كما كان في طليعة من يدفعون ثمن البطولات اذ سجن مرارا واعتقل تكرارا ونفي واضطهد وعذب وشرد ..

كتب كاتب مغترب في الارجنتين يقول بأن **الوطن السوري خصوصا والاوطان العربية عموما قد خسرت بوفاة فارس الخوري احدى دعائمها العظيمة .. بل ركنا من أعظم أركانها ..** رجلا كرس سبعة وستين عاما من ايامه لخدمة الانسانية والحقوق والاخلاق السامية ، وخدم الثقافة والادب والدين والوطن .. واضاف يقول : ((**من أراد أن يترجم حياة فارس الخوري وجب عليه أن ينشر مجلدات عديدة لهذه الحياة الملآنة من الاعمال والمشاريع النافعة لان هذه الحياة هي تاريخ مطول للنهضة العربية الحديثة وللثقافة والعلوم الشرعية والادبية**)) . ولهذا جاز لي ان اقول بأنني قد ظلمت نفسي وقسوت على ذاتي . عندما تصديت لتأليف كتابي هذا عن اعظم رجل انجبته الامة العربية في عصرها الحديث على الاطلاق .. فأنا مؤمن بأنني لن أستطيع وحدي . ولا مائة من امثالي مجتمعين ان نؤرخ حياة فارس الخوري .. **ولكن . ما العمل ؟! .. وقد أشفقت على ما لدي من آثاره وأحاديثه التي دونتها في حينها كمذكرات شخصية لي . من أن تضيع في زوايا الاهمال والنسيان وقد كنت في خلال المرحلة الاخيرة من حياته أقرب الناس اليه وألصقهم بمجلسه ومحلا لثقته .. وطمأنينته . ومحبته ..**


الجامعة السورية معهد الحقوق مأذونو
١٣٤٢

طلع واحد من تلاميذه اثر وفاته بمقال قال فيه :

شاء لنا القدر ان نعيش في وطن على مفترق الطرق في الدنيا . وان تكون بلادنا معبرا لغزاة . وغرضا لدول طامعة . ولكن ، شاء لنا القدر ايضا ان ينبت في ارضنا رجال يتحلون بكل المزايا الرفيعة ، الاكفياء ، لمواجهة الاخطار . وانهم يعدون لامتهم بعد مماتهم في كثير من ميادين النشاط . بمنزلة منارة دائمة الاشعاع وان من بين هؤلاء استاذنا العلامة فارس الخوري.

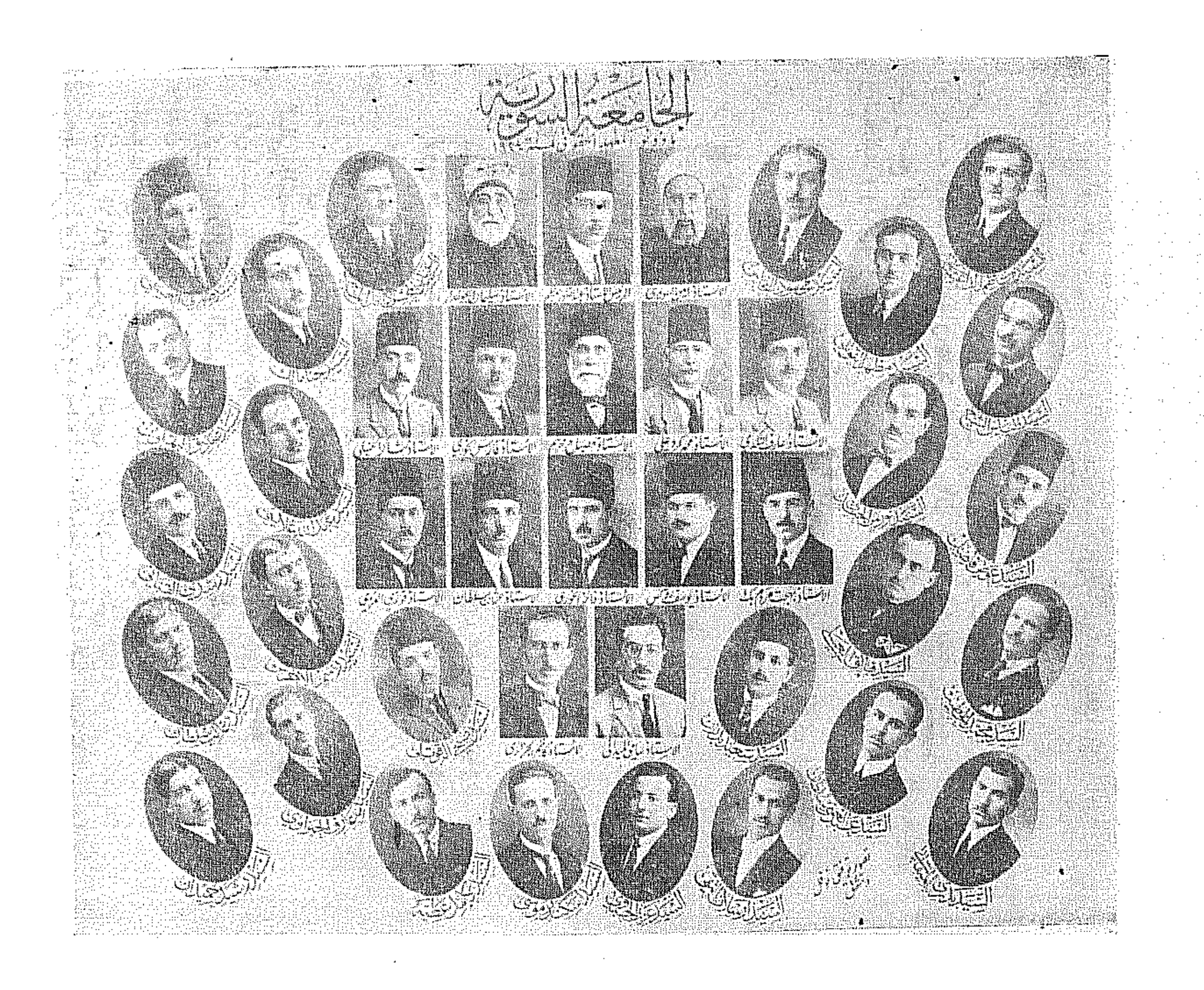
واذا كان الاستاذ ، حتى اليوم الذي كان يعلم فيه فقيدنا الغالي في معهد الحقوق ، كل ما يعنيه أن يزود طاقات التلامذة العقلية بالثقافة الواسعة فيما هو متخصص به . والالمعي فيهم من يعمد للتحليل والمقارنة بين نظريات التشريع المعاصرة ونظريات علمائنا الاقدمين ، بحيث لا يغفل عن تفاعل الاخذ والعطاء بين مختلف الحضارات ، فان ميزة استاذنا الفارس عدا تفوقه في ذلك كله ، هو انه الذي لم يكن يكتفي من كل موضوع الا ان يتحدث عنه بالعين الناقدة والفهم الواعي بحيث كان يجعل الاهتمام بالماضي والحاضر على مستوى اهتمامه بالمستقبل وبما يتجدد كل يوم من معلومات وتجارب علمية!!.

وكذلك كانت كتبه في الاصول الحقوقية واصول المالية وفي مجموعة محاضراته فانه خرج منها بمزيج من المعارف المختلفة ، اذ جمع فيها بين القديم والحديث ، وهذا العرض المبسط لكل ذلك صادق الصورة في جميع ما حاضر ودرس ، وفي جميع ما ابداه من آراء . .

واذا كان من المقدر لسورية العربية ان تتقدم ، وان لتقدمها اسبابا ، وقدر لسورية العربية ان تتحرر من الاستعمار وان لتحررها عوامل ، فليس من شك ان في طليعة تلك الاسباب والعوامل ليس هو الجامعة السورية بقدر ما كان فيها من اساتذة أعلام ، في طليعتهم الاستاذ فارس الخوري .

ولو انصف المؤرخ لقال ان الفجر الذي يشرق علينا النور منه كان مخبأ في قلبه ، ويحيا في ضميره ، ولسوف يجد العالم العربي الى آماد بعيدة ثروة زاخرة بالتفكير العالي من سديد آرائه . ولسوف تلقى الاجيال القادمة من سيرته ومحاضراته ومقالاته مصدرا قويا لوجوه من النشاط ، يهم العالم العربي ان يقتبس من انوارها ، كما أن فيها معلومات ستكون أصلا من اصول نجاحه لابتناء الامجاد ، وان في سيرته الدليل الكافي على ان وطننا لا يزال تشرق منه عباقرة على مستوى مجابهة اعتى الصعاب وانهم الذين يمتلكون الالمعية لتوجيه الامة الوجهة الصحيحة في حياتهم ليكونوا بعد وفاتهم منارة تتألق بالالمعية والصفحات المشرقة .

*


الجامعة السورية

وكتب تلميذ آخر من تلاميذه يقول :

« وكنت طالبا في معهد الحقوق العربي فعرفته معرفة قرب وتلمذة .. فوجدت نمطا جديدا من الاساتذة ، عرفت شيئا جديدا لم أعرفه من قبل ، هو الحب المتبادل بين الاستاذ والتلميذ وهو شيء افتقده جيلنا فيما افتقد من وسائل التربية الحديثة » .

« رحم الله فارس الخوري ، انه وليد القرون . لم يكن يشبهه احد ممن عرفت من الرجال ، وقد تمضي القرون ولا يرزق العالم العربي من يماثله أو يدانيه ، لقد كان أمة وحده ، ويقيني ان جماعة من الناس ينبغي ان تتوفر على وضع تاريخه الفريد ، لا لتمجيده وتخليده ، فهو في غنى عن التمجيد والتخليد ، ولكن ، وفاء لرجل ، تتمنى أية أمة في الارض لو كان احد بنيها » .

***

كتب الداعية الاسلامي الكبير الاستاذ الشيخ علي الطنطاوي في مجلة « الرسالة » القاهرية عام ١٩٤٧ يروي قصة معرفته بالاستاذ فارس الخوري واثر تلك المعرفة في نفسه .. قال :

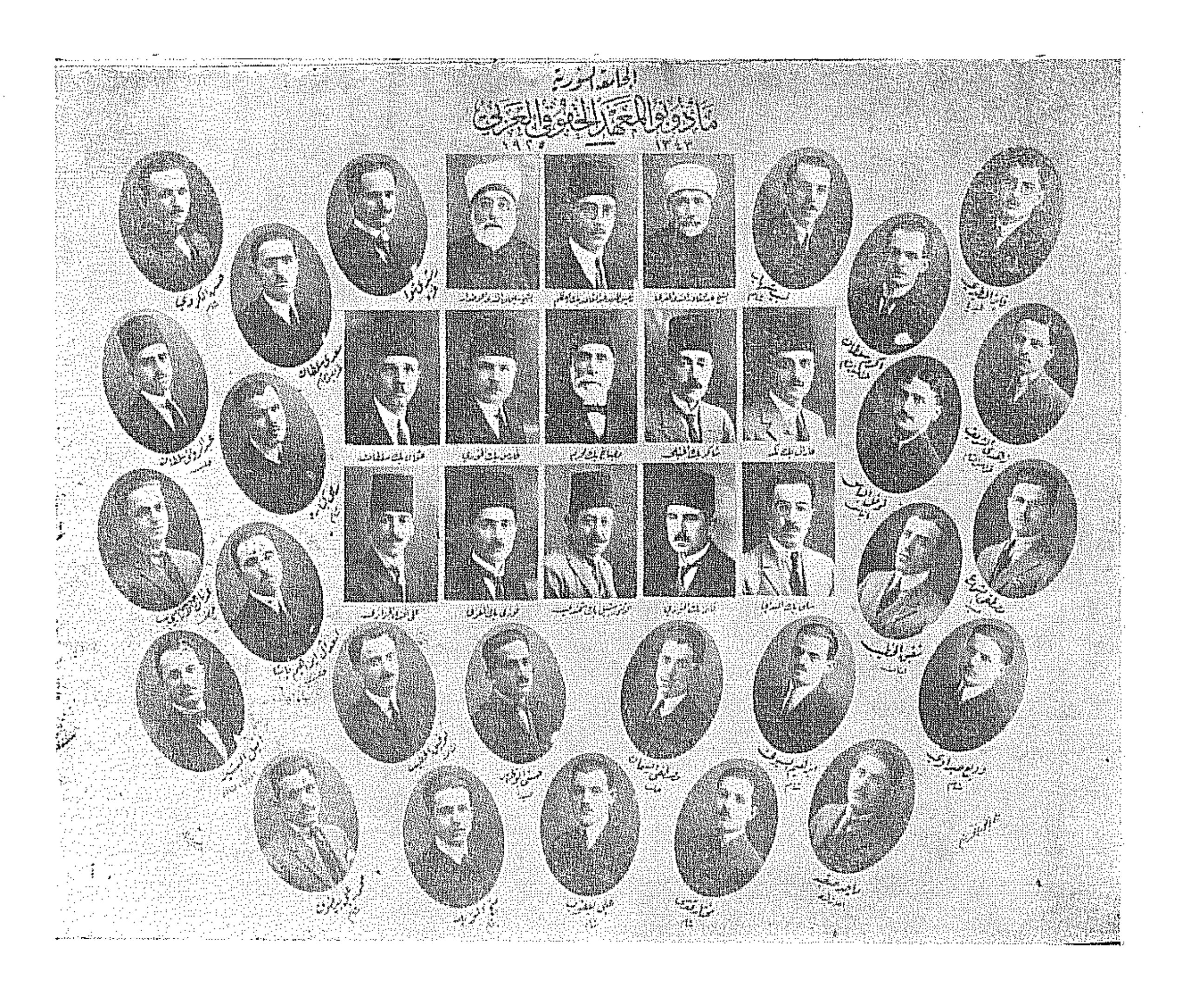
اقيمت في ردهة المجمع العلمي العربي في دمشق من نحو عشرين سنة (يقصد عام ١٩٢٩) حفلة لتكريم **حافظ ابراهيم** ، حضرتها انا وأخي **سعيد الافغاني** ، وكنا يومئذ في مطلع الشباب ، نقصد مثل هذه الحفلات لننتقد الخطباء ، ونبتغي لهم المعايب ، فمن لم نعب فكرته عبنا اسلوبه ، ومن لم ننتقص انشاءه انتقصنا القاءه . وخطب كثيرون في الحفلة ، وقال فيها حافظ بيتيه المعروفين :

شكرت جميل صنعكم بدمعي ... ودمع العين مقياس الشعور
لاول مرة قد ذاق جفني ... على ما ذاقه طعم السرور

ولم يسلم من السنتنا ...

وكان فيمن خطب رجل قصير القامة ، عظيم الهامة « جدا » أبيض الشعر ، القى قصيدة لا ازال أذكر ان مطلعها كان :

ليالي التصابي قد جفاني حبورها ... ولمتي السوداء أسفر نورها
ومن لي بانكار الحقيقة بعدما ... تجلى على وجهي وفودي نذيرها
تذكرت أيام السرور التي مضت ... فيا ليت شعري هل يعود سرورها
لدن لي مع الاصحاب سهم مسدد ... وحظي من ريم الكناس غريرها
اسفت على عهد الشباب ولم تعد ... تثير فؤادي مقلة وفتورها
وأدنتني الايام من هوة الونى ... فاصبح مني قاب قوس شفيرها
وكادت صروف الدهر تطوي صحائفي ... وهل بعد هذا الطي يرجى نشورها


الجامعة السورية
مأذونو المعهد الحقوقي العربي
١٣٤٢ ١٩٢٤

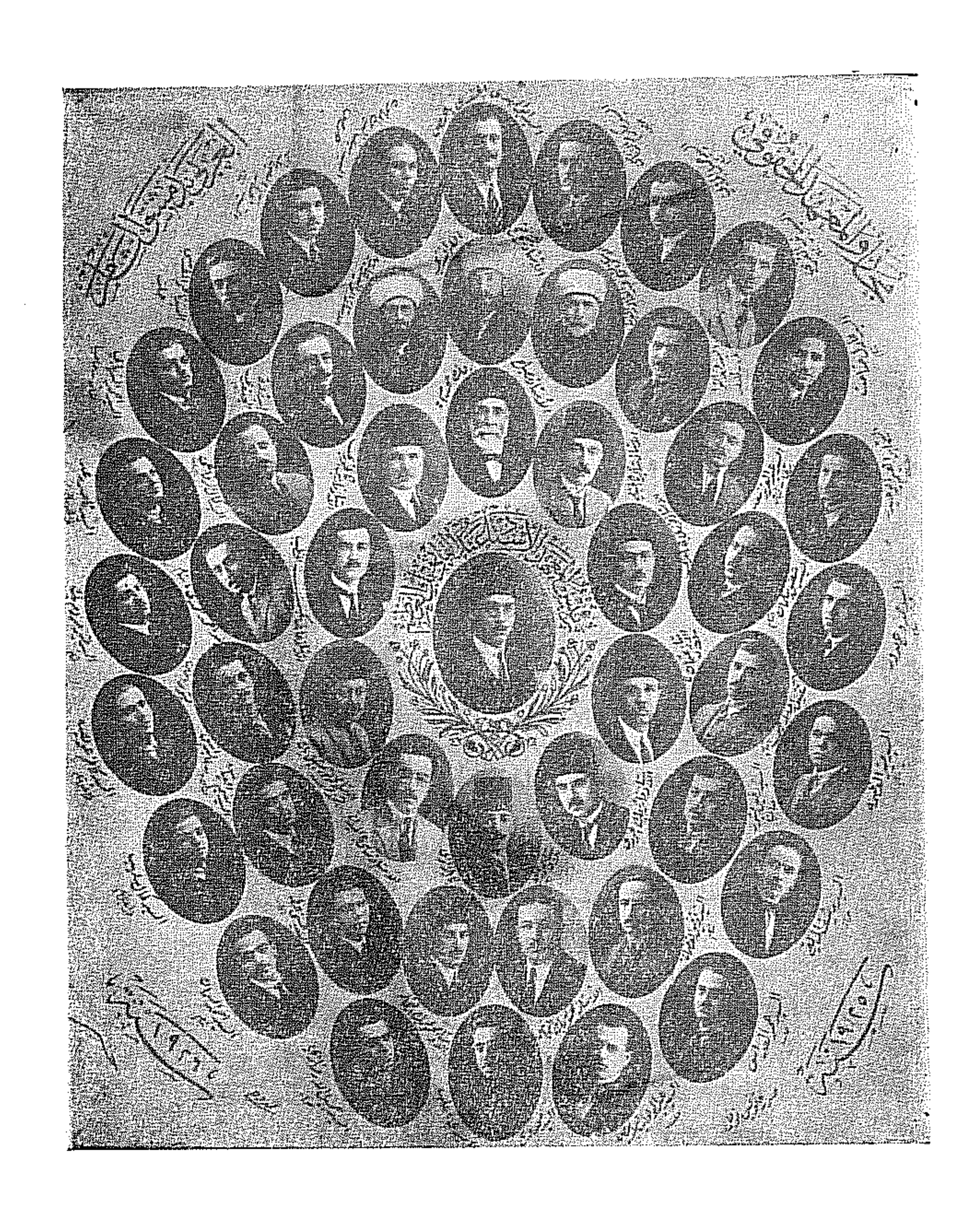
وتخلص الى لقاء حافظ . . وقال انه جدد لـــه عهد الشباب ، وهـــي قصيدة طويلة لا ارويها ، وكان صوته قويا على انخفاض ، مدويا على وضوح، كأن له عشرة اصداء تتكرر معه ، فتحس به يأخذك من أطرافك ، ويأتي عليك من الاقطار الاربعة ، فتسمعه بأذنيك وقلبك ، وجوارحك ، بل تكاد يدك تلمس فيه « شيئا » ضخما . . على صحة في المخارج ، وضبط في الاداء ، وقـــوة في النبرات ، وثبات في المحطات ، واعتداد في النفس عجيب ، تشعر بـــه في هذا الصوت الذي يكون له هذا الدوي كله ، وهو يخرج مـــن فم صاحبه باسترسال واسترخاء ، لا يفتح له شدقه ، ولا يحرك لسانه ، ولا يمد نفسه، ولا يجهد نفسه ، وانسانا بهذا الصوت وهذا الالقاء ، ان ننقد القصيدة او نجد لها العيوب ، وملك به قلوبنا وقلوب الحاضرين ، فصفقنا لـــه حتى احمرت منـــا الاكف ! !

وقلت لسعيد : من هذا ؟!

قال : هذا فارس الخوري .

وكنت قد سمعت باسم « فارس الخوري » قبل ذلك بزمان ، سمعت به مذ كنت تلميذا في السنين الاواخر من المدرسة الابتدائية ايام الملك فيصل (١٩١٩) وكنا نعرفه علما من أعلام السياسة وركنا في وزارة المالية ، ولكنني لم أره قبل هذه الحفلة .

ومرت الايام ، وخرجت من الثانوية ، واشتغلت بالسياسة (كما كـــان يشتغل لداتي يومئذ) وصرت سنة ١٩٣١ رئيس اللجنة العليا لطلبة دمشق، ومحررا في **الجريدة الوطنية الكبرى ، جريدة ((اليوم)) التي كان يقوم عليهـــا الكاتب الوطني الخطيب الاديب الذي علمنا تقديس الشرف وتقدير الرجولة ، عارف النكدي ،** وكانت اللجنة تأتمر بأمر الكتلة الوطنية التي كان لها (فـــي تلك الايام) قيادة الامة وكانت هي وحدها تحمل لـــواء الجهاد ، والعمل على الاستقلال ، فكنت اتصل بكبار رجالها ، وكنت أحضر بعض مجالسهم ، وهناك عرفت فارس الخوري من قرب ، فوجدت فيه رجلا وديعا ظريفا حليما واسع الصدر ، ولكنه كان مع هذا كله هائلا مخيفا ، تراه ابدا كالجبل الوقور علـــى ظهر الفلاة لا يهزه شيء ولا يغضبه ولا يميل به الـــى الحدة والهياج ، يدخل اعنف المناقشات بوجه طلق واعصاب هادئـــة فيسد على خصومه المسالك ويقيم السدود من المنطق المحكم . والنكتة الحاضرة والسخرية النادرة والعلم الفياض والامثال والحكم والشواهد ، ويرقب اللحظة المناسبة حتى اذا وجدها ضرب الضربة الماحقة وهو ضاحك . ثم مد يـــده يصافح الخصم الذي سقط



لا يرفع صوته ولا يثور ولا يعبس ولا يغضب ولكنه كذلك لا يفر ولا يقلب !!

وما رأيته يناقش احدا الا شبهته بأستاذ ، يناقش تلميذا مدللا غبيا ، فانت تلمس في لهجته ولحظته وبسمته وكلمتــه ، صبره عليه ، وتماكه منــه واشفاقه عليه .

*

ثم يروي الاستاذ الطنطاوي بعضا من طرفه ونوادره ــ التي اثبتناها في الفصل المخصص لمثلها ــ التي رآها منه عندما تتلمذ علــى يديه في كلية الحقوق . الى ان يقول :

وخرجت من الكلية ، وكنت اراه في الترام أو المحه في الطريق ، فأجد من ايناسه وسؤاله عني وحفاوته بي ، ما يملأ نفسي شكرا ، وهذه مزية مــن مزاياه يشعر كل من يلقاه انه صديقه الاوحد ، وانه اقرب الناس اليه ، وانــه لا يشتغل الا بذكره ومعرفة امره ، والعناية به . وكنت أزور المجمع العلمــي العربي وهو من كبار أعضائه فأراه أحيانا في مناقشات أدبية أو لغوية ، فاذا هو في مجال العلم والحفظ ، كما في مجال الراي والفكر ، واذا هو متسلط غلاب في مصاولات الادب كما كان الغلاب المتسلط في مصاولات السياسة !!

*

وبعد ..

أنا أرى في مختلف الاجواء أسئلة استفهام كبيرة وصغيرة حول عديد من الامور التي أشغلت الرأي العام في عديد من الظروف والمناسبات ، واحاطت بها بعض الملابسات واختلفت آراء الناس حيالهــا . وألمس علــى الشفاه استفسارات قد تنفرج عنها هذه الشفاه وقــد تقوى ارادة صاحبيها علــى حبسها وتغييبها في أعماق الصدور .. وأحس بالشوق الملـــح الذي يبديه شبابنا وفتياننا وناشئينا الذين لم يتح لهم معرفة فارس الخوري عن قرب ، لدراسة سر عظمة هذا الرجل الذي أؤرخ عنه . وحقيقة نظرته الى الحياة . وسيرته في المجتمع وما يؤمن به في داخلية نفسه وسريرته ، وحقيقة انفعالاته حيال بعض التصرفات التي تبدر من بعض المقربين اليه ، وما الى كل ذلك من اشياء قد يتمكن بعض القراء من استشفافها . من خلال سطور هذا الكتاب وقد لا يتمكن بعضهم الآخر فيظلون على جهل بها .

انا أرى والمس وأحس ولكنني أبادر الى الاعتذار فأقول ان تبيان كـــل ذلك يحتاج الى مجلدات ضخمة وامكانيات مادية تيسر لـــي سبيل التفرغ الطويل الامد الذي لا بد منه لا قبل لي بتحملها ، فضلا عمــا سينتجه نشرها



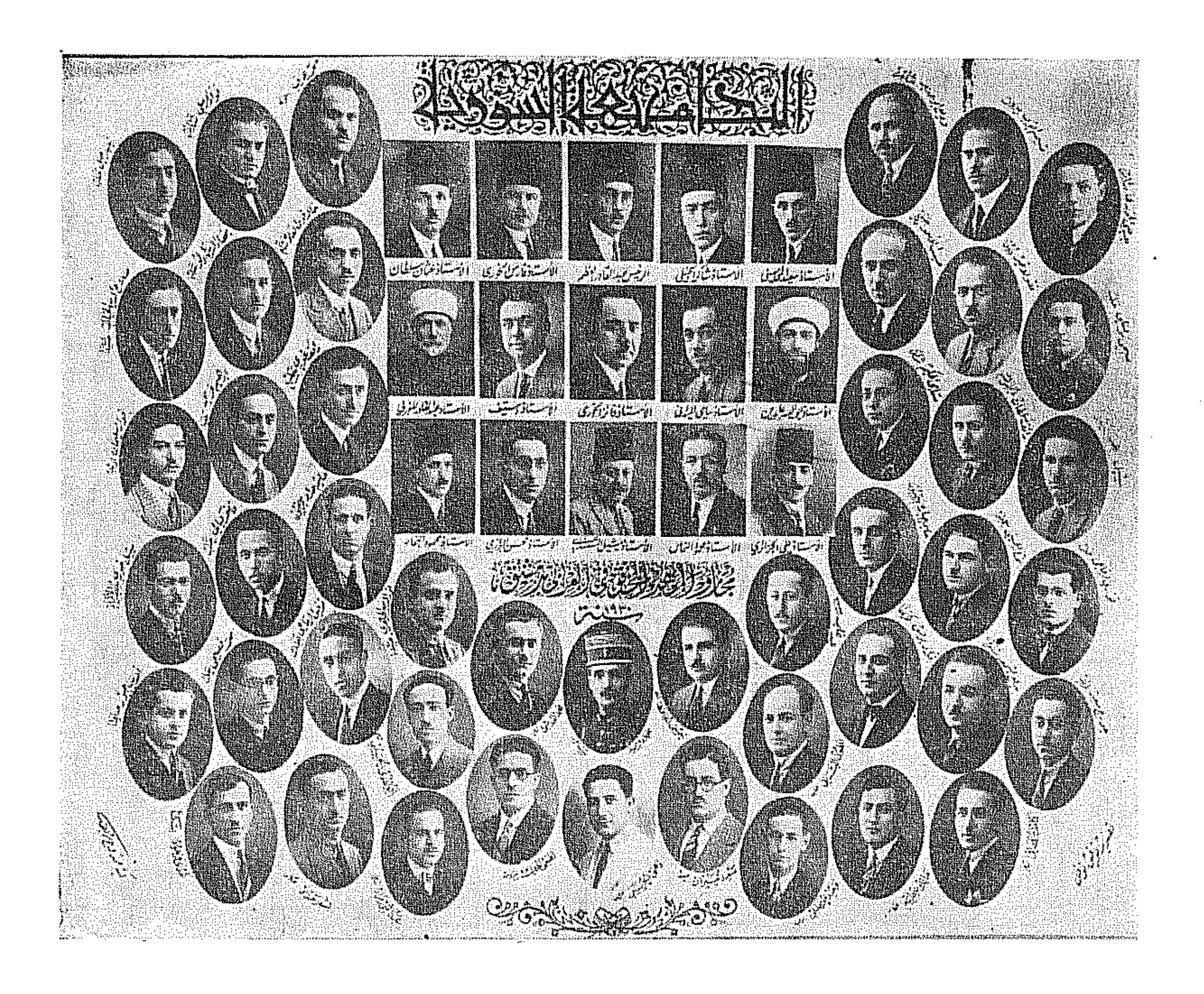
من اثر في علاقاتي مع بعض الناس ممن تنوشهم الحقائق من قريب او بعيد .. اثر لا أقوى على تحمل نتائجه في الآن الحاضر على الاقل .

ولكن ، لئن فاتني ذلك اليوم فلا اظنه سيفوتني في الغد . وكل غــد قريب . ولئن صدق الذي قال (ما لا يدرك كله لا يترك جله) فانني اكتفـي اليوم بتقديم بعض (وأركز على كلمة بعض) ما يمكنني تقديمه عــن فارس الخوري تاركا الباقي لمستقبل قد يكون قريبا وقــد يكون بعيدا .. ورحم الله من قال :

أنفقــت كنـــز تغزلـــي في وصف خصر كالخيال
وسكت عمـــا يحتـــوي ما كل ما يعلم يقال

*

عرفت فارس الخوري معرفة شخصية منذ شهر شباط ١٩٤٩ عندمــا قدمني اليه صديقه ورفيق نضاله الوطني . **المواطن الكبير السيد محمد نوري الفتيح** . وتوطدت أواصر المودة بيننا منذ عام ١٩٥٦ وما جاء عام ١٩٥٨ حتى كان قد أولع بي ولعـــا شديدا وصرت أقضي الساعات الطوال فـي مجلسه واشاركه الطعام على مائدته واذا ما غبت عنه أياما أرهق اقاربي المقيمين فـي دمشق ومعارفي باتصالاته الهاتفية للسؤال عني ، وحاول بعض المقربين اليـه ممن يهمهم (احتكار) امجاده والاستفادة من اسمه أن يباعدوا بينه وبينـي فلم يفلحوا .. ولكنهم افلحوا في شيء واحد ، هو أنني أعدت اليه (مذكراته) التي كان منحني اياها وعهد الـي بتنسيقها وترتيبها وتبويبها .. وازددت تعلقا به كما ازداد تعلقا بي ، ولقد شاء الله ان اكون اول من يدخل منزله بعد اصابته بالكسر الاليم بعد عصر الثاني والعشرين من شباط ١٩٦٠ فوجدت ان من الوفاء ، للذي لمسته من عطفه وبره وحنانه ، ان أكرس كل أوقاتي للبقـاء بقربه لتسليته والتخفيف من مصابه . وصرت اقضي اوقاتي عنده قبل وبعد ظهر كل يوم .. ومرة ثانية .. حاول البعض التفريق بينه وبيني ولكنه كان لا يطيق لفراقي صبرا . فلو غبت عنه قبل الظهر مثــلا .. لاقلق زوجته ، وممرضاته ، وزواره ، لكثرة ما يسأل عني ويلح بضرورة استدعائي واظــن ممرضات مستشفى المجتهد .. وزواره في ذلك المستشفى ، يتذكرون ذلك جيدا وبسبب قوة الاحتكاك المباشر كان يصادف أن اضيق ذرعــا بتدخلات السيدة أم سهيل في الذي يعنيها ومــا لا يعنيها من أمـــر مرض قرينها . فأشاجرها وانصرف غاضبا على الا أعود فــلا يلبث المحبون ان يتوسطـوا لاعادتي الى الرجل الذي احببته واحبني . وأظن **السيد عبد الرحمن الفتيح**


مجازو المعهد الحقوقي العربي بدمشق
سنة ١٩٣٠

يتذكركم تدخل هو لمثل ذلك . كما وان **الرئيس الجليل السيد حسن الحكيم** الذي أكن له في قلبي كل تعظيم واحترام وتقدير واكبار . يتذكر كيف شرفني بزيارته لي في منزلي ليعيدني الى زميله الذي لم يطق فراقي !! . .

وأذكر يومذاك ان سرور فارس الخوري بعودتي كان عظيما حتى انــه أنشد بيتين من الشعر لـ **(ابن الفارض) تحية لي وترحيبا بمقدمي حينمـا** هتف بي

وحياتكـــم وحياتكم قسماً وفـــي ... عمري بغير حياتكم لـــم احلف
لو أن روحي فـــي يدي ووهبتها ... لمبشر بقدومكـــم لـــم أسرف

وبعد قليل رايته يقول لي معاتبا :

أيا عمرو لم أصبر ولي فيك حيلة ... كما صبر الظمآن في البلد القفر

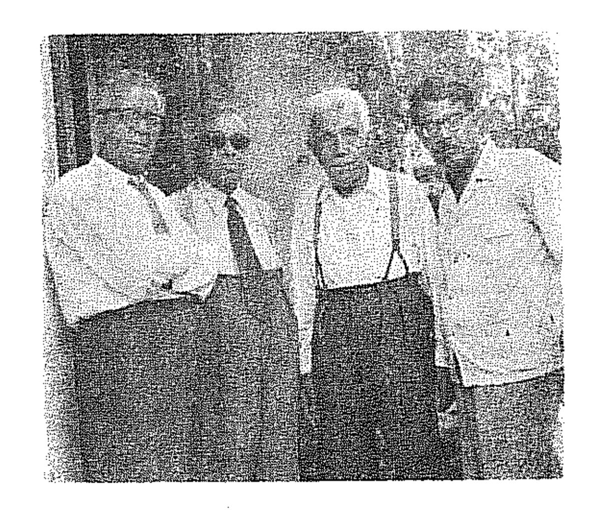
❋

وحول (الحادث) الآنف الذكر اشير الى أن اخباره وصلت الى بيروت ، فكتب الي **المجاهد العربي الكبير الاستاذ محمد علي الطاهر** يستفسر مني عن اسبابه فأجبته على ذلك بتحرير مفصل رد على ما فيه بقوله لي :

« . . وأما غضبك من شدة معاملة أم سهيل لــك فأنا اعطيك الحق في ذلك . ولكن اكراما لخاطر فارس بك يجب ان تتحمل وتصبر ولا سيما أنــت نفسك قد عللت سبب شدتها بكونها تعاني **اضطرابا** وقلقا نفسانيا جزعا منها على قرينها الجليل لذلك ارجوك ان تعود مــن تلقاء نفسك وتصاحب الرئيس شفاه الله وعافاه وان تبشرني بذلك لانني اعرف جيـــدا شدة محبته لــك وتقديره لشمائلك الطيبة . فهيا ، هيا وعد اليه واكتب لي وطمئن بالي . . »

اما القاضي الكبير المتقاعد **الاستاذ خليل يعقوب الخوري** (شقيق فقيدنا الغالي) فقد كتب لي من بيروت (حيث يقيم) يقول :

« . . واني حزنت جدا من اجل هذه العقوبة القاسية المنيفة التي حكمت بها على صديقك المخلص ابي سهيل حكما مبرما ونفذتها معجلا بدون ان يرتكب ذنبا تجاهك او تجاه غيرك . ولا اشك ان هذه العقوبة تؤلمه جدا ، وهو في هذه الحالة . ولا احد حوله . وانت تعاف ايلامه . فكيف استطعت ان توقع به هذه العقوبة . وهو يكفيه ما يعاني ، **وانت كنت الصديق والاخ والاب والابن له يوم هجره الجميع** . واني استحلفك بما هو اعز شيء لديك وبنفسك ،
له يوم هجره الجميع . واني استحلفك بما هو أعز شيء لديــك وبنفسك ،
وبمبادئك العليا ، ان تعود سيرتك الاولى مع صاحبك ابي سهيل ولا تبال بمــا يبدر من أم سهيل من المستغربات فهي مسكينة ولكنها في حزنها وحبها لابي سهيل تؤذيه باقصاء أعز حبيب اليه . . » !! . .



القاضي المتقاعد خليل يعقوب الخوري (شقيق العلامة فارس الخوري) وعن يمينه الرئيس السوري السابق السيد حسني البرازي والمناضل القومي السيد علي ناصر الدين ، وعن يساره محمد الفرحاني .

*

هذه هي قصة معرفتي لفارس الخوري .

بقي علي ان اروي قصة تأليفي لهذا الكتاب ..

الواقع انني فكرت بتأليف كتاب عن فارس الخوري منذ عام ١٩٥٩ واذكر ان العلامة الكبير أقترح علي ان يكون عنوانه **((فارس الخوري في مباذله))** لوجود شبه ـ حسبما قال ـ بين ما اروم اثباته فيه وما كتب عن **((أناتول فرانس في مباذله))** الا انه (رحمه الله) كان يرغب الى تأجيل اصدار اي كتاب عنه . لما بعد وفاته !!

وقد كان ذلك ..

ولكن الكتاب سمي (فارس الخوري وايام لا تنسى)

لانها بالفعل ايام لا يمكن أن تنسى . قضيتها الى جوار الراحل الكبير .

*

وجدير بالاشارة . انني بدات بتأليف هذا الكتاب بصورة جدية قبيل وفاته بشهور معدودة .وهو على علم به . وان كثيرا من محتويات هذا الكتاب

قد تلوتها على مسامعه ابان مرضه . وأيدني في اكثرها .. وصحح لي بعض ما تراءى له فيها من اخطاء .. ويعلم بذلك كثيرون من رفاقه وزملائه حتى ان دولة الرئيس الجليل السيد حسن الحكيم تلا بنفسه على مسامعه (اي مسامع الاستاذ الخوري) كلمته التي قدم بها كتابيهذا في حينها . قبل وفاته ببضع شهور ثم اسمعته اياها اكثر من مرة بناء على طلبه لانها لقيت ارتياحه واستحسانه !!

*

هذا هو كتابي اقدمه للقاريء العربي ، وله وحده ان يحكم له او عليه، واذا كان لا بد لي من تقديم الضمانات على صحة ما جاء بين دفتيه من معلومات . فالضمانة الوحيدة التي أملكها هي امانتي التي عرفها بي — على ما أتوسم — اصدقائي ومعارفي والمقربين الي . وما يتبعها من سمعتي التي احرص على نقائها وشرفي الذي احرص على عدم تلويثه بأية شائبة ..

اما المراحل التي مرت بها مشكلة طبع هذا الكتاب وتوزيعه ، واسباب تأخير صدوره الى هذا اليوم فأترك الحديث عنه الى فصل خاص اضعه في نهاية هذا الكتاب .. المهم ان كتابي قد رأى النور اخيرا ..

والله من وراء القصد

محمد الفرحاني

فارس الخوري

حياته

يتضمن هذا الفصل ترجمة مكثفة ومفصلة قـدر الامكان لحياة فارس الخوري منذ ولد الى ان توفي مع الاشارة الى اهم ما قام به من اعمال . وما ولي مـن مناصب . وما حققه للعروبة من مكاسب . مستندا في ذلك علـى اوثق المعلومات التاريخية التي رواها لي او يكون اكدها لي بنفسه . ومتجردا عن كل هوى وعاطفة .

ولادتـــه

ولد فارس الخوري في ٢٠ تشرين الثاني ١٨٧٣ في قرية الكفير بمنطقة حاصبيا التابعة لولاية سورية في العهد العثماني وهي اليوم مـــن الاراضي اللبنانية .

وفرح الاب **يعقوب بن جبور الخوري** بولده فرحا شديدا . فهو نجـار القرية الوحيد وله بعض الاملاك الزراعية فيها وكان اشد ما يكون حاجة لغلام يساعده في أعماله . .

وحبا فارس اليعقوب ومشى وفطم برعاية وعاطفة وحنان هذه العائلـة الفقيرة الطيبة التي لم تكن تدري **ما يخبئه القدر لابنها هذا .**

دراسته الابتدائية

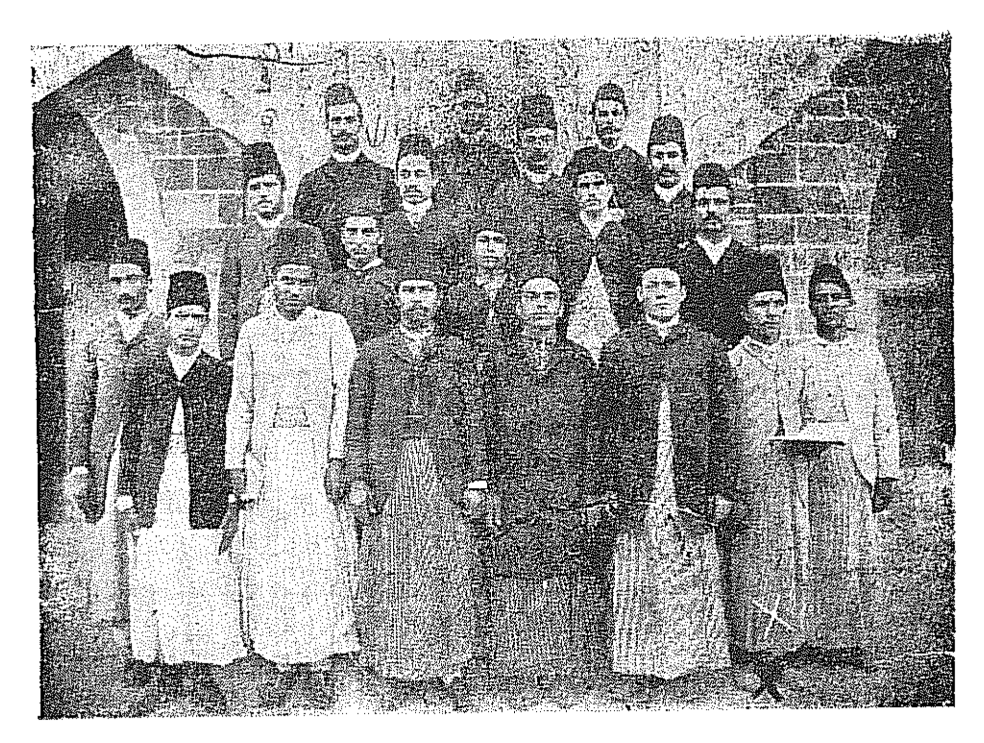
ولفت الطفل فارس اليعقوب الانظار اليه بما حباه الله من ذكاء وقاد وادراك . . فصار حديث اهل القرية ومن جاورها . .

وكان المرسلون الاميركيون قد انشأوا مدرسة ابتدائية في الكفير فكان فارس واحدا من تلاميذها .

روى الاستاذان **جورج حداد وحنا خباز** في كتابهما (**فارس الخوري، حياته وعصره**) ان معلم المدرسة كان يدعى (**يوسف داغر**) وانه كان مهذارا ثرثارا عريض الدعوى ضيق العقل مفتول العضل يباهي بقوته العضلية ومهارته في الصراع . فلا يكاد يزور المدرسة احد الا ويتحداه لـ (**المباطحة**) فيثب عليه ويأخذ بتلابيبه ويلقيه على الارض في وسط المدرسة . فكان الطلبة الصغار يكبرون بطولته ولا يجسر احد منهم ان يتنفس مهابة واحتسابا فكان حضرته على الدوام مشمرا عن ساعديه استعدادا للصراع . وقد بطح على مرأى من التلاميذ اكثر رجال القرية التي كانت تفاخر بهم . وعلى هذا المعلم حصل فارس القراءة والكتابة وبعض الحساب . وكان المعلم يوسف داغر يقدمه لكل زائر مفاخرا ببراعته في التدريس . وكان شيوخ القرية من دروز ومسيحيين يزورونه ليشاهدوا المدرسة فيدعو تلميذه فارسا ليقف امامهم وهو دون العاشرة ويقول له : (هذا الرجل عمره ستون عاما فكم ساعة عاش ؟!) فيضرب فارس ٦٠ × ٣٦٥ × ٢٤ ويقول الجواب ..٥٢٥٦٠٠ ساعة . فيدهش الزائر . وينتفخ معلمه افتخارا ويقول لزائره : (انظر . هذا الولد قد عرف عمرك كم ساعة ويقدر ان يعرف عمرك كم دقيقة ، فاذا كان هذا حال اصغر تلاميذي فيمكنك ان تعرف حال كبار التلاميذ ، فيزداد الزائر دهشة مع ان الطلبة لم يتعلموا من يوسف داغر شيئا ولولا ان الله اسبغ على فارس كثيرا من النشاط والذكاء لما تعلم منه شيئا هو الاخر .

انتقاله الى مدرسة صيدا

ويشاء الله ان يحضر رئيسا المدرسة الامريكية الداخلية في صيدا (**الدكتور فورد والمستر ادي**) الاميركيان ، الامتحان في مدرسة الكفير ويعرفا الفتى النابغة فارس اليعقوب ويعجبا به ويقترحا على والده ارساله الى مدرستهما لتكملة علومه فيها . الا ان والده رفض هذا الاقتراح رفضا باتا



فارس الخوري ، الثاني من اليمين وقد اشير اليه باشارة × ، واقفا بين رفاقه وقد أمسك دفتره بيده ، وذلك في باحة مدرسته عام ١٨٨٨

بدعوى انه يريد ابقاءه الى جانبه كي يساعده في اعماله وهـو الرجل الفقير ورب العائلة المسؤول .

وهنا يبرز دور والدته في حياته .

فان (**حميدة بنت عقيل الفاخوري**) وهي ابنة رجل قضى في مذبحة عام ١٨٦٠ ، ضحية الجهل والتعصب الاعمى ، ارادت لابنها فارس غير ما أراده له ابوه .. ارادت ان توسع آفاق ابنهـا . وان تمده اعدادا حسنا للمستقبل الذي كان ينتظره وكأنها كانت عالمة بمضمونه .

وفي ليلة ليلاء لم تر ضوء القمر ، اخذت حميدة الفاخوري ابنها فارسا في غفلة عن والده الى مدينة صيدا . حيث قطعا الطريق اليها على ظهر اتان،

والمسافة لا تقل عن اربعين كيلو متــرا ، وادخلته المدرسة الاميركية الداخلية هناك ، وعادت وحدها الى الكفير ، لتلقى مـــن زوجها يعقوب شتى صنوف العذاب والنكال لاخذها ولده دون اذنه .. الا ان ذلك لــم يوهن من عزيمتها فقد راحت تقتصد من مصروف البيت لكي توافي ولدها فارسا بالنذر اليسير من (الخرجية !!) .

اما من حيث نفقات الدراسة الداخلية ، فقد اعتبر بالنظر لنبوغه ، طالبا مجانيـــا .

ولنترك **الاستاذ حنا خباز** يروي لنا كيف عرف رفيقه فارسا في تلــك المدرسة ، ولنسمعه **يقول :**

وكان شهر تشرين الاول ١٨٨٩ وقد رن جرس مدرسة صيدا الاميركية واصطف الطلاب الداخليون وهم نحو اربعين طالبا مختلفي الازياء والاعمار ، من مدني وقروي بين الثالثة عشرة والخامسة والعشريــن . اراهم الان بعين الخيال كما رايتهم يومذاك بالباصرة .. **ولاول مرة تقع العين** علـى فتى اروع في وسط الصف ، مستدير الوجه . كبير الراس . عالـــي الجبهة . اشهب العينين ، قصير القامة . متين البنية ، كله نضارة ورونق وبهـــاء ، لا يماثله احد في الطلاب ولا يماثل هو احداً منهم .. ان شيئا فـــي محيـــاه الوسيم وعينيه اللامعتين قد استهواني ، هذا هو فارس الخوري !

**

وبز فارس الخوري اقرانه كافة متفوقا عليهم جميعا ..

يقول حنا خباز رحمه الله :

رفيقي فارس يعقوب (هذا كان اسمه في مدرسة صيدا الاميركية عـــام ١٨٨٩) باهي المحيا . ولكن ليس كل جماله في محياه . فمالا تـــراه العين اعظم جدا مما تراه . وويل لمن ليست ثروته الا ما تراه العيون . كان علمـــا بين الرفاق . اصغرهم سنا . واصفاهم ذهنا . واوفرهم جهدا . واجملهم نفسا . وارهفهم حسا . واعلاهم كعبا . واطولهم باعا . واثبتـــهم ودا . واوفاهم وعدا .. هذا الفتى . وكنت اظنه في الرابعة عشرة . لا ادري أي علم او اي فن لا يعرف .. هو قاموس عام لكل مطالب وفـــن .. كنت فـــي التاسعة عشرة يومذاك .. وقد قرات عشرات من الكتب وكنت اظن انني اعلم اترابي وهذا فارس وهو اصغر مني سنا يبزني ويبز من هم اعلى مني علمـــا واطلاعـــا .

امتهانه التعليم في زحلة

وعينه المرسلون الاميركيون معلما في مدرستهم الابتدائية في زحلة عام ١٨٩٠ . وفي هذه البلدة تعرف على رجل يدعى **(ابو راشد الميماسي)** اقنعه بأن يذهب الى امريكا معه وعلى نفقته ليعملا هناك . وراحا يحلمـان بالثروة الطائلة ويقضيان الليالي في أحاديث أميركا والمستقبل المجيد ، والسبب فـي اختيار الميماسي لفارس الخوري بالذات كي يسافر معه هو المام فارس باللغة الانكليزية . واستقال فارس من وظيفته وذهب الى اهله ليودعهم ولكن والدته (وهنا يبرز دورها من جديد في حياته) اقنعته بالعدول عن السفر الى العالم الجديد وساعدها بمهمة اقناعه بعض الاهل والاصحاب .

ترى .. ماذا كان يصبح من أمره لو انه هاجر الى تلك الديار ؟!!

بين الكلية الانجيلية والتعليم

ووفـاة والـــده

ودخل فارس الكلية الاميركية في بيروت وكـــان اسمها حينذاك الكلية الانجيلية السورية يريد اكمال دراسته . ولكن المرسلون الاميركيون لم يمكنوه من الاستمرار فقد عينوه من جديد في مدرستهم بقرية مجدل شمس عـــام ١٨٩٢ ثم نقلوه عام ١٨٩٣ الى صيدا وفـــي عام ١٨٩٤ عـــاد للدراسة في الجامعة وفي هذه الاثناء توفي والده يعقوب الخوري .. وبرغم هذه الفاجعة التي حلت به نراه يفوز في الامتحان صيف عام ١٨٩٥ ثم عين معلما في معلقة زحلة ، وعاد الى الجامعة في خريف عام ١٨٩٦ وحاز على شهادة بكالوريوس في العلوم عام ١٨٩٧ وكانت هذه الشهادة في ذلك الحين شهادة ثقافية عامة ليس فيها اختصاص في أحد فروع العلوم او الآداب كما هي الحال اليوم .

ودعاه رئيس الجامعة الاميركية **الدكتور دانيال بليس** للتدريس فـــي القسم الاستعدادي كمعلم للرياضيات واللغة العربية فوافق . ومـــن تلاميذه في ذلك الحين **السيد تيودوسيوس ابو رجيلي** الذي مـــا لبث ان اصبح الان بطريركا للروم الارثوذكس في دمشق .

دعوته للتحرير في المقتطف

وفي عام ١٨٩٩ استقال مـــن وظيفته استجابة لدعـــوة **الدكتور يعقوب**

صروف صاحب مجلة المقتطف الذي اختاره محررا لمجلته براتب قدره خمسة عشر جنيها مصريا ، وتوجه الى دمشق من اجل تصفية قضية حقوقية لاسرته في المحكمة قبل ان يذهب الى ارض الكنانة . ولكن داء الطاعون تفشى هناك وفرض الحجر الصحي فلم يتمكن فارس من الذهاب اليها ، وبقي في دمشق !! . .

اتساع آفاقه في دمشق

وفي دمشق دعي فارس الخوري لادارة المدارس الارثوذكسية بتكليف من **البطريرك ملاتيوس دوماني** كما دعي لاعطاء بعض الدروس في مدرسة تجهيز (عنبر) . وفي عام ١٩٠٢ عين ترجمانا في القنصلية البريطانية فأكسبته وظيفته الجديدة نوعا من الحماية ضد استبداد الحكم العثماني ، واتخذ عملا اخر هو وكالة شركة جرشام التأمين على الحياة نجح فيه نجاحا عظيما بشكل جعل وارداته تبلغ ألفا وخمسمائة ليرة ذهبية في السنة وعلى هذا الشكل ضمن تعليم اخوته واعدادهم للحياة .

اشتغاله بالمحاماة ووفاة والدته

ولم يترك فارس الخوري الدرس والتحصيل بل ظل مكبا على الدراسة والمطالعة حتى وهو منهمك في وظائفه . وعلاقاته الاجتماعية واتصالاته بالناس . فدرس اللغتين الفرنسية والتركية لوحده بدون معلم وبرع فيهما كما انه اخذ يطالع الحقوق لنفسه وامتهن المحاماة متمرنا في مكتب الاستاذ امين زيدان وتقدم بفحص معادلة الليسانس بالحقوق فنالها وأخذ اجازة في تعاطي المحاماة ولم يكن تعاطيها يحتاج لشهادة جامعية يومذاك .

وفي عام ١٩٠٨ انتسب لجمعية الاتحاد والترقي فكان هذا اول عهده بالسياسة .

وتوفيت والدته العظيمة تاركة له اخوته واخواته يعيلهم ويعني بهم .

واختار شقيقه **(ايوب الخوري)** البقاء في لبنان يشرف على ارث العائلة في (الكفير) حيث لا يزال حتى الان . اما **(خليل الخوري)** فقد درس الحقوق وعمل بسلك القضاء ، قاضيا في الخرطوم (السودان) وهو اليوم في بيروت مقيما . . واختار **(داود الخوري)** الانتقال الى المهجر حيث استقر في البرازيل ، فاتخذ فارس من شقيقه الاصغر **(فائز الخوري)** ابنا له وبذل

ما بذل في سبيل تعليمه وتربيته وتنشئته حتى سطع نجمه وذاعت شهرته كعالم حقوقي كبير ووزير ناجح ونائب جريء وسفير ممتاز الى ان اختير الى جوار ربه في صيف عام ١٩٥٩ مأسوفا على خصاله الحميدة واخلاقه الكريمة العالية .

زواجه

وفي حفلة حضرها فارس الخوري عام ١٩٠٩ راى فتاة جميلة طيبة . علم انها ابنة أخت شريكه في مكتب المحاماة **الاستاذ امين زيدان** . قدمت من وطنها (عكا ــ فلسطين) الى دمشق مع ذويها بزيارة قصيرة ، وهي ذات حسب ونسب وخلق ودين فضلا عن جمالها الاخاذ عهد ذاك تدعى **(اسماء بنت جبرائيل عيد)** فأعجب بها وسرعان ما خطبها وتزوج بها فأنجبت له ولده الوحيد **(سهيل الخوري)** الذي ما لبث أن حاز على شهادة الدكتوراه



السيد جبرائيل عيد والسيدة قرينته ، والدا السيدة اسماء عقيلة فارس الخوري

في الحقوق وعين مشاوراً حقوقيا لبلدية دمشق وانتخب نائبا عن دمشق في مجلس النواب السوري عام ١٩٥٤ وفي عام ١٩٦١ اثر انفصام الوحدة بين سورية ومصر ، كما عهد اليه بتولي وزارة الشؤون البلديـة والقروية في حكومة الدكتور معروف الدواليبي الثانية التي أطاح بها انقلاب ٢٨ اذار ١٩٦٢

فــوزه بالنيابــة

وفي عام ١٩١٤ فاز فارس الخوري بالنيابة عن دمشق في مجلس المبعوثان العثماني في الاستانة، فاذا به يقوم بواجبه النيابي بجراة لفتت الانظار واستثارت التقدير والاعجاب . . يستجوب ويعارض ويناقش بحجة قوية وبيان واضح وكثيرا ما تصدى لاقطاب الدولة وزعماء الاتحاديين مثل **(طلعت وانور وجاويد) !!**

وقد سألت فارس الخوري مرة عن اسعد فترة في حياته فأجابني : (هي الفترة التي كنت خلالها نائبا في البرلمان العثماني لانها الخطوة الاولى خطوتها نحو برج المجد والعظمة) !! . .

ولكن جمال باشا . . كان له بالمرصاد

وصادف أن جاء الى الاستانة . **الشيخ أسعد الشقيري** (والد الدبلوماسي الفلسطيني المعروف الاستاذ احمد الشقيري) لمشاهدة الاعمال الحربية في مضيق الدردنيل وكان مفتيا للجيش العثماني الرابع ومن اقرب المقربين لجمال باشا الوزير العثماني المشهور وقائد الجيش الرابع في سورية ، وكان يزور مجلس المبعوثان ويسمع مناقشات فارس الخوري ونجاح تقاريره في القضايا التي يناقش بها فصار يحرض عليه بقية النواب العرب ويقول لهم (الا تخجلون من تفوق هـذا النائب النصراني عليكم ؟!!) فجاء مبعوث القدس **السيد راغب النشاشيبي** الى زميله فارس الخوري يحذره مما قد ينصبه له الشيخ اسعد من الحبائل ويقول له : (سمعت من الشيخ اسعد الشقيري كلاما ضدك يوجب الحذر وقد كرره لي وللمبعوثين اكثر من مرة . فهو مستاء من ظهورك في المجلس النيابي حيث لك في كل يوم موقف لامع ويريد منا ان نؤخرك ونتقدمك . وقد سمعته يبوح باستيائه بعبارات يشتم منها رائحة التهديد ، ولا ريب عندي أنه سينصب لك شركا يوقعك فيه . واخشى ان يكون هذا الشرك عند صديقه جمال باشا في سورية .

فلنذهب لزيارته لعلنا نفلح في اخماد جذوة كيده فهو غير مأمون الجانب) !!

وذهب فارس الخوري بصحبة راغب النشاشيبي لزيارة الشيخ أسعد في استمبول وجامله محاولا ان يزيل ما عنده من شعور ضده بدون ان يشعره باطلاعه على ذلك الشعور وفارقه آمنا **بعد أن رجاء بأن يشفع** لدى جمال باشا بسجناء عاليه بما له من الكلمة المسموعة . فوعده خيرا !! ..

وعندما أراد فارس الخوري أن يعود الى دمشق اثناء عطلة البرلمان في اواخر ربيع عام ١٩١٦ فكر في ان يحصل على توصيات من اقطاب الدولة يستعين بها لدى **جمال باشا** من أجل رفاق له واصدقاء احتوتهم سجونه وكان أن أعدم بعضهم في ٦ أيار ١٩١٦ . فكان له ما أراد ، وحين وصوله الى دمشق ذهب لمقابلة جمال باشا في فندقه فأبقاه هذا في صالة الانتظار ما يزيد على النصف ساعة استقبله بعدها بكثير من الرزانة والعبوس وبعد مجاملة قصيرة قال له فارس الخوري (يا دولة الباشا ، ان اخوانك **طلعت وأنور وجاويد والحاج عادل** رئيس المجلس وجميع رفاقكم الاعاظم في العاصمة كلفوني عند الوداع أن اقريء دولتكم السلام وشجعوني على ان التمس من دولتكم الرفق بسجناء عاليه) فأجابه جمال باشا متجهما : (السجناء الآن امام قضاء عادل ولن ينال احد منهم الا ما يستحق فدع هؤلاء الان واشتغل بتنظيف صفحتك فان عندي عليك ما يجعلك تهتم بنفسك) فأجابه فارس الخوري : (انني أعلم أن صفحتي نظيفة يا دولة الباشا فما عسى ان يكون لي عندكم ؟ !!) فأجابه جمال باشا : (الامور مرهونة بأوقاتها والمسألة الآن تحت الدرس وسوف أسألك عن بعض الامور في حينها) ..

وخرج فارس الخوري من مقابلته لجمال باشا وهو في أشد حالات القلق والاضطراب وفكر فيما عسى ان يكون الدافع الذي حمل جمالا على تهديده بذلك الشكل القاسي فلم يهتد الا الى عامل واحد وهو الشيخ اسعد الشقيري .

وفي أيار ١٩١٦ وكان فارس الخوري في دمشق ، زاره (**ميشيل ابراهيم سرسق**) وطلب منه ان يرافقه الى حوران فيساعده في جمع الغلال التي تعهد بها لجمال باشا لاجل الجيش ، فلم يجد فارس الخوري بأسا في أن يجيبه الى طلبه طمعا في أن تزول شكوك جمال باشا به . ورافقه الى حوران وبقي معه حتى نهاية حزيران ١٩١٦ حيث اتاه **حسني بك** متصرف حوران وقال له : (اتتني برقية من **توفيق جلبي** وكيل والي دمشق يطلب فيها ان ابلغك وجوب ذهابك الى دمشق) فوجم فارس الخوري لهذا النبأ

ولاحظ حسني به وجومه هذا فقال له : (هـــل تخشى سوءا ؟! فـــاذا كنت تحتسب من هذه الدعوة فلك ان تتخذ طريقا اخر) واشار بيـــده الـى ناحية جبل الدروز .. فأجابه فارس الخوري : (انني لا اخشى شيئـــا فالوالـي



الشهيد توفيق البساط



الشهيد أمين لطفي الحافظ



الشهيد شفيق المؤيد العظم



الشهيد شكري العسلي

صديقي ولا أظن في هذه الدعوة الا خيرا . ومع ذلك فسأفكر في الامر) وانهى المتصرف المقابلة بأن قال لفارس الخوري : (اذن سأجيب الوالي بأنـي ابلغتك الاوامــر) .

وعاد فارس الخوري الى دمشق حالا ، وتوجه فورا الـى دار الحكومة ليقابل توفيق بك الجلبي الذي استقبله ببشاشة وترحيب وقال له :

لقد دعوتك لاطلاعك على امر هام ، وهــو ان السلطة العسكرية قبضت على شاب فار من الجيش يدعى **عبد الغني الرافعي** ولدى تفتيشه وجدت معه اوراق هي في غاية الاهمية والخطورة فهي تشعر بوجود جمعية متفقة مـع الشريف فيصل على احداث ثورة في هذه البلاد انتقامــا للاشخاص الذين شنقهم جمال باشا ، وها ان الثورة قد ابتدأت فعـلا فـي الحجاز واعضاء الجمعية هنا يستعدون للالتحاق بالثورة ، وهذا الشاب يزعم انك من اعضاء هذه الجمعية وها هو في دائرة البوليس ونحـن مشغولون ليـل نهار في استجوابه واستجواب الاشخاص الذين تناولتهم افادته وتقع عليهم الشبهات وانا اعلم انك بريء وأنه كاذب فيما قاله عنك وأن كلامه محض افتراء . ولا يمكن ان يكون لك ضلع في مثل هذه المؤامرات خصوصا مع هذا الشخص ، ولا اكتم عنك أن الباشا مشغول الفكر ومضطرب ومفعم غيظا من هذه الحادثة، وقد قبض اليوم على اللواء شكري الايوبي وكان يريد أن يؤتى بك مـن درعا مخفورا لكنني تعهدت له بجلبك مختارا ، ولم تقنعه تأكيداتي بأنك بعيد عـن الدخول في مثل هذه الاعمال الاجرامية ، وغدا اسعى بجمعك بالباشا لملك


الشهيد باترو باولي


الشهيد جورجي حداد



تنجح في اقناعه ، فهل تعرف شيئاً عن عبد الغني هذا ؟ !!

فأجابه فارس الخوري : (انني لا اعرفه ولم اسمع بهذا الاسم قبل

الآن ، وهذه التهم محض افتراء واختلاق ، فلا اعتقد بوجود جمعية من هذا النوع . وعلى فرض وجودها فلا علم لي بها .. والآن ماذا تريد ؟!!)

قال وكيل الوالي : (تذهب الى بيتك الآن ، وتبيت مطمئنا ، وتعود الي في الغد) !!

وخرج فارس الخوري وهو في أشد حالات الحيرة وفكر في الفرار ، ولكنه خشي من أن يلقى القبض عليه فيتخذ حادث هروبه دليلا لادانته وهو بريء مما نسب اليه ، وبعد تفكير طويل رجح البقاء على أساس ان صفحته نقية وانه نائب ، واصدقاؤه كثيرون في سورية وفي استمبول . وان حجته قوية وهي سلاحه للدفاع عن حياته .

وتوجه صبيحة اليوم التالي الى وكيل الوالي متأهبا للسجن ومحتملا كل طاريء . فدعاه هذا لحضور حفلة شاي يقيمها (مساء ذلك اليوم) للشريف علي حيدر الذي عين شريفا لمكة المكرمة بدلا من **الشريف الحسين بن علي** الذي كان أعلن الثورة وصدرت ارادة سلطانية بعزله وتجريمه ..

واغتنم فرصة حضوره الحفلة ، وتحدث الى **الشريف علي حيدر** عن مخاوفه ورجاه ان يتوسط لدى جمال باشا لعله يستطيع ان يحوله عن عزمه على اعتقاله وسوقه الى الديوان العرفي ، وتوسط الشريف في الامر ولكن جمالا لم يتحول عن عزمه بل وعد بأنه سيقابل فارسا في الغد بعد ان يدلي بافادته أمام هيئة التحقيق .

التحقيق مع فارس الخوري

وفي تلك الليلة نفسها ذهب فارس الخوري الى دائرة البوليس وادلى بافادته حيث استمر التحقيق معه حتى الساعة الثالثة صباحا وكان المحققون وكيل الوالي ومدير البوليس وموظف آخر ورجل عسكري من قبل جمال باشا حيث سألوه عن الجمعيات السياسية التي هو عضو فيها فأجابهم انه لم ينتسب في حياته لغير جمعية الاتحاد والترقي وانه من مؤسسي فرعها بدمشق عام ١٩٠٨ .. كما سألوه عن قضايا سابقة تتعلق ببعض خطبه وبرقيات احتجاج نسبوا اليه توقيعها كما سألوه عن صلته باللواء **شكري باشا الايوبي** فأجابهم بأنه لا يعرف هذا الباشا الا بالوجه ولم يسبق له أن اجتمع به أو تكلم معه وتساءل عمن يكون اعضاء الجمعية الخيالية غيره وغير شكري باشا وأبدى ترجيحه الا يكون وجود للجمعية الا



الشهيد محمد المحمصاني



الشهيد السيد عبد الحميد الزهراوي

في مخيلة الرجل الذي يسمونه عبد الغني الرافعي فقال له المحقق :

هو يقول (ويقصد عبد الغني الرافعي) ويؤيده رفاقه ، انكم تلقيتم اموالا تبلغ ثلاثين الف ليرة عثمانية ذهبا اتاكم بها **الدكتور عبد الرحمن شهبندر وعبد الستار السندوسي** من طرابلس الشام وانكم تجتمعون في جناح خاص في احد فنادق باب توما لصاحبه ميخائيل القصير .وفي محلة الجورة ، لتدبير هذه المؤامرات، وانه كانت لكم عربة خاصة مستأجرة بثلاثين ليرة ذهبية عثمانية من محل حبيب سلمون ، وكانت لكم اجتماعات سرية في بيتك . وفي دار آل البكري في دمشق ، وفي القابون ، وفي دار شكري باشا في الصالحية ، ويشترك في بعض اعمالكم هذه **أمير اللواء عبد الحميد باشا القلطقجي والاميرالاي زكي بك العظمة وعمر افندي الرافعي** وغيرهم ممن لا نسميهم الآن .

فأجاب فارس الخوري :

هذا كله رواية افكية شريرة الفها عبد الغني الرافعي من نفسه او انه دعي الى تأليفها بهذا الشكل ، فاسمحوا لي أن اقول بأنني بدأت أشك في ان تكون هذه الجمعية ناشئة عن خيال عبد الغني وحده ، اذ لا يعقل أن يتعمد هذا الرجل اذية هؤلاء الناس والايقاع بهم ظلما وعدوانا وهو لايعرفهم ولا هم يعرفونه فلا بد اذن من وجود يد عليا تديره وتملي عليه ما يأفك به ، وكيف يعقل أن يدخل عبد الرحمن الشهبندر دمشق وهو محكوم بالاعدام فيسعى الى حتفه بظلفه ؟ !! . .

وهنا أمروا باحضار عبد الغني ، فجيء به ، واذا هو شاب مزمل الراس واليدين والرجلين بعصائب بيضاء وهو يكثر من الانين . عندها علم فارس الخوري أن هذا قد قاسى كثيرا من آلام الضرب والتعذيب وكان يحسبه اولا احد جواسيسهم ، وسأله مدير الشرطة عما اذا كان يعرف هذا الذي أمامه فأجاب عبد الغني بالايجاب وذكر اسم فارس الخوري فقال فارس : (لا غرابة في ذلك فكثيرون يعرفونني ولا اعرفهم) وسأله المدير من اين يعرف فارس فقال عبد الغني : (عرفته للمرة الاولى مع **عبد الفتاح بك المرعبي** قائمقام بعلبك في دكان حلاق بالمرجة ثم قابلته في باب توما وسألته عن شقيقه فائز الذي كان سجينا في عاليه ثم اصابته حمى التيفوس ، وعند ذلك اخبرته عن الجمعية التي تألفت للانتقام لشهداء العرب وانها قريبا تبدأ أعمالها الثورية . وبعد ذلك زرته في بيته بناء على طلبه واجتمعنا عدة مرات) فأجاب فارس الخوري : (ان هذه الحال التي ادى بها عبد الغني شهادته كافية لوجوب اهمالها وعدم الاكتراث بأقواله ، وماذا كان ينتظر من رجل وقع تحت الضرب المبرح والتعذيب الجسدي اسبوعا كاملا ؟ ولا ريب ان هذه الشقوق في رأسه ووجهه والخلوع في مفاصله والكسور في عظامه هي التي دفعته لاختلاق أقوال كاذبة يرضي بها معذبيه . ان الافادات التي تنتزع بهذه الوسائل الممنوعة قانونا لا يجوز أن تتخذ اساسا لاستجواب رجل مثلي قبل تأييدها بوسائل اخرى وادلة قوية مادية تثبت صحتها لذلك لا اراني مكلفا بالجواب على أقواله ، وانما أذكر شيئا واحدا في أقواله وهو انه قابلني في باب توما وانا لا اعرف من هو وبعد أن سألني عن فائز أخي حسبته من الشبان رفاقه ، ثم ذكر لي اسماء أشخاص يريدون الانتقام لدماء الشهداء ، ولما بدأ بهذا الحديث اعتقدت انه جاسوس يريد استدراجي لاقول شيئا يقدم فيه تقريرا لمرجعه ، فسرت وتركته وتابعت طريقي ، ولولا رؤيتي اياه الان وذكره للحادثة لاستحالت معرفته علي !!)

وسئل فارس الخوري : (خطبت هذه السنة خطبة نارية في الحفلة السنوية التي اقيمت في فندق شاهين باشا في استمبول وطالبت بحقوق العرب وزعمت أن الترك يهضمون حقوقهم فما سبب ذلك ؟ !!)

فأجاب : (حضر هذه الحفلة وزراء الدول واركان الاتحاديين واكثر النواب العرب والجميع سمعوا خطابي ولم يجدوا فيه بأسا بل وافقوني على كل كلمة فيه . فقد دعوت الى التآخي بين الامتين والتعاون المشترك ونبذ أسباب التفرقة وضرورة توحيد المساعي والقلوب في الازمة الحاضرة



الشهيد الشيخ احمد طبّاره — الشهيد سعيد عقل

وانحيت باللائمة على رجال الدولة الذين يرهقون العرب في ايام هذه المحنة ويجرحون عواطفهم بدلا من أن يعملوا لاستجلاب النافرين وطمأنة الخائفين، وقلت ان سياسة اللين والرفق أفضل من سياسة الشدة والعنف وقد شاركني بهذا الرأي كل من حضر الحفلة من وزراء وأعيان ..

وبعد مزيد من الاسئلة والاجوبة والمناقشات بين فارس الخوري والمحققين تظاهر عبد الغني الرافعي بالاغماء فحملوه وأعادوه الى سجنه ثم جاءوه بـ (وثيقة) وجدوها بين اوراق شكري باشا الايوبي وطلبوا اليه ان يترجمها لهم فأدرك فارس الخوري ان لا خلاص له من المأزق الذي وقع فيه بعد أن كشفوا له أسرار الجرائم التي يحققون بها وأوقفوه على اسماء الاشخاص المشتركين بها من غير المعتقلين .. وفعلا .. عندما انتهى التحقيق قال له مدير الشرطة : (لقد تأخرت كثيرا وأرى ان من الاوفق أن تقبل ضيافتي في فندق الخوام) فقبل وبات في غرفة تجاور غرفة المدير ..

مقابلة عاصفة مع جمال باشا

وفي الصباح توجه فارس الخوري الى مقر الوالي ووافاه مدير الشرطة هناك واخبره أن جمال باشا مستعد لاستقباله وذهب الاثنان لعند الباشا وبقي المدير في غرفة الانتظار .. ودخل فارس الخوري لمقابلة جمال وكان وكيل الوالي عنده فابتدره جمال باشا بلهجة جافة يرافقها الغضب وقال :



الوزير العثماني أحمد جمال باشا

الا تذكر ما قلت لك يوم قابلتني حين تجرأت ان تدافع عـــن اصحابك الخونة الذين نالوا جزاءهم ولقد قلت لك ان صفحتك ملوثة وعليك ان تهتم بتنظيفها . وها قد تحققت ظنوني بما جاء عنك من التصريحات الدالة علـــى اشتراكك مع اولئك المجرمين وآمالك العقيمة بالانتقام لهم ، ولا حاجة بـــي الى ان اسمع منك شيئا مما ادليت به للمحققين فقد عرفته كله ، وهـــو يكفي لادانتك ، لانك اقررت بصورة غير مباشرة بصلاتك مع هؤلاء الخونة .. الم تقل ان الرافعي قابلك وصرح لك بوجود جمعية تتهيأ للانتقام ؟! هذا وحده كاف لادانتك وانت مؤاخذ بهذا الاقرار ، فلو كنت مخلصا لكنت قبضت على هذا الرجل وسلمته الى اقرب مخفر ، او علـــى الاقـــل .. كنت اسرعت



الشهيد محمود المحمصاني — الشهيد نايف تللو



الشهيد نور الدين القاضي



الشهيد محمود العجم

واخبرتني ، فكنت اتلافى الخطب قبل وقوعه ، لان فيصلا كان في قبضة يدي يراوغني ويخدعني فكان في امكاني أن اقبض عليه ، وكان اخوه علي في متناول يد الحكومة في المدينة ، فلو انك اخبرتني كنت حجزتهما رهينة

عندي فلا يجرؤ ذلك الشيخ الخرف والدهما على اعلان العصيان وولداه في قبضة يدي . ارايت عظم الشر الذي جنيته على الدولة والوطن بسكوتك واخفائك الجرم ؟! . . انت رجل قانون وتقوم بمهمة المبعوثانية ويقولون انك عالم بالحقوق وتدعي انك مخلص للدولة . . اهكذا يكون الاخلاص عندكم ؟!. . فلو أنك جاهل لعذرتك عن سكوتك ، ولكنك عاقل ومبعوث في البرلمان وتقدر العواقب وتعرف النتائج ، فهل لك ان تعلمني ما الذي حملك على هذا السكوت وكتمان الامر الذي وصل اليك ؟! . . أنا لا أسألك عما انكرت من الاتهامات الخطيرة بل عما اعترفت به . . أفليس ذلك عادلا وقانونيا ؟ !!

فأجابه فارس الخوري بقوله :

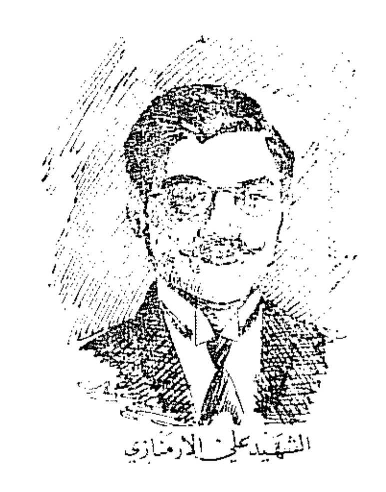
نعم يا سيدي لك الحق فيما قلت ، انه واجب على كل عثماني مخلص ان يسعى الى منع الشر قبل وقوعه بكل الوسائل المشروعة ، ولكن القانون لم يرتب عقوبة على الاشخاص غير المسؤولين عن حفظ الامن لعدم الاخبار . . وأنا لست بحاجة للدفاع عن نفسي ، ولكن ، أستسمحكم عذرا فأبسط لكم سبب تقصيري بهذا الواجب الادبي الذي يحق لكم ان تؤاخذوني عليه ، انه لم يخطر على بالي أن هذا الثرثار الذي صادفته عرضا في الطريق يخاطبني بصورة جدية عن الجمعية الخيالية وهو لا يعرفني وأنا لا أعرفه ، واول ما تبادر الى ذهني اذ ذاك أنه جاسوس يروم استدراجي الى كلام مريب يتسلح به ليبيض وجهه بتقرير يرفعه الى رئيسه ، وهو ظن حازم في مثل هذه



الشهيد عمر حمد



الشهيد عبد الغني العريسي



الشهيد علي الارمنازي



الشهيد عبد القادر الجرسا

الظروف لا يجوز لعاقل ان يتصور غيره لان الجد في الحديث لا يعقل صدوره من مثله الى مثلي مع فقدان كل صلة بيننا .. وماذا عساي ان أفعل مع هذا التصور غير ما استقر في ذهني وهو أن أصده وازدريه واقول له امض في طريقك اذ ليس لي شأن بما تهرف به ، وهذا الذي فعلته وأنا مضطرب البال على أخي فائز الذي كان يعاني خطر الاحتضار بالحمى وأنا مسرع لادعو له الطبيب ، ولو اني تركت عملي وجئت لاخبر بما سمعت لكنت رميت بالسخف والسعاية والنميمة ، وليس ذلك من خلقي ، فاذا كنت قد قصرت فحسن النية شفيعي ، ولقد أكدت لحضرة الوالي والمحققين رفاقه أن كل ما قاله الرافعي عني هو محض افتراء ، وأؤكد لدولتكم بأنني لست من القائلين بالثورات ولا أنا من انصار العصيان فلا اشتركت ولن أشترك في جمعية تجنح الى العنف والشدة في تنفيذ منهاجها ، بل أنا من دعاة السلام وطلاب الحق بالطرق القانونية الدستورية المشروعة ، وماضي يشهد لي باحترامي القوانين وتمسكي بأحكامها ، وليس من خلقي ان ارتكب فعلا معاقبا عليه قانونا ، ولو اني من أعضاء هذه الجمعية وان الرافعي يعرف ذلك لما كان ثمة لزوم ان يخبرني هو عنها ، فاخباري على هذه الصورة التي يرويها دليل على عدم معرفتي بأمرها ، وبعد هذه المقابلة المشؤومة ذهبت الى حوران بمهمة الحبوب التي تعرفونها الى ان دعيت لمقابلة الوالي وأنا خالي الذهن من كل شيء ، ولو اني موصوم بما قاله الواشي عني وكنت حرا طليقا لكنت هربت . لان توفيق بك اخبرني بما قاله الواشي ، لكنني مطمئن القلب واثق من نفسي

بأني لم ارتكب جرما . **هذه هي تحقيقاتكم في ديوان الحرب ، وقد تناولت كل شاردة وواردة فهل مر ذكري في صفحات التحقيق او نسب الي فعل ينكره الحق ويدينه القانون ؟!! وهذه هي سيرتي في مجلس المبعوثان في هذه السنين الثلاث يعرفها أصدقاؤكم الكثيرون فهل فيها ما يريب ؟ !! ..**

فأجابه جمال باشا بقوله وقد هدأ غضبه : ضوغري (أي مضبوط) ..

وكان فارس الخوري يميل بنظره من وقت الى آخر (اثناء كلامه) الى توفيق بك لعله يدعمه بكلمة ولكن هذا لم يبد حراكا .. واخيرا التفت اليه وسأله : **(أليس كذلك يا توفيق بك ؟!)** فأجابه توفيق بك : ضوغري !! .. ولما رأى أن جمال باشا اطرق مفكرا **وقد خف هيجانه .. تجرأ** وقال : (نعم يا سيدي الباشا ، وعبدكم يعتقد أن ما قاله فارس بك صحيح ومقارن الحقيقة !!) ولكن جمال باشا **حدجه بنظرة جملته يطرق واجما ..**

وقام جمال باشا ايذانا بانتهاء المقابلة وقال لفارس الخوري بلهجة طرية ناعمة : (قلت لك انك ملوث فاذهب الآن واثبت براءتك امام القضاء ..)

فأجابه فارس الخوري : **ولكن يا سيدي الباشا ان البراءة هي الاصل ولا تحتاج الى اثبات فعلى الذين يتهمونني ان يثبتوا دعواهم)** ولكن جمال باشا رفع يده مسلما تسليم الوداع وخرج من الغرفة دون أن يجيب ، فقال فارس الخوري لوكيل الوالي : **(اتبعه وسله ماذا نفعل وهل سنكمل التحقيق الذي امر به ؟!)** فمضى وسأله ثم عاد وخرج الثلاثة توفيق بك وفارس بك ومدير الشرطة الذي كان ينتظر خارجا ..



الشهيد عارف الشهابي



الشهيد محمد الشنطي



الشهيد عبد الكريم الخليل

فارس الخوري رهن الاعتقال
وفواجع التعذيب في خان الباشا

... واتجهوا نحو دائرة الشرطة .. وهناك قال المدير لفارس الخوري : ان الحال تستدعي ان تظل في ضيافتنا برهة من الزمن وقد اعددنا لك غرفة في **فندق الخديوية** (الذي لا يزال يحمل هذا الاسم في شارع جوزة الحدبا ، حتى يومنا هذا) لتقيم فيها .. وهناك .. شاهد فارس الخوري اكثر من اربعين من المعتقلين منهم **الياس بحمدوني والقس مفيد عبد الكريم وعمر الرافعي وزكي العظمة وشكري القوتلي ورشيد الرافعي وشكري الايوبي** .. ولما غص بهم المكان هيأوا لهم الغرف في خان الباشا ونقلوهم اليها .. كما نقلوا الديوان العرفي من عاليه الى دمشق حيث اتخذ له مقرا في السنجقدار واعيد لرئاسته **فخري بك الاعرج** ..

وعلى الرغم من ان التحقيق في خان الباشا يقوم على العصا والفلق والسوط والمقرعة فان فارس الخوري اكد لي انه لم يضرب ولم يعذب بل كان مرعي الجانب موفور الكرامة يعامل بالحرمة والايناس ويخاطب بلهجة الاحترام التام وكان عازما على الانتحار فيما لو قرروا ضربه وتعذيبه ..

وكانت غرفته تطل على ساحة الخان حيث اتخذوا مرابط الدواب محلا للتعذيب فكان يسمع بعد منتصف الليل أصوات الاسترحام والانين الى ان يغمى على المعذب وحين يستفيق كانوا يستأنفون الضرب فيضطر المسكين للخضوع لهم والاعتراف بما يريدون ان يشهد به .. واعظم الضرب والتعذيب أصاب الواشي عبد الغني الرافعي وقد رثى فارس الخوري لحاله وعذره لانه مرغم على الافتراء ..

ولنقدم صورة عن كيفية انتزاع الاعترافات والشهادات من الشهود ..

جاءوا بخادمي الفندق الذي قيل ان فارس الخوري كان يجتمع فيه الى المتآمرين في باب توما وبعد أن ضربوهما بكل قسوة حتى يعترفا بهذه الاجتماعات الموهومة رفضا في باديء الامر ثم اضطرا الى (الاعتراف) على الشكل الآتي :

كان الشرطيان **عبد القادر حمزة ومحمد الخربوطلي** تحت ادارة مدير الشرطة يسألان المضروبين أثناء ضربهما لهما : (هل كان فارس الخوري ورفاقه يجتمعون عندكم في الفندق ؟!!)

فيجيب المضروبان صائحان : **نعم كانوا .. دخيلك حاجة تضرب !!**

س : وهل استأجروا جناحا خاصا بهم ؟!

ج : **نعم استأجروا .. آخ .. آخ ..**

س : وهل تكرر اجتماعهم أكثر من عشرين مرة ؟!

ج : **نعم أكثر من عشرين مرة !!**

س : وهل كنتم تسمعون ما يقولونه ؟

ج : كلا ... (وعند ذلك تهوي العصي عليهما فيصيحان) **نعم كنا نسمع .. دخيلك حاجة تضرب !!**

س : هل سمعتما أقوالهم عندما تدخلان الشاي والقهوة حيث كانوا يقولون . بدنا نقتل جمال باشا ونطرد الاتراك ونجعل فيصلا ملكا علينا ؟!

ج : **نعم نعم ... بس حاجة تضرب !! ..**

وعلى هذا الشكل كانت تجري التحقيقات . فكان فارس الخوري يستثمر جميع قواه العقلية ، والنفسية لاجل الدفاع عن نفسه ، ولم تكن السلطة تسمح لاحد بأن يتصل به او يزوره ، الا مرة في الشهر لزوجته أسماء وطفله الصغير سهيل الخوري ، بوجود رقيب ، وبشرط الا تحدثه بشيء سوى السؤال عن صحته ونومه !!

بلاغة الفارس تؤثر في الشهود

وكان فارس الخوري ينجح في التأثير على سامعيه بقوة حجته وتأثير شخصيته ، فقد دعوه مرة ليلا الى غرفة التحقيق وتلوا أمامه شهادات الشهود (وكانوا دائما يخاطبونه بالتجلة والاحترام ويقدمون له شراب الليمون) ثم دعوا الشهود وسألوهم بحضوره عن شهاداتهم المكتوبة والموقع عليها من قبلهم واشاروا عليه بمناقشتهم فأجابهم (وما فائدة ذلك وانتم تلقنونهم وتعرفون ان شهاداتهم الحقيقية مختلفة عن هذه والذنب ليس ذنب هؤلاء الشهود الذين لا أعرفهم ولا يعرفونني) واندفع فارس الخوري في حديث اخلاقي مؤثر دعا فيه الشهود للجهر بالحق وبالصدق وناشدهم باسم الله والدين والشرف ان يكونوا صادقين فيصرحوا أمام هذه الهيئة كيف انتزعت منهم هذه الشهادات .. فاندفعوا للاقرار بأنهم عذبوا وحطمت اجسادهم قبل ان يضطروا للتوقيع على هذه الشهادات ضده فأسرع مدير الشرطة وصرفهم ، وعندما طلب الى فارس الخوري ان يوقع في ذيل افادته كتب ما يلي : (ان الشهود قد رجعوا عن شهادتهم وكانوا مهشمي الاجسام من شدة التعذيب الذي اوقعوه بهم ليشهدوا ضدي واني احتفظ لنفسي بحق مناقشتهم يوم المحاكمة امام ديوان الحرب) .

واخيرا دعي فارس الخوري للمثول امام الهيئة الاتهامية في ديوان الحرب وهي مؤلفة من امراء الجيش فتلوا عليه الشهادات وسألوه ماذا يقول فيها فاندفع يتكلم اكثر من ساعة مدافعا عن نفسه بكل ما اوتي من قوة وحسب انه نجح لاتقانه الدفاع ولمديحه ما يتحلى به اعضاء الهيئة من شرف عسكري حيث عوذهم بالله الا يكونوا آلات مسخرة لتنفيذ الغدر والظلم . وكانوا يظهرون اللطف نحوه مما شجعه على الاسترسال في الدفاع .

الافراج عن الفارس بالكفالة

وكان قد مضى على فارس الخوري في السجن اكثر من اربعة اشهر حينما جاءه ذات يوم محافظ السجن حسني بك يقول له : (يريدونك في ديوان الحرب) فسأل عن السبب فأجابه (اظن ان عائلتك تطلب مقابلتك) فارتاع فارس الخوري وارتعد ورفض الذهاب .. اذ لم يخطر على باله الا انه

قد تقرر اعدامه وماذا عسى ان يتوقع رجل يعرف القانون مثلـــه غير هـــذه النهاية بعد أن رأى وسمع الادلة الجنائية متوافرة عليـــه بأفظع اشكالها ... ولكن حسـني بك عاد اليه بعد قليل يقول له ان رئيس ديوان الحرب مصر على ان يذهب اليه في الحال وعندما خرج فارس الخوري من السجن مع حسـني بك ولم ير العربة كاد يغمى عليه من الفزع وايقن انه في طريقه الى المشنقـة لا محالة خصوصا وان جنديين كانا يسيران وراءه والحراب بارزة في ايديهما فانتبه حسـني بك الى ذلك وامرهما بادغـــام الحراب والابتعاد عنهما بعض الشيء مما اعاد الى فارسنا روعه !!

أما سبب عدم وجود العربة فهو أن المكان قريب .. كما قال له حسـني بـك .

ووصلا الى ديوان الحرب ، فاذا بصديقه **الامير شكيب ارسلان** عنـــد رئيس الديوان فظن انه جاء يودعه قبل سفره الى الاستانة بصفته مبعوثـــا هو الاخر .. وبعد ان تعانقا قال له الامير شكيب :

أزف اليك البشرى ، فقد دعاني جمال باشا وقال لي ان احضر الى هنا باسمه وابلغ فخري بك وجوب اطلاق سراحك بالكفالة على ان تستقيل مـن مجلس المبعوثان فدبر كفالة بمبلغ الفي ليرة ذهبية عثمانية فتخرج من السجن في الحال على الا تبرح دمشق قبل المحاكمة وقد تبلغ الرئيس امـــر جمال باشا وهو مستعد لتنفيذه .

وسرعان ما ارسل فارس الخوري من يستدعي له **خليل عبسي وغالب بك شاؤول** مدير البنك العثماني فحضرا الكفالة ومعهما كاتب العدل وسجلت الكفالة حسب الاصول ثم عاد فارس الخوري الى السجن الى ان يقرر اعضاء الديوان اطلاق سراحه وفرح رفاقه بذلك آملين أن يكون الفرج قريبا .. واني القرار بسرعة ولكن الوقت كان ليلا فآثر البقاء حتى الصباح .. ولم ينم تلك الليلة .. وبعد ان تم الافراج عنه ذهب بصحبة الامير شكيب الى جمال باشا فحياه وشكره واخبره عن الفظائع التي شاهدها فقال له جمال باشا : (لـــم **تظهر براءتك بعد انما اخليت سبيلك حتى موعـــد المحاكمة ولا حاجة بـأن اوصيك بالتزام السكينة)** فطلب اليه ، فارس الخوري ، ان يأذن له بالذهاب الى استمبول فأجابه جمال باشا بقوله (كلا .. بل انتظر اوامري !!)

وبعدها . عرف فارس الخوري السبب الحقيقي الـذي ادى للافراج عنه وهو ان مبعوث استمبول **علي حيدر باشا** (ابـــن مدحت باشا الصـــدر الاعظم المشهور شهيد الدستور العثماني) ورفاق له ، قدموا استجوابا الـى

رئاسة مجلس المبعوثان يطلبون ايضاحا عن توقيفه ، واعادة حريته اليه عملا بمبدأ الحصانة النيابية . فاستمهل **طلعت باشا** لاعطاء الجواب في الجلسة القادمة وابرق فورا الى وزيره **جمال باشا** يقول له انه مضطر للتصريح بأن فارس **الخوري حر طليق** فيجب اطلاق سراحه .

اعادته الى السجن

وفي ٣ كانون الاول ١٩١٦ اطلق سراح سبعة عشر سجينا بقرار منع محاكمة ، ورفعت الهيئة الاتهامية الى ديوان الحرب مضبطتها باتهام فارس الخوري وشكري الايوبي واخرين وفي ١٧ كانون الثاني ١٩١٧ اعيد الى السجن بسبب ادانته من قبل الهيئة الاتهامية ..

المحاكمة ثم البراءة

وبدأت المحاكمة واتسع لفارسنا المجال لمناقشة الشهود ، ومن الامثلة على مناقشته ما جرى مع احد هؤلاء وهو الحوذي **محمد الدرزي** .

وقف هذا الشاهد امام المحكمة وبعد استجوابه عن هويته طلب منه الرئيس سرد معلوماته فقال ان شهادته موجودة في الاوراق التي لديهم وانه لا يستطيع اعادة كل ما فيها ، فقال له الرئيس بل يجب ان تقول الآن كل شيء ، فأجابه محمد الدرزي : قلت لكم كل شيء قبل مجيئي الى هنا .. وهنا امر الرئيس بتلاوة الشهادة المدونة عن لسان هذا الشاهد وكانت فظيعة للغاية فتدخل فارس الخوري قائلا : **ان سماع شهادة الشاهد في غيابي وتلاوتها عليه ليصدق عليها امر غير صحيح ، فيجب ان يسرد الشهادة امامي بنفسه ، ثم ان عليكم ان تحلفوه اليمين اولا .. وكل شهادة بدون تحليف اليمين غير جديرة بالقبول . وقد يرجع الشاهد بعد ان يقسم اليمين عما قاله قبل القسم . ولا ريب عندي في ان هذه الشهادة التي تطلبون منه تصديقها تقود الى المشنقة رجلا بريئا . وبما ان هذا الرجل المحترم** (مشيرا الى المدعي العام) **يقوم بوظيفة المحافظة على القانون امام ديوانكم العالي فاني اطلب اليه أن يجري وظيفته .**

فقال المدعي العام :

نعم . يجب تحليف اليمين .

وبعد ان اقسم الشاهد اليمين وامروه بالكلام اندفع يصيح ويشكو مما قاساه من آلام الضرب والتعذيب . وكشف عـــن ساقيه ليظهـر المصائب والجراح وصرخ :

المتهم بريء .. كل الذي قلته قبلا زور وبهتان لقنني ايـــاه المعذبون واجبروني على تلاوته ، استغيث بالله وبمولانـــا السلطان ، استغيث بالله وبمولانا السلطان .. استغيث بالله وبمولانا السلطان .. واندفع الشاهديبكي

عند ذلك طلب فارس الخوري بالحاح ان يدونوا كـــل هـــذه الاقوال بحروفها وبعد اخذ ورد دون الكاتب ما جرى وصادق الشاهد عليه فأمـــر الرئيس بخروج فارس الخوري وبقي الشاهد في المحكمة ، ثـــم استدعوا فارسا ليقول له رئيس الديوان :

اسمع الشهادة التي اداها الشاهد في غيابك !!

وقال الشاهد محمد الدرزي :

بما انه اتاني اشخاص مجهولون من قبل المتهم ، وهددوني بالقتـــل اذا انا شهدت عليه ، لذلك لم اجسر بأن ابوح بمعلوماتي ، واما الآن وقد امننـــي الرئيس على حياتي فانني أعود الى التصريح بأن ما قلته سابقا هو الحق !!

ثم اخذوا يتلون (شهادته السابقة) فقرة فقرة وهو يؤيدها .. وعندما انتهى سئل فارس الخوري عما يقول **فأجاب :**

يا سعادة الرئيس ، انني أعجب كيف يوافق المدعي العام علـى هـــذه الاجراءات الكيفية وهو يعلم ان ديوان الحرب مأمـــور بتطبيق قانون اصول المحاكمات الجزائية في القضايا المحالة اليه ، فاختلاؤكم بالشاهد وتلقينه هذه الاقوال مخل بسلامة المحاكمة ويمنع العدل من اخذ مجراه . أن هذا الشاهد ما زال سجينكم والاختلاط بالناس ممنوع عليه .. فمن هو الذي اتـى الى سجنه وهدده ؟! وانا ليس لي من يهدد ويتوعد ولا التجيء الا الـــى العـدل والقانون لحماية حقوقي .. ولهذا الشاهد دين يعصمه وضمير يمنعه ، وقـد سمعت المحققين يقولون له انه اذا رجع عن شهادته يسجن سنوات ، فهـــم كذبوا عليه واخافوه بهذا الوعيد الملفق ، لان الشهادة المعتبرة هي التي تسرد امام المحكمة فقط ، وجميع الافادات السابقة تحت الضرب والتعذيب لا قيمة لها ولا عقوبة على صاحبها اذا هو رجع عنها الى الشهادة الصحيحة ، فاطلب أمام المدعي العام أن يطمئن الشاهد بهذه الحقائق !!

ثم اندفع فارس الخوري في خطاب طويل مؤثـر ايقظ فيـــه ضمير الشاهد الغافل فكان لكلامه تأثير حاسم عليه حتى صاح :

لايمنا عذابي ؟! دخيل الله ودخيل السلطان .. والله العظيم كله كذب .. وهذا الرجل بريء .. ما عمل شي .. رجعوني على السجن .. اشنقوني .. هذا كل ما عندي .. واخذ يشهق ويبكي !

وهنا ايضا اخرج فارس الخوري الى غرفة اخرى واختلت المحكمة بالشاهد ثم دعي فارس الخوري لسماع شهادته للمرة الثالثة بعد ان منع هذه المرة من التكلم باللغة العربية واصر عليه الرئيس ان يتكلم باللغة التركية فقط لكي لا يفهم الشاهد ما يقول .. كذلك منع من النظر الى وجه الشاهد لان نظراته ساحرة تؤثر فيه تأثير التنويم المغناطيسي !! ولكن فارس الخوري اصر على التكلم باللغتين التركية والعربية وقال باسما : **(يا سبحان الله .. أتخيفه نظراتي أكثر مما تخيفه سجونكم وجنودكم وجلادوكم وسياطكم ؟!!)** ثم القى دفاعا دام اكثر من ساعة ونصف قبل ان يعطى الكلام للشاهد الذي أعاد سيرته الاولى بحيث أخذ يستغيث ويسترحم ويؤكد بأنه لا يعرف .. ولما يئسوا منه صرفوه الى السجن وكذلك اعادوا فارس الخوري الى سجنه!!

وكان يدخل على فارس الخوري من وقت لآخر في ساعات الانتظار ، **ثاقب بك** احد أعضاء الديوان العرفي ويطلعه على شيء من ما جريات المحكمة وقد اكد له أنه اتفق مع اثنين من الاعضاء على تبرئته مهما كان الامر وانهم لن يصغوا للايعازات الواردة من فوق (يقصد جمال باشا) ولكنهم يماشون الرئيس خوفا من أن يأمر بتبديلهم فتضيع الغاية التي يتوخونها .

سمع فارس الخوري ذلك فسر كثيرا واطمأن ، وشكر لثاقب بك نبله الذي نزع الروع عن قلبه ، ولما عاد الى السجن طلب ورقا وكتب الى جمال باشا عريضة سرد فيها كل ما وقع من المخالفات والاساءات في استنطاق الشهود وضمنها النصوص القانونية . وطلب الى الباشا ان يستعمل سلطته لاعادة العدل الى نصابه ، وقد جعل كل ذلك بعبارات ترضي الباشا وتثير في نفسه عزته واباءه .. وأرسل العريضة مع محافظ السجن حسني بك وما لبث هذا ان عاد **يخبره ان جمال باشا قد استاء من هذه المعاملة واستدعى** رئيس المحكمة والمدعي العام والقى عليهما درسا جارحا .. وتبدلت معاملة رئيس الديوان العرفي لفارس الخوري بعد ذلك بحيث صار (يأذن) له مازحا « ان ينوم » الشاهد مغناطيسيا بنظراته قبل استجوابه ..

وكان دفاع فارس الخوري موفقا في كل مرة باعادة الشهود الى الهدى بعد الضلال ..

وكان **عبد الغني الرافعي** قد استبد به الندم ذات يوم فكتب ورقة

لفارس الخوري معتذرا بأنه انما وشى به وافترى عليه لتخفيف عذابه وانـه كان يتوقع الفرج باتهامه فارسا وكثيرين غيره .. ورماها على بـاب غرفته ، فالتقطها فارس الخوري واخفاها الى حين المحاكمة .. (وقد كان ذلك قبل ان يفرج عن فارسنا بالكفالة) واثناء المحاكمة جيء بعبد الغني الرافعي الذي اصر على ان افادته الاولى هي الصحيحة .. وعند ذلك ابرز فارس الخوري الورقة التي كان كتبها له مع ترجمتها الى اللغـة التركية ، فاعترف الرافعي بهـا ووجم ، وترك لفارس الخوري فرصة تفنيد اقواله الكاذبة عنه وعـن شكري باشا الايوبي وعن سائر المتهمين ..

وفي ٢٨ كانون الثاني ١٩١٧ مثل فارس الخوري ورفاقه امام الديوان العرفي وسمعوا بيان المدعي العام بتجريم قسم منهم فدافع كل منهم عـن نفسه بأقصى قدرته واعلن الرئيس ختام المحاكمة .. وفي اليوم التالي **(٢٩ كانون الثاني ١٩١٧)** أصدر الديوان العرفي قـراره ببراءة فارس الخوري واطلاق سراحه .

نفيه الـى استمبول

وبعد بضعة اشهر استدعاه جمال باشا وامـره بالخروج مـن منطقة الجيش الرابع فاختار الذهاب الى استمبول فقال له جمال باشا : **(ولكـن استانبول لا تكون منفى !!)** الا انه ما لبث ان قبل بعـد ان وعـده فارس الخوري بألا يذكره بسوء هناك .. وقد مارس فارس الخوري في استانبول التجـارة .

عودته الى دمشق واشتراكه بالحكومة الموقتة

وكانت عودة فارس الخوري الى دمشق متوافقة واقتراب الحلفاء مـن ضواحيها واتيح لـه ان يشهد رفع العلم العربي لاول مرة فـي التاريخ علـى سارية دار الحكومة بدمشق في ٣٠ ايلول ١٩١٨ كما انه القى كلمة بليغة في ذلك الاحتفال .. واختاره **الامير سعيد الجزائري** عضوا في حكومته العربية الموقتة التي لم تعمر سوى اياما معدودة والتي كانت اول حكومة عربية تعلن بعد جلاء العثمانيين ، في دمشـق .. وكان اول ما فعله .. ان ذهب وشكري باشا الايوبي الى سجن القلعة بدمشق واطلقا سراح جميع السجناء ، وفـي مقدمتهم (عبد الغني الرافعي) الذي كان لا يزال سجينا ..

مجلس الشورى ، ومعهد الحقوق ، والمجمع العلمي

وفي عام ١٩١٩ عين فارس الخوري عضوا في **مجلس الشورى** ، وكان هو الذي اقترح على الشريف فيصل تأسيسه ، حيث تمتع المجلس المذكور بصلاحية التشريع ، ذلك ان الدوائر كانت تتلقى اوامرها وقوانينها قبلا من الاستانة فلما انقطعت الصلة صار لزوما على الحكومة العربية ان تحدث المصالح اللازمة ، كذلك سعى فارس الخوري مع لفيف من اخوانه في تأسيس **(معهد الحقوق العربي)** حيث فتح المعهد ابوابه في شهر ايلول ١٩١٩ برئاسة **عبد اللطيف صلاح** وكان فارس الخوري احد اساتذته كما اشترك بتأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق (حيث كانت الهيئة المؤسسة بتاريخ ٣٠ تموز ١٩١٩) مؤلفة من : **محمد كرد علي والشيخ عبد القادر المغربي وانيس سلوم وسعيد الكرمي واسكندر المعلوف والشيخ عبد القادر المبارك والدكتور مرشد خاطر وامين سويد ورشيد بقدونس وسليم عنحوري وعز الدين علم الدين** شيخ السروجية وما لبث ان تولى الاستاذ كرد علي رئاسة هذا المجمع في اول نيسان ١٩٢٢ واستمر يشغلها طيلة حياته .

وزير المالية السورية

وعندما اعلنت الملكية في سورية في الثامن من شهر آذار ١٩٢٠ تولى فارس الخوري وزارة المالية في الوزارات الثلاث التي تألفت خلال العهد الفيصلي فكان زملاؤه في الوزارة الاولى (وكانت برئاسة **الفريق علي رضا باشا الركابي**) : السيد **علاء الدين الدروبي** رئيسا لمجلس الشورى ، **رضا الصلح** وزيرا للداخلية ، **سعيد الحسيني** وكيلا لوزارة الخارجية ، **عبد الحميد القلطقجي وكيلا** لوزارة الحربية ، **جلال زهدي** وكيلا لوزارة الحقانية (العدلية) **ساطع الحصري** وكيلا لوزارة المعارف ، **يوسف الحكيم** وكيلا لوزارة الزراعة والتجارة والاشغال العامة .

وكان زملاؤه في الوزارة الثانية التي تألفت في ٥ أيار ١٩٢٠ برئاسة السيد **هاشم الاتاسي** : **رضا الصلح** وزيرا للداخلية ، **جلال زهدي** وزيرا للعدلية ، **ساطع الحصري** وزيرا للمعارف ، **علاء الدين الدروبي** رئيسا لمجلس الشورى ، **يوسف الحكيم** وزيرا الزراعة والتجارة والنافعة ، **يوسف العظمة**



فارس الخوري وزير المالية السورية

***

وزيرا للحربية ، الدكتور **عبد الرحمن الشهبندر** وزيرا للخارجية ، واستقالت هذه الوزارة اثر كارثة ميسلون .

اما زملاؤه في الوزارة الثالثة التي تألفت من قبل الملك فيصل غداة الكارثة برئاسة **السيد علاء الدين الدروبي** الذي احتفظ لنفسه بوزارة الخارجية فقد كانوا : **جلال زهدي** وزيرا للعدلية ، **يوسف الحكيم** وزيرا للزراعة والتجارة والنافعة ، **عبد الرحمن اليوسف** رئيسا لمجلس الشورى ، **جميل الالشي** وزيرا للحربية ، **عطا الايوبي** وزيرا للداخلية ، **بديع المؤيد العظم** وزيرا للمعارف ، وانتهت مهمة هذه الحكومة في ٢١ آب ١٩٢٠ اثر مقتل رئيسها الدروبي واحد وزرائها اليوسف بحادثة خربة الغزالة المشهورة في حوران .

نقيب المحامين ومشاور حقوقي للبديـة

وهنا انصرف فارس الخوري الى العمل الحر كمحام ثم انتخب عام ١٩٢١ نقيبا للمحامين واستمر خمس سنوات متتاليات كما عين مشاورا حقوقيا لبلدية دمشق .

وفي عام ١٩٢٢ اشتهر فارس الخوري ببراعته في الدفاع عن **الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيــدر ومنير شيخ الارض** ورفاقهم بحادثة المستر كراين المشهورة في ذلك العام .

أستاذ بمعهد الحقوق وعضو بمجلس الاتحــاد

وفي عام ١٩٢٢ اختاره رئيس معهد الحقوق العربي **الاستاذ عبد القادر العظم** ليكون استاذا في معهده فتولى تدريس اصول المالية واصول المحاكمات الحقوقية . .

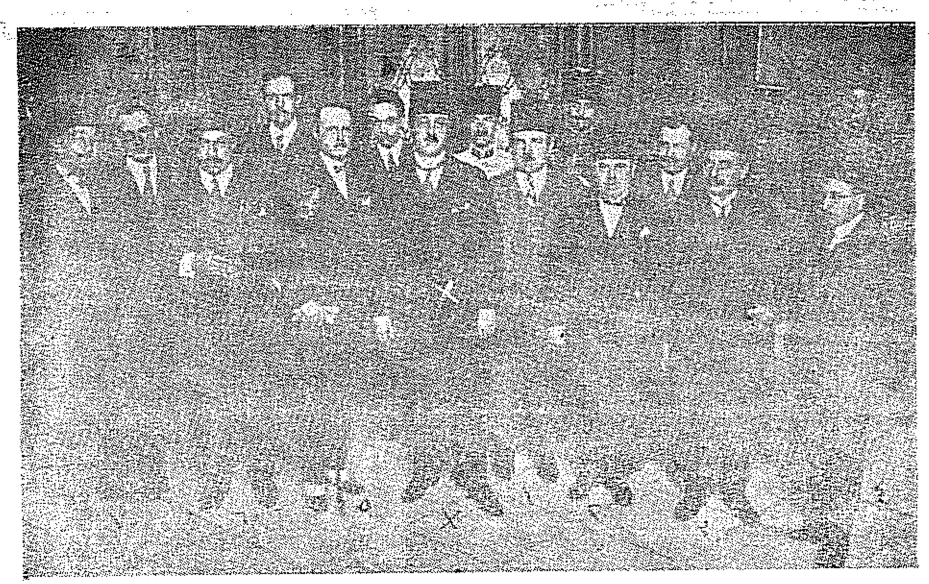
وفي ذلك العام ايضا ، رأى **الجنرال غورو** ان يشكل اتحادا سوريا من دويلات حلب ودمشق والعلويين فأصدر قراره في ١٩ حزيران ١٩٢٢ بانشاء هذا الاتحاد برئاسة **السيد صبحي بركات** وبتشكيل مجلس لهذا الاتحـــاد يؤخذ اعضاؤه من ممثلي الدويلات الثلاث فكان **فارس الخوري** احـــد نواب دولة دمشق في مجلس الاتحاد وكان معه **الشيخ طاهر الاتاسي ونجيب آغـا البرازي ومحمد علي العابد وسامي باشا مردم بك** ، وعندمـا قــرر المفوض السامي انشاء مجلس تمثيلي لكل دولة بصلاحيات محـدودة قاطعت دمشق انتخابات مجلسها واضربت فأقامت السلطة الافرنسية مجلسا مــن اعوانها برئاسة **السيد بديع المؤيد العظم** ولكن **الجنرال ويغاند** الذي خلف غورو الغى الاتحاد السوري وشكل دولة سورية في نهاية عام ١٩٢٤ مــن دولتيّ حلب ودمشق برئاسة **صبحي بركات** ، وفصلت منها دولتا العلويين وجبل الدروز، اما في لبنان فقد كان الحكم فيه لحاكم افرنسي حتى عــام ١٩٢٦ وعندما صدر دستور ٢٣ أيار من ذلك العــام اعلنت الجمهورية اللبنانيــة وانتخب **شارل الدباس** رئيسا لها في ٢٦ أيار ١٩٢٦ .

بين المنفى والوزارة وابعاده عن الجمعية التأسيسية

نشطت الحركة الوطنية على اثر تعيين **الجنرال ساراي** مفوضا ساميا في مطلع عام ١٩٢٥ فقابلته وفود البلاد وبسطت له امانيها وكانت الشكاوى تتصاعد من كثرة الضرائب واستبداد السلطـــة الافرنسية بموارد البـــلاد ومصالحها الاقتصادية والخارجية واستيلائها عــلى جميع المصالح الادارية ، ووضعها المستشارين الافرنسيين بجانب الموظفــين السوريين ، وخنقهـــا للحريات ، زد على ذلك التجزئة السياسية وسلوك المــوظفين الافرنسيين ، فرأى الوطنيون ان ينظموا صفوفهم ويوحدوا آراءهم فباشروا بتأسيس حزب

الشعب الذي كان **فارس الخوري** في مقدمة مؤسسيه وهو الذي وضع نظامه وكان نائبا لرئيسه **الزعيم الدكتور عبد الرحمن شهبندر** .وكان من اقطابه **حسن الحكيم وفوزي الغزي وسعيد حيدر** وغيرهم .. وفي تلك الاثناء نشبت الثورة السورية في جبل الدروز بقيادة **سلطان باشا الاطرش** فاعتقل فارس الخوري وفوزي الغزي وآخرون ونفوا الى معتقل ارواد في حين اشترك الشهبندر والحكيم وحيدر بالثورة فعليا وبعد اخمادها لجأوا الى مصر.

وكان للثورة السورية وما تلاها من تدمير لمدينة دمشق من قبل الجنرال ساراي أن ثار الضمير العالمي مما اضطر الحكومة الفرنسية لان تسحب ممثلها الاحمق ساراي وتعين بدلا عنه **المسيو ده جوفنل** الذي هو اول مفوض سام مدني لفرنسا في سورية ولبنان ، وهذا ، بعد أن رأى الاجماع في البلاد السورية على المطالبة باستقلال البلاد ووحدتها ، قر رأيه على تشكيل حكومة جديدة برئاسة **الداماد أحمد نامي بك** (صهر السلطان العثماني عبد الحميد



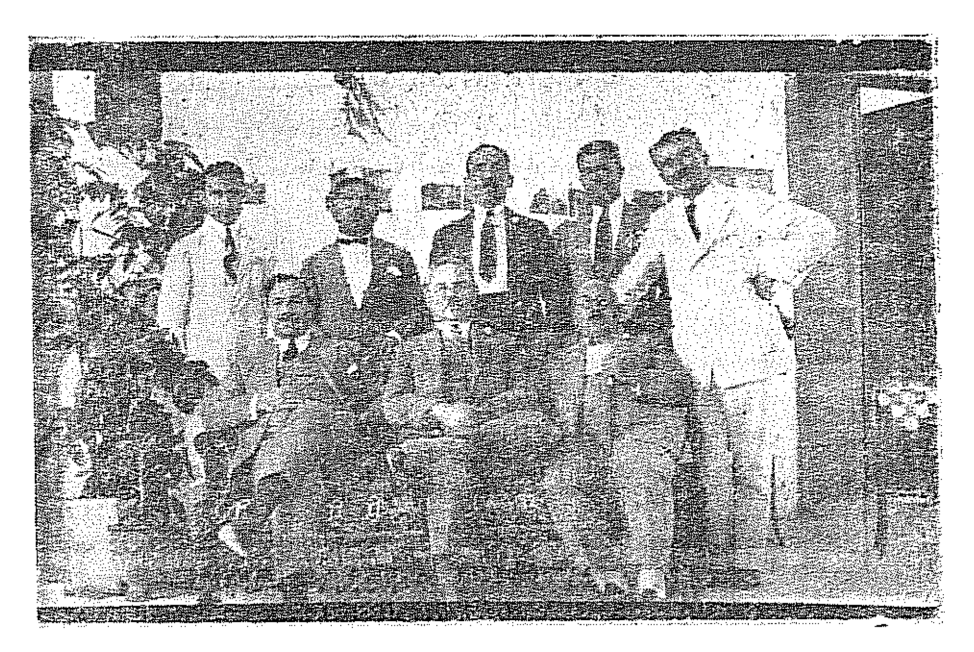
حكومة الداماد أحمد نامي بك ويظهر سموه في الوسط × وعن يساره ١ فارس الخوري وزير المعارف و٢ شاكر نعمت الشعباني وزير المالية و ٣ يوسف الحكيم وزير العدلية و ٤ لطفي الحفار وزير الزراعة والاشغال العامة .. وعن يمينه ٥ المسيو بيير آليب مندوب المفوض السامي الافرنسي الممتاز و ٦ حسني البرازي وزير الداخلية و ٧ واثق المؤيد العظم وزير التجارة والاقتصاد الوطني .

الثاني) تشرف على اجراء مفاوضات لوضع دستور للبلاد ولعقد معاهدة مع فرنسا .. وفي ٤ أيار ١٩٢٦ اعلن تشكيل الحكومة على الوجه التالي :

(**الداماد احمد نامي بك** رئيس الدولة ، رئيس الحكومة السورية ، **الاستاذ فارس الخوري** — عن الوطنيين — وزير المعارف ، **الاستاذ يوسف الحكيم** وزير العدلية ، **الاستاذ حسني البرازي** — عن الوطنيين — وزير الداخلية ، **السيد شاكر نعمت الشعباني** وزير المالية ، **السيد واثق المؤيد العظم** وزير التجارة والاقتصاد ، **السيد لطفي الحفار** — عن الوطنيين — وزير الزراعة والاشغال العامة .

وكان من جملة الشروط التي دخل الوزراء الوطنيون الحكم على اساسها عدم مقاومة الثائرين حربيا والعمل لتحقيق الوحدة السورية وبدات مفاوضاتهم مع دي جوفنيل واتفقوا على برنامج يضمن حقوق سورية وكرامة فرنسا وسافر المفوض السامي الى باريس لكي يقنع حكومته بالعمل بهذا البرنامج ولكنه فشل فاستقال هناك ولم يعد حينئذ لمس الوزراء الوطنيون سوء نوايا الفرنسيين فاستقالوا من الوزارة في ١٢ حزيران ١٩٢٦ ورغم ان الرئيس الداماد كان متعاهدا معهم بأنه سيستقيل معهم اذا ما رأى استحالة التفاهم مع الفرنسيين ومخالفتهم للشروط المتفق عليها ، فانه اعاد تشكيل وزارته فورا مضيفا اليها وزراء جددا هم **عبد القادر العظم** رئيس معهد الحقوق المالية ، **وشكيب ميسر** للاشغال العامة والتجارة ، **وشاكر الحنبلي** للمعارف .

وفي اليوم التالي (١٣ حزيران) سيق الوزراء المستقيلون الى الحسكة كمنفيين ومعهم **فوزي الغزي واديب الصفدي وبدر الدين الصفدي وسعد الله الجابري وعبد المجيد الطباخ واسماعيل حقي** واقاموا هناك مدة ثمانين يوما ساءت صحتهم خلالها بسبب شدة الحرارة التي كانت نحو ٤٧ درجة في الظل ثم نقلوا الى اميون الكورة في لبنان في شهر أيلول ١٩٢٦ ثم فرضت عليهم الاقامة الجبرية خارج سورية حتى ١٨ شباط ١٩٢٨ عادوا بعدها الى اوطانهم في ٢٤ منه بالاعزاز والتكريم حيث استقبلهم البعض من بيروت والبعض الآخر من المحطات على طريق دمشق واقام لهم آلاف المستقبلين حفلة كبرى في محطة البرامكة بدمشق .. وكان قد جاء الى البلاد مفوض سام جديد يدعى (**هنري بونسو**) وهذا ما لبث ان انهى حكم الداماد الذي كان لا يزال قائما - في شباط ١٩٢٨ ، وعهد الى قاضي دمشق الشرعي **الشيخ تاج الدين الحسني** بتاليف حكومة (موقتة) استمرت بالحكم اربع



الوزراء الوطنيون في منفاهم ، في أميون الكورة ، بلبنان ، في ٢٠ ايلول ١٩٢٦ وقد جلس فارس الخوري في الوسط وعن يمينه حسني البرازي وعن يساره لطفي الحفار ... ووراء فارس الخوري شقيقه الاستاذ فائز الخوري ، يحيط بهم الصحفي سليم غنطوس وبعض وجهاء أميون .

سنوات او تزيد اشرفت على انتخابات عامة لانتخاب الجمعية التأسيسية الاولى التي وضعت دستور البلاد ، ولكن فارس الخوري ابعد عن هذه الجمعية بسبب عدم تخصيص مقعد نيابي لطائفته القليلة العدد في سورية وهي (البروتستانت) الا ان شقيقه الاصغر **الاستاذ فائز الخوري** دخل هذه الجمعية كنائب عن دمشق لانه كان قد غير مذهبه واضحى ينتمي لطائفة الروم الارثوذكس واسباب تغيره اياه هي اسباب شخصية بحتة حدثت قبل هذه الانتخابات بسنوات قليلة .

مشاركته في تأسيس (الكتلة الوطنية)

وراح فارس الخوري يعمل خارج الجمعية التأسيسية التي ابعد عنها كما اسلفنا ، فشارك في تأسيس **الكتلة الوطنية مع هاشم الاتاسي وابراهيم**

هنانو وجميل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار ومظهر رسلان وحسني البرازي وتوفيق الشيشكلي وغيرهم .. واصبحت الكتلة نقطة الارتكاز في نيل سورية استقلالها .

وقد قادت الكتلة الوطنية حركة المعارضة والمقاومة السلبية ضد الافرنسيين ، وكانت اكثر الهيئات السياسية ترفيقا وفوزا مدة تقارب العشرين عاما حتى انها كانت الهيئة السياسية الوحيدة في عهد الجهاد ضد الانتداب ، **وكان فارس الخوري نائب رئيسها وعرقها النابض ولسانها الناطق وهو الذي كان يضع قراراتها ويكتب منشوراتها** .. وفي عام ١٩٣٢ وجدت هذه الكتلة ان الواجب الوطني يدعوها الى عدم الغياب عن ساحة الجهاد داخل الندوة النيابية في تلك المرحلة الدقيقة ، على الرغم من بقاء عدد كبير من احرار سورية مشردين خارج البلاد وعلى الرغم من العيوب الجمة المعترف



صورة العودة .. فارس الخوري عند عودته من المنفى وقد احتفى به زملاؤه الاساتذة وطلابه في ٥ آذار ١٩٢٨ .. وقد وقف عن يمينه الاستاذ فوزي الغزي فالدكتور رضا سعيد عميد الجامعة السورية وعن يساره الاستاذ عبد القادر العظم رئيس معهد الحقوق فالاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي .

بها في قانون الإنتخاب وعجزه عن ضمان الحقوق لاربابها ، فقد دخلت الانتخابات وفازت بسبعة عشر مقعداً من اصل ثمانية وستين مقعداً كان يتألف منها المجلس النيابي عهد ذاك ، فأعلن في ١١ حزيران ١٩٣٢ فوز **السيد محمد علي العابد** رئيسا للجمهورية السورية ، **وصبحي بركات الخالدي** رئيسا للمجلس النيابي ، وتألفت الحكومة الدستورية الاولى برئاسة **السيد حقي العظم** اشترك فيها اثنان من الوطنيين هما **جميل مردم بك** كوزير للمالية والزراعة **ومظهر رسلان** كوزير للمعارف والعدلية ، اما فارس الخوري فقد ظل خارج الندوة النيابية يعمل ضمن اطار الكتلة الوطنية .

.. روى لي الاقتصادي المعروف المغفور له **الاستاذ محمد سعيد الزعيم** ، قال :

اول ما عرفت فارس الخوري ، في جامع بني أمية في حلب ، كان يلهب مشاعر الناس في قضايا الوطن ومحاربة الانتداب فيتساءل الجمهور .. احقا هذا الخطيب المفوه البليغ المتحدث عن القرآن ومحمد والوطن والحمى (خوري) أم شيخ اسلام ؟! .. وهل كنيته تسترا ؟! وهذا الراس الكبير .. هل هو صاحب قلنسوة ام عمامة ؟!! ..

واستطرد الاستاذ الزعيم يروي لي : كان ذلك في عام ١٩٢٨ وكان الزعيم ابراهيم هنانو ــ قدس الله مثواه ــ يطفح وجهه بشرا لهذا التجاوب بين لسان الخطيب وافئدة القوم وكأنه في معركة من معارك الجهاد وقد عقد له لواء النصر على الاستعمار في الساح !! ..

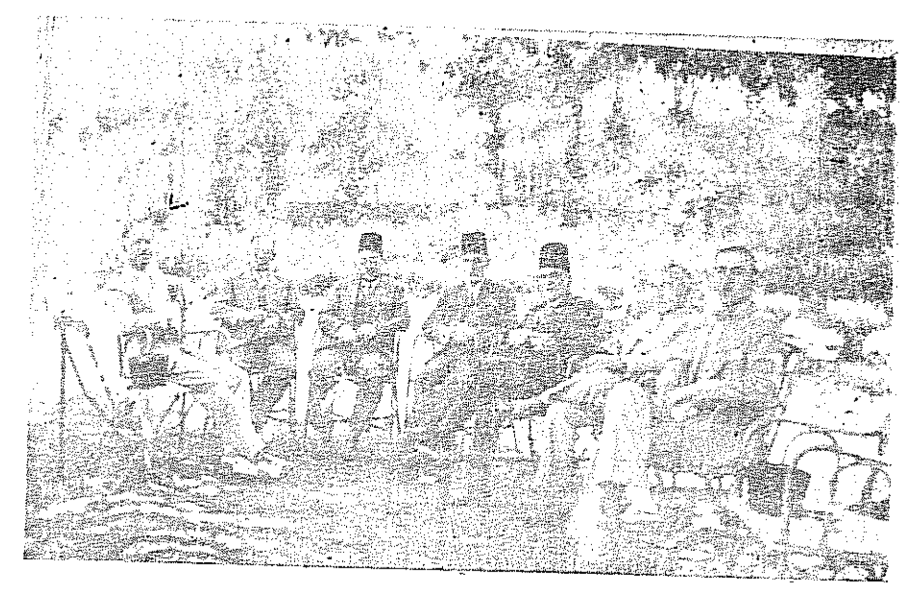
معاهدة عام ١٩٣٣

وكان من اولى مهام حكومة السيد حقي العظم النظر في شؤون المعاهدة التي اتفق على عقدها مع فرنسا واثناء ذلك استدعي المفوض السامي الفرنسي السيد هنري بونسو الى باريس وارسل بدلا عنه (**الكونت ده مارتل**) وذلك في شهر تموز ١٩٣٣ .. وكان **السيد زكي الخطيب** نائب دمشق قد اعلن انسحابه من الكتلة الوطنية واذاع بيانا في ٤ نيسان ١٩٣٣ يتحدى فيه الوزارة العظمية ويرميها بالخور في عزيمتها ويقول باستقالتها ((**لان الساعة التي يجب ان تنتهي فيها التجربة الفاشلة والرياء في التفاهم مع الاجنبي قد ازفت ...**)) فكان لهذا البيان هزة عنيفة في البلاد وبعد يومين استقال الوزيران الوطنيان مردم ورسلان وهنا عقد الوطنيون في دمشق مؤتمرا عاما قرروا فيه عدم التعاون مع الافرنسيين او التفاهم الا على اساس عقد

معاهدة سليمة من الشوائب لان المفاوضات لم تحتو على أي اعتراف بالوحدة السورية. ومن أجل ذلك قررت الكتلة الوطنية رفض المعاهدة المعروضة والانسحاب من المجلس النيابي وكذلك وزير المعارف والاشغال العامة **سليم جنبرت** فانه استقال احتجاجا عليها كما وقف رئيس المجلس النيابي **السيد صبحي بركات** موقفا مشرفا يسجل له وفي آذار ١٩٣٤ ارغمت وزارة السيد حقي العظم على الاستقالة وتألفت وزارة جديدة برئاسة **الشيخ تاج الدين الحسني وعضوية جميل الالشي للاشغال العامة وعطاء الايوبي للعدلية وحسني البرازي للمعارف وهنري هندية للمالية ومحمد الآطهلي للزراعة والتجارة .** واحتفظ الرئيس لنفسه بالداخلية .

الاضراب الستيني في دمشق

وفي ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٥ فجعت البلاد السورية بوفاة نائب رئيس الكتلة الوطنية المجاهد الكبير **السيد ابراهيم هنانو** وكان لنعيه دوي هائل في



نفر من رجالات الكتلة الوطنية عند بداية تأسيسها ويظهر فيها من اليمين الى اليسار : السيد رشدي الكيخيا ، الاستاذ فارس الخوري ، الرئيس الجليل هاشم الاتاسي ، فقيد البلاد الزعيم ابراهيم هنانو ، السيد لطفي الحفار، الاستاذ احسان الشريف، السيد سعدالله الجابري

سورية ، ونظم رجال الكتلة حفلة تأبينية له **برئاسة فارس الخوري** كانت متنفسا الخطباء الذين افاضوا بما تكنه الصدور من حب للحرية والاستقلال وخرج المحتفلون وهم كتلة حياة وعزم وثبات في طلب حقهم المهضوم ، ونشرت الكتلة الوطنية بيانا باسم الشعب ضمنته ميثاق الامة القائم على أمانيها الصحيحة وحقها المشروع بالوحدة والاستقلال .. وما مرت ايام على صدور هذا الميثاق حتى اغلقت السلطة الافرنسية مكاتب الكتلة في دمشق وحلب والقت القبض على **نائب دمشق السيد فخري البارودي والمحامي الدكتور سيف الدين المأمون** فأجاب الشعب على هذا التدبير بالاضراب عن كل عمل ومواصلة الاحتجاج صابرا على كل ضيم وقاطعت دمشق شركة التنوير الفرنسية مقاطعة تامة حتى أن الاجانب اضطروا للمشاركة في هذه المقاطعة واغلقت المدارس والمعاهد على اختلاف انواعها واقفلت الاسواق عن بكرة أبيها وقامت في بعض الاحيان المظاهرات الصاخبة وجرى احراق بعض حافلات الترام كما صحبت تلك المظاهرات بعض الحوادث المؤلمة ، ودام الاضراب حوالي اربعا وستين يوما كانت **الجرائد المصرية** خلالها تحمل انباء المقاطعة والاضراب كل يوم حتى دهش العالم من ثبات السوريين وتضامنهم ، ولم تجد السلطة بدا من ان تجنح للمفاوضة فحضر المفوض السامي الكونت دي مارتل الى دمشق وقابل زعماء العاصمة الذين طالبوه باعادة الدستور كما وضعه المجلس التأسيسي وبالغاء الانتداب الذي فرض على البلاد بدون حق والاعتراف بحرية سورية واستقلالها واعلان وحدتها واعادة المبعدين الى أوطانهم ولما لم يجبهم المفوض السامي الى مطاليبهم ازدادوا تضامنا وثباتا فانزل الفرنسيون قواتهم العسكرية الى شوارع المدينة ، وفي ١٥ شباط ١٩٣٦ اصدر المفوض السامي الفرنسي قراره باقصاء فارس الخوري وشقيقه فائز الخوري عن منصبيهما كأستاذين في معهد الحقوق ، وما كاد يمضي على هذا الاقصاء اسبوع واحد حتى اضطرت الحكومة الافرنسية للاذعان **فأوعزت الى رئيس الوزراء الشيخ تاج الدين الحسني بأن يرفع استقالته** ، وبعد ان جرى الاتصال بين المندوب الفرنسي المعاون بدمشق وبين **رئيس الكتلة الوطنية السيد هاشم الاتاسي .. عهد الى السيد عطا الايوبي** بتاليف وزارة انتقالية تعمل على اعادة الأمور الى نصابها ، وتوجه وفد الى بيروت مؤلف من اعضاء الوزارة الجديدة ومن مندوبين عن الكتلة الوطنية فاجتمعوا بالمفوض السامي ومعاونيه في ٢٩ شباط ١٩٣٦ وجرى الاتفاق على اساس اعتراف فرنسا باستقلال سورية ووحدتها ، وعقد معاهدة ، يقوم

بالمفاوضة لاجلها وفد سوري يسافر الى باريس ، وعلى أثر هذا الاتفاق انتهى الاضراب !!

المعاهدة السورية الفرنسية

وتألف الوفد المفاوض برئاسة السيد هاشم الاتاسي وعضوية فارس الخوري وجميل مردم بك وسعد الله الجابري من أركان الكتلة الوطنية ، ومصطفى الشهابي وزير المعارف وادمون الحمصي وزير المالية من رجال الحكومة السورية ، ونعيم الانطاكي كمشاور حقوقي ، واحمد اللحام كخبير عسكري ، وفي ٢١ آذار ١٩٣٦ سافر الوفد الى باريس مشيعا بالحفاوة البالغة ، ولكن فرنسا على عادتها في خلق الصعوبات وعدم الرضوخ لما يحتمه العقل والمنطق جعلت المفاوضات تتعثر الى ان تم التوصل الى اتفاق ووقعت المعاهدة السورية الفرنسية في ٩ أيلول من ذلك العام ونشرت نصوصها في ٢٢ تشرين الاول ١٩٣٦ .

وكان رجال الوفد السوري ــ خلال المفاوضات ــ على اتصال دائم ووثيق بالمبعدين السياسيين وفي مقدمتهم **الزعيم الكبير المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر** لذلك كان من الطبيعي ان يطلعوهم اولا بأول على سير المفاوضات ، وقد وقع في أيدينا صورة حرفية لكتاب أرسله نائب رئيس الوفد الاستاذ فارس الخوري الى اخيه الزعيم الوطني الدكتور شهبندر الذي كان وقتذاك لاجئا في مصر يشرح له ما تم عليه الاتفاق من أمر هذه المعاهدة نقدمه بنصه فيما يلي ، للتعريف بهذه المعاهدة التي ما لبث الفرنسيون ان نكلوا عن تصديقها .. كتب فارس الخوري الى الشهبندر يقول:

سيدي الاخ الزعيم المحبوب

اليوم انتهينا من المفاوضات ، ووصلنا الى اتفاق على جميع المسائل ، وغدا نكمل وضع النصوص النهائية ولا تبقى امامنا الا مراسيم التوقيع ، وخلاصة هذه الاتفاقات هي الغاء الانتداب ، واستقلال سورية وقبولها في عضوية عصبة الامم في غضون ثلاث سنوات على ان تستلم الحكومة السورية جميع المسؤوليات في غضون سنتين ونمارسها كاملة في السنة الثالثة ، **وتسليم القوى السورية الموجودة الى وزارة الدفاع السورية** مع استلام جميع المطارات الموجودة على ان تنشيء الحكومة السورية لفرنسا قاعدتي طيران بدل القاعدتين الموجودتين الآن في المزة والنيرب ، وبحال انتهاء انشائهما تنقل



بعد الانتهاء من توقيع المعاهدة السورية الفرنسية ، وقف المسيو فيينو وكيـــل وزارة الخارجية الفرنسية يلقي كلمته التقليدية ، وقد وقف عن يمينه الرئيس الجليل السيد هاشم الاتاسي فالاستاذ فارس الخوري فالسيد جميل مردم بك فالسيد سعد الله الجابري فالامير مصطفى الشهابي ، وعن يساره المسيو ليون بلـــوم رئيس الوزارة الفرنسية ، فبقية اعضاء الوفـد الافرنسي .

***

القوى الجوية الفرنسية الى هاتين القاعدتين اللتين تختار مواقعهما بعيدة عن المدن وتسحب فرنسا قواتها البرية من سورية ، وانما تبقى موقتا لمدة خمس سنوات فقط في موقعين يتفق الطرفان على نقاطهما في بلاد العلويين وجبل الدروز، والمحالفة بين فرنسا وسورية لمدة ٢٥ سنة تتعهد بها فرنسا بالمدافعة عن سورية ضد كل اعتداء خارجي بدون ان تقابلها سورية بالمثل . وهذا مثل الحلف العراقي الانكليزي ، **وقواعد الطيران** تبقى طول مـــدة المحالفة وتنتهي لدى انقضائها بخلاف الحالة في المعاهدة لعراقية ، **تجرى لانتخابات حالا فـي**

سورية وحالما يصدق البرلمان المعاهدة تبتديء الحكومة البرلمانية باستلام الصلاحيات التي هي اليوم في عهدة المفوض السامي ومن جملتها انضمام منطقتي العلويين والدروز الى سورية فتعين الحكومة السورية محافظيهما وكبار موظفيهما وتسري عليها جميع القوانين والانظمة السورية ويشترك نوابها في البرلمان السوري كما هي الحال مع سنجق الاسكندرونة على أن يكون لهما نظام خاص فيه استقلال مالي واداري محلي كالاسكندرونة ، تجرى المفاوضة حالا بعد تصديق المعاهدة على **المصالح المشتركة** وتستلم سورية ادارة مصالحها بحال انتهاء هذه المفاوضات التي ترمي الى تسوية جميع المشاكل المعلقة بين سورية ولبنان ، فاذا اتفقت على اتحاد ، تسلم الصلاحيات كلها الى هذا الكيان الاتحادي الجديد والا فسورية تبقى حرة بادارة أمورها مستقلة عن لبنان ، **(الاقليات)** لاذكر لها في المعاهدة وانما هناك كتاب تصرح به الحكومة السورية باستعدادها للمحافظة على الحقوق العامة المنصوص عنها في الدستور السوري للافراد والجماعات، **(التمثيل الخارجي)** مطلق لسورية في كل مكان على ان يولج قناصل فرنسا بالمحافظة على حقوق السوريين في المراكز التي لا تنشيء سورية فيها قنصليات ، **(القوانين والمعاهدات والاتفاقات الجمركية والاقتصادية)** حرة تماما واما السياسية فباستشارة متبادلة فيما كان منها يضر بمصلحة الحليف الآخر .. **(سورية حرة بانشاء جيشها)** كما تشاء على ان لا يكون موجوده اقل من فرقة واحدة ، **(المعاهدات الدولية)** تحترمها سورية ، اي العقود منها باسم سورية في عهد الانتداب ، تأخذ سورية من تحتاج اليه من رجال الفن في الجندية والقضاء وسائر الامور من الافرنسيين ترجيحا على غيرهم ويكونون موظفين فنيين فقط ليس لهم صفة خارجية ولا قوة تنفيذية ، **(حقوق الرعايا الافرنسيين في سورية)** تؤسس على قاعدة الدولة الاكثر رعاية ، كما تكون حقوق السوريين في فرنسا ومستعمراتها على نفس الاساس **(البعثات العلمية والاثرية)** تصان لها المباديء الممنوحة لها بصفتها حق مكتسب .. الخ

والخلاصة استطيع القول بأن معاهدتنا تفضل المعاهدة المصرية ولا تقل عن المعاهدة العراقية ، نسيت ذكر شيء عن **القضاء الاجنبي** والامتيازات فقد اتفقنا ان تتخذ السابقة العراقية بالغاء الامتيازات برمتها ، على ان نستخدم قضاة افرنسيين في محاكمنا لمدة محدودة يوضح نظامها في دورة الانتقال وتنفذ قبل دخولنا في عصبة الامم ، وكذلك نجري على الاسلوب العراقي بشأن الميزات القضائية والمالية العائدة لافراد الجيش الافرنسي في سورية

للاشخاص الذين تقضي المحالفة بوجودهم في بلادنا ، **(قضية العفو)** اخذت معنا دورا عنيفا وتشددنا بها الى حد بعيد وهم متصلبون في الامتناع عن تنفيذه عاجلا فلا يتزحزحون عن فكرتهم بأن العفو العام يكون بعد توقيع المعاهدة من قبل الحكومة البارلمانية السورية فتكون وثائقه مهيأة لينفذوها حالا بعد التوقيع المتبادل .

جاهدنا كثيرا في الاشهر الخمسة او الستة التي قضيناها في باريس ووقفت البلاد موقفا مشرفا صفا واحدا بتأييد الوفد وتأييد مطالبه ونحمد الله ان تكللت هذه المساعي والجهود بالنجاح ولا ريب أن لكم شطرا عظيما من الفضل يقدره لكم اخوانكم والبلاد قاطبة بتوحيد الصفوف وتوحيد الجهود نحو غاية واحدة وما تلقينا منكم من الكتب والآراء السديدة كان لنا منارا للاهتداء ، وانما اسفنا شديد لانهم لم يمكنونا من رغبتنا الصميمة بمجيئكم الى باريس واشتراككم معنا في هذا الكفاح الوجاهي ، لا ادري الآن الطريق الذي نعود به والظاهر ان البلاد الشمالية تطلب أن يعود الوفد بطريق البر فيمر بحلب وحماة وحمص بطريقه الى دمشق ، وسنقرر بعد التوقيع القريب ، وها انا اغتنم هذه الفرصة القصيرة لاكتب اليكم بنتائج جهودكم وتضحياتكم .

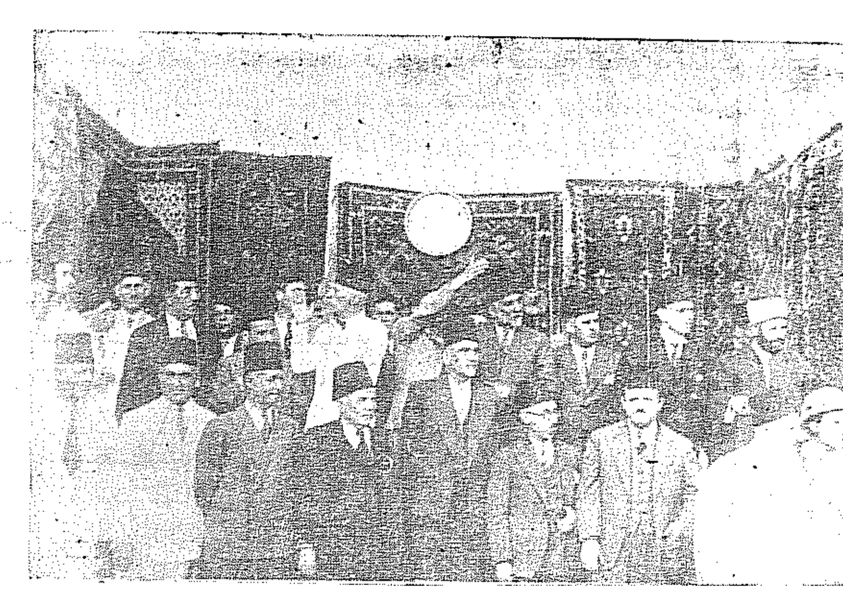
ان اخوانكم في الكتلة الوطنية ينتظرون بذاهب الصبر موعد رجوعكم للوطن ، لادارة السفينة ، والاشتراك المفضل في تقويم الامور .. ولسيدي الاخ التحيات والاحترام من اخيه .

باريس في ٣ أيلول ١٩٣٦ فارس الخوري

بداية العهد الوطني الاول

وباثر عودة الوفد من باريس حاملا المعاهدة التي وقعت في التاسع من أيلول .. اجرت حكومة **السيد عطا الايوبي** الانتخابات النيابية التي أسفرت عن فوز الكتلة الوطنية بالاكثرية الساحقة ، **فأجبر السيد محمد علي العابد رئيس الجمهورية على الاستقالة من منصبه** بدعوى ان رجال الكتلة يفضلون استلام الحكم (من بابه الى محرابه) مخالفين بذلك رأي عميدهم الاستاذ فارس الخوري الذي لم يكن يرى بأسا في اكمال السيد العابد لمدته الدستورية التي كانت ستنتهي بعد عام واحد .

اجتمع المجلس النيابي السوري الجديد في ٢١ كانون الاول ١٩٣٦



مهرجان للكتلة الوطنية ابتهاجا بالمعاهدة السورية الفرنسية ويبدو في الامام من اليمين
ى اليسار : احد رجال فرقة القمصان الحديدية ، الدكتور عبدالرحمن الكيالي، الامير مصطفى
شهابي ، جميل مردم بك ، الرئيس هاشم الاتاسي ، فارس الخوري ، سعد الله الجابري ،
مون حمصي ، احد رجال الكتلة ، ووراءهم من اليمين الى اليسار : الشيخ عبد القادر
سرميني ، نعيم الانطاكي ، احسان الشريف ، محمد نوري الفتيح ، احد رجال الكتلة رافعا
ه ، جميل ابراهيم باشا يصفق ، ثم جمهور من المحتفلين من بينهم الصناعي الكبير
حاج نجيب باقي .

***

انتخب لرئاسته بالاجماع ، الاستاذ فارس الخوري ، كما انتخب السيد
هاشم الاتاسي لرئاسة الجمهورية ، وتألفت الوزارة الوطنية الاولى برئاسة
لسيد جميل مردم بك الذي احتفظ لنفسه بوزارة الاقتصاد الوطني، وعضوية
لسيد شكري القوتلي وزيرا للمالية والدفاع ، سعد الله الجابري وزيرا
لداخلية والخارجية ، الدكتور عبد الرحمن الكيالي وزيراً للمعارف والعدلية .

وقد وصف **الدكتور عبد الرحمن الكيالي** الدور الوطني الاول في كتابه
(المراحل) بأنه عبارة عن دور انتقال من حكم انتدابي الى حكم استقلالي ،

وطبيعته ، تنفيذ المعاهدة التي وضعت حدا حقوقيا وسياسيا للانتداب في خلال مراحل انتقالية تمتد الى ثلاث سنين يصفى اثناءها كل ما كان لفرنسا في سورية من واجبات والتزامات دولية وصلاحيات ومن ثم ترفع فرنسا الى عصبة الامم اقتراحها طالبة انهاء الانتداب والموافقة على المعاهدة وعلى استقلال سورية وعلى قبولها عضوا في عصبة الامم كما جرى في العراق .

ويقول الدكتور الكيالي في مكان آخر من كتابه ان السيد سعد الله الجابري وزير الداخلية والخارجية اخبره بأن الوزارة لم تتألف الا بصعوبات جمة لانقسام الرأي بين الوطنيين وكثرة الطالبين فاضطروا لاختصارها واقتصارها على اعضاء المكتب الدائم حرصا على الانسجام واتفاق الكلمة وأن بقية الطالبين يأتي دورهم في المرحلة التالية والوزارة القادمة .. ويضيف الدكتور الكيالي انه أجاب زميله الجابري بقوله :

((انكم لم تصيبوا عين الصواب ... الاصوب لو بقينا خارج الحكم نوجه الحكومة ونشرف على تسلم الصلاحيات ، فان تعسرت الامور وتأزمت استقال الوزراء ، وبعثنا غيرهم ، وكنا عونا لهم ، حتى تبقى الكتلة قوة لمواجهة الطواريء ، والا فاصحاب شهوة الحكم وذوو المراجعات سيمتعضون منا ويحملون علينا في قلوبهم غصة والشعب قد لا يجد من يوجهه ولا من يخفف من غلوائه ، فنقع في الخطأ الذي وقعنا فيه أيام المرحوم الملك فيصل)) ..

ثم سأل عبد الرحمن الكيالي زميله الجابري عما اذا كانوا قرروا والرئيس الاول برنامج العمل وما هي الخطوط الكبرى التي ستسير عليها الوزارة فأجابه سعد الله : غدا نجتمع عند رئيس الجمهورية ونتذاكر ونقرر ما يلزم !!

اذن .. ليس هنالك برنامج معين ولا خطة مرسومة .. وهل ننسى ان البنيان الذي لا مخطط له ولا أساس ، ينهار عند هبوب العواصف ، وكل عمل لا توجيه فيه ينتهي بالفشل !! ..

ويضيف الدكتور الكيالي :

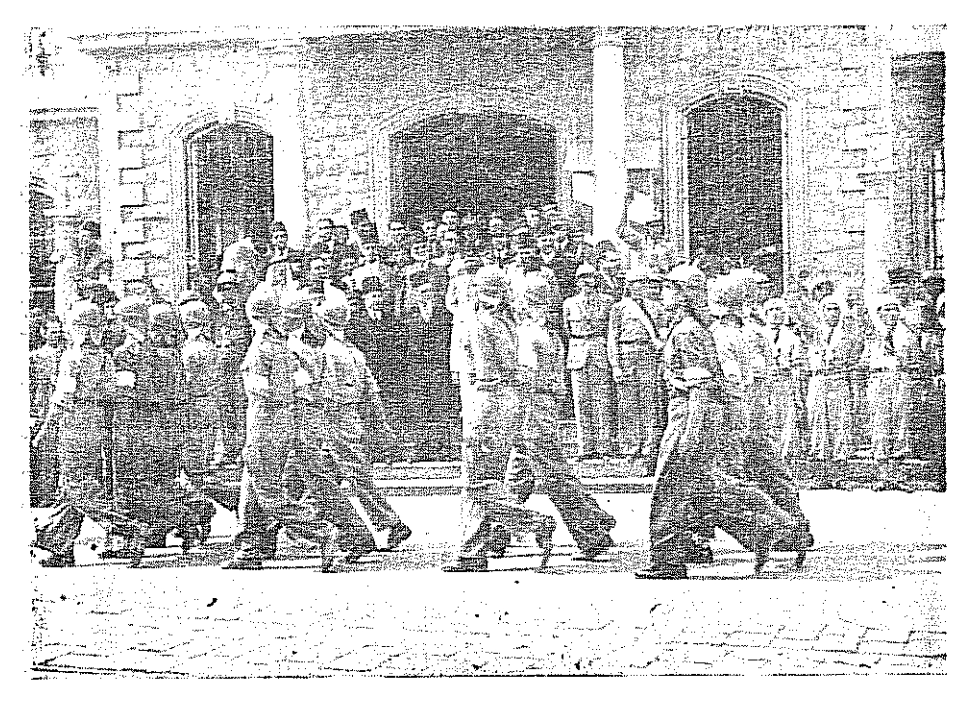
((وفي الغد اجتمعنا ولم نقرر خطة ما ، وكل ما قررناه ان نعالج الموقف الخارجي مع الفرنسيين أولا ثم نعمل بسياسة لكل حادث حديث ، ولكل يوم رزق جديد)) .

ولعل هذه البداية تكشف لنا بجلاء ووضوح سر انهيار الدور الوطني الاول قبل ان يكمل من حياته الثلاث سنين .

عودة المبعدين ومعارضة الشهبندر

وفي أيار ١٩٣٧ عاد المبعدون السوريون الى اوطانهم وفـــي مقدمتهم الزعيم الخالد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الذي ما لبث ن أعلن معارضته للكتلة الوطنية لعدم اعتقاده بسياسة التعاون مـــع فرنسا وكان عنيفا فـــي معارضته ولكن العلاقات ظلت حسنة جدا بينه وبين فارس الخوري الـــذي كان يحبه ويحترمه .

ثم كانت مشكلة لواء الاسكندرونة ، وهبوط الفرنك الفرنسي الذي كان نقدنا مرتبطا به ، ثم اتضح ان بعض الاوساط الفرنسية كانت تعتقـــد بـأن



الرئيس الجليل السيد هاشم الاتاسي رئيس الجمهوريـــة السوريـــة ، والاستاذ فارس الخوري رئيس مجلس النواب ، يستعرضان فرق القمصان الحديدية الخاصة بالكتلة الوطنية، ويبدو بالقرب منهما ، على يمين القارىء ، القائد العام لهذه الفرق ، نائب دمشق ، الوطنـــي الكبير السيد فخري البارودي بثيابه الحديدية .

نصوص المعاهدة غير كافيـــة لضمان مصالح فرنسا الحربية والاقتصاديــة والثقافية ولحفظ حقوق الاقليات ومن ثم مـا طلت فرنسا في ابرام المعاهدة. وكانت جلسات المجلس النيابي تدور مناقشاتها في كثير مـــن الاحيان حول هذه المماطلة والرد على مزاعم الفرنسيين ..

وفي تشرين الثاني ١٩٣٧ ذهب رئيس الوزراء الى باريس وعاد فـــي اواخر كانون الاول بعد أن تبادل المراسلات مع **(دي تيسان)** وكيـــل وزارة الخارجية الفرنسية التي احتوت على ضمانات مـن الحكومة السورية بشأن احترام حقوق الاقليات وقبول الخبراء الفرنسيين ومتابعـة سياسة التعاون فثارت عليه ثائرة المعارضين .

وعندما اراد **السيد جميل مردم رئيس الوزراء** الذهاب الى فرنسا للمرة الثالثة في آب ١٩٣٨ مصرا على ان يكون لوحده لملاحقة القضايـا السياسية المعلقة ولحل المشاكل القائمة وليشرح للحكومة الفرنسية وجـــه الاختلافات بيننا وبينهم وليطلعهم على ما يتآمر به رجال السلطة الفرنسية ضد العهـــد الوطني ، لم يشأ رئيس الجمهورية السيد **هاشم الاتاسي** ان يأذن له في باديء الامر لخوفه من تساهله معهم بحقوق البلاد فتعدل المعاهدة ويضع الحكومة امام أمر واقع بحيث لا يمكن ان ترفض وان رفضت فالعواقب وخيمة ولكـن ما لبث ان وافق بعد ان اشترط عليه الا يبرم اتفاقا او يقر أمرا خطيرا قبل أخذ رأيه ورأي الوزراء وموافقتهم .. ولكن جميل مردم أقر في باريس بعض اللاحق المعدلة للمعاهدة فغضب عليه الرئيس الاتاسي واتهمه بالخيانة وطلب من مجلس الكتلة اقالته لانه نقض عهده وراح يعتقد فيه انـــه سيء النيـة وسيء التصرف ومتساهل لاقصى الحد مع الفرنسيين !!

استقالة شكري القوتلـي

وفي تلك الاثناء .. كان **وزير المالية والدفاع السيد شكري القوتلي** قد سافر الى الحجاز لاداء فريضة الحج واوكل **السيد جميل مردم بـك رئيس الوزراء** بالقيام بمهام وزارتيه .ولما عاد وجد ان السيد مردم قد اساء التصرف اثناء توليه لوكالة المالية في غيابه .. ووقع اتفاقا مع البنك السوري فـــي حين انه كان يود أن يتمم هو بذاته الاتفاق ويوقعه .. ثم انه تشاءم من اعمال الفرنسيين وتسويفهم ومماطلتهم في امر البت في المعاهدة فآثر الاعتزال على البقاء ورفع استقالته من الوزارة في **٢٢ آذار ١٩٣٨** فكان أن عـــدل السيد



الوزير المستقيل ، الرئيس الجليل شكري القوتلي ، ومحمد الفرحاني

***

دم وزارته بأن ادخل اليها وزيرين جديدين هما (**لطفي الحفار للمالية** **ائز الخوري للاقتصاد الوطني)** •• وكان السيد القوتلي قد القى بيانا في جلس النواب قال فيه ان استقالته كانت نزولا على رأي الاطباء بسبب ضه وكان مما قاله ((**ان ما يسميه بعض المتقولين بشهوة الكراسي هو حقيقة والتجربة ممض لاصحابه يغبط احدهم على تركه ولا يغبط على وجود فيه))** •

ولم يدع فارس الخوري هذه الفرصة تفوت بدون ان يعلق عليها ويعظ،

يظهر فلسفته في قضية استلام الحكم وترك كرسي الوزارة ، فقد قال وهو في منصة رئاسة المجلس :

« اغتنم هذه الفرصة لاهنيء السيد شكري القوتلي بهذه المظاهر التي تصف انفكاكه عن كرسي الوزارة ، فالتهنئة الحقيقية للوزير ليست عندما تبوا المقام ، بل اذا كان الاسف على فراقه وتركه للمقام اشد من السرور عند تبونه اياه فهنا الغبطة وهنا السرور ، وارجو أن تكون في هذه المظاهر قدوة لنا جميعا ، فيسعى جميع الوزراء في كل زمان ومكان للحصول على هذا التأسف عند تركهم للوزارة لا للحصول على سرور الناس عند تبوئهم الكرسي ... وانه ليسر الامة ان يكون فيها مثل هذه الشخصيات التي لا يريدها منفكة عن العمل ، بل يريدون ان تبقى في مقاعد الحكم لكي تنفع الناس بما اوتيت من حكمة وروية ، ودربة ودماثة اخلاق ... ويسر مجلس النواب ان ينتقل هذا النائب الكريم من مقاعد الوزارة الى مقاعد النواب فالعمل في المجلس النيابي متسع وميدانه فسيح يستطيع كل نائب ان يقوم فيه بنصيبه من العمل على أحسن منوال » .

فارس الخوري يشرح الازمة

.. ما ان انتصف عام ١٩٣٨ حتى بدات التساؤلات عما اذا كان حان الوقت لسورية ان تختار بين السياسة الايجابية القائمة على البر بالوعود وبين السياسة السلبية الصريحة الى ابعد حدود الصراحة .. وقد اطلعني فارس الخوري على صورة كتاب بعث به في ٢٨ آب ١٩٣٨ الى الاديب السوري المقيم في المهجر ، الاستاذ الياس قنصل ، يشرح له فيه الازمة على حقيقتها ، وادونه فيما يلي بنصه الحرفي :

جاء في مقدمة المعاهدة السورية الفرنسية نص عن اتفاق الحكومتين على تهيئة جميع الشروط لزوال الانتداب وقبول سورية في عصبة الامم في مهلة ثلاث سنوات وقد تعين مبدا هذه المهلة اول سنة ١٩٣٧ بمراسلات ملحقة بين الحكومتين فتنتهي مهلة الانتقال هذه في آخر سنة ١٩٣٩ القبلة ، ولذلك تعتبر الحكومة الفرنسية ان مسؤولياتها الناشئة عن الانتداب لا تزال قائمة الى نهاية دور الانتقال في الاجل المذكور ، بيد انه جاء في البروتوكول ذي الرقم — ٥ — وجوب تخصيص السنتين الاوليين من مهلة السنوات الثلاث المشروطة في النص السابق لاقامة جميع المؤسسات السورية المعدة لتأمين

تسلم الحكومة السورية المسؤوليات التي يؤمنها ممثل فرنسا لحساب سورية على ان تختص السنة الثالثة من المهلة الآنفة الذكر لتكليف تلك المؤسسات في ممارسة هذه المسؤوليات .

فعملا بهذا النص يترتب على الحكومة الفرنسية أن تتخلى تدريجا عن اختصاصات ممثلها في سورية وتسلمها للحكومة السورية بحيث ينتهي هذا التسليم في غضون سنتي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ وتمارس الحكومة السورية بالانفراد هذه الصلاحيات طول سنة ١٩٣٩ وفي نهاية تلك السنة او في مطلع سنة ١٩٤٠ تقبل سورية دولة مستقلة في جمعية الامم ، وتنفيذا لهذا الشرط بدات الحكومة السورية باقامة المؤسسات والدوائر التي يقتضيها تسلم المسؤوليات والصلاحيات فانتخبت البلاد نوابها في خريف سنة ١٩٣٦ لاستلام صلاحية التشريع واجتمع المجلس النيابي في ٢١ كانون الاول من تلك السنة وصدق المعاهدة في ٢٦ منه واقام حكومة نيابية مسؤولة وفاقا لاحكام الدستور واخذ على نفسه مهمة التشريع التي تخلى له عنها ممثل فرنسا وبقي المرجع الوحيد لسن القوانين المالية والقضائية والادارية وغيرها الواجبة النفوذ في سورية .

وبالوقت نفسه ، وتنفيذا للمراسلة رقم — ٦ — القاضية بتخلي ممثل فرنسا للحكومة السورية عن سلطاته وصلاحياته في محافظتي العلويين وجبل الدروز اصدر هذا الممثل قرارا في كانون الاول ١٩٣٦ قاضيا بضم هاتين المقاطعتين للجمهورية السورية ضمن الامتياز المالي والاداري المحدد لهما واستلمتهما الحكومة السورية بالفعل منذ أول سنة ١٩٣٧ .

وفي غضون السنة الاولى من مهلة الانتقال استلمت الحكومة السورية ايضا معظم الصلاحيات التي كان يمارسها ممثل فرنسا ولم يبق للمستشارين الفرنسيين في جميع الدوائر سوى الصفة الاستشارية ، يبدون آراءهم في القضايا التي يطلب منهم الرأي بها بدون ان يكون لهذا الرأي قوة نافذة فتنشر القوانين والمراسيم وينصب الموظفون ويعزلون وتطرح الضرائب وتجبى وتعقد النفقات وتصدق الميزانية وتنفق الاموال في المصالح لعامة وتنفذ احكام القضاء وتوضع المشاريع بدون حاجة لمصادقة او موافقة من اي مرجع افرنسي ، وانما بقيت بعض الادارات تحت سيطرة ممثل فرنسا الى اليوم يتريث في التخلي عنها لمعاذير مختلفة اهمها مصلحة الجمارك والشركات ذات الامتياز وجوازات السفر والعلائق السياسية مع الدول والجيش والمحاجر الصحية وسائر ما هو داخل في اعمال المصالح المشتركة بين سورية ولبنان .

على انه قد نص في البروتوكول رقم ــ ٥ ــ عن وجوب تسليم المصالح المشتركة بتشريعها وادارتها الى الحكومة السورية في مهلة لا تتجاوز نهايتها آخر حزيران ١٩٣٨ ولكن سلطة الانتداب ما زالت محتفظة بهذا الشطر الهام من المصالح الحكومية السورية واللبنانية رغما عن وجود النص الصريح المذكور بحجة انها تؤمن نفقات الجيش ونفقات دوائر الانتداب من هذا المورد الجمركي ولا تستطيع أن تتخلى عنه قبل انجاز المعدات لتسليم الجيش كما انها ممتنعة عن تسليم الجيش في الوقت الحاضر محتجة بأعذار واهية لا تستقيم امام الواقع ولا يبررها النص الوارد في المعاهدة بشأن وجوب تسليم الجمارك وسائر فروع المصالح المشتركة قبل نهاية النصف الاول من سنة ١٩٣٨ .

نص في المادة الثالثة من المعاهدة عن انتقال الحقوق والواجبات الناشئة عن العقود والمعاهدات التي عقدتها فرنسا باسم سورية ولحسابها الى الحكومة السورية فلا يحق لفرنسا بعد تاريخ توقيع المعاهدة في ٩ ايلول ١٩٣٦ ان تنفرد بعقد معاهدات جديدة لحساب سورية بدون موافقة الحكومة السورية ولذلك لا تعد اتفاقاتها الاخيرة بشأن اسكندرونة نافذة على سورية ما دامت هذه الحكومة غير معترفة بها . بيد ان فرنسا تدعي أنها لم تعقد شيئا جديدا وانما جمعية الامم بصفتها صاحبة اليد العليا هي التي وضعت نظام اسكندرونة واحالت على فرنسا امر تنفيذه مع أن الحقيقة هي ان فرنسا قد اتفقت مع تركيا اولا على هذا النظام وجمعية الامم صدقت اتفاقهما . هذا فضلا عن أن أساليب التنفيذ لهذا النظام احتوت كثيرا من المخالفات لنفس النظام وجميع هذه المخالفات جارية لمصلحة تركيا وضرر سورية واقصائها بصورة بارزة عن كل حق اعترف لها به في ذلك النظام ، والموقف الذي وقفته فرنسا حيال هذه الاجراءآت الجائرة لا يمكن تأليفه مع مباديء العدل وحرمة العهود ويستطيع الناقد العادل أن يعلن بصراحة أن فرنسا قد خرقت عهدها في قضية الاسكندرونة وهضمت حق سورية تأمينا لمنفعة خاصة بها أو فرارا من القيام بواجب الامانة . فلا يمكن أن تفسر أعمالها بهذه القضية بشيء يقيم عذرها فلا نصوص صك الانتداب ولا نصوص نظام السنجق الاخير المعروف بمشروع ساندلر ولا المعاهدة السورية الفرنسية تبيح لفرنسا ان تفعل ما فعلت فهي التي عرضت على تركيا مباديء الحل التي تضمنها مشروع ساندلر بكتاب من المسيو بلوم لرئيس الوزارة التركية وفيه نقض شنيع

للمادة الرابعة من صك الانتداب ، وهي التي ماشت تركيا في طلبها ايقاف اعمال اللجنة الدولية المتعلقة بالتسجيل والانتخاب وطرد اعضاء هذه اللجنة من السنجق وتعيين النواب بحسب الجدول الذي وضعه الاتراك بدون انتخاب ، وهي التي تعهدت لتركيا بمنحها ٢٢ مقعدا في مجلس السنجق من ٤٠ قبل أن تبدأ أعمال التسجيل وهي التي وافقت على حرمان سورية من جميع الحقوق التي سجلها لها مشروع ساندلر واقرتها جمعية الامم ونفذت هذا الحرمان بأفظع الاساليب نابذة وراء ظهرها جمعية الامم ومقرراتها فسلخت السنجق عن سوريه وقطعت كل علاقة له بها ورضيت بما يفعله الاتراك بادارة اللواء بحسب المناهج الموضوعة في أنقرة غير مكترثة بتعهداتها لسورية ومحالفتها معها ومقتضيات الامانة الدولية للعهود ولا عابئة بالالوف من العرب والارمن الذين طردوا من مواطنهم وخرجوا يهيمون على وجوههم محرومين من المأوى والقوت بعد ان اعتمدوا على وعودها ومواثيقها بصيانة حقوقهم وارواحهم وفسحت للاتراك مجالا رحبا لتنفيذ شهواتهم الجامحة وايقاع انواع الاذى والانتقام بالعرب والعناصر الموالية لهم ، وليست أدري بعد هذه الفعلة كيف يمكن أن تستعاد الثقة باخلاصها نحو سورية واسراعها لنجدتها حين الحاجة وتأمين الفائدة المنتظرة من هذا التحالف المعقود معها !!!

اذا كان لفرنسا وجه للدفاع عن موقفها في سائر الامور المتعلقة بالمعاهدة السورية ووجدت المعاذير في تأخيرها تسليم بعض المصالح الباقية في يدها الى اليوم بحجة ان مهلة التسليم التام لم تنته بعد فهي لا تستطيع ان تجد مبررا لاعمالها في قضية سنجق الاسكندرونة . ولو كانت قضية هذا السنجق ثانوية بالنسبة لكيان سورية وحياتها لربما كان الاذعان للامر الواقع مخرجا من هذا المأزق الضيق الذي اوقعتنا به مطامع السياسة العليا ولكن انسداد هذا الثغر الوحيد الباقي لسورية واقتطاع الخصب بقعها منها ومعاملات التهجير والتنكيل التي يقاسيها السوريون يجعلها في خطر محتوم على حياتها الادارية والاقتصادية والسياسية ، فاذا لم تجد فرنسا منجاة لسورية من هذه الورطة التي رمتها بها ، يتعذر الاستمرار على التفاهم الحسن والثقة المتبادلة .

مقررات خطيرة

وفي ٣١ كانون الاول ١٩٣٨ اتخذ مجلس النواب السوري برئاسة

الاستاذ فارس الخوري المقررات الخطيرة التالية :

١ ـ : **ان مجلس النواب السوري مدفوعا برغبته الصادقة للتحالف** مع فرانسة يتمسك بنصوص المعاهدة التي صدقها في ٢٦ كانون الاول ١٩٣٦ **ويعتبر حقوق سورية المنصوص عنها في هذا الصك واجبةالاحترام** والتنفيذ . واذا كان يحق للبرلمان الفرنسي ان يرفض التحالف مع سورية فلا يحق له **أن ينكر عليها حقها الطبيعي بالاستقلال** المعترف لها به في نفس ميثاق عصبة الامم .

٢ ـ : بما انه لم يعرض على مجلس النواب أي اتفاق أو عقد آخر غير معاهدة ١٩٣٦ فالمجلس يعتبر بحكم العدم أي ادعاء كان يتعلق باتفاقات أو ملاحق أو ذيول أو عقود لاحقة غير معروفة عنده ولا مصدقة منه !!

٣ ـ : يأسف مجلس النواب لنكول الحكومة الفرنسية عن احترام عهدها بدون أن يكون لها مبرر لهذا النكول ويستنكر التردد البادي في تصديقها للمعاهدة والتأخر في تنفيذ ما تعهدت بتنفيذه من نصوصها وبذات الوقت يطلب من الحكومة السورية أن تحافظ على جميع الحقوق المؤيدة لاستقلال سورية ووحدتها وأن تسرع باتخاذ الوسائل الحازمة لاستلام الصلاحيات الباقية لها بدون تأخير .

٤ ـ : يسجل مجلس النواب تصريح رئيس الوزراء السيد جميل مردم بك بأنه يعد نفسه في حل من جميع الاتفاقات والعقود التي يمكن ان يكون وقعها **ويعتبرها لغوا** .

٥ ـ : حيث أن مجلس النواب السوري يمثل جميع الدوائر الانتخابية المنسوب اليها أعضاؤه وهو وحده يعبر عن رأي الامة ورغائبها تعبيرا شرعيا دستوريا حقيقيا فالمجلس يستنكر أي أسلوب آخر تجنح اليه الحكومة الفرنسية **لمعرفة رأي الشعب السوري بشأن مصيره** كايفاد لجنة لمثل هذه الغاية . وحيث أن هذا المجلس قد أعرب عن رأيه حيال جميع القضايا التي عرضت له وهو مستعد للاعراب عن رأي الامة في أية قضية كانت فهو **ينكر جواز الاخذ** بأية رغبة تخالف رغبته ، ويدعو الشعب السوري أفرادا وجماعات الى الامتناع عن الاتصال بأي شخص أو أية هيئة تحاول أخذ الآراء والمطالبات تذرعا لايجاد التفرقة في صفوف الامة وسعيا وراء غايات وأهداف ضارة بوحدة البلاد وهادمة لاستقلالها .

٦ ـ : **يأسف المجلس لحوادث العصيان** والتمرد على القانون **والتعرض** للاخلال بالامن العام في مناطق اللاذقية وجبل الدروز بعد حوادث الجزيرة

المعلومة ويزيده أسفا اذا كان صحيحا ما يقال من أن لبعض ممثلي السلطة الافرنسية ضلعا في هذه الحوادث أو رضاء عنها . ويطلب من الحكومة ان تسرع بوضع حد حاسم لهذه الحوادث الغريبة .

٧ ـ : يسجل المجلس النيابي أيضا مشاطرة الوزارة السورية المجلس النيابي الرأي المعرب عنه في هذه البنود .

وكان المقصود بالبند الاول ، الرد على ما صرح به مقرر لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الفرنسي في التاسع من كانون الاول ١٩٣٨ بأن أساس المعاهدة لا يتفق ومصلحة فرنسا وحذر من ابرامها . كما أن مقرر اللجنة في مجلس النواب (غاستون ريو) قال ان فكرة المعاهدة خاطئة بحد ذاتها (؟!!) ثم ان جورج بونيه وزير الخارجية الفرنسية صرح بعد بضعة أيام بأن الحكومة الفرنسية لا تنوي أن تطلب من البرلمان الفرنسي تصديق المعاهدة (؟!!!) مع ان السيد بونيه هو الذي قصد البند الثاني من هذه المقررات الغاء الاتفاق الذي وضعه معه جميل مردم بك سرا .. ذلك الاتفاق المؤرخ ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٨ والذي لم يعرف مضمونه الا بعد سنة لعدم نشره في حينه وهو يتألف من بروتوكول وبيان مشترك .. فالبروتوكول يؤكد اتفاق ١١ كانون الاول ١٩٣٧ ويعطي ضمانات تتعلق بحقوق الاقليات وباللغة الفرنسية في مدارس سورية ، وتجديد امتياز البنك السوري ، واستثمار البترول . وانماء تجارة سورية مع فرنسا . وقبول مساعدة مالية من فرنسا . كذلك جاء في البروتوكول أن حكومة فرنسا تجعل نهاية فترة الانتقال في ٣٠ أيلول ١٩٣٩ وأنها ستقترح ذلك على البرلمان أما البيان المشترك فقد ابدى فيه الفريقان أملهما في ان توافق حكومة سورية على هذه المعاهدة المعدلة في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٩ وأن يبرم البرلمان الفرنسي هذه المعاهدة مع تعديلاتها قبل نهاية الشهر نفسه!!! ولهذا ركزت المقررات في بندها الرابع على جعل رئيس الوزراء في حل من كل ما يكون عقده من اتفاقات لم يكن أفصح عنها حتى ذلك الحين . أما المقصود بالبند السادس فهو اقدام جماعة عبد الغفار باشا الاطرش على انزال العلم السوري عن دار الحكومة في السويداء وطردهم الموظفين هناك واطلاقهم الرصاص على سيارة المحافظ السيد نسيب البكري . واضطراب حبل الامن في الجزيرة وكثرة تعديات أعوان الانتداب على موظفي الحكومة وخطف جماعة الياس مرشو لمحافظ الفرت السيد توفيق شامية الذي كان يقوم بأعمال محافظ الجزيرة وكالة واحتجازه عندهم بضعة

أيام .. وفي بلاد العلويين **ترك محافظ اللاذقية السيد احسان الجابري** مقامه لتآمر الزعماء عليه وقصدهم قتله كما ادعى .. فلم يبق للحكم الوطني فيها أي سلطان .. ثم راحت القرارات التشريعية تصدر من قبل المفوض السامي خلافا لكل اتفاق وتحديا للدستور والسلطة التشريعية وكأنه قد عاد لممارسة صلاحياته التي كانت انتهت بانتهاء الانتداب .. واشتدت حملات الزعيم الدكتور شهبندر على الحكم القائم .. **واخيرا لم يعد هناك مناص من تقديم السيد جميل مردم بك استقالة حكومته في ٢٢ شباط ١٩٣٩** فقبلت على الفور ، وبعد خمسة أيام تقريبا **تألفت الوزارة برئاسة السيد لطفي الحفار على أن يحتفظ لنفسه بوزارة المعارف ، مظهر رسلان وزيرا للداخلية والدفاع ، سليم جنبرت للاقتصاد الوطني ، فائز الخوري للمالية والخارجية ، نسيب البكري العدلية** . ولمست وزارةالحفار



صورة التقطت عام ١٩٥٣ في سرادق أعد لاستقبال الامير (الملك) سعود في دمشق عندما كان وليا للعهد ، ويبدو من اليمين الى اليسار : نصوحي البخاري رئيس الوزارة الثالثة في العهد الوطني الاول ، لطفي الحفار رئيس الوزارة الثانية ، فارس الخوري رئيس مجلس النواب ، الامير مساعد بن عبد الرحمن آل سعود شقيق المغفور له الملك عبد العزيز ، ويظهر في الصورة ايضا الدكتور منير العجلاني وصبري العسلي وحسن جبارة واحمد الشراباتي ، من الذين لعبوا ادوارا سياسية هامة فيما بعد .

ان الجانب الفرنسي يريد فرض أوضاع تخالف الاسس التي اتفق عليها وبما انه دخل الحكم ليمثل حكما نيابيا دستوريا استقلاليا بعيدا عن شوائب الانتداب وفرض الادارة الاجنبية وما لبث ان وجد نفسه أمام أحداث لا يمكن الصبر ولا السكوت عليها فقد رفع استقالة حكومته بعد عشرين يوما مضت على تأليفها ولم تتألف الوزارة الجديدة الا في ٥ نيسان ١٩٣٩ برئاسة **السيد نصوحي البخاري الذي احتفظ لنفسه بالداخلية والدفاع ، وعضوية سليم جنبرت للاقتصاد الوطني وخالد العظم للعدلية والخارجية وحسن الحكيم للمعارف ومحمد خليل المدرس للاشغال العامة والمالية** وهذه الوزارة لم تتمكن من تقديم بيانها الوزاري لمجلس النواب لانها لم تشأ التقدم به قبل ان تتأكد من نيات الفرنسيين .. وأثناء ذلك غادر **المفوض السامي السيد غبرييل بيو** البلاد الى باريس للاتصال بحكومته ثم عاد في ١٠ أيار ١٩٣٩ وبعد ثلاثة أيام من وصوله أصدر بيانا يفهم منه أن فرنسا تريد الوصول الى اتفاق نهائي على أساس مبادىء المعاهدة وأنها تريد ايجاد نظام خاص للمحافظات وان السلامة الخارجية تستدعي تنظيما جديدا للتعاون العسكري بين فرنسا وسورية .. فكان نتيجة ذلك أن **وزارة السيد نصوحي البخاري رفعت استقالتها في ١٥ أيار ١٩٣٩** ولكنها ظلت تسير الاعمال في الدولة ريثما يتم تأليف وزارة جديدة .. ولكن الوزارة الجديدة لم تؤلف ..

نهاية الدور الوطني الاول

في ٧ تموز ١٩٣٩ توجه **الدكتور نجيب الارمنازي** مدير غرفة رئاسة الجمهورية السورية الى مكتب مجلس النواب واجتمع بالرئيس الاستاذ فارس الخوري وقدم له الكتاب التالي :

الى رئاسة المجلس النيابي

منحني مجلسكم الكريم ثقته ، وانتخبني في اول جلسة عقدها لرئاسة الجمهورية . على اثر عقد المعاهدة ، واقامة الصلات بين فرنسا وسورية على قواعد التحالف والمودة ، وذلك تمهيدا لادراك هذه الامة الغاية الشريفة التي تسعى لها من الاستقلال والسيادة القومية . وقد تعاقبت حكومات في سوريا ، وهي تبذل جهدها في سبيل ابرام العهد المقطوع ، والميثاق المعقود ، والثقة ، انه ينطوي على الخطة الوحيدة التي تعزز جانب

الوطن السوري وترفع من شأنه . كما توثق الروابط بينه وبين الجمهورية الفرنسية ، حتى يسود علائقهما جو من الصفاء والاخلاص ، وحتى تقوى هذه البلاد على مغالبة الاحداث وصد الاطماع .

غير ان الجهود التي بذلت لم تؤد الى نتيجة برغم الوعود الصادرة من رجال الوزارات التي تتابعت في فرنسا منذ سنة ١٩٣٦ الى الان ، فذهبت ضياعا تلك الآمال التي توجهنا بها الى سياسة التحالف والتعاقد ، وشهدنا عودة الى أساليب قديمة ، وتجارب جديدة ، تناقض ما تعاقدنا عليه ودخلنا الحكم على اساسه .

على أن حوادث الماضي وقرائن الحاضر لا تجعل مجالا للشك في أن هذه الخطط التي يراد اتباعها ، واستئناف العمل بها ، لا تثمر الا المشاكل والخلافات ، كما انها تضعف كيان هذه البلاد ، وتوهن قواها ، وتهدد مستقبلها . ولذلك لا أرى بدا عن الاستقالة من المنصب الذي وكلت الي الامة القيام به ، ووثقت بي في تحمل اعبائه ، راجيا أن يكون في الايام المقبلة ما يخفف عنها العناء ويحقق لها ما تصبو اليه من الكرامة والمجد .

دمشق في ٢٠ جمادى الاولى ١٣٥٨ و ٧ تموز ١٩٣٩

رئيس الجمهورية السورية
هاشم الاتاسي

فما كان من الاستاذ فارس الخوري رئيس المجلس النيابي الا ان وجه الى الحكومة المستقيلة الكتاب التالي :

الى حضرة السيد نصوحي البخاري رئيس مجلس الوزراء

يؤسفني أن أعلمكم بأن صاحب الفخامة الرئيس الجليل السيد هاشم الاتاسي ، أرسل الي اليوم كتاب استقالته من رئاسة الجمهورية ، وعملا بأحكام الفقرة الاولى من المادة ٨٦ من الدستور ، دعوت مجلس النواب للاجتماع في الساعة الخامسة بعد الظهر من يوم الاربعاء الواقع في ١٢ تموز الحالي .

وحيث أن المادة ٨٤ من الدستور تنص على قيام مجلس الوزراء بمهام السلطة التنفيذية بالوكالة عند خلو سدة الرئاسة ، والمادة ٧٥ تنص على أن رئيس الجمهورية يعين الوزراء ويقبل استقالتهم .

وحيث ان هذا القبول يجب أن يتم بنفس الاسلوب الذي جرى فيه التعيين ، واستقالة وزارتكم التي قدمتموها لفخامته بتاريخ ١٥ أيار الماضي

لم تقبل بعد بالصورة الدستورية الواجبة اذ أن فخامة الرئيس استقال من الرئاسة دون أن يصدر مرسوما بقبولها ، وتنصيب مجلس وزراء يحل محل مجلسكم ، نرى من المقتضى الدستوري أن تبقوا مضطلعين بالمهمة الوزارية ، الى أن يبت المجلس في قضية رئاسة الجمهورية ليؤلف مجلس الوزراء الجديد على الاصول ، راجين أن يوافق ذلك رأيكم الموفق الى الصواب .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

دمشق في ٨ تموز ١٩٣٩

رئيس مجلس النواب
فارس الخوري

وقرر مجلس الوزراء قبول نظرية رئيس المجلس النيابي .

ولكن المفوض السامي الفرنسي السيد غبرييل بيو لم يقبل بها . . فانه أصدر في مساء ٨ تموز ١٩٣٩ مرسوما بتوقيف تطبيق دستور الدولة السورية فيما يتعلق بتنظيم وسير السلطة التنفيذية والتشريعية وحل مجلس النواب على أن يعين فيما بعد تاريخ الانتخابات الجديدة ، والعهدة بتأمين السلطة التنفيذية تحت مراقبة المفوض السامي الى مجلس يؤلف من مديري المصالح العامين برئاسة مدير الداخلية العام . وبنفس اليوم ، أصدر المفوض السامي مرسوما بتعيين اعضاء مجلس المديرين العامين على الشكل التالي :

السيد بهيج الخطيب رئيسا للحكومة ومديرا عاما للداخلية ، السيد خليل رفعت بك مديرا عاما للعدلية ، السيد حسني البيطا رمديرا عاما للمالية ، السيد عبداللطيف الشطي مديرا عاما للمعارف . السيد يوسف عطاء الله مديرا عاما للاقتصاد الوطني .

وما ان تبلغ فارس الخوري قرار تعليق الدستور حتى أرسل الى المفوض السامي الفرنسي كتابا يقول له فيه :

« في منتصف الساعة العشرين من يوم السبت في ٨ تموز ١٩٣٩ زارني من قبلكم ، في مكتب البرلمان معاون المندوب المسيو ليموان ،وسلمني نسخة من قرار فخامتكم ذي الرقم ١٤٤ المؤرخ في ذات اليوم وفيه تعليق الدستور السوري وحل مجلس النواب . فبصفة كوني رئيسا لهذا المجلس أتشرف باستماحتكم عذرا لابدي بعض الملاحظات على هذا القرار ، راجيا من فخامتكم أن تعيروها ما تستحقه من اهتمامكم ، وأكون شاكرا لكم اذا

تفضلتم وقدمتموها الى رئاسة مجلسي الشيوخ والنواب في البرلمان الفرنسي والى أمانة السر العام في جمعية الامم . »

« انا لا أتعرض يا سيدي الى وجهة نظركم في تبرير اتخاذكم مثل هذا القرار . ولكنني اتساءل عن حيثية المرسوم الجمهوري الذي أصدره فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ قبل تقرير الانتداب على سورية ، محددا فيه صلاحيات المفوض السامي في بلاد العدو المحتلة ، واسمح لي أن أشك في جواز الاستناد الى هذا المرسوم في حيثيات القرار ، اذ أنه بعد تبدل تلك الحال ، وارتباط الوضع الحقوقي السياسي لسورية بجمعية الامم ، ووضع صك الانتداب في ٢٤ تموز١٩٢٢ يبقى مجال للقول ان هذا الصك أصبح وحده المرجع السياسي لتعيين صلاحيات المفوضية الفرنسية في سورية . أما الدستور الذي نشره سلفكم المسيو بونسو في ١٤ أيار ١٩٣٠ وقدمته الحكومة الفرنسيةلجمعية الامم فوافقت عليه وسجلته عندها كوثيقة واجبة التنفيذ ، فهنا أيضا مجال للتساؤل عما اذا كان هذا الدستور بعد اكتسابه تلك الصفة ، واستمرار حالة التنفيذ بضع سنين ، يبقى عرضة للتعليق والتعطيل من قبل طرف واحد من واضعيه ؟! » .

« لم اجد في حيثيات هذا القرار سببا لاتخاذه سوى ما جاء في الفقرة الاخيرة من الحيثيات عن استقالة مجلس الوزراء واستقالة رئيس الجمهورية . وهنا اجد نفسي عاجزا عن ادراك الصلة بين هذه الاستقالة وبين تعليق الدستور وحل مجلس النواب . نعم ان رئيس الوزراء رفع كتاب استقالته لرئيس الجمهورية في ١٥ أيار الماضي والرئيس طلب الى الوزارة الاستمرار في العمل الوزاري الى أن يتألف مجلس وزراء جديد يحل محلهم ، وهم وافقوا على هذا التكليف وداوموا على العمل الى أن تبلغوا قراركم في ٨ تموز وهذا الاستمرار واجب دستوري ، اذ ان رئيس الجمهورية لم يصدر مرسوما بقبول استقالتهم ايجابا للمادتين ٧٥ و ٣٦ من الدستور . فالوزارة تعتبر والحالة هذه قائمة والاعمال الوزارية جارية مجراها » .

« أما استقالة رئيس الجمهورية فقد استلمت الكتا ب بشأنها في الساعة التاسعة من صباح ٨ تموز وبالحال عملت بموجب الفقرة الاولى من المادة ٨٦ من الدستور ودعوت مجلس النواب للاجتماع لانتخاب رئيس جديد في غضون المهلة المعينة في تلك المادة . كما أنني كتبت في الحال

الى رئيس مجلس الوزراء أن يضطلع مجلسه بوظائف رئيس الجمهورية الى أن يبت مجلس النواب في جلسة ١٢ تموز بقضية الرئاسة ويؤلف مجلس وزراء جديد وذلك بمقتضى المادة ٨٤ من الدستور » .

« من ذلك ترون فخامتكم ان الواجب الدستوري في هذه الحادثة كان من جهتنا محترما تمام الاحترام وكان مجلس الوزراء قائما بمهماته الوزارية والجمهورية عند اتخاذكم قرار تعليق الدستور وبناء على ما ذكر تعذرونني على اعتباري الصلة مفقودة بين السبب وبين النتيجة . انا لا أرى سببا لحل مجلس النواب قبل ان يفسح له المجال للقيام بالواجب الذي فرضته عليه المادة ٨٦ من الدستور وانتخاب رئيس جديد ، ولقد تلقيت كتاب استقالة الرئيس صباحا ودعوت النواب حالا للاجتماع وفي مساء ذلك اليوم تلقيت قراركم بحل مجلس النواب . فهل بدا منه عمل غير دستوري أو أنه امتنع عن القيام بواجبه حتى جنحتم الى حله ؟! ان استقالة الوزارة واستقالة **رئيس الجمهورية لا تكون سببا لحل مجلس** النواب وتعطيل الدستور . فقد استدرك الدستور نفسه هذه الاحداث وبين طرق معالجتها وقد قمنا بهذه المعالجة » .

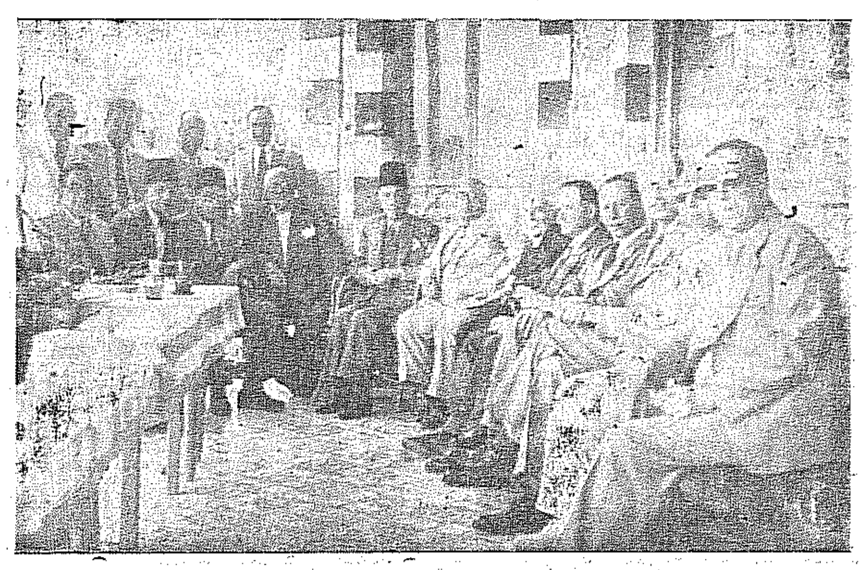
احالته على التقاعد

وفي عهد حكومة السيد بهيج الخطيب احيل فارس الخوري على التقاعد في مطلع عام ١٩٤٠ من منصبه كأستاذ في كلية الحقوق .

خلاصة الاحداث بين عهدين

نشبت الحرب العالمية الثانية في أيلول ١٩٣٩ فخضعت سورية للتدابير العسكرية التي تستوجبها حالة الحرب **وعندما انكسرت فرنسا في تموز ١٩٤٠ اتضح أن سلطات فيشي تريد الاحتفاظ بنظام الانتداب .** وفي مطلع عام ١٩٤١ جاء **الجنرال دانتز** كمفوض سام جديد في سورية ولبنان . **فأذاع السيد شكري القوتلي بيانا ضد حكومة المديرين العامين جاء فيه أن الحكم الفرنسي لم يبق له أي مبرر طالما أن جمعية الامم أوقفت أعمالها** . وفي ٢ نيسان ١٩٤١ أذيع نبأ انتهاء مهمة مجلس المديرين العامين وقيام حكومة جديدة بصفة مجلس وزراء برئاسة **السيد خالد العظم** . وفي

حزيران ١٩٤١ دخلت قوات الحلفاء (الانكليز والفرنسيون الاحرار) سورية ولبنان بعد أن وعدت بالاعتراف باستقلال البلدين . **وفي ١٣ أيلول ١٩٤١ أعلن نبأ اختيار الشيخ تاج الديـــن الحسني رئيسا للجمهورية السوريـة** (بطريقة غير دستورية) وتألفت الوزارة الاستقلالية الاولى برئاسة **السيد حسن الحكيم** الذي حصل في بداية حكمه على تصريح ٢٧ ايلول المشهور الذي أذاعه الجنرال كاترو باسم فرنسا الحرة معلنا انتهاء الانتـــداب واستقلال سورية وسيادتها وضمان هذا الاستقلال بمعاهدة تعقد فيما بعد وتحدد نوع العلاقة بين سورية وفرنسا . **كما تمكن السيد حسن الحكيم من اعادة محافظتي اللاذقية وجبل الدروز الى الوطن السوري الام فـــي كانون الثاني ١٩٤٢** ،وأخذت الدول الاجنبية تعترف باستقلال ســـورية الواحدة تلو الاخرى وعينت بريطانيا أول وزير مفوض لها في سورية وكان



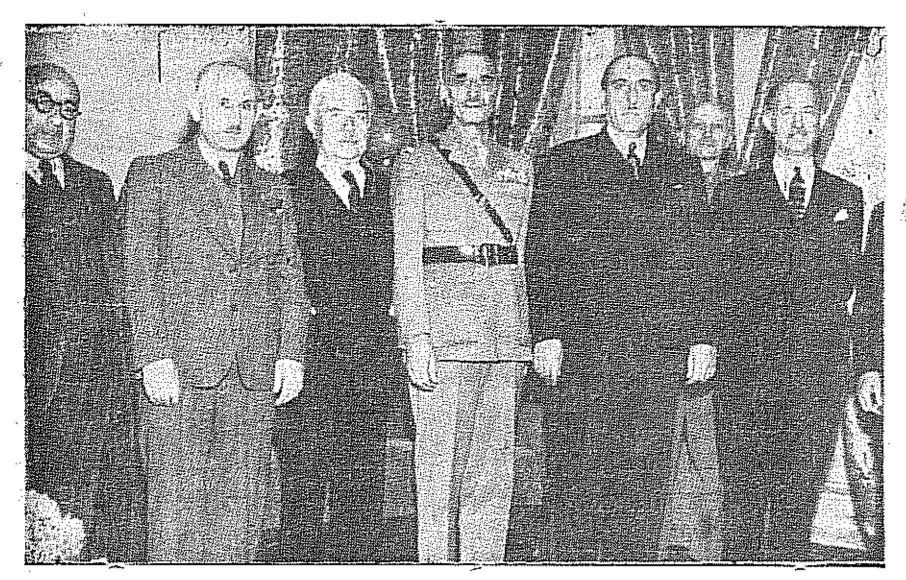
السيد عطا الايوبي رئيس الدولة السورية يتصدر حفلة تكريمية اقامها السيد نظمـــي الفراوي في دمر بتاريخ ١٠ حزيران ١٩٤٣ ويبدو رحمه الله في الوسط وعن يمينه خالـــد العظم فالسيد صبري العسلي فالاستاذ حبيب كحالة صاحب مجلة المضحك المبكي فالاستـاذ وجيه الحفار صاحب جريدة الانشاء وعن يساره لطفي الحفار فالاستاذ فارس الخوري فالامير مصطفى الشهابي وزير المالية والاقتصاد والاعاشة والتموين فالسيد فيضي الاتاسي وزيـــر المعارف والعدلية فالسيد نعيم الأنطاكي وزير الخارجية والاشغال العامة فالاستاذ الدكتـــور حسني سبح عميد الجامعة السورية فالاستاذ سامي الميداني رئيس معهد الحقوق العربي .

الجنرال ادوارد سبيرس كما تمكنت وزارة السيد حسن الحكيم من انتزاع بعض السلطات والصلاحيات الهامة التي كانت بيد الفرنسيين .. وفي ١٨ نيسان ١٩٤٢ تألفت حكومة جديدة برئاسة **السيد حسني البرازي** . ثم في ٤ كانون الثاني ١٩٤٣ وزارة جديدة برئاسة **السيد جميل الالشي** وفي ١٧ منه ، توفي **رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين الحسني** فنشأ عن ذلك وضع أوجب على الفرنسيين أن يتدخلوا لاقصاء حكومة الالشي في ٢٥ آذار ١٩٤٣ وتأليف حكومة انتقالية جديدة مهمتها اجراء انتخابات ... عامة في البلاد برئاسة **السيد عطا الايوبي** التي قامت بمهمتها على افضل وجه ممكن .

ترؤسه البرلمان ، ثم الوزارة ، في العهد الوطني الثاني

اجتمع مجلس النواب الجديد في ١٧ آب ١٩٤٣ وانتخب لرئاسته فارس الخوري ، ثم انتخب لرئاسة الجمهورية بالاجماع السيد شكري القوتلي فتألفت الوزارة الوطنية الاولى برئاسة سعد الله الجابري وعضوية جميل مردم للخارجية ولطفي الحفار للداخلية ونصوحي البخاري للمعارف والدفاع وخالد العظم للماليه وتوفيق شامية للاقتصاد ومظهر رسلان للاشغال والاعاشة والتموين وعبد الرحمن الكيالي للعدلية وبذلك بدأ العهد الوطني الثاني الذي صرف اهتمامه لتسلم الصلاحيات من الفرنسيين وكانت قد تمت في لبنان انتخابات مماثلة **انتخب الشيخ بشارة خليل الخوري باثرها رئيسا للجمهورية وتألفت الوزارة برئاسة السيد رياض الصلح** فتفاوضت الحكومتان مع الجنرال كاترو وتوصلتا الى اتفاق ٢٣ كانون الاول ١٩٤٣ وبموجبه تسلمتا من الفرنسيين المصالح المشتركة وادارة حصر التبغ والامن العام والآثار ومراقبة الشركات .

وكان السيد مصطفى النحاس رئيس الوزارة المصرية قد دعا منذ عام ١٩٤٢ للاشتراك في محادثات غرضها « تشكيل جامعة عربية تؤيد الاماني الوطنية وتخدم مصالح العرب في الحاضر والمستقبل » وكانت الحكومة البريطانية قد أيدت هذه الفكرة بلسان وزير خارجيتها **السيد انطوني ايدن** الذي صرح في ٢٩ ايار ١٩٤٢ بقوله : « **ويظهر لي أنه أمر طبيعي وعادل بأن تقوى الروابط الثقافية والاقتصادية حتى والسياسية بين البلاد العربية ، وحكومة صاحب الجلالة تؤيد الى أقصى حد كل**



عندما ارتكبت فرنسا حماقتها المشهورة في لبنان باعتقالها لرئيس الجمهورية الشيخ بشارة خليل الخوري ورئيس وزرائه رياض الصلح وبعض اركان العهد حدثت ازمة وثورة استوجبت تراجعها وانحسار مدها على يد احد عقلائها الجنرال كاترو الذي يبدو في هذه الصورة اثناء زيارته التي قام بها الى رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي ومباحثاته معه بشأن تلك الازمة . ويظهر عن يمينهما فارس الخوري رئيس مجلس النواب فالدكتور عبد الرحمن الكيالي وزير العدلية فالسيد لطفي الحفار وزير الداخلية ، وعن يسار الرئيس القوتلي ، السيد سعد الله الجابري رئيس مجلس الوزراء .

مشروع ينال موافقة الجميع » . وفي ٢٥ أيلول ١٩٤٤ عقدت في الاسكندرية لجنة تحضيرية استمرت اجتماعاتها حتى ٧ تشرين الاول من ذلك العام وقررت بنتيجة اجتماعها تأسيس جامعة الدول العربية بعد أن وضعت لها الخطوط الاساسية في الوثيقة المعروفة باسم (**بروتوكول الاسكندرية**) .

وفي تشرين الاول ١٩٤٤ **فوجيء الرأي العام باستقالة رئيس الوزارة السورية السيد سعد الله الجابري** اثر عودته من الاسكندرية حيث حضر اللجنة التحضيرية لتأسيس الجامعة العربية ، بعد بيان ضاف ألقاه الرئيس الجابري في الندوة النيابية ، ولم يكن في الجو ما يبرر هذه الاستقالة .. ولكن سببها كان يكمن في نفس الاستاذ سعد الله الجابري الذي كان يطمع بترؤس مجلس النواب السوري ، فكان له ما أراد حيث فاز بأكثرية ٦٧

صوتا ضد ٤٣ نالها رشدي الكيخيا .. ومما قاله رئيس مجلس النواب الجديد سعد الله الجابري اثر انتخابه :

((وانني اشكر سيدي رئيس المجلس السابق الذي سبق الجميع وأعطانا الدروس في الحياة النيابية بما ابداه خلال رئاسته من مقدرة وبلاغة ولغة . فنحن تلامذته . فاذا خلفته فليس ذلك على استعداد ، بل كتلميذ يحاول أن يقتدي بأستاذه . انني أقدم له الشكر للسنين الطويلة التي مرت على رئاسته لهذا المجلس وأتمنى له في الحكم الذي يرأسه مع زملائه التوفيق (اذ كان الخوري قد أضحى رئيسا للوزارة) ليؤدوا الواجب الذي يتطلبه الوطن من تعاون بينهم وبين المجلس والرئيس الاول وفيما حصل اليوم أكبر الدلالة على ذلك ولذلك أرفع اليه خالص شكري وتعظيمي واجلالي ، ولا تنتظروا ان أكون أملك علمه وفصاحته ومقدرته ، وقد يكون بين المزاجين تباين لما له من اختصاص وسابق تجارب فهو الاستاذ المعلم وأنا الساكت المتعلم)) .

في حين وقف الاستاذ فارس الخوري — في الندوة البرلمانية — يجيب بقوله :

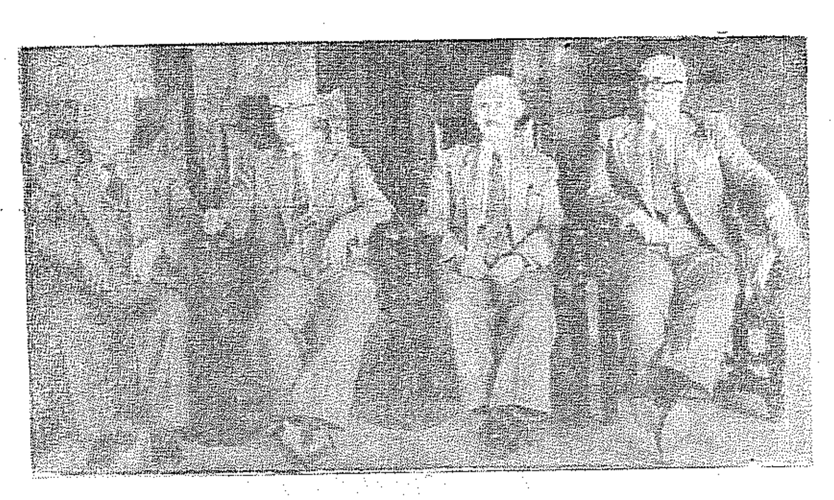
((لقد سرني أن السيد رشدي الكيخيا كان أول من صفق عند اعلان النتيجة . وجرى على القاعدة الاميركية وهي أن أول شخص يتقدم الى تحية الفائز وتهنئته هو منافسه . وانني أعتبرهما كليهما رابحين . ويسرني جدا أنني سمعت من السيد الجابري انه منذ الآن ليس لشخص ولا لحزب بل للمجلس دون تفريق . وقد اخجل السيد الجابري تواضعي بما احاطني به من ثناء ولباقة وانني أقول : اذا فقدتم درهما فقد ربحتم دينارا)) .

هذا .. وكان الاستاذ فارس الخوري قد شكل الوزارة الجديدة على الشكل الآتي :

((فارس الخوري رئيسا لمجلس الوزراء ووزيرا للمعارف والداخلية ، السيد جميل مردم بك وزيرا للخارجية والدفاع والاقتصاد الوطني ، خالد العظم وزيرا للمالية والاعاشة والتموين ، الدكتور عبد الرحمن الكيالي وزيرا للعدلية والاشغال العامة)) .

وفي ٤ آذار ١٩٤٥ أجرى تعديلا وزاريا أدخل بموجبه الى وزارته ، الاستاذ صبري العسلي كوزير للداخلية ، وأحمد الشراباتي كوزير للمعارف .

وقد كان لتولي فارس الخوري رئاسة السلطة التنفيذية في هذا البلد المسلم وهو الرجل المسيحي صدى عظيم .. فقد كتبت جريدة



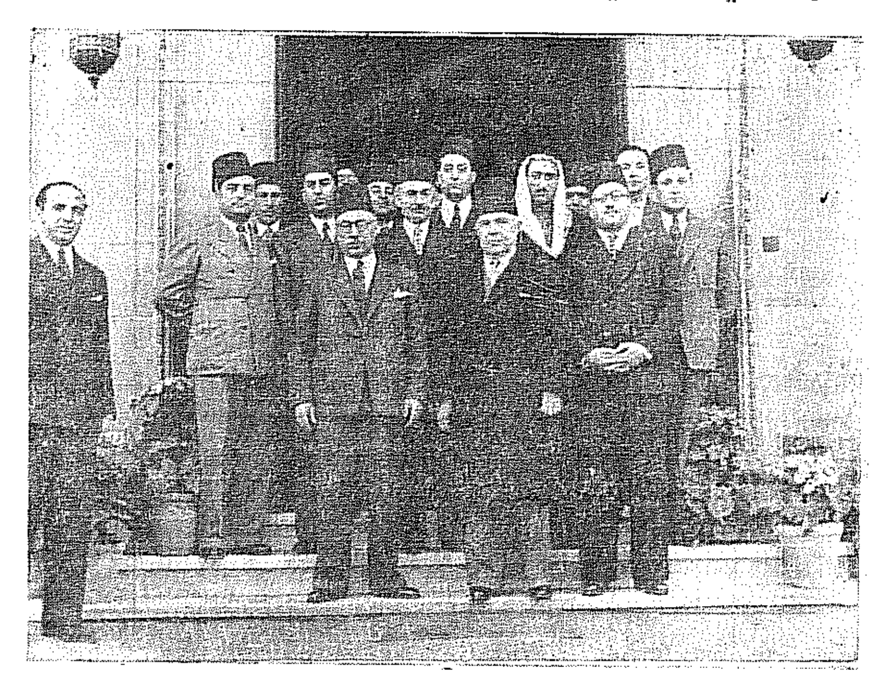
صورة تذكارية لاول وزارة تراسها فارس الخوري ويبدو رحمه الله الى يسار القارىء وعن يساره السيد جميل مردم بك وزير الخارجية والدفاع والاقتصاد الوطني فالدكتور عبد الرحمن الكيالي وزير العدلية والاشغال العامة فالسيدخالد العظم وزير المالية والاعاشةوالتموين

(الديلي ميل) بتاريخ ١٧ تشرين الاول ١٩٤٤ تقول :

« كان رئيس الوزارة الجديدة يقوم بأعباء رئاسة المجلس النيابي سابقا ، وهو عميد السياسة السورية وقد سار في سائر أدوارها منذ العهد العثماني ، وهو ذو دماغ جبار ويعتبر أكبر وأقدر مفكر في الشرق الادنى ، وهو متضلع في القانون ، والاقتصاد السياسي والادب ، ومعروف بثقافته السكسونية . وان مجيئه الى رئاسة الوزارة وهو مسيحي بروتستانتي يشكل سابقة في تاريخ سورية الحديث باسناد السلطة التنفيذية الى رجل غير مسلم مما يدل على ما بلغته سورية من النضوج القومي كما أنه يدل على ما اتصف به رئيس الدولة من حكمة وجدارة » .

وفي آخر عام ١٩٤٤ مرض فارس الخوري مرضا خطيرا وصدرت النشرات يوميا عن سير المرض حتى زال الخطر وتماثل الى الصحة . وكانت الاحداث الداخلية والخارجية تتطور في عهده بشكل يساعد على تقوية مركز سورية الدولي ومن أهم هذه الاحداث توقيعه لميثاق جامعة الدول العربية في ٢٢ آذار ١٩٤٥ وكان بصحبته السيد جميل مردم بك وزير الخارجية

عن سورية . أما مندوبو الدول العربية الستة الذين وقعوا الميثاق عن دولهم فهم : سمير الرفاعي عن شرقي الاردن وأرشد العمري عن العراق ويوسف ياسين عن المملكة العربية السعودية وعبد الحميد كرامي عن لبنان ومحمود فهمي النقراشي عن مصر وحسين الكبسي عن اليمن .



فارس الخوري رئيس الوزارة السورية ، وعن يمينه السيد جميل مردم بك وزير الخارجية والدفاع . فالاديب المعروف الاستاذ البير نجيب غطاس ، وعن يسارم السيد عاصم النائلي القائم بأعمال المفوضية السورية في القاهرة فالدكتور سهيل فارس الخوري . ويظهر من ورائهم صلاح السعدي وشريف قطمة ويوسف عبد الغفار الاطرش وعزت الحافظ وصبحي الشوربجي والدكتور خالد بوظو وغيرهم .. وذلك في دار المفوضية السورية في القاهرة

كما أن منها ، اعلانه الحرب على دولتي المحور المانيا واليابان ، تمهيدا لحضور سورية مؤتمر سان فرنسيسكو ، ولدخولها منظمة الامم المتحدة التي كان مزمعا تأسيسها . وفعلا .. أعلنت وزارة الخارجية الامريكية رسميا في ٢٩ آذار ١٩٤٥ أن الدول الاربع التي تشرف على تنظيم مؤتمر

سان فرنسيسكو وهو المؤتمر التمهيدي الذي وضع ميثاق هيئة الامم المتحدة قد اتفقت على ضرورة دعوة سورية ولبنان للاشتراك فيه .. **وهنا رأى فارس الخوري أن البلاد قد دخلت في طور جديد ولذلك أصبح من المعقول أن يعيد لرئيس الدولة الامانة التي سلمه اياها ليرى رأيه فيها بايداعها لمن يجد من الحكمة ايداعها اليه** . وعلى ذلك – وأثناء الاستعداد لحضور المؤتمر المذكور – وقف فارس الخوري في جلسة البرلمان في الرابع من نيسان ١٩٤٥ يلقي بيانا ، تكلم فيه عن التطورات الجديدة ، قال فيه بأن هذا الدور منذ بداءته كان له هدف أول ، هو تخليص البلاد من الاصابع الاجنبية ومن النفوذ والتدخل الاجنبي . وقد وصلنا من جهة استقلالنا الداخلي ومن جهة تأمين السيادة التامة الى مرتبة ما كنا نأمل الوصول اليها بهذه السرعة .. فقد قبلنا وسجلنا بصورة نهائية في عداد الامم المستقلة والامم المتحدة ... **كنا يا سادتي نشتهي فيما مضى أن نخرج من عزلتنا التي أوجدنا فيها الاجنبي ضمن نطاق لا يسمح لنا بالخروج منه ...** عزلة عن اخواننا العرب ، وعزلة عن نور الدنيا والفرج الخارجي ، والآن بحمد الله حصلنا على هذين النورين ... نحن نعتبر ايها الاخوان أن البلاد دخلت في صفحة جديدة وطور جديد بعد هذين الحدثين المظيمين ، توقيع ميثاق جامعة الدول العربية والدعوة الى مؤتمر سان فرنسيسكو . **وعند تبدل الصفحات السياسية في البلاد يكون من الحكمة والانصاف أن يفسح المجال لرئيس الدولة وأحيانا للامة كلها أن تنظر في الامر مجددا . فنحن في هذا الموقف رأينا أنه بعد الوصول الى هذه الصفحة الجديدة أصبح من المعقول أن نعيد الى رئيس الجمهورية الامانة التي سلمنا اياها** ليرى فيها رأيه الموفق للصواب بايداعها للايدي التي يجد من الحكمةايداعها اليها لتواجه الصفحة الجديدة من صفحات تاريخ العرب المجيد !! ..

وزارة فارس الخوري الثانية

الا أن رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي عهد اليه مجددا بتأليف الوزارة فألفها على الشكل التالي :

فارس الخوري رئيسا لمجلس الوزراء ، جميل مردم بك نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية والدفاع الوطني ، سعيد الغزي وزيرا للعدلية ووكيلا لوزارة الاعاشة والتموين ، نعيم الانطاكي وزيرا للمالية ، صبري



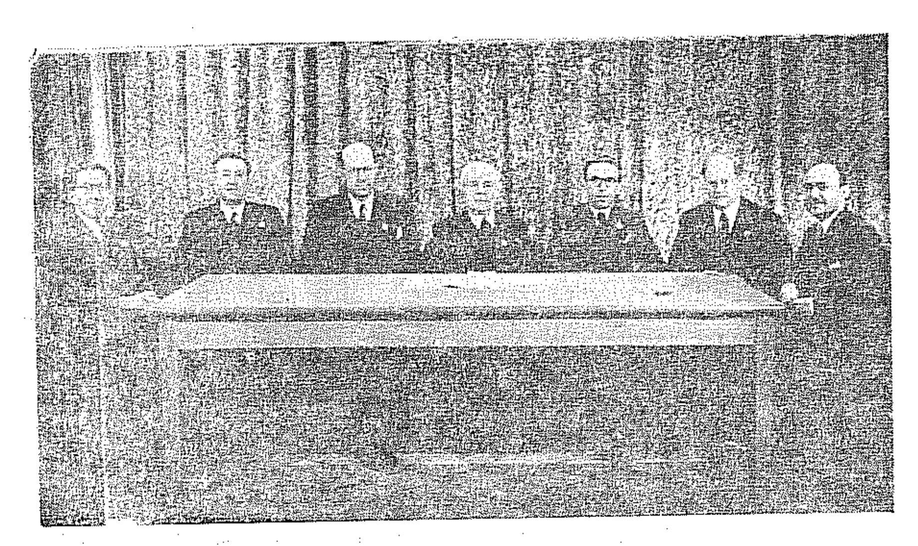
رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي يتحدث الـــى رئيس وزرائه فارس الخوري وبينهما ظهر السيد صبري العسلي وزير الداخلية ، على اقصى يسار القاريء يبدو السيد سعد الله الجابري رئيس مجلس النواب ، وعلى اقصى يمين القاريء يبدو السيـــد خالد العظم ولطفي الحفار ، ووراء الرئيس الخوري ، وقف قاضي دمشق الشرعي الشيـــخ عزيز افندي الخاني .

العسلي وزيرا للداخلية ، أحمد الشرباتي وزيرا للمعارف ووكيلا لـوزارة الاقتصاد الوطني ، حكمت الحكيم وزيرا للاشغال العامة .

وفي ٩ نيسان ١٩٤٥ القى فارس الخوري بيان حكومته الوزاري فنال الثقة بأكثرية ساحقة .

الى سان فرنسيسكو

وفي ١٠ نيسان ١٩٤٥ تشكل وفد سورية الى مؤتمر سان فرنسيسكو برئاسة الاستاذ فارس الخوري رئيس مجلس الوزراء وعضوية الاستـــاذ



فارس الخوري في الوسط ، وعن يمينه السيد نعيم الانطاكي فالدكتور فريد زين الدين فالدكتور توفيق هنيدي . وعن يساره الدكتور ناظم القدسي فالمهندس نـور الدين كحالـة فالاستاذ رجاء الحوراني ، وذلك في سان فرنسيسكو في القارة الامريكية .

***

نعيم الانطاكي وزير المالية والدكتور **ناظم القدسي** وزير سورية المفوض لدى الولايات الامريكية المتحدة ، **وفريد زين الدين** ، والمهندس **نورالدين كحالـة** خبيرا ، والدكتور **توفيق محمد سعيد الهنيدي** سكرتيرا .

وفي اليوم التالي لتأليف الوفد توجه رئيس وأعضاء هذا الوفد الى بيروت وفي ١٣ نيسان ١٩٤٥ ركبوا الطائرة ومعهم الوفد اللبناني برئاسة **السيد وديع نعيم** وزير الداخلية اللبنانية .

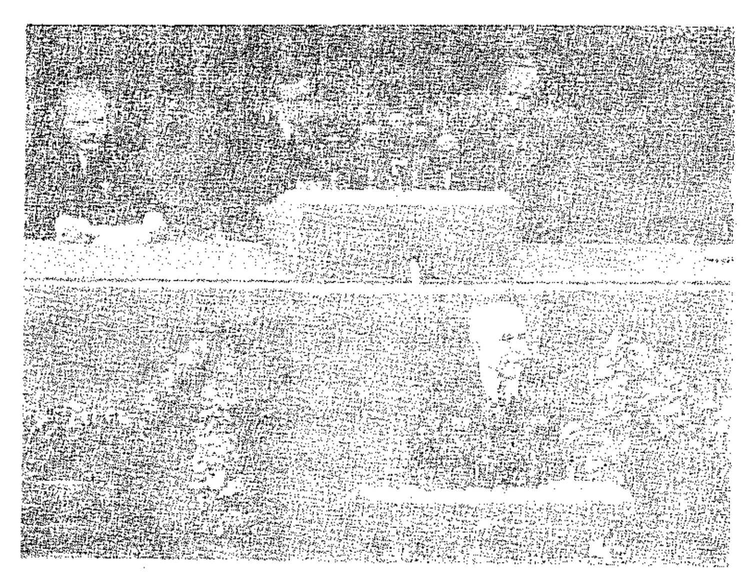
وهكذا بدأت مرحلة جديدة في حياة فارس الخوري وهي مرحلـة دخوله في ميدان العمل الدولي ، فـي أعظم منظمة رآهـا الجنس البشري حيث تابع نضاله لتوطيد استقلال سورية وسيادتها وسيادة البلاد العربية وللدفاع عن مبادىء الحق والعدل والحرية والديموقراطية في العالم أجمع .

كلمة فارس الخوري في الندوة الدولية

ووصل الوفدان سان فرنسيسكو في ٢٤ نيسان ١٩٤٥ . وكانا مـرا

بنيويورك ومكثا فيها بعض الوقت اجتمعا خلاله بالوفود العربية هناك وعقدا معهم اجتماعا تمهيديا لتوحيد الخطط في المؤتمر . **وكانت جاسة المؤتمر الافتتاحية في ٢٥ نيسان ١٩٤٥** حضرها ممثلو ست واربعين دولة(اصبحت في نهاية المؤتمر واحدا وخمسين دولة) من قارات الدنيا الخمس ، وألقى السيد **هاري ترومان** رئيس الولايات المتحدة الاميركية الجديد خطبة الافتتاح مهنئا ببلوغ النوع البشري العصر السعيد !! . .

وفي ٢ أيار أعلن **فياشيسلاف مولوتوف** وزير الخارجية السوفييتية الذي كان يرأس المؤتمر ان الكلام للسيد **فارس الخوري رئيس وزراء سورية فالقى** فارس الخوري خطبته باللغة الانكليزية ، تلك التي بدأها بشكر الولايات المتحدة على ضيافتها وحسن استقبالها وأبدى أسفه وحزنه على وفاة الرئيس الامريكي السيد فرانكلين روزفلت الذي كان يتوق الى مشاهدته ليبلغه شكر الشعب السوري على مساعدته سورية في الحصول على حقوقها (وكان الرئيس روزفلت قد توفي في ١٢ نيسان المنصرم) ثم تطرق الى ما لموقع سورية الجغرافي من أهمية دولية كبرى واعلن استعدادها وشقيقاتها العربيات لتلبية نداء البشرية من أجل تفاهم



فارس الخوري يعتلي منبر الهيئة الدولية متكلما ، ويبدو على منصة الرئاسة ، في اقصى يسار القاريء ، السيد فياشيسلافا مولوتوف وزير الخارجية السوفييتية ورئيس المؤتمر



السيد فرانكلين روزفلت رئيس الولايات الامريكية المتحدة الراحل

***

متبادل أتم وتعاون أوثق ثم تحدث عن خطورة المهمة الملقاة على عاتق المؤتمر واظهر تفاؤله في امكان تحقيق الفكرة السامية التي تهدف اليها المنظمة العالمية بالاعتماد على العقل الذي يخلق النظام ويعدل الطمع ، وبمعالجة المشاكل بروح العدل والا فانها تبقى شوكة بجانب الجسم الدولي .

وقد نال فارس الخوري تقدير العالم واعجابه منذ ذلك اليوم واضحى من الشخصيات الكبرى المعروفة في أوساط الامم المتحدة . **وكان أول من هناه على هذه الخطبة السيد مولوتوف ، ثم السيد ادوارد ستاتينيوس مندوب الولايات الامريكية المتحدة** (الذي كان قد شغل وزارة الخارجية في بلاده بعهد الرئيس الراحل روزفلت) **وغيرهما من رؤساء** وفود العالم .

وبديهي أن يشترك فارس الخوري بتوقيع ميثاق الامم المتحدة نيابةعن سورية كعضو مؤسس .

وفي ٢٩ حزيران ١٩٤٥ منحته جامعة كاليفورنيا (الدكتوراه الفخرية) في الخدمة الخارجية **اعترافا بمآثره العظيمة** في حقل العلاقات الدولية .

حوادث العدوان الفرنسي على سورية

وفي تلك الاثناء كان يبدو للعيان أن فرنسا لم تكن ترغب في التنازل عن نفوذها في سورية ولبنان بالرغم من اعترافها باستقلال هاتين الدولتين ، وكانت أهم المشاكل المعلقة بين الجانبين ، مشاكل القطعات الخاصة المؤلفة من المتطوعين السوريين واللبنانيين الموضوعين تحت القيادة الافرنسية ،وقد بدأت المفاوضات لالحاقها بالحكومتين السورية واللبنانية منذ نهاية عام ١٩٤٣ بدون الوصول الى نتيجة . ثم جاء تعيين **الجنرال بينيه** مندوبا عاما وقائدا أعلى للقوات الافرنسية في سورية ولبنان في شباط ١٩٤٤ مشيرا لاستياء الحكومتين . وقامت المظاهرات تطالب بالجيش الوطني . وفي تلك الاثناء كانت (لجنة التحرير الوطنية الافرنسية) قد استبدلت بحكومة موقتة يرأسها **الجنرال شارل ده غول** الذي صرح في مطلع عام ١٩٤٥ بأن موقف فرنسا في الشرق يتلخص في الاحتفاظ بمركزها السامي في سورية ولبنان وتأسيس مطاليبها على كونها دولة منتدبة . وفي أيار ١٩٤٥ عاد الجنرال بينيه من زيارة قام بها لفرنسا ، حاملا تعليمات حكومته لفتح باب المفاوضات، ومطالبا حكومتي سورية ولبنان بالتوقيع على ثلاثة اتفاقيات تنص الاولى منها على استقلال المؤسسات الثقافية الفرنسية وتضمن الثانية المصالح الاقتصادية الافرنسية وأما الثالثة فتطلب امتيازات استراتيجية وهي تأسيس قواعد بحرية وجوية والاحتفاظ بقيادة افرنسية في الجمهوريتين ، وعلقت تسليم القطعات الخاصة مع بقائها تحت قيادة افرنسية مدة طويلة ، على توقيع هذه الاتفاقيات . . وأثناء ذلك راحت الامدادات الافرنسية تصل تباعا الى بيروت، وعلى الاثر عقدت الحكومتان السورية واللبنانية اجتماعا مشتركا في شتورة في ١٩ أيار ١٩٤٥ وقررتا رفض هذه المطالب وقطع المفاوضات مع الاحتجاج على انزال الجيوش الافرنسية وأصرتا أنهما تفتحان باب المفاوضة لعقد معاهدات فقط . عندما تحصلان على السيادة التامة .

*

وجدير بالاشارة اليه أن **السيد ونستون تشيرشل** رئيس الوزارة البريطانية كان قد أعلن في مجلس العموم منذ ٢٧ شباط ١٩٤٥ قوله :

((ليس لنا وحدنا أن ندافع بالقوة عن استقلال سورية ولبنان أو عن امتيازات الفرنسيين . فانه يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن روسيا والولايات المتحدة

قد اعترفنا بالاستقلال السوري واللبناني كما أنهما تحبذانه ولا ترضيان بأي مركز خاص لاية دولة أجنبية ».

واجتمع مجلس النواب السوري في **٢٠ أيار ١٩٤٥** برئاسة رئيسه السيد سعد الله الجابري وكانت جلسة صاخبة تكلم فيها كل من **غالب العظم وأكرم الحوراني** نائبا حماة **ورشدي الكيخيا** نائب حلب الذي ناشد الزائرين الاجانب وممثلي دول الحلفاء والدول العربية أن يقفوا من قضية سورية موقفا مناسبا .. وكان مما قاله الاستاذ **أكرم الحوراني** : « لقد قلنا ولا زلنا نقول أن عقلية الافرنسيين لم تتبدل وأن ما طلبته فرنسا عام ١٩٢٠ هو عين ما طلبته عام ١٩٣٦ وهو نفس ما تطلبه الان عام ١٩٤٥ وهم يطلبون مركزا ممتازا وبهذا المركز يطلبون امتيازات ثقافية واقتصادية وعسكرية بحرية وبرية وجوية .. لقد صرح وكيل الخارجية الاميركية بأن اعتراف اميركا باستقلال سورية مرتبط بشرف مائة وخمسين مليون أميركي .. ان وضعنا اليوم يختلف تماما عنه في عام ١٩٢٠ اذ أصبحنا أمة عربية تضم خمسين مليونا من العرب يشعرون بشعور واحد » .

وقد طلب **الاستاذ الحوراني تأليف الجيش ودعوة المتطوعين الى** الالتحاق بوزارة الدفاع السورية .

وأضربت البلاد .. وجرت الاصطدامات المسلحة بين الاهلين وقوات الاحتلال وكان من أشنع ما حدث ، محاصرة الفرنسيين للبرلمان السوري واطلاق القنابل عليه والتمثيل بحاميته ، محاولة منهم لاغتيال رجال الحكومة والنواب .. ولكن كان هنالك من أنبأ الرئيس سعد الله الجابري بالذي سيحدث فلم تعقد الجلسة . وكان ذلك في ٢٩ أيار ١٩٤٥ .

انـذار تشرشل

وبعد ظهر الحادي والثلاثين من أيار ١٩٤٥ أبرق السيد ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية برقيته التاريخية الى الجنرال شارل دي غول رئيس الحكومة الافرنسية الموقتة بعد أن درس الحالة في سورية على ضوء المعلومات التي أرسلها اليه وزيره المفوض المستر شون . وقد جاء في هذه البرقية :

« نظرا للحالة الحرجة التي أدى اليها الامر بين جيوشكم وبين دول الشرق . ونظرا للقتال الدامي الذي يجري . فاننا آمرنا بملء الاسف القائد

الاعلى للجيش البريطاني التاسع بالشرق الاوسط بالتدخل لمنع موصلة اراقة الدماء . وذلك حرصا على الامن في الشرق الاوسط كله الذي تجري فيه الاعلى للجيش البريطاني التاسع بالشرق الاوسط بالتدخل لمنع مواصلة اراقة الدماء . وذلك حرصا على الامن في الشرق الاوسط كله الذي تجري فيه المواصلات للحرب مع اليابان . وتحاشيا للاصطدام بين القوات البريطانية والافرنسية فانا نطلب منكم أن تأمروا حالا ، الجيوش الافرنسية بوقف اطلاق النار والعودة الى ثكناتها وحالما يتوقف اطلاق النار ويعود النظام فاننا نكون مستعدين لاجراء محادثات ثلاثية في لندن)) .

ووافق الرئيس الاميركي هاري ترومان على قرار الحكومة البريطانية .

وتوقفت أعمال العدوان على الفور .. وبدات القوات الافرنسية الانسحاب الى ثكناتها .

وانعقد مجلس الجامعة العربية للبحث في هذا العدوان واتخذ مقررات حازمة بشأنه .

وكان لهذا العدوان صدى بعيد الاثر في الراي العام العالمي الذي استهجن اقدام فرنسا على تلك الاعمال لمجرد أن السوريين يطالبون بحقهم المشروع في الحرية والاستقلال ..

وراح السوريون المتطوعون في الجيش الافرنسي يفرون من الثكنات حاملين أسلحتهم ومعداتهم التي هي تحت أيديهم ويلتحقون بوزارة الدفاع السورية مشكلين بذلك نواة الجيش الوطني .



السيد ونستون تشرشل والسيدة عقيلته

عودة فارس الخوري الى دمشق

وعاد فارس الخوري الى دمشق في شهر تموز ١٩٤٥ . وفي ١٤ آب من ذلك العام عقد مجلس النواب السوري جلسة استثنائية في مدرج الجامعة السورية نظرا لتخريب ندوته أثناء العدوان .. ليستمع الى تفاصيل رحلة الخوري في ديار الغرب . وقبل أن يستمع الى هذه التفاصيل وقف بعض نواب المعارضة يوجهون نقدهم الجارح الى بعض الوزراء متهمين اياهم بالاستئثار بالمال ورخص التصدير والارباح .. ومتهمين السيد جميل مردم بك نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية بالتحيز وعدم التقيد بالشهادات في تعيين الموظفين وعدم اختيار الاكفاء بل مراعاة الانصار وذوي القربى ..

ميثاق الامم .. وثورة المعارضة

وفي ٢٠ آب ١٩٤٥ تلا الاستاذ فارس الخوري رئيس الوزراء في مجلس النواب السوري بيانا مفصلا عن خطة وزارته في سياسة الاستقلال والسياسة الخارجية والتمثيل السياسي والجيش والمالية والتنسيق الاقتصادي والمعارف وشؤون الموظفين ونظام العشائر وحرية الصحافة والمصالح المشتركة التي تربطنا بلبنان والمشاريع المثمرة ثم انتقل ثانية الى **ميثاق الامم المتحدة الذي نص على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع الاعضاء واستثناء أعضاء المنظمة من نظام الوصاية والانتداب**، وتأييد الاتفاقات الاقليمية وعدم التدخل في شؤون مستلزمات السيادة الوطنية والاطمئنان على دفع أي اعتداء محتمل واستعادة أي حق مغصوب .. وقد أقر مجلس النواب السوري ميثاق هيئة الامم المتحدة وأبرمه رئيس الجمهورية .

●

وقام بعد ذلك كل وزير باعطاء تقرير عن أعمال وزارته ولكن المعارضة لم تكن راضية عن تصرفات بعض الوزراء فأصرت على القول بأنه لا يمكنها القضايا أو اعطاء الصلاحية الواسعة أو التفويض بصرف الملايين ما لم تتقدم لقضايا أو اعطاء الصلاحية الواسعة أو لتفويض بصرف الملايين ما لم تتقدم أمام المجلس حكومة تتمتع بثقة الشعب ونوابه . فتكلم السيد سعد الله الجابري رئيس مجلس النواب مذكرا أعضاء البرلمان أنه ليس لمجلسهم حق طرح الثقة في الدورة الاستثنائية .. ورفعت الجلسة .

وزارة فارس الخوري الثالثة

وبعد ذلك بثلاثة أيام رفع الاستاذ فارس الخوري استقالة وزارته الا أن رئيس الجمهورية عاد فكلفه بتأليفها من جديد . فألفها بعد ثلاثة أيـام أخرى (في ٢٦ آب ١٩٤٥) على الشكل التالي :

فارس الخوري رئيساً لمجلس الوزراء ، لطفي الحفار وزيراً للداخلية ، خالد العظم وزيراً للمالية والدفاع الوطني ، صبري العسلي وزيراً للعدلية ، أحمد الشرباتي وزيراً للمعارف ، الدكتور حكمت الحكيم وزيراً للاشغـال العامة ، حسن جبارة وزيراً للاعاشة والتموين ، ميخائيل ليان وزيـراً للخـارجية .

وفي ٢٨ آب ١٩٤٥ وقف فارس الخوري رئيس الوزراء يلقي بيـان وزارته الجديدة امام مجلس النواب مبديا شديد حرصه على احترام مبادىء الحياة البرلمانية من جهة وعلى محاولة توحيد الصفوف لاتخاذ التدابـير الخطيرة المقبلة من جهة أخرى . وتحدث عن السبب الذي حدا به للاستقالة وأنه الرغبة بتحقيق ارادة المجلس في أن تاتي الى الحكم وزارة موثوق بهـا كما عبر عن ذلك بعض النواب في الجلسة الماضية . وأشار الى أن البلاد بحاجة اليوم للظهور صفا واحدا وأنه كان بوده لو تمكن من تأليف وزارة مؤتلفة . ولكن مناقشة البيان اتصفت بالخروج عن موضوعه ، والتعـرض للاشخاص بالحدة والعاطفة والاحراج ، ووصف تشكيل الوزارة من ثمـانية أعضاء بالمخالفة الدستورية (اذ كانت المادة ٨٩ من الدستور السوري توجب ألا يزيد عدد الوزراء على السبعة) فأجابهم الرئيس الخوري أن رئيس الوزراء لا يعتبر من ضمن السبعة ، وذكرهم بالسابقة التي كانت فيها حكومة سعد الله الجابري مؤلفة من ثمانية أعضاء بما فيهم الرئيس ، وهنا وقف السيـد أحمد الشراباتي وزير المعارف والاقتصاد الوطني يعلن استقالته من الوزارة لئلا تبقى للمعارضين حجة .. فتولى الرئيس الخوري شؤون وزارة المعارف وأوكل الوزير جبارة مهام وزارة الاقتصاد الوطني .ونالت الوزارة الثقـة . ولكن المتاعب لم تنته . فان السيد **شكري القوتلي رئيس الجمهورية** لم يكن مرتاحا لوجود السيد **ميخائيل ليان** وزيرا للخارجية فراح يضع العراقيـل التي لا يمكن تخطيها .. بوجه هذه الوزارة . فأقنع كلا من الحفار والعسلي بالاستقالة من الوزارة . ثم مرض الرئيس الخوري ، فأوفد الرئيس القوتلي

طبيبه الخاص الاستاذ الدكتور حسني سبح لينصحه بالاعتصام بالراحة والهدوء ولم يكن من عادة الدكتور سبح أن يعود الاستاذ الخوري أو يعالجه .. وأخيرا ، اضطر فارس الخوري الان يرفع استقالته في ٣٠ أيلول ١٩٤٥ فخلفه برئاسة الوزارة من جديد السيد **سعد الله الجابري** .

عودته الى رئاسة المجلس وترؤسه الوفد السوري

وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٥ التأم مجلس النواب السوري في دورته العادية ، وانتخب الاستاذ فارس الخوري رئيسا لهذا المجلس بأكثرية (٥٥) صوتا ضد (٤٠) نالها منافسه السيد **لطفي الحفار** الذي وصف يومئذ بأنه مرشح القصر الجمهوري لهذه الرئاسة .

ثم ترأس الوفد السوري لدى منظمة الامم المتحدة .

شكوى سورية ولبنان من وجود قوات اجنبية بأراضيهما

وسافر فارس الخوري ثانية الى لندن حيث عقدت الهيئة الدولية للامم المتحدة اجتماعاتها هناك من ١٤ كانون الثاني حتى ١٨ شباط ١٩٤٦ ليرتفع صوته بالاحتجاج على اتفاق فرنسي بريطاني ، وقع في ١٣ كانون الاول ١٩٤٥ وينص على بقاء قوات أجنبية كافية للمحافظة على الامن الى أن تقر منظمة الامم المتحدة تنظيم الامن المشترك في منطقة الشرق الادنى ، وليرفع وزميله اللبناني **حميد فرنجية** شكوى دولتيهما الى **مجلس الامن الدولي** ، مشيران الى الخطر الذي يشكله بقاء قوات أجنبية في بلادهما . وكان مجلس الامن وقتذاك (وهو من أهم الهيئات التي اوجدها ميثاق الامم المتحدة اذ تناط به مسؤولية الامن الدولي) يتشكل من خمسة أعضاء دائميين هم : (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وانكلترا وفرنسا والصين) وستة أعضاء غيرهم ينتخبون لمدة سنتين ويراعى في انتخابهم التوزيع الجغرافي ومدى مساهمة بلادهم في صيانة الامن العالمي . وكان الاعضاء الستة (أوستراليا والبرازيل وبولونيا ومصر والمكسيك وهولندا) وكان يرأس وفد مصر عامذاك وزير خارجيتها السيد **عبد الحميد بدوي** ومن اعضائه **عبد الفتاح عمرو وممدوح رياض** وكانت حجتهما في رفع الشكوى تتلخص في أن الجيوش الفرنسية والبريطانية لا تزال في سورية ولبنان بالرغم من أن حالة

الحرب قد انتهت (انتهت الحرب مع ألمانيا في ٨ أيار ومع اليابان في ١٤ آب ١٩٤٥) وان وجود هذه الجيوش (الذي يشكل مساسا خطيرا بسيادة الدولتين العضوتين في الامم المتحدة) قد يؤدي الى منازعات خطيرة ، وقد برهنت الحوادث في الماضي في ٢٩ أيار ١٩٤٥ أن بعض هذه الجيوش كانت تهدد السلام بصورة دائمة في هذه المنطقة . ثم يشيرا الى اتفاق ١٣ كانون الاول السالف الذكر فيصفانه بأنه مخالف لنص ميثاق الامم المتحدة وروحه، ويطلبان أن يقرر مجلس الامن جلاء الجيوش الاجنبية التام عن سورية ولبنان .

وكان في أثناء انعقاد الاجتماع الاول للجمعية العمومية للامم المتحدة، جرت مفاوضات واتصالات بين اللبنانيين والفرنسيين وبين الفرنسيين والبريطانيين ، فتقرر أن يعقد اجتماع في وزارة الخارجية البريطانية في١٣ شباط ١٩٤٦ حضره المستر **أرنست بيفن** وزير الخارجية البريطانية والسير **ألكسندر كادوغان** مندوب بريطانيا في مجلس الامن **وفارس الخوري** رئيس الوفد السوري **وحميد فرنجية**رئيس الوفد اللبناني **ونجيب الارمنازي** وزير سورية المفوض **وكميل نمر شمعون** وزير لبنان المفوض ، وجرى البحث فيما اذا كان من الممكن الاتفاق بين السوريين واللبنانيين من ناحية والفرنسيين من ناحية أخرى على موضوع الجلاء وتحديد الزمن اللازم له .. وظهر في **هذا الاجتماع أن وزير** الخارجية اللبنانية السيد حميد فرنجية ووزيره المفوض كميل نمر شمعون كانا على طرفي نقيض . ففي حين كان السيد شمعون لا يرى مانعا ببقاء القوات البريطانية في بلاده كان السيد فرنجية يطالب بجلاء الجيوش البريطانية والفرنسية التام عن سورية ولبنان . وبديهي أن كفة الرجحان كانت لرأي السيد فرنجية . وانفض هذا الاجتماع على أن يبلغ العرب البريطانيين رأيهم النهائي ليحملوه الى الفرنسيين . وقد أبلغوهم فعلا بعد ظهر اليوم نفسه المبادىء الاساسية التي يوافقون عليها ، وهي التقرير النهائي للجلاء التام عن سورية ولبنان على أن لا يكون هذا الجلاء معلقا على اتخاذ أي قرار من الامم المتحدة أو من مجلس الامن ولا على أي شرط كان ، وتحديد وسائل الجلاء من الناحية الفنية وتحديد الوقت اللازم له . وقد ابلغ البريطانيون السفير الفرنسي ذلك وكان أميل الى التردد والتشاؤم .. ويؤكد لي الاستاذ حميد فرنجية أنه ورفاقه رجال الحكومتين السورية واللبنانية لم يبرح خاطرهم ما حدث عام ١٩٤٣ من حيث اعتقال **الشيخ بشارة خليل الخوري** رئيس الجمهورية اللبنانية والسيد رياض

الصلح رئيس وزرائه وبعض الوزراء والنواب .. وما حدث سنة ١٩٤٥ في سورية . بل لا يزال فيهم من يذكر سنة ١٩١٩ حينما انسحبت القوات البريطانية وحل محلها الفرنسيون وما أدى اليه ذلك العمل .

وفي الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم ١٤ شباط ١٩٤٦ عقد السوريون واللبنانيون والبريطانيون والفرنسيون اجتماعا آخر ، وقد حضره السيد حميد فرنجية وزير الخارجية اللبنانية وجورج بيدو وزير الخارجية الفرنسية ومسيو مسيغلي سفير فرنسا والكونت أسترووروغ ، وقد بدأ الاجتماع بجو غير ملائم بخلاف الاجتماع السابق الذي لم يكن فيه الفرنسيون فقال المسيو بيدو أنه لا يمكن هنا البت في الموضوع وهو انما يقبل المباحثة في شأن اتفاق ١٣ كانون الاول ١٩٤٥ ، واذا لم يتفق عليه أو على تعديله فانه يرجع اليه ويتمسك به . وكان يرفع صوته ويقول كيف يمكن أن تبقى فرنسا متهمة وحدها أمام مجلس الامن على حين انتهى الاتهام في حق الآخرين (وأشار الى البريطانيين) وبعد أن تقدم المستر بيفن باقتراح ذكر فيه أنه يطلب من ممثلي الامم المتحدة أن يأخذوا بعين الاعتبار الجهود التي بذلتها حكومتا بريطانيا وفرنسا لتحقيق استقلال سورية ولبنان ، وأن يعهدوا الى الحكومتين لينظما الجلاء في مدة معقولة بالاتفاق مع الحكومتين السورية واللبنانية ، تناول الفرنسيون المشروع وراحوا يتذاكرون على حدة ، وفي أثناء غيابهم تبين من أحاديث السوريين واللبنانيين مع المستر بيفن أن لا مجال للاتفاق ، فأبلغ الافرنسيين ذلك عند عودتهم واعتبرت المذاكرات منتهية . وكان مجلس الامن قد أوشك أن يجتمع للنظر في شكويي سورية ولبنان .

مجلس الامن يبحث مسألة الجلاء

واجتمع مجلس الامن الدولي برئاسة المستر ماكن (الاسترالي) ووافق على درج الشكوى في جدول الاعمال . ودعي الطرفان اتنازعان للمناقشة .

وتكلم السيد **حميد فرنجية** باللغة الفرنسية مشيرا الى ان وجود جيوش أجنبية في أراضي دولة مستقلة ذات سيادة بدون موافقة هذه الدولة قد كان دائما سببا للنزاع وان وجودها لا يبرره شيء .. وانبرى بعد ذلك **فارس الخوري** يتكلم باللغة الانكليزية ويبرهن أن الحكومتين لم تتقدما بشكواهما الا بعد القيام بجميع المحاولات لحمل الدولتين الكبيرتين على سحب جيوشهما وأن القضية المعروضة تتعلق بوجود قوات اجنبية مسلحة



فارس الخوري في حديث هام في احد اروقة الامـــم المتحدة ، ويبدو فـــي الصورة الى جانبه الدكتور عبد اللطيف سكر

**

في اراضي سورية ولبنان ضد رغبة الحكومتين السورية واللبنانية . ومهما تكن الاسباب التي يتذرع بها البريطانيون والفرنسيون فهي كافية تماما لحمل

مجلس الامن على حل المشكلة بقرار واضح جازم .. ثم يضع عناصر القضية أمام مجلس الامن بوضوح ، فيشير الى كيفية دخول قوات الحلفاء سورية ولبنان عام ١٩٤١ لطرد القوات الفيشية وكيف سبق هذا الدخول وتبعه تصريحات واضحة بأن الغرض الوحيد لهذه الحملة هو تحرير البلاد من العناصر المعادية وأن فرنسا الحرة لا ترغب في أن تحل محل فرنسا الفيشية فقدمت سورية ولبنان كل مساعدة ممكنة للحلفاء ، ثم تعرض لاتفاق ١٣ كانون الاول ١٩٤٥ بالتجريح وتساءل عن الشعب الذي يريد الفرنسيون والبريطانيون أن يضمنوا سلامته ، اذ لا يجب أن يكون هنالك شك بأن السلامة الداخلية لا يكون مسؤولا عنها سوى الحكومتين السورية واللبنانية ، وأما السلامة الخارجية فلا شك بأن الحكومتين السورية واللبنانية مسؤولتان عنها وفقا لشروط الميثاق ، زد على ذلك أن الحرب قد انتهت وأخرجت القوات النازية والفيشية وأصبحت سورية ولبنان محاطتين بدول مشتركة في الامم المتحدة ، فما الذي يعطي الحكومات الاخرى حقا بأن تتخذ صفة ضامن السلامة في هذه المنطقة . على أن هنالك أمرين أكيدين أولهما أن السلامة المشتركة ليست من المهمات التي يمكن لاية دولة عظمى أن تمارسها بابقاء قواتها المسلحة في اراضي دولة صغيرة مشتركة في الامم المتحدة ضد رغبتها الصريحة وثانيهما أن السلامة الدولية قد نظمها ميثاق الامم المتحدة بوضوح .

فارس الخوري يجامل بريطانيا

على هذا الشكل بدأ فارس الخوري دفاعه عن قضية الجلاء ، وكان بديهيا ان يجامل بريطانيا في كلمته ، فيقول :

(ويبدو لي أنني أكون غير منصف اذا لم اذكر اعتراف حكومة سورية وشعبها بالشكر لبريطانيا العظمى لاجل المونة التي أسدتها لنا خلال الحربين الماضيتين ان كان في الحقل العسكري او في الحقلين السياسي والاقتصادي، ان هذه المونة والمساعدة قد انقذت بلادنا من الهلاك في مناسبات متعددة ، وعلي ان اضيف ايضا بأنه يجب ان اشرح كلمة (في آن واحد) التي استعملتها في كلامي .. فلو أننا رغبنا في انسحاب الجيوش الاجنبية منفصلة لكان بامكاننا ان نحصل على موافقة الحكومة البريطانية بسهولة على سحب جيوشها ولكننا نريد ان يتم سحب الجيوش كلها في آن واحد) .



المسيو جورج بيدو وزير الخارجية الفرنسية

★★

المندوب الفرنسي يثور سخطه

ويثور سخط المندوب الفرنسي وزير الخارجية السيد جورج بيدو.. فيلقي كلمة ملؤها الاعجاب بالدور الذي قامت به فرنسا في سورية ولبنان فيقول : (لم يكن ضروريا لمندوب سورية ان يضيف الى كلمته الموجهة الى مجلس الامن ذلك التفريق في المعاملة (بين فرنسا وانكلترا) عند شرحه للقضية ... ويمنن سورية ولبنان بأنه بفضل مساعي فرنسا التي أعلمت الدول المشرقة على مؤتمر سان فرنسيسكو برغبتها بوجوب اشتراك سورية ولبنان كدولتين صاحبتي سيادة في ذلك المؤتمر دعيت الدولتان وادخلتا المؤتمر ... ثم يتكلم عن الانتداب ومسؤولياته وواجباته وانه بما ان عصبة الامم غير موجودة فان الحكومة الفرنسية تريد ان تسأل هيئة الامم المتحدة فيما اذا كان يجب اتخاذ تدابير معينة للاستمرار بضمان السلامة في هذه المنطقة ؟!) .

المندوب البريطاني يتكلم

ويتكلم السير الكسندر كادوغان مندوب انكلترا فيعترف ان اتفاق ١٣

كانون الاول ١٩٤٥ غير مرض مائة في المائة من وجهة نظـــر أي كان ، وان الجيوش البريطانية انما تدخلت لاعادة النظام في نهاية ايار . ودفعا لما قـد يحصل في المستقبل من اضطرابات ، فـــان الحكومتين السورية واللبنانية طلبتا تأكيدا بأن الجيوش البريطانية سوف لا تنسحب من البلاد ما دام هنالك جيوش اجنبية اخرى باقية وان حكومة صاحب الجلالة اعطت ذلك التأكيد.

فرنجية يرد علــى بيدو

وفي اليوم التالي وقف الاستاذ حميد فرنجية وزير الخارجية اللبنانية ليرد على مندوب فرنسا واصفا اعجاب (بيدو) بالدور الذي قامت به بلاده في بلادنا بالصورة الشعرية الخيالية وينتهي الى القول بأن الاعتراف باستقلال سورية ولبنان لم يكن نتيجة عطف مجرد وانما كان عملا منصفا كما أنه كـان حيويا لاجل المجهود الحربي . ثم يقول انه سوف لا يدخل في مناقشة مــــا اذا كان رجال الدبلوماسية الفرنسية هم الذين استحصلوا على دخول سورية ولبنان الى مؤتمر سان فرنسيسكو ويضيف : « ان هــــذه المسألة اتركها للتاريخ ولكن الدول المشرفة على المؤتمر ما كانت دعتنا لو انها لم تعتبرنا دولا مستقلة ذات سيادة وان لنا الحق والامتياز بتوقيع ميثاق الامم المتحدة » . .

كلمـــة المندوب الاميركي

ويليه مندوب الولايات الاميركية المتحدة الســـيد ادوارد ستاتينيوس فيقول بأن سياسة حكومته هي تشجيع الانسحاب السريع للجيوش الاجنبية من اراضي أية دولة مشتركة في الامم المتحدة . .

كلمـــة المندوب السوفييتي

وينبري اندريه فيشنسكي مندوب الاتحاد السوفييتي فينتقد بشدة ، المذكرة التي قدمها الجنرال بينيه للحكومتين السورية واللبنانية في ١٨ ايـار ١٩٤٥ والتي يطلب فيهـــا تأمين مصالـــح فرنسا الثقافية والاقتصاديـة والاستراتيجية ويقول : « أنه كان من المناسب اكثر ان يدافع الفرنسيون عـن المصالح الثقافية **بوسائل ثقافية وليس بمساعدة القوات المسلحة** ولكـــــن

يظهر ان حكومة الجنرال ديغول كان لها رأي مختلف في ذلك الوقت .ويتضح من خطاب المسيو بيدو انه لم يحصل تغير في وجهة نظر الحكومة الفرنسية ويمكن ان نقول نفس الشيء عن المصالح الاقتصادية » .

ثم يتعرض السيد فيشنسكي الى اتفاق ١٣ كانون الاول بالنقد اللاذع والتجريح فيقول بأن بريطانيا وفرنسا تريدان ابقاء جيوشهما في المنطقة الى ان تنظم السلامة المشتركة من قبل الامم المتحدة ، ويضيف بأنه **لا يعلم بأن الامم المتحدة ستتخذ قرارات خاصة تتعلق بالسلامة المشتركة في تلك المنطقة** ويوضح بأن الجيوش البريطانية قد وضعت هناك لمنع الاضطراب الناتج عن وجود جيوش فرنسية بينما الجيوش الفرنسية باقية هناك لان القوات البريطانية لا تريد الانسحاب . . ثم قال متهكما : ((**كل هذا يجري تحت اسم احترام السيادة وهو يحتاج الى قاموس جديد في الحقوق الدولية**)) !!

آراء واقتراحات

أما مندوب الصين (ولنغتون كو) فقد اقترح اجراء المفاوضات بين اصحاب العلاقة لوضع الترتيبات العملية للانسحاب مع اطلاع المجلس على تقدم المفاوضات ونتائجها .

ويتقدم مندوب مصر **ممدوح رياض فيقارن بين مبادىء الميثاق وهو المساواة في السيادة بين اعضاء الامم المتحدةوبين حجة فرنسا المبنية على اعتبارات معنوية وسياسية وحتى انتهازية** ويتساءل ، لماذا تحمل فرنسا وانكلترا نفسيهما مسؤولية السلامة المشتركة !!

ويقوم **مندوب بولونيا السيد مود زلنسكي** فيؤيد الحل الذي طلبه وفدا سورية ولبنان .

ويعبر **مندوب البرازيل السيد فريناس فاليه** عن تحبيذه لاجراء مفاوضات بين الفريقين المتنازعين للوصول الى حل مرض .

ويقدم **المندوب الهولندي فان كليفانس** اقتراحا بأن يأخذ مجلس الامن علما بأقوال الدول الاربع صاحبة العلاقة وان يعبر عن ثقته بأنه بنتيجة المفاوضات تسحب الجيوش في تاريخ غير بعيد راجيا من هذه الدول ان تطلع المجلس على ما يحصل .

احتدام المناقشة

وفي جلسة ١٦ شباط الصباحية ، يقف **مندوب المكسيك السيد باديا نيرفو** ليقول اولا انه يعتقد بأن طلب الحكومتين السورية واللبنانية جلاء الجيوش في اول فرصة ممكنة طلب عادل محق ، ثانيا : ان تاريخ الجلاء يجب أن يعين بنتيجة مفاوضات بين الطرفين على ان تتعلق المفاوضات بالتدابير العسكرية الفنية ، وثالثا : انه يجب ان يطلع مجلس الامن على ما سيتم بهذا الشأن .

وينهض **حميد فرنجية** ليقول ان عبارات المسيو بيدو واقتراحات فان كليفانس غير مرضية وانه يجب وضع اساس واضح للمفاوضات اذا كان هذا هو قرار المجلس ورغبته .

ويعود **فارس الخوري** للكلام فيتساءل عن الصعوبات التي ذكر مندوب فرنسا وجوب تذليلها لان المذكور ذكر امورا شكلية ولم يتقدم بمعلومات واضحة عن هذه الصعوبات وانه **(نظرا لاختباراتنا الماضية)** فاننا نشعر بضرورة الحصول على المعلومات التامة المتعلقة بالمباديء والاسس التي تنطوي عليها هذه المفاوضات ، وتساءل ما اذا كانت الشروط التي عرضتها فرنسا في مذكرة ١٨ ايار والتي ادت الى الحوادث المؤسفة سيجري الاصرار عليها أو اذا كانت بالعكس سوف لا تتخذ كموضوع أو كأساس للمسائل التي ستبحث اثناء المفاوضات ثم راح يبرهن ان الجلاء لا يحتاج الى مفاوضة (ذلك ان فرنسا كانت تصر على وجوب اجراء مفاوضات بينها وبين سورية ولبنان للاتفاق على تقرير الجلاء من حيث تعيين موعده وكيفية تنفيذه) فكان فارس الخوري يستغرب اصرارها هذا ويتساءل في خطبه عن الحاجة لمثل هذه المفاوضات مؤكدا باسم حكومته ان سورية لن تضع اية اعتراضات بشأن الجلاء وانها سوف لا تضع اي شروط بشأن الامور الشكلية وسوف لا تقول شيئا . ومؤكدا ايضا ان المفاوضات في جميع الدول والبلاد لا تحصل بمناسبة الجلاء وها هي القوات الاميركية التي كانت معسكرة في بريطانيا وفرنسا ذاتها عندما قررت الجلاء فانها جلت دون ان يحتاج الامر الى مفاوضات قد تزيد في تعقيد الموقف وتساءل بلهجة الاستشهاد عما اذا كان الامر احتاج للمفاوضة عندما جلت القوات الاميركية عن بريطانيا ... فقاطعه وزير الخارجية البريطانية السيد ارنست بيفن بقوله على سبيل النكتة : «لقد اضطررنا ان نتفاوض في موضوع عرائس الحرب !!» وضجت القاعة بالضحك!!

وصرح **فارس الخوري** بأن حكومته لا تريد الدخول بمفاوضات كالتي يريدها المندوب الفرنسي ليس لانها تكره التشرف بمقابلة دولتين عظيمتين كدولتي انكلترا وفرنسا وانما لانه ليس من حاجة لذلك اذ قد تؤدي المفاوضة لتعقيد الموقف وانه يكفي ان يوصي مجلس الامن بأن يتم الجلاء ضمن وقت محدد وان تبقى القضية على جدول اعمال المجلس حتى يتم الجلاء ..

واحتدمت المناقشة ..

وعاد **جورج بيدو** ليذكر بمصالح فرنسا الثقافية وبالانتداب ومسؤولياته وبالفراغ الذي حصل على اثر اعلان استقلال سورية ولبنان ، ويرد عليه **حميد فرنجية** مذكرا اياه بما حصل كنتيجة لمذكرة ١٨ ايار .. كما يشير الى ما يقوله بيدو عن مسؤولية الامن المترتبة على فرنسا بموجب انتداب جمعية الامم فيقول : **((هذا الانتداب ، بنظر سورية ولبنان ، قد مات ودفن منذ توقيع ميثاق الامم المتحدة ، ولذلك فاننا لا نعترف بحق انسان ان يناقش على اساس ذلك الانتداب))** ويتكلم مندوبو الدول .. ويهتم **اندريه فيشنسكي** بقضية التصويت على المقترحات فيقول ان الدول صاحبة العلاقة (بما فيها انكلترا وفرنسا وهما من اعضاء مجلس الامن الدائميين الذين يملكون حق النقض ، الفيتو) لا يجب ان تصوت .. ويعترض **بيدو** بأن القضية ليست بنزاع .. ويجيبه **فارس الخوري** بأنها نزاع .. ويقبل المستر **ارنست بيفن** وزير الخارجية البريطانية بعدم التصويت على ان تحال القضية الى خبراء لان القضية اذا اعتبرت نزاعا تتطلب عدم تصويت اصحاب العلاقة ولو كانوا اعضاء في مجلس الامن . ويظهر ان باب الاجتهاد واسع في هذا الشأن ولذلك فقد رغب الوزير البريطاني باحالته الى خبراء كاحتياط لاجل المستقبل .

الاقتراح الاميركي والفيتو الروسي

وبذلت جهود جمة للوصول الى اقتراح ينال اجماع اصوات مجلس الامن لم تسفر عن اي نجاح ، وان كان الاقتراح الاميركي قد اوشك ان ينال ذلك ، وهو يأخذ بنظر الاعتبار مختلف التصريحات التي قدمت للمجلس في هذا الموضوع ، ويعبر عن ثقته بانسحاب الجيوش الاجنبية من سورية ولبنان حالما يصبح انسحابها ممكنا من الناحية العملية ، وان مفاوضات من اجل هذه الغاية سيشرع بها دون تأخير ، ويطلب من الدول ذات العلاقة ان تثابر على ابلاغ المجلس تطورات هذه المفاوضات ، فقدم **فيشنسكي** بضعة تعديلات



السيد ادوارد ستاتينيوس مندوب الولايات الاميركية المتحدة

**

على الاقتراح الامريكي طالبا ان يكون الانسحاب حالا .. بدلا من القول عندما يصبح ممكنا من الوجهة العملية ، واقترح اضافة كلمة (فنية) الى (مفاوضات) واستبدال كلمة (توصية) او تسجيل (بالاعراب عن الثقة) فرفضت هذه الاقتراحات وقبلت بعض التعديلات التي قدمها المستر **ولنغتون كو** ممثل الصين واصبح الاقتراح الاميركي بالنص التالي :

((ان مجلس الامن يأخذ بعين الاعتبار التصريحات التي ادلى بها ممثلو الدول الاربع المختصة وتصريحات المندوبين الاخرين في المجلس ويعبر عن ثقته بانسحاب الجيوش الاجنبية من سورية ولبنان حالما يصبح انسحابها ممكنا من الناحية العملية ، وان مفاوضات لهذه الغاية سيشرع بها من دون اجل وهو يتطلب من الدول ذات العلاقة ان تثابر على ابلاغه تطورات هذه المفاوضات)) .

ولما عرض هذا الاقتراح على مجلس الامن وافقت عليه سبع دول وامتنعت بريطانيا وفرنسا وبولونيا عن التصويت واستعمل فيشنسكي حق الرفض (الفيتو) وهنا اعلن المستر ماكن رئيس مجلس الامن الدولي نجاح الاقتراح الاميركي ولكنه استدرك فوصف هذا النجاح بأنه لم يبلغ النصاب القانوني وان حاز الاكثرية لانه لم يشترك بالموافقة عليه جميع الاعضاء

الدائميين لمجلس الامن ، فاعترض فيشنسكي ، ووافق على اعتراضه المستر بيفن والمسيو بيدو ، ولفتوا انظاره الى الفقرة ٣ من المادة ٧ من الميثاق .. فأعلن رئيس المجلس نقض رايه السابق .. ولكن مندوبي فرنسا وبريطانيا اخذا على عاتقهما تنفيذ قرار مجلس الامن الذي وافقت عليه الاكثرية . ومما يذكر ان المسيو بيدو وقف في مجلس الامن وقال مؤيدا حق فيشنسكي باستعمال الفيتو ومشيرا الى ان عدم تصويت فيشنسكي يعني ان مجلس الامن لم يقرر شيئا في الموضوع واضاف قوله (ولكني اعلن انه بالرغم عن ان مجلس الامن لم يتخذ اي قرار في موضوع الشكوى السورية اللبنانية فان فرنسا ستنفذ القرار المذكور دون ان تكون مجبرة عليه) ..

وانتهت جلسة مجلس الامن .

تفسير لموقف فرنسا

وقد روى لي **الدكتور عدنان الاتاسي** وزير سورية المفوض في باريس عامئذاك تفسيرا لموقف وزير الخارجية الفرنسية هذا بقوله ان الجنرال شارل ديغول وهو الذي وقعت الحوادث المؤسفة في عهد حكومته المؤقتة ، كان قد انسحب من مسرح الحكم ، وقامت الجمهورية الدستورية التي كانت ترغب في حل هذه المشكلة تخلصا من الاعباء التي تتحملها بوجود جنودها محصورين في الثكنات دون اية جدوى تؤملها من ورائهم بعكس الجنرال ديغول الذي كان يرى ان كرامته الشخصية قد مست بالتدخل البريطاني وكبرياءه قد جرحت .. ولهذا بات الفرنسيون مستعدين للجلاء بشرط ان يكون ذلك بالتفاهم والتراضي مع دولتي المشرق حفاظا على شرف فرنسا وكبريائها ورغبة منهم في الحفاظ على ما قد يمكن الحفاظ عليه من مصالحهم . ولذلك قامت بعض الاتصالات بين الجانبين الفرنسي والسوري اللبناني في لندن تم الاتفاق خلالها على ان يتبادل الطرفان الخطب التي سوف يلقيانها في مجلس الامن على أن يجري فيها الطرف الاخر ما يشاء من التعديلات ولكن الجانب السوري اللبناني كان في ريب وحذر شديدين ، وكان قد طلب موعدا لمقابلة السيد ارنست بيفن وزير الخارجية البريطانية ومضت بضعة ايام دون ان يحدد الوزير البريطاني ذلك الموعد فاضطر الجانب السوري اللبناني لان يتفق مع الفرنسيين .. وفعلا ارسل له المسيو بيدو خطابه الذي كان سيلقيه في مجلس الامن ليضع عليه التعديلات التي يراها والتي ما ان اتم وضعها حتى

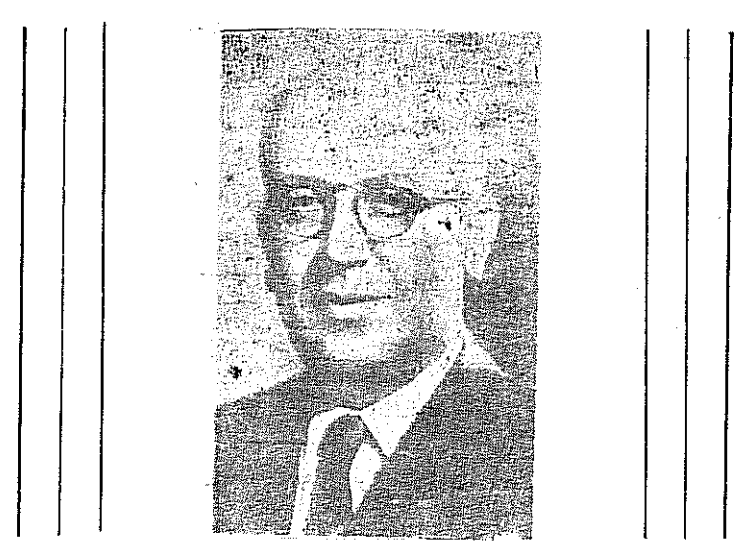
فوجيء برسول من وزارة الخارجية البريطانية يدعوه لمقابلـــة المستر بيفـن صبيحة اليوم التالي وهنا ، حصل تسرع من الجانب السوري اللبناني اذ اعاد الى المسيو جورج بيدو خطابه وابلغه انه يلغي الاتفاق (الجنتلمن) الذي تـم بينهما .. وسبب ذلك هو ان الجانب السوري اللبناني توهم بأن المستر بيفن سيكون الى جانبه بشكل قطعي وحاسم .. ولكنه حينما اجتمع الى بيفن ، اصيب بخيبة امل بالغة حينما وجده متحفظا جدا في احاديثه وحينما اشار بصراحة على ضرورة اتفاقه — أي الجانب السوري اللبناني — مـــع الجانب الافرنسي .. فاسقط في ايدي الجانب السوري اللبناني ولـم يعد يمكنه الرجوع على الرغم من ان المسيو بيدو كان انباه — عندما اعيد اليه خطابه — انه سيلقيه وفقا للتعديلات التي وضعت وليفعل الجانب الاخر ما يشاء ..

ثم كان ما كان مما وصفناه من مناقشات مجلس الامن الدولي وفشل ذلك المجلس باتخاذ اي قرار بعد الفيتو الروسي .

ضوء .. على سر موقف بريطانيا

الواقع ، ان السوريين واللبنانيين كانوا يتخوفون ان يشترط في جلاء الجيوش على المفاوضة في امور اخرى سياسية وثقافية واقتصادية ، لان وجود الجيوش الافرنسية أثناء هذه المفاوضة يمنح فرنسا رجحانا غير عادل .. ولم يشأ المسيو بيدو ان يتنازل عن دفاعه عن المصالح الافرنسية فـــي المشرق. هذه المصالح التي تعتبرها فرنسا امرا اكثر اهمية من وجود الجيوش

وكان المستر بيفن يرمي ، في اثناء مناقشات مجلس الامن ، الى ثلاثـة امور . الاول : التوصل الى حل يرضى به الجميع ، وهو ما لم يستطع التوصل اليه ، والثاني : اجتلاب الفرنسيين وتحسين العلائق بينهم وبين البريطانيين، ولهذا رأيناه يقف في مجلس الامن يقول ان الشعب الفرنسي يخرج من كفـاح هائل اكتسحت فيه بلاده فلا تستطيع بريطانيا ان تنسى ابدا ما بذلته فرنسا من ثمن غال أثناء هذه الحرب واذا لم تستطع فرنسا أن تقاوم العدو المكتسح في هذه الحرب ولم تؤت القوة الكافية لذلك فهذا راجع الـــى الدمار الهائل الذي اصابها في الحرب الماضية ، اما الغاية الثالثة للمستر بيفن فهي انـــه كان يتأذى من وجود بريطانيا مرة اخرى امام مجلس الامن في موقف المشتكى عليه بسبب وجود جيوشها في سورية ولبنان وهي انمــا وجدت فيهمـا استجابة لرغبة حكومتيهما .. ولهذا رات الحكومة البريطانية ان تبلغ الجانب



السيد حميد فرنجية وزير الخارجية اللبنانية ورئيس الوفد اللبناني

السوري اللبناني انها لن تتقيد بوعدها في ابقاء جنودها حتى يخرج الجنود الافرنسيون لانها لا ترغب ان تعود مرة ثانية الى مجلس الامن .

●

وبعد انتهاء مجلس الامن من رؤية الدعوى ، عقد اجتماع في وزارة الخارجية البريطانية حضره عن الجانب البريطاني وزير الخارجية السيد **أرنست بيفن** ووكيل وزارته الدائم الجديد **هوم سرجنت** وبعض مساعديهما، وعن الجانب السوري اللبناني ، **فارس الخوري وحميد فرنجية ونجيب الارمنازي وكميل نمر شمعون** وكان مبدأ الحديث عما تم في مجلس الامن وعما يجب ان يصنع الان فذكر بيفن بصراحة ان حكومته اقرت الخطة التي اتخذها .. في تنفيذ قرار اكثرية مجلس الامن ، وقال ان قضية الجلاء عن سورية امر مفروغ منه ، واخذ يبحث في شؤون لبنان وظروفه المختلفة ، وذكر شيئا عن اتجاهات الفرنسيين وحرصهم على ان تجري المفاوضات في باريس ، فقال السيد كميل شمعون انه يفضل لو تكون المفاوضات في لندن او في بيروت .. في حين كان الاستاذ فرنجية رئيس الوفد اللبناني يرى ان تكون المفاوضات في لندن لا في سواها .. فقال المستر بيفن انه لن يخوض معركة لتقرير عاصمة او اخرى ، وكان اعتراضه على بيروت صريحا اذ قال ان المفاوضات فيها لن تؤدي الى نتيجة .. واردف ذلك

بقوله انه ليست هناك مفاوضات بمعنى هذه الكلمة ، ولكن مباحثات تجري بين الخبراء العسكريين لتقرير الوسائل الفنية للجــلاء وتحديد مراحلهـا واكد ان الابحاث ستقتصر على الجلاء ولا تتجاوزه الى سواه .

حماية نصارى لبنان

وقد تعرض المستر **ارنست بيفن** الى موضوع نصارى لبنان وما يدعيه الفرنسيون من ان وجودهم ضروري لحمايتهم من طغيان الاكثرية الاسلامية المحيطة بهم فكان جواب رئيسي الوفدين السوري واللبناني قاطعا .. فذكر الاول ، **فارس الخوري** وهو نصراني بروتستانتي من اصل ارثوذكسي ، **ان دعوى حماية النصارى مضرة بالنصارى انفسهم لانهــا تجعل الاكثريــة الاسلامية تنظر اليهم نظرة عداء باعتبارهم سببا لتدخل الاجانب في ديارهم** عدا عن ان هذه الحجة انما هي لتبرير بسط الحكم والسيطرة اذ لا يوجـد في كثير من البلاد التي احتلها الافرنسيون فـــي آسيا وافريقيــا نصارى لحمايتهم ولكن الاستعمار هو الغاية الحقيقية .. وقـــال الاستاذ **حميـد فرنجية** رئيس الوفد اللبناني وهو نصراني ماروني مؤكدا ان محاولة اثـارة الخلاف بين المسلمين والنصارى انما هي ناشئة عـــن رغبة التفريــق بين الطائفتين لمقاومة الفكرة الوطنية .

وهنا ابدى المستر بيفن رأيه فـــي انه لا يجب ان تدخـل المعتقدات الدينية في الاغراض السياسية .

●

ثم عقد اجتماعان في ٢٦ و٢٧ شباط ١٩٤٦ في المفوضية السوريـة في لندن حضرهما **المستر هاو** مساعد وكيل وزارة الخارجية البريطانيـة الدائم في شؤون الشرق الاوسط ، **والمستر هندرسون** رئيس الدائـرة المذكورة **وفارس الخوري** رئيس الوفد السوري **ونجيب الارمنازي** وزيـر سورية المفوض وقد اطلع الوفد السوري في اثناء ذلك على ان المستر بيفن ابلغ الافرنسيين **ان الحكومة البريطانية تعتبر نفسها مرتبطة بقـرار مجلس الامن ولم يعد هنالك مفعول لاي تعهد غيره** وانها ستسعى وتؤمل ان تسير فرنسا على خطتها في الجلاء ولا سيما عندما ترى الجيوش البريطانية التي تفوقها عددا وعدة قد استطاعت الانسحاب في وقت قصير فلا تبقى لهـا حجة في الابطاء لا سيما انه من الممكن توفير وسائل النقل البري والبحري



السيد ارنست بيفن وزير الخارجية البريطانية وصديق العرب الحميم

★★

للافرنسيين ، وفي حالة عدم سلوك الافرنسيين هـذه الخطة فسيبقون وحدهم امام مجلس الامن ويكون موقف بريطانيا بالنسبة لهم متناسبا مع القرار الذي اتخذه المجلس .

السوريون واللبنانيون يتمسكون بقرار مجلس الامن

وقدم رئيسا الوفدين السوري واللبناني ، فارس الخوري وحميد فرنجية على اثر ذلك كتابا الى رئاسة الجمعية العمومية للامم المتحدة ، وصفا فيه ما جرى في مجلس الامن وكيف ان المسيو فيشنسكي استعمل حق الرفض بسبب عدم اخذ المجلس بالتعديلات التي اقترحها فأصبح قرار مجلس الامن معطلا من الوجهة الشرعية ولكن ممثلي بريطانيا وفرنسا اعلنا تمسكهما بقرار الاكثرية (على انه يجدر بالذكر ان الحكومة البريطانية عرضت سحب جيوشها من سورية ولبنان قبل ان تعرض المشكلة على مجلس الامن ولكننا طلبنا ان يكون انسحاب الجيوش البريطانية والفرنسية معا) ويشير الكتاب الى ما كان من رأي اعضاء مجلس الامن الواضح من

حيث المباحثات التي يجب ان تقوم بين الدول الاربع ومـــا تدور عليه وان لا تتناول امورا اخرى غير ما يقتضيه جلاء الجيوش البريطانية والافرنسية من شؤون فنية وعملية وان لا يكون الجلاء خاضعا لاي شيء غير ذلك (ومع ان اعضاء مجلس الامن قد صاغوا اقتراحاتهم وقدموهـــا بأشكال مختلفـة ولكنها تتفق كلها في مضمونها الذي سبق بيانه ، ولم يرد فـــي مناقشات مجلس الامن في اية مرحلة من مراحلها اي ذكر لصلة ما بين الجلاء وبـين السلامة الاجتماعية) ويعلن رئيسا الوفدين في كتابهما هذا ان وفديهمـا يتمسكان بقرار مجلس الامن الذي عطله الفيتو الروسي ويعلنان استعدادهما للدخول في مفاوضات مع بريطانيا وفرنسا على ان تتناول الترتيبات العملية لانسحاب الجيوش الاجنبية في اقرب فرصة ويعربان عن تقديرهما الجم للاهتمام البالغ الذي احاط به اعضاء مجلس الامن قضيتهما ، ويعبران عـن ثقتهما بأن المفاوضات سوف تؤدي الى التوصل للحل السلمي المنشود فلا تبقى ثمة حاجة لحملها مرة ثانية الى مجلس الامن .

ومما يجدر الاشارة اليه هنا ، انه ، عندما عطل الفيتو الروسي قـرار مجلس الامن ، خرج الوفدان السوري واللبناني ومعهما بعض الاصـدقاء البريطانيين من قاعة مجلس الامن وعلى وجوههم مخايل الكآبة وفي نفوسهم خشية الاخفاق بعد تلك النتيجة الغريبة التي وصل اليها الاجتماع .

وشاء الوفدان السوري واللبناني ان يتذاكرا مـــع احـد المتشرعين الاجانب في الامر فكان رأيه ان الدعوى لا تعتبر انها لا تزال مطروحة امـام مجلس الامن ما دامت المفاوضات مستمرة ولكن اذا فشلت المفاوضات فانه يمكن عرض المشكلة من جديد على المجلس حتى اذا رغب في ذلك أي فريق من اولي العلاقة واذا رغب المجلس نفسه ان يطلع على نتائج المفاوضات .

المفاوضات فـــي باريس

وهنا ، قرر الوفد اللبناني ان يتوجه الى باريس لاجراء المفاوضات مع الافرنسيين بشأن الجلاء في حين آثر الوفد السوري ان يعود الى دمشق ، وذلك بعد ان فوض الاستاذ فارس الخوري — سرا وشفهيا — زميله الاستاذ فرنجية ليفاوض عن الوفد السوري حتى اذا جاءت نتيجة المفاوضة حسنة اعترف السوريون بها .. والا .. كان للسوريين موقف اخـــر .. وسافر الوفد اللبناني الى باريس وهو مؤلف من الاستاذ **حميـــد فرنجية** رئيسـا

والاستاذ **يوسف سالم** وزير الداخلية **ورياض الصلح** رئيس لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان اللبناني عضوين ، ومكث ــ أي الوفد اللبناني ــ في باريس بضعة ايام دون ان يجري الاتفاق على اية اسس مما جعل الاستاذ فرنجية يعتقد ان مفاوضات سرية تكون قد جرت بين الفرنسيين والبريطانيين بدون علمه حتى كاد ييأس ويعود ادراجه لولا ان جاء الى باريس **المسيو بيسون** المدير العام لبنك سورية ولبنان وهو صديق شخصي له وذو نفوذ كبير في وزارة الخارجية الفرنسية . وهذا تمكن من ان يوجد جوا ملائما للمفاوضة بين الجانبين الفرنسي واللبناني ، حيث ما لبثا ان توصلا الى اتفاق مبدئي فحدد ميعاد الجلاء بالنسبة لسورية في اواخر نيسان وابرق الاستاذ فرنجية الى الرئيس الشيخ بشارة خليل الخوري بالنتيجة كما اتصل بوزير سورية المفوض في باريس ، الدكتور عدنان الاتاسي الذي اصر على تقديم الموعد ــ بطلب من حكومته ــ فكان ان تم الجلاء عن سورية في ١٣ نيسان واقرت الحكومة السورية يوم ١٧ نيسان عيدا قوميا .

سورية عضو في مجلس الامن الدولي
وبدء البحث بقضية فلسطين امام هيئة الامم المتحدة

وفي ٣١ كانون الاول ١٩٤٦ وقف الامين العام لمنظمة الامم المتحدة السيد تريغفي لي يعلن لمجلس الامن الدولي ان برقية وردته من السيد سعد الله الجابري رئيس الوزارة ووزير الخارجية السورية يعين بموجبها **الاستاذ فارس الخوري** مندوبا عن سورية في مجلس الامن **والدكتور قسطنطين زريق** وكيلا عنه وكانت سورية قد انتخبت لعضوية المجلس المذكور بأكثرية ٤٥ صوتا من اصل ٥٣ لمدة سنتين هي (١٩٤٧ ــ ١٩٤٨)

وكان ان ترأس الاستاذ فارس الخوري مجلس الامن الدولي مرتين الاولى مدة شهر آب ١٩٤٧ والمرة الثانية مدة شهر حزيران ١٩٤٨ وكانت هيئة الامم المتحدة ومجالسها المتفرعة عنها قد عادت لعقد جلساتها في الولايات المتحدة منذ تشرين الاول سنة ١٩٤٦ .

وفي مطلع عام ١٩٤٧ عقد مؤتمر في لندن لبحث قضية فلسطين مثل سورية فيه الاستاذ فارس الخوري واذاع المستر ارنست بيفن وزير الخارجية البريطانية مشروعا ، وجدت الوفود العربية فيه انه لا يمنع انتقال

الاراضي الى اليهود ولا يمنع الهجرة ولا يضع نظامــا ديموقراطيا لفلسطين. فرفضته الوفود وقدمت مذكرة تطلب فيها اعلان استقلال فلسطين ووقف الهجرة واتخاذ التدابير لحماية اراضي العرب .. وفــي ١٣ شباط ١٩٤٧ عاد السيد فارس الخوري والسيدة اسماء عقيلته على ظهر الباخرة (كوين اليزابت) الى نيويورك .

وفي ٢٨ نيسـان ١٩٤٧ كانت مشكلة فلسطين قد وضعت على جدول اعمال الامم المتحدة بطلب من بريطانيا ، فطلبت الـــدول العربية ان يكــون الموضوع « انتهاء الانتداب في فلسطين واعلان استقلالها » ولكــن الجمعية العمومية لم تقبل بذلك وكان من نتيجة ابحاث تلـــك الدورة ان اللجنـــة السياسية وهي اللجنة الاولى في هيئة الامم ، اوصت بتشكيل لجنة خاصة بفلسطين تدعى **(لجنة البحث عن الحقيقة)** مؤلفة من احد عشر عضوا هم ممثلو (اوستراليا وكندا وتشيكوسلوفاكيا وغواتيمالا والهنــــد وايران وهولندا والبيرو والسويد والاوروغواي ويوغوسلافيا) .

وقد القى **فارس الخوري** كلمة هامة امام اللجنة السياسية التابعـــة لمنظمة الامم المتحدة في ١٠ ايار ١٩٤٧ مؤداهــا ان استقلال فلسطين يجب ان يكون الهدف الاول لابحاث لجنة البحث عن الحقيقة ، وكان في ذلـــك يرد على كلمة المندوب الاميركي الذي قال بوجوب تأخير ايجاد دولة مستقلة في فلسطين الى اجل غير مسمى .. وشرح فارس الخـــوري كيف كانت فلسطين قسما من الدولة العثمانية واشار الى ان لجنة التحقيق لا يجب ان تدرس تأثير المشكلة على السلم والامن في فلسطين فقط وانما فــــي جميع بلاد الشرق الادنى والاوسط .. واما سؤال البعض عما اذا كانت فلسطين ستكون دولة يهودية او عربية فاننا نقول انها ستكون دولـــة فلسطينية ، فشعب فلسطين وهم المواطنون الشرعيون ، سيشتركون في جميع الحقوق والواجبات التي يمارسها جميع سكان البلاد .

فارس الخوري يشرح المشكلة الفلسطينيـــة

وفي ١٤ ايار ١٩٤٧ القى فارس الخوري امام الجمعية العامـــة لمنظمة الامم المتحدة كلمة مطولة شرح فيها اسباب اهتمام سورية اكثر من اي بلد آخر بفلسطين وذكر الروابط الجغرافية والتاريخية والجنسية والدينية التي تربطها بها ، وتحدث عن الخطر الذي يهدد تلك البلاد والى اي حـــد يمكن

للوفد السوري ان يقاوم هذا الخطر ، ثم قال : **ان عرض قضية فلسطين من قبل الدولة المنتدبة على هيئة الامم لم يكن عرضا صحيحا** فقد طلبت الدولة المنتدبة من هيئة الامم ان تعمل توصيات بشأن حكومة فلسطين المقبلة بينما كان يجب عليها اما ان تعلن استقلال فلسطين وتعلم هيئة الا مم بذلك ، او ان توجد وصاية على فلسطين وتتقدم الى هيئة الامم بالاتفاقات المتعلقة بالوصاية او ان تقول بصراحة ان انتدابها على فلسطين قد فشل وانه لا يمكن تطبيقه ولذلك تعيد هذه الامانة الى هيئة الامم ، والآن نرى ان الجمعية العمومية تحيل القضية الى اللجنة السياسية لتضع التوصيات اللازمة للدولة المنتدبة بشأن ادارة فلسطين ، على أن هذا الانتداب قد اتضح بأنه غير عملي ولا يمكن ان يستمر بشكله الحالي ولذا يجب البحث عن سبب فشله لان الدولة المنتدبة لم تشرح هذا السبب حتى الآن ..

وهنا يذكر فارس الخوري وعد بلفور ويقول انه المسؤول عن فشل الانتداب وعن ايجاد مشكلة فلسطين ، التي تشغل العالم بأسره ، ويذكر كيف قطع هذا الوعد ، ثم يشرح من هم عرب فلسطين فيقول انهم متسلسلون من نفس السكان الذين اقاموا في البلاد منذ اربعين قرنا والذين حاربوا اليهود عندما ارادوا الاستيلاء على فلسطين في القرن الخامس عشر قبل المسيح **ويشير الى المتدينين الذين يقولون بأن نبؤات التوراة تذكر عودة اليهود الى فلسطين والى اورشليم ويؤكد ان هذه النبؤات قد حصلت اثناء سبي اليهود في بلاد بابل وانها تحققت عندما اعادهم كورش الفارسي ثم يذكر** خضوع اليهود للفرس والمكدونيين والرومان وتفرقهم في بلاد العالم بعد أن قهرهم الرومان في عام ٧٠ للميلاد ، وكيف منعهم الامبراطور هدريان وكذلك البيزنطيون من دخول اورشليم ، وظلوا ممنوعين من ذلك في زمن الحكم الاسلامي حتى تساهل معهم العثمانيون ، وبعد ان يشرح ظهور (الصهيونية) ومساعيها بواسطة الدكتور هرتسل مع السلطان عبد الحميد الثاني وفشلها يذكر برنامج الصهيونية الذي افصح عنه ممثلو الوكالة اليهودية بصراحة امام اللجنة السياسية حيث قالوا : ((**نريد هجرة متواصلة وغير مقيدة الى فلسطين حتى نصبح اكثرية ونسود البلاد ونعد بأن العرب سيعاملون معاملة حسنة**)) ويبحث بعد ذلك عن ماهية هؤلاء اليهود الذين يريدون تأسيس دولة في فلسطين وعما اذا كانوا من بني اسرائيل حقا .. ويؤكد ان الامر غير ذلك ، ويستند الى دائرة المعارف اليهودية **فيقول عن اصل اليهود في شرقي اوروبا انهم كانوا من المغول الخزر شمالي بحر قزوين**



رمز النضال الفلسطيني ومثل كفاحه وجهاده ضد الصهيونية الاثمة والاستعمارية الحمقاء سماحة السيد محمد امين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر وعن يمينه السيد احمد فؤاد اباظة باشا ، وعن يساره السيد لطفي الحفار رئيس وزراء سورية الاسبق فالسيد نعيم الانطاكي وزير الخارجية السورية ، وقد وقف بينهم المغفور له الشيخ يوسف ياسين نائب وزير الخارجية السعودية في القاهرة .

**

وكانوا من عبدة الاوثان ، ثم حوالي القرن الثامن الميلادي قرر اميرهم اعتناق احدى ديانات التوحيد ، فاستدعى رجال الدين من اليهود والنصارى والمسلمين ، وجعلهم يتناقشون فيما بينهم بحضوره فلم يتمكن احد من اقناعه في أي دين هو الافضل واخيراً اعتنق اليهودية وبقيت امارة الخزر هذه في جنوبي روسيا حتى قضت الامبراطورية الروسية على استقلالها فتفرق الخزر اليهود في شرقي اوروبا من روسيا حتى رومانيا وبولونيا ، هؤلاء هم اليهود الذين لا يتصلون ببني اسرائيل والذين يريدون دولة في فلسطين .

وبعد ذلك يبحث فارس الخوري في توصيات اللجنة السياسية في هيئة الامم للجنة التحقيق فيقول انه لم يذكر فيها كلمة (الاستقلال) مع ان الاستقلال هو هدف الانتداب ونهايته الطبيعية ، واكد ان توصية هذه

اللجنة بتوجيه دراستها نحو الاستقلال لا يكون مقيدا لاعمالها ، وطلب بأن يكون حل مشكلة فلسطين مستوحى من ميثاق هيئة الامم ، اما ما ذكره البعض عن وجوب التفاهم والتعاون بين العرب واليهود في فلسطين فقد قال فارس الخوري بشأنه : انه وضعت اسس معينة لمثل هذا التعاون على انه يجب ازالة البرنامج الصهيوني الذي يهدف لايجاد اكثرية يهودية .. اذ كيف يمكن ان نقبل بأن تصبح اكثرية سكان البلاد اقلية وان تحكم هذه الاقلية من قبل عنصر أجنبي ؟!! .. فالعرب لهم الحق ان يضطربوا ويلجأوا الى الدفاع عن انفسهم والحكومة السورية لا ترغب في حدوث هذه الاضطرابات .. ويصر على ضرورة اهتمام لجنة التحقيق بالسلم والعدل ومباديء تقرير المصير ، ثم يشير الى ناحية اخرى وهي ضرورة تعاون اليهود وتفاهمهم مع سكان البلاد التي هاجروا منها . ويقول بافضلية عودتهم اليها لانهم هناك لا يعتبرون دخلاء وغرباء وغزاة ، وانما يعتبرون مواطنين خصوصا والبلاد التي غادروها تسود فيها الديموقراطية والحرية والمساواة كما قال مندوبوها ، ومن جهة اخرى فان فلسطين قد دخلها اكثر مما يجب حتى اصبح فيها نحو سبعمائة الف يهودي، وينهي فارس الخوري خطبته بالاشارة الى الارمن في سورية ولبنان الذين هاجروا اليها بعد الحرب الاولى وسكنوا فيها آمنين وتمتعوا بنفس الحقوق التي لسائر السكان ، وصار منهم عدد من النواب ، وذلك لانهم لم يأتوا باهداف سياسية ليسودوا البلاد ويستأصلوا سكانها ويحتلوا منازلهم ويسلبوهم حق السيادة وتقرير المصير ، ولو ان اليهود هاجروا الى سائر البلاد العربية ليسكنوها فقط كما فعل الارمن لما وجدوا الا التسامح والتساهل ولكنهم لم يفعلوا ذلك .

القضية المصرية امام مجلس الامن

وحيث ان لجنة البحث عن الحقيقة انصرفت للتحقيق في فلسطين ، فقد ارجيء النظر بالمشكلة الفلسطينية الى شهر ايلول ١٩٤٧ ..

ويشاء الله ان تعرض قضية مصر ومطالبتها بجلاء الانكليز عن اراضيها ايام ترؤس فارس الخوري لمجلس الامن الدولي في شهر آب ١٩٤٧ حيث وصل الى نيويورك **السيد محمود فهمي النقراشي رئيس الوزارة المصرية** ووزير خارجيتها ليعرض المشكلة بنفسه ، وبعد ان ادلى



فارس الخوري رئيس مجلس الامن الدولي في هيئة الامم المتحدة ، على منبر الرئاسة ، وعن يساره ، المستر تريغفيلي ، الامين العام للمنظمة الدولية .

***

النقراشي ببيانه ورد عليه السير الكسندر كادوغان ، وتتلخص سكوى الحكومة المصرية من ان القوات البريطانية تحتل الاقاليم المصرية على الرغم من ارادة الشعب الاجماعية وان هذا يعد خرقا لمبدأ المساواة في السيادة وان احتلال القوات البريطانية غير المشروع لمصر في سنة ١٨٨٢ واحتلالها للسودان قد مكن بريطانيا منذ سنة ١٨٩٩ أن تفرض على مصر اشتراكها معها في ادارة السودان وأن تنفرد بعدئذ بالسلطان فيه رامية بذلك الى فصل السودان عن مصر مستقبلا وعاملة على تشويه سمعة مصر والمصريين وبذر بذور التفرقة بين المصريين والسودانيين وبث الانقسام بين السودانيين انفسهم .. اما السير كادوغان فقد تمسك بشرعية معاهدة عام ١٩٣٦ وان مصر لا حق لها للمفاوضة باعادة النظر في هذه المعاهدة الا ان انكلترا وافقت عن طيبة خاطر على الدخول في مفاوضات عام ١٩٤٦ لم تكلل بالنجاح (يقصد مفاوضات اسماعيل صدقي ــ ارنست بيفن) وبعد ان ادلى بعض الاعضاء بوجهات نظرهم ، وقف **فارس الخوري** رئيس مجلس الامن الدولي

ليتكلم ، ليس بصفته رئيسا لمجلس الامن .. ولكن بصفته عضوا فيه .. ليبدي رأيه ببيان ضاف قال فيه :

((أن السير كادوغان انكر أن الحالة في مصر يمكن أن تهدد السلم العالمي ورأى انه لا يوجد تهديد للسلم الا اذا قام المصريون بهذا التهديد ، اما انا فانني لا افرق بين أي الطرفين يمكن ان يهدد السلم اذ لا فرق اذا كان ذلك من قبل المدعي أو المدعى عليه ، فالجانب الذي يعتقد ان حقه هضم يمكن ان يلجأ الى الدفاع عن النفس سواء كان المدعي او المدعى عليه)) .

الى ان يقول :

((.. فالحكومة المصرية ، والشعب المصري ، يعتقدون أن كرامتهم القومية وسيادتهم ومصالحهم الاجتماعية والاقتصادية تمس كثيرا بوجود قوات أجنبية في أراضيهم وبممارسة أنكلترا السلطة في ادارة السودان . والحكومة المصرية شعرت بحق بأن هذا التجاوز المستمر عن حقوقها المشروعة كعضو في هيئة الامم لها أن تمارس صلاحيات الاستقلال التام والتساوي في السيادة التي يضمنها الميثاق سيؤدي بالتأكيد الى الاصطدام الذي اتضح وقوعه في مناسبات عديدة سيعكر صفو الامن والسلم الدولي . والحكومة والشعب المصري لهم الحق أن يعتقدوا أيضا بأن استمرار هذه التجاوزات على حقوقهم السياسية والمدنية تخولهم حق اللجوء الى الدفاع عن النفس بموجب المادة ٥١ من الميثاق باعتبار أن وجود القوات الاجنبية المسلحة في أراضيهم وضد حرية ارادتهم هو هجوم مسلح عليهم)) .

واستمر فارس الخوري يحلل الظروف التي عقدت فيها معاهدة عام ١٩٣٦ و مقدرة الجيش المصري على ضمان حرية وسلامة الملاحة في قناة السويس ومما قاله في تحليله لظروف المعاهدة :

((عندما وقعت المعاهدة كانت القوات الانكليزية مرابطة بحرية في جميع أراضي مصر والسودان مما أدى الى استياء المصريين الشديد والى حدوث ثورات متعددة وفي مثل هذه الظروف فلا عجب اذا قبلت مصر بأن تتحرر أراضيها من الاحتلال العسكري وأن تبقى فرقة واحدة مؤلفة من عشرة آلاف جندي في منطقة واحدة من البلاد ، أذ عندما يكون الانسان مكبلا بأعضائه الاربعة بالسلاسل ويقبل حل القيود عن ثلاثة منها بحيث يبقى عضو واحد مكبلا ، فانه ليس من الانصاف أن نسمي قبوله موافقة حرة)) .

وقال :

((... وانني لا أؤمن بفائدة التحالفات الاجبارية . وحتى التحالفات

التي عقدت بصورة شرعية قد رفضت بقرار طرف واحد ، والتاريخ الحديث يعطينا أمثلة عديدة عن ذلك . واذا انسحبت القوات الانكليزية بـــدون مفاوضات فانني أعتقد أن المفاوضات في أمور أخرى معلقة يمكن أن تبدأ .. ان طلب الاجلاء اجماعي في مصر والسودان ، والاحزاب كلها متفقة على هذه النقطة وهي مستعدة كما قد حذرنا ، لركوب أي خطر لتحقيق هذه الرغبة . وانه لم يرتفع صوت واحد من الملايين الستة والعشرين التي تقطن وادي النيل بطلب بقاء القوات الاجنبية .. » .

وقـــال :

« انه ليس من الحكمة في شيء أن نتغاضى عن المطالب المشروعة لاي عضو من أعضاء هيئة الامم وعن رغبتها بأن تعيش حرة ضمن حدودها ،فهذه المنطقة هي منطقة ستراتيجية يحيط بها ملايين السكان الذين يشاركونها في شعورها ويعطفون على أمانيها القومية ، وان مسألة شرعية المعاهدة أو عدم شرعيتها أمام الخطر الحالي على السلم يمكن أن نسميها سفسطة .. ومثـــل هذا النزاع لا يمكن اعتباره نزاعا قانونيا حتى تحكم فيه محكمة العـــدل الـــدولية .. » .

وكان استياء السيد ألكسندر كادوغان مندوب بريطانيا من خطبة فارس الخوري شديدا اذ نهض في جلسة ٢٦ آب وقال :

« لا يسعني الا أن أقول بأنه هالني ما جاء في الخطبة التي القاهـــا مندوب سورية أمام المجلس بعد ظهر هذا اليوم ، اذ لاح لي انه كان يعيد على مسامعكم القضية المصرية بكاملها دون أن يعير انتباها لما حاولت الادلاء بــه ردا على ما قيل . أما وقد أبديت هذا الشعور نحو خطبته أرى لزاما علي أن أعترف الآن وبعد أن أمعنت النظر في الامر كله بأنني لم أستغرب ما قال،لانني أذكر أن مندوب سورية في جامعة الدول العربية قد قال في شهر آذار الماضي قبل أن تعرض القضية على المجلس وقبل أن يدلي أحد الطرفين بحججه ، بأن سورية ستؤيد مصر تأييدا مطلقا .. وانني أرى أن مثل هذا اجراء لا يرفع كثيرا من مكانة مجلس الامن » .

وقد رد السيد **محمود فهمي النقراشي** رئيس وزراء مصر في جلسة ٢٨ آب الصباحية على هذا الكلام بقوله :

« لقد هال السيد الكسندر كادوغان يوم الثلاثاء الماضي ٢٦ اغسطس ذلك التأييد المطلق الذي أضفاه على قضيتنا مندوب سورية المحترم ، حتى لقد اشار الى أن ذلك يضعف من هيبة مجلس الامن . كأنما يـرى أن هيبة

مجلس الامن تتوقف **على** تأييده لحق مغتصب وموافقته على العدوان والغزو البريطاني . وانا كمندوب أمة صغرى اريد أن اقوي من هيبة مجلس الامن وذلك بأن احتكم على انتهاج سبيل أخرى مضادة ، بأن اطلب اليكم تأييد أمة صغرى تطلب سيادتها واستقلالها الذي لم تحترمه امة قوية ، وبأن اطلب اليكم ان تعفوا مصر من العواقب التي لا بد من وقوعها ، والمترتبة على وجود القوات البريطانية في أراضيها ، وبأن اسألكم أن تكفلوا لنا مركزنا المشروع في الميثاق » .

وتتابعت الكلمات .. وتليت الاقتراحات .. واخيرا تأجل النظر في هذه المسألة .. ولكن الذي يهمنا أن نقول ان خطبة السيد فارس الخوري التي اقتطعنا بعض عباراتها كان لها أبلغ الاثر في الاوساط الدولية وفي الاوساط العربية الرسمية والشعبية ...

فقد وصف **(محمود أبو الفتح)** خطبة فارس الخوري بأنها أصلح بيان القي بشأن القضية المصرية منذ شهور ..

وقال أحد كبراء المصريين : « لقد سرتني خطبة فارس الخوري السرور كله .. ولو اخذت السياسة البريطانية بنصيحة فارس الخوري لاستطاعت ان تكون أعز مما هي وأرفع شأنا في تقدير جميع الشعوب العربية ولعاشت معهم في افق من المودة والاحترام » .

واقترحت بعض الشخصيات المصرية اقامة تمثال للاستاذ الخوري واطلاق اسمه على أحد ميادين القاهرة .

وفي بيروت بوشر بالاكتتاب لصنع وسام ثمين يسمى **(وسام الامة العربية)** ليهدى الى فارس الخوري ..

وفي الاسكندرية رفعت رابطة الادباء قرارها الى القصر الملكي باقتراح منح فارس الخوري لقب المواطن المصري .

كما ان الاتحاد المصري ــ السوداني أهاب بالسودانيين بأن يشتركوا في الاكتتاب مع المصريين لصنع وسام لفارس الخوري تقديرا لجميله .

وصرحت الاوساط الدولية بأن الاستاذ فارس الخوري قد ارتفعت مكانته عما كانت وأن رئاسته لمجلس الامن كانت حافلة بالاعمال الهامة الخطيرة وانه قام بمهام هذه الرئاسة بهمة وحكمة نادرتين وواجه أخطر مشاكل العالم كمشكلة **اليونان ومصر وأندونيسيا** والجميع يثنون على اقتداره .. وكتبت احدى كبريات الصحف المصرية تقول : ((**لن ينسى المصريون أبدا ذلك الصوت الرصين العميق الذي امتزج ذكره الى الابد**



الملك فاروق الاول ، ملك وادي النيل

***

بتاريخ جهادنا في سبيل السيادة والاستقلال » . وقالت أيضا عن فارس الخوري : « **.. فكان يلقي في ذلك الجو الرهيب بضع كلمات نيرة واضحة تعبر عن آراء نيرة واضحة مثلها فيهدم حجة الخصم من الاساس ولكن القضاة في ذلك المجلس كانت تنقصهم النزاهة ولذلك لم يكتب الفوز للمحامي فارس الخوري في مرافعته المتينة الرائعة »** .

وأنعم الملك فاروق الاول على فارس الخوري بالوشاح الاكبر لوسام اسماعيل ..

وكان من المؤكد أن ما أحرزه فارس الخوري من منزلة رفيعة لم يقف عند حدود العالم العربي وأبنائه بل جاوز ذلك الى الاميركيين والانكليز والفرنسيين وحتى اليهود أنفسهم .

رئاسة مجلس النواب .. ورئاسة اللجنة القانونية

وأعيد انتخاب فارس الخوري للنيابة عن دمشق عام ١٩٤٧ بالتزكية وهو غائب عن البلاد كما أعيد انتخابه رئيسا لمجلس النواب السوري بما



الحاج محمد العايش رئيس مجلس النواب السوري بالوكالة ، وعن يساره السيد محمد نوري الفتيح رئيس لجنة الموازنة ومحمد الفرحاني في صورة تذكارية التقطت لهم في مجلس النواب عام ١٩٤٧

وقد كان الحاج محمد العايش نائبا اولا لرئيس المجلس النيابي في جميع الدورات ما بين ١٩٤٢ و ١٩٤٨ وبهذه الصفة تولى رئاسة مجلس النواب طيلة فترة غياب الرئيس فارس الخوري في العالم الجديد وهي فترة قاربت الثلاث سنوات اظهر الحاج محمد خلالها مقدرة فائقة وكفاءة منقطعة النظير وبراعة في ادارة الجلسات وحاز احترام ومحبة وثقة مختلف الفئات والاوساط بما تحلى به من حياد وتجرد ونزاهة ، وضبط للاعصاب ، وفرض لهيبة النظام ، وهو من نواب مدينة دير الزور وقد ولي الوزارة اكثر من مرة وفي اكثر من عهد ، مد الله بعمره .

يشبه الاجماع في تشرين الاول من ذلك العام وقد علق رئيس السن **السيد محمد نوري الفتيح** على انتخاب فارس الخوري لرئاسة البرلمان بقوله : « **من دواعي فخر هذا المجلس الكريم انتخاب العلامة الكبير دولة فارس بك الخوري الذي عرفته البلاد في شتى الساحات الوطنية مناضلا مخلصا في سبيل استقلال بلاده وهو الآن في مجلس الامن يعمل في سبيل بلاده وفي سبيل العرب وفقه الله وايانا لخير الامة العربية** » .

وكان في ١٦ ايلول ١٩٤٧ أن عقدت منظمة الامم المتحدة دورتها العادية الثانية في نيويورك فانتخب فارس الخوري رئيسا للجنة السادسة وهي اللجنة القانونية ، وفي عهده نصت هذه اللجنة على أن يكون علم الامم المتحدة في شكله الحالي .

نشوء فكرة تقسيم فلسطين ومعارضة العرب لها

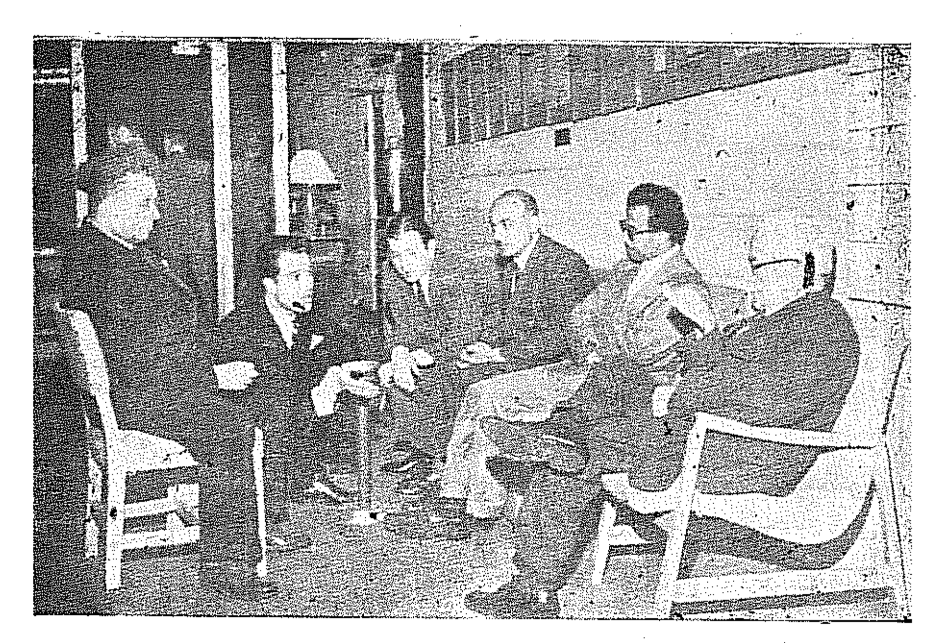
اتفق جميع أعضاء لجنة البحث عن الحقيقة ، الخاصة بفلسطين ، على ضرورة منحها الاستقلال ، ولكنهم اختلفوا بشأن طبيعة ذلك الاستقلال فقد اقترح مندوبو كندا وتشيكوسلوفاكيا وغواتيمالا وهولندا والبيرو والسويد والاوروغواي مشروعا لتقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية يربطهما اتحاد اقتصادي على أن توضع القدس وبيت لحم تحت الوصاية الدولية وادارة الامم المتحدة ، وتدير شؤون فلسطين أثناء فترة الانتقال لمدة سنتين انكلترا ، ويسمح بدخول مائة وخمسين ألف مهاجر خلال هذه الفترة . بينما اقترح مندوبو الهند وايران ويوغوسلافيا مشروع تشكيل دولة اتحادية تضم العرب واليهود خلال ثلاث سنوات .. فعقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية اجتماعا لها في صوفر (لبنان) بين ١٦ و ١٩ أيلول أصدرت بنتيجته بلاغا قالت فيه بأنها :

« ترى أن مقترحات لجنة التحقيق المنبثقة عن الامم المتحدة تنطوي على هدر واضح لحقوق عرب فلسطين في الاستقلال ، كما تنطوي على خرق لجميع الوعود التي قطعت للعرب ولذات المباديء التي تقوم عليها منظمةالامم المتحدة ، وترى في تنفيذ هذه المقترحات خطرا محتما يهدد أمن فلسطين والامن والسلامة في البلاد العربية جميعا ولذلك فقد وطدت العزم تحقيقا لاستقلال فلسطين وحريتها ودفاعا عن كيان الدول العربية على أن تقاوم بجميع الوسائل العملية الفعالة تنفيذ هذه المقترحات وتنفيذ كل تدبير آخر لا يكفل تحقيق استقلال فلسطين كدولة عربية » !!

فارس الخوري يحذر وينذر

وفي ٢٢ ايلول ١٩٤٧ اعتلى فارس الخوري منبر المنظمة الدولية ليتكلم عن السلام العالمي والقضية العربية ، وذكر فظائع الحرب التي لا تزال ماثلة في الاذهان وجهود الامم لتحقيق السلم عن طريق هذه المنظمة كما ذكر مصدر الخوف الجاثم في تنافس الدول الكبرى ، وحذر من وقوع حرب عالمية ثالثة قد تقضي على الحضارة لان الحرب ستكون حربا ذرية هائلة . وبعد ان ذكر بعض الوسائل لضمان السلم من تحديد التسلح ، ومنعاستعمال الاسلحة الذرية ، وتنظيم القانون الدولي ، وتحديد مقدار القوات التي يجب

أن توضع تحت تصرف مجلس الامن ، تطرق الى مسألة فلسطين واهتمام سورية بها ، **لان فلسطين قسم من سورية** . وقد هاجم بشدة مقترحات الاعضاء السبعة في لجنة التحقيق ، وانتقد ما قاله مندوب الولايات المتحدة بأن هذه المقترحات تستحق أن تعطى اهمية كبرى من قبل حكومته ، واكد بأن المقترحات مخالفة للتوصيات التي أعطيت للجنة التحقيق ، كما انها تخالف مباديء حق تقرير المصير الواردة في ميثاق الامم المتحدة ، وتخالف مباديء العدالة وحقائق التاريخ وجميع مباديء الحقوق العامة ، لانها تعطي حصة الاسد لليهود وتحرم سكان البلاد وأصحاب الحق فيها من بلادهم .
ثم انتقد اللجنة السياسية للامم المتحدة التي لم تعالج الا أعراض المرض ولم تنظر في أسباب مشكلة فلسطين ، وفي قانونية الوثائق التي أثارت هذه المشكلة ، اذ لولا ذلك الانتداب وشروطه الخاصة المتعلقة بوعد بلفور ولولا المطامع الاستعمارية للدول التي انتصرت في الحرب العالمية الاولى لبقيت فلسطين كما كانت دائما مقاطعة من سورية ، ولجنة التحقيق ذهبت في كرمها الى أبعد من شروط الانتداب فاعطتهم دولة مستقلة بدلا من وطن قومي ... والحكومة البريطانية أعلنت مرات عديدة بأنها لم تقصد بأن تعطي الوطن القومي مفهوم الدولة . ولكن الاكثرية في لجنة التحقيق تجاوزت كرم الانتداب . كذلك انتقد لجنة التحقيق ، لانها زارت مخيمات اللاجئين في أوروبا واقترحت ادخال عدد كبير منهم الى فلسطين ، مع أن هيئة الامم المتحدة اتخذت تدبيرا في دورتها السابقة بمنع اسكان اللاجئين في مقاطعات لا تحكم نفسها اذا لم يوافق السكان الاصليون او اذا كان هذا الاسكان يسيء الى علاقات الصداقة بين الدول الاعضاء . كذلك انتقد تقرير لجنة التحقيق الذي أنكر على عرب فلسطين حق الاستقلال لانهم لم يشكلوا في الماضي دولة مستقلة فأكد أن فلسطين كانت لثلاثة عشر قرنا مضت قسما من الامبراطورية العربية ثم الامبراطورية العثمانية ولا يجوز انكار حق استقلالها لانها فصلت عن دولة كانت مستقلة ، ثم يذكر المشكلة اليهودية التي لا يخلو منها عصر من عصور التاريخ وذلك بسبب نوع معيشة اليهود التي تمسكوا بها ، بالرغم من التغيرات والتطورات التي حصلت في العالم .. الى أن يقول : ((**لقد تغير العالم كله ولكن اليهود وحدهم لم يتغيروا ، وأمام الامم المتحدة الآن آخر مشاكل الانعزال اليهودي وان لم يكن أقلها أهمية . وانه من الامور الغريبة أن نجد جماعة يقبلون رغبة اليهود في تأسيس دولة في فلسطين**)) . ويذكر بهذه المناسبة الجمهورية التي شكلها الاتحاد السوفييتي لاجل اليهود في



في احد اروقة الامم المتحدة ، فارس الخوري يستمع الى تقرير شفهي بحضور بعض ممثلي الدول ، ويبدو عن يمينه احد زملائه فالدكتور احمد السمان وعبد اللطيف سكر

***

اقصى شرقي سيبيريا وهي **جمهورية (بيروبيجان)** التي يمكن ان تستوعب جميع اللاجئين اليهود ، ويتوجه الى الولايات المتحدة بأن تضع حدا لهذه المشكلة لان الدعاية الصهيونية والارهاب الصهيوني يقومان على اموال أميركية ، والاسلحة والاموال الاميركية ترسل لمساعدة أقلية متطفلة ضد الاكثرية صاحبة الحق وضد السلطة المنتدبة نفسها . وينهي خطبته بقوله ان السوريين والشعوب العربية عموما يقاومون توصيات لجنة التحقيق وسوف لا يسمحون لراس جسر اجنبي معاد بأن يقام في قلب وطنهم .

لجنة جديدة تقابل بالاعراض

وقررت الهيئة العامة للامم المتحدة في ٢٣ أيلول ١٩٤٧ تشكيل لجنة خاصة بمشكلة فلسطين لبحث كتاب حكومة أنكلترا وتقرير لجنة التحقيق

وانهاء الانتداب وبعد ان تشكلت هذه اللجنة دعت مندوبين عن الوكالةاليهودية وعن الهيئة العربية العليا لفلسطين لحضور اجتماعاتها .. وصرح مندوب بريطانيا في هذه اللجنة ان حكومته ليست مستعدة أن تفرض بالقوة كل حل للمشكلة لا يقبله العرب واليهود واذا لم يوجد مثل هذا الحل **فانها ستنسحب القوات والادارة البريطانية من فلسطين في وقت قريب** . وقد أعرب السيد **جمال الحسيني** نائب رئيس الهيئة العربية العليا عن رفض مقترحات لجنة التحقيق ودافع عن تأسيس دولة عربية تحمي مصالح جميع الاقليات وحقوقهم ، بينما قبل مندوب الوكالة اليهودية **الدكتور سيلفر** مشروع أكثرية لجنة التحقيق . والقى **السيد كميل شمعون** مندوب لبنان خطابا مستفيضا في هذه اللجنة الخاصة هاجم فيه مطالب اليهود التاريخية في فلسطين . ووصف **السيد نوري السعيد** مندوب العراق اقتراحاتلجنة التحقيق الخاصة بأنها اكثر وهما وخيالا من ألف ليلةوليلة .. وتكلم **الدكتور فاضل الجمالي** وزير خارجية العراق موجها لومه الى الولايات المتحدة التي تتبع نوعا من السياسة نحو اليونان ونوعا آخر نحو فلسطين واحتج عليها لانها ترسل المال والذخائر الحربية الى فلسطين لتشجيع الارهاب الصهيوني والهجرة غير الشرعية وذكر الفرق بين اليهودية التي هي دين والصهيونية التي هي حركة سياسية ذات طبيعة مملوءة بالحقد وحب الاعتداء . وانبرى السيد **محمد ظفر الله خان** وزير خارجية الباكستان فقال : « ان مجرد وجود أولاد مشردين ليس سببا كافيا لارسالهم الى فلسطين . فهم في وضعهم هذا لا يختلفون في شيء عن أولاد هنود تشردوا من جراء التقسيم في الهند ويطلب أن يهاجروا الى الولايات المتحدة الاميركية ... » وبعد أن وصف مشروع التقسيم بأنه «وحشي من ناحيتيه المادية والجغرافية»رفض التسليم بأن التقسيم في الهند قد اوجد سابقة فيالموضوع لان فيالهندكانت كل من الدولتين تضم اكثرية ساحقة من ابنائها قبل اجراء التقسيم وهذه الاكثرية لم تتم بصورة اصطناعية عن طريق الهجرة المحولة من الخارج ... جرى بالاتفاق بين المسلمين والهندوسيين وبرضاهم التام » . وتكلم **الدكتور محمود فوزي** مندوب مصر مؤكدا بأن فلسطين انما هي ملك لاهليها العرب وأن تشكيل دولة يهودية مبنية على أساس ديني وبالقوة في فلسطين انما هو عمل خيالي غريب وسيؤدي حتما الى نزاع دام لا ينتهي اجله » . وتكلمت السيدة **لاكشيمي بانديت** مندوبة الهند فقالت ان مشكلة المشردين لا يجب ان تحل على حساب فلسطين وان الحل الوحيد لفلسطين هو في انشاء دولة

عربية صرفة مع منح الاقلية اليهودية حقوقا ديموقراطية تامة في تلــــك الدولة .. **غير أن مندوبي بناما والاوروغواي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيـــا وأسوج وغواتيمالا والاتحاد السوفييتي وكندا ونيوزيلاندا** ايدوا التقسيـــم في الكلمات التي ألقوها .

العرب مستعدون للرد على التحدي

وفي ١١ تشرين الاول ١٩٤٧ وقف المستر جونسون مندوب الولايـــات الاميركية المتحدة في اللجنة الخاصة ليعلن تأييد حكومته للتقسيم مع بعــض التعديلات .. فرد عليه **فارس الخوري** مؤكدا أن العرب مستعدون للـــــرد على التحدي الذي يوجهه الصهيونيون والامريكيون لهم .ويذكر بأن لجنـــة البحث عن الحقيقة بدلا من أن تقترح حلا عمليا لمشكلة فلسطين فانها أوجدت وضعا أسوأ ، وقدر أنها ولا بد أسست مشروعها على افتراضات ثلاثـــة اعتبرتها أمورا مسلما بها وهي مزاعم اليهود التاريخية بشأن فلسطـــين ، والوعود الدولية في صك الانتداب ، والامر الواقع . وهذه الامور الثـلاثة خاطئة من أساسها ، **فاليهود لا علاقة لهم بفلسطين منذ عشرين قرنا . أمـا صلتهم العاطفية بها فيشاركهم فيها المسلمون والنصارى أيضا ، عدا عن ذلك فاليهود لم يشكلوا دولتهم قديما الا في جزء من فلسطين والحضارة التي ادعوا أنها حضارتهم أخذوها عن جيرانهم الكنعانيين والفلسطينيين والمصريين والبابليين** . أما قضية الوعود الدولية لليهود في صك الانتداب فان عـرب فلسطين والعرب عموما قد عارضوا شرعية الانتداب ووعد بلفور الـــذي احتواه صك الانتداب لان الوعد أعطي عندما كانت فلسطين لا تزال قسما من الدولة العثمانية كما أن صك الانتداب وضع وفلسطين لا تزال قسما مـــن الدولة العثمانية وفي حالة ارض عدو محتلة (أي قبل معاهدة لوزان ١٩٢٣) وعلى كل حال فانه يقترح عرض هذه المشكلة القانونية على محكمة العــدل الدولية .. (وكان جونسـون قد قال أن الولايات المتحدة أعطت دماء أبنائهـا في الحرب العالمية الاولى لكسب الحرب وتحرير المقاطعات العربية) فعقب فارس الخوري على هذا الكلام بقوله انه يمكن الاستنتاج من موقف بعـــض الاميركيين أن الولايات المتحدة كأنها قامت بهذه التضحيات ليس لاجل العرب وتحرير فلسطين بل لكي تقدم تلك البلاد هدية لليهود ... وقال بأن من الثابت أن يهود اميركا وخاصة نيويورك يرمون من وراء احتلال فلسطين الى غزو

العالم الشرقي وبسط سيادتهم عليه لاستعماره وهذه الدولة المنتظرة اذا أوجدت ستكون دائما معتمدة على يهود الولايات المتحدة ... أما ما قاله جونسون عن أهتمام الولايات المتحدة بمصير الشعوب التي تحررت بنهاية الحرب العالمية الاولى فيسأله عن هذه الشعوب التي تحررت ويذكره بميثاق هيئة الامم ومبادىء الرئيس ويلسون الاربعة عشر وميثاق عصبة الامم ويسأله اذا كانت تسمح بفرض جماعة من الاجانب على البلاد وحرمان سكانها من أرضهم وتقرير مصيرهم ثم يقرأ له المادة (٨٠) من ميثاق هيئة الامم التي تقول : **(ان شروط الانتداب لايمكن أن تتعدل أو تتغير الا بموجب اتفاق على وصاية بموجب الميثاق)** وانكلترا لم تتقدم باتفاق على وصاية ولا أعلنت استقلال فلسطين ... وقال ان العرب لا يمكن أن يستسلموا لهذا المشروع وتعرض لما جاء في كلمة مندوب الوكالة اليهودية من تهديد للعرب باستعمال قوات الارهابيين التي تحت تصرف الوكالة ضدهم وربطه بنصيحة مندوب الولايات المتحدة التي تقول بتشكيل قوة من الشرطة مؤلفة من المتطوعين للعمل في فلسطين وقال « أمام هذا التحدي فان العرب لا يسعهم الا قبول التحدي » .

اللجنة الخاصة تقرر التقسيم

بعد أن تناقشت اللجنة الخاصة في مسألة فلسطين قررت تأليف لجنة للتوفيق بين العرب واليهود لم تتمكن من القيام بعمل مثمر ... وشكلت لجنة فرعية أولى لوضع مشروع مفصل للاعتراف بفلسطين كدولة مستقلة موحدة . أما اللجنة الاولى فقد أتمت عملها كما أريد منها . أما الثانية فقد قدمت ثلاثة اقتراحات : **الاول** ، أن يطلب من محكمة العدل الدولية اعطاء الرأي في بعض المسائل القانونية التي تتعلق بمشكلة فلسطين ومن جملتها صلاحية هيئة الامم في تنفيذ حلول معارضة لرغبة الاكثرية في فلسطين . **الثاني** : حل مشكلة اللاجئين اليهود والمشردين على أساس دولي . **الثالث** : انشاء حكومة موقتة لشعب عموم فلسطين وتخويل صلاحيات الدولة المنتدبة اليها وتشكيل مجلس تأسيسي .

وفي الرابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧ رفضت اقتراحات اللجنة الفرعية الثانية بشأن جعل فلسطين دولة موحدة بأكثرية ٢٩ صوتا ضد ١٢ وامتناع ١٤ وغياب دولتين . كذلك رفضت الاكثرية نقل قضية فلسطين

بمجموعها بما فيه وعد بلفور والانتداب الى محكمة العدل الدولية كما رفضت الاكثرية تكليف محكمة العدل الدولية بابداء رايها في صلاحية الامم المتحدة بتنفيذ اي نوع من التقسيم دون موافقة سكان فلسطين على ذلك .. وقد امتنعت انكلترا عن التصويت في جميع هذه المقترحات .. وفي ٢٥ تشرين الثاني جرى التصويت في اللجنة على مشروع تقسيم فلسطين كما ورد في تقرير اللجنة الفرعية الاولى فقبل بأكثرية ٢٥ صوتا ضد ١٣ وامتناع ١٧ وغياب دولتين .

هيئة الامم تقرر التقسيم

عرض مشروع التقسيم على الجمعية العمومية في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧ لاقراره أو رفضه وفي ٢٩ تشرين الثاني .. أقر التقسيم بأكثرية ٢٣ صوتا هي **(أستراليا ، بلجيكا ، بوليفيا ، البرازيل ، روسيا البيضاء ، كندا ، كوستاريكا ، تشيكوسلوفاكيا ، الدانيمرك ، دومينيك ، الايكوادور ، فرنسا ، غواتيمالا ، النروج ، بناما ، الباراغواي ، البيرو ، الفيليبين ، بولونيا ، اتحاد جنوبي أفريقيا ، الاتحاد السوفييتي ، أسوج ، أوكرانيا ، الولايات المتحدة ، الاورغواي ، فنزويلا ، هايتي ، هولندا ، ايسلندة ، ليبيريا ، اللوكسمبورغ ، نيوزيلاندة ، نيكاراغوا .) .**

أما الدول التي عارضت التقسيم فهي ثلاث عشرة دولة :
(سورية ، لبنان ، مصر ، العراق ، السعودية ، اليمن ، تركيا ، الافغان ، الهند ، الباكستان ، ايران ، كوبا ، اليونان) .

أما الدول التي استنكفت فهي عشر دول هي :
(المكسيك ، انكلترا ، الارجنتين ، الشيلي ، الصين ، كولومبيا ، السلفادور ، هندوراس ، الحبشة ، يوغوسلافيا) .

أما الدولة الغائبة فهي (سيام) .

وقد شرح فارس الخوري في خطبه فيما بعد أن ٢٤ دولة تحوي ثلثي سكان العالم رفضت الموافقة على التقسيم اما برفض المشروع او بالاستنكاف والذين وافقوا يمثلون ثلث سكان العالم ومعظمهم ينتسبون الى دول نائية ليس لها اتصال بفلسطين او بشؤون القارة الآسيوية والشرق الادنى .. أما ضمان ثلثي الاصوات فقد تم **بنتيجة مناورات وتطبيقات** شتى ..



سماحة السيد محمد امين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر ورئيس الهيئة العربية العليا يتوسط عددا من رجالات العرب ، وعن يمينه المغفور له السيد سعد اللـــه الجابري رئيس الوزارة السورية ، وعن يساره السيد سعدي المنلا رئيس الوزارة اللبنانية فالسيد لطفي الحفار وزير الداخلية السورية ، ويظهر وراءهم ، الى اقصى اليمين ، السيد عمر الجابري ، والـى اقصى اليسار ، السيد حليم ابو عز الدين ، والحاج يوسف الشرفاء .. وذلك في القاهـــرة في كانون الاول ١٩٤٦ .

***

قرار التقسيم فـــي مجلس الامن

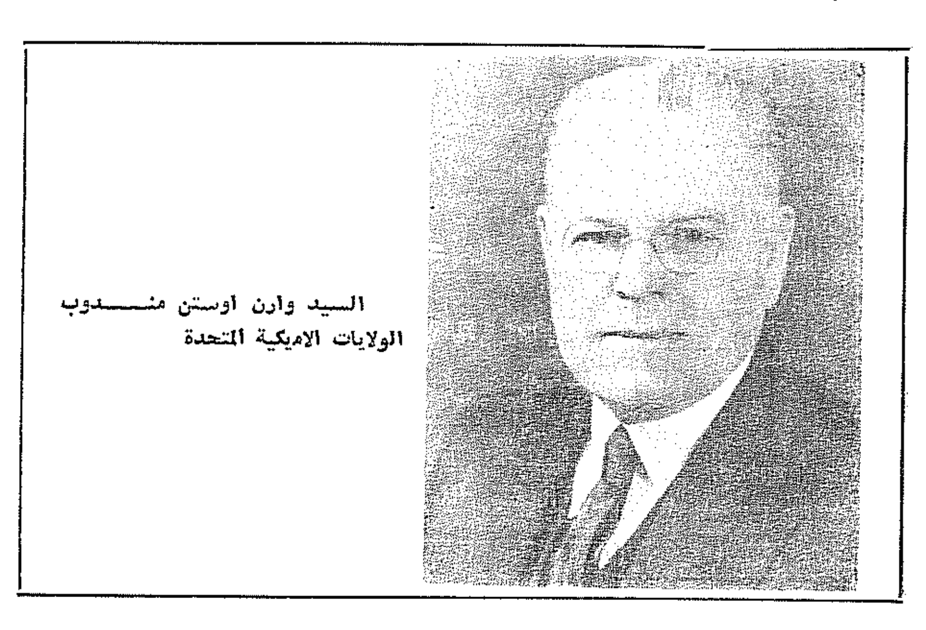
بعد صدور قرار تقسيم فلسطين نقل هذا القرار الى مجلس الامـــن ونوقش فيه ، فأبان **فارس الخوري** فيه عدم مشروعية التقسيم من جهـــة وعدم اضطرار مجلس الامن لقبول طلب الجمعية العمومية وتوصياتها مـــن جهة اخرى . وتكلم عن الضغط والتدخل الذي قامت بهما بعض الـــدول الكبرى للوصول الى التوصيات اللازمة التي ارتأتها الجمعية العمومية التـــي

تنطوي على جميع ما يمكن أن يتصوره انسان من عبث بالحقوق وعدوان عليها، ووصف التوصيات بأنها غير ملزمة وأوضح عدم شرعية اللجنة الخماسية لتقسيم فلسطين لانها لا تستند على أساس قانوني وأكد بطلان التقسيم كما أكد أن جمعية الامم المتحدة ليست بحكومة عالمية ولا تتمتع بالسلطة التنفيذية التي تهيمن بها على شعوب العالم وذكر أعضاء مجلس الامن بأن هذه القضية ليست عربية يهودية ولا قضية الشرق والغرب بل هي قضية صراع بين العواطف العمياء وبين العقل ، وبين الحقوق الطبيعية والحقوق المكتسبة بموجب الدعاوى الباطلة وبأسلوب غير مشروع ، وبين مناهج القانون الدولي وسياسة القوة المرتكزة على شريعة الغاب ... وقد كان لهذه الخطبة صدى بعيد في الاوساط الدولية والاميركية حتى أن أحد أعضاء مجلس الكونغرس الاميركي المستر **غوست** نائب ولاية تكساس وقف في الكونغرس في ٨ آذار ١٩٤٨ وقال : ((**اذا أراد أحد منا أن يعرف وجهة نظر العرب في قضية فلسطين الهامة ، واذا أراد أن يقرأ أعظم خطبة ألقيت في هذه البلاد في الشهور الاخيرة فاسمحوا لي أن أوصي بقراءة الخطاب الفخم المليء بالحقائق الذي ألقاه السياسي السوري السيد فارس الخوري أمام مجلس الامن في ٢٤ شباط ١٩٤٨ .. ان خمسين بالمائة من أعضاء الكونغرس ومن الشعب الاميركي الذين يعرفون الحقائق ويدركون ما تنطوي عليه هذه المشكلة مستعدون للاعتراف بأننا ارتكبنا خطأ فادحا ... ان الامم الشريفة كالرجال الشرفاء يعترفون بأخطائهم ويسعون لتصحيحها ولتخفيف الاضرار الناتجة عنها ... ان موقفنا في الجمعية العمومية للامم المتحدة في قضية فلسطين لا يمكن الدفاع عنه ... اننا نحاول التدخل في سيادة عنصر قديم محترم وفي حقوقه الثابتة بدون أي مبرر اخلاقي أو قانوني ... يا سيدي الرئيس ، ان الشعب الاميركي لم يطلع على الحقائق ولم يسمع وجهة نظر العرب ولقد حان الوقت لان نفتح عيوننا ولذلك فانني لاجل الحقيقة والتاريخ ولاجل أن يطلع أعضاء الكونغرس والشعب الاميركي على نواحي هذه القضية فقد استأذنت بادخال خطاب السيد فارس الخوري في وقائع مجلس الكونغرس واسمحوا لي أن أوصي كل أميركي بقراءته**)) .

وقد نشر نص خطاب المستر غوست مع نص بيان الاستاذ فارس الخوري في كراس خاص باللغة الانكليزية ووزع على نطاق لا بأس به .

قيام (اسرائيل) والحرب بينها وبين العرب وتدخل مجلس الامن

وتتابعت التطورات ، وأعلنت بريطانيا انهاء انتدابها على فلسطين في ١٥ أيار ١٩٤٨ ، ودخلت الجيوش العربية أرض فلسطين لتحريرها ولاعادة الحق الى أهله ، فقدم مندوب الوكالة اليهودية **السيد موشي شاريت** شكوى الى مجلس الامن ضد الدول العربية **طالبا أصدار الاوامر اليها** بوقف التهديد لفلسطين .. ورد عليه مندوب الهيئة العربية العليا **السيد جمال الحسيني** أن هيئته التي تمثل الاكثرية الساحقة من سكان فلسطين هي التي وجهت الدعوة الى الدول العربية ترجوها دخول أراضي فلسطين .. وعندما طلبت حكومة (اسرائيل) من مجلس الامن التدخل لوقف الزحف العربي أجاب مندوب مصر : (ان البيت الذي بجوارنا يحترق بسرعة فمن حق مصر والحالة هذه بل من أقدس واجباتها أن تسرع لاطفاء هذه النار) . وفي ١٧ أيار ١٩٤٨ تقدم مندوب أمريكا باقتراح يدعو فيه الفريقين لوقف اطلاق النار ووجه لائحة أسئلة الى الدول العربية والى الهيئة العربية العليا والى (حكومة



السيد وارن اوستن مندوب الولايات الاميكية المتحدة

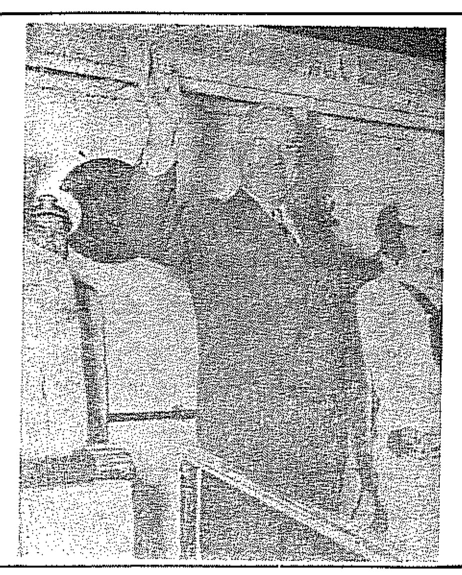
اسرائيل) وفي اليوم التالي دار نقاش حاد بين الاستاذ **فارس الخوري والسيد وارن أوستن** مندوب امريكا حول عدم شرعية اعتراف الولايات المتحدة ب (اسرائيل) أبان فيه الخوري عدم قانونية هذا الاعتراف وطلب احالته الى محكمة العدل الدولية لتبدي رأيها فيه وعندما فقد وارن حجته أجاب بحدة أنه « لا يحق لاية محكمة دولية ولا لاي شخص أن يبحث قضية اعتراف حكومته بدولة اسرائيل » فأجابه **الدكتور شارل مالك** مندوب لبنان **(ما دامت الولايات المتحدة لا ترضى ببحث صلاحية اعترافها فلا يحق لها والحالة هذه أن توجه أي سؤال الى الدول العربية عما جرى عن الاتفاق فيما بينها بشأن قضية فلسطين) .**

وفي ٢٢ أيار ١٩٤٨ قرر مجلس الامن الدولي اصدار توصياته بوقف القتال واحداث هدنة مدتها أربعة أسابيع .

وقد عارض فارس الخوري فرض هذه الهدنة ونصح للدول العربية بعدم التقيد بها ولكن الدول العربية خالفته وكانت هذه خطيئتها الكبرى .. وتحدد موعد وقف القتال في ١١ حزيران ١٩٤٨ وجاء **الكونت فولك برنادوت** الوسيط الدولي الاول يعرض مقترحاته التي جاءت غير متفقة مع آمال العرب .. ثم اقترح الكونت المذكور تمديد الهدنة بين العرب واليهود ..وفي جلسة مجلس الامن وقف المندوب الاميركي يتهم الدول العربية بتهديد السلم في الشرق الاوسط فانبرى له فارس الخوري ووصف اتهاماته بأنها لا يمكن السكوت عليها وتساءل كيف يمكن للعرب **الخضوع وهم يرون** عناصر خارجية مسلحة تعتدي **على سكان البلاد الاصليين .**

وتتابعت النكبات . وتابع فارس الخوري كفاحه في الاوساط الدولية.. وفرضت الهدنة الدائمة . فطلب فارس الخوري **في تموز ١٩٤٨** الموافقة على اقتراح تقدم به بشأن عرض مشكلة فلسطين وشرعية (حكومة اسرائيل) على محكمة العدل الدولية وأتى **بجميع النصوص والمواد القانونية التي** تسمح بعرض هذه القضية على محكمة لاهاي المشار اليها .. ولكن هذا الاقتراح لم ينل أكثرية الثلثين وكان اشد المعارضين له الاتحاد السوفييتي والولايات الامريكية المتحدة .

وفي ١١ آب ١٩٤٨ القى فارس الخوري محاضرة في منظمة **(اليونسكو)** التي عقدت دورتها عامذاك في **(ليك ساكسس) وكان عنوانها : (** فلسطين كمحك لمباديء الامم المتحدة) مما قاله فيها : **(أن هذه المنظمة التي تألفت للمحافظة على السلم ولمنع الحرب في العالم ولكنها في هذه القضية عملت**



السيد هـــــاري ترومان رئيـــس الولايات الامريكية المتحدة ، اعترف بـ (دولة اسرائيل) بعد عشر دقائـــــق انقضت على قيامها !!!

بصورة معاكسة لاهدافها ورسالتها باهمالها مباديء العدالة والقــــانون ، وتصرفها حسب سياسة القوة بشكل يثير العداء ويقلق السلم في الاراضي المقدسة والشرق الاوسط) .

اليهود .. وحائط المبكـى

وفي تشرين الاول ١٩٤٨ عقد مجلس الامن جلساته في قصر شايو في باريس فكان فارس الخوري يقف في مجلس الامن ويهاجم المجلس المذكور لسكوته عن اعتداءات اليهود وخرقهم للهدنة ومهاجمتهم منطقة النقب تمهيدا للاستيلاء عليها .. وتشريد نصف مليون فلسطيني .. فقال فـي احـدى الجلسات : ((**وبينما كانت الحالة تستوجب النظر في هذه الامور فان ممثل اليهود أخذ يتكلم عن حائط المبكى .. وما هي دعواه في حائط المبكى ؟! هل احتل اليهود هذا الحائط وهل يحتله العرب الآن ؟! ان هنالك احجارا قائمة وهي لا تزال هناك منذ العصور القديمة ولا يمسها أحد .. فماذ يريدون ؟! انها في مدينة القدس القديمة ولا تزال في مكانها وليس من احتلال هناك)).**

كما تحدث عن دعوى اليهود ضد الجيوش المصرية التي تجتاز حـدود

فلسطين واصفة عملها بانه اعتداء فقال :

« ان الجيوش المصرية تدخل فلسطين من اراضي مصر المتاخمة لاسباب تبرر دخولها .. أما الجيوش اليهودية فمن أين اتت ؟! لقد عبرت جيوش اليهود البحار والمحيطات والجبال وتهافتت من كل بلاد العالم لتهاجم فلسطين ولتوطد أقدامها فيها ، فهل يمكن اعتبار أولئك المعتدين الذين اتوا لغزو شعب مسالم في عقر دارهم أنهم يعملون بحق .. بينما يعتبر المصريون القادمون الى اخوانهم ليوطدوا الامن ويعيدوا اللاجئين الى اوطانهم كجماعة معتدين ؟! » .

سيستعد العرب قرونا اذا اقتضى الامر

وكانت اطول خطبة ارتجلها فارس الخوري أمام اللجنة السياسية لهيئة الامم المتحدة في باريس تلك التي القاها في ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٨ واستغرقت ٥٤ صفحة وقد شرح فيها مزاعم الصيونية ورد عليها واتى على تطور المشكلة أمام هيئة الامم وعلى تأسيس دولة (اسرائيل) المبنية على الاعتداء وذكر مطامع الصهيونيين الى ان قال :

«ان العرب لا يمكن ان يخدعوا الى هذه الدرجة، وان عليهم ان يكونوا على حذر ، وأن يفتحوا عيونهم وآذانهم وأن يكونوا مستعدين ، وذلك ليس لسنة واحدة ولا لسنتين ولا لعشر سنوات بل لقرون اذا اقتضى الامر حتى يتجنبوا الخطر الذي تجابههم به الامم المتحدة ، وسوف لن يطمئنوا ولن يخضعوا لهذه التهديدات ولهذه الحالة كما أنهم سوف لن يعترفوا بها .. » .

فارس الخوري .. عضو لجنة القانون الدولي

اجتمعت لجنة دولية في شهر ايار ١٩٤٧ في مقر هيئة الامم المتحدة للبحث في القانون الدولي ، واتخذت قرارا في ٢١ منه ، ترجو فيه الجمعية العمومية لهيئة الامم تشكيل لجنة غرضها اتمام تقنين القانون الدولي وفقا للتوصيات التي ستتقدم بها هذه اللجنة نفسها .. وكانت توصيات اللجنة الدولية أن تؤسس الجمعية العمومية لجنة القانون الدولي على أسس ثابتة، وأن يكون عدد اعضائها خمسة عشر خبيرا في القانون الدولي ينتخبهم مجلس الامن والجمعية العمومية ، ومدة العضوية خمس سنوات ، وأن تطلب الجمعية

العمومية من هذه اللجنة (**لجنة القانون الدولي**) وضع مشروع قانون يشتمل على مباديء القانون الدولي وعلى مواد تتعلق بصيانة السلم والامن الدوليين من العدوان ، وتخويلها حق مراجعة المؤسسات الوطنية والدولية لجمع المعلومات او التحقق من صحتها في كل ما له علاقة بمهمتها ، وان يحال اليها اقتراح يتعلق بحقوق الانسان ومسؤولياته ، تقدمت به بناما ، وان تعنى اللجنة ايضا العناية كلها بمنع الافناء الاجماعي الجماعات العنصرية او السياسية او الدينية او سواها .

وفي ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٧ اتخذت الجمعية العمومية قرارا بتشكيل (لجنة القانون الدولي) على أن تعد هذه اللجنة مسودات اتفاقيات تتبناها الجمعية العمومية وأن لا تصبح لهذه الاتفاقيات قوة القانون الا بعد تصديقها من قبل الدول الاعضاء ، وأن لا تكون للجمعية العمومية بموجب احكام الميثاق قوة فرض هذه الاتفاقيات وانما توصي بها فقط ..

وقبل ان يحصل انتخاب الاعضاء الخمسة عشر للجنة القانون الدولي طلبت هيئة الامم من كل دولة من اعضائها أن ترشح اثنين من مواطنيها ممن تجد فيهم الخبرة والكفاءة العلمية والقانونية ، واثنين من سواها من الدول للعضوية .. وقد أرسلت الدول اسماء مرشحيها وكانت حريصة على انتخاب أعضاء من رعاياها حتى انها كانت تبذل جهودا لانتخابهم بالكتابة الى دول أخرى موصية بترشيحهم ، ولم يرشح فارس الخوري نفسه وبالتالي لم يقم بأية دعاية للفوز بعضوية هذه اللجنة ، ولم ترشحه دولته .. ولكن أصدقاءه من مختلف الدول ، المطلعين على سعة علمه وخبرته وفضله رشحوه. وفي الدورة الثالثة التي عقدتها هيئة الامم في باريس جرى اختيار الاعضاء لهذه اللجنة فاتضح بنتيجة الفرز ان فارس الخوري قد حصل على ٣٩ صوتا من أصل ٥٩ وبذلك أصبح عضوا في لجنة التشريع الدولي وتجددت عضويته في كل مرة انتهت فيها .. فظل محافظا عليها الى حين وفاته . ومما يذكر أن لجنة القانون الدولي هذه اعدت مشروع ميثاق خاص بحقوق الدول وواجباتها بعد دراسات دقيقة شاملة للمسألة وأرسلت صورا منها الى جميع الدول الاعضاء لابداء رأيها فيها اقترعت اغلبية الدول الاعضاء على ارجاء ادراج المشروع في جدول اعمال الجمعية العمومية في حين ايدت جميع الدول العربية ادراجه حينما قال فارس الخوري ان ليس من الحكمة تأجيل هذه المسألة وقد كان ذلك في تشرين الاول ١٩٥٠ . ولما اقترح مندوب كوبا ارجاءها ، تلا فارس الخوري نص المادة ١٣ من الميثاق التي تحفز الجمعية

العمومية على الاهتمام بالدراسات واصدار التوجيهات التي تعين على تقدم القانون الدولي .

سورية تستقبل ابنها البار

انتهت عضوية سورية في مجلس الامن الدولي في نهاية عام ١٩٤٨ وهنا قرر الاستاذ فارس الخوري العودة الى وطنه .

وفي صباح الاثنين ١٠ كانون الثاني ١٩٤٩ زحفت الجماهير الشعبية الى مطار المزة فكانت الشوارع والطرقات والشرفات والمؤسسات مزدانة بالاعلام .. **وكان في استقبال العائد الكبير .. السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية ولطفي الحفار ومحمد نوري الفتيح نائبا رئيس مجلس النواب وخالد العظم رئيس الوزراء والوزراء والرؤساء والوزراء السابقون والنواب وأهل الرأي والمكانة والعلم والادب والثقافة والاقتصاد .**

الشيخ بهجت البيطار يلبسه عمامته

وبعد ان انتهى من تحية مستقبليه ، سأل ولده سهيل عن طربوشه وكان قد اوصاه بأن يحضره معه الى المطار في كتاب بعث به اليه ، ولكن سهيلا كان قد نسي .. فما كان من الشيخ بهجت البيطار علامة الشام الكبير الا أن رفع عمامته بكلتا يديه ووضعها على رأس العائد الكبير الذي اعتم بها بين موجات الهتاف والتصفيق ..

ثم ركب الى يسار الرئيس القوتلي في الطريق الى القصر الجمهوري . وتوجه بعد ذلك الى منزله ، ورجال الامن على طول الطريق يؤدون له التحية الرسمية والشوارع المحيطة بداره ملأى بالجماهير المحتشدة .. وحافلات الترام والسيارات متوقفة عن السير .

يرأس المجلس النيابي السوري

وفي مساء ١٣ كانون الثاني ١٩٤٩ كان مجلس النواب السوري على موعد مع جلسته فاذا بالفارس العربي هو الذي يراسها .. وقد وجه كلامه الى النواب فقال : « قبل افتتاح الجلسة أرى أن اقدم مزيد الشكر ووافر

الامتنان على الثقة التي منحتموني اياها طيلة السنتين الماضيتين عندما انتخبتموني في غيابي رئيسا لمجلسكم رغم عجزي عن القيام بأعباء الرئاسة. وكنت اتمنى بعدما حدث من احداث لو كان لقائي بكم في ظروف غير هذه الظروف . ولكن مع الاسف فان الاقدار قد قضت بأن يمتحن هذا الجيل بهذه المحنة في فلسطين ، التي كنا نكافح في الغرب لكي ندفع عنها النكبة ، كما كانت الحكومات العربية تكافح في فلسطين عصابات غزاة مجرمين تمدهم دول اجنبية بالمال والسلاح .. واذا ما خسرنا بالعراك المسلح الجولة الاولى فلا يعني بأننا نكون خاسرين للجولات التالية . وانني لست يائسا من نتيجة تعيد الحق الى اصحابه اذا استفدنا من النكبة واعتبرنا بها وعرفنا مواطن الخطر فينا ونقاط الضعف في عملنا .. واعددنا انفسنا خير عدة على ضوء التجارب المؤلمة الماضية للجولات التاليات ، والحق لا يضيع متى كان وراءه مطالب . وقد علمتنا التجارب بأنه يجب علينا الا ننتظر الوصول الى حق في المنظمات الدولية الا اذا كانت تدعمه القوة ، والقوة المحلية التي كانت تدعم حقنا في فلسطين لم تكن مع الاسف كافية ولكنني آمل بأن العرب في المستقبل القريب باذن الله سيحصلون على القوة الكافية التي تعيد اليهم حقهم ، وقد كافحوا مدة مائتي سنة محنة مثل هذه المحنة وحاربوا غزوا مثل هذا الغزو ، وخرجوا بالنتيجة ظافرين بالحروب الصليبية . علينا أن نتحد وهذا هو الواجب الاول ، ثم علينا أن نوحد بين ملوك ورؤساء العرب ، ثم نوحد الحال بين الشعوب العربية لنقف جميعا في صف واحد ، موحدي الكلمة تجاه الخطر الاجنبي » .

تنافس النواب في اظهار مشاعرهم

وهنا نهض شيخ النواب **السيد محمد نوري الفتيح** (نائب رئيس مجلس النواب) ليعبر عن فرح زملائه بعودة رئيسهم اليهم ، وعن شكرهم له ، لما قام به من أعمال تعجز عنها الجماعات ..

ثم تلاه رئيس الوزراء الاسبق **السيد لطفي الحفار** (نائب رئيس مجلس النواب) ليعرب عن سرور المجلس لعودة رئيسه وعقله المفكر وليقول : « ان المجلس اذا كان قد خسر رئاستكم فقد استعاض عنها بما قمتم به من خدمات كبرى في الغرب » .

وتكلم بعد ذلك **الدكتور ناظم القدسي** نائب حلب فقال : « أرى من

واجبي ، نظرا لما جاء في خطابكم من أن جهودكم لم تكلل بالنجاح أن أقول.. ان الرجل الذي يخدم بلاده لا يستحق الشكر بنسبة نجاحه بل بنسبة نيته وصدق اخلاصه » .

ثم قال **خالد العظم** رئيس الوزراء : « يهم الحكومة أن تشارك المجلس والامة في اكبار وتقدير دولة الاستاذ فارس الخوري لما قام به من اعمال مجيدة سجلها تاريخ جهاده الحافل ... وان تقدير الامة السورية والامم العربية هو أعظم وسام تستطيع الامة والعروبة أن تقلده لدولة الخوري » .

وتقدم الوزير السابق ونائب دمشق السيد **نسيب البكري** باقتراح خطي ينص على تأليف لجنة للعمل على ايجاد أسلوب لتخليد اسم فارس الخوري رجل العرب العظيم .. ورد فارس الخوري على هذا الاقتراح بقوله: « انني أقول لكم ان الشخص ما دام حيا فهو المكلف بتخليد وتكريم اسمه وعندما يعجز عن ذلك يقوم غيره بهذه المهمة . » .

بدء الانقلابات في سورية

وفي ٣٠ آذار ١٩٤٩ افاق الناس على انباء انقلاب عسكري وقع في سورية وأطاح برئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي وبرئيس وزرائه السيد خالد العظم ، قام به الزعيم حسني الزعيم رئيس الاركان العامة للجيش السوري الذي ما لبث أن استتب له الامر فحل مجلس النواب في ٢ نيسان والف حكومة برئاسته في أواسط ذلك الشهر ثم أجرى استفتاء شكليا سمى نفسه بنتيجته رئيسا للجمهورية السورية في ٢٥ حزيران ١٩٤٩ .

وفي صبيحة ١٤ آب ١٩٤٩ فوجيء الناس بانقلاب عسكري ثان يطيح بقائد الانقلاب الاول حسني الزعيم وبرئيس وزرائه الدكتور محمد محسن البرازي ، قام بقيادة الزعيم محمد سامي الحناوي وساعد فيه العقيد بهيج الكلاس الذي كانت له اليد الطولى في نجاح الانقلاب الاول وكان من أقرب المقربين للزعيم حسني الزعيم .. فاستدعي فارس الخوري وعدد من رجالات البلاد للمشاورة .. **فاستعرض لهم أحداث الماضي وحذر سامعيه مما قد يحدثه الحادث الجديد من صدى سيء في الخارج** ثم قال : « طالما أنه وقع فلا بد من افراغه في قالب قانوني » ثم تألفت لجنة من السادة : **« هاشم الاتاسي وفارس الخوري وحسن الحكيم واللواء عبد الله عطفة والزعيم محمد سامي الحناوي»** كلفت احد اعضائها ، الرئيس الجليل هاشم الاتاسي بتأليف



الزعيم حسني الزعيم ، الحلقة الاولى في سلسلة الانقلابات التي نكبت سورية بمآسيها، والمجرم الاول في حق الامن والطمانينة والاستقرار .

**

وزارة انتقالية ، تنتقل بالبلاد الى وضع دستوري سليم ، وهكذا كان . .

ولكن الاستقرار كان على ما تراءى بعيد المنال . . فان العقيد اديب الشيشكلي ما لبث ان قام (بدافع من بعض العناصر الانتهازية الوصولية المغرضة) بانقلاب عسكري في ١٨ كانون الاول ١٩٤٩ ضد قيادة الجيش . . وبعد أيام قليلة استدعي فارس الخوري لتشكيل وزارة جديدة فاعتذر .

فارس الخوري يعود الى هيئة الامم

وفي أيلول ١٩٥٠ عاد فارس الخوري الى (ليك ساكسس) كرئيس لوفد بلاده لدى منظمة الامم المتحدة ومما يذكر ان **السيد سليم ساربر** رئيس الوفد التركي القى بيانا قال فيه ان **مسالة الاسكندرونة** لم يعد لها وجود .

فرد عليه فارس الخوري بقوله ان سورية لم تتنازل عن حقها في السنجق الذي ضم الى تركيا دون أي وجه قانوني ..

وفي ٩ تشرين الاول ١٩٥٠ أقام السيد **دين أتشيسون** وزير الخارجية الامريكية مأدبة لرؤساء الوفود العربية في الامم المتحدة وطلب من رئيس كل وفد أن يذكر أماني دولته بعد أن اعترف بأن الولايات الامريكية المتحدة ارتكبت بعض الاخطاء الظالمة للعرب وأعلن عن استعدادها لتوثيق علاقاتها بهم .. فأجابه **فارس الخوري** ان الشعوب العربية عادة لا تطمئن الى الكلمات الشفوية التي يتكلم بها الامريكيون ليحاولوا اقناع العرب بصداقتهم لهم وأن الدول العربية تزداد ادراكا بأن عنف القبضة اليهودية على عنق العالم الاميركي اشد واخطر من الحب التقليدي الذي يضمره الشعب الاميركي لمبادىء العدالة والحرية ..

كما ان السيد **أندريه فيشنسكي** وزير الخارجية الروسية اقام هو الآخر مأدبة لرؤساء الوفود العربية وكان فارس الخوري صريحا في **انتقاد موقف الروس من قضية فلسطين**، ولكنه أكد السيد فيشنسكي أنه ما زال باستطاعة روسيا ان تكسب صداقة العرب وثقتهم اذا كانت تتقرب منهم بطريقة عملية تدل على العطف عليهم والفهم لمطاليبهم وحقوقهم ..

وعندما حاول اليهود تجفيف (الحولة) ورفعت سورية شكواها ضدهم الى مجلس الامن وقف رئيس الوزارة السورية السيد خالد العظم في البرلمان السوري في ١٨ نيسان ١٩٥١ يقول معقبا : ((**... ومن دواعي الارتياح أن دولة فارس بك الخوري لم يزل على رأس وفدنا في منظمة الامم التي عرفته أوساطها أنه من رجال الطراز الاول في كل القضايا القومية التي دافع عنها فكان خير مدافع فالى الاستاذ الجليل من هذا المنبر تحية اعجاب واحترام عميق**)) .

●

وعاد فارس الخوري الى سورية في ٣١ تموز ١٩٥١ وكان الشيشكلي قد استفحل أمره وازداد طغيانه حتى أضحى يسقط الوزارات ويقيم غيرها بسهولة .. وكان الخلاف على اشده بينه وبين حزب الشعب الذي كان يطالب على الدوام بالتزام كل سلطة لحدودها التي رسمها لها الدستور فلا تتعداه ويقول بعودة الجيش الى ثكناته وعدم تدخله بأي شأن اداري أو سياسي ولكن أديب الشيشكلي كان مدعوما من قبل عناصر انتهازية وصولية مخربة ، وممثلة في مجلس النواب ، لا تريد الخير لهذا البلد ولا يهمها شيئا



العقيد اديب الشيشكلي ، صاحب الانتكاسة المجرمة ضد الشرعية والدستور والحريات العامة

**

من أمر استقراره وانصرافه الى العمل المجدي البناء .. وكانت عقدة العقد يومذاك بين الدستوريين وبين الجيش الممثل بقائده اديب الشيشكلي، قوات الدرك الملحقة عهد ذاك بوزارة الدفاع وقد تم الحاقها في عهد الزعيم في حين انها قوات أمن داخلية ويجب أن تظل مرتبطة بوزارة الداخلية في حين يصر الشيشكلي على بقائها مرتبطة بوزارة الدفاع ..

في تلك الاثناء .. كلف فارس الخوري بتأليف وزارة جديدة فأبى .. واقترح تكليف **السيد حسن الحكيم** الذي يحتل منزلة طيبة في الاوساط الرسمية والشعبية ، وقد كان ذلك .

●

وفي تشرين الثاني ١٩٥١ وكانت وزارة السيد حسن الحكيم الثانية ، قائمة على دست الحكم عندما كلف فارس الخوري برئاسة الوفد السوري للدورة السادسة للامم المتحدة التي بدأت في ٥ تشرين الثاني في باريس ، فغادر دمشق مساء ٤ تشرين الثاني ١٩٥١ ووصل باريس في يوم افتتاح الدورة .

وفي ١٦ تشرين الثاني ١٩٥١ وقف فارس الخوري في قاعة الامم

المتحدة يشجب مقترحات الدول الغربية الخاصة بمشروع الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط في وقت كانت فيه بلاده تعاني أزمة وزارية شديدة بسبب اختلاف وجهتي نظر رئيس وزرائها السيد **حسن الحكيم** ووزير خارجيته السيد **فيضي الاتاسي** حول هذا الموضوع وكان مما قاله فارس الخوري يوم ذاك :

((لعل الدول الغربية اهتدت بميثاق هيئة الامم على ما يبدو لانشاء الحلف الاطلسي أما قيادة الشرق الاوسط فليس هناك ما يبررها في أي قانون أو ميثاق دولي ، فحلف الاطلسي هو عبارة عن معاهدة ارتبطت بها اثنتا عشر دولة بمحض اختيارها ، أما مشروع الدفاع عن الشرق الاوسط فانه من وضع أربع دول فقط تحاول فرضه على شعوب هذه المنطقة بدون استشارتها .. وكان يجدر بالدول الغربية أن تدرك بأنه لا يمكن فرض الدفاع عن الشرق الاوسط على شعوبه من قبل أية دولة أو دول خارجةعنه)).

اهتمام فارس الخوري بقضايا المغرب العربي

ثم كان الاهتمام بقضايا المغرب العربي وأمانيه من اهم نواحي نشاط فارس الخوري في هذه الدورة فبالاضافة الى تأييده السابق وتوضيحه **للقضية المراكشية** من زاويتها الحقوقية الدولية ، اهتم بقضية **تونس** وتابع الجهود من أجل استقلالها .

وفي هذا قالت صحيفة **(الصباح)** التونسية حينذاك **أن الاستاذ فارس الخوري كان فارس كل قضية تهم العالم العربي والاسلامي وقد بذل كثيرا من التضحيات في سبيل قضايا الحق والسلام فكان دائما قوي المعارضة متين الحجة حاضر النكتة لاذع الانتقاد بصير بعواقب الامور ..**

وكان فارس الخوري يرى أن تونس قد بلغت شأوا بعيدا من التطور حتى باتت قادرة على ادارة نفسها بنفسها .

صلة الفارس بتوحيد ليبيا

كما أن لفارسنا العظيم صلة وطيدة بتوحيد ليبيا واستقلالها مما يعلمه زعماء ليبيا والمتتبعون .. وبين يدي الآن البرقية المؤرخة ٢ شباط ١٩٥٢ التي بعث بها من (طرابلس الغرب ــ ليبيا) **السيد محمود المنتصر** رئيس

الوزارة الليبية الى فارسنا الغالي وهذ نصها :

دولة لاستاذ فارس بك الخوري رئيس الوفد السوري . قصر شايو . بـــاريس

يطيب لي الآن وقد عدت الى الوطن أن أبعث اليكم بأخلص آيـــات الشكر على الحفاوة الاخوية التي شملتم بها شخصي وزملائي أعضاء الوفد الليبي ، كما يسرني جدا أن اشكركم الشكر العميق على تأييدكم الحازم لقضية ليبيا في دوائر الامم المتحدة وعلى المواقف التي وقفتموها في جانب الامـة الليبية والتي تركت في نفسي وفي بني قومي أعمق الاثر . دمت يا صاحب الفخامة للعروبة فارسها ودام شعبكم الشقيق في حلل السعادة رافلا ..

محمود المنتصر رئيس الوزارة ووزير الخارجية

التوتر الذي يسود العالم

وكان فارس الخوري لا يفتأ يردد أسفه لحالة التوتر (التي ما زالـت حتى يومنا هذا) تسود العلاقات بين الدول الغربية وروسيا مما يهدد العـالم بخطر الحرب ، ولا يترك مناسبة تمر الا ويعرب فيها عن أسفه لاضاعـــة الجهود في ميدان التسلح بدلا من بذلها في وجوه نافعة للانسانية وقال في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٥١ ان الجمعية العمومية للامم المتحدة أقرت فـــي دورتها الماضية اقتراحا سوريا عراقيا يدعو ممثلي الدول الاربع الكبرى ، الى التفاوض لازالة التوتر الذي يسود العالم ، وقال في ذلك اليوم أن من دواعي الاسف أن هذا الاقتراح لم يوضع موضع التنفيذ .

تضامن الوفـود العربية وتفاهمها

وقد اجمعت وكالات الانباء عامذاك على القول بأن ذلك التضامن والتفاهم بين الوفود العربية والآسيوية وتلك الاجتماعات المتوالية التي كانت تعقدهـا تلك الجبهة الآسيوية بدولها الثلاث عشرة برئاسة الاستاذ فارس الخوري كان لهما الاثر الكبير في أوساط وكواليس هيئة الامم .

وحدثني في هذا **فارس الخوري** مرة بقوله أن الوفود العربية حققت نجاحا ملحوظا خلال الدورة السادسة لمنظمة الامم المتحدة عندما شكلت **كتلة** مع **الدول الآسيوية والافريقية** استطاعت آنذاك أن تثبت وجودها وأن تحتل

مركزا مرموقا الى جانب التكتلات الدولية الاخرى وقد قامت بدورها في كثير من القضايا الدولية بنجاح وتمكنت أيضا من تعديل احد القرارات الهامة لمنع كل تدخل أجنبي في شؤون البلاد الاخرى بحيث لا يجوز للدول أن تتخذ أي موقف يمس بلدا ما بدون موافقة البلد نفسه . وقد أفاد هذا القرار الدول العربية بحيث أصبح من غير الممكن بحث موضوع الدفاع عن الشرق الاوسط بدون موافقة دول هذه المنطقة .

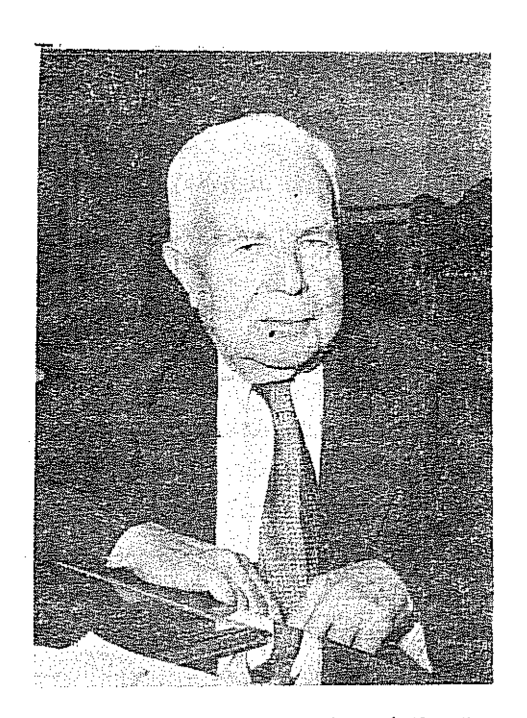
وقد عاد فارس الخوري الى ارض الوطن نهائيا في ٢٤ نيسان١٩٥٢ .

انهيار الدكتاتورية الشيشكلية

وكان العقيد اديب الشيشكلي قد قام بـ (الانقلاب الرابع) ضد حكومة الدكتور محمد معروف الدواليبي التي خلفت وزارة السيد حسن الحكيم ولم يقدر لها ان تمارس صلاحياتها بسبب هذا الانقلاب الذي حدث صبيحة ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥١ فاستقال رئيس الجمهورية السيد **هاشم الاتاسي** من منصبه وغادر العاصمة الى حمص ففرض الشيشكلي دكتاتوريته الرعناء بحكم مباشر استعان له بواجهة تتمثل بأحد الضباط الذين لا حول لهم ولا طول مسميا اياه (رئيس الدولة) ثم شكل وزارة من الذين التفوا حوله .. وبعدئذ اجرى استفتاء شكليا سمى نفسه بموجبه رئيسا للجمهورية واعلن دستورا وضعه له ثلاثة من اعوانه واوجد مجلسا نيابيا عين معظم اعضائه عن طريق التزكية المصطنعة حتى انتفض الجيش عليه في ٢٤ شباط ١٩٥٤ وطرده من البلاد وازال جميع مظاهر عهده ، واعاد الرئيس الاتاسي الى سدة الرئاسة معتبرا الاستقالة كأنها لم تكن مع جميع مظاهر عهده فقبل الرئيس الاتاسي استقالة حكومة الدواليبي والف وزارة جديدة برئاسة السيد **صبري العسلي** الذي ما لبث ان استقال فتألفت حكومة انتقالية برئاسة **الاستاذ سعيد الغزي** اجرت الانتخابات النيابية في سورية واجتمع المجلس الجديد في تشرين الاول ١٩٥٤ وحدثت ازمة وزارية عنيفة كادت تطيح باستقرار البلاد وحينئذ لبى فارس الخوري رجاء صديقه رئيس الجمهورية والحاحه والف وزارته (الرابعة) على الشكل الآتي :

وزارة فارس الخوري الرابعة

فارس الخوري رئيسا لمجلس الوزراء ، الاستاذ فيضي الاتاسي وزيرا



الاستاذ فارس الخوري رئيس الوزارة السورية

**

للخارجية ، الدكتور منير العجلاني وزيرا للمعارف ، المهندس مجـد الديـن الجابري وزيرا للاشغال العامة والمواصلات ، الاستـاذ احمـد قنبـر وزيرا للداخلية ، الاستاذ رشاد برمدا وزيرا للدفاع الوطني ، الاستاذ عـلي بوظو وزيرا للعدلية ، الاستاذ محمد سليمان الاحمد (بدوي الجبل) وزيرا للصحة والاسعاف ، الاستاذ فاخر الكيالي وزيرا للاقتصاد الوطني ، الدكتـور رزق الله الانطاكي وزيرا للمالية ، السيد عبد الصمد الفتيح وزيرا للزراعة .

مناقشة البيان الوزاري فـي البرلـمان

قلنا أن تاليفه هذه الوزارة كان رغبة منه في انقاذ البلاد من ازمة عنيفة خصوصا والبلاد كانت قد قدمت الى مجلسها النيابي نوابها الجدد لاول مرة بعد الانقلابات العسكرية التي اودت بحرية الفرد وكرامته وطمأنينته واستقراره

.. ولكن بعض العناصر التي لعبت **الدور الاساسي في توجيه الحياة النيابية، الوجهة التي اتجهت بالوطن نحو كارثة الشيشكلي** ، هذه العناصر ذاتها هي التي جمعت كلمتها ووحدت خطتها واعدت مناوراتها التي كانت ترمي الى هدف واحد ، **هو اخضاع المجلس النيابي الجديد والحياة الدستورية الحرة، الى الضغط والشدة ، ضغط المناورات والاكاذيب والاتهامات** التي وصلت في التجني وانعدام الضمير الحي حدا زعمت فيه أن الحكومة التي يراسها فارس الخوري ، وفارس الخوري بالذات .. تريد عقد الصلح مع اسرائيل (؟!) **وضغط فريق من الرعاع والغوغاء الذين حشدت فلولهم القليلة امام المجلس النيابي لتهتف ضد فارس الخوري ووزرائه ــ كل باسمه ــ هتافات بذيئة متهمة كلا منهم بالخيانة والتآمر** مع الاستعمار .. كان هذا كله يوم جلسة الثقة ، وكان أول المتكلمين **السيد اكرم الحوراني** الذي بادر للتشكيك بهذه الحكومة حينما قال ان هنالك احداثا يجب أن نستعرضها .. فقد رافق الانتخابات في سورية حل المجلس النيابي العراقي الذي لم يعقد جلسة واحدة ، واجراء انتخابات جديدة في ظلال الاحكام العرفية خرج اكثر نوابها بالتزكية .. واجريت انتخابات في الاردن اصطنعت مجلسا بالرصاص والدبابات والدماء على حساب حرية الشعب ، ورافق ذلك سفر نوري السعيد جلاد الشعب العراقي في العراق ، برحلة الى بريطانيا وتركيا ، كتبت بعدها الصحف التركية الشبيهة بالرسمية انها تستهدف ارجاع الاوضاع في سورية بعد الانتخابات التي نجح فيها نواب يساريون وبدات الدول الغربية ، كما أعلن **الدكتور رئيف ابي اللمع** الامين المساعد للجامعة العربية ، بالاتفاق على مشروع دفاعي تقدمه للجامعة ، وبدأ وكيل وزارة الخارجية البريطانية رحلة الى البلاد العربية تستهدف « ازالة التوتر بين العرب واسرائيل » اي السعي لاقامة صلح معها ، وكذلك تحقيق مشروع دفاعي للشرق الاوسط .

وبعد ان تكلم عدد من النواب القى **الاستاذ خليل الكلاس** بيان حزب البعث العربي الاشتراكي الذي نراه يختتم المقطع الاول منه بقوله :

« ... لهذا يجد حزبنا ــ حزب البعث العربي الاشتراكي ــ ان من واجبه القاء الضوء على النقاط الهامة التي وردت في البيان **متجاوزا صيغته الشعرية وطابعه الاعتباطي** الى ما يحويه من **أخطار** على حياتنا الداخلية **واستخذاء** في علاقاتنا الخارجية ... » .

« اولا ! لقد استهل دولة الخوري بيانه بأن مشيئة الاقدار قضت بأن تجيء وزارته في ظروف مشحونة بالدقة والحرج والتأزم .. (الى ان يقول) :

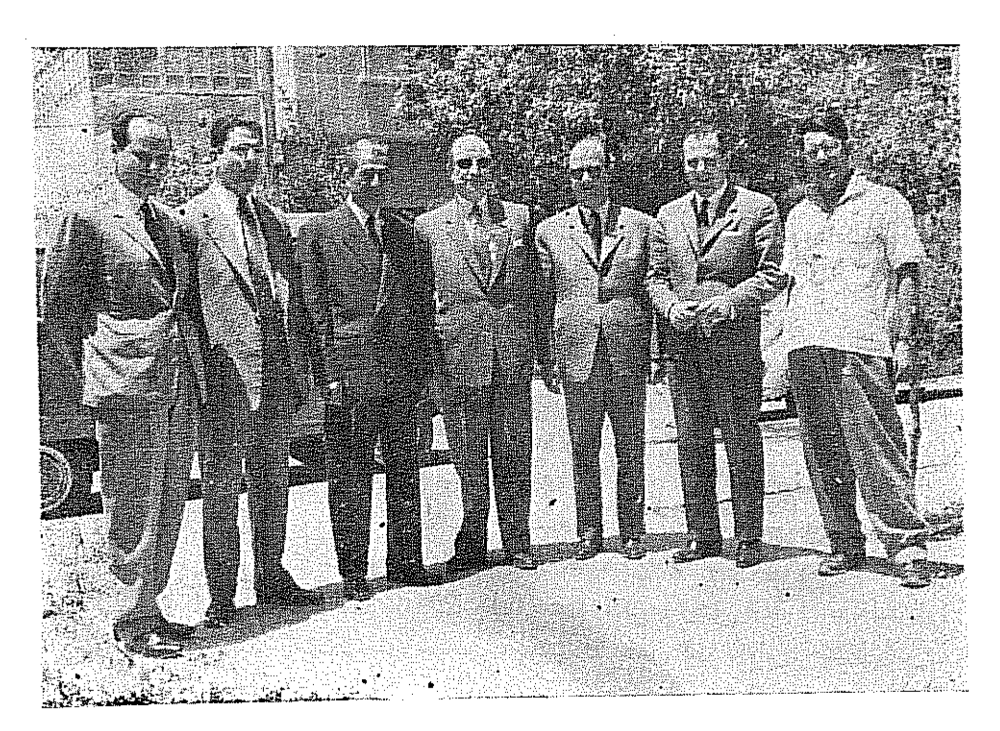
ليسمع لنا دولته بان لا نشاركه الاعتقاد بأن الصدف والمقادير قد اوصلت وزارته الى الحكم ، وان نربط بين مجيئها وبين الظروف الهامة المحيطة بالعالم العربي ومن ضمنه سورية ، هذه الظروف التي تجعل الفئات الرجعية اليمينية في البلاد تتناسى خلافاتها وتتجاهل دساتيرها لكي تتكتل في مجموعة واحدة وتقاوم ارادة الشعب بالتحرر الكامل من الاستعمار الخارجي والاستثمار الداخلي » .

« ثانيا : **تفجع البيان الوزاري من الانقلابات العسكرية والاوضاع الدكتاتورية وتباكى على الحياة الدستورية والمعالم الديموقراطية واعتبر الانقلابات مجرد أهواء شخصية وشهوة أفراد مغامرين** .. أفلا يشعر واضعوا البيان بأن تعليلهم الظواهر الاجتماعية والاحداث السياسية بأهواء الاشخاص واطماعهم وارادتهم هو تشويه التاريخ وتجاهل للواقع وتهرب واضح من مسؤولية التغلب على الانظمة الفاسدة ؟! اليس معناه تجاهل قوة اسمها الشعب ... » ؟!؟! ..

« سابعا : كارثة فلسطين .. وهذه الكارثة التي يجب أن توجه نشاطنا القومي في الداخل واتجاهاتنا السياسية في الخارج ، يذكرها البيان وكأنها امر طبيعي ، وكارثة جرت اليها صدف عمياء .. متجاهلين الشروط الداخلية والعوامل الخارجية التي نسجت خيوطها والتي ما تزال حتى اليوم تحول دون معالجتها معالجة فعالة .. لقد عطف عليها البيان بقوله (**لسنا نأمل بأن القوى الاجنبية تنصفنا وتكره المحتلين الغاصبين على رد الحقوق الى أصحابها**) فهل نتجت كارثة فلسطين عن احتلال اليهود واغتصابهم لها فحسب ؟!! الم يكن للدول الاستعمارية الغربية التي يتجاهلها البيان ويطمسها في ضباب القوى الاجنبية الاثر الاول والاكبر في هذا الاحتلال والاغتصاب، وهل كفت هذه الدول ، بل هل ستكف عن تدعيم الاغتصاب وتشجيعه ؟!! ان كل محاولة لفصل القضية الصهيونية عن قضية الاستعمار انما ترمي الى تشويه الحقائق (؟!؟!) واقصاء الراي العام عن فهم السبب في كوارثنا القومية — ؟!؟!؟! — » .

●

وانا ما اتيت بهذه المقاطع من كلمة السيد اكرم الحوراني وبيان حزبه البعثي الاشتراكي الا بدافع من الامانة التاريخية ليعلم القارىء سر المأساة التي أودت بنا الى عهد (الانحلال السياسي) وهو العهد الذي سبق وحدتنا مع الشقيقة الغالية مصر ، ولست في هذا احاول ان انكأ الجراح او استثير



الاستاذ اكرم الحوراني ونفر من اركان حزبه اثر زيارة قاموا بها للعلامة المريض فارس الخوري في شهر ايار ١٩٦٠. ويبدو الاستاذ اكرم في الوسط وعن يمينه الاستاذ رياض المالكي فالاستاذ اسعد الطباع ، وعن يساره الدكتور سهيل فارس الخوري فالاستاذ خليل الكلاس فالاستاذ ابراهيم الطباع فالمؤلف محمد الفرحاني .

***

كوامن الشجن ، فالحياة كلها تجارب يخطيء فيها الحي ويصيب ، ولا لوم عليه ولا تثريب ان هو عمل للاستفادة من التجارب والعبر التي تمر به ، والحقائق التي تتضح له ، ولانني اعتقد ان واجبنا هو نسيان الماضي والتسامح من قبل بعضنا تجاه البعض الآخر الذين سبق لهم ان اخطأوا اذ ليس من المعقول أن يبنى كيان ما (اي كيان) على الاحقاد وتذكر المساويء والزلات . . وهذا ما كان فارس الخوري رحمه الله يذكرني دائما به .

وانه ، لولا تقيدي بالامانة التاريخية في سرد الوقائع اوجدت من الواجب اقفال هذه الصفحات الاخيرة من تاريخ حياة بلادنا .

والفت نظر القاريء الى ان اخواننا البعثيين الاشتراكيين ما كانوا

يرون بكارثة فلسطين نتيجة حتمية لاحتلال اليهود واغتصابهم لها بل يركزون فقط على ان الدول الغربية الاثر الاكبر في هذا الاحتلال والاغتصاب وكانوا يومذاك ، بدافع من تحالفهم (الظرفي) مع الشيوعيين يتجاهلون اثــر الروس في دعم هذا الاحتلال والاغتصاب ثم هم كانوا يتهمون كــل محاولة لفصل القضية الصهيونية عن قضية الاستعمار ، انما ترمي الـــى تشويه الحقائق وهنا لا بد لي انالفت نظر القاريء الى موضوع **(فارس الخوري، والصهيونية)** في مكان آخر من هذا الكتاب .. ارجو ان يكون فيه الرد الشافي والوافي .

اثـــارة وتهريج داخـــل البرلـــان

المهم ، بينما كان النواب يتابعون القاء كلماتهم في جلسة الثقة الآنفــة الذكر شوهد **السيد خالد العظم** يترك مكانه ويتجه الى **السيد رئيف الملـقي** حيث يسر في اذنه بعض الكلمات وما عتم الملقي ان صاح بلهجته وطريقته : (الجنود يطلقون الرصاص على الطلاب ، اطلب من الرئيس ان يفتح التحقيق في هذا الموضوع) وينهض النائب البعثي **عبد الكريم زهور** فيقول متحمسا : (يجب الا نرهب الشعب بالرصاص ، يجب الا نفعل كما يفعلون فـــي شرق الاردن) ويخرج الاستاذ **احمد قنبر** وزير الداخلية ليستوضح عـــن حقيقة الامر ثم يعود ليقول للمجلس : ((**ليس هناك اطلاق رصاص** ولم يضرب احـد وهذا لا يجوز ، **واذا كانت بعض الكتل تريد الاستعانة بالرعاع والغوغاء** فهذه محاولة سافرة مفضوحة لا تعود الا بالضرر علـى اصحابها ، ان كلمة الزميل الملقي عن اطلاق الرصاص كانت مفاجاة اذهلتني . لقـــد رايتم فريقا مـــن الشباب تجمهر امام المجلس ورايتم وسمعتم الكثير من **الهتافات التي لا يجوز ان تجري امام المجلس** وقد طلبت من مدير الشرطة ان يمنع المظاهرات وياتي بالقوة الكافية كي لا تكون هناك حاجة لاستعمال العنف مهما كان شكله وعندما خرجت افادني مدير الشرطة انه لم يقع اي حادث وانني اقول لكم بصراحـة ان الحكومة التي لا تستطيع تامين جو هاديء امام المجلس النيابي لا تستطيع ان تحمي الامن والنظام في البلاد)) .

فارس الخوري .. يعاتب .. ويحلل .. وينذر

وهنا صعد الاستاذ فارس الخوري رئيس مجلس الوزراء ، المنبـــر ،

تلبية لدعوة الدكتور ناظم القدسي رئيس مجلس النواب . **وقال بلهجة هادئة حزينة متزنة :**

يؤسفني جدا ان اقابل بمثل هذه الظاهرة العجيبة ، وان يهيأ حول هذا المجلس فريق من الشباب الذين أعتز بهم وأعتبرهم كأولادي وانا حريص على ثقافتهم وعلمهم ومستقبلهم وعلى راحة البلاد معهم وقد ضحيت كثيرا **وان لي من ماضي الطويل في هذا السبيل ما يشهد لي بذلك ..والان، أمام مجلس النواب أقوم بتضحية جديدة ، اتهم بالخيانة ، وينادى باسمي بهذا الشكل .**

انني يا سيدي لست مشتاقا ولا راغبا لان أقوم بهذا العمل . ولكن ، مساعدة مني في حل الازمة الحاضرة ومشاركة للسادة النواب الذين هم بانفسهم مسؤولون عن حل الازمة ، ومسؤولون عن تمهيد السبيل للخروج من هذه الازمة ، فقد تقدمت للاشتراك معهم لتحمل المسؤولية فاذا كانوا لا يريدونني **فاني أشكرهم على ذلك وأعود الى بيتي** واتخلص من هذه الشدة التي الزمتموني ان أدخل فيها وقد جئنا اليكم ببيان مفصل بينت فيه سياستنا ونحن مستعدون لان نسمع أي اعتراض أو بيان بحق هذه السياسة وهذا البيان ، ونجيب عليه بالتفصيل ، ونوضح ما يمكن اشكاله منه وما للتشكيك من نقاط هذا البيان لكي يكون موقفهم منا بينا .. **أما** الآخرون الذين بيتوا امرهم ولا يريدون أن يسمعوا كلامنا أو ينصفونا لما **نحن فيه ، أولئك هم بحسب الظاهر ، لو وضعنا الشمس في يمينهم والقمر في يسارهم لا يرجعون عما بيتوا من الامر وهم لا فائدة في البحث معهم .**

أما الاشخاص ، من الذين تكلموا ويتكلمون بنية صافية ويريدون الحقيقة فقط من أمثال **السيد محمد المبارك** فاني أجيبه بكل وضوح ان السؤالين اللذين وجههما الى الوزارة بشأن الايضاحات في البيان الوزاري هما كما اراد هو أن يكونا ونحن لا نريد ان يكون غير ذلك **فالسؤال من جهة الدين فانه موجود بنص الدستور بكل وضوح وان التعليم الديني يجب أن يكون في كل المدارس** .وان مقدمة الدستور فيها من الصراحة ما يتعلق بهذه الناحية . نحن جئنا على هذا الاساس من جهة الدين . **أما من جهة التعهدات أو الدخول في التزامات مع الدول الاجنبية** غربية كانت أم شرقية فاني اصرح من هذا المنبر **باني عدو لها** ولن اوافق عليها ما دمت في هذه الوزارة واذا قدم الي شيء من هذه العروض التي لم يصل الينا بعد شيء منها ،أو اوح الينا بها ولو بالاشارة فاننا نرفضها رفضا باتا ، ولن نفعل هذا ، وقد

صرحت مرارا برايي ، في شتى المؤتمرات الدولية . . وفي كثير من المناسبات وفي الخطب وفي كل سلوكي في كل حياتي لم اكن في هذا السبيل . واني مستعد للمكافحة على الاقل ، اسوة بأي كان من المحبين لهذا الوطن والمدافعين عنه فلا يوجد شيء من هذا القبيل مطلقا . . **والذين قالوا بخصوص السياسة الخارجية** فنحن يا سادتي لا يمكن ان نرتبط بشيء من هذا وكما تعلمون ان الارتباطات والتعهدات والمعاهدات مهما كان شكلها لا تكون ذات قيمة أو فائدة ما لم تعرض على مجلس النواب . . واننا الآن لم يعرض علينا شيء ولا يوجد لدينا شيء ضمن الاوراق والاضبارات التي امامنا واذا وجد شيء من ذلك فنحن نرفضه رفضا باتا ، مثال ذلك ، الدفاع المشترك الذي حكي به في الماضي منذ بضع سنوات قد رفض من قبل الدول العربية ، وانا نفسي كنت في مؤتمر دولي ، **فجاءني وزير خارجية بريطانيا وأعطاني نسخة عن شيء كان يردد في ذلك الوقت فرددتها اليه في الحال وقلت له لا يمكن أن نقبل بهذا** ، وطويت هذه المسألة منذ ثلاث او اربع سنوات ، والآن لم يؤت الينا شيء من ذلك ، **والقول بأن الوزارة رجعية** وانها تريد أن تفعل كذا وكذا وانها تريد ان تتصل بدول الغرب أو تعمل معها اتفاقا يضر بمصلحة البلاد ليس الا حلم في مخيلة صاحبه فهذا الامر لا يوجد في ضمائرنا ولا في جدول اعمالنا ولا برامجنا ولا في الاوراق التي بين أيدينا وليس في نية أحد أن يقوم به » **ــ ومما يؤيد فارس الخوري في قوله هذا ما ورد في الصفحة ٣٢٦ من الجزء الاول من مذكرات السير أنطوني ايدن الصادرة عن دار الحياة في بيروت حيث يقول : ... وجرى لي حديث في الامم المتحدة مع المندوب السوري،وأخذت أحسن له الاقتراحاتالدفاعية فرد علي في جمل تعرب عن وجهة نظر جزء كبير من الرأي العام العربي كانت سائدة آنذاك وما زالت حتى اليوم قائلا : ان شعب سورية ، ليس عدوا بأية حال من الاحوال للدول الانكلو سكسونية ، كما أنه لا يحمل عواطف عنيفة في عداء السوفيات ،وعلى الاصح ، فان مشاعره تجاه الاتحاد السوفياتي ،ليست مهمة لا ايجابيا ولا سلبيا ، فالشعب السوري لا يرى خطر العدوان ماثلا له من روسيا بل من اسرائيل . .** نعود الآن لكلمة الاستاذ الخوري في البرلمان حيث استرسل يقول » : وانني اقول لكم انني تقدمت لرئاسة هذه الوزارة مكرها ولست راضيا ان اقوم بهذا العمل ، واردت أن تكون هذه الوزارة مجلسية بكل اعضائها ورجالها وقد لمت صديقي السيد خالد العظم لما انسحب من التكليف الذي عهد اليه به وكان عليه أن يستمر بالعمل كما

قلت ذلك الى السيد أكرم الحوراني وقد صرح به في هذا المجلس أمام نواب الامة . انما انا على خلاف ذلك ، فاذا كان المجلس الآن يتقدم الي بهذه الثقة فانا ارى أن هذه المناقشة كلها لا فائدة منها ، وقد تقدمنا الى مجلسكم بهذا البيان ، وهذه خطتنا قد وضعناها في هذا الباب بنصوص صريحة لا حاجة الى الايضاح فيها وانما الامور التي يمكن أن يكون هناك شك فيها أو تكون غير واضحة أو التأويلات التي يمكن أن تكون مخالفة للمفهوم الظاهر ، أو طلب سؤال ، فاننا مستعدون للاجابة عليه . وهذا البيان امامكم ، صوتوا عليه ان شئتم وان قبلتم به ، ومن شاء منكم فليحجب الثقة ، ومن شاء فليمنحها . وأؤكد لكم أنني لن أكون أقل شكرا للرافضين من شكري للمؤيدين والمانحين . **ولا حاجة للخصومة والنزاع والقتال فهذا يعيبنا ولا يوافق مصلحة بلادنا ولا تكون انعكاساته حسنة في الخارج .** فانا اتيتكم بكل مودة ومحبة واحترام واكرام فلماذا تفسحون المجال لمثل هذه المشادات والمشاغبات التي لا محل لها والشدة التي لا معنى لها ، **فلا يوجد بيننا خائن** ، ولا يوجد بيننا من يريد أن يضر بمصلحة البلاد . **ونحن الذين قمنا بأعمال الاستقلال** وخاطرنا وتحملنا في سبيلها في الماضي السجون في جميع الادوار . **لا يمكن أن نكون الآن ونحن على أبواب الابدية أن نرجع عن خططنا وأن يقال عنا بالخيانة ونعرض أنفسنا للاعمال الشريرة ، فأرجوكم أن تعتبروا وتنصفوا وتنظروا الى حكمة الحق لتقولوها . أما اذا كان في النفس مآرب واغراض لبعض الاشخاص فلا يجوز أن تبحث اليوم .** وأقول لكم ختاما هذه كلمتي ، انني سوف لن أتكلم مرة اخرى في هذا الموضوع . هذه الثقة ستطرح عليكم في النهاية فمن شاء منحنا اياها ومن شاء حجبها عنا واني لكم من الشاكرين اذا رددتموها ايضا » .

وجرى الاقتراع على الثقة ففازت الحكومة بأكثرية ٨٤ صوتا مقابل ٤٨ واستنكاف النائب الشيوعي خالد بكداش وغياب ٩ .

محنة الاخوان المسلمين

وكان من اهم الامور السياسية بعد تأليفه وزارته الرابعة هذه ، الصدى البعيد في المجلس النيابي وفي دوائر الحكومة وجماهير الشعب الذي احزنه صدور بعض الاحكام القاسية والجائرة ضد الاخون المسلمين في مصر مما جعل سائر الحكومات العربية (بما فيها الحكومة السورية) تتوسط لدى

القاهرة لتخفيف هذه الاحكام . وبدافع من انسانيته ورسوخ جذور العدل في أعماق نفسه ، عرض **الاستاذ الخوري وساطته** الشخصية بالاضافة لوساطة حكومته والشعب السوري برئيس جمهوريته ومجلسه النيابي وفئاته واحزابه ، وواضعا **كرامته الشخصية** كرجل يحفظ له المصريون اخلد الذكريات .. لقاء تخفيف هذه الاحكام .. فلم يجد كل ذلك نفعا ، ونفذت احكام الاعدام بحق ستة من اقطاب الدعوة الاسلامية في وادي النيل ، فكان لذلك اثر كبير في نفسه لم يزايله بقية عمره ..

حلف بغداد والجامعة العربية

كما كان من أهم الاحداث السياسية التي جرت خلال حكم الاستاذ فارس الخوري ، المفاوضات التي كانت تجري بين العراق وتركيا في شأن الميثاق الذي كان مزمعا عقده ــ والذي عقد فيما بعد ــ وسمي بـ **(حلف بغداد)** وقد دعت الحكومة المصرية رؤساء الحكومات العربية للمفاوضة في القاهرة بهذا الشأن . فاجتمع رؤساء الوزارات العربية ومعهم في الغالب وزراء الخارجية والسفراء الموجودون في القاهرة . ولم يحضر رئيس الوزارة العراقية عهد ذاك **السيد نوري السعيد** معتذرا بسبب مرضه ، ولكنه أوفد نيابة عنه ، **الدكتور فاضل الجمالي** رئيس الوزارة العراقية الاسبق . وجرت اجتماعات عديدة وبذلت وسائل مختلفة للمحافظة على حسن علاقات الدول العربية بعضها ببعض وللحيلولة دون حصول انشقاق أو اختلاف .

كان الوفد السوري (عهد ذاك) في اجتماعات الجامعة العربية ،يتألف من **الاستاذ فارس الخوري** رئيسا ، **والاستاذ فيضي الاتاسي** وزير الخارجية **والدكتور نجيب الارمنازي** سفير الجمهورية السورية في مصر ، أعضاء . وكان هذا الوفد لا يغفل عن التأكيد بكل مناسبة أن سورية لا تشترك ولن تشترك في هذا الحلف مطلقا . وكل ما في الامر أنها تحرص على تجنيب البلاد العربية مظاهر الخصومة والنزاع وتبادل المطاعن وتنديد بعضها ببعض بواسطة أجهزة الدعاية من اذاعات وصحف ومجلات وغيرها .

وفد الجامعة لاقناع نوري السعيد

وقرر المجتمعون ايفاد بعض الوزراء العرب الى بغداد لاقناع نوري

السعيد بعدم عقد هذا الحلف ، كان من جملتهم **السيد فيضي الاتاسي** وزير الخارجية السورية **والسيد وليد صلاح** وزير الخارجية الاردنية ، والصاغ **صلاح سالم** وزير الثقافة والارشاد القومي المصري وغيرهم .. وانفض الاجتماع بانتظار عودة هذا الوفد الوزاري ، وعاد فارس الخوري الى دمشق. وعندما فشل الوفد الوزاري بمهمته التي كانت تتلخص باقناع **السيد نوري السعيد** بصرف النظر عن الاشتراك في ذلك الحلف .. لم يرجع الاستاذ الخوري الى القاهرة ليحضر القسم الثاني من مذاكرات الجامعة العربية .. وراحت بعض الصحف المصرية الكبرى تحمل حملات مختلفة على جميع رؤساء الوفود العربية بما فيهم الاستاذ فارس الخوري نفسه **كما راح صلاح سالم يملأ الصحف المصرية بالبيانات والتفاصيل للمذاكرات التي جرت في جلسات مجلس الجامعة العلنية منها والسرية بشكل يغاير الواقع ويحتوي الكثير من المغالطة والتشويه** . وقد اضطر فارس الخوري مرة لان يرسل الى سفيره في القاهرة الدكتور **نجيب الارمنازي** برقية يطلب اليه فيها السعي لتصحيح بعض ما اورده عنه صلاح سالم في جريدة (الجمهورية) التي كانت بادارة القائمقام أنور السادات .. وبعد تلكؤ .. كتب السيد أنور السادات مصححا بعض ما أوردته الجريدة . وبأيامها ،قال جمال عبد الناصر للدكتور نجيب الارمنازي في القاهرة انه منع استمرار نشر هذه المقالات التي يبعث بها الصاغ صلاح سالم .. بل أكثر من ذلك أنه كلفه في أثناء زيارته لدمشق أن يزور ـ اي الصاغ صلاح ـ فارس الخوري وفيضي الاتاسي وكانا قد اعتزلا الحكم .

ما يرويه وزير الخارجية عن هذه الازمة

وقد ادلى الاستاذ فيضي الاتاسي وزير الخارجية السورية اثر عودته النهائية من مؤتمر الرؤساء في القاهرة (مساء الثلاثاء ٨ شباط ١٩٥٥) البيان التالي ، وهو يلقي ضوءا ساطعا على الازمة ننشره بنصه :

« لقد كانت خطتنا في مؤتمر رؤساء الحكومات العربية المنعقد اخيرا في القاهرة مستمدة من نقطتين رئيسيتين هما أساس سياستنا الخارجية المتفق عليها حكوميا ومجلسيا ، وهما عدم الانضمام الى اي حلف ، وعدم التزام جانب من الجانبين العربيين (واقول جانبين حيث يقول الناس معسكرين) دون الجانب الآخر كما ورد صراحة في بياننا الوزاري .

والى جانب هذا فقد بذلنا جهد الطاقة للابقاء على وحدة الصف العربي وتضامنه وعلى سلامة جامعة الدول العربية من أي وهن أو تصدع .

واذا كان لا بد من رد الخلاف في وجهات النظر الذي برزت معالمه أخيرا ، والذي « تبلور » ــ على حد قول سيادة الرئيس جمال عبد الناصر في أحد الاجتماعات ــ بموقف مصر والعراق ، أقول : **اذا كان لابد من رد الخلاف الى سبب ، فهو أن البلاد العربية مترامية الاطراف على رقعة جد فسيحة وواسعة من وجه البسيطة ، وأنه تبعا لذلك تجتمع البلاد العربية في أهداف عامة شاملة وتفترق أحيانا تبعا لوضعها الاقليمي الجغرافي ولمقتضيات الجوار الناشئة عن ذلك الوضع وما يمليه عليها من سياسة خاصة .**

وما ينبغي أن أكتم هنا أنه ثمة نزوعا لدى كل دولة من الدول العربية الى حمل الدول العربية الاخرى على الاخذ بما يلائم سياستها الخاصة . وهذا النزوع الذي أشرت اليه ليس بالجديد ، بل ذر قرنه غير مرة في مناسبات وملابسات عديدة سابقة .

ولم يكن التوفيق والتأليف بين الاعتبارات المتضاربة على شيء يسير في أغلب الاحيان ، لعدم وجود حكومة فيديرالية تقوم على الشأن العام المشترك لان التوفيق والتنسيق ما كانا يتمان الا بالقدر الذي تساعد عليه النصوص القائمة بين الدول العربية وهي (حتى اشعار آخر) عبارة عن ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي فيما بينها .

بعد هذه المقدمة لا بد من الاشارة الى أن **موقف العراق يتلخص بأن اتفاقه الاخير مع تركيا لا يخل في كثير أو قليل بالتزاماته حيال البلاد العربية،** وأنه اذا كان قد انفرد دونها بالاتفاق المزمع عقده مع تركيا ، فذلك لاسباب تمليها عليه أوضاعه الخاصة وضرورة الاحتياط لسلامته ، وانه بذلك انما يمارس عملا من اعمال السيادة التي اقرها ميثاق الجامعة وكرستها المادة ١١ من الدفاع المشترك .

ثم يزيد على ذلك ان الاتفاق الجديد المزمع عقده هو حلقة من حلقات السياسة التي درج عليها العراق الحديث منذ نشأ . تلك السياسة التي دشنها المغفور له فيصل الاول مع البلاد المتاخمة للعراق منذ العام ١٩٣٢ ويزيد العراق على هذا وذاك أن ظروفه الخاصة لا تسمح له بأن يتمهل فيما شرع به ..

والفريق الآخر الذي يأخذ على العراق سلوكه هذا مع قوله بضرورة

التعاون مع الدول الغربية ومنها تركيا يرى في الاتفاق التركي العراقي ضربا من ضروب التحالف الذي نهت عنه توصيات وزراء الخارجية المتخذة في شهر كانون الاول الماضي ويرى أن معاهدة الدفاع المشترك كفيلة بتطمين العراق اذا ما صدقت النيات وتوافرت على تنفيذها ، ومتى اطمأن العراق لا تبقى به حاجة الى الاتفاقات الثنائية التي يخشى معها تفرق كلمة العرب تفرقا يحمل في مطاويه أسباب الضعف لهم جميعا .

وقد انتهت المباحثات الى موقف أكد فيه العراق التزاماته الناشئة عن جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك ، مع احتفاظه بحق اتخاذ أية اجراءات اضافية من اجل سلامته ، وهذا التحفظ العراقي قابلته مصر بأنها ستعلن من الآن أنه متى تم ابرام الاتفاق التركي العراقي ، ستنسحب من معاهدة الدفاع المشترك وتعمد الى عقد اتفاقات أخرى دفاعية مع الدول المتاخمة لـ (اسرائيل) .

وحين تأزم الموقف على هذا الوجه ، رأى المؤتمر ان يقصد وفد الى بغداد . ثم لما عاد الوفد الى القاهرة وأعلن نتائج مسعاه (والتي خلاصتها أن العراق لا ينثني عن عزيمته) تقدم لبنان بدعوة الى اجتماع يعقد في بيروت وطلب تعليق الابحاث بانتظار الاجتماع المرتقب . وقد رأى المؤتمر قبول الدعوة اللبنانية مبدئيا مع تعليق قبولها على الجواب عن سؤالين تتقدم بهما حكومة لبنان باعتبارها صاحبة الدعوة . الاول منهما يوجه الى العراق وهو هل يوافق على مبدأ مناقشة الموضوع في أساسه . والثاني يوجه الى العراق ومصر معا وهو هل يعلن الطرفان انصياعهما لما تقرره الدول العربية في بيروت . وقد قام لبنان بتوجيه السؤالين فكان من جواب العراق فيما يتعلق بالشق الاول أن عمله لا يتنافى مع الحق المعترف به للدول المرتبطة بحكم ميثاق الجامعة العربية ، بينما الرضوخ الى قرار تتخذه الاغلبية منها ينافي حكم ذلك الميثاق .

وحين تبلغ المؤتمر جواب العراق في الجلسة التالية والاخيرة التي عقدها (وكانت في مساء الاحد ٦ شباط) رأت مصر أن الخلاف غير قائم على أساس ميثاق الجامعة العربية بل على اساس معاهدة الدفاع المشترك ، وخاصة المادة العاشرة منه ، وأن فض الخلاف ينبغي أن يكون على يد المجموعة العربية .

وعلى الاثر تقدم الاردن باقتراح يرمي الى الموافقة على ما يلي :

١ ـ : اقرار التوصيات الصادرة عن وزراء الخارجية .

٢ ـ : عدم الانضمام الى الحلف العراقي ـ التركي المزمع عقده .
٣ ـ : عدم الموافقة على التحفظ العراقي .
٤ ـ : تشترك الدول التي توافق بغير تحفظ في البنود الثلاثة هذه بانشاء قيادة عسكرية مشتركة فيما بينها بوقت السلم تتوسع الى قيادة عامة حين الحرب .

وقد قابل الوفد العراقي هذا الاقتراح بأنه اذا كان لا بد من بحثه، فليعتبر وفد العراق غائبا . وانه مستعد لجعل هذا الغياب قطعيا وواقعيا بالانسحاب من الجلسة اذا شاء المؤتمرون .

وبديهي أن هذا الاقتراح يؤدي عند قبوله الى اخراج العراق من القيادة العسكرية المشتركة المقصورة لحالتي السلم والحرب،والى اقامة وضع جديد بين الدول العربية خلاف الوضع القائم منذ تأسست جامعتها بموجب ميثاقها الخاص ومذ قامت بينها معاهدة الدفاع المشترك المصدق عليهما دستوريا في كل بلد . اذ انه ، أي الاقتراح الاردني يشترط للاشتراك في تلك القيادة العسكرية العامة الموافقة على البنود الثلاثة الاولى التي لا يمكن أن يوافق عليها العراق .

عند هذا الموقف ، عدت فأكدت ما كنت قدمته مرارا عن موقف سورية من الاحلاف ثم صرحت أنني لا أقوى على حمل التبعات التي تترتب على الموافقة على الاقتراح الاردني ، وانه ليس لي وأنا في القاهرة أن أوافق على اقامة وضع جديد بين البلاد العربية ينقض الوضع حتى الآن بموجب نصوص مصدق عليها دستوريا . ورجوت الاخذ بالاقتراح اللبناني الرامي الى تعليق البحث ريثما تجتمع الوفود في بيروت يوم الخميس ١٠ الجاري، وبذلك يتسع المجال لكل وفد أن يعود الى بلده ويوسع دائرة استشاراته .
ولما لم يؤخذ بالاقتراح الاردني ولا بالاقتراح اللبناني آثرت مصر أن يعمد الى انهاء المؤتمر في الحال مع ملاحظة انه ليس ما يمنع دولة من الدول العربية أن تدعو الى اجتماع عند مسيس الحاجة .

وعلى هذا فان الوفد السوري كان منسجما مع السياسة التي اعلن عنها البيان الوزاري الاخير من عدم التحيز الى فريق دون آخر من الفريقين العربيين وسعى قدر المستطاع لعدم التصدع ولعدم فسح المجال لتفاقم الامور .
ووجه السياسة السورية هذا فيما يتعلق بالسياسة العربية من الامور التي لم يخل من اعلانها وتوكيدها أي بيان وزاري من الوزارات التي تعاقبت في السنوات الاخيرة .

استقالة الوزارة الخورية

وكان فارس الخوري رئيس مجلس الوزراء قد فوجيء قبل اذاعة هذا البيان بيوم أو اكثر باستقالة الاستاذ فاخر الكيالي وزير الاقتصاد الوطني.. ولحاق الاستاذ محمد سليمان الاحمد (بدوي الجبل) وزير الصحة والاسعاف به .. وفهم أن سبب استقالة هذين الوزيرين تعود الى انقسام كبير حدث في الحزب الوطني الذي ينخرطان في عضويته ، ذلك الحزب الذي انشق الى فريقين ، احدهما يقول بوجوب الاشتراك بما اسماه (وزارة قومية) ولو كان ذلك بالاشتراك مع حزب البعث العربي الاشتراكي الذيبادله الخصومة والعداء طيلة حياته السياسية ، ضمن حكومة واحدة ، ويهدد بالانسحاب من الحزب اذا لم يأخذ الوطنيون برأيه .. ويتزعم هذا الفريق السيدان **صبري العسلي** الذي جعل همه الوصول الى الحكم عن اي طريق ومهما تكن الوسيلة المؤدية لذلك .. فكان **فيهذا بداية انهياره كرجلذيماض وطني حافل ، وميخائيل ليان** الذي كانت تسيره أحقاده الشخصية ضد حزب الشعب الذي يملك الاكثرية النسبية في البرلمان فكان فيما بعد أول ضحية من ضحاياذلك التقارب بينه وبين اليساريين وقد ندم على ذلك فيما بعد أشد الندم وكتب مرة الى السيد لطفي الحفار كتابا كله ندم واستغفار أطلعني السيد الحفار على مضمونه .. في حين يرى الفريق الثاني عدم الاشتراك مع البعثيين بحكومة واحدة محافظة منه على مبادئه التيعرف بها وخط سيره الذي تميز به .. ويتزعم هذا الفريق **السيد لطفيالحفار رئيس** الوزارة السورية الاسبق .. ولكن الذي يبدو **أن العادات الطيبة يسهل التخلص منها أكثر من العادات السيئة** بحيث اتضح أن الفريق الاول المتخلي عن مبادئه وتقاليده وخط سيره ، هو الذي كان يلعب الدور الرئيسي في توجيه سياسة الحزب . فضغط على وزيريه الكيالي والاحمد ضغطا شديدا كي يستقيلا من الوزارة بغية احراج الرئيس الخوري فيستقيل ، يضاف الى ذلكأن الوزير الوطني الثالث المهندس مجدالدين الجابري لم يتول وزارته اطلاقا لغيابه خارج البلاد حيث كان يشغل منصب رئيس مهندسي الاشغال العامة في الكويت ويقال أن ميخائيل ليان هو الذي كان يشير عليه بعدم المجيء الى دمشق لانه نوى الشر لوزارة الخوري منذ تأليفها .. وفعلا تم له ما أراد .. اذ رأى فارس الخوري أن العرف البرلماني يوجب عليه التخلي عن الحكم فرفع استقالته يوم الاثنين ٧ شباط ١٩٥٥ . وقبلت هذه الاستقالة رسميا



السيد صبري العسلي رئيس الوزارة السورية ، بداية انهياره كشخصية وطنية ذات ماض عريق حافل ، وبداية عهود وصمت بانها عهود الانحلال السياسي في سورية.



في ١٣ منه عندما تم تأليف الوزارة برئاسة السيد صبري العسلي الذي دفع ثمن ذلك .. انسحاب عدد من اقطاب حزبه من ذلك الحزب ، وفي مقدمتهم **لطفي الحفار وبدوي الجبل محمد سليمان الاحمد والدكتور سهيل فارس الخوري وعبد القادر شريتح والمهندس صلاح الدين شيخ الارض** وغيرهم .

ولعل اشنع ما قيل في سبب استقالة الاستاذ فاخر الكيالي من الوزارة . ما قاله هو نفسه للصحف المحلية في تبريره استقالته ان اثنين من آل القباني بحلب محكوم عليهما بالاعدام لجريمة قتل حزبية ارتكباها وهما من انصاره وطلب لهما عفوا خاصا فلم يقر مجلس الوزراء طلبه هذا ، وتساءل في حديثه الصحفي الانف الذكر : **(كيف تريد مني ان اقف .. هل اساعد على ايصال من اوصلني الى الحكم الى المشنقة ؟!!)** فهو يعتب على (حزب الشعب) لعدم موافقته على العفو عن القتلة المجرمين ويصف تصرفاته ـ اي تصرفات ذلك الحزب . بانها بعيدة عن واقع التعاون المخلص ؟!؟!

وجدير بالاشارة الى ان هذا الوزير (الشريف) هو الذي احتضنه الوصوليون الانتهازيون من الشعوبيين المفسدين ففرضوه على كل وزارة بعد

ذلك ثم اخذه جمال عبد الناصر وزيرا له طيلة مدة حكمه لسورية ، فكأنه بذلك وضع اسفين انهيار الوحدة بها حال قيامها .

مآس كابية تلاحق بعضها بعضا

اني اذ اشير الى هذه التفاصيل ـ والاسى يملأ نفسي ـ فليلمس القارىء اسرار المآسي الكابية التي لاحقت بعضها بعضا بادئة من هنا ومنتهية باقامة وحدتنا مع مصر تلك الوحدة التي لم يكتب لهـا الديمومة والبقاء ، لعدم ارتكازها على الاسس المتينة التي كان يتوجب ان ترتكز عليها ولان الذين حققوها لم يكونوا يتحلون بشيء من النوايا الطيبة تجاه هذا الشعب الطيب المسكين .

ذلك انه .. ما كاد يأتي اخر يوم على الخوري في دست الحكم حتى بدأ شراء الضمائر الخربة في سورية من قبل السفارة المصرية التي تولى الامور فيها الاميرالاي (العميد) محمود رياض .

ظهر ذلك بصورة جلية واضحة بظهور مقال ركيك سخيف وضع في الصفحات الاولى من بعض الصحف المحلية ، منسوب الى (كاتب عربي كبير) وقد يكون هذا الكاتب العربي الكبير احد موظفي الدعاية القاهرية .. ويبدأ هذا المقال بالقول :

(ان مصر العربية بماضيها البعيد **وفراعنها المغاوير** قبل الاسلام بآلاف السنين ، وماضيها القريب منذ انبلج نور الاسلام فيها هي عربية ، لا ريب في ذلك ، وهي تعمل لاجل سعادة العرب وهناءتهم وتضحي بكثير من راحتها في سبيل العرب . واذا استعرضنا التاريخ بعيني طائر ، نرى انها هي التي ساعدت قبل المسيح على طرد **الحثيين والآشوريين** (؟!!؟!!) والفرس من سورية ، واذاقت اليهود الامرين عندما رفعوا رأسهم في سوريا) !!!

ومعلوم ان الحثيين والآشوريين الذين ساعدت مصر على طردهم من سورية كما يتبجح كاتب المقال هم سكان سورية الاصليون .. وان الذي اذاق اليهود الامرين هم الكلدانيون وليس المصريون .. ويتابع (الكاتب العربي الكبير المزعوم) كلامه فيقول ان مصر كانت بعد الاسلام اكبر معين للعرب المسلمين على دخولها بقوة (٣٥٠٠) عربي فقط وانها هي التي نصرت دولة العرب الفاطميين . وهي التي قاومت دخول سلطان الترك (ياووز سليم) عام ١٥١٦ على سورية في مرج دابق شمالي حلب !!!

(ومعلوم من الوجهة التاريخية ان السوريين لم يقاوموا دخول السلطان سليم لبلادهم بل انقلبوا على سلطانهم الجائر الظالم القانصوه الغوري وساعدوا السلطان الغازي على احتلال مصر ذاتها) !!

.. الى غير ذلك من المغالطات والهذر والهذيان الذي حفل به المقال .. وبعد ذلك اندفع سيل الدعاية القاهرية بشكل عنيف ، كان من ابرز مظاهره توزيع الكتب التي تطعن بخصوم جمال عبد الناصر السياسيين ، والمنشورات التي تمجد اعماله وتصرفاته ، والصحف الكبرى ، مجانا في الشوارع والساحات وفي المقاهي والحانات .. واحيانا بأسعار رمزية ضئيلة ، كل هذا ، بالاضافة الى سير صحافتنا (ما خلا ثلاث او اربع ، واحدة لاسباب عاطفية ، والاخرى لوقوفها في صف العراق) في ركاب دراهم السفارة المصرية بدمشق .. ولست القي الكلام في هذا اعتباطا وقد عرفه كل من عاصر تلك الفترة من حياة سورية الكئيبة .

وكان أن حللت جريدة (الشعب) لسان حزب الشعب ، الوضع، تحليلا دقيقا قالت فيه :

(فالحكومة المصرية تعتقد على ما يظهر ان سلطانها يجب ان يمتد ولو كره ميثاق جامعة الدول العربية ـ الى الحكومات العربية قاطبة ، تأمرها فتطيع ، وتوميء اليها فتتبع ..)

الى ان تقول :

(طلعت علينا صحف مصر في اليومين الاخيرين بحملات موجهة للحكومة السورية ووفدها الى مؤتمر رؤساء الحكومات الذي دعت اليه ، وفي هذه الصحف من الترهات والاباطيل ما يزري بالورق الصقيل والاخراج الانيق الجميل .. **ويتولى نشر هذه الترهات أناس في مصر مسؤولون كنا نتمنى ان يأتي ما يعرضونه على الناس من صور افكارهم وحلومهم ، مترفعا ولو قليلا عن الاسفاف) !!**

(ولكن حسب رئيس حكومة سورية ووزير خارجيتها ان لم يكونا من مصر طوع البنان ورهن المشيئة ، وحسبهما انهما حرصا على كيان الجامعة العربية وعلى وحدة الصف العربي ، حسبهما هذا ليحل بهما غضب الحكومة المصرية وصحافتها ولتوزع الصحف المصرية ـ الموجهة ـ مجانا في المقاهي والمطاعم ودور السينما ثم تدعي تلك الصحف ان الناس في دمشق قد التهموها التهاما !!!) .

(وبعد هذا نتساءل . **هل اصبح هذا الطراز من التضليل والتهويش**

طريقة من طرائق الحكم في ارض الكنانة العزيزة يعتمدهـــا المسؤولـــون ويعتمدون عليها لتركيز دعائم حكمهم في الداخل ولبسط سلطانهم ونفوذهم على البلاد العربية الاخرى .. وهل تتسع احلام الحاكمين في مصر لحمـلات تشن عليهم بالصحف العربية على غرار الحملات التي يشنونها هم انفسهم .. **وهل تسمح ــ الحكومة المصرية ــ الصحف العربية الحرة ان تدخل مصر وان تعرض في شوارع القاهرة لنرى بعد ذلك أيعرض عنها المصريون ام ((يلتهمونها التهامـا)) ؟ !!! ..) .**



فيضي الاتاسي يكشف حقيقة السياسة القاهرية

وكتب الاستاذ فيضي الاتاسي في جريدة الشعب بتاريخ ١٥ شباط مقالا ناقش فيه مقالا آخر كان كتبه الاستاذ اكرم الحوراني بعنوان (الحكومة المتآمرة !!) حشاه بالهجوم العنيف والتجني على حكومة فارس الخـوري المستقيلة ، وكان السيد الحوراني قد بدأ يسير في ركاب السياسة القاهرية .. فكشف السيد الاتاسي في مناقشته للاستاذ الحـوراني بعض الذي دار فـي لجنة الشـؤون الخارجية بمجلس النواب حول مقررات وزراء الخارجية المدونة .. فما كان من اكرم الحوراني الا ان رد على الاتاسي في جريدة البعث بعنوان **(هذه الحقائق تصرخ في وجوهكم)** فاستعار الاستاذ فيضي الاتاسي العنوان ذاته لمقال نشره فـي (الشعب) بتاريخ ٢١ شباط ١٩٥٥ مما قاله فيه :

« ... انه ــ ويقصد اكرم الحوراني ــ **لا يريد الاحلاف** ، واني مجيبه بأن الحكومة التي كنت وزير خارجيتها قد اسلمت البلاد بحمد الله الـى

حكومة دولة السيد صبري العسلي كما استلمتها ، فلا تعاقد ولا تحالف ولا ما يشبه هذا أو ذاك ، واذا كان شيء خلاف هذا ، فاني ارجو السيد الحوراني الا يدخر شيئا من التدابير القامعة ، فله ان يسلمني الى المحكمة العليا اذا شاء ، او الى محكمة حزبه التقدمي !! . »

« والسيد الحوراني **لايريد المساعدات، لا العسكرية منها ولا الاقتصادية** والحكومة السابقة لم تستوف على يدي شيئا منها يحاسبني عليه ، كما ان استيفاء البلاد العربية الاخرى ما استوفته باسم **النقطة الرابعة** او باسم المساعدات العسكرية او الاقتصادية ، سابق لمجيئي وزارة الخارجية ، وقد ندبني السيد الحوراني الى حمل الحكومات العربية على كف يدها عن استيفاء المساعدات ولو بطريق كشف سياستها وفضحها وتعريضها لسخط شعوبها، والوقت لم يتسع لي لتنفيذ اوامره ، اذ داهمتني المنية – كوزير – ولم تمهلني ، اما وقد آل الامر اليه ، واصبحت الحكومة حكومته ، فلينشط هو وحكومته لتحقيق ما امرني به ، واحسب ان اقرب الطرق لبلوغ ما يريد هو ان يقصد وزير خارجيته العتيد الى القاهرة ، فيلقي المحاضرات ويدعو الى المؤتمرات الصحفية ، ويندد ما شاء له التنديد بما **فعلته مصر اذ استوفت اربعين مليونا من الدولارات وتعاقدت مع الانكليزعلى اتفاقية القناة** ، وله ان يسخر في سبيل البث والنث اذاعة ((**صوت العرب**)) وللسيد الحوراني بعد هذا ان يرى ، أتطول اقامة وزير خارجيته العتيد في القاهرة أم يأخذ الصاغ صلاح سالم بيده الى المطار ويقول له : هلم وارحل عنا على جناح السرعة مشيعا بالاحترام ومصاحبا بالسلامة !.. » .

((**والاتفاق التركي العراقي ؟!** – يقول السيد الحوراني اننا حمينا مؤخرة السيد نوري السعيد فهل كان علينا ان نحمي مؤخرة الصاغ صلاح سالم وليس بين الرجلين فرق في حقيقة الامر ؟! – لو سمع السيد الحوراني الصاغ صلاح سالم يقول في حضرة فخامة الرئيس شمعون يوم هبطنا بيروت في طريقنا من القاهرة الى بغداد ، ثم في حضرة فخامة الرئيس السوري يوم هبطنا دمشق لدى ايابنا الى القاهرة ، لو سمعه يقول : **اننا مع الغرب ، والغرب واثق بنا ، بدليل اعطائه ايانا اربعين مليونا من الدولارات وبدليل تخليه لنا عن قاعدة السويس التي كلفته ثلاثمائة مليون من الجنيهات، ولو هاجمتنا روسيا ولم تكن امريكا مقيمة بين اظهرنا لتجيئن بها نحن انفسنا، ولكن الاتفاق التركي العراقي ، بما ينطوي عليه من معاني التحالف مع تركيا غير محبب الى جبهتنا الداخلية ، واتفاقية القناة ، بسماحها للانكليز بالعودة**

الى القاعدة لمجرد التعرض لتركيا ، اقامت علينا الاخوان المسلمين ، وكلفتنا ذبح (كذا بالحرف) ستة منهم واعتقال سبعمائة ..

لو اصغى السيد الحوراني الى هذا وغيره من احاديث الصاغ . **ثم لو اصغى الى احاديث الحياد يتبادلها الصاغ مع الباندیت نهرو** ، اذن لامسك رأسه بين يديه ، ولقال ، في لحظة فذة من اللحظات النادرة التي يتوجه بها الى الله — اللهم ثبت علي عقلي وديني — ثم لزهد بعد ذلك زهادة تامة ، ولما وجد في ختام الامر ما يوجب التصحب لاحد الفريقين على حساب الفريق الاخر ، **ناهيك بما يفرضه علينا الوضع الجغرافي والجوار** ، مما ليس يفرضه على مصر » .

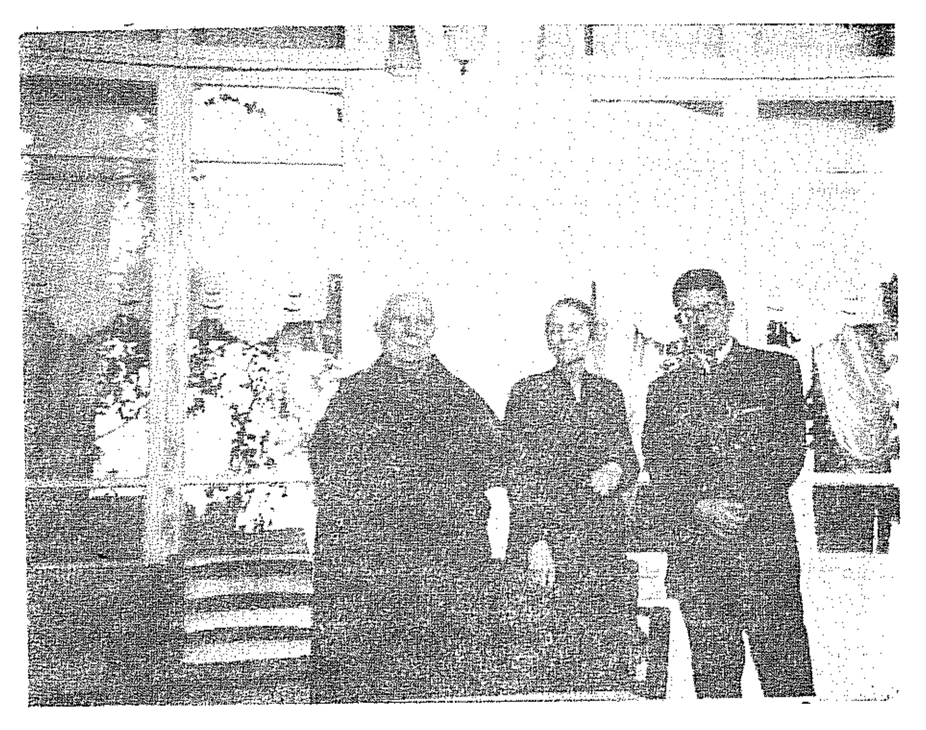
●

ولكن اكرم الحوراني لم يصغ .. ولم يسمع .. ولم يحاول الرؤية .. فقد كانت في النفس غايات ومآرب .. حتى اذا تم له ما اراد وجر البلاد الى تلك الوحدة المرتجلة . رأى — اذا ما كان صادقا في بياناته التي اذاعها عام ١٩٦٢ — ما يشيب لهوله الولدان .. وتحقق من ان فيضي الاتاسي ، وفارس الخوري ، واخوانهما انما كانوا ابعد منه نظرا واصدق فراسة واشد منه رغبة في تجنيب سورية المهاوي والمزالق .. والكوارث والنكبات !! .. وليسجل التاريخ .

تعليق الخوري على حكومة العسلي

وصدر بيان حكومة السيد صبري العسلي ، الثانية ، التي خلفت حكومة الاستاذ فارس الخوري في الحكم .. متضمنا رفض الاحلاف ، ولا سيما الحلف العراقي التركي .. فأدلى الاستاذ فارس الخوري بالتصريح التالي :

« أن بيان الحكومة الجديدة لم يتضمن شيئا جديدا عن السياسة الخارجية التي سلكناها لان رأينا اوضحناه في بياناتنا السابقة وهو اننا لا نقر عقد اية احلاف غير المواثيق الثلاثة الاتية : ١ — ميثاق منظمة الامم المتحدة . ٢ — ميثاق جامعة الدول العربية . ٣ — ميثاق الضمان الجماعي والتعاون الاقتصادي العربي . وقد رفضنا الانضمام الى الحلف التركي العراقي المنوي عقده .. وان هذا ما قلناه في مؤتمري وزارة الخارجية ورؤساء الحكومات العربية وكنا اول القائلين به باسم سورية .. ولقد قلنا



فارس الخوري ، وعقيلته ، ومحمد الفرحاني

***

في سورية ايضا .. بأننا لا نعقد اية احلاف غير المواثيق التي نوهت بها .. وختاما .. اشكر الوزارة لتبنيها موقف وزارتي السابقة .. واني لارجو التوفيق للجميع » ..

جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية

واعتكف فارس الخوري في منزله يرقب الاحداث عن كثب .. ويذهب مرة في كل عام الى جنيف ليشترك في جلسات لجنة القانون الدولي التي هو عضو فيها ..

واقيمت الوحدة بين مصر وسورية ولم يكن للاستاذ فارس الخوري اي راي بقيامها او بانهيارها .

وفي ٢٢ شباط ١٩٦٠ وبينما كانت جماهير الهاتفين المصفقين تحتفي بالسيد جمال عبد الناصر امام قصر الضيافة في الذكرى الثانية لهذه الوحدة .. اصيب فارس الخوري بكسر اليم في عنق فخذه الايسر بغرفة نومه .. وكانت النهاية .. نهاية اعظم رجل انجبه الشرق العربي في عصره الحديث على الاطلاق !! ..

وكان يعاني آلام المرض الشديد في مستشفى السادات حينما منح في خريف عام ١٩٦٠ جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من قبل الرئيس جمال عبد الناصر بناء على توصية المجلس الاعلى للعلوم والفنون . وقدرها الفان وخمسمائة جنيه مصري مع وشاح النيل تصحبه براءته .. وفي ١ كانون الثاني ١٩٦١ زاره السيد حسن الحكيم وقال له مهنئا :

(نحنا منعرفك اكبر من هيك بكتير .. انا بتذكر قصة .. اجت لامير الشعراء احمد شوقي من الباب العالي في استمبول رتبة متمايز ينادى حاملها عادة بـ (صاحب السعادة) فقال له حافظ ابراهيم :)

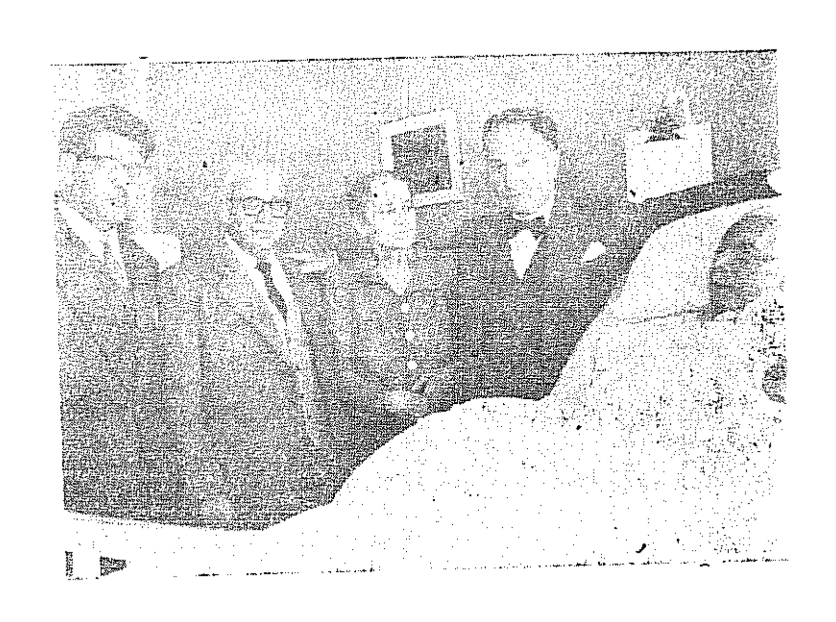
ان هنأوك بها فلست مهنئا ... اني عهدتك قبلها محسودا

قد كان قدرك لا يحد نباهة ... وسعادة فغدا بها محدودا

النهاية

وقبل وفاته باسابيع قليلة زاره **الدكتور فؤاد عقل** ، المغترب ، صاحب المستشفى الجراحي الكبير المعروف باسمه في نيويورك .. فتألم كثيرا حينما اجابه فارس الخوري عن حاله بقوله : **(ان حالي كما ترى .. حي بين الاموات وميت بين الاحياء !!)** .

وكانت وفاة فارس الخوري في حوالي الساعة العاشرة والنصف من مساء الثلاثاء ٢ كانون الثاني ١٩٦٢ في مستشفى السادات بدمشق ، فكانت الفاجعة به عظيمة .. وانا لله وانا اليه راجعون .



فارس الخوري ، في اخر صورة التقطت له قبيل وفاته ، في مستشفى السادات في دمشق ، وقد احاط به من اليمين الى اليسار : الدكتور فؤاد عقل صاحب المستشفى الجراحي الكبير المعروف باسمه في نيويورك (الولايات الامريكية المتحدة) ثم السيدة اسماء عيد قرينة المريض الكبير فالدكتور منير السادات صاحب المستشفى المعروف باسمه في دمشق ومحمد الفرحاني مؤلف هذا الكتاب .

فارس الخوري

سيرته

خليق بالامم الحيـــة ، ان تدرس سير عظمائها وعباقرتها فتخرج منها بالفوائد والعبـــر .. وسيرة فارس الخوري هي من تلك السير الحافلـة الجديرة بالبحث والتمحيص لانهـــا مليئة بالمواعظ وغنية بالحكم .

ورد في السيرة النبوية المطهرة ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم قبل يد عامل متورمة وقال هذه يد يحبها الله ورسوله .. وفي هذه البادرة ما فيها من تقديس وتكريم للعمل وللعمال .

وروى عن فارس الخوري ، احد تلاميذه المحامي **الاستاذ احمد سلطان** (وزير العدلية والاوقاف في الحكومتين الانتقاليتين اللتين تالفتـــا عقب ثورة ٢٨ ايلول ١٩٦١) قال :

في شهر تشرين الاول من عام ١٩٣٧ اعلـــن معهد الحقوق العربـي

بدمشق بداية العام الدراسي لعام (١٩٣٧ – ١٩٣٨) واعلنت ادارة المعهد برامج المحاضرات ، وكانت المحاضرة الاولى في اول يوم من ايام الدراسة للاستاذ فارس الخوري .

والاستاذ فارس الخوري كانت له سمعة ملأت اجواء الوطن السوري وعطرت الآفاق البعيدة في الوطن العربي نظرا لما كان يتمتع به استاذنا الكبير من مكانة رفيعة في مختلف الميادين البطولية والنضالية والسياسية والاجتماعية والاخلاقية ، لذلك كان بديهيا ان يتشوق جميع طلابه للاستماع الى هذه المحاضرات القيمة في سنتهم الاولى لانه كان يلقي محاضراته على طلاب السنتين الثانية والثالثة فحسب ولا ابالغ ان قلت انني وجميع رفاقي يومئذ كنا ننتظر بالثواني موعد محاضرة العلامة الاستاذ الخوري .

وفي اليوم المحدد تاخرت مضطرا بضع دقائق عن موعد بداية المحاضرة المنتظرة ، وكنت وانا في طريقي الى المعهد اقدر ان استاذنا الكبير لا بد وان يتاخر عن الموعد ولو قليلا نظرا لمشاغله الجسيمة المتعددة ، خاصة وهو يومئذ رئيس للمجلس النيابي الذي انبثق عن انتخابات جرت في البلاد اثر معاهدة ١٩٣٦ ولكن تقديري ظهر خطأه حين دخلت قاعة الصف ووجدت استاذنا الكبير يلقي محاضرته القيمة والطلاب جميعا يستمعون اليه وينصتون فاحتللت اول مقعد رايته امامي وشاركت زملائي بالاستماع والاصغاء وما ان انتهى الاستاذ العلامة من القاء محاضرته في نهاية الوقت المحدد لها حتى هم بالانصراف فلاحظت بانه رحمه الله تفقد الحاضرين من طلابه واحصى الغائبين منهم في مستهل المحاضرة وادركت ان اسمي كان في عداد الغائبين وحيث ان نظام المعهد يومئذ كان يوجب على الطلاب حضور ساعات معدودة حتى يحق لهم اجتياز الفحص النهائي .. لذلك ، ورغبة في ان يعتبرني استاذنا الكبير حاضرا في تلك الساعة تقدمت منه ورجوته ان يسجل حضوري في تلك الساعة فأخرج من جيبه القائمة التي كانت تتضمن اسماء الطلاب والتي كان يدون فيها حضورهم وغيابهم وسألني عن اسمي لانه ما كان يعرفني قبلا فأعلمته عن اسمي وعلى الرغم من انه استعان بنظارته للتفتيش عن مكان اسمي بالقائمة فانه لم يجده رغم مرور حوالي دقيقة فمددت اصبعي لاشير له عن مكان اسمي في القائمة فلاحظ ان يدي كان يكسوها السواد من اثر الفحم الحجري فلم يرق له منظر يدي وانزعج منه .. وخاصة وانني طالب جامعي ، والمفروض بي على الاقل ان تكون يداي نظيفتين ، فسحب القائمة من قرب يدي ووضعها في جيبه



الاستاذ احمد سلطان وزير العدلية والاوقاف في سورية ، في الحكومتين الانتقاليتين اللتين تالفتا عقب ثـــورة ٢٨ ايلول ١٩٦١

وتوجه نحو باب القاعة وهو يدمدم قائلا : (وصل متأخرا ويده قذرة ويطلب ان يسجل من الحاضرين) . ولكن دمدمته هذه نفذت الى اعماق اذني وقلبي وكان لها في نفسي وقع الصاعقة حتى كدت ابكي وانفجر من الغيظ .

وتوجه استاذنا الكبير نحو قاعة الاساتذة وبصورة لا شعورية اندفعت وراءه وقلت لـــه والتأثر بـــاد فـي وجهي وظاهـر فـي عينـي : ارجو ان يسمح لي الاستاذ الذي تخطت شهرته الآفاق ان اروي لـه قصة قذارة يدي كما وصفها هو ، وان يعتبرني غائبا عن محاضراته طيلة العـــام رغم ما للغياب عن المحاضرات من تأثير في نهاية العام الدراسي مــــن حيث قبول اجتياز الفحص النهائي أو الحرمان منه ، فالتفت لي استاذنا الكبير ، وما ان حدق في وجهي ولحظ تأثري البالغ وانفعالي الشديد حتى بادرني بقوله : « تفضل معي الى قاعة الاساتذة وقص علي ما تشاء » !!

وفعلا رافقته الى قاعة الاساتذة وجلست الى جانبه ورويت له قصتي التي لا مجال لتفصيلها هنا والتي تتلخص في ان وضعي المادي يومئذ مـــا كان يسمح لي ان اكمل دراستي الجامعية الا اذا وجدت لنفسي عملا فـــي دمشق وانني لسوء طالعي لم اوفق يومئذ لعمل في دمشق الا عامـــلا يوميـــا في سكة حديد (شام ـــ حماة) وتمديداتها ، التـــي كانت يومئذ شركـــة فرنسية بمرتب يومي قدره خمسة واربعين قرشا سوريـــا صافيا ، وان عملي في الليلة التي افتتح في صباحها معهد الحقوق فصله الدراسي كـــان يقضي علي بأن اسافر مساء في قطار الشاحنات الى محطـــة سرغايا وان اعود في قطار مثله في الصباح ولكن القطار الصباحي المفروض ان يعـــود لدمشق في الساعة السابعة صباحا تأخر حوالي ساعة فوصلها في الســـاعة

الثامنة وبضع دقائق وبوصولي الى محطة الحجاز بدمشق سارعت ركضا الى المعهد كسبا للوقت كي لا ازيد في تأخري عن محاضرة الاستاذ العلامة التي كنت احلم بها منذ زمن بعيد .وعلى هذا لم اتمكن من غسل يدي في المحطة ولا في المعهد ولم ازل منهما اثر الدخان والفحم الحجري الذي كان يمرغ جميع شاحنات القطر يومئذ وقلت للاستاذ الجليل : **هل ترضى وانت امام العصاميين في امة العرب ان أحرم نفسي الدراسة الجامعية لمجرد الفقر أم انك تبارك القذر في يدي ما دمت مجدا ومبرزا في دروسي** وكان وصل في تلك اللحظة المغفور له الدكتور **محسن البرازي** وجلس معنا . فسأله الاستاذ الخوري عن صدق روايتي فأكد الدكتور البرازي رحمه الله صحة قصتي وشهد له بجدي ونشاطي وكوني كنت الاول بين طلاب السنة الاولى في الفحص النهائي رغم انشغالي اكثر الليالي في اسفار القطر الحديدية ورغم حرماني من نوم الليل الهادىء في البيت رغم ان هذه النعمة هي ادنى حد للنعم التي كان يتنعم بها جميع رفاقي وكانوا كلهم من الاثرياء بحمد الله ..

فتأثر الاستاذ العظيم لخبري هذا واخرج من جيبه القائمة واشر بيده الكريمة حضوري بجميع محاضراته في ذلك العام الدراسي وطلب من من الدكتور البرازي ان يفعل كما فعل وطلبا مني ان لا احضر اية محاضرة اذا كنت غير نائم في بيتي في الليلة التي تسبق المحاضرة حرصا على صحتي ونظري فشكرتهما صدق عاطفتيهما النبيلتين واكدت لهما انني لن استطيع التغيب عن اية محاضرة يلقيها اساتذتي الافاضل في ذلك العام الدراسي لانني عولت على ان اكون جامعيا مجدا يحرز شهادته بكفاءة وجدارة تامتين حتى أبدا بقوة كفاحي في الحياة دون ان اتأثر بصدمات صخراتها الاولى القوية .

وهممت بالانصراف واذا بيد تحت الطاولة تحاول مسك يدي فظننت ان احدا يمازحني وما عهدت المزاح باستاذنا الجليل فحاولت سحب يدي ولكن تلك اليد امسكت بيدي بقوة وعزم حتى اذا ما تبينتها رأيت ان تلك اليد هي يد استاذنا الجليل واخذت تشد بيدي وتقربها من فم الاستاذ الكبير ، فحاولت جادا انتزاع يدي من يده الكريمة فاقسم ان ليقبلن يدي (القذرة) حتى يجيد الاعتذار مني عما بدر منه من تسرع ، وفعلا فقد ظل ممسكا بيدي حتى قبلها ، ورجاني بقبول اعتذاره وغفران خطيئته ، ثم ودعته وانصرفت .

وعلى الرغم من انني لم انم في الليلة السابقة فانني لم اتمكن من النوم لا بعد الظهر ولا في الليل من شدة تأثري من رفعة خلـق استاذنا الوطني المناضل والسياسي النزيه والعالم الكبير الذي لا يجاريه احد فـي علـو تهذيبه وشدة تواضعه .

وعلى هذا لم انم حتى قبيل الفجر ، الا بعد ان كتبت مقالا كنت انوي نشره بالصحف في اليوم التالي بعنوان **(فارس الخوري قبل يدي)** ورويت فيه هذه القصة مع استاذي الكبير .

وفي الصباح مررت بجاري المغفور له الدكتور محسن البرازي واطلعته على ذلك المقال فسر به وشجعني على نشره في الصحف ومـا ان وصلت المعهد الا واستدعاني الاستاذ الجليل وطلب مني عدم نشر المقال في الصحف لئلا يعلم القائمون على ادارة السكة يومئذ انني طالب جامعـي فيسرحونني من عملي لان النظام لديهم لا يجيز لعمالهم او مستخدميهم الانتساب للجامعة ولانه لا يريد ان يمدحه احد ورجاني انني اذا كنت مصرا علـى نشر ذلـك المقال واذاعة تلك القصة ان لا انشرها ولا اذيعها الا بعد وفاته .. فامتثلت لامره وامسكت عن اذاعة هذه القصة لا خوفا مـن التسريح لان الادارة الفرنسية سرحتني بعدئذ منذ ان علمت بأمر انتسابي للجامعة ولكن تحقيقـا لرغبته ، والان .. انشرها على الملأ ليعلم الناس كيف **تتكـون شخصيات العظماء من امور ومقومات خلقية قبل كل شيء ، وحبذا لو اتخذ عظمـاء العرب وقادتهم فارس الخوري استاذا وقدوة لهم ..**

●

وكتب الاستاذ حسن عبد العال في جريدة (الحياة) البيروتية الكبرى بعيد وفاته يقـول :

كان فارس الخوري ـ رحمه الله ـ خفيف الروح ، يداعب اخوانه ولا ينقطع عن التنكيت والمداعبة حتى في احرج الظروف واخطرها ..

ارجع بذاكرتي الى اليوم الذي عرفته فيه ، وكنت طالبا في باريس ، وكنا نفرا من الطلاب عقدنا العزم على العمل في سبيل وطننا في العاصمـة التي كانت تقبض على مقدراتنا وحاضرنا ..

ففي تلك السنة (١٩٣٦) ، جاء الوفد السوري الى باريس ليفاوض الفرنسيين على معاهدة ينتهي بعقدها الانتداب ويبتديء بها الاستقلال .. وتنضم بعدها سورية الى عصبة الامم ، وجاء الوفد بعد الاضراب الـذي اعلنته سورية ودام ستين يوما وهو الاضراب الذي حظيت فيـه سوريـة باحترام العالم ، واكرهت الفرنسيين على مفاوضتها وكان العلامـة فارس

الخوري في جملة اعضاء الوفد .

وفي باريس اتصلنا بالوفد ، ووضعنا انفسنا تحت تصرفه ، وكانت لدينا خبرة بمداخل السياسيين الفرنسيين واتجاهاتهم ، ورأينا في اتجاهات بعض اعضاء الوفد وفي تصرفات رفاقهم في سورية ما لا يرضينا ولا يقنعنا . . **لاننا كنا مأخوذين بالاراء والفلسفة التي بهر بريقها ابصارنا ،** فجمعنا جموعنا وعقدنا مؤتمرا خرجنا منه بلائحة قدمناها للوفد وفيها مطالبنا من الحكم المستقل العتيد ، **وكانت عبارة عن آراء جمعناها من هنا وهناك مما قرأنا من الفلسفة الاشتراكية وما جاورها من الآراء ، واندفعنا مع الغرور في مرحلة صورت لنا اوهامها اننا طليعة الامة ،** واننا وجهها الفض . . واننا اذا لم نرسم خطتها فلن تنجح !! . .

ولما وصلت المذكرة الى الوفد ، كلف الاستاذ فارس الخوري بالرد عليها ، فدعانا الى الفندق ، وحدثنا بلهجته الفخمة ، وكلماته العذبة ، ومنطقه البادن ، ولفظه الجزل ، وكان الصدق والاخلاص والعلم والنباهة والذكاء هو القواعد التي اعتمدها للاغارة علينا وعلى غرورنا ، وهي المصادر التي غرف منها حتى فرض علينا الرجوع الى تلمذتنا ، واعادنا الى صوابنا ورشدنا ، واقتنعنا من ثم بأننا امام رجل فيه وقار العلماء ورقة الآباء ومحاسنة الاصفياء ، وخضعنا لمشيئته وجعلنا منذ تلك الساعة نؤمن بان الكتلة الوطنية هي الحل الوحيد لحجب جميع الاتجاهات والتيارات الاجتماعية ، وان الكتلة الوطنية هي الفكرة السامية التي جمعت بين اصحاب الميول المختلفة ، ليواجهوا هدفا واحدا ، وليسيروا نحوه بطريق واحد ، ولولا فكرة الكتلة الوطنية ، لكان من السهل على الاجنبي ان يجد الثغرات الواسعة في جسم البلاد السياسي ، **ذلك لان الاختلاف على النظريات الاجتماعية وقت النضال يؤدي حتما الى افادة الخصم بما يحدث من مقارعات بين رجال الامة !! . .**

وقال لنا يومئذ ، ان بين اعضاء الكتلة الوطنية رجالا مثقفين يؤمنون بالآراء التقدمية ، ويرون رأينا فيما ذهبنا اليه في مذكرتنا ، ومنهم من لا يؤمن بهذه الآراء الا ان فكرة الكتلة الوطنية جمعتهم على فضيلة واحدة ، على التخلي عن الآراء والمعتقدات والمذاهب الاجتماعية في فترة النضال ، ليعتنقوا فكرة واحدة هي مقارعة الاجنبي وتوطيد الاستقلال على الاخاء والمحبة بين المواطنين وتأتي بعد ذلك فترة التزاحم والتنافر ، بدوافع من هذه الآراء !! . .

وعندما سمعنا هذا التحليل ، وفهمنا تلك الغاية ، اعترفنا للرجل بالفضل وقلنا ، ما دام فارس الخوري هو الذي يعمل ويوجه ، وما دام هذا هو مبدؤه ، فهذا يعني ان عمل العالم وهو من عمل النبوة في الناس .. يظل ممتدا .. وما دام اخوان فارس الخوري على هذا الهدي ، فانهم يقولون كلمة الحق ويغرفون من اخلاق فاضلة ، واذا لم يأخذوا من علوم درسوها في الكتاب ، فانهم تعلموها من الحياة ، ولذلك حق لهم ان يستلموا القيادة والتوجيه في وقت كانت كلمة الاستقلال تعني وهما وخيالا وحسبانا من حساب المجانين ، وكانت الحرية كلمة ، من معانيها الدم والعذاب والبلاء.

●

ويتابع الاستاذ حسن عبد العال حديثه فيقول :

ثم اصطدمنا مرة بهذا الطود الذي يدعى فارس الخوري ، كنا في ذلك الحين شبانا تغلي الوطنية في دمائنا وكنا نكره عون الاجنبي اكثر مما نكره الاجنبي ، وفي ذلك الحين كان الدكتور (سمنة) يصدر مجلة **(مراسلات الشرق)** لحساب وزارة الخارجية الفرنسية ، وكنا اعضاء في جمعية تسمى (الجمعية السورية العربية) أذكر من اعضائها اللبنانيين السادة **نسيم الجدلاني واخوه نديم والدكتور فؤاد ابو ظهر** .

كان مما يؤذي وطنيتنا ومبادينا هذا الدكتور ومجلته ، وبحثنا عنه كثيرا لنجعله مطرحا لغميزتنا ، وهدفا لحقدنا ومقتنا فما حصلنا له على اثر ، وتشاء المصادفة ان نكون في حضرة فقيدنا العظيم ، عندما قدم له الخادم بطاقة الدكتور سمنة واذن له بالدخول ، وما كدنا نسمع اسمه حتى لمت عيوننا بمعان جمة للشر ، وارتسمت على وجوهنا صور شتى للانفعال.

وادرك هو ذلك ، كما لاحظ القادم سوءا في الجو الذي اقبل عليه فحاول الرجوع ، الا ان فارس الخوري امسك بيده ورحب بمقدمه واجلسه الى جانبه وباسطه في الحديث حتى هدأ روعه ، وما زال به يلاطفه ويحاسنه حتى اخضعه لمشيئته وطلب منه ان ينشر المعاهدة الانكليزية العراقية ، وان يدعو في مجلته لان تكون المعاهدة السورية الفرنسية من ذات الموضوع نصا وتطبيقا ، **وكانت تلك المعاهدة هي الحلم الذي يرين على مخيلة كل سوري في ذلك الوقت ، وهذا امر طبيعي لان الاستعمار في ذلك الحين كان يستمد جبروته من معاهدة فرساي ويرسم خطوطه على النحو الذي ترضى عنه طريق الهند ، ولم يكن الاستعمار كلمة هينة تلوكها الالسن بمثل السهولة في هذا اليوم ، بل كان الاستعمار جبروتا مخوفا وطغيانا يعطي**

معنى الفولاذ ذو المارج من النار، ولذلك كانت المعاهدة (العراقية ـ الانكليزية) هي المثل الاعلى لطلاب الاستقلال ، وقال فارس الخوري عن المعاهدة السورية الفرنسية يومئذ : « انها معجزة القرن العشرين سياسيا بالنسبة الى سورية » .

ورضي الدكتور سمنة بتحقيق هذا المطلب ، ونشر ما طلبه الخوري ، ولما هم بالانصراف حاولنا ان نتبعه ، الا ان الخوري حماه من رعونتنا ، ولما عاتبناه على ذلك ضحك رحمه الله وقال : « انني اعذركم لان دماء الشباب هي التي تتكلم فيكم ، ولكن يجب ان تعلموا **ان البطش بالخصم شيء لا يفيد دائما** .. انكم ستقدرون العمل الذي وجهنا اليه الدكتور سمنة عندما تعلمون انه بمثابة قنبلة وضعناها في سياسة وزارة الخارجية الفرنسية ، وانكم لو فعلتم ما عقدتم النية على فعله لكنا خسرنا الفائدة من هذا الرجل، اما الان فقد اكتسبناه بالحسنى وجعلناه الى جانبنا وبذلك استبدلنا الخير بشره !! ..

وحينئذ ايقنا ان هذا الزعيم لا يترك الحكمة ، وانه رجل لا تتحول ضوابطه العقلية الى عواطف !!

لا أيمان لمن لا امانة له .. ولا دين لمن لا عهد له

وروى لي احد تلاميذه، الاستاذ جواد المرابط، الاداري المعروف. قال:

اذكر عن فارس الخوري انه دخل علينا سنة ١٩٢٢ في الصف الثاني من معهد الحقوق ساعة ابتداء درسه اصول المالية ، وكان **الاستاذ العلامة توفيق الايوبي** في نهاية درسه عن مباحث الاوقاف فكان من جملة ما تحدث به الاستاذان عن اقتراب موعد الفحص فسأل الاستاذ فارس الشيخ توفيق ما اذا كنا انجزنا دراسة المباحث المدرجة في الكتاب فأجابه الشيخ توفيق : (ان الذي انجزناه انما هو ثلثا الكتاب) فقال الاستاذ فارس الخوري ، (ما اجمل ان يترسم المرء في التدريس ، لترسيخ العلوم في الذهن ، ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي كان يكرر قوله مرتين ولا يتعجل ، وكان من قوله ، قليل تؤدي شكره ـ أي تستعمله خير استعمال ـ خير من كثير لا تطيقه) فأجابه الشيخ توفيق : (اجل ، ولكننا امام وعد قطعناه على انفسنا ان نعمل لتعليمهم جميع مباحث الكتاب هذه السنة والنبي صلى الله عليه وسلم قال : العدة دين) فأتم الاستاذ فارس الخوري الحديث في



المناضل الوطني الكبير الرئيس لطفي الحفار .. وعن يمينه عديله ، الاداري والدبلوماسي المعروف الاستاذ جواد المرابط ، وعن يساره محمد الفرحاني .

**

قوله : (نعم ، هذا هو نص الحديث ، العدة دين ، ويل لمن وعد ثم اخلف) ثم عقب على ذلك بحديث اخر : (لا ايمان لمن لا امانة له ، ولا دين لمن لا عهد له) !! ..

يسروا ولا تعسروا ..

وروى لنا الاستاذ جواد المرابط ايضا .. **قال :**

اذكر ذات مرة ، عندما كنت رئيسا لديوان بلدية دمشق سنة ١٩٢٩ اني اطلعت على معاملة للمرحوم **غالب الزالق** رئيس البلدية وذكرت له وجهتي حل لها ، وقد كان ذلك بحضور الاستاذ فارس الخوري المشاور الحقوقي البدية يومئذ الذي قال :

الرأي ان تعملوا بهدي الرسول الكريم في قوله : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » ثم التفت الي وقال :

اذكر في اعمالك ما قاله الخليفة الصالح **« ما جلس احد قط بين يدي**

الا تمثل اني سأجلس يوما مقابله بين يدي احكم الحاكمين .. وان خير ما يدخره الانسان لذلك اليوم التيسير والتبشير في عونه الناس » وهذه الظاهرة التي من ميزات (فارسنا) الغالي وانه ما كان يتأخر عن مساعدة ، بل ينتهز الفرصة لعون يقدمه ، وليكتسب صديقا جديدا كل يوم جديد .. اسوق لها حادثا وقع هو اني كنت غبت عن البلدية لامر الاحقه بوزارة الداخلية سنة ١٩٣٢ ولما عدت وجدت المغفور له هو نفسه يملىء « وثيقة الدفن على نفقة البلدية » بخطه لمراجع معدم توفي اخوه وكان يومئذ في مكتب المرحوم **صباح آغا قصاب باشي** رئيس البلدية ، فشكرته اثر عودتي على ما صنع ، فقال رحمه الله :

« لا يجوز ان تؤخر البلدية عملا بسبب غياب الموظف المختص » وكان الموظف يومئذ مريضا لم يحضر .. ثم التفت الى الرئيس مبتسما وقص علينا بمناسبة الحادث وان هنالك حالات لا يجوز تأخيرها .. خبرا .. قال : رواه الجاحظ في البيان والتبيين هو انه ، جاء رجل الى رجل من الوجوه فقال ، انا جارك وقد مات اخي فلان فمر لي بكفن ، قال : لا والله ما عندي اليوم شيء ، ولكن ، تعهدنا ، وتعود بعد ايام فيكون الذي تحب ، قال : اصلحك الله ، فنملحه الى ان يتيسر عندك شيء ؟! !..

وبعد ان انتهى رئيس البلدية من استغراقه في الضحك عاد الاستاذ فارس الخوري يقول :

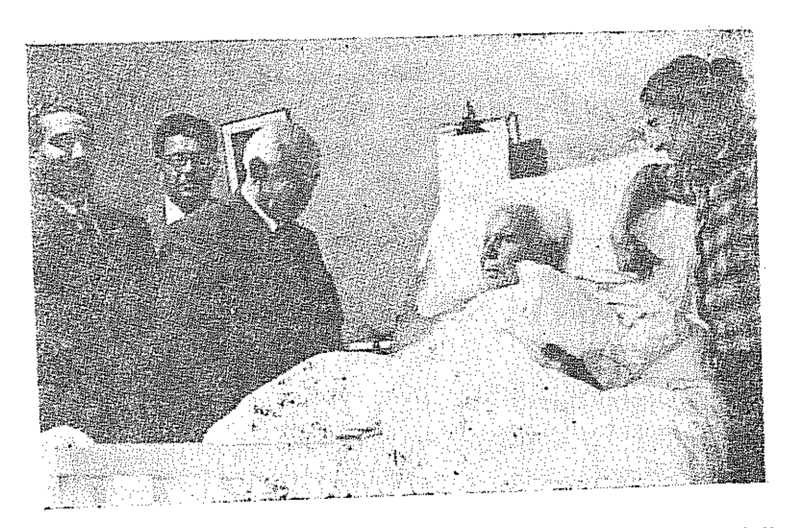
كان الناس في طليعة محفوظاتهم قول الشاعر :

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

اما الحال الان ، اذ تغير ، فلا ندحة من تعيين مفتش لكل دائرة ليسد على الاقل بنبالة منه وبتضحية شيء من مقامه (وقد تبسم عند ذكره ما ذكر) مسد من يكون ملزما بالتغيب لسبب مرض او لطاريء حتى لا تتعطل اعمال لا يمكن تأخيرها .

فارس الخوري كما يراه احد رفاقه

وما دمنا في التيسير نقول ان سيرته هذه لقيت بعض النقد من نفر من رفاق نضاله ، فقد صدر اثناء مرضه ، كتاب للدكتور عبد الرحمن الكيالي ، هو الجزء الرابع من (المراحل) الذي ضمنه تطورات مراحل النضال الوطني ضد المستعمر الفرنسي منذ تأسيس (الكتلة الوطنية)



الدكتور عبد الرحمن الكيالي اثناء زيارته لرفيق جهاده فارس الخوري فـي مستشفى السادات قبيل وفاته بأسابيع معدودة وقد وقف من حوله محمد الفرحاني ، والحقوقي الاستاذ منير حسن سزائي .. بينما وقفت السيدة اسماء في الجانب الثاني تتامل رجلها العظيم

**

وحتى نهاية الدور الوطني الاول فكان هذا الكتاب بحق ، سجلا تاريخيـا هاما لا غنى للمكتبة العربية عن مثله ..

وطبيعي انه جاء على ذكر الاستاذ فارس الخوري في اكثر من موضع مـن كتابه هـذا ..

فقد قال الدكتور الكيالي في الصفحة ٤٣٨ مـن المجلد الرابع مـن مراحله ، متحدثا عن الرئيس الجليل السيد هاشم الاتاسي :

« ... وكان يستشير السيد فارس الخوري رئيس المجلس النيابـي ويستطلعه الراي ، والسيد فارس الخوري كان من عادته لعلمـه الواسع وكثرة اختباراته ونظرياته ، يعطي الآراء ولا يجزم بها ، ويفتي عدة فتاوى ولا يتمسك بواحدة منها ، ومع هذا ، كان الرئيس يراجع غيره مـن الذين يألفهم ويثق برأيهم من غير الوزراء عندما لا تتفق الفتوى وما يراه » ..

وفي الصفحة ٥٣١ يقول الدكتور الكيالي :

« واذا حللنا صفات الرئيس فارس الخوري وهو عميد الكتلة الوطنية ورئيس المجلس التشريعي ورجل العلم والتجربـة وصاحب الجهاد فـي الوطنية ، نعجب من كثرة تردده في الرأي وكثرة شكوكه في آرائه ، وقـد

كان كثير القول قليل الحزم والبت ، يحرص على ارضاء كل طالب وكل مراجع لكسب الشعبية ولا يحرص على التمسك برأيه وما يراه صوابا » .

« ... وكان لا يغضب من الطالب والمراجع ، فلم ينجح في الادارة الحكومية ، وان نجح في الادارة السياسية ، لان الصفات اللازمة للادارة الحكومية غير الصفات اللازمة لادارة مجلس تشريعي يحتاج رئيسه للحياد، والعلم ، وقوة النطق ، وسرعة البديهة ، وتركيز الفكر ، وهي فيه بارزة ، واما الادارة الحكومية فتحتاج الى عزم وحزم وحسن تدبير ، وسياسة وهيبة ، واستقلال في الرأي ، وارادة ، وثبات ، وهي لم تبرز فيه ، وبما ان هذه الصفات لم تتكامل فيه وهو المحامي ، والاستاذ ، والاديب ، كان في الحكم ضعيفا ، وفي المواقف الخطرة مترددا ، يحاول ان يرجع الى علمه ، ومدرسته ، ومحكمته ، لا الى الكتلة التي حملته على عاتقها وعملت لتحرير البلاد ، وايجاد الكيان ، واخذ الاستقلال ، واقامة الحكم ، وهذه لا تؤخذ الا غلابا ، وجعلته معتمدها وموجه هدفها ، فاذا به سبب لانشقاقها واختلاف آرائها ... » .

وفي الصفحة ٤٦٦ وجدنا الدكتور عبد الرحمن الكيالي يقول :

« جرب الرئيس الاول ـ يقصد السيد هاشم الاتاسي ـ مرتين ، ان يعهد الي بتاليف الوزارة وكان يحول دون ذلك حرص السيد فارس الخوري على ادخال اخيه السيد فائز الخوري في كل وزارة ففضلت الابتعاد عن القبول ، على ان اجعل للاستاذ الذي لا ينكر جليل قدره ، وغزير علمه ، سلطانا علي في مشاركة من لا استطيع التعاون معه ، مع تقديري لعلم السيد فائز الخوري ومواقفه السياسية » .

●

وصف الدكتور الكيالي ، الاستاذ فارس الخوري بأنه كان سببا لانشقاق الكتلة واختلاف آرائها وهو وصف يغاير الحقيقة والواقع .. ويعترف بمغايرته للحقيقة والواقع الدكتور عبد الرحمن الكيالي نفسه في الصفحة ٤٤٨ من مراحله الرابعة حيث يقول :

« ولما خسرنا قضية اللواء ، واشتدت الازمة الاقتصادية ، زادت الحملات عليه ـ يقصد جميل مردم بك ـ وعلى الوزارة ، ولم تستطع الكتلة الوطنية ان تكون حمى لردالتهم ، ومحاربة الدعايات وهي بنفسها **اخذت تضعف وتعمل فيها عوامل التفرقة والانحلال** ، فنالته بسهامها واثرت في سمعته » .

ولم يرو لنا الدكتور الكيالي شيئا عن مسؤولية فارس الخوري في اضعافها واعمال عوامل التفرقة والانحلال فيها ..

ان الذي سبب انهيار الكتلة الوطنية هو انها لم تعمل حكومتها بخطط حكيمة ولا بادارة حازمة لتركيز الوحدة في القلوب وتأليف اهالي الاماكن المتباعدة وتثبيت الاستقرار وتعيين الاكفاء للمحافظات كما اشار الدكتور الكيالي نفسه في الصفحة ٤٣٥ وفي عدة مواضع اخرى ..

فارس الخوري وشكري القوتلي يعقبان

واذا كان لا بد لي من ابداء رأيي في الذي يقوله الدكتور عبد الرحمن الكيالي عن زميله الاستاذ فارس الخوري ، وهو العارف الخبير ، فأقول ، انه كان مصيبا كل الاصابة في وصفه للعلامة الكبير ، وقد تلوتها على مسامع الاستاذ الخوري فلم يحاول الاعتراض عليها او انكار شيء منها .. ولكني شعرت كأن في فيه كلاما ابتلعه على مضض .. وقد ربأ بنفسه ان يقف موقف المدافع عن نفسه .. اللهم الا في قضية اتهامه بمحاولة فرض اخيه **الاستاذ فائز الخوري** على كل وزارة .. فقد انكر ان يكون حاول ذلك انكارا باتا .. كما انكرها **الرئيس الجليل السيد شكري القوتلي** ، فقد نشرت جريدة النصر الدمشقية في عددها المرقم ٤٨٢٩ المؤرخ في ٧ آذار ١٩٦١ بعنوان ((**فخامة المواطن العربي الاول يقول : ((الذي بيده القلم لا يكتب نفسه بين الاشقياء))** .. الخبر التالي :

قام محمد الفرحاني بزيارة المواطن العربي الاول السيد شكري القوتلي وقدم لفخامته مجموعة من الصور التي التقطت له اثناء زياراته المتعددة التي قام بها للعلامة فارس الخوري .

وقد فتح الفرحاني مع الرئيس القوتلي موضوع الجزء الرابع من كتاب (المراحل) الذي اصدره الدكتور عبد الرحمن الكيالي، الوزير الوطني الاسبق ، والذي اظهر فيه عيوب جميع زملائه رجال الرعيل الاول وعدد مثالبهم الا نفسه .. فقد نزه ذاته من كل عيب ومثلبة .. فقال الرئيس القوتلي مبتسما : « الذي بيده القلم لا يكتب نفسه بين الاشقياء » ومما يجدر بالاشارة اليه ان الرئيس القوتلي قد ناله من مطاعن الدكتور الكيالي الشيء الكثير .

وسأل الفرحاني الرئيس القوتلي عن صحة ما زعمه الدكتور الكيالي



من اليمين الى اليسار : فارس الخوري ، الاستاذ عصام عبد الوهاب الانكليزي ، الرئيس الجليل شكري القوتلي ، الدكتور سهيل فارس الخوري ، محمد الفرحاني ، الرئيس الجليل حسن الحكيم .

**

في الصفحة ٤٦٦ من مراحله الاخيرة من ان الرئيس الاول عهد اليه بتأليف الوزارة مرتين وكان يحول دون ذلك حرص الاستاذ فارس الخوري على ادخال اخيه الاستاذ فائز الخوري في كل وزارة مما جعله يفضل الابتعاد على القبول فانكر الرئيس القوتلي هذا الزعم انكارا باتا وقال بأنه لم يسبق للدكتور عبد الرحمن الكيالي ان كلف بتأليف الوزارة لا في العهد الوطني الاول الذي كان يرأس الجمهورية السورية فيه المرحوم هاشم الاتاسي ولا في العهد الثاني الذي رأسه السيد القوتلي .

فارس الخوري يهاجم الكيالي

قلت ان الاستاذ فارس الخوري لم يحاول الاعتراض على ما كتبه عنه الدكتور الكيالي أو انكار شيء مما وصفه به وأنني شعرت مع ذلك بأن في فيه كلاما ابتلعه على مضض .. فما زلت به حتى تمكنت من استخراجه ، حينما قال لي بصوت متقطع بسبب وطأة المرض :

الكيالي مدعي .. ويريد أن يظهر في كل جهة .. قام في هيئة الامم يريد أن يتكلم بالانكليزية ففضحنا وفضح نفسه لانه وحل .. أعني غاص بالوحل وما عاد يعرف كيف يطلع من الوحلة .. التراجمة ما عاد يعرفوا شو يترجموا .. كان ذلك سنة ١٩٤٨ عندما راح معانا **الامير عادل أرسلان**



فارس الخوري رئيس مجلس الامن الدولي يراجع بعض الاوراق امامه وقد انحنى نحوه السيد احمد العادلي ، ووراءه الدكتور عبداللطيف سكر ووراء كتفه الايمن السيد نجم الدين الرفاعي الذي اقر لي بصحة ما رواه عن الدكتور الكيالي ، وعن يسار الرئيس الخوري ، الامين العام للمنظمة الدولية المستر تريغفي‌لي .

في باريس .. لما جئت في اليوم التالي .. جاءني الرئيس المستر ايفت الاسترالي .. حكى لي وقال لي شو هاد اللي بعثتلنا ياه ينوب عنك .. فقلت له : مو انا اللي بعثته .. فقال : هو الذي قال لنا .. وصار يخبص بالحكي كيفما كان .. ما بيعرف انكليزي وصرت انا اصحح له بعض العبارات والكلمات ..

ووجه فارس الخوري خطابه الي قائلا :

اذا رايت **نجم الدين الرفاعي** فاساله كيف ورطنا عبد الرحمن الكيالي في تلك الايام ..

واستطرد فارس الخوري يقول لي :

لا صحة لقول الدكتور كيالي انه كلف بتاليف الوزارة مرتين . وانا لم

اعمل لفرض اخي على أية وزارة ، وانه ، لو كلف بتأليف الوزارة لجاء الى فائز يترجاه رجاء ان يقبل الاشتراك معه لان فائزا كان قوة يحسب حسابها وترجى لتقوية الوزارات .

وسألت فارس الخوري عن مدى نجاح الدكتور كيالي في اعماله الوزارية فقال :

لم يكن يستحق لقب ناجح في الاعمال الوزارية وليس في اعماله فشل صريح ولكنه كان عاديا .

قلت له : اذن .. كيف كان مدبر حالو ؟!

قال : المثل يقول .. **خذ المأمورية واتجه للاعوان !!**

مناقشة لبعض ما ياخذه البعض على فارس الخوري

وما دمنا في الحديث عما يأخذه رفاق فارس الخوري عليه وما يوجهونه اليه من نقد فلا بد لي أن اشير الى ما كتبه الاستاذ حسن عبد العال في جريدة (الحياة) البيروتية الكبرى اثر وفاة فارس الخوري عن انه لم ينج من نقد الناقدين حيث يقول الكاتب :

« ... فقد اخذ عليه بعضهم ثلاثة مواقف بالنسبة الى الوضع العام في سورية .

قيل انه اخطأ في وصف المعاهدة (الفرنسية ـ السورية) بأنها (معجزة القرن العشرين) ولكن الذين اخذوا عليه هذا المأخذ لم يتصلوا بروح ذلك الزمان ، ولم يعلموا كنه الاستعمار في ذلك الوقت وحسبوا ان الاستقلال كان هينا لينا كما هو اليوم بعد ان بدا الاستعمار يهد خيامه حتى في أفريقيا ويهجرها ..

وقيل انه اخطأ في الموقف الثاني ، فعندما عاد الوفد الى سورية حاملا في جعبته المعاهدة العتيدة ، وعندما استولت الكتلة الوطنية على الحكم واراد بعض رجالها ان يحاسبوا أعوان فرنسا وانصارها على ما فعلوا، وقف لهم فارس الخوري بالجملة المشهورة « الاسلام يجب ما قبله » وبهذه الجملة منع الاذى عن كثيرين كانوا سواة وكانوا ضررا استشرى وامتد الى ما بعد الحياة الاستقلالية وكان منهم اذى مقيم ..

ولسنا الان في حاجة الى مناقشة هذا القول ، ويكفينا ان تكون هذه الوقفة هي التي تظهر الناحية الانسانية والناحية الخلقية في نفس الفقيد الغالي ، ومع ذلك فانه دافع عن موقفه هذا لما أن عاتبه بعضهم على هذا الموقف وقيل له : (لقد انقذت الكثيرين من الاشرار) قال : (انني اردت الا يحق عليكم ما جاء في الحديث الشريف : دب اليكم داء الامم . البغضاء . والحالقة ، والتظالم) والحالقة هي قطيعة الرحم .

والموقف الثالث .. عندما قام حسني الزعيم بانقلابه ، وكان انقلابه بداية السلسلة في العالم العربي ، فقد طلب منه حسني الزعيم ان يقول كلمته في دعوة المجلس النيابي لينال منه الثقة حتى يكون عمله دستوريا ، فأجابه بجملته الشهيرة : **(الانقلاب بداية جديدة لدستور جديد) !!**

وكان لهذه الفتوى رنين قوي ، وما زال بعض رجال السياسة في سورية ياخذون عليه هذه الفتوى ويعتبرونها مطعنا ، والواقع ان امر الدفاع عن هذا المذهب ما زال مفتوحا ، ومـا زالت هذه الفتوى عالقة بمقاصد الفقيد العظيم ، ولعل (هنالك) من يضع النقاط على الحروف ويفسر للتاريخ ما كان سببا لهذه الفتوى !! » ..

*

لقد كفاني كاتب المقال من مناقشة المأخذين الاول والثاني ، ولكن لي تعقيبا لا بد منه وهو ان فارس الخوري لم يكن الوحيد الذي وصف معاهدة عام ١٩٣٦ بأنها معجزة القرن العشرين ، بل ان **جميل مردم بك** وصفها بقوله: « انها عروسة الشرق » .. **وسعد الله الجابري** قال : « انه لم يبق على فرنسا الا ان تعطينا مرسيليا » ومن المؤكد ان هؤلاء لم يكونوا على شيء من الغفلة والبلاهة وقصر النظر وقد راينا كيف استكثرت علينا فرنسا حتى هذه المعاهدة الهزيلة والحقت بها من الذيول والاتفاقات ما افقدها كل روح وجوهر قد يكونان فيها وحتى بعد كل ذلك .. نراها ارتدت .. وانقلبت على عقبيها عام ١٩٣٩ .. كدولة استعمارية عريقة شديدة الحرص جدا على ما بيديها دون أي ادراك من قبلها للتطورات التي تحدث في القرن العشرين وقد رأينا ما فعلته فيما بعد في تونس ومراكش.وانها لم تمنحهما ذلك القدر الضئيل من الاستقلال الا كخطة من قبلها للتفرغ للجزائر التي كانت قد اشتعلت فيها ثورة لاهبة لا قبل لها بها ولا سبيل لدرء خطرها عن فرنسا ذاتها لو انها ظلت منتشرة في الاقطار الاسلامية الثلاثة المبتلاة باستعمارها (المغرب ، الجزائر ، تونس) وكانت تنوي ــ اذا ما استتب لها الامر في

الجزائر ــ أن تعود وتبسط سيطرتها من جديد على المغرب وتونس كما تنبأ في حينها معظم المراقبين والمعلقين .. لهذا جاز لي ان اقول ان الذين يأخذون على فارس الخوري هذا المأخذ لم يتعمقوا في معرفة حقيقة الاستعمار الفرنسي وشدة وطأته على كل بلد يبتلى بحكمه ..

على ان فارس الخوري كثيرا ما حدثني انه اضطر اضطرارا لاطلاق هذه الاوصاف على معاهدة ١٩٣٦ لتهدئة الشعب وارضائه وابعاد الصدمة عن نفسه وذلك ريثما يتحقق لنا كياننا الدولي ــ بدخول عصبة الامم كما كان مقررا فيما لو صدقت المعاهدة ــ وبعدها ، كان على السوريين ان يوالوا الكفاح والنضال الى ان يتخلصوا من كل اثر النفوذ الاجنبي في ديارهم ، كما اكد لي فارس الخوري ان اعلانه الحرب على المانيا واليابان لم يكن القصد منه الا المحافظة على مظهر كوننا دولة مستقلة لان الدخول في الحرب والصلح انما هو مظهر صريح من مظاهر الاستقلال لا بد من حصاد ثمراته فيما بعد ..

وروى لي طرفة ، عن موقف الفرنسيين من معاهدة عام ١٩٣٦ قال :

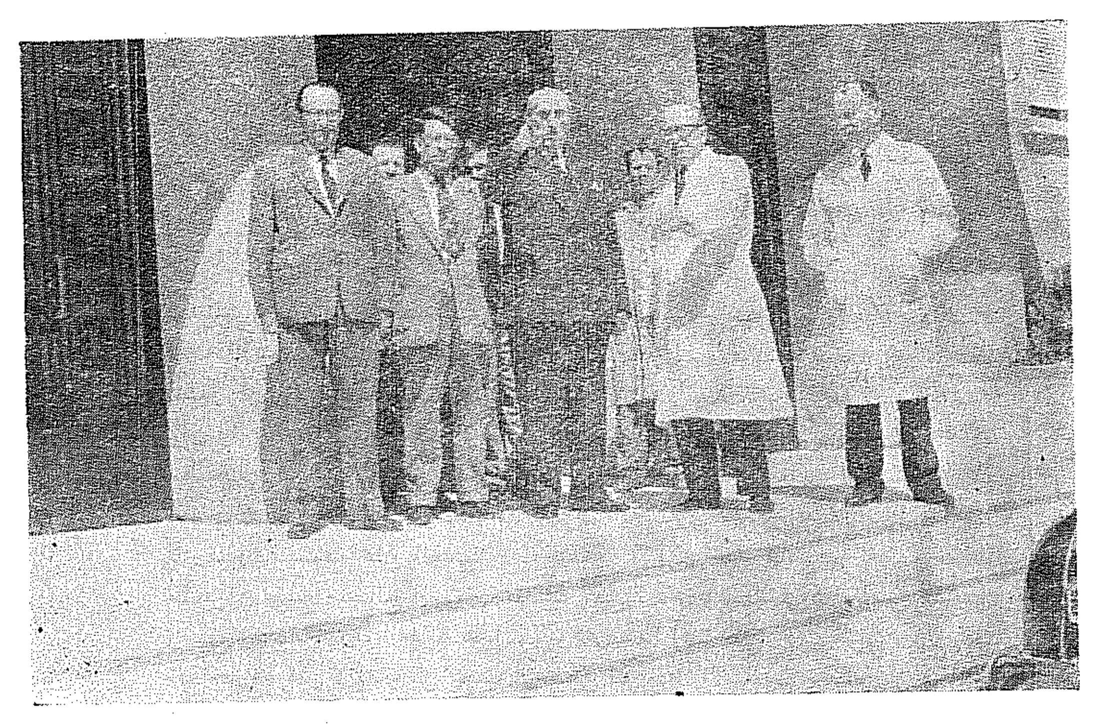
« اراد جحا ان يبيع حماره وسلمه للدلال الذي راح يدور به في سوق المزاد وهو يذكر صفاته وخصاله ومزاياه التي تغري الناس بشرائه فما كان من جحا الا ان راح يزاود على حماره ... الى ان رسا المزاد عليه ... فاشتراه وعاد به الى بيته » .

واضاف فارس الخوري يقول لي :

وهكذا كان حالنا مع الفرنسيين عام ١٩٣٦ .. لقد اعطونا معاهدة مبتورة عرجاء مشوهة لم يكن لنا بد من قبولها كخطوة اولى نحو هدف تحرير البلاد والتمكين لسيادتها على نفسها فرحنا نمتدحها ونثني عليها ونغري الناس بالقبول بها فاذا بالفرنسيين يصدقون « الدلال » ويستردونها بعد اقل من ثلاث سنوات من منحهم اياها !!!

بقي لي مناقشة ما وصف بـ (المأخذ الثالث) :

لقد سألت فارس الخوري في ذلك فأجابني ان الانقلاب كان قد وقع دون ان يكلف القائمون به انفسهم عناء استشارته او اخذ رأيه فأصبحنا بذلك امام امر واقع .. اذ لم يقم حسني الزعيم ورفاقه به الا وقد وضعوا دماءهم على اكفهم وصمموا على المقاومة المسلحة بعناد ضد كل من يعترض طريقهم فكان لا بد من معالجة هذه (الحماقة) بالتعقل والتروي والحكمة ، لانقاذ البلاد من خطرين كبيرين كانا يتهددانها اذا ما وقفت موقفا سلبيا من ذلك الانقلاب .. الاول ، خطر المؤامرات الاجنبية التي كان يمكن ان تمد



الرئيس الجليل السيد شكري القوتلي الذي وقع انقلاب حسني الزعيم ضد عهده الاول، يتحدث الى الدكتور امين سمادة الواقف عن يساره ، وبالقرب منهما الدكتور نصوح الرابط، وعن يمينه ، محمد الفرحاني مؤلف هذا الاكتاب والاستاذ فؤاد الحلبي الذي عرف عنـــه بانه من انزه واقدر رجالات الادارة في سورية .

اصابعها الى صفوفنا فتمزقنا وتبعثرنا ولم نكن قد تخلصنا من جور الاحتلال وبغيه الا حديثا .. والثاني ، هو خطر حرب اهلية كان يمكن ان تنشب بـين الموالين للانقلاب وبين المعارضين له اذا ما لم يستتب الامر للانقلابيين بالسرعة الممكنة .. ولتقدير ذلك يجب ان نرجع الى الاحوال التي كانت سائدة فـي ذلك الحين .. كان مجلس النواب منقسما على نفسه .. كان هنالك مـن النواب من يتهم المجلس النيابي صراحة وعلى رؤوس الملأ والاشهاد بالتزويـر وعدم تمثيل ارادة الشعب ومن وراء هؤلاء النواب عدد غير قليل من الفئـات والمواطنين .. كما كان هنالك عدد غير قليل من المواطنين يحملون الحكومـة مسؤولية الهزيمة في فلسطين **وهؤلاء قاوموا اشد المقاومة مشروع تعديـل الدستور الذي ضمن الرئاسة من جديد للاخ شكري القوتلي ..** وكان هنالك

من الاحزاب الكبرى والفئات الممثلة في مجلس النواب من تجاوب مع الانقلاب وسير المظاهرات التأييدية الضخمة من اجله في معظم المدن السورية .. فماذا كان بوسعي ان افعل الا ان احاول رأب الصدع وان اسعى لجمع كلمة الشعب حول الاهداف العليا (التي تعهد حسني الزعيم بالسير على طريقها) بصرف النظر عن الاشخاص ..

واستطرد الاستاذ فارس الخوري يروي لي :

لقد زارني حسني الزعيم صبيحة يوم الانقلاب ووجهت اليه لوما شديدا وتعنيفا وتقريعا للذي فعل .. ولكنه راح يشرح لي المبررات التي دعته للانتقاض على السلطة ومنها ما اسماه (فساد اداة الحكم) واهمال المسؤولين لمطالب الجيش التي يعتقد بأنها مطالب جديرة بالعناية والاهتمام ، وان واحدا من الرؤساء – ويعني السيد خالد العظم رئيس الوزراء – كان يبقيه في غرفة الانتظار وقتا طويلا دون ان يكترث لوجوده او يبدي اهتماما بما جاءه به من مطالب ومهام .. ويزعم انه كان لا بد له من ان يفعل ما فعل لا رغبة بالتسلط على الحكم وانما لتقويم الاعوجاج واقامة حكومة نزيهة متجردة تضع مصالح الشعب نصب اعينها .. ويؤكد لي ان ليس هنالك اية اصبع اجنبية وراء انقلابه هذا .. وكان هذا اهم شيء في نظرنا .. وعلى اية حال ، كان لا بد ، بل يجب ان يبقى اثر هذا الانقلاب محصورا في المحيط الداخلي البحت .. اعني ، كان يجب أن يبقى الامر شأنا من شؤوننا الداخلية وكان يمكن ان يمد الاجنبي اصابعه لو لم يستتب الامر للانقلاب .. فقد كان نيلنا لاستقلالنا ، حديثا ، ولم نكن بعد في حالة نستطيع معها رد كيد الطامعين بغير اتحادنا والفتنا .

واضاف فارس الخوري يروي لي ان وزراء الدول المفوضين قد زاروه وقالوا له انهم تلقوا تعليمات من حكوماتهم باستشارته بـ (الوضع) الذي نتج عن انقلاب حسني الزعيم لكي يعلموا اذا كانوا سيعترفون بالوضع الجديد ام لا .. فأفهمهم – أي فارس الخوري – بأن ليس لهم ان يعلموا كيف حصل الحادث وليس لهم ان يبحثوا اذا كانت الحكومة شرعية ودستورية او ليست كذلك .. فالحكومة قائمة ومحترمة وهذا هو كل شيء يجب ان يعلموه .. وقال لي فارس الخوري : « لقد كنت حريصا في جوابي على ان يبقى الوضع مصونا من الوجهة الخارجية » .

وختم فارس الخوري حديثه لي بقوله :

لقد كانت مصلحة سورية تقضي ان ينتهي الانقلاب بسلام كما بدأ

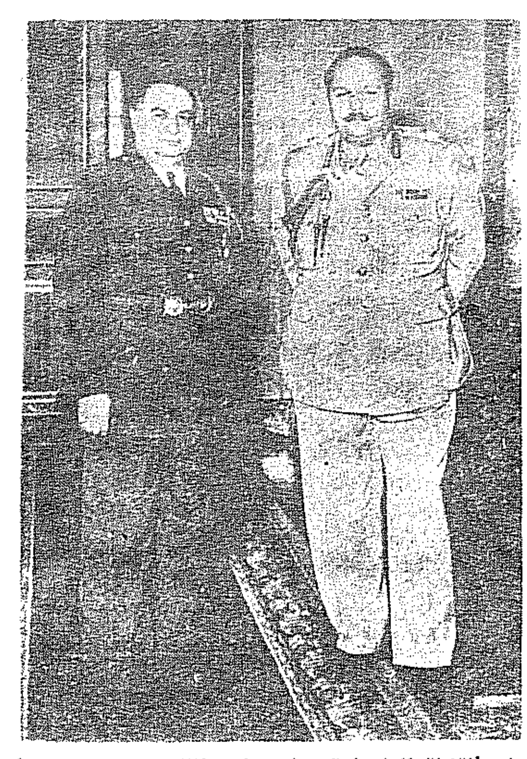
بسلام .. وان يتحمل حسني الزعيم وحده تبعات انقلابه حتى النهاية .. لقد كنا في حالة انقلاب .. والانقلابات لا يمكن ان تكون دستورية .. لم يكن هناك مناص من تعطيل الحياة الدستورية موقتا فاذا نجح الانقلاب صار دستوريا .. ثم ان الفقه الدستوري قرر ان كل مظلمة يسكت عنها الشعب هي حق وشرعة .. وهذا مبدأ قررتــه جمهورية افلاطون واعلنه العلامة غوستاف لوبون .

*

هذا ما قاله لي فارس الخوري .. وهذا ما كان يجيب به كل سائليه ولكنني شخصيا لا استطيع ان آخذ هذه الاجوبة (وانا انما اكتب للتاريخ) على علاتها ...

انني اعلم ان هنالك موجدات وضغائن يحملها فارس الخوري في قلبه حيال اخوان نضاله ورفاق جهاده بسبب اساءات يتراءى له انها بدرت منهم ضده .. خلال المهد الوطني الثاني على الرغم من ان الظواهر كانت تدل على عكس ذلك .. **ففارس الخوري لا ينسى ان الرئيس شكري القوتلي حاول اقصاءه عن البرلمان عام ١٩٤٣ بدعمه لترشيح الفس شاكر الدبس** واحتضانه اياه وحينما عوتب في ذلك قال السيد القوتلي ان اهل دمشق هم الذين لا يريدون فارس الخوري ولا يمكنني ان افرضه عليهم فرضا ولكن نتيجة الانتخابات اسفرت عن هزيمة مرشحه ونجاح فارس الخوري وفي هذا قال لي الرئيس شكري القوتلي ذات يوم انه بذل الجهد الجهيد وسعى السعي الحثيث لانجاح فارس الخوري في انتخابات ذلك العام وانه اصر على ناخبي حي الميدان مثلا حينما علم انهم ينتخبون قائمته بدون فارس الخوري ان يضعوا اسم الخوري قبل اسمه .. ولكن فارس الخوري واهل بيته لا يسلمون بهذا ، بل يعتقدون ان فارس الخوري قد نجح بالنيابة عام ١٩٤٣ رغم ارادة الزعيم شكري القوتلي .

ثم هنالك وزارة فارس الخوري الثالثة التي لم تعش اكثر من خمسة اسابيع وقيل في اسباب قصر عمرها هذا ان رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي هو الذي كان يضع العصي في عجلاتها ويبث العراقيل في طريقها منها انه اوعز الى الوزيرين لطفي الحفار وصبري العسلي بالاستقالة من منصبيهما بعد حصول الوزارة على الثقة النيابية ثم مرض الرئيس فارس الخوري فأوفد اليه الرئيس القوتلي طبيبه الخاص الاستاذ الدكتور حسني سبح لينصحه بالاخلاد الى الراحة والسكينة والهدوء (ولم يكن من عادة



صورة تاريخية جمعت بـين الملك فاروق والزعيم حسني الزعيم فـي قصر عابدين بالقاهرة في شهر نيسان ١٩٤٩ . في تلك المقابلة التاريخيـة التي غيرت مجرى الاحداث في المنطقة وقضت على احلام الملك عبد الله بـن الحسين الذي كان يسعى لاقامـة اتحاد اردني سوري تحت اسم سورية الكبرى وكان حسني الزعيم من ابرز اعوانه في هذا السبيل اذ كان متفاهم معه (بواسطة الثائر المعروف المغفور له رمضان باشا الشلاش الذي كنت كاتما لاسراره) مذ كان قائـدا للواء الثالث للجيش السوري فـي الفرات والجزيرة (دير الزور) عـام ١٩٤٧ ويعلم المتتبعون ان الملك عبد الله كان من اسرع رجالات العرب بتهنئة الزعيم والاعتراف بانقلابه ، وظننا يومئذ ان مشروع سورية الكبرى قد اضحى قاب قوسين او ادنى من التحقيق ولكـن حسني الزعيم انقلب على عقبيه اثر هذه المقابلة التاريخية وراح يهاجم الملك عبد الله ويضطهد اعوانه ومؤيديه وكان يعرفهم جميعا

**

الدكتور سبح ان يعود الاستاذ الخوري أو يعالجه) وبديهي أن يفسر الاستاذ الخوري (نصيحة) الاستاذ سبح هذه بأنها رغبة تجيش فـي نفس الرئيس القوتلي باقصائه عن الحياة السياسية بصورة نهائية .. والجدير بالاشارة أن شكري القوتلي لم يكن مرتاحا لوجود ميخائيل ليان وزيرا للخارجية فـي الوزارة المذكـورة .

ثم هنالك ترشيح السيد لطفي الحفار لرئاسة المجلس النيابي بدعـم وتأييد علنيين من القصر الجمهوري في وقت كان فيه فارس الخوري ، يعتلي ذروة انتصاراته في الاوساط الدولية ، الا ان فارس الخوري كان هو الفائز وكان فوزه مفاجأة لجميع (الموالين) يومذاك .

ثم .. تزوير الانتخابات عام ١٩٤٧ بقصد ايجاد اكثرية نيابية تعمـل

لتعديل الدستور بغية تجديد الرئاسة للسيد شكري القوتلي ، حيث تم ذلك فعلا في عام ١٩٤٨ . وهذا امر لم يكن فارس الخوري راضيا عنه ولا يسلم بسلامة نتائجه وقد جرى ذلك كله في اثناء غيبته في العالم الجديد .

هذه كلها اشياء ، اعتقد ان لها بعض التأثير في نفسه ، بحيث كيفت موقفه من الانقلاب الزعيمي وتأييده له ، ولعلني اوضحت بذكرها بعض النقاط التي ارادها الاستاذ عبد العال .

وفارس الخوري بشر قبل وبعد كل شيء .. وعلى الرغم من تأييده الظاهري لانقلاب الزعيم حسني الزعيم اقول ، انه كان يؤمن في قرارة نفسه بعدم امكانية دوام وضع مفروض بطريقة التزوير والتحايل .. وفي الوقت نفسه كان يخشى على البلاد من امكانية حدوث تدخل اجنبي في شؤونها وهي ما زالت حديثة العهد بالحرية والاستقلال بقدر ما كان يخشى عليها من عواقب تدخل العسكريين في السياسة وترديهم في حمأتها ويرى في الامر الثاني خطرا لا يقل في هوله عن الامر الاول .. ولهذا ظل طيلة حياته .. ينصح ، ويوجه ، وينذر ، ويحذر .

موقف فارس الخوري غداة ثورة ٢٨ ايلول ١٩٦١ :

وهنالك مأخذ رابع ـ اذا صح لنا تسميته بالمأخذ ـ يأخذه بعض المواطنين على فارس الخوري .. والبعض الاخر يأخذه علي انا شخصيا بدعوى انني كنت الناطق باسمه .. ويتعلق هذا المأخذ فيما اذيع عن لسان فارس الخوري غداة ثورة ٢٨ ايلول ١٩٦١ من تأييد لما حدث ، ونقد شديد للرئيس جمال عبد الناصر .

الواقع انه كان بودي لو تجاوزت هذا الموضوع لانني سأصدر في وقت قريب ان شاء الله كتابا بعنوان (فارس الخوري في مجالسه الخاصة) سيحتوي بين ثناياه فصلا خاصا عن الوحدة السورية المصرية ورأي الاستاذ فارس الخوري بطريقة قيامها وجريان الاحكام فيها والاسباب الحقيقية لانهيارها والنصائح التي كان يوجهها رحمه الله الى المسؤولين في ايامها .. ولكن بعض الاصحاب ممن اجل واحترم ، الحوا علي في ان اوضح ملابسات هذه النقطة .. ولا اجد الان من جواب على الحاحهم هذا سوى اثبات ما نشرته جريدة الحياة البيروتية في ٢٨ ايلول ١٩٦٣ عن لساني حول هذا الموضوع بالذات ، حيث قالت بعنوان : « ذكريات تروى عن موقف فارس

الخوري غداة ٢٨ ايلول ، قل لرجال الثورة ان الوحدة ملك للامة العربية كلها » ما نصه حرفيا :

اوشك الكاتب السوري الاستاذ محمد الفرحاني على الانتهاء من وضع كتاب بعنوان : « فارس الخوري وايام لا تنسى » وننشر فيما يلي بعض ما ورد في فصل « فارس الخوري والوحدة » لمناسبة ٢٨ ايلول ، وفيه يفصل الاستاذ الفرحاني حقيقة ما قاله المغفور له فارس الخوري غداة حركة ٢٨ ايلول

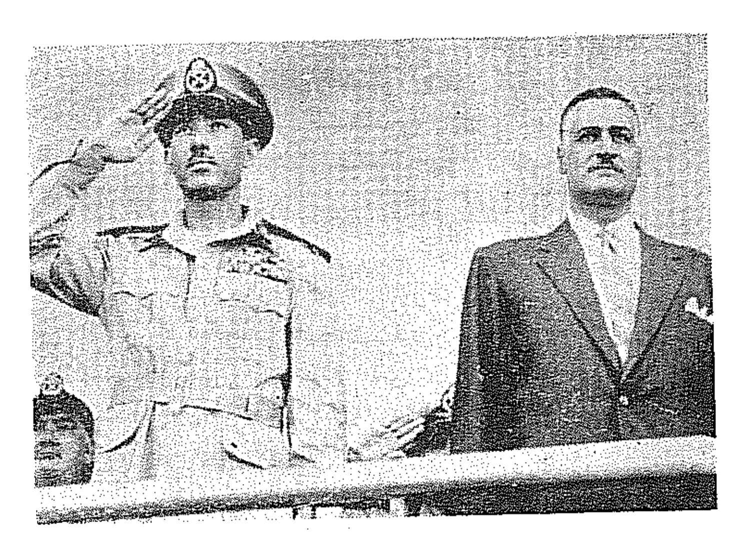
والمعروف عن الاستاذ الفرحاني انه كان يلازم المغفور له العلامة الخوري خلال السنوات الاخيرة من حياته ويدون مذكراته وآراءه وافكاره ، قال :

. . . اما لماذا فشلت الوحدة المصرية السورية فلان مصر برئيسها ومستشاريه الذين يثق بهم ويطمئن اليهم واعوانه الذين بثهم في كل مكان ، لم يكونوا على مستوى هذه الوحدة او على شيء من الوعي القومي والادراك الصحيح لمشاكل البلدين بما يضمن لها الديمومة والبقاء !..

اما ما قاله فارس الخوري غداة ثورة ٢٨ ايلول (سبتمبر) فهو غير ما اذيع عن لسانه في الاذاعات والصحف ، وهذا سر لعلي اذيعه اول مرة ..

لقد نسب اليه تصريح غريب فيه هجوم عنيف على حكام القاهرة وثناء طيب على ثورة ٢٨ ايلول ونتائجها وانه اراد مرة ان يرد على الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان يخطب من شرفة قصر الضيافة القريب من مستشفى السادات الذي كان فارس الخوري ينام في احد اجنحته ولكن رقيبا مصريا من (المخابرات) كان الفارس يراه ولا يعلم سببا لوجوده بالقرب منه منعه من الرد — وهذا امر لا صحة له اطلاقا ، فطوال عهد الوحدة وبمختلف الظروف والاحوال لم نلمس اية رقابة فرضت على فارس الخوري ! — الى اخر ما هنالك من اشياء بعضها صحيح وبعضها الاخر لم يفكر فيه فارس الخوري ابدا .. **ولقد سمعت — شخصيا — هذا التصريح في الاذاعات العربية والعالمية وانا من اقرب المقربين اليه ، كما سمعه كل الناس وقرأته كما قرأوه** وذهبت اليه اسأله عن صحة نسبته اليه فدهش دهشا عظيما وقال لي انه لم يقل شيئا من هذا ابدا .

ولست في وضع يسمح لي بشرح الملابسات الحقيقية والتفاصيل التي رافقت اذاعة هذا التصريح ، الا ان ذلك لا يمنعني من تقديم رأيه الحقيقي في الموضوع ، بأن اسرد ما دار بيني وبينه غداة الثورة .



السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، وعن يمينه المشـ
عبد الحكيم عامر نائب الرئيس ووزير الحربية وكان هذا بدمشق عند نشوب الثورة .

عتب الخوري على رجال الثورة لانهم لم يستشيروه

لقد قال انه يأسف لان المسؤولين المصريين لم يأخذوا بنصائحه التي قدمها لهم ، وفي الوقت نفسه يعتب على قادة ثورة ٢٨ ايلول لتسرعهم بفصم عرى الوحدة !

وقال لي عندما انبأته بتفاصيل حركة الثورة (في الثلاثين من ايلول ١٩٦١) **انه يعتب على رجال الثورة لقيامهم بحركتهم دون ان يستشيروه** ، فدهشت وقلت له : ولكنهم يعلمون انك مريض !! فقال لي : « **لئن كان جسمي مريضا فعقلي ليس بالمريض** » فقلت : « لم اقصد هذا ولكنني قصدت انهم لم يشاءوا ازعاجك » فقال لي : « **ان حدثا تاريخيا خطيرا كهذا يستحق ان ازعج نفسي بالتفكير فيه والتبصر بنتائجه** » فقلت له « ولكنهم استشاروا ابنك سهيلا نيابة عنك .. افلا يكفي هذا ؟!! » اريد بذلك تخفيف الوقع على نفسه لان ضباط الثورة لم يستشيروا في الحقيقة احدا من المدنيين لا سهيل الخوري ولا غير سهيل الخوري ، وحتى حيدر الكزبري الذي كان يتردد احيانا لزيارة فارس الخوري لم نكن نتوقع في يوم من الايام ان يفكر ولو

مجرد تفكير بالقيام بانقلاب .. فأجابني فارس الخوري : « كلا .. لا يكفي !!» وطلب الي ان اتوجه فورا لمقابلة **الدكتور مأمون الكزبري** رئيس الحكومة الانتقالية ، وادعوه لزيارته في المستشفى ليبدي له رأيه .

الوحدة ليست ملكا لجمال عبد الناصر ولا لكم :

وبديهي انني لم الب طلب هذا (وقد علم الدكتور الكزبري بهذه التفاصيل فيما بعد فعتب علي لكوني لم آته يومذاك) الا انني جئت فارس الخوري في اليوم التالي ازعم له انني زرت الدكتور مأمون الكزبري فوجدت عنده من الخلق ما لا يحصى لهم عدد وجميعهم جاءوا ليهنئوه وليقدموا الولاء والتأييد لحكومته ولهذا فانه ابدى اسفه واعتذر لي عن عدم تمكنه من زيارتك وطلب الي ان اوافيه برأيك النصيح فهل لك ان تمليه علي ؟!

فاقتنع رحمه الله وقال لي :

اذهب الى الدكتور مأمون الكزبري والى الضباط قادة الثورة وقل لهم عن لساني بأن (الوحدة) ليست ملكا لجمال عبد الناصر ولا هي ملك لكم حتى يسهل عليكم فصمها ولكنها ملك للامة العربية كلها .. ان رفع العلم السوري القديم ، وشعار الجمهورية السورية ، واذاعة نشيدها الوطني ، لا يعني الا الانفصال ، وهذا الانفصال لا يعني الا ان نكسة قد حلت بـ (الوحدة العربية) ستؤخر قيامها خمسين سنة على الاقل ، وكان يجب المحافظة على شعار الجمهورية العربية المتحدة ونشيدها الوطني ورفع علمها وتأليف مجلس تنفيذي موقت للاقليم الشمالي يمارس الاعمال العادية المستعجلة ويطالب الرئيس جمال عبد الناصر بتقديم الضمانات الكافية التي تكفل حكم الاقليم السوري بطريقة ديموقراطية تضمن حريات ابنائه ، وتحقق نوعا من الازدهار الداخلي له بشكل يجعله حرا بالتعامل مع جيرانه على نحو يساعده على اطلاق امكاناته الحبيسة التي يتيحها له وضعه الجغرافي ورغباته التي فطر عليها افراده ...

طريق الوحدة شاق وطويل ومفروش بالاشواك

فقلت له : ولكن ، لو عمل ضباط ثورتنا بهذا الراي لاعتبرهم الرئيس جمال عبد الناصر عصاة متمردين وحق له ان يؤدبهم كجماعة خارجين على طاعته واحدثت لهم متاعب جمة في محاولتهم اقناعه .

فأجابني رحمه الله : **وما المانع في ذلك ؟ ان طريق الوحدة الحقيقية شاق وطويل وهو مفروش بالاشواك وليس بالورود والرياحين ويحتاج الى قدر كبير من الصبر والبذل .. ثم .. عندما يطالب السوريون بحقوقهم**

المشروعة في ظلال الوحدة سيجدون في الرأي العام العربي الكثير من الانصار ولن يستفيد جمال عبد الناصر من عناده شيئا .

فقلت له : ولكن .. لقد حدث ما حدث ..

فنهرني بقوله : انا لا يمكنني ان اوافق على ما حدث !

وكان قد بدا عليه الاجهاد فتركته وانصرفت الى شأني .

اثر فارس الخوري .. في نواحي البلاد الاقتصادية

كان السيد **حقي العظم** رئيسا لدولة دمشق حينما فكر الفرنسيون عام ١٩٢١ في جر مياه عين الفيجة الى دمشق ، وكانوا ينوون اعطاء امتياز هذا المشروع الى شركة فرنسية ، والسبب في نشوء هذه الفكرة ان العاصمة كانت تشرب من نهر بردى وجداوله وبسبب عدم نقاوة مياه هذا النهر كان سكانها يتعرضون للامراض المختلفة في حين ان مياه عين الفيجة نقية عذبة مستساغة وباردة .

كانت دمشق في ايام الرومان وفي ايام العرب تروى من مياه الفيجة بواسطة قناة محفورة في الصخور مارة على سفح الجبل في وادي بردى تمتد من نبع الفيجة الى اعلى نقطة في حي الصالحية وفي مطلع هذا القرن خربت معظم اقسام هذه القناة بفعل الاهمال والاحداث الطبيعية . فانتشرت الامراض والاوبئة . وهنا فكر المرحوم **حسين ناظم باشا والي سورية** يومئذ بجر مياه الفيجة الى دمشق بواسطة قساطل حديدية ووفق هذا الوالي العمراني بمشروعه ، فأسيلت المياه بواسطة القساطل الى المدينة ووزعت على ما يقرب من خمسمائة سبيل في جميع انحاء دمشق وبلغت كيمة المياه النقية المسحوبة في عهده الفي متر مكعب في اليوم .

قلنا ان فكرة جر مياه عين الفيجة الى منازل دمشق قد نشأت في عهد حكومة حقي العظم وقد عرض مستشار البلدية الافرنسي مشروع الامتياز وشروطه على السيد **يحي الصواف رئيس بلدية دمشق** لاجل الموافقة عليه وكانت جميع دوائر الدولة قد وافقت عليه دون اي اعتراض . فاستمهل الرئيس الصواف المستشار ليرفع المشروع الى المجلس البلدي لمناقشته والموافقة عليه فأمهله المستشار يوما واحدا فقط بدعوى ان الامر لا يحتاج الى اكثر من موافقة شكلية ، وهنا استدعى رئيس البلدية مشاوره الحقوقي **فارس الخوري** وطلب اليه ان يدرس المشروع ويوصي بالموافقة عليه . فطلب

فارس الخوري أن تبقى الاوراق المتعلقة بهذا المشروع معه في ذلك اليوم ليتسنى له الاطلاع عليها ولم يجد الرئيس الصواف بأسا في ذلك . .وسهر فارس الخوري الليل بطوله وهو يراجع الشروط ويكتب ملاحظاته واعتراضاته (اذ رآها مضرة بمصلحة الاهلين) على ظهر الاوراق المقدمة قاصدا بذلك تعطيل مشروع اعطاء الامتياز لشركة أجنبية ومقترحا في النهاية تأسيس مشروع وطني تكون فيه المياه ملكا للاهلين فيبداون بتوزيع المياه على خمسة الاف منزل ، ويدفع كل منزل ثلاثين ليرة ذهبية عثمانية على أن تشرف على المشروع هيئة وطنية . ومنهيا دراسته بوجوب رد المشروع الاجنبي .

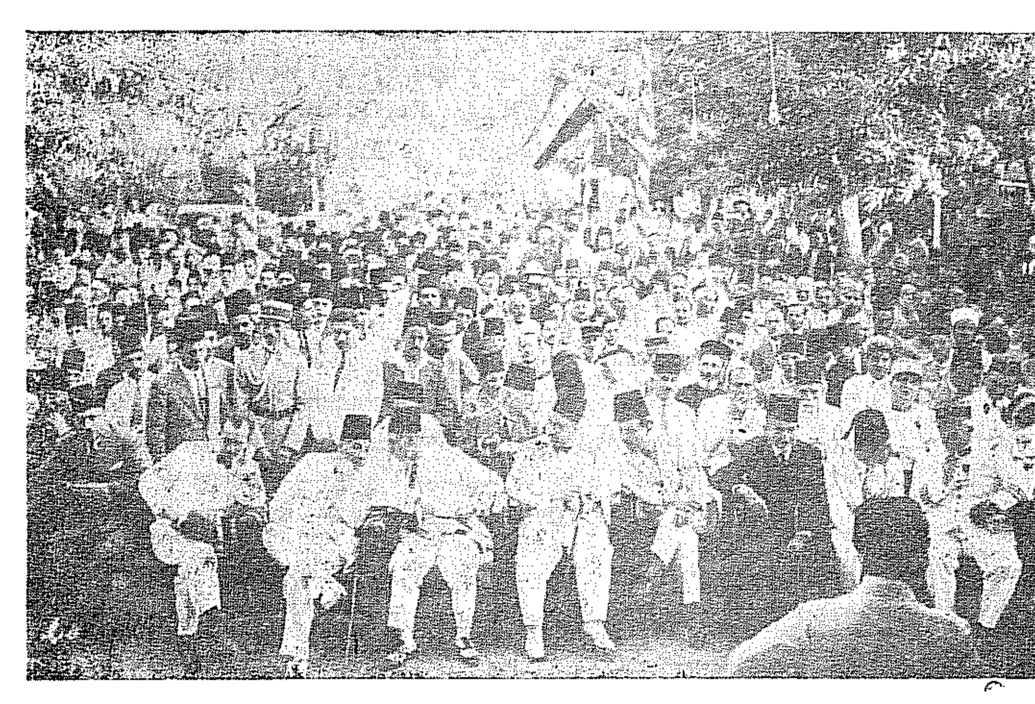
وقبل ظهر اليوم التالي اجتمع المجلس البلدي ليقر المشروع ولكن أعضاءه وفي مقدمتهم المستشار الفرنسي فوجئوا بملاحظات فارس الخوري واعتراضاته . وبما فعل بالاوراق المقدمة من حيث كتابته على ظهرها . . فاخذها المستشار وخرج وهو يتميز غيظا ، بعد اذ اقتنع أعضاء المجلس البلدي بوجهات النظر التي أبداها فارس الخوري .

وبعد مدة اجتمعت لجنة من تجار دمشق واغنيائها وعلى رأسهم **السيد لطفي الحفارنائب رئيس غرفة تجارة دمشق** في ذلك الحين . ورغبت هذه اللجنة في تأسيس شركة تجارية لتوزيع المياه . واستشير الاستاذ فارس الخوري في هذا الموضوع ، وطلب اليه أن يبدي رأيه من الوجهة القانونية وعرض عليه أن يدخل في عداد الاعضاء المؤسسين لقاء تعاونه مع اللجنة المذكورة على تحقيق هذه الفكرة . وبعد أن اطلع على جميع التفاصيل المتعلقة بالمشروع ، قال للمجتمعين :

« ان الفكرة جليلة والغاية سامية جدا . واني لاشكركم كل الشكر على هذه اليقظة وهذا الانتباه في الاقدام على مثل هذه الاعمال الكبيرة والاهتمام بجعل مؤسساتنا العمرانية والاقتصادية وطنية صرفة . غير انه يوجد لدي اقتراح يختلف كل الاختلاف عن الفكرة التي تعملون لاجلها من حيث الشكل والاساوب ويتفق كل الاتفاق في الوصول الى الغاية الجليلة التي ترمون اليها . انكم تريدون تأليف شركة مساهمة وطنية لاخذ امتياز جلب مياه الفيجة الى مدينة دمشق ، تقدم الماء للاهلين في منازلهم لقاء ثمن يدفعونه سنويا عن الكمياتالتي يطلبون الاشتراك بها ثم توزيع الارباح على المساهمين في آخر كل سنة شأن جميع الشركات المساهمة في العالم . **واني لاخشى كثيرا في النتيجة وبالنسبة لاهمية هذا العمل والارباحالطائلة**

التي تدرها شركات المياه في المدن الكبيرة أن ينقلب المشروع أجنبيا بواسطة مشتري أسهمه مهما زادت قيمتها وتضاعفت أرباحها .. أما اقتراحي فهو شعبي محض يحصر الفائدة باهالي مدينة دمشق عامة لا بشركة معينة ويقضي بتمليك الماء لاصحاب الاملاك في المدينة على أن يكون الماء مرتبطا بالملك لا يجوز بيعه ولا تحويله دون تحويل الملك أو بيعه وبذلك يكون ضمان بقاء هذا المشروع وطنيا أهليا ، بدون أن يتطرق اليه أي خطر كان . فاذا كنتم توافقون على هذا الاقتراح ، أرى أن تؤلف لجنة فنية لدرس المشروع درسا دقيقا وتقدير جميع ما يلزمه من النفقات ، ثم يوزع مجموع قيمة تكاليف المشروع على عدد من (الامتار) التي تحتاجها مدينة دمشق بعد درسها فنيا ، وتباع الامتار بالقيمة المقدرة ملكا أبديا لاصحاب الاملاك في مدينة دمشق ، ثم تقوم لجنة دائمية فنية وادارية لمراقبة العمل وادارته وتصليح ما يتخرب من المؤسسات والانابيب يفرض على المشتركين ثم مبيع الامتار للمالكين كل بحسب حاجته بحسب تقد م العمران والبناء » .

وقابل الجميع هذا الاقتراح بالموافقة والتأييد . وكان وقعه على السيد لطفي الحفار – كما روى لي هو نفسه – عظيما . لذلك تبناه واعتنق فكرته بقوة وايمان وراح يشتغل مع أخيه فارس الخوري بوضع نظام المشروع . وتشكلت لجنة الحصول على الامتياز باسم مدينة دمشق كان في مقدمة أعضائها لطفي الحفار **وعارف الحلبوني** كما كان فارس الخوري عضوا في لجنتها التأسيسية وقد قاوم الافرنسيون مسعى هذه اللجنة ولكنها أخيرا نجحت ونال مشروعها الموافقة في شهر شباط ١٩٢٤ وانتهت عمليات جر المياه الى دمشق بعد صعوبات كثيرة ودشن المشروع في ٣ آب ١٩٣٢ باحتفال رائع حضره رئيس الجمهورية السورية **السيد محمد علي العابد** ورجال الحكومة السورية والسلطة الفرنسية . وأصبحت شركة مياه عين الفيجة مفخرة من مفاخر الجهود الوطنية في سورية . **وقد أعجب كبار المهندسين بهذا المشروع الذي ليس له مثيل في العالم من حيث مبدأ تمليك المياه للمنازل وقد ابتكرته عبقرية فارس الخوري** ونسجت على منواله اماكن مختلفة فيما بعد . واذا كان السيد لطفي الحفار يعترف بفضلها – في مذكراته – للاستاذ فارس الخوري ويطالب سكان مدينة دمشق بالاعتراف له – أي للخوري – بهذا الفضل .. وان يقدروه حق قدره لانه انقذهم من انياب الشركات الاجنبية ومن اخطارها بمثل هذا العمل الكبير الذي يتعلق بحياة مدينة دمشق وعمرانها ومستقبلها البعيد الذي سيكون أثره ساريا للاجيال المقبلة . فنحن



رئيس الجمهورية السورية السيد محمد علي العابد يصغي لحديث وزير المالية والزراعة جميل مردم بك وقد ظهر عن يمينهما احد رجال السلطة الافرنسية فالسيد مظهر باشا رسلان وزير المعارف والعدلية وعن يسارهما السيد لطفي الحفار المراقب العام لمياه عين الفيجة فالسيد رياض الصلح فالسيد سليم جنبرت وزير الاشغال العامة فالدكتور نجيب الارمنازي مدير غرفة رئاسة الجمهورية فأحد كبار الضباط ، وذلك في حفلة تدشين مياه الفيجة في حديقة البلدية في الثالث من آب ١٩٣٢ .

نعترف للسيد لطفي الحفار بفضل التنفيذ والاشراف على حسن سير المشروع بأمانة ونزاهة واستقامة وعفة يد جعل من مؤسسة عين الفيجة مثلا رائعا يحتذى ويقتدى به من حيث النظام ودقة العمل ونجاحه وليس فضل المنفذ بأقل من فضل المشرع .. لقد كانت مؤسسة مياه عين الفيجة أول مؤسسة أهلية من نوعها في العالم ، مؤسسة عمومية لا استثمارية ، اشتراكية لا راسمالية .. ولا تزال .

وما دمنا في الحديث عن فضل أصحاب الفضل فلا ننسى أن نذكر بالتقدير ، رئيس مهندسي الاشغال العامة في ذلك الحين السيد **رشدي سلهب** الذي وضع تصميم المشروع .

فقد بلغت تكاليف الاعمال الانشائية مائتين وسبعين الف ليرة ذهبية عثمانية وبلغ طول القناة ثمانية عشر كيلومترا وهي مؤلفة من اربعين نفقا وثلاث قنوات مبنية بالاسمنت المسلح وأربعة جسور يختلف طولها بين خمسة عشر وخمسين مترا و (سيفون) كبير مبني بالاسمنت طوله اربعمائة مترا في قرية وادي دمر (وعمقه اربعون مترا) وعمق الوادي تحت سطح النفق اربعون مترا ..

وتجري أنابيب الماء في المدينة تحت مستوى الارض بخمسة عشر مترا وبذلك تظل الماء محافظة على برودتها في أشد شهور الصيف حرا.

●

كما أن فارس الخوري هو الذي وضع نظام شركة الاسمنت الوطنية المساهمة واعاد الى الناس ثقتهم بالشركات التعاونية او المساهمة بعد ان كانوا فقدوها منذ عهد بعيد على أثر فشل شركة الزجاج في أوائل هذا القرن حيث دفعوا أموالا لم يلبثوا أن خسروها .. وقد قام فارس الخوري ورفاقه بتأسيس الشركة فجعلوا رأس مالها مائة وعشرون الف ليرة ذهبية مقسمة على الفين وأربعمائة سهم ثمن السهم الواحد خمس ليرات ذهبية وقد كان الاقبال على الاكتتاب وشراء الاسهم عظيما حتى ان الاسهم غطيت في مدة شهر واتضح عندما انتهى الاكتتاب أنه جرت اكتتابات بأكثر من عدد الاسهم ، وكان الناس قبلا يتشاءمون ويظنون نجاح المشروع مستحيلا .. فاتضح بعد فترة قصيرة أنه كان فتحا للشركات المساهمة في البلاد وقد نسجت سائر الشركات المساهمة على النظام الذي وضعه فارس الخوري لهذه الشركة وباشرت شركة الاسمنت أعمالها بنجاح وظل فارس الخوري محتفظا برئاسة مجلس ادارتها حتى أواخر عام ١٩٤٤ حين اضطره منصب رئاسة الوزارة الذي تولاه الى الاستقالة من منصبه في الشركة ، كما ساهم بتأسيس ووضع انظمة عدد من الشركات الاخرى المختلفة .

فارس الخوري كما عرفته شخصيا

عرفت **فارس الخوري** على غاية من التواضع والوداعة ، لا يحتقر رأيا ولو جاء من فتى حديث السن ، ولا يأبى محادثة الصغار وملاطفة البسطاء ، يضرب به المثل في الاخلاص وحفظ الوداد وعرفان الجميل ، يعترف بما له وبما عليه ، وكان أبعد الناس عن ذكر شيء تشم منه رائحة المدح لنفسه ولا



فارس الخوري يتصدر مجلسه وهو في تمام صحته وعنفوانه ، وعـــن يمينه ، الرئيس الجليل السيد حسن الحكيم ، وعن يساره محمد الفرحاني

**

يكاد يذكر في أحاديثه أدنى عمل من أعماله في معرض التباهي والتفاخر..

وصدف ذات يوم أن نمي اليه ، خبر وجودي في اجتماع واشادتـي بشخصيته الفذة وبعقله الكبير وعلمه الواسع ووطنيته الصحيحة وعظمته المتكاملة ، وما كاد يراني بعد ذلك حتى فاجأني بقوله **(مادح نفسه يقرؤك السـلام)** ولما رأى علامات التساؤل والاستفسار مرتسمة على وجهـي استطرد ينبئني بما نمي اليه ثم قال لي : (يا ولدي ، انك بالنظر لصلتـك الوثيقة بي وشدة محبتي لك محسوب علينا ، ومديحك ايانا انما هو مديح منك لنفسك ، فأرجوك أن تعدني بالا تمدحني في مجلس تحضره بعد اليوم) فأجبته : (ولكنني لست وحدي الذي مدحتك بل جميع الموجودين كانـوا يمتدحونك ويشيدون بفضلك) فقال : (هذا من فضل ربي ومن حسن ظنهم بي ، اما انت وانت بالذات فلا يجوز لك أن تشترك معهم في ذلك المدح وتلك الاشادة ، والا ، كنت كمن يمدح نفسه) فأقسمت له بأنني سأتحاشى مدحه

في أي مجلس ساحضره ، بعد ذلك اليوم !!

وكان فارس الخوري متين التحقيق ، متأنيا في التقرير ، حافظا للمسائل ، صحيح النقل ، جامعا بين العلوم القديمة والحديثة ، ذاكرا التجارب الماضية ، مطلعا على المكتشفات العصرية ، راويا لدقائقها وتفاصيلها ومزاياها وفوائدها ، وكان مع تبحره في العلوم وشهرته بين الملأ ، واطيء الجانب حريصا على طلب الفوائد ولم يكن يستحقر احدا ولا يستصغر سائلا **ولم أر في حياتي مثله رجلا يحسن الاصغاء** حتى للاشياء السخيفة المملة واذا ما وجد في حديث احد ــ صغيرا كان أم كبيرا ــ بعض الحكمة والفائدة فانه يعزيها الى قائلها .. ولفرط حبه للاصغاء كان اذا حضر مجلسا فيه علماء فانه يجعل من نفسه مستمعا بينهم ومصغيا لما يكون من أقوالهم رغم تفوقه عليهم جميعهم ، وكان قوي الفكرة وواسع العقل ، مملوءا بالمهابة والحشمة ، كاملا بالمروءة ، وكان يكتفي باليسير من الغذاء والملبس والاثاث ولم يعكف في حياته كلها على شيء من الملاذ الدنيوية بل انصرف بكليته الى الامور الجوهرية ، ومعلوم ان الانسان ــ أي انسان ــ اذا عكف على الدرس واجتهد في التحصيل فانه قد يتقن علما من العلوم وربما يشتهر فيه حتى لو لم تكن قوى عقله متفوقة ، ولكنه بالتأكيد ، لا يستطيع اتقان علوم كثيرة الا اذا تفوق في مضاء ذهنه وقوة ذاكرته ووافر اجتهاده كما هو حال علامتنا فارس الخوري الذي لم يكن من انسان يتحدث اليه الا ويتعجب مما يستشهد به من الآيات والحكم والامثال والنوادر والشواهد حتى لكأن صدره قد حوى المعارف كلها ، **والغريب ، انني لم اكن أطلب** منه شاهدا على مسألة من المسائل الا ويهديني حالا الى الكتاب والصفحة وربما السطر الذي فيه شاهدي وكأنه قرأه في تلك الساعة أو انه حفظ لفظه غيبا ،وخلال فترة مرضه ، كنا نرغب بالاتصال تلفونيا ــ أحيانا ــ بأحد أطبائه أو معارفه وأصدقائه أو بعض المشافي والصيدليات والمؤسسات والوزارات ويعيينا البحث عن دليل الهاتف الذي نكون نسينا أين وضعناه ، فنهرع الى فارسنا المريض المتمدد على سريره ونسأله عن الرقم الذي نريد فيلفظه لنا حالا ــ من ذاكرته ــ دون أي تلكؤ ودون أن يخطيء ــ ولو مرة واحدة ــ في ذكر رقم هاتفي طلبناه منه .

واجمالا أستطيع ان أقول عن فارس الخوري وقد عرفته عن كثب انه كان معلما وموجها وناصحا وابا يشجع الاقوياء ويرق للضعفاء ويشفق على البسطاء .

فارس الخوري وقضية فلسطين

ولافسح المجال، لسماحة المفتي الاكبر ورئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين، **السيد محمد أمين الحسيني**، يحدثنا عن فارس الخوري وقضية فلسطين. فقد كتب الي يقول:

يأتي فقيدنا العظيم، المغفور له السيد فارس الخوري، في طليعة من تذكر فلسطين من أقطاب العرب الاحرار، بالاعجاب والتقدير، وفي مقدمة من ترجي اليهم الشكر الوفير، لما أسدوه لقضية فلسطين من خدمات صادقة، وما بذلوه في سبيل الدفاع عنها من جهود مبرورة، ومساع مشكورة ..

ان فارس الخوري، الوطني والعلامة، وقف جهده وعلمه ودماغه النير العامر، بل حياته، على خدمة سورية والامة العربية والدفاع عن سائر قضاياها، ولكن قضية فلسطين، وهي أخطر هذه القضايا وأعظمها شأنا، استأثرت بعنايته اكثر من غيرها، ونالت من جهده وسعيه ما جعلها موضع رعايته الخاصة، واحلها مكانة ممتازة في سويداء قلبه الكبير، وليس بمستغرب أن يكون هذا هو نصيب فلسطين من اهتمام فارس الخوري وحدبه عليها، فقد قدر هذا الرجل البعيد النظر والواسع الاطلاع، منذ البداية، أهمية القضية الفلسطينية، وأدرك ما تنطوي عليه الحركة الصيونية من مطامع خطرة وبرامج شرهة، تتجاوز فلسطين الى الاقطار العربية كلها، ولذلك فانه كان يعتبر دفاعه عن فلسطين دفاعا ايضا عن الامة العربية وديارها في مشرقنا العربي.

ووقف فارس الخوري الى جانب قضية فلسطين وشعبها المكافح منذ فجر الحركة الوطنية الفلسطينية في ١٩١٨ حتى احتسبته الامة العربية عام ١٩٦٢، فعرفه العرب عامة، والفلسطينيون خاصة، فارسا مغوارا يدافع عن قضية فلسطين دفاع الابطال، ومناضلا قوي الشكيمة ضد الاستعمار والصهيونية، ومكافحا حلاحل في سبيل الحق، في مختلف الميادين العربية، والمجالات الدولية، وصوتا مدويا في حلبة الدعاية ومضمار الدبلوماسية.

ان خدمات فارس الخوري لقضية فلسطين ومواقفه الرائعة في الدفاع عنها أكثر من أن تعد، وأجل من أن تنسى وأبلغ من أن يبلى ذكرها، ويحول مجال هذه العجالة دون تفصيلها. ولكن الواجب، والاعتراف بالفضل

والجميل يختم تسجيل بعض ما قام به الفقيد الغالي من الادوار الباهرة ذودا عن فلسطين وردا للغيلة الصهيونية عن البلاد العربية .

اننا نذكر كيف هب فارس الخوري يطالب المجلس التأسيسي السوري خلال اجتماعاته في ١٩٢٨ لوضع دستور لسورية المستقلة ، بأن ينص هذا الدستور على ان فلسطين جزء من سورية ، وكيف جعل قضية فلسطين مادة رئيسية في المباحثات السورية ــ الفرنسية في باريس عام ١٩٣٦ وقد كان تمسك سورية بقضية فلسطين ومصيرها من العوامل الاساسية التي دفعت بالاستعمار الفرنسي ، يؤيده صنوه الاستعمار البريطاني ، الى تقويض المجلس التأسيسي السوري ورفض المطالب السورية في مباحثات باريس .

وفي مؤتمر بلودان العربي الشعبي العام المنعقد عام ١٩٣٧ كان فارس الخوري مجليا في الدفاع عن فلسطين وقضيتها ، كما كان الحركة الدائمة في المؤتمر البرلماني العربي الدولي الذي عقد في القاهرة عام ١٩٣٨ لتأييد قضية فلسطين ، وسطع نجم فارس الخوري عاليا مشعا في انتصاره لقضية فلسطين ودفاعه عنها في (الامم المتحدة) منذ رفعتها اليها بريطانيا في ربيع ١٩٤٧ حتى اقعده المرض عن الاستمرار في تمثيل سورية في الامم المتحدة .

وعندما استفحل الخطر الصهيوني على فلسطين في ١٩٤٧ وتفاقمت المؤامرات الاستعمارية ــ الصهيونية ضدها ، وشعر العرب ودولهم بوجوب مقاومة الغزو الاجنبي بشتى الوسائل ومختلف الاساليب ، تداولت الدول العربية وجامعتها في موضوع الدفاع عن فلسطين ، وتباحثت في اجدى الطرق لانقاذها من الصهيونية ، فكان من رأي فارس الخوري أن يتولى الفلسطينيون انفسهم مهمة الدفاع ، تؤيدهم الدول العربية وتساعدهم بالمال والسلاح والفنيين ، وأن لا تدخل الجيوش العربية النظامية اراضي فلسطين ، وقد كان رأي فارس الخوري منسجما مع وجهة نظر الفلسطينيين وزعمائهم في كيفية الدفاع عن فلسطين . ولما اوصت لجنة الخبراء العسكريين العرب التابعة للجامعة العربية ، في خريف عام ١٩٤٧ ، بأن احسن الوسائل واجداها للدفاع عن فلسطين وانقاذها هي الاعتماد على الفلسطينيين وتزويدهم بالمال والسلاح والخبراء ، وأن لا تدخل الجيوش العربية اراضي فلسطين ، أهاب فارس الخوري بالجامعة العربية ودولها الى التقيد بهذه التوصية ، التي جاءت تؤيد وجهة نظر الفلسطينيين ورأي فارس الخوري . وقد أصيب فارس الخوري بصدمة اليمة عندما رأى الدول العربية تعزف عن الخطة التي اوصت بها لجنة الخبراء العسكريين العرب وتسير على خطة معاكسة

لها بالمرة . ولم يخف فارس الخوري الم من هذه الضربة القاصمة التي اصابت الخطة المثلى لانقاذ فلسطين ، وادلى بعدة تصريحات وبيانات رغم ما كان يشغله من مركز رسمي في الدولة السورية - يشجب فيها السياسة التي ادت الى قلب توصية لجنة الخبراء العسكريين العرب راسا على عقب..

ولما اعلن انشاء (اسرائيل) في ١٥ أيار ١٩٤٨ ودخلت الجيوش العربية النظامية اراضي فلسطين « لانقاذها وتحرير أهلها العرب من الارهاب الصهيوني » وكان فارس الخوري يمثل بلاده في الامم المتحدة ، فقام باضخم الجهود المستطاعة لاحباط الدعايات المفرضة التي كانت تبث ضد العرب ، ولابراز وجهة نظر العرب وشرح العوامل التي حملت دولهم على التدخل المسلح ..

واستطاعت الجيوش العربية ، رغم السياسة الخاطئة التي كانت توجه العمليات العسكرية ... ، تهديد (اسرائيل) بهزيمة منكرة تقتلعها من جذورها . فتدخل مجلس الامن ، حرصا على سلامة الصهيونية ودويلتها الباغية الدخيلة واصدر قرارا بوقف اطلاق النار وعقد هدنة بين الدول العربية و (اسرائيل) . وبينا قامت الولايات المتحدة وبريطانيا بالضغط على الدول العربية للاذعان الى قرار مجلس الامن ، ابرق فارس الخوري الى الدول العربية وجامعتها يحضها على رفض قرار مجلس الامن ، وعلى مواصلة القتال حتى يتم الاجهاز على (اسرائيل) واكد في برقياته بأن **الامم المتحدة ليست في وضع تستطيع معه اتخاذ أية تدابير أو اجراءات ضد العرب اذا هم واصلوا القتال** ، ولكن السلطات العربية المسؤولة رفضت نصيحة فارس الخوري ، واستبعدت توصيته ، فرضخت لمشيئة الانكليز وارادة الامريكيين واوقفت القتال وعقدت الهدنة الاولى مع **(اسرائيل) وفقا لقرار مجلس الامن** ، فأدى ذلك الى النتيجة المؤلمة التي يعرفها العرب ، **ولو عملت الدول العربية برأي فارس الخوري وتوصيته لما كان هناك اليوم دولة (اسرائيل) في فلسطين .**
ونقم فارس الخوري على الدول العربية لرضوخها لقرار مجلس الامن ، فوجه اليها انتقادات قاسية مريرة ، وحملها مسؤولية كل ما ينجم عن هذا الرضوخ .

وكان قلب فارس الخوري قد اثخن بجراحات كثيرة في ذوده عن العرب ودفاعه عن فلسطين ، ولكن كارثة فلسطين كانت أعمق جرح اصابه ، ورغم نقمته على السلطات العربية لتنكبها السير على الطريق القويم لانقاذ فلسطين ، وعمق الجرح الذي اصابه ، فان فارس الخوري ازداد قوة

وتصميما وجلدا ، في الدفاع عن فلسطين ، حتى النفس الاخير من حياته الغالية .

وبالاضافة الى جهوده السياسية ، انكب فارس الخوري ومعه زوجته العاملة الفاضلة ، على معالجة شؤون اللاجئين ، ومساعدتهم ، والعمل على تخفيف نكبتهم ومحنتهم ، فقدم في هذا المضمار خير الخدمات وأسدى للاجئين أحسن المساعدات .

وبعد ، فذلكم هو فارس الخوري ، الذي فقدت فلسطين بوفاته خير نصير وأكبر معين ، والتي كانت كارثتها من العوامل التي عجلت بانتقاله الى رحمة ربه ليلقى الجزاء الحسن الذي يستحقه .

فارس الخوري .. والقضية المصرية

اما موقف فارس الخوري من القضية المصرية وانتصاره لها في مجلس الامن الدولي ، فقد أشرنا في باب (حياته) باقتضاب ، الى بعض ما أحدثه من اثر في الاوساط الدولية والعربية وما أثاره من ضجة تقدير واعجاب واستحسان خلدت ذكره على مر الايام ، بحيث جعلت مواطنيه يفاخرون به ويرفعون رؤوسهم عاليا ، وجعلت تلاميذه يتباهون بما تلقوه من علوم على يديه وما يتذكرونه من حكم وطرف ونوادر سمعوها منه ، فرأينا الكاتب الاسلامي السوري الكبير ، القاضي الجليل ، **الاستاذ الشيخ علي الطنطاوي** ، يكتب في مجلة الرسالة القاهرية في ذلك الحين مقالا بعنوان **(فارس الخوري شهدت بعبقريته الدنيا)** ضمنه الكثير مما عرفه عن خصال ومزايا استاذه هذا .. وتلاه أديب العربية الكبير **الاستاذ عباس محمود العقاد** بمقال ضاف قيم عنوانه : **(فارس الخوري عبقرية البيان)** في المجلة ذاتها ، يشبهه فيه بالسياسي البريطاني الكبير لويد جورج وبزعيم مصر الخالد سعد زغلول .. وفيما يلي مقطع مما كتبه الاستاذ علي الطنطاوي مما سلف ذكره ، قال :

وهذا الشيخ (فارس الخوري) الذي شهدت بعبقريته الدنيا واكبرته الاجيال على اختلاف الوانها والسنتها وبلدانها ، ورأت فيه شخصية ضخمة لاتوزن بها شخصيات هؤلاء الذين القت اليهم قوة دولهم مقاليد الارض وحكمتهم في رقاب البشر . واعترفوا انه حمل مع عبء الثمانين (لا الثمانية والستين) حمل رياسة مجلس الامن فكان خير رئيس له واقواه .. هذا ، وليس وراءه اسطول جاءت منه هيبته ، ولا قنبلة ذرية قامت عليها سطوته ،

ما وراءه الا امة صغيرة كبرتها عبقريته ، ودولة ضعيفة قوتها شخصيته، حتى كان صوتها اعلى الاصوات ، وكلامها ابلغ الكلام ، وخطبته عنها هي نقطـــة التحول في مجرى الرأي في مجلس الامن ، كما قال الاستاذ الصاوي فـــي (اخبار اليوم) .

ولقد عجب الذين لا يعرفون فارس الخوري لما سمعوا انه لم يقرأ خطبته من كتاب ، ولا تلاها من ورقة ، بل ارتجلها ارتجالا ، ولم يكن في يـــده الا بطاقة فيها (خرابيش) بالقلم الرصاص . رآه النقراشي وهو يخطها فحسب أنها مذكرات له في مسائل عادية من مسائل الحياة . فلما راى أنها هـي الخطبة العظيمة التي هزت اضخم هيئة دولية في الارض ، بلغ عجبه مـــن هذا الرجل واعجابه به ابعد حدوده .

اما نحن فلم نعجب ، لان الشيء من معدنه لا يستغرب . وهذا الرجل الذي بدأ يتعلم الانكليزية قبل ان يولد اكثر اعضاء الوفد المصري في مجلس الامن ، والذي أعطاه الله هذا الذهن العجيب ، فجعله لغويا اديبا شاعـرا حقوقيا مشاركا في كل فروع الثقافة ، وامده بمنطق سديد ، وعقل نادر المثال ، ورزقه ذكاء ما اعرف احد منه ولا امضى ، وبديهية غريبة ، وجعل له مع ذلك كله ، هذا الرأس الكبير ، وهذه الشيبة المهيبة ، وهذا الصـــوت المدوي المليء بالعظمة والثقة بالنفس والتعالي ، وهذا الصدر الواسع ، وهذا الحلم مع القوة ، وهذا الحزم بلا عنف ، هذا الرجل لا يستكثر عليــه أن يرتجل خطبة باللغة الانكليزية ، وان يحول بهـا افكار وكـلاء الـدول فـــي مجلس الامن .

اما اديب العربية الكبير المغفور له الاستاذ عباس محمود العقاد ، فقـــد كتب يقول :

نكتب عن عبقرية البيان عندما نكتب عن الاستاذ الجليل فـــارس الخوري .. لان الرجل ولا شك من اصحاب هذه العبقرية في طرازهـــا الرفيع ، ومن فرسان ميدان الخطابة في عالم السياسة وفي عالم الثقـافة علـى الاجمال .

وعبقرية البيان معادن والوان ، يعلو بعضها فوق بعض درجات .

فهي على صورتها الشائعة لا تعدو أن تكون ذرابة في اللسان وانطـلاقا في القدرة على مجرد الكلام .

ولكنها اذا بلغت ذروتها العليا لم يغنها هذا الزاد وحده من ازوادهـا الكثـــير .

ومنهـــــا . .

ملكة التعبير الصحيح ، وبضاعة الحجة ، وحضور البديهة في مواقف الارتجال ، والاتيان بجوامع الكلم في مواضعها ، لقوة التوفيق بين المعـــاني الراجحة ، والالفاظ الواضحة ، او قوة التوفيق بين الفكر واللسان.

وكل ما قرأناه من كلام الاستاذ الجليل أو قرأناه من الكلام عنه ، يدل على هذه العبقرية في ارفع طراز عرف به خطيب من خطباء هذا الزمان .

فاقتياد أعنة الكلام ــ ولو في لسان غير لسانه العربي ــ سليقة فيه منذ صباه ، الى أيام كهولته أو شيخوخته .

كتب عنه زميله الكبير الاستاذ خليل ثابت بك فقال انه لم يكن يعـرف التركية فتعلمها بعد اتمام دراسته وملك ناصيتها حتى استطاع ان يخطب بها في المحاكم وفي المجالس النيابية . ولم يكن يعرف الفرنسية فتعلمها بعد أن جاوز الخمسين واصبح من خطبائها المعدودين . وهذا عدا الانكليزيةالتي تعلمها في أيام دراسته بالجامعة الامريكية في بيروت .

ومن أصغى الى هذا الخطيب المطبوع وهو يتكلم علم أن أداة البيان قد تمت له حسا ولفظا ، كما تمت له بداهة ومعنى . فصوته من تلك الاصوات « الغنية » كما يقولون في اللغات الاوروبية لا تحس فيه جهدا ولا حـــاجة الى الجهـــد . . .

ومن تمام ملكات التعبير فيه أنه يقتدر على المنظوم اقتداره على المنثور. ولا شك أن الشعر يدخل أحيانا في عداد ملكات الخطابة من حيث هو ابانـة وتعبير وقد أسلس له قياده بهذا الزمام فجاءت له في تلك القصيدة أبيـات من عيون الكلام كقوله :

أحافظ حييت الشـآم تحية	يفوق عبير الارض منها عبيرها
والبستها ثوبا من الحمد دونه	حدائقها في زهوها وزهورها
وطوقتها بالحب والعطف ربقة	قلادة أسر لا يفادى أسيرهـــا

وهو نفس في الشعر يقصر عنه كثير من الخطباء . . وكثير من الشعراء . .

على أنه يرتفع بك الى الذروة من ملكات هذه العبقرية حين يفرغ الحجة في جوامع الكلم التي تملك السمع والعقل دفعة واحدة بغير اعنات ولا مشقة على سامعيه . .

فليس أسهل ولا أقوى من تفنيده لدعوى المندوب البريطاني حـين زعم ان معاهدة سنة ١٩٣٦ معاهدة صحيحة لانها أبرمت باختيار الطرفين، فلا حاجة ــ كما قال ــ الى دليل على بطلان هذه الدعوى لان أمة من الامم

لا تقبل احتلال الاجنبي لبلادها وهي مختارة راضية .

وليس أجمع ولا أمنع من قوله في هذا الصدد ان تلك المعاهدة لا تنطوي على التزام تتقيد به بريطانيا العظمى ، وانما هي تفويض من ملك مصر اذا شاءت بريطانيا العظمى أن تنزل عنه فليس في عملها هذا مناقضة لحرمة المعاهدات .

نعم .. فهي اذا لم تشأ فانما تفعل ذلك لانها ذات غرض ترمي اليه ولا تفعله لحرمة في تلك المعاهدة تحرص عليها ..

ويندر أن تتم أداة العبقرية البيانية هذا التمام لغير الافذاذ النابهين . ففي عصرنا هذا لا نعرف مثلا لهذه الاداة التامة بين فرسان المنابر السياسية غير رجلين اثنين ، أحدهما باقعة الغال لويد جورج الوزير البريطاني المشهور والآخر زعيمنا العظيم سعد زغلول رحمه الله ..

هما أيضا كانا يملكان الحجة المسكتة في مقام الجد والفكاهة .

كان لويد جورج يخطب عن أعماله التي ينوي القيام بها اذا ظفر بكرسي النيابة ، فتصدى له لحام سليط اقتحم الجمع بلوثة اللحم والشحم في ثيابه فسأل الخطيب ليحرجه : دعنا من كل هذا وقل لنا ماذا تنوي أن ترخص لنا من ضرورات المعيشة ؟!! ..

فما هو الا أن سمعه حتى أجاب بكلمة واحدة : الصابون !!

فكان الحرج والسخرية من نصيب السائل دون المسؤول ..

وكان بعض المتطرفين يتعمدون احراج سعد في سياق الكلام عن خزان جبل أوليا ، في السودان فسألوه : هل هو ضار أم مفيد ؟!

فما زاد على أن قال : هو مفيد مع اتحاد الممالك ..

فلم يجرؤ على الاعتراض أحد يطالب بوحدة مصر والسودان ..

وكذلك فارس الخوري ..

روى عنه تلميذه (علي الطنطاوي) أن طالبا (ثقيلا ...) سأله : ما فائدة هذه الاحرف اللثوية ، ولماذا نقول ثاء وظاء ، فنخرج السنتنا ونضطر الى هذه الغلاظة ؟!

فقال له فارس الخوري على الفور وقبل أن يتم سؤاله :

لا فائدة لها ابدا وسنتركها ونجدد فنقول (كسر الله من أسنانك) !!

فسكت الثقيل خزيان !! ..

ويتشابه هؤلاء العباقرة الثلاثة في خاصة معهودة بين كثير من أصحاب العبقرية البيانية . وهي اتصال عقولهم بعقول سامعيهم في عالم

العيـــان ..

فهم لا يعنون بالتأليف عنايتهم بالخطابة والحديث ، لان عبقريتهم تتصل بالنفوس في عالم العيان ، كما قلنا ، او حين تتلاقى الحياة بالحياة ، ولـم تخلق للاتصال بها في عالم الفكر المجرد من وراء الحجاب !!

فعبقرياتهم جميعا أكبر من آثارهم المكتوبة او المطبوعة . ولولا مذكرات للويد جورج لكان بيانه كله مما أثر عنه في المجالس والمحافل ، وفـــي المساجلات والمحاورات ..

وليس لسعد زغلول ولا لفارس الخوري فيما نعلم مؤلفات تضارع ما طبع عليه كلاهما من الالمعية والفطنة وما حصله كلاهما من المعرفة الواسعـة والخبرة الصادقة ، لان طبيعة البيان الناطق أن يمتلىء بالحياة حين يتصـل بالاحيـــاء .

فارس الخوري .. رئيس مجلس النواب

قال الاستاذ الشيخ علي الطنطاوي في وصفه لـ (رئاسة) الاستـاذ فارس الخوري لـ (مجلس النواب) :

« .. كانت رياسته عجبا من العجب ، وكان الوافدون على دمشق لا يريدون اذا رأوا جامع بني أمية والربوة وقاسيون ، الا أن يروه على منصـة الرئاسة ليحدثوا قومهم اذا رجعوا اليهم بجليل ما رأوا وما حضروا . كـان النواب بين يديه كالتلاميذ بل ان أكثرهم كانوا تلاميذه فعلا ، وكان يصرفهم تصريفا لا يوصف ولا يثبت على الورق ، وما هـم بالذين يصرفون أو يسيرون .. وان فيهم لكل باقعة داهية ذرب اللسان حديد الجنان آفة من الآفـات، يطيح بالحكومات وينسف الوزارات ، ولكن الحدأة تسطو على العصافـير فان قابلت النسر المضرحي عادت هي عصفورا .

وكانت تشتبك الآراء وتتداخل المقترحات وتشتد المنازعات وتثـور الحزبيات ، فما هي الا ان يتكلم ويلخص ، ويجمع الشتيتين ، ويصب علـى جمرة الغضب سطل ماء ،ويستل الرأي الموافق من بين الآراء المشتبكة سل الشعرة من العجين ، ويعرضه للتصويت ، وكان له في هذا العرض (فن)، ما تنبه لهالناس الا بعد حين ، هو أن في النواب من لا يشتغل حتى ولا يرفع اليد ، ولا ينال الامة منه الا حضوره الجلسة وقبضه الراتب ، وكـان يعرف هؤلاء ، فتارة يقول (الموافق يرفع يده) فيكونون مع المخالفين ، وتارة

يقول (المخالف يرفع يده) فيكونون مع الموافقين ، يكف بذلك من جموح الاكثرية ويقوم من اعوجاجها ... » !!

فارس الخوري جندي العرب الامين

تفضل الامير ، اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية بالقول :

لم يكن فارس الخوري ملكا للبنان البلد الذي رأى فيه النور ، ولا لسورية وطنه ومهوى فؤاده ، بل كان جنديا امينا ، ومناضلا عنيدا وابنا بارا لجميع البلدان العربية على السواء . كانت حياة فارس الخوري رسالة متصلة في خدمة المثل العليا التي وهب نفسه لها وخدمها بأمانة لم يعترها اي وهن ولا ثناه عنها اضطهاد او سجن او نفي او تشريد . وقد ادى هذه الرسالة في صفوف الشعب وعلى مقاعد التدريس وتحت قبة البرلمان وفي دست الحكم سواء بسواء . ولما اجتمع أقطاب العالم في الحرب العالمية الثانية ، يرسمون ويخططون مصائر الشعوب ، ويبنون صرح الامم المتحدة، كان فارس الخوري في طليعة من ندبتهم البلدان العربية ، فوفى الامانة حقها ، ونال الاعجاب بدماغه المفكر ، وحجته القوية ، ولسانه الفصيح ، وايمانه الذي لا يتزعزع بحق بلاده ، بل بلدانه ، بالحياة الكريمة ، والحرية ، والاستقلال .

ولبنان الذي آمن بالمثل العليا ، التي اتسمت بها حياة الفقيد العظيم، وهي الحق والعدالة والحرية والديموقراطية ، يبعث بتحية التعظيم والتقدير لذكرى الرجل الشريف ، والوطني الصادق ، والجندي الامين فارس الخوري . جعل الله من حياته للاجيال الطالعة رمزا ومثالا .

فارس الخوري .. رجل الازمات والملمات

وقد اطلعنا على زاوية (مع القهوة) في العدد ٦٣٨ من جريدة الصفاء البيروتية الغراء والتي هي من امهات وكبريات الصحف العربية ، الصادر يوم الخميس ٧ أيار ١٩٦٤ ، بقلم الاستاذ سليم نصار يتحدث فيها عن مسألة التجديد لرئيس الجمهورية اللبنانية **الامير فؤاد شهاب ، ننقل**منها هذا المقطع:

... حتى عندما زاره — ويقصد اللواء فؤاد شهاب — اديب بعيد عن جو السياسة وله في قلب صاحب القصر احترام خاص ، اعرض عن فكرة التجديد اعراضا تاما وضعه في صيغة مقنعة عندما قال ردا على محاولات



الامير ، اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية

**

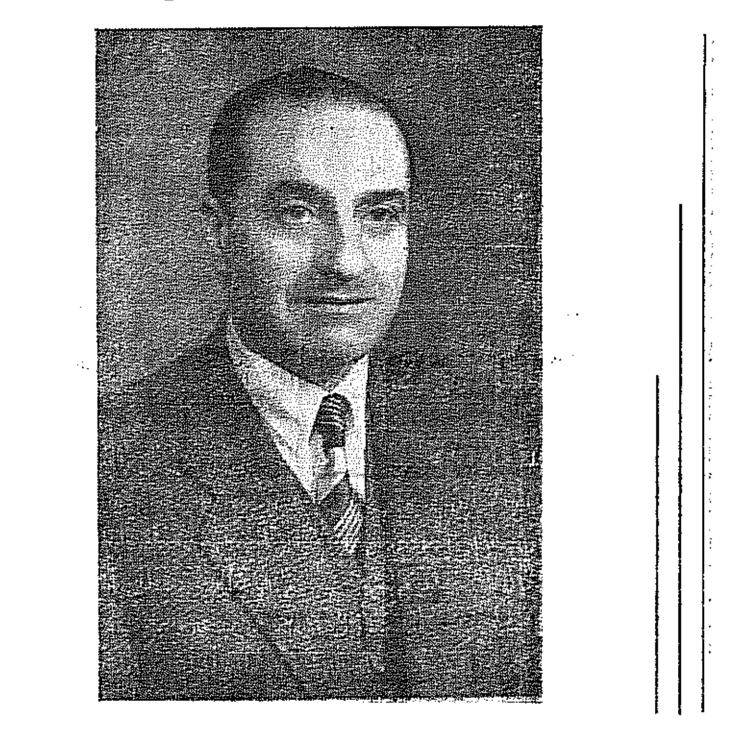
الزائر بوجوب القبول بفكرة التجديد :

— اسمع يا هذا . . لقد فقد الرئيس بشارة **الخوري** الصفة التي كانت تسبغ على **فارس الخوري** في سورية وهي صفة **((رجل الازمات والملمات))** والسبب في رأيي هو التجديد ، كما فقد الرئيس **كميل شمعون** هذه الصفة أيضا ، والسبب أيضا هو التجديد ، فلماذا لا اترك الحكم مختارا لكي أظل في عيون اللبنانيين حلا أخيراً يرون فيه حكما وطنيا في الازمات والشدائد وعندما تطلبونني بعد هذا تجدونني ؟!!

أستاذ ، وعالم ، ومعلم

اما رئيس الوزارة الاردنية الاسبق ، ورئيس الديوان الملكي الهاشمي اليوم ، **الاستاذ بهجت التلهوني** فقد كتب الي ، يقول :

يسعد المرء أن يرى من الناس من يخلد تاريخ العاملين ويروي للاجيال



الاستاذ بهجت التلهوني رئيس الوزارة الاردنية سابقا ، رئيس الديوان الملكي الهاشمي

القادمة سيرة من أفنوا عمرهم في خدمة بلدهم وامتهم . ولا غرو ، فالاستاذ العلامة فارس الخوري في الطليعة منهم ، وفي المقدمة من صحبه افذاذ الرجال سدنة النهضة العربية الحديثة ، وهو المعلم والفارس في حلبات الجهاد والنضال من اجل حرية العرب وسيادتهم واستقلالهم وحريتهم المنشودة .

لم يفرق في خدمة امته بين أحد من شعوبها أو اقطارها وامصارها ، ولما ارادت امة العرب اللحاق بركب الامم المتوثبة في معارج العلم والسياسة والتشريع ، كان الاستاذ فارس الخوري ركنا وطيدا من اركان يقظتها وانطلاقها ووثباتها المتعاقبة . فقد احب أمته وآمن بحقها اشد الايمان مثلما آمن بأهليتها لتحقيق غاياتها وقدرتها على بلوغ مطارح العز والمجد والكرامة . تفجر قلبه ووجدانه بانسانية فذة وآمال عربية كبار فجند روحه وفكره ووقف قلمه ولسانه في سبيل الوصول اليها . كان رحمه الله المناضل الزاهد والبحر الزاخر كما كان العالم المجرب والمشرع المتتبع والخطيب الجريء والاستاذ المعلم ، عرفته استاذا جليلا وانا طالب في كلية الحقوق في الجامعة السورية فما كان درسه ومحاضرته لتقف عند حدود اعطاء الحقائق والشرح والتلقين ، بل كان يفيض بتجاربه النضيجة وآرائه السديدة ومقارناته الواقعية ، كما كان حضور دروسه غير مقتصر على طلابه بل كان منهلا للوارد ومحجا للوافد ، يأسر حديثه الاسماع ويبهر علمه العقول.

ولما دعا الداعي ، خاض حلبة السياسة وتصدى لمقارعة الخصوم فكانت السياسة في شرعته صدقا وعدلا وحقا . اعتلى منابر الهيئة الدولية ومؤسسات العدل العالمية منافحا عن أمة العرب ومدافعا عن حقوقها شعبا شعبا وبلدا بلدا . لم يكن سلاحه الا سلاح الشرف والعدل في وجه اباطيل الاعداء وأطماع الظالمين فحقق لامته ما لا تحققه الجيوش .

ان العلامة الخوري الذي أثقلت السنون قامته وزها جبينه بسنا الجهاد والتضحيات لم يضن يوما على بلده ولا على أمته بنفسه وعلمه وتجربته وحصيلة عمره وعصارة قلبه ووجدانه حتى التحق بالرفيق الاعلى قرير العين راضي النفس وان كان لامة العرب من عوض ترتجيه بعد فقده فان فيما خلفه ابنها الماجد كنوزا لا تنفد ومعينا لا ينضب من مآثر علمه وجهاده .. رحم الله استاذنا وعالمنا ومعلمنا ، واحسن لمن خلد ذكره .

ما يقوله البطريرك ثيودوسيوس عن أستاذه

وكتب الي غبطة **البطريرك ثيودوسيوس السادس** بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس ، عن استاذه القديم فارس الخوري يقول :

من حكم الكتب المقدسة ان الله جل جلاله هو الذي يريد ان يكون البعض رسلا والبعض انبياء والبعض معلمين ، غير انه لا سبيل الى تحقيق



صاحب الغبطة ، رجل الدين والايمان والتقوى ، وداعية التضامن المسيحي الاسلامي فـي ديار الشام السيد تيودوسيوس السادس المعظم بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس

ذلك في امريء الا اذا حصل التفاعل بينه وبين ارادة الله له .

قال أحد العلماء : أولئك الذين يستمدون المعرفة من السماء ، وأولئك الذين يضيئون كالشموع ، لانارة السبل في وجه أمتهم ، هم العباقرة .

وفي الواقع ان أمثال هؤلاء لا يتبوأون مكانتهم ، بقرار من الارض ، كالرؤساء والوزراء والاثرياء والاغنياء ، بل بأمر من الله تتفاعل معه ارادتهم .

وعلى هذا قال أحد الاباطرة مرة ، لاحد اصحابه وقد طلب منه أن

يعينه عضوا في مجمع علمي ، يا اخي ، انني استطيع أن أجعل منك اميرا او حاكما وزيرا فمثل هذا يكون بأمر مني ، اما أن أجعلك في عداد عباقرة العلماء مثلا فهذا ليس بمقدوري .

ان فقيدنا الراحل الكبير فارس الخوري رحمه الله كان من ذلك النوع من البشر الذين هم مديونون الى الله تعالى بما تميزوا به عن سواهم . اجل، تلك هي هبة سماوية جعلته مع عصاميته الفذة أن يبلغ ما بلغ من أوج، فقد كان استاذا في الآداب وأستاذا في العلوم وأستاذا في السياسة ليس في سورية فحسب بل في العالم اجمع ، حيث لمع نجمه في المنظمات الدولية حتى صار بحق يشار اليه بالبنان.

ان هذه الفئة من افذاذ الرجال اذا وجدت في أمة كانت لها بمثابة ثروة . فثروة الامم ليست بقطنها وحديدها ، ومعادنها ومعاملها بقدر ما هي برجالها العباقرة . ولا نستغرب اذا عدت سورية وفاته خسارة لها على اعتبار انه ثروة هيهات أن يجود الدهر بمثلها . فسبحان موزع المواهب لاحكام لا يعلمها الا هو .

ما يقوله الدكتور توفيق السويدي

وكتب الي **الدكتور توفيق السويدي** رئيس الوزارة العراقية الاسبق يقول لي :

تعرفت عليه في سنة ١٩١٨ في دمشق عندما كان متصلا بالحكومة الوطنية في أوائل تأسيسها وعندما سألت عن شخصه ومنشئه قيل لي أنه من اوائل المتخرجين من الكلية الانجيلية في بيروت وكان متفردا بين المثقفين الذين يتكلمون الافرنسية بالاضافة الى اللغة الانكليزية . وكلما ضمنا مجلس واياه انا والمرحوم أخي ناجي السويدي وبعض الاصدقاء كنا مبهورين بتعليقاته على الوضع السياسي آنذاك وبشعوره المتدفق في الوطنية العربية ، ولم يسلم بطبيعة الحال في تلك التعليقات والجولات الواسعة من الغمز بأنه من الميالين الى السياسة البريطانية ، الا أن ما وجدناه بعد ذلك من أعماله وسلوكه ،ومقاومته للتسلط الافرنسي على البلاد كان يكذب ذلك الغمز المشين الذي أراد الصاقه به بعض حساده . وعندما انكشفت الامور في الدولة السورية الجديدة وتسلمت الايادي العربية معظم المناصب الهامة كان فارس الخوري من الاوائل الذين أشير اليهم بالبنان



الدكتور توفيق السويدي رئيس الحكومة العراقية سابقا

للاضطلاع بأعظم منصب في الدولة فعين وزيرا للمالية في الحكومة الفيصلية وكانت اعماله تدل على علو كعبه وتضلعه في المسائل المالية مع كونه لم يتخصص بها بل ان معرفته الواسعة وعقله الراجح كانا كافيين لان يقوم باصلاحات جذرية في الامور المالية وفي وقت قصير جدا ألقى على وزارته صبغة عربية علمية تجلت بتنظيم دقيق في أمور الدولة . لقد كان فارس الخوري من الدعاة الى وضع قواعد ثابتة للتنظيم المالي فاحدث الدينار السوري الذهب وثبته على الليرة الفرنسية الذهب ، وسكه . وكلما مر الزمن تجلت مزايا هذ الرجل العظيم لا في الميدان المالي فقط بل في الميادين الكثيرة من المعرفة البشرية في اللغة والادب والتاريخ والفلسفة والاجتماع ثم السياسة التي برز فيها بروزا عظيما ، وعندما وقعت الكارثة باحتلال فرنسا لسورية كان أول المحتجين عليه والمتباعدين عن الحكم بالرغم مما بذل لديه من جهود لاعادته الى الحكم فبقي مناضلا بجانب رفاقه الوطنيين السوريين حتى نفي معهم الى ارواد .. والى الحسكة .. كسعد الله الجابري وفوزي الغزي ولطفي الحفار وحسني البرازي وآخرين وبقي معهم مدة طويلة !!

وبالرغم من العوائق التي تضعها السلطات الفرنسية في طريقه حتى في سبيل المعيشة بقي مواظبا على وطنيته وصراعه مع المحتل مع انه كان لا يملك الكثير من الوسائل لتامين معيشته ومعيشة اولاده فاتخذ المحاماة مهنة له واتقن اللغة الافرنسية بدرجة مكنته من ان يظهر كمحام لدى المحاكم

الافرنسية العسكرية ، والمحاكم الاخرى التي كانت تجري محاكماتها باللغة الافرنسية كلما حوكم اجنبي امامها ، فخطابته باللغة العربية لا تـدع اي تعليق وتنقيد من اي شخص ، كما ان خطابته بالانكليزية والافرنسية كـانت تفوق حد الوصف لكل من سمعه . فهذه الخطب التي كان يلقيها بمناسبات عديدة كانت مليئة بالعظة والتعمق وسعة الافق والنكات اللاذعة التي كـانت تنطبق على الحالة التي كانت البلاد السورية مغموزة فيها ، اما اعصابه لتلقي الضربات ولتحمل التجنيات فكانت فائقة على كل أقرانه بحيث يتراءى لمـن يستمع حديثه كأنه لا يشكو شيئا ولا يتعرض لشيء كان يتكبده، أو اعتسـاف (من السلطات) كان يتحمله في كل وقت من حياته تلك،اما النكتة والتعريض والفكاهة فكانت تلازمه كأنه طود شامخ لا تأخذ منه الضربات اي مأخذ.

لقد كان وجوده في كلية الحقوق في دمشق كأستاذ للعلوم المـالية ، كالبلسم للجروح التي يعانيها الطلاب من قلة موارد المعرفة بسبب الوضـع المتعسف الذي كانت الكلية معرضة له . فوضع كتابـا قيما فـي علـم المـال أصبح الموئل لمتعطشين المباحث الاقتصادية والمالية وبدات كليات دمشق وبغداد وفلسطين تدرسه .

هذه نبذة مما عرفته عن هـذا الرجل العظيم . ولا ازال اتذكـر بعض المواقف التي كان يبرز فيها باستعمال ذكائه وفطنته حتى في النكات ذات المغزى السياسي .

ففي سنة ١٩٢١ عندما كان المد الافرنسي في أوجه وكان عمـلاء فرنسا من السوريين في ركاب السياسة الاحتلالية كان احد الدمشقيـين **(ويعني السيد حقي العظم)** قد عين حاكما لما سمي في ذلك الوقت (دولـة دمشق) وكان ذلك الدمشقي عفا الله عنه يجول ويصول في ميـدان السياسة كأنه الفاتح الاعظم مع علمه وعلم الناس انه المطية السهلة لحكومة الاحتلال . وقد صدف أن حضر حاكم دولة دمشق دعوة غداء في حديقـة ما ، وكان فارس الخوري مدعوا ايضا . وبعد انتهاء الدعوة خرج ابو سهيل قبل المدعوين ببرهة وكان الناس في سورية حينذاك يستعملون الطرابيش وكان طربوشه أكبر الطرابيش لضخامة رأسه ، وبالنتيجة (كما قيل) لعظمة دماغه ، فوضع طربوش حاكم الدولة على رأسه اولا ، ثم وضع طـربوشه فوقه ، فاختفى الطربوش الصغير . وعند انصراف المدعوين وعلى راسهـم الحاكم الذي تحرى عن طربوشه فلم يجده . فشاركه في هذا التحـري جميع الحاضرين وبدأت الولولة بينهم .. ماذا حل بطربوش الحاكم ؟! ..

وبعد مدة من الوقت وهو يتفرج على تلك النكتة الطريفة ، انبرى الخوري وقال انه آسف لانه نسي طربوش دولة الحاكم في طربوشه ولم يشعر بوجوده الا عندما تحروا عنه ، وكشف عن راسه ، واخرج طربوش الحاكم الصغير وقدمه له . فامتعض الحاكم امتعاضا شديدا لان مغزى هذه الحركة كان واضحا بأن رأس الحاكم كان صغيرا كما ان دماغه كان بنسبة صغر ذلك الطربوش . وفي الحقيقة كانت هذه النكتة قد أخذت ميدانا فسيحا بين الناس للتنكيت والتعليق على أن فارس الخوري قد أثبت كون حاكم الدولة من أصحاب العقول الفارغة ومن أصحاب الادمغة الضئيلة كما هو معروف عنه !!

وفي سنة ١٩٣٦ عندما عقدت سورية معاهدة مع فرنسا ، ارادت بها وضع حد عملي للتخلص من الانتداب والاحتلال ، و (تبحشرت) فرنسا بعد ذلك فرفضت تنفيذها . .

وكان العراق أول من أهتم بمساندة السوريين في تحقيق مطالبهم الوطنية ، فارسلت انا خصيصا من قبل الحكومة العراقية الى باريس حيث يقيم الوفد السوري الذي كان من أبرز أعضائه فارس الخوري فالتقيت به قبل أن أتصل بالوفد وبينت له استعداد الحكومة العراقية لمؤازرة سورية والوفد في قضيتهما المشتركة الوطنية بالضغط على فرنسا لقبول المعاهدة المعقودة ، واذا فشلت تلك المساعي ، فبالطلب الى الوفد ان يشخص الى جنيف حيث عصبة الامم ، ويبقى هناك مدافعا عن قضيته الى أن يكتب الله لها النصر . والعراق يقدم كل ما يحتاجه الوفد من مصاريف ونفقات للبقاء هناك وللدعاية فوجدت في الفقيد الكبير أكبر مشجع للعمل على هذا المنوال وأكبر مؤيد لي عندما فاتحت الوفد بما تنويه الحكومة العراقية من بذل في الجهود والنفقات .

اما مواقفه الدولية في القضايا العربية فكانت مفخرة للعرب في كل ارجاء بلادهم لما اتصف به الراحل الكريم من عقل راجح وخطاب فصيح وقوة حجة وسعة استدلال لكسر شوكة المستعمرين ، مما جعله يتمتع بحرمة دولية يحسد عليها . واخبار هذه المواقف وتفصيلها ليست خافية على احد.

ففارس الخوري كان في الحقيقة ، مالا مشتركا ، وفخرا تعتز به دنيا العرب في جميع انحاء العالم ، فاذا ضاع فارس الخوري فلا يكون ضياعه مقتصرا على عائلته أو بلاده سورية ، انما هو ضياع أليم للدول والشعوب العربية قاطبة .

رحم الله الفقيد العظيم ، وعوضنا عنه باقتفاء اثره وتحقيق ما لم يسمح به عمره الطويل من أهداف عليا في خدمة البلاد العربية .

ما يقوله سلطان الاطرش

اما **سلطان الاطرش** ،القائد العام للثورة السورية ، فقد كتب الي يقول: ان فارس بك الخوري ، له مواقف عديدة مشرفة ، منها ، بزمـــن



القائد العام للثورة السورية سلطان باشا الاطرش في منزله في القريا (جبل الدروز) وقد جلس عن يمينه السيد طلال فهد الاطرش وعن يساره محمد الفرحاني

الافرنسيين تلقى صدمات كثيرة في سبيل المصلحة العامة غريبة الشكل ، بدون وجل ولا خوف ، حتى أدت الى أن الافرنسيين انتقموا منه ونفوه الى ارواد بسبب مدافعته عن أمته ووطنه وبقي مثابرا على نضاله حتى تم علـــى يديه استقلال البلاد نهائيا وجلاء الافرنسيين عن سورية .

عهد اليه اكثر من مرة برئاسة المجلس النيابي ورئاسة مجلس الـوزراء

فكان رحمه الله يؤدي الرسالة كاملة غير منقوصة في كل حين . وليس بخاف على الجميع ، وجود كتل وأحزاب في سورية ، فكان فارس بك موضع ثقة الجميع ، يعطيهم رايه في جميع الامور بصراحة واخلاص ، حتى ضرب بـه المثل عند الرأي العام العربي في داخل البلاد وخارجها باخلاصه ووطنيته الحقة .

واني لا أبالغ ان قلت بأن هذا انما هو جزء من أجزاء من مزاياه الطيبة، أذكرها تقديرا للشخصية التي نفتقر لامثالها . رحمه الله رحمة واسعة وألهمنا جميعا الصبر عن تلك الخسارة التي لا تعوض .

فارس الخوري .. الرجل الشريف

وكتب الي ، السياسي الاردني الكبير **السيد سمير الرفاعي** ، يقول :

ان ما يكتب اليوم ، وما سيكتب غدا ، عن فقيد الامة العربية ، المغفور له الاستاذ العلامة فارس الخوري، ليس بالذي يكفي لوفاء الرجل حقه من التقدير والاعجاب ، أو يتسع لان يكشف عن مدى ما أصاب العروبة في شتى اقطارها وأمصارها من خسارة فادحة بفقد تلك الشخصية الفذة . فحياة فارس الخوري الحافلة بجليل الاعمال ، وغزير العلم والمعرفة ، وتاريخ فارس الخوري المليء بصفحات الجهاد القومي الاصيل والوطنية الحقة ، الى ما كان يتحلى به رحمه الله ، من خلق مثالي ، وصراحة في القول مقرونة ببراعةالتعبير، وما كان يملكه من حنكة سياسية ، وذكاء متوقد ، هذهالحياة الزاخرة ، وهذا التاريخ المجيد ، هما اعظم وأجل من ان تضمهما كلمة او أن تحيط بهما حدود سفر وكتاب !

وبعد ، ماذا اراني استطيع ان أكتب عن الفقيد الكبير ؟ وهل تكفي سطور معدودة لان تتناول (ولو بالوصف العابر) جوهر تلك الشخصية النادرة وشتى الخصال والمواهب التي كان يتمتع بها الراحل الكريم ؟! . لا ، بالتأكيد. ولكن شعوري بالعجز عن وفاء الرجل الكبير، الصديق الغائب ، ما تستأهله ذكراه من الثناء والاطراء ، يقابله احساسي ببعض الواجب أؤديه نحو فقيد العروبة في هذه الكلمة المتواضعة ، أكتبها تلبية لرغبة أبداها الاستاذ الفاضل محمد الفرحاني مؤلف هذا الكتاب ، فوقعت في نفسي موقع الشكر والرضى والارتياح .

قال أحد الحكماء : « **ان تسعة اعشار الحكمة أن تكون حكيما في الوقت**



سمير باشا الرفاعي
رئيس الوزارة الاردنية ورئيس مجلس الاعيان سابقا

المناسب » فما أصدق هذا القول عن فارس الخوري ! . كان من أبـــرز صفاته رحمه الله ، الاتزان والحصافة والحكمة ، ولكنه كان دائما حكيما في الوقت المناسب ! يعلم هذا ويشهد به ، كل من هيأ له حسن الطالعأن يزامل فارس الخوري ويشترك معه فيما كان يدور من محادثات ومفاوضات سواء في اجتماعات جامعة الدول العربية أو في سائر الاندية والمؤتمرات الدوليـة عندما كان يعرض على بساط البحث والمناقشة أهم الشؤون والقضـــايا العربية ، وأخطر المشكلات القومية . كانت حكمة فارس الخوري هي النور الساطع الذي يبدد الظلمات ، وكان رأيه السديد هو المشعل الذي ينـير الطريق الوعرة لتجنب المزالق وتفادي العثرات !

روي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال : **« المـروءة أن لا تعمل عملا في السر ، تستحي منه في العلانية »** . لقد اتخذ الفقيد مـن هذا القول المأثور دستورا حرص كل الحرص على تطبيقه في أعمالـــه وتصرفاته . فكان سلوكه في حياته الخاصة والعامة ، مثلا عاليا فيالمروءة والصدق والنزاهة ، مع الجرأة على قول الحق والدفاع عنه مهما كلفه ذلك

من متاعب وتضحيات . كانت تجمعني مع الفقيد مختلف المناسبات الرسمية والمؤتمرات السياسية من عربية ودولية . وكان بعضها يتناول قضايا خطيرة ومعضلات شائكة ، من المألوف أن يلجأ فيها رجال الحكم والسياسة الى اساليب المداورات والمناورات السياسية . فما رايت فارس الخوري يوما يقول أو يفعل في السر ما يخجل أن يقوله او يفعله في العلن ! وفي هذا جانب من عظمة الفقيد كسياسي ممتاز ، وكرجل دولة من ارفع طراز !..
وفي هذه الناحية بالذات — كما في غيرها من نواحي شخصيته البارزة — كان لما يملكه الفقيد من البديهة الحاضرة ، والنكتة الحلوة ، وطرافة الحديث، ما يسعفه دوما في تخطي المواقف الحرجة ، والتخلص من المآزق الحادة .

كان فارس الخوري من تلك الفئة القليلة من أهل الحكم والسياسة الذين يعتنقون مذهب عدم الفصل بين علم السياسة وعلم الاخلاق فكانت شيمته أن يجمع الاثنين معا وأن يعتبرهما كلا لا يتجزأ . فالسياسة عنده هي الاخلاق ، والاخلاق هي السياسة . ولا يمكن التفريق بينهما . ان المقدرة قد ترفع الانسان الى القمة ، ولكن الخلق وحده هو الحاجز الذي يقيه من السقوط . وقد ارتفع فارس الخوري بمقدرته وكفاءاته الى الذروة . ولكنه بقي هناك . فلم يسقط أبدا ، لان أخلاقه العالية كانت هي الحاجز الواقي .

كان فارس الخوري رجلا زاهدا بكل ما تحمله الكلمة من المعاني !! زاهدا بالمناصب والرتب ، وبالالقاب والاوسمة ، وبكل ما يمكن أن تعطيه الحياة لامثاله في هذه الدنيا من مظاهر الكبر والخيلاء وما تعرضه من افانين الغواية والاغراء !! ..

كنا ذات ليلة ، في عداد المدعوين الى مأدبة ملكية اقيمت في عاصمة عربية في احدى المناسبات ، وكان اللباس المطلوب (لباس السهرة مع الاوسمة) فحضر المدعوون بألبستهم الرسمية ، ترصع الاوسمة (والنياشين والمداليات) صدورهم جميعا — باستثناء واحد فقط ، هو فارس الخوري ! فالتفت اليه — وكنت اقف واياه في ركن منعزل من القاعة الرحبة وسألته لماذا لا يحمل اوسمته وانا أعلم انه يملك الكثير منها ؟! فرفع نظره الي وقال : « يا عزيزي ، ما حملت وساما على صدري مرة الا سألني بعضهم : كيف نلت هذا الوسام ولماذا ؟! وكم اشتهي ان يسألني الناس سؤالك الآن : لماذا لا تحمل وساما ؟ حتى اجيبهم بما احب أن اقوله في هذا الصدد !! » فأدركت حالا المغزى البعيد الذي رمى اليه، ولم اطلب منه ايضاحا وتفسيرا .. ايقنت في تلك اللحظة انه كان يريد أن يقول لي ما قاله جورج واشنطن محرر

الولايات المتحدة الاميركية ورئيسها الاول : (انني ارجو أن يكون لي دائما من القوة والخلق ما يكفيني للمحافظة على ما اعتبره أجدر الالقاب بالغيرة والحسد ، وهو لقب : الرجل الشريف) نعم ، كان فارس الخوري رجلا شريفا . وهذا اللقب كان يغنيه عن أرفع الاوسمة وعن اسمى الالقاب !!

لقد انتقل الراحل الكبير الى دار الخلود (بعد أن سبقه اليها شقيقه وصنوه فائز الخوري) ولكن الذكرى العطرة التي خلفها الشقيقان الكريمان ستبقى ما بقي التاريخ ، رحمة الله عليهما ورضوانه ، وجزاهما العلي القدير عن الامة والوطن قدر ما أديا لهما من جليل الاعمال وجزيل الخدمات .

واخيرا ، لا بد من كلمة ثناء وتقدير الى المؤلف الفاضل للجهد المشكور الذي قام به في اصدار هذا الكتاب تخليدا للفقيد العزيز . فان من كان كفارس الخوري في أمته ، خليق بأن يحظى بكل ما يحسن من وسائل التكريم والاعتراف بالفضل .

فارس الخوري .. الاستاذ

وقال **الاستاذ سعيد الغزي** رئيس الوزارة السورية سابقا :

عرفت فارس الخوري لاول مرة بعد اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ عندما كنت طالبا في مدرسة (عنبر) الاعدادية وكان يجاورني على مقاعد الدرس ، المغفور له ، شقيقه فائز الخوري ، وجاءنا الاستاذ الكبير فارس الخوري كمعلم للرياضيات العالية (الحساب النظري ومباديء الجبر) وكان قد عين خلفا للاستاذ ـ الضابط البحري ـ حسين عوني بك (الذي ما لبث ان أضحى مديرا لمعارف سورية) وبالحق اقول ، انني وزملائي الطلبة في ذلك الحين لم نشعر بأي فرق في قوة العلم والتدريس بين استاذنا السابق **حسين عوني** وبين أسلوب استاذنا الجديد فارس الخوري في تلقين هذه العلوم ولم نجد أي صعوبة في تفهم العلوم الرياضية بعد الذي لمسناه من ذكاء استاذنا الجديد وعلمه وقوة حجته وسحر بيانه فكان ما يلقيه علينا من دروس ينفذ الى أعماق قلوبنا وصميم تفكيرنا .

ومن ساحة الدرس انتقلنا الى ساحة العمل الوطني فكان الاستاذ الخوري من أعظم الخطباء في الحفلات السياسية العامة ـ وما كان عهدنا بالاشتغال في السياسة بعيدا ـ ولكنه في خطبه وارشاداته قد دفعنا الى الايمان بعروبتنا والاخلاص لوطننا والتعلق بلغتنا ومثلنا العليا واستهداف



الاستاذ سعيد الغزي
رئيس الوزارة السورية سابقا

وحدة العرب اجمعين وبذلك كان له فضل كبير في تربية جيل .. ما لبث أن عمل بكل قواه في سبيل أمة العرب وعزتها وكرامتها .

وانقضت ظروف الحرب العامة ودخلت جيوش العرب دمشق بعد أن غادرها الالمان والاتراك الى غير رجعة فبرز أستاذنا فارس الخوري في ميداني التشريع والسياسة ، فكان في المجلس الذي يشرع في عهد الحكومة العربية الاولى ، ثم وزيرا في مختلف الوزارات . وفي كل هذا كان النبراس الذي ينير الطريق في المهمات والملمات ، واعلم انه قاسى في سبيل عقيدته الكثير من السجن والنفي والتضييق ، فما كانت تلين له قناة ، ولا ينخفض له رأس، ولا تضعف له حجة ، وكان من أكبر قواد الحركة الوطنية في البلاد الى أن انتهت تلك الظروف بدعوة مجلس تأسيسي يضع الدستور الاول لبلادنا العزيزة سورية العربية . ولكن فرنسا تمكنت من الحيلولة دون وصوله الى كرسي النيابة الذي هو اهل له وجدير به ومستحق .

ورغم هذا لم يتوان عن تقديم النصح والارشاد لرفاقه من النواب وقادة البلاد كالمغفور له الزعيم ابراهيم هنانو والمرحوم هاشم الاتاسي وفوزي الغزي وغيرهم من اقطاب الوطنية . وفي هذا المجلس التأسيسي الذي تشرفت بعضويته ، نشأت في الرؤوس فكرة ايجاد كتلة وطنية تقوم بالنضال ضد المستعمرين وتعمل جادة جاهدة مجاهدة في سبيل ايصال البلاد الى استقلالها ووحدتها وحفظ كيانها وكرامتها . فكان أستاذنا فارس الخوري عميدها الاول ودعامتها الكبرى ، وهي (أي الكتلة الوطنية) التي جمعت النواب وغير النواب من المشتغلين في القضية الوطنية ثم تولت القيادة النضالية ضد الانتداب الفرنسي بلا هوادة ولا محاباة متخذة من توجيهات فارس الخوري وارشاداته والاساليب التي يسلكها ويوصي بسلوكها نبراسا وطريقا قوميا للعمل . وفي عام ١٩٣٦ كان فارسنا من أبرز أعضاء الوفد الذي شكل في ذلك الحين من أجل مفاوضة فرنسا لتأمين الاستقلال والغاء الانتداب وتحديد الحقوق والواجبات بين الطرفين بمعاهدة مستقاة أسسها من المعاهدة الانكليزية العراقية تلك المعاهدة التي ما لبث الفرنسيون أن رجعوا عنها ونكلوا عن تصديقها بعد ثلاث سنوات من وضعها كان أستاذنا الكبير خلالها سلطان المنابر في المجلس النيابي وموجهه وباعث روح النشاط والعقل والحكمة في أعماله وتشريعاته . ورجعت البلاد الى النضال في سبيل الاستقلال الى أن تم الامر في عام ١٩٤٣ بدعوة البلاد الى انتخابات نيابية جديدة عاد فارس الخوري باثرها رئيسا لمجلس النواب السوري من جديد .

ومن هنا نستطيع أن نقول أن تلاميذ فارس الخوري في المدارس قد أصبحوا تلاميذه في الجامعة السورية ثم تلاميذا له في المجالس النيابية ثم تلاميذا له في الادارات والوزارات وهكذا كانت حياته مليئة بالفضل والمعرفة والحكمة والنصح والارشاد وحسن التدبير . ونعتقد أنه يستحق أن يكون بين الخالدين الذين رسموا حياتنا الاستقلالية وأوجدوا كياننا السياسي هنا ، وفي هيئة الامم المتحدة التي كان فارس الخوري بطلا من أبطال وضع دستورها ، وعضوا عاملا في جميع المؤتمرات الدولية التي نشأت عنها ، وحاز احترام جميع العالم وتقديره .

فنحن تلاميذه ، وطلابه ، ورفاقه ، اذ نساهم مع الاخ الاستاذ محمد الفرحاني جزاه الله خيرا ، في تخليد ذكراه ، نعاهد الله أن نسير على هدى تعاليمه في سبيل المصلحة العامة وخدمة الوطن العربي وسورية خاصة ، ما دمنا على العهد قائمين ، وما دمنا على قيد الحياة مناضلين ، ولا ننسى أن

الاستاذ الخوري كان له الفضل في تأسيس نقابة المحامين التي شرفها برئاسته وكان لنا شرف الانتساب اليها برفقته مدة طويلة .

حقا ان خسارة البلاد بفارس الخوري لا تعوض . رحمه الله رحمة واسعة ، والهمنا جميعا الصبر على فقد استاذنا ومرشدنا ومعلمنا انه على ما يشاء قدير .

فارس الخوري في مآثره .. أو صحبة أربعين سنة :

وكتب الرئيس السوري السابق ، قطب النضال الوطني المعروف ، السيد لطفي الحفار ، يقول :

ما انا في سبيل سجل تاريخ الرجل ، **في مراحل حياته** السياسية والعلمية ، وتاريخ المراكز التي تقلب فيها هذا الرجل النابغة . ولكني أستطيع أن أصف وصفا دقيقا ما كان يتمتع به من خصائص ومآثر ونبوغ وسعة اطلاع .

حلقتي الجزائري والقاسمي :

عرفته ، أيام كان يختلف الى حلقتي الشيخين **طاهر الجزائري وجمال الدين القاسمي** ، هذا الرجل النصراني . كنا نعجب نحن الصغار امثال **محب الدين الخطيب وصادق قنباز والامير عارف الشهابي وصلاح الدين القاسمي** وكاتب هذه الاسطر ، الذين كنا نتردد على مجلسي هذين الشيخين الجليلين اللذين كانا من أبرز دعاة النهضة الاصلاحية الدينية والمدنية بعد اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ ، وكان الذين يكبروننا سنا ، أمثال **الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وشكري العسلي وعبد الوهاب المليحي** (الملقب بالانكليزي) **وسليم الجزائري ومحمد كرد علي وغيرهم** من الذين كانوا يلازمون هذين المجلسين ، يتطلعون الى فارس الخوري باكبار واعجاب ويسرون بلقائهم معه . وكان أساتذتنا الشيوخ يرحبون به ويستمعون اليه في كثير من المباحث التي كانوا يعالجونها في الدعوة الى اليقظة والاصلاح ومحاربة الجهل والافكار الحشوية السخيفة فيعجبون بقوة عارضته وحسن بيانه واهتمامه بدراسة القرآن واستماعه الى تفسيره في المجالس التي كانت تعقد في بعض الدور وغرف مدرسة عبد الله باشا . والى جانب ذلك كنا نتلقى مبادىء الوطنية ، والقومية ، والاصلاحات المدنية والدينية ، متحفزين للعمل في هذا السبيل بوسائلنا الممكنة وقتئذ . وكانت جمعية



لطفي الحفار يهمس .. والدكتور ناظم القدسي يصغي .. ووزير الدولة السعودي السيد حسن الشربتلي يفكر .. في حفلة اقامها السيد بشير الدوجي تكريما للسيد الشربتلي في الثالث من حزيران ١٩٥٧

●

النهضة العربية (التي كنت وهؤلاء الشباب من أعضائها) تقوم بانشاء دور القراءة ، والقاء المحاضرات فيها ، حيث انشئت واحدة في الدرويشية ، واخرى في الطابق الاعلى من خان الجمرك ، فكان الخوري والشهبندر والعسلي والكرد علي يلقون فيها بعض الدروس والمحاضرات وقد شغف بهم الكثير من المستمعين .

كان فارس الخوري عهد ذاك ، المسيحي الوحيد الذي يساير هذه النهضة الاصلاحية العامة ، والذي كان يشارك اخوانه في اعمالهم ومشاعرهم القومية الوطنية ، فيعجبون بقوة ذاكرته ، واستشهاده في كثير من الاحيان بآيات من القرآن الكريم ، وكان فارس الخوري يقول انه لا يمكن فهم اللغة العربية واعجاز بيانها الا لمن استطاع دراسة القرآن الكريم دراسة فهم وتعمق . وهكذا كان أخوه المرحوم **فائز الخوري** ، الذي حذا حذوه في دراسة القرآن واللغة العربية وعرف بقوة بيانه وخطاباته .

وهكذا بقي فارس الخوري مرتبطا في حياته الاولى مع هذا الفريق



من الرعيل الاول الذي قام بالحركة الاولى الاصلاحية ، في هذه البلاد،وبث الدعوة للقومية العربية ، وحارب فكرة تتريك العناصر التي كانت تقوم بها جمعية الاتحاد والترقي .. وكان له بعض الاثر عندما كان عضواً في مجلس النواب العثماني ووزيراً في عهد فيصل ، حيث كان يدعو الى معالجة الامور، **دائما ، بالحكمة والاناة .**

وبما انني ، لست في سبيل تفصيل حياته السياسية ، فانني أكتفي هنا بذكر مآثر له ، كنت أحد شهودها ، بعد احتلال فرنسا لسورية .

أولى مآثره في عهد الانتداب :

بعد احتلال الافرنسيين للبلاد ، قاموا باقرار بعض القوانين الاقتصادية والجمركية المنافية لمصلحة البلاد فتألف وفد من كبار تجار دمشق لمطالبة الافرنسيين بالغاء بعض هذه القوانين وادخال بعض الاصلاحات

وذلك في عام ١٩٢٢ .. واتفق راي الغرفة التجارية على دعوة فارس الخوري لاخذ رأيه وتكليفه بوضع لائحة مفصلة معززة بالارقام تبين مدى الاضرار اللاحقة بالصناعة السورية وتجارتها بالنسبة للبلدان المجاورة التي كنا نصدر اليها مصنوعاتنا وتجارتنا كتركيا والعراق وفلسطين ، فوضع رحمه الله لائحة مطولة لم ينس فيها ان يعرض بشدة بسوء نية واضعي هذه القرارات او جهلهم المؤدي الى ايقاع الضرر بالاقتصاديات السورية ، ووقع على هذه اللائحة معظم تجار دمشق ، ثم ذهب وفدهم (وكنت امين سره) الى بيروت ، وقدمها الى (المفوضية الفرنسية) التي اهتزت اركانها لها ، فأوفدت المسيو ديريفي امين سر المفوضية العليا الى دمشق ليجتمع الى موقعي هذه اللائحة فكان قصارى همه معرفة من قام بوضعها ومن عمل لاجلها ولكنه لم يفلح بسبب تضامن التجار في المسؤولية امامه واصرارهم على انهم هم الذين قاموا بهذه (المعارضة) من تلقاء انفسهم من اجل مصلحة بلادهم . وبعد جدل عنيف ، اضطر الى تعديل بعض هذه القرارات بما يخفف بعض الاضرار ، وبالرغم من معرفة الفرنسيين فيما بعد لواضع اللائحة ، والقائمين عليها ، فانهم لم يستطيعوا الانتقام من احد خوفا من اثارة الراي العام وهم بعد في اول الاحتلال ..

المأثرة الثانية .. فضله بجر مياه عين الفيجة الى دمشق :

وفي ذلك الحين ، قام رئيس الغرفة التجارية **المرحوم عارف الحلبوني** ونائبه كاتب هذه السطور ، بدعوة رجال المال والاعمال للبحث في تأليف شركة مالية مساهمة لاجل طلب امتياز جر مياه عين الفيجة الى منازل مدينة دمشق وذلك بعد ان علمنا ان بعض الشركات الافرنسية تعمل في الخفاء مع المفوضية العليا لاخذ مثل هذا الامتياز على اسلوب راسمالي استثماري .. وحيث ان هذا الكتاب قد احتوى تفصيلا كافيا لهذه المأثرة فانني اكتفي بالاشارة الى ان هنالك عقبات ومتاعب وعراقيل وضعت امام المشروع من الفرنسيين وحكوماتهم ولكن الله كان في عون العاملين المخلصين .

في حزب الشعب :

وثالثة .. من مآثره في ايام الاحتلال الاولى .

انه قام فريق من العاملين الوطنيين بالدعوة الى تأسيس حزب سياسي يقوم بالدعاوة لمطالب البلاد الوطنية ، وفي شهر حزيران ١٩٢٥ احتفل في دمشق بافتتاح (حزب الشعب) حيث تكلم كل من **فارس الخوري وعبد الرحمن الشهبندر واحسان الشريف** ، وقد احتوت كلمة

فارس الخوري على شرح لمبادىء هذا الحزب ارى من الفائدة سردها هنا باختصار ويا حبذا لو امكن اعادة طبع هذه الخطب وحفظها للتاريخ ..
يقول المرحوم فارس الخوري :

ان دستور العمل الذي اتخذه حزب الشعب خطة له يندمج في الاغراض الستة المدرجة في المادة الاولى من قانونه الاساسي :

اولا : تحقيق السيادة القومية والحكم الشعبي ، والسيادة القومية تنفي حكومة الفرد المطلقة ، وتؤيد الحكومة الدستورية المقيدة ، ويختار مجلس المؤسسين احد اشكالها المعروفة .

ثانيا : وحدة البلاد السورية بحدودها الطبيعية ، والسياسة الحاضرة قضت على سورية بالتقسيم والتجزئة ، وشطرت منها جزءا كبيرا في الجنوب (يقصد فلسطين) وضعته في ايد اخرى ، كما بترت منها اقساما في سائر الجهات ، وقطعت اوصال الجسم الواحد .. فحزب الشعب يعتقد ان البلاد السورية ضمن حدودها الطبيعية مأهولة بشعب واحد تجمعه روابط الجنس واللغة والعادات والاخلاق .

ثالثا : ضمان الحرية الشخصية بأنواعها وهذا حق بديهي اجمع عليه العلماء والمؤلفون حتى اصبحت هذه الحرية الشخصية مقرونة بحق الحياة، ونحن نطلب ان يكون لنا قوانين تصان فيها الحريات العامة والخاصة ، وان تكون هذه القوانين نافذة ومحترمة .

رابعا : تدريب البلاد نحو سياسة اجتماعية ديموقراطية مدنية ، وهو الهدف العملي الذي يرمي اليه حزب الشعب ، والفكرة الديموقراطية المؤيدة لقاعدة المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع الطبقات دون السماح لطبقة ان تمتاز على غيرها في الحقوق العامة ، والفكرة المدنية القاضية بحرية الاعتقاد وتجرد الدولة عن الترجيح بين المذاهب الدينية ومقاومة الاخلال في الفة العناصر واتحادها او ثلم مبدأ المساواة .

خامسا : حماية الصناعة الوطنية وانماء موارد البلاد الاقتصادية ، فمن اغراض حزب الشعب السعي لاطلاق يد الحكومة السورية في نظام الجمارك لتفرغه بشكل ينشط الانتاج الوطني ويحفظ للشعب السوري امواله التي يدفعها للخارج وانماء موارده الاقتصادية بالافادة من ثروة البلاد الطبيعية ، كالمعادن ومهابط المياه وطرق المواصلات والمرافيء وهذا لا بد له من رؤوس اموال كافية ويمكن الاعتماد على رأس المال الاجنبي ضمن قاعدة تبادل المنفعة دون تسلط او تمييز .

سادسا : توحيد نظام التربية والتعليم في البلاد السورية وجعل التعليم الابتدائي اجباريا وعاما وهذا النظام سواء كان في المدارس الخاصة او في المدارس الحكومية تجري وحدته وقوانينه مع مصلحة البلاد .. واذا شئت ان تعرف مستقبل امة فانظر الى نظام التربية والتعليم فيها لان رجالها الذين لهم ايامها المقبلة ينشأون على ما اوجده هذا النظام .

وبعد ان شرح المرحوم فارس الخوري هذه المباديء الستة في خطابه شرحا وافيا قال :

هذه هي الغايات التي وضعها حزب الشعب دستورا لعمله وآلى على نفسه ان يسعى السعي الحثيث لتحقيقها والوصول اليها بالسرعة المستطاعة وقد أوضح في المادة الثانية من دستوره انه يسعى لتحقيق مبادئه بالطرق القانونية وهي الوسائل المشروعة التي يجيزها القانون .

وهذا الحزب ضم خيرة رجالات الوطنية العاملين في البلاد امثال فقيدنا المرحوم **فارس الخوري والزعيم الكبير المرحوم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر والوطني العامل المرحوم جميل مردم بك والمرحوم احسان الشريف ، ومن الاحياء دولة الوطني الكبير حسن الحكيم وكاتب هذه السطور** واخرين من جميع المدن السورية .

وما كاد هذا الحزب يبدا أعماله حتى كاد له الاجنبي الجاثم في البلاد وعرقل اعماله وبدا يتهم رجاله بشتى التهم مما اضطر معظمهم الى النزوح عن البلاد واعلان المقاومة السلبية السافرة ضد فرنسا وما لبثت ان نشبت الثورة السورية العامة فكان معظم رجال حزب الشعب من اركانها ، وحينما جاء المفوض السامي الفرنسي الجديد **المسيو دي جوفنيل** كان لفارس الخوري معه مواقف مشهودة حينما كان يبحث معه ومع **هاشم الاتاسي وسعد الله الجابري ونجيب الارمنازي وكاتب هذه السطور** حيث اتفق ، بعد اخذ ورد طويلين ، على وضع برنامج سياسي مفصل جعل فيما بعد بيانا وزاريا لحكومة الداماد **احمد نامي** . نجد ان من مصلحة التاريخ السياسي الوطني ان نأتي هنا على نصه (ذلك ان وفدا من الوطنيين ، مؤلفا من **الامير امين ارسلان وفوزي الغزي وعفيف الصلح وكاتب هذه السطور** قد ذهب الى مقر الثورة السورية في عري بجبل العرب وهي مقر امراء الطرشان وعقد فيها اجتماعات مع رجال الثورة السورية بحث فيها بشأن ما ورد في هذا البرنامج المتفق عليه مع المفوض السامي ووافق عليه معظم رجال الثورة معلنين استعدادهم لانهاء حالتها اذا ما تعهدت فرنسا بتطبيقه عمليا فكان ان

عاد الوفد الى دمشق وبعد مذاكرات مع دي جوفنيل تم الاتفاق على تطبيقه بواسطة حكومة يؤلفها الداماد احمد نامي يكون من بين اعضائها ثلاثة من الوطنيين ضمانة لتطبيق هذا البرنامج واشتركنا في حكومة الداماد على هذا الاساس وكان **هاشم الاتاسي وابراهيم هنانو وفوزي الغزي وسعد الله الجابري** وغيرهم من الشباب الوطني مؤيدين لنا ومن ثم جاء المسيو دي جوفنيل وخطب باسم فرنسا موافقا على البرنامج الوطني الآنف الذكر الذي اعتبر بيانا وزاريا لحكومة الداماد كما اسلفنا وفي ما يلي نص البيان :)

البيان الوزاري لحكومة الداماد :

غير خاف على احد ما بلغته الكارثة الحاضرة من ايقاع الدمار والبلاء في هذا الوطن السوري المحبوب فقد تواترت عليه المصائب المفجعة في الاشهر العشرة الماضية حتى كادت تقوض ما بناه لنفسه من آثار الحياة والعمران ، وبات الحذر شديدا من الاتيان على ثمرات جهود الاجيال السالفة والجيل الحاضر .

قد اصبح الموقف رهيبا وكاد يقضي على شعاع الامل بالخروج من هذه المآزق الضيقة ولم يعد منصب الحكم والولاية يستهوي احدا في هذه الايام العصيبة .

عندما دعينا لتسلم ازمة الادارة في سورية ، وقفنا برهة موقف التردد والحيرة . متهيبين اقتحام هذه الغمرة وقبول ما فيها من التبعة ونحن عالمون ان انهاض هذا الوطن من كبوته واقالته من عثرته يحتاج الى مفاداة ابنائه ومغامرتهم بأشخاصهم .

نحن نعلم ان للامة السورية حقوقا مشروعة تريد احتيازها وتعتمد في نيلها على قوة الحق التي لا تغالب وبحسب هذه العقيدة ما زلنا من القائلين بوجوب العمل بالطرق الدستورية والوسائل القانونية ، ومهما كانت نتيجة الثورة الحاضرة لا تتبدل امانينا الوطنية ، ولا تضعف عزائمنا عن متابعة قضيتنا والمطالبة بحقوقنا بالطرق السلمية المشروعة تلك الاماني التي كانت الامة تسعى وراء تحقيقها منذ عهد قديم .

جاء المسيو دي جوفنيل المفوض السامي واعلن انه قادم لانالة الشعب حقوقه وقد مرت بضعة اشهر والمفاوضات تجري بينه وبين السوريين لايجاد اسلوب ملائم تحل به المشكلة الحاضرة بانالة السوريين حقوقهم وازالة اسباب

شكاواهم .وهو معدود من نوابغ الافرنسيين ومشبع بروح الحرية والانصاف وله في جمعية الامم مواقف كثيرة تؤيد له مزايا بارة في نصرة الحق وتأييد العدل .

قبل ان وافقنا على تلبية الدعوة بتأليف حكومتنا الحاضرة ، وضعنا امامنا في ساحة التأمل .والاعتبار امورا كثيرة تتناول قوة الحق في جانب قضيتنا والوعود المكتوبة والشفهية التي تلقيناها من فخامة المفوض السامي وشخصية هذا العميد البارزة في العالم الاوروبي مع الثقة المتبادلة بينه وبين حكومتنا السورية ولزوم الاعتماد المتقابل والتعاون الحقيقي بيننا وبين الافرنسيين لنتمكن من الاستفادة بعملهم وخبرتهم ولتعود الى البلاد سكينتها وسلامتها .وما ادى اليه فقدان الثقة ومساوىء الادارة الماضية من خراب بلادنا وتدميرها وخطأ الموقف السلبي حيال كوارث البلاد الحيوية والاقتصادية وحيال الامن المضطرب والاموال المندثرة والدماء المسفوحة .

بعد ان تأملنا كثيرا في هذه الامور وقابلناها مع معكوساتها في الكفة الاخرى ، قضى علينا العقل والغيرة الوطنية ان نستخير الله ونعالج هذا الامر ونحن معتمدون في نيل النجاح على مؤازرة الشعب السوري الكريم وتأييده في هذه المهمة الشاقة .وقد عاهدنا انفسنا ان لا نجازف بشيء من حقوق الامة المشروعة .

ان حكومتنا قد اتخذت قاعدة لاعمالها البرنامج الآتي تسعى لتحقيقه :

١ ــ دعوة الجمعية التأسيسية لتتولى سن دستور البلاد على قاعدة السيادة القومية .

٢ ــ تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية لمدة ثلاثين سنة تبين فيها الحقوق والواجبات والعلائق المتقابلة بين الامتين مماثلة للمعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق ولا تكون هذه المعاهدة نافذة الا بعد تصديقها من البرلمان السوري ، ويحتفظ فيها لفرنسا بالنفوذ السياسي والرجحان الاقتصادي فقط على شرط عدم الاخلال بالسيادة القومية .

٣ ــ تحقيق الوحدة السورية بالوسائل التي باشرنا باجرائها منذ الان وستظهر للامة نتائجها المثمرة في القريب العاجل ان شاء الله .

٤ ــ توحيد القضاء النظامي على قاعدة السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والاجانب معا .

٥ ــ تأليف جيش وطني بحيث تتمكن القوات الفرنسية من الجلاء التدريجي عن البلاد .

٦ ـ طلب ادخال سورية في جمعية الامم واعطائها حـــق التمثيـــل الخارجي اسوة بالعراق .

٧ ـ درس اصلاح النظام النقدي الحالي واعادة الاساس الذهبي فـي عملة البلاد الرسمية بصورة تدريجية .

٨ ـ استحصال العفو العام عن جميع اصحاب الجرائم السياسية مـع الاحتفاظ بالحقوق الشخصية .

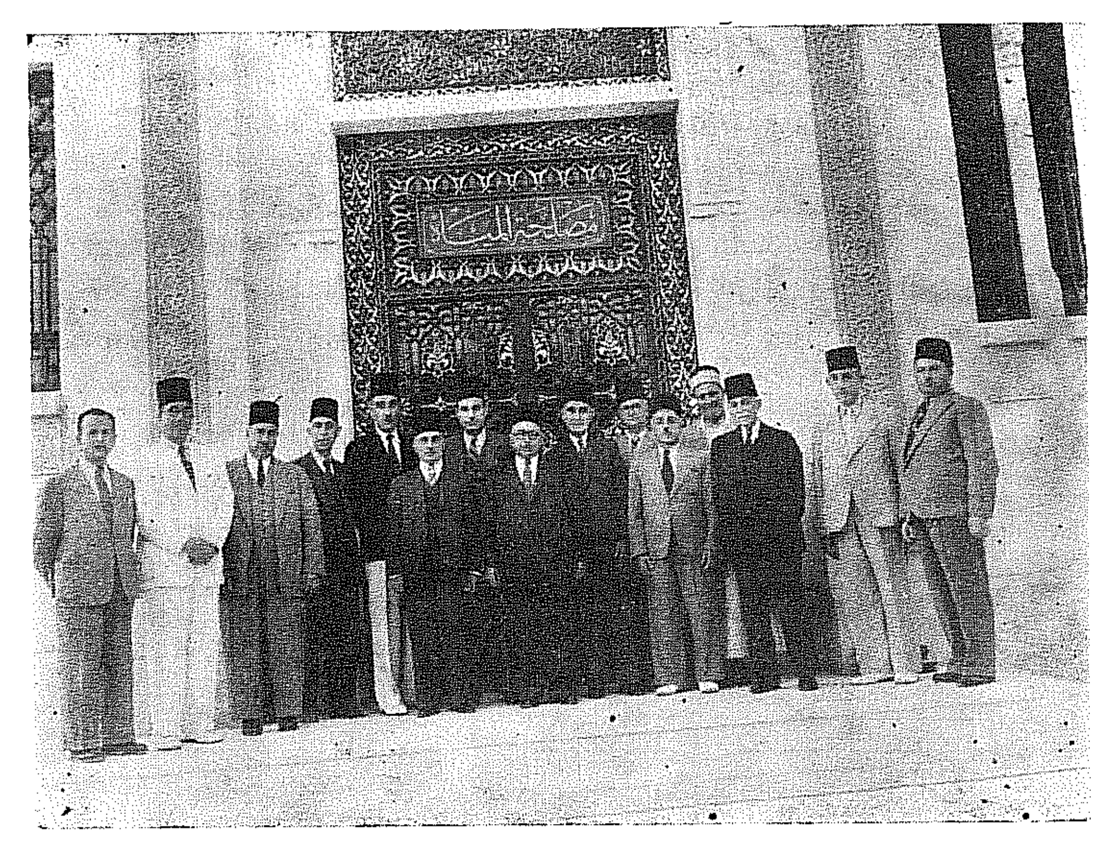
٩ ـ استحصال قرار بالغاء الغرامات الحربية عن دمشق وغيرها .

١٠ ـ ايجاد طريقة للتعويض على منكوبي الثورة .

هذا هو الهدف الاصلي من برنامج حكومتنـــا الموقتة لاعـادة السلام وتحقيق اماني البلاد السورية بالسرعة الممكنة ، ولما كان هذا البرنامج يحقق قسما كبيرا من الاماني الوطنية وحقوق البلاد فاننا نرجو من الامة السورية الكريمة مؤازرتنا لنتمكن من تنفيذه بأقرب وقت مستطاع ، والله مـن وراء القصـــد .

من الوزارة الى المنفى :

ومعلوم ان هذا البيان كان من وضع زميلنا فارس الخوري ، ولم نلبث غير قليل حتى سافر المسيو دي جوفنيل الى فرنسا علـى ان يعود بعـد اسبوعين ليطبق هذا البرنامج ولكن حضرته لم يعد ووردت الانباء بأنه قـد اصطدم مع وزارة الخارجية الفرنسية التي لم تقره على خطته فاستقال مـن منصبه ، وبدأت العراقيل توضع في طريقنا . وما لبث ان اجتمع بنا **الجنرال اندريا** قائد الجيش الافرنسي والمسيو **بيير آليب** نائـب المفوض السامـي واخبرنا الجنرال اندريا بأنه ـ بعد استقالة المفوض السامي ـ يجـد نفسه مضطرا الى استعادة حريته في عمله العسكري وان يضرب الثائرين اينمـا كانوا (وكان الاتفاق بيننا انه ما دمنا في الحكومة فـلا يستطيـع الجيش الافرنسي ضرب الثائرين رغبة منا في انهاء الثورة بالطرق السلمية) فحصل بيننا جدل عنيف واذكر انني ضربت الطاولة بشدة ، بقبضة يـدي ، فقفزت المحبرة لتريق موادها على بزة الجنرال العسكرية البيضاء فبلغ بـه الغضب مبلغا عظيما ، وكان ذلك في دار الحكومة ، وعلى الاثر قدمنا نحن الثلاثـة (**فارس الخوري وحسني البرازي وكاتب هذه الاسطر**) الذين كنـا نمثل الجانب الوطني استقالتنا من الوزارة . . وبعد سويعات قليلة اجتمعنا مـع



اعضاء لجنة مياه عين الفيجة في سنة ١٩٤٣ يتوسطهم المراقب العام السيد لطفي الحفار وهم من اليمين الى اليسار :

اديب الروماني ، خالد سعيد الحكيم ، محمد علي العمري ، رشيد قدة ، عبد الوهاب القنواتي ، المهندس وجيه الجابري ، حسني المهايني ، لطفي الحفار ، عارف حمزة ، رشيد الطرابيشي ، حسني البيطار ، مسلم السيوفي ، محمد مدني الحفار ، الدكتور سامي الميداني ، الدكتور زكي الجابي .

والجدير بالاشارة ان السيد لطفي الحفار كان مفروضا ان يبقى مراقبا عاما لهذه المصلحة مدى حياته نظرا لفضله الكبير في اتمام هذا المشروع الحيوي البالغ الاهمية وحسن اشرافه على تنفيذه ولكن احد العهود العاقة الجاحدة التي تعاقبت على البلاد فيما بعد انهت خدماته في هذه المؤسسة بصورة تجافي الحق والمنطق ، والعدالة والقانون ، بل انها منعت حتى الاستفادة من مشورته وخبرته التي يقدمها مجانا بمنعها لمدير المؤسسة وموظفيها الكبار من زيارته وهذا مما يؤسف له حقا . الا ان التاريخ لن يغمط حق هذا الرجل الكبير وسيسجله في عداد الخالدين .

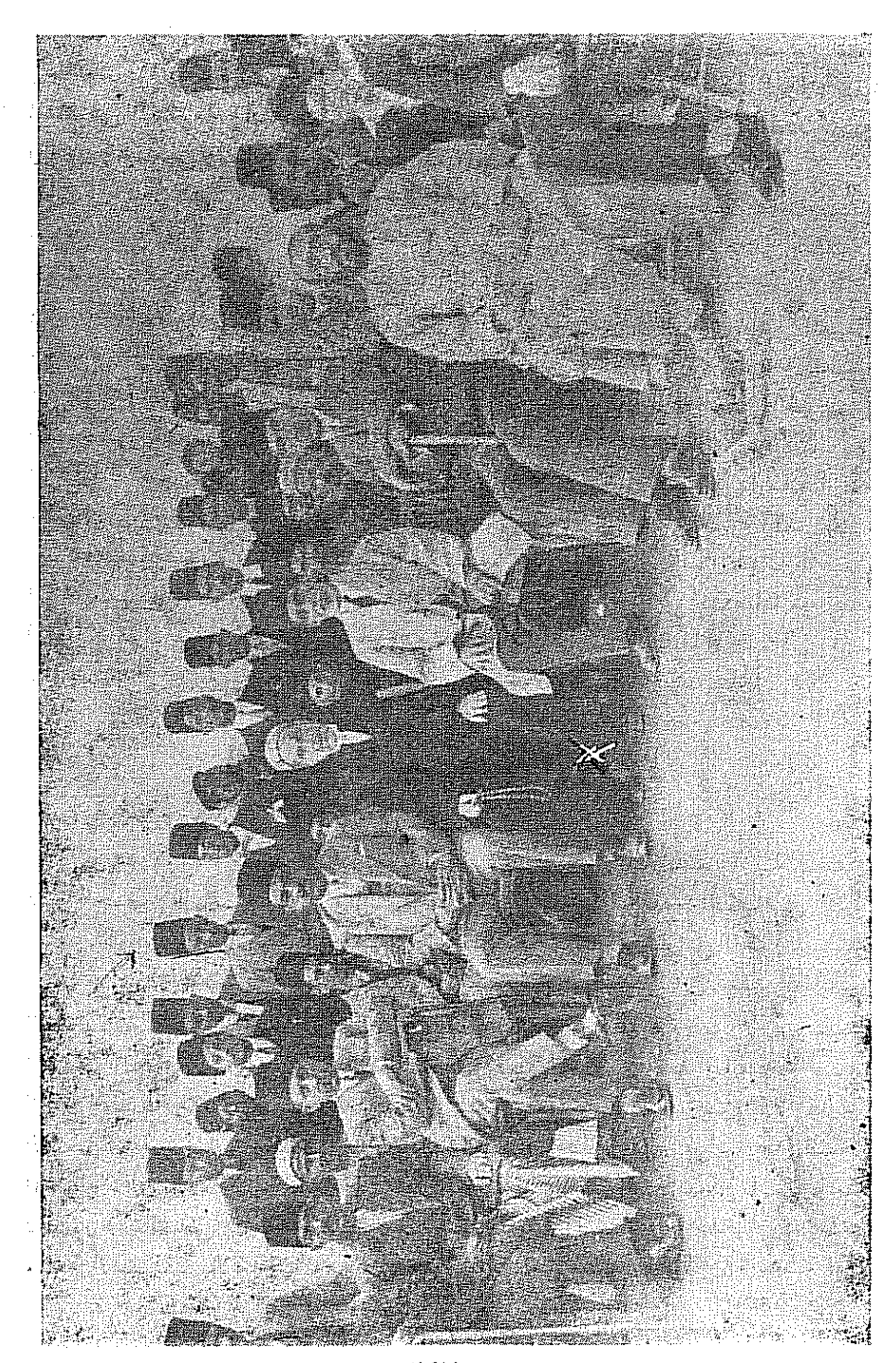
بعض اخواننا الوطنيين في فندق خوام للمذاكرة في الامر .. وبينما كنا مجتمعين ، اذا بقوة عسكرية تعتقلنا نحن الثلاثة الوزراء وتعتقل معنا السادة **سعد الله الجابري وفوزي الغزي وبدر الدين الصفدي واديب الصفدي من** الصحفيين الوطنيين وتذهب بنا ضمن حراسة مشددة الى الحسكة (عن طريق حمص فتدمر فدير الزور) وكان وصولنا اليها في اليوم التالي .. وقد جرى هذا دون علم احد من أهلنا واصدقائنا الذين استبد بهم القلق حينما افتقدونا ولم يعلموا شيئا عن مصيرنا الى ان تمكنا من الاتصال بهم بواسطة بعض اخواننا في دير الزور **كالحاج رشيد العزاوي وحسن المحمد الجاسم ومحمد نوري الفتيح** وغيرهم وهؤلاء ظلوا طيلة مدة نفينا في الجزيرة ، اداة الاتصال الوحيدة مع أهلنا بدمشق وذوي قرابتنا ، كما انهم كانوا ينجدوننا على الدوام ببعض الحاجات الضرورية والفواكه والخضار والثلج الاصطناعي الذي لم يكن يصلنا الا ويكون قد ذاب اكثر من نصفه .. ولولا هذه النجدات .. لكانت حياتنا باشد حالات الضيق والضجر حيث كانت وسائل الحياة مفقودة في تلك المنطقة تماما .

هذا وان السلطة العسكرية بدأت ــ بعد اعتقالنا ونفينا ــ بضرب مواقع الثوار والجبل والغوطة ودمشق واطرافها بالمدفعية الثقيلة والطائرات وكنا نتساءل كيف يطيب لهؤلاء الوزراء الذين حلوا محلنا مع الاخرين والذين

المغفور له الحاج رشيد افندي العزاوي وقد اشير تحته باشارة × يتوسط عدداً من وجوه ورجالات دير الزور عام ١٩٢٢ في صورة تذكارية نشرتها مجلة اللطائف المصورة المصرية في حينها ، وقد ظهر عن يمينه ، الحاج محمد العايش فالحاج محمد صالح الهنيدي فالحاج محمود السليمان ، وعن يساره السيد عمر عبد العزيز بشار فالسيد علي صائب الفرحان فسماحة العلامة الشيخ محمد سعيد العرفي .. كما ظهر في الصف الثاني وراء كتف العرفي الايسر ، السيد حسين جاهد حديدي ، ووراء كتفه الايمن ، السيد حسن الخلوف الصباغ ، ووراء كتف علي صائب الايمن ، الحاج عبد القادر العزاوي ووراء كتف عمر بك ، السيد مخلف العبد الحميد الصباغ وظهر وراء كتفي الهنيدي والحاج محمود ، الحاج صالح الكنامة.

ووراءهم وقف عدد من شباب نادي الفرات الادبي يتوسطهم رئيس النادي الاستاذ ثابت العزاوي وقد اشير اليه بسهم ، وعن يمينه السيد بدر الدين صباغ وعبد الوهاب العزاوي وحسن العزاوي ، وعن يساره الدكتور آصف صائب ثم نافع العزاوي واسماعيل العاني والدكتور عزت الخاير الطلفاح وتوفيق الشيخ عطية واخرين .

والجدير بالذكر ان الحاج رشيد العزاوي هو جد المؤلف محمد الفرحاني لجهة والدته وهو الذي تولى تربيته في طفولته .



سبق ودخلوا معنا على اساس البرنامج السياسي الذي تنكر الفرنسيون لــه ولم يعترفوا به ، وكان فارس الخوري يصيح ويقول (**كيف يطيب لهؤلاء هذا المقام في الحكومة وابناؤهم ورجالهم ونساؤهم واطفالهم يضربون بالحديــد والنار وهم على وسائد الوزارة الهزيلة المحتقرة جالسون وباقون ؟!**) وكنــا نقول : (ياما احلى ما نلاقيه في سبيل مقاومة هذا الاجنبي مهما كلفنا مــن تضحية وجهد !!) ولقد كانت اقامتنا في الحسكة فــي اثناء فصل الصيف حيث تبلغ درجة الحرارة في الظل ٤٧ درجة مئوية وكانت الحياة فيها بدائية ولا يقطنها الا بعض المهاجرين من الاكراد ، والآشوريين النازحين مــن العراق وجميع هؤلاء كانوا في حالة يرثى لها من البؤس والمسغبة ، وقــد اصيب فارس الخوري بالمرض لتأثير الحر به ، ثم انه ، لكثرة زيارة القبائل العربيــة المقيمة في بادية الجزيرة ، وشيوخها لنا ، خشي الفرنسيون العاقبة فنقلونــا الى قرية اميون في لبنان الشمالي وهي قرية مرزغية ، اقمنا فيها مدة اربعة عشر شهرا ، وفي اميون ايضا ، شعر فارس الخوري بانواع مــن الامراض ، كان معظمها بسبب الحالة النفسية من ضيق هذا الاعتقال وطول مدته ، فنقل الى مستشفى (اوتيل ديو) في بيروت وكنت اقول له : (لن يشفيك من هذه الامراض والاعراض الا العودة الى دمشق) وهكذا كان .. فانه مــا ان افرج عنا وعدنا الى دمشق حتى استعاد فارس الخوري صحته ونشاطه .

الجمعية التأسيسية الاولى :

وبعد عودتنا مباشرة دعيت البلاد السورية الى انتخابات عامــة انبثقت عنها الجمعية التأسيسية الاولى لتطبيق بعض مواد البرنامج السياسي الذي سلف ذكره .. وكان هنالك قانون للانتخابات يحــرم فارس الخوري مــن ترشيح نفسه لعضوية هذه الجمعية بسبب عدم تخصيص اي مقعد للطائفــة البروتستانتية التي ينتمي اليها بسبب قلة عدد افرادها في سورية ، ويقيني ان هذا الحرمان كان موجها ضد شخصه قبل ان يكون ضد طائفته ، لهــذا كانت القضية مبعث اهتمام اخواننا الوطنيين لدرجة كادت تؤدي الى مقاطعة الانتخابات من قبلهم وكانت اجتماعاتهم تعقد في داري .. فراينا بعد طــول المداولة ، ان هذه الانتخابات قد انتظرتها البلاد طويلا حتى تتمكن مــن وضع دستورها بالشكل الذي يطمئنها على مستقبلها واقــرار وحدتها وسيادتها وعدم الاعتراف بالانتداب وما جره على البلاد من انظمة وقوانين ، ومــا لبث

الوطنيون ان اصدروا بيانا وضعه فارس الخوري ووقعـــه **هاشم الاتـــاسي**

وابراهيم هنانو وفارس الخوري ومظهر رسلان وفوزي الغزي واحسان الشريف وسعد الله الجابري والطبيب عبد الرحمن الكيالي ولطفي الحفار واحمد اللحام واخرون .. في الصفحة السابقة نص زنكوغرافي له .

تاريخ طويل :

واجتمعت الجمعية التأسيسية فانتخبت **المغفور له السيد** هاشم الاتاسي رئيسا لها كما انتخبت الزعيم المجاهد ابراهيم هنانو رئيسا للجنة الدستور وفوزي الغزي مقررا لهذه اللجنة .. وحينما تم وضع الدستور وبدأت الجمعية التأسيسية بدراسته واقراره جاء **المسيو موغـرا** امين سر المفوضية الفرنسية العليا ، موفدا من قبل المفوض السامي المسيو هنري بونسو وطلب حذف ست مواد من الدستور فرفضت الجمعية هذا الطلب فما كان من السلطة الافرنسية الا ان اوقفت اعمالها ..

وتألق نجم فارس الخوري حينما اضحى عميدا للكتلة الوطنية التي تابعت اعمالها في مقاومة الاجنبي وعرقلة مساعيه في جميع الادوار التي مرت على سورية ، وحينما ذهب كنائب لرئيس الوفد السوري المفاوض الى باريس .. وبرز بروزا عظيما في كافة الاحداث التي توالت من بعد ذلك على البلاد منذ سنة ١٩٣٦ حتى سنة ١٩٤٩ . فكانت مواقفه كلها ، سواء بترؤسه للمجالس النيابية ، ام بترؤسه للوزارة السورية والوفد السوري لدى هيئة الامم المتحدة ، تدل على عبقريته ومرانه السياسي ، .. وفي هذه السنين التي اعقبت الانقلابات حتى سنة ١٩٥٨ وفي ايام طغيان وخداع جمال عبد الناصر ، كنت بعيدا عن هذه الاحداث وكان هو ايضا بعيدا عنها في اغلب الاحيان ولم يكن له من عمل الا النصيحة والتحذير لمن يراجعه لاخذ آرائه ، وكان من جراء ذلك في هذه الحقبة ، ضياع ما حققته البلاد بفضل جهادها وتضحيات رجالها اصحاب السابقة ، وفي مقدمتهم الفقيد الغالي ، الى ان تم الخلاص من الدكتاتورية والارهاب، وكان رحمه الله يعاني المرض والاوصاب .. ورغما عن ذلك ، فانه كان يهتم ويسأل ويبحث ويبدي آراءه ويرجو لبلاده الصلاح والسداد الى أن اختاره الله الى جواره .

وختاما :

وختاما ، لا ارى بدا من توجيه اصدق عبارات الشكر والثناء الى

الاستاذ محمد الفرحاني على ما الزم به نفسه من تقديم هذا السفر النفيس للمكتبة العربية وهي في اشد الحاجة الى مثله ، والذي يزيد من اهمية هذا السفر في نظري هو ان الاستاذ الفرحاني كان من اقرب المقربين الى صديقنا ورفيق نضالنا الراحل ، كما انني اعلم ان اخانا فارس الخوري كان يحبه ويثق به ويطمئن اليه ويؤمنه على اسراره وخصوصياته وكأنه ابن الثاني له ، واشهد ، انني لمست بالاستاذ محمد الفرحاني من صفات الصدق والوفاء ما هو جدير بكل ثناء وتقدير واكبار ولا غرو فهو من ابناء دير الزور الذين عرفناهم اهل نخوة وحمية ومروءة .. ومودة ووفاء .. رحم الله فارس الخوري رحمة واسعة واسكنه فسيح جنانه وانا لله وانا اليه راجعون .

فارس الخوري .. عربي قدوة

كتب الي رئيس مجلس النواب الاردني (سابقا) **الدكتور مصطفى خليفة** يقول :



رئيس مجلس النواب الاردني (سابقا)
الدكتور مصطفى خليفة

ملأ فارس الخوري قلوبنا واذهاننا ، ايام كنا طلابا في جامعة دمشق ، ولست أبالغ انه كانت تراودني غيرة التمني لو كنت طالب حقوق لا طالب طب . كي اسعد اذ ذاك بما كان يسعد به تلاميذه من لقائه والانتهال من معينه الفريد في الاصالة والشمول والصفاء .

ولم يكن غريبا ان اظل مشدودا الى الرجل عبر جهاده في مختلف الميادين ، وان اظل انظر اليه على انه القدوة في كل ما كان ينتهج .. ولعل السر في ذلك انه رحمه الله كان جادا مخلصا في العمل من اجل قومه وبني وطنه ، وانه كان يتسامى عن الدنايا التي كان يتردى فيها الكثيرون من المشتغلين في الحقل العام ، فكان العربي النموذج ، بل وكان الاستاذ في شتى مفاهيم العمل القومي .

ومن الانصاف لنا وللرجل العظيم معا ، اننا في مؤسساتنا الديموقراطية اذا شئنا لها ان تؤدي رسالتها على احسن وجه ممكن في الشرق العربي ، جديرون ان نظل نستأنس بالاسلوب النير الذي كان فارس الخوري يرعى به البرلمان السوري .. واننا اذا اردنا لمحافلنا العلمية والادبية ان ترتقي وتزدهر وتساير الزمن ، فما علينا الا ان نترسم خطى فارس الخوري في اثارة الهمة المجدية في خدمة العلم والادب ، واننا في معترك وجهات نظرنا في خدمة بلدنا وقضايانا ، لا بد لنا من اقتفاء آداب السلوك في حزبيتنا حتى تطيب الحياة الوطنية ويزكو فيها الجهاد وتثمر الفعالية .. ونحن اذا اتيحت لنا في المحافل الدولية ما اتيح في عهد فارس الخوري ورئاسته في هيئة الامم المتحدة فما اظننا نطمح الى ان نؤكد ذاتيتنا العربية باكثر مما حقق فارس الخوري للذات العربية من ترسيخ في الراي العام العالمي .

وخلاصة رايي في الرجل انه يكون نافعا لنا في مماته بمثل ما كان لنا في حياته .. اذا نحن اخلصنا النية في ان نتخذ منه قدوة نسترشد بها في خدمتنا لامتنا وبلادنا ، اجزل الله له الرحمة والثواب .

كلمة الحكومة السورية

وفي ٢٢ آذار ١٩٦٢ قدم الي **الدكتور محمد معروف الدواليبي** رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية للجمهورية العربية السورية ، كلمته الخطية، التي يقول فيها :

طلب الي صاحب كتاب (فارس الخوري) السيد محمد الفرحاني ان اكتب كلمة حول الراحل العظيم ، والح علي بالسرعة فيها ، فاحترت ، وجل علي المقام ، لان نواحي عظمة فقيدنا الكبير فارس الخوري ، وشخصيته الشهيرة المحبوبة ، لا يمكن ان نستوفيها في كلمات مرتجلة .

فهو الرجل الذي عرفه العالم العربي منذ العهد العثماني مناضلا



الدكتور محمد معروف الدواليبي
رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية
في الجمهورية السورية

ومجاهدا .. ثم تابع نضاله في العهد العربي بعد الثورة العربية فكان في طليعة المناضلين الذين لم يعرف لجوادهم كبوة .. ثم قاد في ما قاد حركة التحرير والنضال في سورية ضد **الاحتلال الفرنسي ، فكان قلادة** العاملين ، وعينهم البصيرة ، وعقلهم الحكيم .. ثم تابع نضاله عقب الحرب العالمية الثانية في سبيل سورية وفي سبيل سائر الاقطار العربية المغلوبة على امرها وخاصة مصر ، حتى اصبح اسمه في جميع الاقطار العربية علما على رجل العلم والجهاد والعروبة ، واصبحت الكلمة عن حياته المليئة بالمفاخر ليست من الكلمات السهلة التي تكتب في جلسة ، وخاصة ممن تتلمذ عليه في كلية الحقوق في دمشق ، وعرف ايضا باعه الطويل في العلم ، وعقله الكبير في البحث !!

ولكنني ذكرت اخيرا كلمة لبعض الحكماء وقد استوصاه ابنه ، فقال الحكيم لابنه : « يا بني !! اذا اردت ان تكون عظيما فاحرص على ان يكون

مأتمك عظيما » وكذلك كان مأتم فقيدنا الكبير رغم ظروف سورية القلقة التي صادفت ايام وفاته ، فقد زحفت دمشق بأجمعها طائعة تودع الراحل العظيم، برئيس جمهوريتها ، ورجال حكومتها ، وقادة جيشها ، ورجال دينها على مختلف الاديان . وابناء شعبها على مختلف الطبقات ، حتى اصبح المأتم من ايام دمشق الخالدة ، التي قل ان يعرف الناس لها مثيلا في العظمة والجلال، واخذ الفخر مأخذه من نفوس ذوي الفقيد العظيم حتى انساهم ذلك انهم في مأتم ذويهم ورجلهم وعمادهم ، كما انني لم اجدا ممن حولي الا وقد تمنى ان يكون له مأتم كمأتم فارس الخوري .

ذلك هو رجلنا العظيم الذي تغيب عنا بعد ان رفع اسم وطنه عاليا في كل مجال ، وترك لنضاله اثرا في كل مكان ، فخلد بذلك مع الخالدين ، ولحق باخوانه من الابرار والمجاهدين .

الشخصية الطود فارس الخوري

وكتب المجاهد العربي الكبير **الاستاذ محمد علي الطاهر** ، صاحب جريدة (الشورى) القاهرية المحتجبة يقول :

الشخصية الطود فارس الخوري ..

شخصية ضخمة فخمة ، لا يمكن الاحاطة بها ووصفها في مجلدات عديدة فكيف في كتاب ؟!!

ذلك ان دراسة شخصية فارس الخوري تحتاج الى كتب عديدة ليشرح كل منها جانبا من عظمته ونبوغه وعبقريته .

فكتاب عن فارس المعلم ، وكتاب عن فارس الخطيب ، وكتاب عن فارس السياسي ، وكتاب عن فارس الشاعر ، وكتاب عن فارس المحامي ، وكتاب عن فارس المحدث الراوية ، وكتاب عن فارس عضو البرلمانات ورئيس البرلمانات ، وكتاب عن فارس رئيس مجلس الامن الدولي ، وكتاب اهم واوسع يرسم صورة خالدة عن فارس الخوري المواطن العربي والانسان .

لولا النقطة التي توضع فوق حرف الخاء من لقب فارس الخوري لكان مقامه عند الامة كرسي رئاسة الجمهورية !!

اعني لو انه كان يلقب بـ (الحوري) او بـ (الجوري) لما زاحمه على سدة الرئاسة احد ، بل كانت تسعى اليه الرئاسة طائعة غير منقادة ، فلو رامها احد غيره لزلزلت الارض من تحته ، ذلك ان دستور سورية ينص على

ان رئيس الجمهورية يجب ان يكون مسلما ، وفارس الخوري ولد مسيحيا ولكنه عربي الاصل والقلب واللسان .

حضرت جلسات وشهدت امسيات مع هذا الفارس الفذ الوقور في مجالس كثيرة فاذا بالجميع دونه بكثير ، فهو اذا تكلم اصغوا ، واذا قال وافقوا او صدعوا ، وان صمت سألوا ، وان اجاب سكتوا ، فقوله فتوى ورايه حجة ، وكلامه فصل الخطاب .

اذا تكلم قوم في المجالس وتكلم فارس الخوري فكلامه هو الحجة ، وان تحدث في العلم فهو العالم الثقة ، وان فتحوا موضوع القانون فهو شيخ اساتذة القانون وامام اهل التشريع ، وان كان البحث يدور حول اللغةالعربية فهو امامها والذائد عن حرمها وحياضها ، وان كان الكلام عن الشعر فهو الشاعر والحافظ والراوية ... اما فنون تفسير القرآن فان اسهم فارس الخوري فيها كثيرة ومكانته عالية وتفسيره لا يبعد عما في الجلالين ، ولا عن تفسير محمد عبده او رشيد رضا .. وهكذا يمكنك ان تقول عن تعمقه في حفظ الاحاديث النبوية ووزنها وتدقيقها فكأن فارس الخوري قد تتلمذ على الامام البخاري او على ابن حجر العسقلاني !

وينتقل بك فارس الخوري الى سمائه عندما تأتي مواضيع التاريخ العربي ، والادب العربي ، والشعر العربي ، ونوادر العرب ، وديوانهم ومآثرهم . فلا تشك بأن فارس الخوري اليوم هو الاصمعي وابن الاثير والطبري والمعري وشكيب ارسلان وابن خلدون في وقت واحد ، بل تظن انه هو ابن خلدون .

ما كنت استطيع مفارقة فارس الخوري كلما ذهبت الى دمشق الشام، فانا ملازمه ومرافق ظله وملاحق مجلسه في كل صباح ومصاحب ندوته في كل مساء ، لاني اجد في قربه والجلوس معه غذاء الروح والقلب والخاطر ومتعة السمع والذهن والفؤاد كما اني اجد فيه الصديق والاب والجليس الانيس والاخ الحبيب في وقت واحد . فهو القريب من القلوب ، المحبب الى النفوس ، وهو الى ذلك رجل مؤدب مهذب رقيق رفيق هادىء لانه كبير بلا تكبر ، في حين انه جبار دون تجبر ، بل انه وديع ، اما ان تعاليت عليه او دعست على طرفه او غمزت من قناته فعند ذلك يغدو فارس الخوري كأنه الاسد الرئبال .. او هو اياه ..

وفارس الخوري ليس طويل القامة ولكنه كان كبير الهامة ، وضخامة الراس ضرورة لازمة لمثله وهو الذي يحيط بما في الدنيا كلها . والطريق



العلامة الاستاذ فارس الخوري في بهو منزله يتحدث الى زواره ، وعن يمينه الوجيه الكبير والوزير السابق السيد بديع المؤيد العظم ، وعن يساره الدكتور اسعد الحكيم فالاستاذ احمد حسين زعيم الحزب الاشتراكي المصري (مصر الفتاة) فالمجاهد العربي الكبير الاستاذ محمد علي الطاهر ، صاحب الكلمة المثبتة من حول هذه الصورة .

شاق على من يريد وصف هذا العملاق العربي ، فالمجال واسع فسيح والبحر عميق . بل ان محاولة فرد من الناس الاحاطة بشخصية فارس الخوري وخصائصها لما يبخسه حقه . . اعان الله الاستاذ محمد الفرحاني على ما ورط نفسه فيه رغم ان الفرحاني قد لازمه ما شاء له الحظ ان يلازمه ورأى منه في كل يوم جديدا وسمع منه طريفا عجيبا ، لان فارس الخوري انما هو عالم بذاته ودنيا باسرها فقد وصلتني الايام في الثلاثين عاما الاخيرة بمعظم رجالات العالم العربي من مشرقه الى مغربه وهم بين شاعر وعالم وبين سياسي وزعيم . فما رايت ابرع ولا المع ولا احلى من كلة تصدر عن جرس فارس الخوري ان تكلم او خطب، ولا اسرع منه بديهة عندما يتجاذب حبل النقاش مع الناس . ولا صادفت افخم منه عبارة عندما ينطلق في المجالس راويا

لتاريخ او مبرهنا على صواب او مدافعا عن حق او شارحا لنظرية فهو اخو مشابر وسيد مجالس لا مثيل له .

لقد كان فارس الخوري حتى الامس القريب امير بيان عصره ، وسحبان زمانه ، ولقمان دهره ، تجلس اليه فكأنك امام تاريخ حي متحرك متكلم . ففضلا عن كونه من ائمة العربية فهو حجة ايضا في اللغتين التركية والانكليزية .

وفارس الخوري مناقش مداور ، مناور مجادل ، من طراز عال رفيع ذو اسلوب وقور انيق ممتاز ، لا يقاطعك ان حدثته ، ولا يصادمك ولا يصول عليك في جوابه ، لانه لقوته وتواضعه وسمو ادبه وثقته بنفسه يعتمد في مجادلتك على الحجة والنص والشاهد ، بدون ان يحاول افهامك بانه اقوى منك او اعلم او احكم ، او انه اوسع منك احاطة بما كان وما يكون ، ولكنك ستدرك من تلقاء نفسك انك لن تشق غباره ولن تستطيع اللحاق بموكبه ولا التحليق معه في عليائه ، ذلك ان فارس الخوري قد دفع ثمن ما وصل اليه من مقام جليل غاليا ونفيسا . دفعه سهرا ودرسا ومتاعب مدة سبعين عاما من الاعوام التسعين التي عاشها وطواها بعزيمته طي السجل للكتاب وكم نام لداته وانداده وهو ساهر لا ينام .

وفارس الخوري ذو وجه جميل القسمات ، وله عينان كانتا في شبابه نفاذتين جذابتين ، مما يدلك على انه كان في صباه بهي الجمال ، فان رايته يتكلم ، رأيت اساريره الحلوة واعصابه الرزينة الهادئة المتزنة تشترك كلها معه في الحديث ، فيغدو ببيانه وصوته الفخم الرنان جذابا للنفوس مالكا للاسماع والابصار والقلوب ، فمن هنا يستطيع فارس الخوري الاستيلاءعلى اقسى المشاعر والاحاسيس في سهولة لا تخطر لك على بال .

وفارس الخوري يصغي اليك ان جلست اليه ، وينصت لك ان حدثته، ويتواضع امامك ان قصدته ، ويخفض لك جناحه دون ان يتكلف التواضع ودون ان يصطنع خفض الجناح وذلك لانه كبير وثقته بنفسه تنأى به عن التكلف والتصنع وهو فوق ذلك رجل رصين مهيب ، كما انه يغضي حياء برغم مهابته .

وفارس الخوري ان جاوبك على سؤال . . شعرت من فوره بسرعة فهمه لامرك ، واحاطته بما يعنيه من شانك ، بجواب منسق متسلسل يتدفق صدقا وحقا وصوابا ، وان ما يقوله لك يصدر عن ذهن صاف مع تنبه تام لكل ما تقول ، حتى انك لا تشك في انه كله معك ، ولا نهمه في الدنيا شيء الا امورك وشؤونك انت دون سواك . فمن هنا وهناك استطاع فارس الخوري

ان يفتن الناس وان يحيرهم ويصبح بخلقه الرفيع سيد جيله .

تسعون عاما من اشق الايام في الدنيا اجتازها فارس الخوري بنجاح، ولكن بعد معارك مع الدهر طاحنة ، وبعد ايام سود جعلها بجهاده وصبره من الايام البيض ، فقد حبس فارس الخوري في شبابه وهو نائب في البرلمان العثماني ، ونفي في كهولته وحبس مرارا وهو وزير في ايام الحكم الاجنبي والاستعمار الفرنسي وقد تحمل هذا العسف بصبر وبصدر رحيب لانه وقع عليه من اجل الوطن فما لان للاجنبي القاهر ولا خضع للمستعمر الفاجر .

كان فارس الخوري في شبابه معلما فمحاميا فنائبا عن سورية في البرلمان العثماني في استنبول ، فوزيرا في العهد الفيصلي فاستاذا في معهد الحقوق السوري فنقيبا للمحامين فنائبا عن دمشق في البرلمان السوري فرئيسا للبرلمان فرئيسا للوزراء ، ولما كان فارس الخوري مطبوعا على تسنم كراسي الرياسات ولم يبق في بلاده رياسة اخرى يصعد عرشها فقد راح الى نيويورك في العالم الجديد فارتقى كرسي رئاسة مجلس الامن في هيئة الامم المتحدة واعتلاه وملأ جنباته كلها وكان ذلك تتويجا دوليا لحياته السياسية .

فارس الخوري .. العظيم

وقال **الدكتور مأمون الكزبري** رئيس مجلس النواب التاسيسي السوري (سابقا) :

ليس الحديث عن فارس الخوري بالسهل الهين اللين ، ولا الالمام بتراثه الضخم الذي خلفه لنا بالمستطاع في اسطر قليلة ، لانه كان عظيما ، وعظمة الانسان من بعض صفات الخالق فهو الذي وهبه العقل الراجح الذي استمد منه الايمان بالله ، والقلب الكبير الذي تدفقت منه وطنيته الصادقة ،والنفس الكريمة التي خلقت فيها الشعور بكرامة وطنه وحريته وسيادته .

كل ما في فارس الخوري يوحي لنا الاعجاب به ، والاكبار لشخصه، والتغني بذكراه ، والتأسي بخطاه . فطلعته المهيبة ، وبلاغته تقارب الاعجاز، واعتداده بكرامته ، واعتزازه بوطنيته ، وثقته بنفسه ، وايمانه بحق وطنه في السيادة والاستقلال ، جعلته في مقدمة رجالات العرب الذين ضحوا بهناءة شبابهم ، وناضلوا نضالا مستعيرا ، وكافحوا كفاحا مريرا في سبيل الوطن العربي ، وعملوا على تحقيقه في ساح النضال الداخلي وفي المحافل الدولية فكان مع اخوان له عضدا قويا ، وسندا متينا في العمل على اجلاء المستعمر



الدكتور مأمون الكزبري رئيس مجلس النواب التأسيسي في مكتبه في البرلمان السوري، وقد وقف الى جانبه محمد الفرحاني .

**

الغاصب عن ارض الوطن العربي . وقد اقترن اسمه الكبير باستقلال سوريه فلا يذكر الاستقلال الا ويذكر فارس الخوري الذي كان من اول بناته ، ولا تذكر الديموقراطية الا ويذكر فارس الخوري الذي كان دعامة كبرى من دعاماتها ، فقد شغل فقيدنا الكبير منصب رئاسة مجلس النواب مرات ومرات فكان في منصبه هذا يرسي قواعد الديموقراطية الصحيحة في نفوس ساستنا الناشئين ، ويقرر تقاليد برلمانية جديدة بما أوتي من علم وخبرة وتعشق للحرية ، وتفهم للعدالة الاجتماعية ، حتى لقد غدت بعض هذه القواعد من تقاليد مجالسنا النيابية المتعاقبة بل ان بعض هذه التقاليد قد ادخلت في صلب هذه الانظمة الداخلية البرلمانية ، وليس هذا بغريب عنه . فقد كان ينبوعا ثرا في التشريع بما أوتي من ملكة طبيعية في الفهم القانوني مما رشحه لشغل اكبر المناصب الدولية حتى سمي عضوا في لجنة القانون الدولي .

انني اذ اذكر فارس الخوري اليوم تتراءى لي نفسه الكبيرة التي لـــم تدنسها الصغائر ، وروحه التي تمردت على الظلم يصيب فردا وينال شعبا ، وشخصيته الفذة التي لم يعرف الحقد اليها سبيلا ، ووطنيته المتفجرة التي عملت في سبيل التضامن الوطني والالفة والمحبة بين المواطنين . هذه المزايا النبيلة ، والصفات الفاضلة ، وهي غيض من فيض ، مما تميزت به شخصية فارس الخوري وجعلته يعيش كبيرا ويموت عظيما .

في الواقع ان حياة فارس الخوري هي تاريخ امة في حياة رجل . فلقد عاش حياة النضال والكفاح منذ الاحتلال العثماني حتى جلاء الاستعمار وبزوغ فجر الاستقلال . ولقد انضمت نفسه الى موكب النفوس التي سبقته ، والتي عاشت خلال حقبة ما ثم اضمحلت فخلفت وراءها مجرد الذكرى ، ولكن ذكرى فارس الخوري متجددة دوما ، باقية ابدا .

ليس من الهين كما قلت ان نفي هذا الرجل العظيم حقه في سطـــور وصفحات ، ومن واجب الوفاء لفقيدنا الكبير ان نذكره دوما كلما ذكرنـــا رجالاتنا الذين اغنوا تاريخنا بالامجاد الوطنية وان نخلده ابدا مع اخوانـــه الذين بنوا الوطن العربي ورفعوا راية القومية العربية . اجزل الله ثـــوابه بقدر ما قدم لامته وعمل في سبيل وطنه .

فارس الخوري

والإسلام

اهـــداء ...

اهدي هذا الفصل .. فارس الخوري والاسلام .. والصهيونيـة .. اذا كان لا بد له من اهداء .. الى رجلين عظيمين .. عرف عنهما بأنهما مـن اعظم الناس تألما لما هو واقع في العالم من المآسي والمهازل .. ولما وصلت اليه الانسانية من الهبوط والتدني .. وانهما .. من أرسخ الحكام العرب عقيدة وأشدهم حماسة واكثرهم اعتزازا بالدين الاسلامي الحنيف .. واصدقهـم عداء لمآتم الحضارة الغربية التي انتزعت منا معشر العرب السيادة العالميـة والقيادة الفكرية والسياسية ، واحرصهم على انتشار الدعـوة الاسلامية .. فحمل اولهما .. وهو الوالد .. رسالة القرآن الذي ارتعشت بـه الجبال وزلزلت الارض .. ولم تزد الثاني وهو الابن .. اطلاعاته على مـا في الغرب من نظم ، واتصالاته باقطاب الشرق والغرب وقادة السياسة والفكر في العالم الا اعتزازا بالاسلام وتضلعا في حب محمد عليه الصلاة والسلام .. وايمانـا



بأن الاسلام هو الرسالة الاخيرة لكل مكان واوان .. بل هي سابقة للزمان .. وان الانسانية في كل طور من اطوار حياتها تجد فيها الغوث والنجدة .. ولم يزده كل ما يراه من متناقضات في هذا العالم الا يأسا من الحضارة الغربيـة التي لا تستطيع ان تحمل نفسها وان تنجد رجالها .. ولـم تزده الايام الا سخطا على قادة الغرب الذين قد ظهر اخفاقهم في حـل المعضلات الانسانية وتجلى افلاسهم في المؤهلات والوسائل التي يحلون بها هـذه المعضلات .. وأعظمها .. الاخلاص والايمان .. ولكنهم لكبرهم وغرورهم لا يعترفون بهـذا الافلاس ولا يبحثون عن مصدر جديد يحلون بـه هذه الازمة التـي حلت بالانسانية كلها بسببهم وينجدون به الانسانية التي تملكـوا زمامها واحتكروا زعامتهـا ...

أسد الجزيرة العربية .. الملك الراحل .. الامام عبد العزيز بن عبـد الرحمن الفيصل آل سعود .. الذي آمن بأن ليس للعرب شرف بغير هـذا الدين فآلى على نفسه ان يحميه من كيد الكائدين ومؤامرات الطامعين وينشر رايته على كافة أصقاع الجزيرة العربية قولا وفعلا .. عقيدة وايمانا ويقينا.. وشبله العظيم .. الامير فيصل بن عبد العزيز العبـد الرحمن الفيصل آل سعود .. الذي صنعته المحاريب الخاشعـة ، فعاش موصول القلب بـرب الارض والسماء .. وطهرته مثله العالية ، من كل شائبة ، فازدانت به فضائل التجرد ، والعفة ، والايثار .. واوحى الينا في سلوكه وفي سيرته ، ان هنالك في جوار الكعبة المشرفة ، وفي حرم الروضة النبوية المطهرة ، وفي أرض بدر والبقيع ، اسلام صحيح قادر على خلق فئات تقية نقية تعيد الينـا ذكريات الصابرين من الصديقين الصالحين ، نافخة من روحها .. من معاني النجـدة والفداء في نفوسهم ، والحكمة والبصيرة في افئدتهم ، فاذا بها حقائق تمـلأ أرجاءنا بل أرجاء العالمين ..

فالى روح أسد الجزيرة العربية الراحل الامام عبد العزيز .
والى شبله العظيم الامام سعود .
والى فتاه الاروع .. ولي عهد مملكته الامين الامير فيصل .
ارفع هذا الفصل من كتابي (فارس الخوري وأيام لا تنسى) .
ففيه .. عبرة .. وحكمة .. وعقل .. يجهر بها أعظم مسيحي عرفـه الشرق في عصره الحديث ..

محمد الفرحاني



فارس الخوري .. والاسلام

الذي عرفته ، ويعرفه كل الناس عن فارس الخوري انه مسيحي متعصب لمسيحيته ..

ولكني عرفت وعرفوا .. الى جانب ذلك انه منصف في آرائه ،متجرد في أحكامه ، عميق في تفكيره ، صائب في نظراته ، وقد جره هذا الانصاف وذلك التجرد والعمق والصواب لان يقول بـ (الاسلام) الذي درسه وتعمق فيه ، حكما ، ومحققا للعدالة الاجتماعية بين بني البشر ..

وفارس الخوري واثق كل الثقة من عدالة الاسلام ومن صحة احكامه اذا ما أسند امر الحكم فيه الى رجال احرار الضمائر والعقول يفنون اشخاصهم ومآربهم في سبيل دينهم وامتهم ..

ولذا رأيته يقول لي ذ ات يوم :

« ان من الضروري تسليم الحكم لجماعة الاخوان المسلمين ليقيموا حكم القرآن والسنة في الامة » !!

قال هذا اكثر من مرة في أحاديث خاصة جرت له معي ..

وقاله في احاديث خاصة جرت له مع غيري من زواره ..

وقاله في نصيحة بعث بها بواسطتي (عن طريق العقيد الركن احمد الحنيدي المدير العام لمكتب نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، القائد العام للجيش والقوات المسلحة) الى المشير عبد الحكيم عامر .

وهو في هذا لا يكتفي بالقاء النصيحة كلمة مجردة ، بل اراه يحلل ويقايس ويقارن بين مختلف الانظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وما يحتويه كل نظام من عدالة يؤملها البشر للعيش بهناءة وسلام .. ثم يخلص الى القول بأن الاسلام كان ولا يزال وسيظل افضلها جميعا . هذا ، اذا اخذنا بعين الاعتبار ان المسيحية خالية من النظم الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية التي لم يشر السيد المسيح (عليه السلام) الى شيء منها الا باشارات عارضة لا تخرج عن كونها جاءت داعية الصفاء الروحي والتهذيب الوجداني والرحمة واللين والتسامح والعفة والزهد وهي تعطي ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، بحيث تهتم بالروحانيات تاركة امر القوانين والنظم والحدود التي يتوجب على المجتمع ان يسير على هداها .. للدولة الرومانية الوثنية ، منذ اليوم الذي نشأت فيه في ظلال تلك الدولة . وما دامت المسيحية قد قبلت تلك النظم التي وضعها وثنيون مشركون .. فلا ضير عليها ولا بأس ان

تغبل بالنظم الاسلامية وقوانينها وحدودها ، خصوصا وان الاسلام يعترف بالمسيحية دينا سماويا وبعيسى بن مريم رسولا ونبيا وبالحواريين تلامذته قديسين وصالحين .

وهو في هذا لا يتكلم عن جهل وعاطفة بل عن عقل وعلم وبصيرة وادراك . .

فهو من اعلم الناس باحكام الدين الاسلامي وافقههم في سيرة النبي الكريم واصحابه الاخيار . .

كتب الي الاستاذ **سامي الكيالي** اديب الشهباء الكبير ، يقول :

(من الاحاديث التي لن انسى اثرها في نفسي ، حديث الاستاذ فارس الخوري – مع الدكتور حسين هيكل (الاديب المشهور ورئيس مجلس الشيوخ المصري سابقا) فقد زرناه قبل بضع سنوات ودارت بين الرجلين العظيمين احاديث طلية في شتى الشؤون التي تثير الامة العربية سواء منها السياسي والقومي والاجتماعي والفكري ، وكانت الكتب التي كتبها هيكل عن محمد وابي بكر وعمر و (في منزل الوحي) موضع حديث اطول ، **وقد دهش الدكتور هيكل دهشا عظيما من وفرة اطلاعه العميق على الكثير من ادق الفترات الحاسمة في تاريخ الاسلام** ، وكانت دهشته اكثر حين كان يسرد النصوص التي يستشهد بها من آيات واحاديث وقصص وشمر وكأنه يقرؤها من كتاب ، وقال لي الدكتور هيكل بعد ان ودعناه ، وقد استمرت الجلسة اكثر من ساعتين ، انني لم اكن اتوقع ان تمتد جذور ثقافته في الاسلاميات الى هذا الحد البعيد ، والواقع ، وهذا ما يعرفه كل من اتصل به (ويقصد فارس الخوري) **انه كان لا يثير موضوعا الا ويدعمه بالحجج والبراهين . وكان رحمه الله الى سعة اطلاعه وعمق ثقافته وبليغ بيانه ، على جانب كبير من الاتزان والكياسة في جدله ومناقشاته ، فاذا احتدم الجدال ، دعم وجهة نظره بالنص اثر النص وبالسند اثر السند الى ان يقنع مجادله مهما كانت شقة الخلاف واسعة .**

علينا ان نثير العاطفة الدينية

وفارس الخوري يرى ، الى جانب هذه العدالة الاجتماعية التي يؤمل تحقيقها لامته مسلميها ومسيحييها عن طريق الاسلام ، يرى اننا نستطيع ان نثير بهذا الاسلام قوى خطيرة جبارة ليس في العالم الاسلامي فحسب وانما

في جميع اقطار الدنيا . فالمسلمون ، بروابطهم الدينية الوثيقة واتجاههم نحو قبلة واحدة وتأديتهم مناسك حج واحدة ، وفروض صيام وصلوات وعبادات واحدة ، وايمانهم بكتاب واحد ، وعملهم بسنة نبي واحد ، انما هم يشكلون امة واحدة متماسكة ، مفروض بها انها تتعاون على البر والتقوى والعدل والاحسان ، وان لم تكن كذلك تنتفي عنها صفة الاسلام، هذه الامة الاسلامية ، اذا ماأثيرت بأفرادها العاطفة الدينية بشكل جيد واحسن تسييرها فباستطاعتها ان تغير مجرى التاريخ !!

يمكن تطبيق الاسلام كنظام

قال لي فارس الخوري ذات يوم في مجلسه بحضور عدد من زواره، ومن بينهم القسيس البروتستانتي داود متري :

« انا مسيحي . ولكنني اجاهر بصراحة ان عندنا النظام الاسلامي. وبما أن الدول العربية المتحدة — كان ذلك في عهد الوحدة المصرية السورية واتحادها مع اليمن — بأكثريتها الساحقة مسلمة ، فليس هنالك ما يمنعها من تطبيق المبادىء الاسلامية في السياسة والحكم والاجتماع !! » .

فقلت له : (ولكن هنالك بعض المسلمين الذين لا يعتقدون بسهولة تطبيق النظام الاسلامي اليوم ويتوجسون خيفة من انهم لو عملوا لتطبيقه دينا ودولة لتألبت عليهم دول الشرق والغرب) .

فأجابني رحمه الله : **(يمكن تطبيق الاسلام كنظام دون الحاجة للاعلان عنه أنه اسلام ،** كما يطبق حكامنا اليوم الشيوعية اولا بأول دون أن يعلنوا لاحد بأنهم انما يطبقون الشيوعية بل نراهم يبتدعون لما يطبقون الاسماء والشعارات والالقاب . ولقد قلت من قبل عقيدتي ويقيني انه **لا يمكننا محاربة النظريات الهدامة التي تهدد كلا المسيحية والاسلام الا بالاسلام..** وان هذا الاسلام هو الذي يحد من نشاط الشيوعية ويقضي عليها القضاء المبرم لان حقائقه تهزم اباطيلها وتدحرها) .

واذكر ان هذا الراي الواضح الصريح ، كان مدار حديث بيني وبين **الاستاذ عصام الدين العطار** عندما التقيت به في مجلس الاستاذ الشيخ محمد محمود الصواف المراقب العام للاخوان المسلمين في العراق عندما لجأ الى سورية في تشرين الاول ١٩٥٩ فدهش الاستاذ العطار وكاد لا يصدق ما أرويه له من آراء الاستاذ الخوري لو لم يؤيدني الاستاذ محمد المبارك الذي كان حاضراً .

مسيحية الغربيين ومهد المسيح

قال لي فارس الخوري ذات يوم : (ان مسيحية الغربيين وتعصبهم الظاهري لها لم تمنعهم من تسليم مهد المسيح وقبره لليهود الذين (صلبوه) في حين أن المسلمين ، على تنوع مذاهبهم ونزعاتهم ، اشد غيرة من اولئك (المسيحيين) على مهد المسيح وقبره من ان تدنسهما اقدام اليهود) .

ليس كالاسلام معالجـا للنفس البشرية

في الثالث من شباط ١٩٦٠ كنا جاوسا في حضرة الاستاذ فارس الخوري ، الوجيه السيد **رضا مردم بك والسيد محمود الصباغ وانا ..** حينما دار حديث عن السرقة ومضارها الاجتماعية وكيف انها مرض منتشر أكثر ما هو منتشر **في مصر** حيث يتوجب على كل زائر لذلك القطر ان يكون شديد اليقظة والحذر خوفامن النشالين . وعزا محمود الصباغ انتشار هذا المرض لضعف العقوبات الرادعة ، فابديت رايي بأن لوطبقت تعاليم الاسلام وعقوباته لقضي على هذا المرض قضاء تاما ، فاستحسن السيد رضا مردم بك رايي هذا ، واستشهد بالحالة التي كانت عليها مملكة **الحجاز** قبل ان يغزوها ابن السعود ويطبق فيها الشريعة الاسلامية وكيف انه طيلة ايام حكمه لم يقطع اكثر من ثلاثين يدا .. وجئنا على ذكر سجوننا وكيف انها عبارة عن مدارس يتعلم فيها روادها فنون السرقة والنشل والاجرام ، فأشرت الى ما سبق من سجني في قلعة دمشق عام ١٩٥٥ اثني عشر يوما تعلمت خلالها من فنون السرقة والنشل والاحتيال ما لو مارسته ، لدوخت رجال الامن سنوات عديدة قبل ان يكتشفوا امري (وكنت سجنت عامذاك بتهمة سياسية) ثم ان معظم المحترفين للاجرام يجدون بالسجن مأوى لهم ومطعما .. وهنا قال فارس الخوري : (ليس كالاسلام معالجا للنفس البشرية ومداويا لكافة الامراض الاجتماعية ومانعا لاستفحال الشر) .

حاجتنا الى (دكتاتورية اسلامية)

وكان فارس الخوري ذات يوم يبرهن لنا على صحة آرائه هذه بالحوادث التاريخية والوقائع الملموسة فقال له **السيد عبد الصمد الفتيح**

الوزير السابق ونائب رئيس مجلس النواب السوري سابقا وكان حاضرا : (... ولكن شعبنا قد انتشر فيه التحلل وفساد الاخلاق وموت الضمير ومن المستحيل تطبيق احكام الاسلام على افراده) .. فأجابه فارس الخوري بقوله : (**نحن بحاجة لحكومة حازمة تؤمن بالاسلام كدين ونظام متكامل وتعمل لتطبيقه . فكما ان الشيوعية تحتاج لدكتاتورية حازمة تشق لها طريق الانتشار والازدهار والثبات ، فالاسلام أشد حاجة لمثل ذلك . ومن ذا الذي يرضى ضميره ويطمئن قلبه الى سلامة امته وكيان بلده وهو يعلم ان التحلل والفساد منتشران لدرجة يصعب معها صدهما وايقاف تيارهما .. ومن ذا الذي ينكر على المسؤولين فيه ، مكافحة ذلك التحلل وذلك الفساد بشريعة هي من تلك الامة ، وفيها ؟!!**) .

لو كان (القانون المدني) اسلاميا

وروى لي السيد مراد زكي المرادي عندما التقيت به مرة في منزل السيد حسن الحكيم رئيس الوزارة السورية الاسبق وبحضور رفاق له كانوا معه ، قال :

في عام ١٩٥٤ زرت الاستاذ فارس الخوري في منزله فكان عنده بعض النواب ، منهم **نعيم الانطاكي وعلي الحياني واحمد قنبر** . وكانوا يتناقشون حول ما يراه فارس الخوري من ضرورة تبني الدولة لتطبيق احكام التشريع الاسلامي بنظام الحكم القائم .وبعد اخذ ورد قال فارس الخوري :

ان خير قانون قدم الى مجلس النواب السوري منذ ان دخلت هذا المجلس ، هو القانون الذي تقدم به المرحوم الشيخ عبد الحميد الطباع نائب دمشق والذي كان عند تقديمه اضحوكة اغلبية النواب لاعتقادهم بعدم امكان تطبيق مثل هذا القانون مع تقدم المدنية في عصرنا الحاضر وكان المرحوم الطباع قد تقدم به ليحل محل القانون المدني) .

واخرج الاستاذ الخوري نسخة من مشروع القانون المذكور يحتفظ بها وعرضها على الموجودين ثم قال لهم مستطردا :

(تذكرون ولا شك عندما تضعون الموازنة العامة للدولة المبالغ الطائلة التي تخصص للامن العام وللشرطة والدرك وللمحاكم كرواتب ونفقات .. فلو طبق الشرع الاسلامي وقطعت يد في حلب مثلا .. وجلد اخر في دير

الزور .. ورجم ثالث في دمشق ، وكذلك في بقية المحافظات لانقطع دابر هذه الجرائم ولتوفر على الدولة ثلاثة ارباع هذه الموازنة) .

واستدرك الاستاذ فارس الخوري يقول :

(في العهد العثماني كان في دمشق ثلاث محاكم شرعية وصلحية تنظر في الدعاوى الجزائية والبدائية وكان قضاة هذه المحاكم يقضون اغلب اوقاتهم في مراكز عملهم بدون عمل .. فاذا قسنا ذلك الظرف وقارناه بظرفنا الحالي وجدنا ان السبب في كثرة المحاكم اليوم يعود الى تدني الاخلاق ، وانتشار الفساد وعدم الاكتراث بما تفرضه الدولة من عقوبات غير رادعة ولا زاجرة ، لعدم تطبيق التشريع الاسلامي في الحكم) ..

يجب تسليم الحكم الى الاخوان المسلمين

وفي النصيحة التي بعث بها فارس الخوري الى المشير عبد الحكيم علي عامر . قال له حرفيا :

« من اجل مكافحة الاساليب الهدامة اعتقد ان وجود الاخوان المسلمين في الحكم ضمان لتحقيق هذه النتائج وتامين الشعب على سلامة عقائده» .

واستطرد فارس الخوري يقول في نصيحته : « من الخطأ القول ، يجب على الاخوان الابتعاد عن المطالبة بالحكم ، بل يجب ان نرجوهم ونلح في الرجاء ليقبلوا الاشتراك في الحكم . انا شخصيا ، كنت كلما دعيت الى تأليف وزارة اسعى جهد طاقتي لادخال واحد من الاخوان المسلمين في الحكم ، ويمكن سؤال محمد المبارك ، كم رجوته ، والحفت في الرجاء ، كي يقبل الاشتراك معي في الحكم بوزارتي الاخيرة عام ١٩٥٤ » .

انسجام الخوري مع الوفود الاسلامية

وقال لي فارس الخوري ذات يوم ، وعلى وجه التحديد في ٧ شباط (فبراير) ١٩٥٩ :

« لو خيرت بين الاسلام وبين الشيوعية لاخترت الاسلام ، فالاسلام هو الدرع الحصين ضد الشيوعية وهذا ما صرحت به مرارا وتكرارا سواء في المحافل الدولية او في مجالسي الخاصة ، فلا حياة للعرب ولا قوة بغير الاسلام .. هذا امر انا اؤمن به . ولقد كنت في هيئة الامم المتحدة منسجما



الاستاذ محمد المبارك الوزير والنائب والعميد الجامعي السابق يصغي الى حديث الاستاذ فارس الخوري في مستشفى دمشق ، وقد شاركه الاصغاء عقيلة العلامة الكبير السيدة اسماء عيد ، ومحمد الفرحاني .

***

كل الانسجام مع وفد الباكستان وغيره من الوفود الاسلامية ، وكان الباكستانيون يدافعون عن قضايانا بأشد من الروح التي يدافعون بها عن قضاياهم ...انهم يحبون العربي حبا عظيما بل يقدسونه تقديسا)) .

رصيد لا يجوز ان يذهب بددا

وختم كلامه لي بقوله : ((**ان في العالم الاسلامي رصيدا كبيرا من القوة المادية والمعنوية لنا معشر العرب ، ومن الخطأ الفادح ترك ذلك الرصيد الضخم يذهب بددا**)) .

وفي هذا ،روى لي سماحة مفتي فلسطين الاكبر ورئيس الهيئة العربية العليا السيد محمد امين الحسيني ، يقول :

في صيف عام ١٩٥٩ ، زار **السيد محمد ناصر** رئيس وزراء اندونيسيا السابق مدينة دمشق واراد مقابلة المرحوم فارس بك الخوري ليشكرهعلى جهوده القيمة في مساعدة اندونيسيا على دخولها عضوا في الامم المتحدة حينما كان رئيسا للوفد السوري هناك . وكان فارس بك حينئذ فيمصيفه في « بلودان » فدعا الرئيسالاندونيسي ومن معه من وزراء وسفراء ودعا معهم عددا كبيرا من الزعماء السوريين وغيرهم من كبار المصطافين في

بلـــودان .

فلما وصل ضيف الشرف الرئيس الاندونيسي ومن معه من وزراء وسفراء اندونيسيين فوجيء المرحوم فارس بك بأنهم يحدثونه باللغـــة العربية الفصحى فعجب وسألهم اين تعلموا اللغة العربية ، فأجابوه بانهم تعلموها في اندونيسيا حيث تقوم الوف من المدارس العربية المختصـة بتعليم اللغة العربية حيث جعلت اللغــة العربية لغــة التدريس الاساسيـة لجميع العلـوم .

فاعجب فارس بك جدا بمـا سمع وخاطب الحاضرين مـن المدعويـن العرب قائلا : **(ما اعظم رصيد الامة العربية الثقافي في البلاد الاسلامية ، وما أجدرنا نحن العرب ، المسيحيين منــا والمسلمين ، ان نعض بالنواجـذ على صلاتنا بالاقطار الاسلامية ، وان نوثق علاقاتنا بمئات الملايين من سكانها، الذين يكنون لنا اصدق شعور الحب والولاء . فان لنا بذلك فوائد عظيمة ثقافية وسياسية واقتصادية . وان من واجب الامة العربية ان تعي هذه الحقيقة ، وتعرف كيف تفيد من هذه الكنوز الثمينة المدخرة لنا في اقطار العــالم الاسلامي) .**

هذا .. وكنت قد سمعت هذه الحكاية من اكثر من مصدر وسألت عنها فارس الخوري فأيدها لي .

فارس الخوري يقول : انا مؤمن بالاسلام

وفي تعقيب للاستاذ فارس الخوري على حديث ادلى الي به الدكتور محمد معروف الدواليبي حول ضرورة تقوية الجماعات الاسلامية ليمكـــن بواسطتها مكافحة (الاحزاب الديكتاتورية) المختفية بايام الوحدة في الاعماق ، قال لي فارس الخوري :

(هذا هو ايماني . انا مؤمن بالاسلام وبصلاحه لتنظيم احوال المجتمع العربي وقوته في الوقوف بوجه كل المباديء والنظريات الاجنبية مهما بلـغ من اعتداد القائمين عليها ، لقد قلت ولا زلت اقول ، لا يمكن مكافحـــة الشيوعية والاشتراكية مكافحة جدية الا بالاسلام ، والاسلام وحده هو القادر على هدمها ودحرها) .

ولقد نقلت هذا الكلام في حينه ، الى الاستاذ محمد المبارك عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق فقال لي :



علامة الشام الكبير فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد بهجت البيطار اثناء زيارة قام بها للعلامة فارس الخوري في مستشفى دمشق ، وظهر في الصورة ، محمد الفرحاني ، ومن الجدير بالذكر انه كلما زار الشيخ بهجت العلامة فارس الخوري طلب اليه ابو سهيل ان يصلي من اجله فيقرأ الشيخ البيطار عند رأسه آية الكرسي ويتلو بعض الادعية والتسبيحات

●

((من الغريب حقاً أن يستهان بأمر الأسلام من قبل بعض أبنائه ، ويعمل على ابعاده عن واقع الحياة ، في حين يقف اعظم مسيحي فيالشرق ليجهر بضرورة الاخذ باحكام الاسلام والعمل بشريعته)) .

الشرع الدولي في الاسلام

والواقع ان هذه ليست بالآراء الجديدة لفارس الخوري في هذا المضمار ، لان الذي يطالع المقدمة التي كتبها فارس الخوري لكتاب (الشرع الدولي في الاسلام) الذي كان عبارة عن رسالة تاريخية قانونية تقدم بها نجيب الارمنازي الى كلية الحقوق في جامعة باريس فحصل بواسطتهاعلى

لقب دكتور في الحقوق بدرجة جيد جداً ، ونشرت بالفرنسية ثم بالعربية عام ۱۹۳۰ ، وتبحث هذهالرسالة في تكون الدولة الاسلامية وعلاقــاتها الخارجية وما يتصل بذلك من تاريخ الاسلام السياسي وقواعد الشرع في الحرب والسلم والذي كان اول بحث علمي تاريخي من نوعه فيما نعلم .. ان الذي يطالع المقدمة التي كتبهاالاستاذ فارس الخوري لذلك الكتاب ، يلمس الروح العلمية المتغلغلة في اعماق ابي سهيل ، وتجرده وانصافه،وانه حينما يقول بالحكم الاسلامي (مع تعصبه الشديد لمسيحيته) فانما لواسع معرفته باحكام الدين الاسلامي والفرق بينها وبين احكام كل دين سمـاوي آخر .. وجدارة الاسلام واهليته ، للحكم ، دون غيره من الاديان . وللفائدة، نقدم فيما يلي ، معظم مقاطع تلك المقدمة ، كما كتبها فارس الخوري ، تعميما للفائدة ، وتوكيداً لما قلناه عنه :

... (الشرع الدولي في الاسلام) بحث جديد لم يطرقه احد مـن المؤلفين قبل اليوم . وسبب ذلك ان الشرع الدولي بالعرف الراهن لــم ينشأ الا مع الدول الاوروبية الحديثة ولا ظهرت آثاره للناس الا فيالتاريخ الحديث في عصر الانبعاث منذ القرن السادس عشر فكان ذلك نتيجـــة



فارس الخوري اثناء مرضه ، وقد جلس عن يمينه رفيق نضاله وجهاده الرئيس لطفـي الحفار ، وعن يساره الدكتور نجيب الارمنازي ومحمد الفرحاني ، ووراءهم السيدة اسمـاء عقيلة الراحل الكبير والسيدة نازك اللحام حرم المرحوم عبد الغني الشيخ فضلي

طبيعية للمذاهب الحديثة التي اعتبرت كل دولة شخصا حكميا له وعليه من الحقوق والواجبات المتقابلة مثلما للافراد وعليهم ، بعضهم تجاه بعض.

ولم يكن في التاريخ القديم والمتوسط دول تعترف بعضها لبعض بحق البقاء والاستقلال والمساواة فمن البديهي ان لا يكون هناك علم يسمى (علم حقوق الدول) ولا تشريع خاص لهذه الحقوق . ولذلك لا نجد في اوضاع الاقدمين ومؤلفاتهم الضخمة شيئا صريحا خاصا بهذا العلم او هذه الشريعة لا عند الرومانيين الذين لم يتركوا صفحة من صفحات الحياة الاجتماعية الا وضعوا لها قانونا ولا عند الفقهاء المسلمين الذين لم يدعوا شاردة ولا واردة الا احصوها .

علينا احياء آثار السلف الصالح

وتابع فارس الخوري يقول في مقدمته :

عندما كان صديقي المرحوم فوزي بك الغزي يضع كتابه في حقوق الدول العامة نبهت فكره الى وجوب افراد فصل خاص للبحث فيما كانت عليه هذه الحقوق في الاسلام ، **وكنا نرى ان كل عربي يضع كتابا في علم حديث جدير بأن يجعل لمباحثه صفحة تاريخية يتناول بها ما وصل اليه اسلافنا العرب من موضوع تلك المباحث فنحيا آثار السلف الصالح** ويسهل على ابناء هذا الجيل ومن بعده الوصول اليها واستيعابها ، وقد عزم المرحوم فوزي بك على القيام بهذه المهمة وانجاز هذا العمل النافعغير انه استوعر المسلك بسبب ما يجب من فراغ الوقت واطالة التنقيبفاخرج كتابه خاليا من هذه الصفحات وفي نيته ان يعود لهذا الموضوع ويفرد له كتابا خاصا ولكن اعجلته الايدي الاثيمة عن اخراج النية الى العمل.

العلاقات بين الدول قديما

الدول التاريخية كان بعضها دنيويا قائما على الغزو والفتحوالاستعمار والسلب والنفع المادي كاليونان والرومان والفرس والتتر وهؤلاء كانوا يستبيحون لانفسهم كل شيء عند النصر والغلبة وينهضون الى الغزو والاغتنام كلما اجتمعت لهم القوى الكافية لذلك ، لا يمنعهم عهد ولا وازع آخر غير مؤيد بالسيف . وكان بعضها سماويا كاليهود والاسلام ودولة

البابا يعتمد أهلها في شرائعهم على ما يتلقونه من وحي السماء والهام الاله وكل منهم يعتبر غيره كافرا لا يساويه في هذه الدنيا ولا يشاركه في نعيم الآخرة . ومع ذلك كانت الضرورات تقضي على اولئك الاقوام بتعيين علائقهم مع غيرهم من السلاطين والملوك وباتخاذ خطط واساليب للمعاملات معهم كمناهج توجدها الحاجة وتكيفها المصلحة . **ونزولا على حكم هذه الضرورة والمصلحة ، خرج سليمان بن داود على قواعد سيدنا موسى القاسية، وعقد مع حيرام ملك صور الفينيقي عهد سلام وتجارة كانا فيها ندين متكافئين .** وكان ملوك اسرائيل ويهوذا يعاهدون ملوك آرام في دمشق وغيرهم من امراء الشام ومصر وجزيرة العرب .

الضرورات هي التي توجد القواعد

والضرورات والمصالح والقوة في كل زمان توجد القواعد والعلائق بين القبائل والشعوب وقد عرفت مباديء هذه الحقوق ولجأ اليها الاقوام منذ فجر المدنية حتى بين القبائل وهي بعد في ظلام الجاهلية . فمن ذلك لما خرج موسى الكليم ببني اسرائيل من ارض مصر وصل الى قادش في ملك ادوم عند الاطراف الشرقية من برية سيناء واراد المرور في ارض ادوم للوصول الى ارض كنعان التي هو قادم لغزوها واحتلالها ، وعرف انه بحسب اصطلاح ذلك الزمان لا يجوز له ان يمر غازيا في بلاد بدون اذن صاحب البلاد فارسل رسلا اليه يستأذنه فلم يجبه الى ذلك وخرج الى لقائه بجمع غفير فتحول عنه ، ومرة اخرى طلب مثل ذلك من سيحون ملك الاموريين فابى عليه المرور فحاربه وغصب ارضه . .

نرى ان هذه القبائل العريقة في القدم البعيدة عن المدنية كان عندها منذ ٣٥ قرنا شيء يشابه ما عند الدول من الشرائع في القرن العشرين . ألم يكن مرور الجيش الالماني في اراضي بلجيكا سنة ١٩١٤ سببا لاعلان بلجيكا وانكلترا الحرب على المانيا ؟! . . وحقوق الدول الحديثة تعتبر السماح للجيش المحارب بالمرور اخلالا بالحياد وسببا لاعلان الحرب .

بين شريعتي موسى ومحمد

وشريعة موسى تحتوي اظهر الامثلة بين الشرائع الالهية الشدة فهي مبنية على القتل العام ومحو سكان البلاد المفتوحة سواء اكانوا اسرى حرب

او مسلمين صلحا . ولا فرق بين رجل مسلح محارب او شيخ اعزل او امراة او طفل فالكل يذهبون طعام السيوف : ((**تمحو اسمهم من تحت السماء لا يقف انسان في وجهك حتى تفنيهم تدريجا لئلا تكثر عليك وحوش البرية**)) .

والبون شاسع بين شريعتي موسى ومحمد عليهما السلام . فالاولى تأمر بالتقتيل بدون انذار ولا عهد ولا صلح ولا دعوة لايمان . فلا يقبل من الاعداء التهود ولا يعصمهم من القتل والفناء الايمان ، خوفا من الارتداد فيما بعد ولا يسمح لهم بالرحيل والجلاء عن بلادهم لتخلو لليهود الفاتحين خوفا من استجمام القوى والكر على الغاصبين ، والثانية تأمر بدعوتهم الى الاسلام فان قبلوا الدعوة عصموا دماءهم واعراضهم واموالهم وان ابوا فالجزية ، وان ابوا فالقتال ، وهذه دعوة دينية قبل كل شيء .

ما يقوله الشرع الاسرائيلي

قال موسى (عم) لقومه : ((**كل مكان تدوسه بطون اقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من نهر الفرات الى البحر الغربي يكون تخمكم**)) .
(تث ١١ : ٢٤) .

وهذه ايضا خالفته بها الشريعة الاسلامية السمحاء فتركت الارض لسكانها وفرضت عليها خراجا كما فرضت الجزية على السكان لتموين المحاربين في الجيش مقابل اقرار الامن واقامة العدل وحماية البلاد وهو عين ما تفعله كل سلطة عادلة حتى في هذه الايام .

وهنالك في شريعة موسى عليه السلام قاعدة اخرى تطبق على البلاد والمدن البعيدة الخارجة عن الحدود المذكورة في الفقرة السابقة مما هو ضمن تخوم بني اسرائيل فقد جاء فيها :

((حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك ابوابها فكل الشعب المولود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك وان لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة فهو غنيمتك تغتنمها لنفسك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ، بل

تحرمها تحريما » . (تث ٢ : ١٠) .

ومعنى التحريم في هذه الآية وغيرها القتل العام . فانظر يا رعاك الله الى هذا الصلح والى هذه القواعد .

اما حفظ العهود ووجوب العمل بها في شريعة موسى فهو محصور بالعهود المعقودة بين بني اسرائيل فقط . ولا يجب على الاسرائيلي ان يحتفظ بعهده مع الوثني التاعس ولا مع العدو المحارب وهذا غير ما جاءت به الشريعة الاسلامية من الوفاء بالعهد وانكار النكث والنقض . وامثلة ذلك كثيرة .

طبيعة الشرع المسيحي

ولم يضع السيد المسيح عليه السلام شريعة دنيوية ولا تعرض لذلك تلاميذه الحواريون وبقي اتباعهم في الدنيا مطلقي الايدي يواجهون كل زمان بما يناسبه من الشرائع والاحكام .

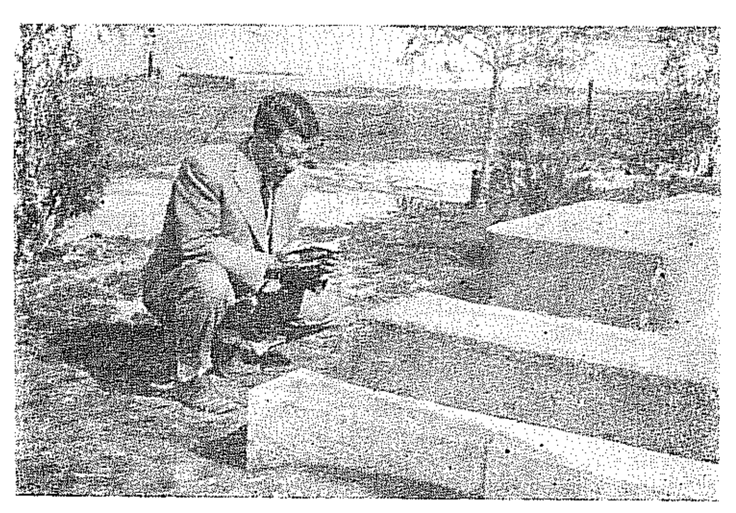
وبعد أن تخلصوا من سلطة البابا الزمنية وسائر رجال الدين انقسمت شعوبهم الى اقسام بحسب عناصرها ولغاتها وحدود أرضها والفت دولا تبادلت بينها الاعتراف بالحقوق القائمة على قاعدة المساواة ونشأ عن هذا الاعتراف تلك القواعد التي ولدتها الحاجة والتعامل وسموها بالشرع الدولي وصار كل شخص له جنسية واحدة ينتمي بموجبها الى دولة ويتمتع بجميع الحقوق التي يتمتع بها مواطنوه كما تتمتع دولته بكل حق يتمتع به غيرها. وبهذه العهود نشأت فكرة الوطنية الارضية على انقاض العصبية النسبية والجامعة الدينية وصارت الاقاليم هي التي تربط البشر المقيمين فيها واحدهم الى الاخر بدون نظر الى دينه او نسبه وقبلت قاعدة المساواة بين المقيمين في ارض واحدة كما قبلت هذه القاعدة بين الدول ايضا وكل دولة تعامل الاخرى بموجب قواعد حقوق الدول الخاصة .

المسلمون وغير المسلمين في الاسلام

والشرع الاسلامي في عرف حقوق الدول العامة يقسم الدنيا الى دارين دار الاسلام ودار الحرب ، وقد أضاف بعضهم دار العهد . وفي عرف حقوق الدول الخاصة ، يقسم البشر الى اربعة اقسام ، مسلمين وذميين ومعاهدين وحربيين فما كان من قواعده عائدا لمعاملة اهل دار الحرب

يدخل في نطاق حقوق الدول العامة وما كان عائدا لمعاملة اقسام البشر الثلاثة غير المسلمين يشبه حقوق الدول الخاصة المعروفة في هذا الزمان.

وليس من المنتظر ان يجعل المسلمون لغير المسلمين في بلاد الاسلام نفس الحقوق التي للمسلمين في كل شيء . فهذه الدول الحديثة في عصر الحضارة الباهر الذي نحن فيه لا تمنح الاجانب النازلين في بلادها حق المساواة مع ابناء البلاد فليس لهم حق التوظف ولا حق الانتخاب ولا حق احتراف بعض الحرف المخصوصة ولا حق التنقل الحر ولا حق التمتع المطلق بحماية القوانين واستثمار الحرية مثل الرعايا المحليين . وانت تعلم ان اختلاف الدين في دولة الاسلام مثل اختلاف الجنسية في هذا العصر. **والاسلام جنسية عامة لكل المسلمين في دار الاسلام** ، وقد بنيت الدعوة الاسلامية على وحدة الدولة كما بنيت على وحدانية الله ولذلك لم يقرر في الشرع وجود دول اسلامية متعددة لكل واحدة ما للاخرى من الحقوق والاستقلال .



كان فارس الخوري قبل وفاته ببضع شهور ، قد اوصى ملازمه محمد الفرحاني بأن يتلو على قبره بعد وفاته ، ثلاث سور من القرآن الكريم ، هي البقرة ومريم ويس ، وكان لابد للفرحاني من ان ينفذ وصية الراحل الكبير فيتلو على ضريح فارس الخوري السور الآنفة الذكر .. وذلك بعد مرور اربعين يوما على وفاته كما يظهر في الصورة اعلاه .. والجدير بالاشارة اليه ان آراء الفقهاء في دمشق اختلفت حول جواز هذه التلاوة وعدمه ... على ان هنالك من يؤكد ان وصية الميت مقدسة ويجب تنفيذها بحذافيرها .

.... نصوص الشريعة الاسلامية الغراء ، عن معاملة غير المسلمين في دار الاسلام ... ان اهل الذمة **بقيت لهم محاكمهم المذهبية** تفصل في النزاع بينهم في امور الزواج والطلاق والنفقة والنسب والوصية والوقف والحضانة والارث وتحرير التركات وسائر ما هو من الاحوال الشخصية او من الخصومات الطائفية الصرفة التي تهم غير المسلمين . وقد كان للبطريرك في دمشق سجن متصل بالكنيسة يحبس فيه من يستحق التأديب من النصارى، ومرة حبس الاخطل شاعر بني امية ، وقيده بسبب كثرة سكره ولم يطلقه حتى شفع به الخليفة نفسه .

واوصى سيدنا محمد بأهل الذمة فقال ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . ومن آذى ذميا كنت خصمه يوم القيامة . واما سيدنا موسى فقد جعل فروقا عظيمة في المعاملة والحقوق بين اليهودي وغير اليهودي فقال في التوراة : « لا تقرض اخاك الاسرائيلي بربا فضة او ربا طعام او ربا شيء مما يقرض بربا . للاجنبي تقرض بربا ، ولكن لاخيك لا تقرض بربا » . وقس على هذه القاعدة سائر القواعد الاجتماعية في المعاملات والعقوبات فكان الحكم في الشريعة الموسوية يختلف باختلاف اشخاص الخصوم والعقوبة تخف على اليهودي وتشتد على الاجنبي مع وحدة الجرم . وجاء في موضع آخر من التوراة : « اليهود يقرضون امما كثيرة وهم لا يقرضون » (تث١٥: ٦) . ويسقط الدين بعد مرور سبع سنين عن العبراني واما عن الاجنبي فلا يسقط ابدا ولا يمر عليه الزمان .

ليس عند اليهود دنيا اخرة

ثم ان شريعة موسى الكليم استهدفت امور الدنيا فقط وليس في التوراة اشارة ما الى خلود بعد الموت او ثواب في الآخرة على عمل صالح في الدنيا بل كل ما فيها من هذا القبيل وعود بالمكافأة في الدنيا كالوعد بطول العمر والشفاء من الامراض ، واعطاء النسل الصالح وتكثير المال وغلة الارض والانتصار على الاعداء وتوطئة اكناف المعيشة ، وتمهيد سبل الرفاهية ، والتسلط على الغير ، وامثال ذلك من الوعود الدنيوية الصرفة ، واما الذين يعبدون غير الرب او يرتكبون المنكرات المعدودة في التواراة فهناك وعيد وتهديد بتسليط الاعداء عليهم يغلبونهم ويسلبون اموالهم ونساءهم ومنع الارض عن اعطائهم غلتها والسماء عن صب امطارها ، وارسال الاوبئة عليهم لتهلكهم وامثال ذلك من مصائب الدنيا وآفاتها .

بين الشرعين الاسلامي والروماني

ويتابع الاستاذ فارس الخوري هذا البحث القيم فيقول :

أتينا على هذه المقايسة الموجزة بين الشريعتين الالهيتين الموسوية والمحمدية المستندتين على كتابي التنزيل ، التوراة والقرآن وتبينا الفروق البارزة بينهما . اما المقايسة بين الشرع الاسلامي والشرع الروماني مثلا فلا نراه يستقيم لنا بالنظر لاختلاف الهدف والسنة بين الشرعين . الاول منهما قائم على قواعد العدل المطلق ومقتضيات العقول والثاني على المصالح والمنافع الدنيوية فيبنى على هذا التخالف ان الاساس في الشرع الاسلامي مصلحة الفرد في الدنيا والآخرة وفي الشرع الروماني مصلحة الجماعة فقط وهذه المباديء ظاهرة آثارها في كل صفحة من صفحات هذين الشرعين العظيمين تفرق بينهما تفريقا يتعاصى على المزج والتوحيد حتى ان الحكيم يكاد يستنبط استنباطا الحكم بالمسائل المعروضة في كل من الشرعين اذا اعتبر بهذه القواعد ورجع اليها . وفي الاعم الاغلب يكون ظنه يقينا . مثال ذلك : مرور الزمان اما انه يسقط الحق واما ان يسقط الدعوى فالشرع الاسلامي لايمكن ان يقول بسقوط الحق لان الحق يبقى في الذمة والفرد لا تبرأ ذمته الا بالوفاء او بالابراء مهما مر من الزمان على الحق ولذلك قال ان الحق لا يسقط بتقادم الزمان وانما يمنع الحاكم عن سماع الدعوى ، فلم يكتف الشارع الاسلامي بتأمين مصلحة الدنيا بل استهدف مصلحة الآخرة ايضا في حين ان الشارع الروماني اتخذ الجانب الآخر وقال ان الحق المتروك يسقط والساقط لا يعود ولم يكترث بأثقال الذمة وعقاب الآخرة .

لذلك ترى انه ليس من السلامة القول ان احد هذين الشرعين مأخوذ عن الآخر . وقد يكون المتأخر منهما استعان بسابقه للتذكير والجمع والتعريب وانما لم يعتمد عليه في التحليل واستنباط الاحكام فان له في ذلك منهاجا آخر غير منهاج رفيقه . واذا طالعت اقوال فقهاء الامتين في احدى المسائل تجد كل فئة تعلل اجتهادها بطريقتها الخاصة مراعية المباديء المتقدم ذكرها غير متأثرة بالاساليب وطرق التعليل التي سلكتها الفئة الاخرى وهذا بحث واسع وليس هنا موضع الافاضة فيه ، وقد أتينا بهذه الاشارة لنبين صعوبة المقايسة بين الشرعين .

ومن أين لامير من امراء القرون الوسطى غير مأخوذ بالعاطفة الدينية

وغير حريص على سلامة الآخرة ان يجعل رائده تقوى الله في حروبه وغزواته ويحرص على كل ما ينيله ثواب الخلود والمرتبة العالية في الجنة بالتزام العدل والرحمة والبعد عما يشوب طهارة النفس وفضائل الاخلاق؟!. ذلك ما نراه شائعا بين امراء المسلمين وقوادهم وتجد امثلته كثيرة ، ومن احسن ما نذكره في هذا القبيل ان عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد يقول : « .. ونح منازلهم (جنودك) عن قرى اهل الصلح والذمة فلا يدخلها من اصحابها الا من تثق بدينه ولا يرزا احد من اهلها شيئا فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم ففوا لهم » . (نهاية الارب ج ٦ ص ١٦٩) .

ففي هذا الامر الصريح لا يكتفي امير المؤمنين ابن الخطاب بالتوصية الحسنة باهل الصلح والذمة بل تجاوز في الرفق بهم العهود المقطوعة لهم، وفيها أنهم يضيفون عسكر المسلمين ثلاثة ايام . اما هو فأمر بتنحية العسكر عن قراهم حتى لا يصابوا بأذى ولا معرة ، وفي هذه الفقرة بيان يدلي به هذا الامام العظيم عن ثقل وطأة الفاتحين على اهل البلاد ومرارة نفس الغالب في عدم الاعتداء على مغلوبه فقال لقومه انكم ابتليتم بالوفاء بحرمة اهل الصلح وذمتهم كما ابتلوا هم ايضا بالصبر على تغلبكم وتحكمكم بهم في بلادهم فعليهم بالصبر وعليكم بالوفاء .

اساليب التشريع في الاصول الدنيوية

اساليب التشريع في الاصول الدنيوية جارية على قاعدة التقنين ونشر القوانين من قبل صاحب السلطان الاعلى بعد ان تقرها هيئات نيابية أو لجان منصوبة او شخص السلطان عندما يكون مستأثرا بالامر ولا يكون هنالك قانون واجب الطاعة الا اذا امر بانفاذه صاحب السلطان وايده غرم العبث والمخالفة ، وهذه الطرق كانت منذ القديم شائعة بين البشر في جماعاتهم الراقية . فنرى القوانين السلطانية في شريعة حمورابي وفي آثار الفراعنة المصريين وشريعة مادى وفارس المنعوتة في التوراة مثالا للبقاء والدوام حتى ضربت بها الامثال بانها لا تقبل النسخ وشرائع الدول والمدن اليونانية والشرع الروماني الذي هو اعظم ما وضعه البشر في التاريخ القديم وغير ذلك من الشرائع الباقية آثارها الى هذا الزمان . فلا يكون الشرع شرعا مدنيا الا اذا نشرته السلطة واوجبت على الناس اطاعته وانفاذه

تحت طائلة القصاص والمغارم المنصوص عليها فيه واما ما هو شائع منذ فجر التاريخ من اقوال الحكماء وآراء الفلاسفة والفقهاء مثل افلاطون وشيشرون وجان جاك روسو وأضرابهم مما هو على ما فيه من سداد غير واجب الانفاذ ولا ملزم للناس الا بطريق الاتعاظ وحب التحلي بمزايا الحكمة وفضائل الرشد والصواب ، فليس من القانون بشيء ولا يعد شرعا مأثورا وانما يكون في كثير من الاحايين مأخذا جليلا للشرائع ومستندا متينا للشارعين .

اساليب التشريع في الاسلام

اما الشرع الاسلامي فلم ينشأ عن مجلس مشترع أو عن سلطان مستأثر بل مصدره الاول احكام القرآن الكريم وهذه لم يقدم احد منذ نزولها على تقنينها وافراغها في قالب غير القالب الذي نزلت فيه ولا كانت هنالك حاجة لاصدار امر امير برعايتها ووجوب اطاعتها ، فقد امر وحي الله بذلك وهو خير الآمرين . ويليها ما نقله المحدثون الصادقون عن سنة الرسول . فما فعله او أمر به او أجازه قبله المسلمون خطة مسنونة وحكما مقبولا . وما لم يرد عليه النص في الكتاب ولا نقلت به سنته يرجعون به الى الاجماع والقياس على ايدي الفقهاء المحققين من اصحاب المذاهب المقبولة .

ولم ينشأ في وقت من الاوقات القديمة شكل قانون واجب الانفاذ بل بقي امر الاحكام محصورا بآراء العلماء والفقهاء وهؤلاء لم يكن لهم في الدولة عمل رسمي ولا كانوا مكلفين من قبل صاحب السلطان باستنباط الاحكام واعداد الانظمة لنشرها على العمال والناس للعمل بها .

كذلك بحث الفقهاء في اكثر الامور وابدوا بها آراءهم ولكن عملهم لم يكن الا من قبيل التوسع في العلم والاتيان على وجوه الاجتهاد المحتملة بالصورة الطوعية اتوها متبرعين غير مدعوين اليها بأمر آمر . وقد قعد أمراء المسلمين عن القيام بمثل ما قام به يوستنيان من التقنين وما فعله خلفاء آل عثمان في القرن التاسع عشر .

وهكذا بقي عمل التشريع متروكا ليقوم به المتطوعون من علماء الدين غير مندوبين اليه ولا محاسبين عليه وجل ما تركته هو آراء شخصية لم يكن لها صفة التنفيذ الواجب تحت طائلة العقوبة المسنونة على المخالفين كما هي الحال في قوانين هذا الزمان .



فارس الخوري .. وقد احاط به عن يمينه ، غبطة السيد تيودوسيوس السادس المعظم بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس ، والوجيه الكبير المغفور له رضا مردم بـك ، وعن يساره ، الاسقف سرجيوس سمنة ، والاب ايليا صليبي المدير العام للمدارس الارثوذكسية في سورية ، كما ظهرت في الصورة السيدة اسماء عيد قرينة العلامة الكبير ، والسيدة نجلاء فاخوري ابنة خاله ، ومحمــد الفرحاني .

والجدير بالذكر ان البطريرك تيودوسيوس يحتل مكانة سامية فـي نفوس جميـع السوريين مسيحيين ومسلمين ويتمتع بمحبة العموم واحترامهم وتقديرهم .

**

وكان الصلاح في العمل معتمداً على صلاح نفس العامل ان كان تقيا ورعا عدل في الناس وادى الامانة وان كان فاسقا فاجرا ظلم واعتدى وكان عقابه على الله ، فأحكام الشريعة جميعها كانت من هذه الجهة مثل حقـوق الدول العامة في هذا الزمان ليس لها قوة مؤيدة تضمن نفوذها وتجبـر الخلق علـى اطاعتها .

فكرة العدل الراسخة فـي نفوس المسلمين

وينابع الاستاذ فارس الخوري حديثه الشيق بقوله :

.... كثير من الامور التي تستوقف نظر المطالع فيعجب عندها من فكرة العدل المجردة الراسخة في نفوس زعماء العرب وحرصهم على النهج القويم والصراط المستقيم في افعالهم وصلاتهم مع محاربيهم ومعاهديهم ، من ذلك ، الاصول التي وضعت للنبذ عند جوازه فاذا فسخوا الصلح واصبحوا في حالة حرب لا يناجزون خصومهم الا بعد اعلامهم بالفسخ ومضي الوقت الكافي ليخبر الملك رعاياه في اطراف البلاد وعند تخوم المسلمين حتى اذا هاجمهم هؤلاء لا يكونوا مأخوذين على غرة أو غفلة. وهذه درجة من الانصاف قصر عنها أهل زماننا مع ما عندهم من حقوق الدول وقواعد الحرب ومحكمة العدل فان دول العصر الحاضر تبدأ بالهجوم وسائر اعمال الاعتداء حالما تعلن الحرب بدون ان تكون مجبرة على الانتظار بعد الاعلان حتى ان بعضها تهاجم قبل اعلان الحرب بصورة رسمية كما فعلت اليابان بالمدرعات الروسية الراسية في ميناء سيؤول في كوريا سنة ١٩٠٤ وكما فعلت تركيا بهجوم اسطولها على الاسطول الروسي في (سيباستبول) سنة ١٩١٤ . ومن هذا القبيل قاعدة عدم اخذ العامة بجرائر الخاصة وهذا مستند للآية الكريمة « ولا تذر وازرة وزر اخرى » فنهوا عن تحميل المغارم اهل القرى بالجملة لاجل الجرائم التي يقترفها افراد منهم . وقد لام الامام الاوزاعي صالح بن علي بن عبد الله بن عباس على تنكيله ببعض نصارى لبنان عقابا لهم على عصيان فريق منهم . وأنت ترى أن حكومات هذا العصر تفرض الغرامات على القرى وتأخذ الطائعين منها بجريرة العاصين. وامامنا حوادث التقتيل والتهجير في القرن العشرين بمرأى أوروبا ومسمعها وان شئت فقل برضاها تدللنا على أن العرب في عنفوان دولتهم كانوا اقرب الى العدل والانصاف من اكثر اهل هذا الزمان . وقد شرعوا ايضا ان خروج الشراذم من المعاهدين واعتداءهم على بلاد المسلمين بدون اذن ملكهم لا يعد نقضا للعهد ولا يوجب الغرم على الملك المعاهد او على قومه بصورة عامة وهذا مبلغ من الانصاف جدير باحترام ارقى الصور واعلقها بالانسانية والعدل . وما زالت الدول غير خاضعة لهذه القاعدة ولا عاملة بها . فقد حملت ايطاليا الغرم دولة اليونان من بضع سنين بسبب اعتداء بعض اليونان على البعثة الايطالية في اليابان وفرضت عليها غرامة خمسين

مليون فرنك مع اشياء اخرى واحتلت جزيرة كورفو ضمانا لانفاذ هذه المطاليب ورأينا مؤتمر السفراء يقر ايطاليا في هذا العمل الذي انكره الاوزاعي وغيره من علماء العرب وفقهائهم . وفعلت انكلترا مع الحكومة المصرية في مقتل السر لي ستاك باشا فأخذتها بجريمة بعض الشبان المتهوسين . وجرى في بلاد الشام حوادث شتى من هذا القبيل في اثناء الحرب العامة وبعدها في ايام العصابات وأيام الثورة الاخيرة كما اخذت النمسا حكومة السرب بجناية اغتيال ولي العهد بيد فتى سربي وكان ذلك سببا مباشرا لاضطرام الحرب الكونية التي لم يأت على البشر افجع منها ولا افظع .

من المباديء العربية العالية

ومن المباديء العربية العالية اجتناب قتل النساء والاطفال ولو تترس المقاتلون بهم وهذا ايضا تقاصرت عنه المدنية الحديثة فان وقائع الحرب العالمية وحادثة دمشق سنة ١٩٢٥ و ١٩٢٦ وما لا يحصى غيرها من فواجع القتال ادلة ناطقة على أن قواعد حقوق الحرب التي تحظر على المحاربين اطلاق القنابل على الاماكن غير المحصنة لا توجد الا في بطون الاوراق والدفاتر .

ومن قواعدهم السنية وجوب **رد المستسلم الى حصنه قبل منابذته وذلك عند** تعذر ايفاء شرطه ، فاذا سلم اليهم عدوهم على ان يخرج اليهم من حصنه ويدفع اليهم سلاحه وينزل على حكم رجل معين في دمه وماله وبعد خروجه مات ذلك الرجل وابى النزول على حكم سواه يرد اليه سلاحه ويعاد الى حصنه ويمنح كل الحالات التي كانت له قبل التسليم ويعلن اليه النبذ ويمهل ليستعد للقتل ، وهذا اسلوب يعسر ان يقول به فاتح يرى ان الحرب خدعة .

ومن تفوقهم على اهل زمانهم **منعهم قتل ما في ايديهم من الرهائن اذا نقض اصحابهم العهد** ولو قتل عدوهم رهائن المسلمين فقالوا **وفاء بغدر خير من غدر بغدر** معتمدين في هذه القاعدة الجليلة على حديث النبي يقول : **((أد الامانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك))** وهذا غير ما كانت عليه الشعوب القادمة من مقابلة الشر بالشر وغير ما جاء في الآية : ((ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)) ولعل هذا جاء لتجويز دفع الاعتداء بمثله وليس لوجوبه ، ومقابلة الشر بالخير اجدر بالكريم واقرب للتقوى كما جاء في آية ثانية .

التاريخ الاسلامي

... تجده مملوءا بالقواعد والحوادث النبيلة التي كانت للعرب في عهد سيطرتهم وقعس دولتهم ، مما هو جدير بالتقدير والاجلال حتى في مدارس الاخلاق والفلسفة ولو حرصوا على تطبيق القواعد الجليلة التي وضعوها بقدر حرصهم على انبساطها وانطباقها على الفضيلة والعدل المطلق لكانوا جاءوا للبشر بتاريخ ناصع الصفحات مجلو النقيبة لا تشوبه شائبة ولا يجوز عليه نقد ولكن الحادثات لم تكن دائما منطبقة على القواعد فقد كثرت في تاريخهم الافاعيل المستغربة منهم بعد ان تحلوا بها تيك العقائد الاخلاقية العالية ، **ومن ذلك ان الاسلام نهى عن المثلة كقطع الرؤوس وحملها الى الولاة وتعليق الجثمان على الاعواد وعرض الجثث المشوهة أمام الناس** ورغما عن ذلك لم يجتنبه المسلمون في كثير من ادوارهم فقد مثل الامويون بالسيد الحسين ومن معه من اهل بيت الرسول وجروا بعد ذلك على هذه الشنشنة بكل من ناواهم وقد بزهم العباسيون في هذا المضمار حتى انهم كانوا يستخرجون عظام اعدائهم من القبور وبعد ان تفنى الجسوم ويمثلون بها تمثيلا شنيعا كما فعلوا بأحياء بني امية وامواتهم وكما فعلوا بالبرامكة غير عابئين بالنواهي الصريحة عن هذه الافعال .

منعت الشريعة المثلة بالاموات ومنعت تعذيب الاحياء ايضا ومع ذلك فحوادث هذا النوع من المثلة بالاحياء تكاد لا تحصى ، وقل من قتل مجرما بدون تعذيبه وارهاقه قبل القتل ، فقد قبض المتوكل على وزيره محمد بن عبد الملك الزيات وامر به فسوهر وكان ينخس بمسلة لئلا ينام ثم وضع في تنور ضيق مصنوع من الخشب فيه مسامير اطرافها الى داخله تمنع من فيها من الحركة ويداه ممدودتان الى فوق راسه حتى مات ، وهذا اسلوب عجيب في التعذيب اقتبس احمد جمال باشا السفاح شطرا منه وانفذه على بعض المتهمين بالاجرام السياسية في زمن الحرب فقد امر ونحن محبوسون في خان الباشا بدمشق سنة ١٩١٦ بجماعة من السجناء فأوقفهم الجند في دار الخان وامروهم بالبقاء وقوفا غير مجاز لهم بالجلوس ولا الاستناد الى الجدار اكثر من ستة ايام بلياليها قضوها بلا نوم ولا استراحة والعسكر محدق بهم ببنادقهم فاذا سقط احدهم من الاعياء الى الارض يضربونه ببنادقهم ضربا مبرحا الى ان يقف .

وقد استنكر العرب المثلة حتى في عهد جاهليتهم فقد صرع يزيد بن

عمرو السحيمي عدوه عمرو بن كلثوم في الجاهلية وقال له انت الذي تقول :

متى نعقد قرينتنـا بحبـل   نجـذ الحبل او نقص القرينا

اما واني سأقرنك الى ناقتي هذه في الغـد واطردكما جميعا ، فنادى **عمرو** : (يا لربيعة !.. امثلة ؟!) فاجتمع بنو سحيم ونهـوا يزيد ، ولـم يكن يريد ذلك به وانما كان يبكته ويفزعه .

ولعل العرب تشبهوا بما كان يفعله الاعاجم من ضروب المثلة التي لـم يكن لهم بها عهد في جاهليتهم ونهاهم عنها الاسلام اشد النهي .

وبرغم القواعد الشرعية الآمرة بالرفق بأهل الذمة فقد ظهر في تاريخ الاسلام أمثال المتوكل العباسي من الخلفاء والامراء الذين لم يذعنوا لتلـك الاوامر الشريفة ونواهيها فأساءوا الى النصارى واليهود وجعلوا حياتهـم امر من العلقم في ظلال ملكهم .

وبعـد ..

هذا هو فارس الخوري الذي قال فيـه الاستاذ رشيد شكور مـن المهجر : ((ان فارس الخوري حبب النصرانية الى الاسلام وحبب العـرب والعروبة الى النصارى والمسلمين معا)) !!

والخلاصة ..

هذا هو رأي فارس الخوري بالاسلام ، نقلته بكل امانة ودقة واخلاص، ونعل هذا ما يفسر لنا مسلكه حينما كان يتزعم في هذه البلاد ، ضد فرنسا في ايام سلطانها الجائر .. المظاهرات .. التي كانت تخرج مواكب مواكب.. من الجامع الاموي الكبير في دمشق ، وكأن روح التدين تابى الا الاعلان عـن وجودها بانبعاثها من قلب مسجد .. وكأن روح التضامن الاسلامي المسيحي تأبى الا التعبير عن حقيقة واقعها بقيادة فارس الخوري لهذه المظاهرات .

لقد كان فارس الخوري يعلم ان التدين ، طبيعة أصيلة في أهل هـذا البلد ، عرفوا به من فجر التاريخ الى يوم الناس هذا ..

وان المسيحيين (السوريين ــ اللبنانيين) لا يزالون اخلص لمسيحيتهم واحفظ لشعائرهم من مسيحيي اوروبا ، والعامي منهم ، يؤدي واجبات دينه كما لا يؤديها اسقف غربي !!

وان التدين ، هو مفتاح الشخصية العربية ، فاذا وجدت هـذه النفس الطيبة متنفسها العميق في الاسلام كعقيدة ، وسياجها المتين فـي الاسلام كنظام .. واذا وجد الاسلام من هذه الامة الطيبة افئدة تهوي اليه ، وتنفـذ تعاليمه ، وتحقق اهدافه ،فانتظر نهضة ناجحة ومستقبلا مشرقا وخيرا غزيرا لا للعروبة وحدها وانما للعالم اجمع ..



معالي الامين العام للرابطة الاسلامية في مكة المكرمة ، الشيخ محمـــد سرور الصبان ، يتقبل تحية الود والاحترام والتقدير والاكبار من اخيه الداعية الاسلامي المؤمن الاستاذ محمد كامل الشريف سفير المملكة الاردنية الهاشمية في نيجيريا ، والاستاذ الشريف ورد اسمه فـي اكثر من موضع من هذا الكتاب باعتباره ركنا من اركان الدعوة الاسلامية في وادي النيل ، اضطر للجوء السياسي الى سورية عام ١٩٥٤ اثر محنة الاخوان المسلمين حيث كـان عضوا في مكتب الارشاد العام في القاهرة ، ومن ثم منح الجنسية الاردنية واختير ليكـون سفيرا للمليك الهاشمي في القطر النيجيري الاسلامي المستقل .

هذا ، ومن المعلوم ان معالي الشيخ محمد سرور الصبان يحتل مكانة رفيعة في اوساط دعاة الايمان بالنظر لما له من جهاد يذكر وبذل وسخاء يحمد ويشكر ، وتفان في العمل لمـــا فيه جعل كلمة الله هي العليا ورفع الراية المحمدية في كل مكان جزاه الله عـن الاســـلام والمسلمين والايمان والمؤمنين كل خير .

●

ولعل كل هذا ايضا . . ما يفسر لنا ظاهرة نجاح **رابطة العمل الاسلامي في مكة المكرمة ،** تحت اشراف امينها العام ، الداعية الاسلامي المغـــوار ،

والمخلص العربي الامين **معالي الشيخ محمد سرور الصبان .. فـــي** مهماتها التي وجدت من اجلها ، ومن اهمها الدعايـــة للاسلام والتبشير بفضائلـــه ومحاسنه ومآثره بطرق عملية ونظرية تقرب القلوب التائهة وتجتذب النفوس الشاردة .. حيث ان الاسلام الذي تؤمن به هذه الرابطة وامينها العام الهمام، وتدعو له .. هو الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من عند ربه ، وقام به اولو الامر من بعده قياما مبرءا منزها .. وليس هذا المسخ المصنوع مـن اهواء الحكام السفلة او تقاليد الكهان المنافقين .. خاصة وان عـدوان هؤلاء معروف منذ قديم الزمان على حقائق الديانات الاولى .

لقد علمت **الرابطة الاسلامية** في مكة المكرمة .. وعلم امينها العـــام الغيور **الشيخ محمد سرور الصبان** .. ان اوروبا في القرون الوسطى قـــد اعلنت على الاسلام حربا ظلت دائرة الرحى مائتي عام ، ارتدت بعدها الصليبية الغازية وهي لم تشف غليلا لحقدها ولم تطفيء نارا لخصومتها الملتهبة ، ثـم جاء العصر الحديث والعزم القديم كامن بين الجوانح المنطوية علـــى البغضاء والتعصب فراحت تضرب الاسلام في صميمه وتمزق أمته الكبرى شعوبـــا وقبائل .. وتتواصى دولها ان تحارب بكل اسلوب نزعات الحنين الى الحكم الاسلامي والتشريع الاسلامي ، فكان من حق الاسلام على الجماعات العاقلـة الراشدة ان تدفع المطاعن التي وجهت اليه ، وكان من حق نهضته الاخيرة على **الرابطة الاسلامية** في مكة المكرمة .. وعلى **الاخوان المسلمين** في دنيا العرب، **والجماعة الاسلامية** في باكستان .. **والشبان المسلمين** فـــي بعض دنيانـــا العربية ... **والشبيبة الاسلامية** في دمشق .. وغيرها .. أن تزيح متكاتفة متفقة ، العوائق التي وضعت امامها .. وتريبها الحملات التـــي يستهدف اليها دينها في أهم تعاليمه .. كما يريبها الاستغلال المنظم لشبهات المفترين وتخرصات الجاهلين ، وان يدلها ذلك على ان هنالك مؤامرة واسعة النطـاق يدبرها الغزو التبشيري والاستعمار الثقافي لينال بها من مكانة الاسلام فـــي قلوب بنيه ، وليوصد بها ابواب الامل في وجـــوه المجاهدين ضد الالحـاد

وتحية طيبة مباركة ارسلها على صفحات هذا الكتاب .. الـــى رابطة العمل الاسلامي في مكة المكرمة .. والى معالي امينها العام الشيخ محمـــد سرور الصبان ، داعيا الى المولى تعالى ان يوفقها ويوفقه ، ويسدد خطاهـــا وخطاه نحو ما فيه عزة الاسلام والعروبة وان يجزيها واياه خير الجزاء .

فارس الخوري
والصهيونية

كان فارس الخوري يرى .. ان معركتنا مع اليهود ، هـي معركة التاريخ ، وليست معركة مع عدو طاريء ..

وكان ـ رحمه الله ـ يتململ حينما يرى ان سياسة بعض العرب فـي مواجهة هذا الخطر ، لا تخرج عن حدود تقدير قوة اعـداد اليهود وحاجتنا الى اعداد قوي يكافئه ، او قوة دعايتهم وحاجتنا الى دعاية قوية ترد عليهم ، او خطة المعسكر الانكلو الاميركي في التمكين لـ (اسرائيل) والاستفادة منهـا وحاجتنا معشر العرب الى فضح خطته وتفويت اغراضه بالاستعانة بالمعسكر الروسي .. وبديهي ان الاستاذ فارس الخوري لم يكن يهمل امر حاجتنا الى اعداد قوي ودعاية قوية ووجوب الاستفادة من المعسكرين المتنازعين وقد اكد لي انه حاول ذلك قبلا وتحدث الى كل من السـيد فيشنسكي ، وغروميكو ، بموضوع ايجاد تقارب سوفييتي عربي فلم يكـن يلقى استجابة واصغاء .. فكان السيد غروميكو لا يكاد يعقب بكلمة ، اما فيشنسكي فكان يقول له : انـا واثق من حسـن قصدك وسلامة اهدافك ولكن ، للاسف ، لا فائدة من ذلك ، لان الدول العربية مرتمية في احضان الغرب ولا حكمة للروس فـي التقارب مـع احداها !! ..



السيد اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفييتية

الامر اخطر من ذلك بكثير

الا ان فارس الخوري كان يرى، ان الامر اخطر من ذلك بكثير ، وان من السذاجة الظن بأن اليهود الذين احتلوا (الارض المقدسة) هم مجرد صنائع يلعب بها الانكليز او الامريكان او الروس ، او مجرد مخلب قط لهذا الاستعمار .. او مجرد جسر له .. ويوافق على وصف **كل سياسة تقوم على هذا الظن بأنها سياسة جاهلة بالتاريخ وبالاقتصاد وبحقيقة خطر اليهود .**

عقيدة رهيبة .. وسياسة متصلة المراحل

فالاستاذ فارس الخوري يدرك ان اليهود ، انما هم اصحاب عقيدة رهيبة يؤمنون بها انهم شعب الله المختار وان عقيدتهم وقف على جنسهم لا يدخلها غيرهم ، وان حكم العالم هو من حقهم وحدهم ويجب ان يصير اليهم وان غيرهم حيوانات اعطيت شكل الانسان كي يسهل تسخيرها وان مال غير اليهودي يحل لاول يهودي يستولي عليه مهما تكن الوسائل وكل هذه نصوص

في التلمود كتابهم المقدس يعبدون ربهم بها ويرسمون سياستهم بروحها ، **وان حكماءهم التلموديين قد وضعوا لهم سياسة قديمة متصلة المراحل تعتمد على ثلاث قواعد ، على افساد غير اليهود بكل وسائل الافساد ، وعلى جمع شمل اليهود وتوحيد قواهم ، وعلى السيطرة بوسائل المال والتجسس والنشر على القوى العالمية وضرب بعضها ببعض حتى يؤول الامر في النهاية الى شعب الله المختار،** وفارس الخوري يدرك ايضا **ان الذكاء اليهودي ما فتيء يعمل بجد ونشاط على تدمير اعز ما لدى الآخرين من معتقدات وهدم الاعمدة التي شيدوا عليها بناء تفكيرهم ..** وان هذا وحده يفسر لنا لماذا كان كارل ماركس يهوديا (وهو الذي كان الناس يعتقدون قبل ظهوره بأن السياسة والدين والاخلاق والفن هي ظواهر سامية للفكر ولا علاقة لها قط بالبورصة وهموم البطن فجاء ماركس — يثبت !! — لهم ان هذه الاشياء تعيش وتنمو على ركام اقذار من الاقتصاد الحقير !!) كما ان هذا وحده يفسر لنا لماذا كان سيغموند فرويد يهوديا (وفرويد هو الذي جاء باكتشافه الشهير في شؤون الجنس يقول ان اكثرنا فضيلة يخفي في اعماق كيانه رجلا فاسقا شاذا مجرما في حين كان كل منا قبل هذا الاكتشاف يعتقد انه انسان خال من الشذوذ والفساد) وان هذا ايضا .. يفسر لنا لماذا كان برغسون يهوديا .. (وهو الذي كان المفكرون والفلاسفة يعتقدون ان العقل هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن الوصول بها الى الحقيقة التي هي غاية الانسان فجاء هذا اليهودي يقلب هذا المعتقد راسا على عقب ويثبت (؟ !!) ان العقل يعجز عن ادراك الحقيقة !!!) .

بروتوكولات حكماء صهيون

ولا ينسى فارس الخوري ان يشير الى بعض الذي جاء في (بروتوكولات حكماء صهيون) مما يؤكد هذه الحقيقة المؤكدة

جاء في البروتوكول الرابع ما نصه :

(اننا نقصد ان نظهر كما لو كنا المحررين للعمال ، جئنا لنحررهم من هذا الظلم ، حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين ، ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعا لمبدأ الاخوة والمصلحة العامة الانسانية . وهذا هو السبب الذي يحتم علينا ان ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المؤمنين

وان نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية ، ولكي نحول عقولهم عن سياستنا ، سيكون حتما علينا ان نبقيهم منهمكين في الصناعة والتجارة ، وهكذا ستنصرف كل الامم عن مصالحها ولن تفطن في هذا الصراع العالمي الى عدوها المشترك) .

من هذا نعلم شدة ادراك اليهود لخطورة التمكين للعقيدة في الله . في اي مجتمع غير يهودي لعلمهم ان من شأن هذا الايمان ان يجمع شمل غير اليهود تحت قيادات قوية ويعينهم على الاستقرار ولهذا يعودون فيؤكدون نفس هذا الموضوع في البروتوكول الثالث عشر الذي نص :

((ولهذا السبب سنحاول ان نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المزيفة التي يمكن ان تبدو تقدمية او تحررية ، لقد نجحنا نجاحا كاملا بنظرياتنا عن التقدم ، في تحويل رؤوس غير اليهود الفارغة من العقل نحو الاشتراكية ، ولا يوجد عقل بين غير اليهود يستطيع ان يلاحظ انه في كل حالة وراء كلمة (التقدم) يختفي ضلال وزيغ عن الحق ما عدا الحالات التي تشير فيها هذه الكلمة الى كشوف مادية او علمية)) .

السلاح الروسي

واذكر ، عندما اعلن جمال عبد الناصر عام ١٩٥٦ حصوله على الاسلحة (التشيكية) ثم ما لبث ان قال بأنها انما كانت اسلحة روسية .. كنا جلوسا بحضرة استاذنا فارس الخوري ، فقال :

لقد اخطأ جمال عبد الناصر خطا فادحا باعلانه نبأ الاسلحة ، فالرجل العسكري لا يعلن عن قوته حتى يفوت على العدو الاستعداد له بمثل ما عنده، ولكنني اعتقد انه كان مسوقا لذلك برغبته توطيد دعائم حكمه الداخلي في مصر .. اي انه للاستهلاك المحلي ليس الا .. وقد نجح جمال عبد الناصر في تأليف القلوب حوله نجاحا كبيرا ما كان ليخطر على بال ، ذلك انه بعد تطور الاحداث واتجاه سياسة اكثر الشعوب العربية ودولها الى التمرد على الحلفاء الانكليز والامريكان الذين خانونا واعانوا اليهود علينا بعد حربين عالميتين كنا فيهما اوفياء صادقين ، وكان هذا الاتجاه استجابة للمشاعر الشعبية المتأججة التي كان (المعسكر الروسي) لبوادرها بالمرصاد يلقطها ويغذيها .. فجاءت صفقة الاسلحة ليستبشر الناس بها وليؤيدوها كل التأييد وليطالبوا بالاستزادة منها .. ولكن ، هل كان هذا هو كل شيء في

السياسة الدولية ؟!! وهل كان اليهود بمعزل عن سياسة المعسكر الروسي حينما امدنا بالسلاح ؟!! او على الاقل .. هل كانت تعوزهم وسائل المخابرات ليعلموا بالصفقة قبل ان تتم وليخبروا بها الانكليز والامريكان حتى يبادروا الى عمل يفوت على المعسكر الروسي فرصة التدخل في شؤون الشرق الاوسط وتسليحه كما فعلوا حينما سرقوا الاسرار الذرية من امريكا ونقلوها الى روسيا في الحادثة المشهورة التي كانت نتيجتها تنحية (اوبنهايمر) اليهودي الذي كان رئيس الاكتشافات الذرية الاميركية ، وما قيل في تبرير هذه السرقة من انه كان القصد منها ايجاد شيء من التوازن بين القوى العالمية الى حين .. فما علاقة هذا العالم بالتوازن الدولي وهو امر سياسي بحت ؟!.. ثم اعدام روزنبرغ العالم الذري اليهودي الاميركي وزوجته بمثل هذه التهمة .. فيا ترى .. هل كانت مصلحة اليهود في تفويت التسليح الروسي للعرب اقل ؟! .. او هل كان عملاؤهم ومخبروهم في روسيا التي تجسسوا لها وسرقوا الاسرار لحسابها اقل من عملائهم ومخبريهم في امريكا ؟! .. وهل نستطيع ان نطمئن الى الاكثرية اليهودية في مجلس السوفييت الاعلى وكاكانوفتش نائب رئيس وزراء روسيا ، اليهودي (ولم يكن اقصي عن منصبه) والعدد الكبير من اليهود بين وزراء دول اوروبا الشرقية.. ان كل هؤلاء قد تخلوا عن يهوديتهم واصبحوا روسيين وشيوعيين فقط .. ثم .. هل يقتصر دور المعسكر الروسي على تسليح العرب فقط بالصفقة **التي اعلناها ولا يسلح (اسرائيل) ؟!! واذا كان يسلحها فبمقدار اقل او اكثر ؟! من يستطيع ان يعلم ؟!** والذي يدفعنا الى الشك والريبة والحذر هو ما نعرفه عن تاريخ اليهود الطويل وانه عبارة عن سلسلة من المؤامرات والجرائم الكبرى لا تنقطع الا لتعود فتتصل .. ولقد ذكرنا أن حكماءهم **التلموديين قد وضعوا لهم** سياسة قديمة متصلة المراحل من قواعدها الثلاثة السيطرة بوسائل المال والتجسس والنشر على القوى العالمية وضرب بعضها ببعض حتى يؤول الامر في النهاية لشعب الله المختار .. ومن المؤكد ، **ان حب التحكم في العالم ليس مجرد رغبة طارئة لدى اليهود ، بل هو في الواقع من صميم طبيعتهم ودينهم ومعتقداتهم** .. جاء في كتاب اليهود المقدس (التلمود) ما نصه : ((**يجب ان نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء وان ندخل ابناءنا في الديانات المختلفة ، وان تكون لنا اليد العليا في الدول واعمالها فنفتنهم ونوقعهم في الحروب ، وندخل عليهم الخوف ، وفي كل ذلك نستفيد الفائدة كلها**)) . ولذا ، فلا بد ان تدفعنا الريبة والحذر من



اليهود الى سؤال اخر قد يبدو غريبا هو .. **هـــل يمكن ان يكون لليهـــود مصلحة في صفقة الاسلحة ، وما هي ؟!** حتى نلعب اللعبـــة بمهارة فنستفيد من التسلح ونفوتها عليهم ؟! .. وهـــذا التساؤل يجعلنا وجها لوجه امـــام الحقيقة التي لا يختلف معنا فيها الكثيرون وهي ان **ركائز السياسة الروسية في كل بلدهم الشيوعيون** .. وان حجة الشيوعية الاولى فـــي بلادنا ليست الظلم الاجتماعي وان كان الظلم الاجتماعي من حججها ، ولكنها فـــي مظالـــم الاستعمار وسياسة الانكليز والامريكان ومن شأن هذه الصفقة ان تقـــوي حجة الشيوعية تقوية ايجابية **ومعنى ذلك ان انتشار الشيوعية هـــو الثمن الحقيقي الذي تطمع فيه روسيا من الصفقة** ، ولا غبار عليها في ذلك ، فهـــي تعمل لمصلحتها وترسي ركيزة سياستها ولكن مهمتنا نحن ان نقدر خطـــر انتشار الشيوعية علينا وعلى قضية فلسطين نفسها التي نطلب السلاح فـــي الدرجة الاولى من اجلها ؟!! وهنا جاز لنا ان نتساءل عـــن الضمانات التـــي اتخذها الزعماء العرب لحماية الشعوب العربية من خطر الشيوعية ولتحقيق ما يصرح به جمال عبد الناصر بين الحين والحين مـــن انه يستورد حديدا لا

مبادىء .. ولا عبرة في مكافحته للشيوعية كحزب في بلاده ما دامت تنتشر بسرعة مذهلة في البلاد العربية الاخرى وتقوى .. **والامة العربية كل لا يتجزأ** .. ونحن نرى ان الشيوعية في سورية تبرز بشخص نائبها الوحيد في مجلس النواب السوري ولجنة الشؤون الخارجية فيه وفي بعض جلسات مجلس الوزراء وتتولى الوزارة والنيابة في قطر عربي مجاور (هو الاردن) وتمشي ـ أي الشيوعية ـ في الشوارع وفي مدرجات الجامعة والمدارس والصحف وتعرض كتبها في المكتبات ، وان تشيع هذه البلاد معناه استقرار (اسرائيل) وبقاؤها .

الشيوعية من صنع اليهود

وكان فارس الخوري يركز لي في احاديثه **الى ان حكومة الثورة الشيوعية الاولى هي اول حكومة اعترفت باليهود كجماعة ذات حق بانشاء كيان خاص لهم** ، فهي بعد استلامها الحكم في روسيا بأسبوع واحد ، اصدرت قانونا باعتبار **(اللاسامية)** جريمة ، واللاسامية كما هو معروف ، كره اليهود وعداء الشعوب الاخرى لهم ، وفي عام ١٩٢٠ أي قبل قيام دولة (اسرائيل) بثمانية وعشرين عاما **اعترفت حكومة الثورة الشيوعية اعترافا صريحا بضرورة قيام دولة يهودية في فلسطين وبتنظيم الجمهوريات اليهودية في المانيا وفي النمسا ، وعندما عرض مشروع التقسيم على هيئة الامم كان الاتحاد السوفييتي والدول السائرة في ركابه (على الرغم من جهودنا الجبارة التي بذلناها معها) في مقدمة الدول التي قررت مشروع التقسيم كما كانت في مقدمة الدول التي اعترفت بـ (اسرائيل)** ونحن نعلم ايضا ان الذين قاموا بالثورة الشيوعية هم من اليهود الكبار الذين كانت تمولهم مصارف يهودية كبرى في اوروبا ونيويورك وان روسيا قد ظلت في ايديهم حتى عام ١٩٢٦ عندما بدأ ستالين يسيطر تدريجيا على الحكم بطرده تروتسكي وكامينيف وزينوفييف .. وكلهم يهود .. عن الحكم ، واضطراره تروتسكي على الهجرة من روسيا .. وفي عام ١٩٣٠ خفت وطأة الحكم اليهودي عن روسيا ، ومن هنا قيل ان ستالين انتزع الثورة الشيوعية من ايدي اليهود ووضع حدا للمرحلة اليهودية في الشيوعية لانه ابعد بالفعل عن الحكم والسيطرة اربعة عشر زعيما يهوديا هم ابرز الزعماء والحكام في تاريخ الثورة الشيوعية ولا ننسى محنة اليهود على يديه في اخريات ايامه حتى لقد اشيع انه مات قتيلا بيد اليهود !!

دعاية ضارة تكشف عن حقيقة مؤلمة

وفي عام ١٩٥٨ اثناء الثورة التي اوقدها حكام (الجمهورية العربية المتحدة) في لبنان ضد الرئيس الاستاذ كميل شمعون .. كنا في مجلس الاستاذ فارس الخوري حينما اطلعنا على خبر نشرته بعض الصحف المحلية (الموجهة) تقول فيه أن الحكومة الاردنية قد (استوردت) !!! اسلحة تشيكية من (اسرائيل !!) ووضعت عليها شعارات مصرية وسورية وارسلتها الى لبنان لتوزع في مناطق الثورة كي تقع في ايدي المراقبين الدوليين فتكون لديهم دليلا على تدخل الجمهورية العربية المتحدة في قضايا لبنان الداخلية .. فقال فارس الخوري :

من المؤسف حقا ، والمؤلم ، ان يصل الغرض بـ (دعايتنا) الى هذا الحد .. فليس هنالك اخطر من نشر نبأ كهذا يهدم ثقة العرب بعضهم ببعض ويدمر كل امل لهم في امكان قيام تضامن عربي نظيف حيال القضية الفلسطينية حينما يقال ان دولة عربية ما ، مهما بلغ من درجة انحراف حكامها ــ اذا كان صحيحا ما تزعمه دعايتنا عن انحراف اولئك الحكام ــ تتعاون مع (اسرائيل) بصورة مباشرة او غير مباشرة وتستورد منها الاسلحة بقصد الدس والوقيعة بين شقيقتين لها عربيتين .. ولو اردنا ان نتجاوز هذا .. اليس في نشر مثل هذا النبأ (تنبيه) للاذهان الى ان اسرائيل هي الاخرى مسلحة من قبل الشرق بالاسلحة التشيكية ؟!؟! والا .. فمن اين لها السلاح التشيكي المشابه لاسلحتنا كي تصدره للاردن فيحوله هذا الى لبنان فيوزعه على مناطق الثورة كي يخدع فيه المراقبين الدوليين ؟!!

الشيوعية لن تتخلى عن مساندة اليهود

وجرى بيني وبين فارس الخوري ذات يوم ، حديث ، حول ما يذكره اعضاء الوفد البرلماني السوري الذي زار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٥٥ بدعوة من مجلس السوفييت الاعلى وكيف اثار هذا الوفد موضوع (اسرائيل) في كل مقابلة اجراها مع كبار المسؤولين السوفييت الذين كانوا يجيبون على كل كلمة يقولها احد اعضاء الوفد بدقة ووضوح **الا بموضوع (اسرائيل)** فقد كانوا يتجنبون الاجابة عليه الا في مرتين ، المرة الاولى في الزيارة التي قام بها اعضاء الوفد للكاتب الروسي الكبير ، اليهودي **(ايليا اهرنبورغ)**

والمرة الثانية في المقابلة التي حدثت بين اعضاء الوفد وبين **رئيس جمهورية اوكرانيا السوفييتية** فقد اجاب كل من الاثنين اجابة مشابهة لاجابة الاخر على هذا الموضوع بالقول : ((**ان محو اسرائيل والقاء شعبها خارج حدود فلسطين شيء غير ممكن وغير معقول وانما الحل هو ان ينمو وان يتضخم الحزب الشيوعي في اسرائيل حتى تصبح مقدرات الحكم في يديه وعند ذلك تستطيعون ان تعيشوا مع اسرائيل كجيران مسالمين متعاونين**)) .
فأجابهما الاستاذ **علي بوظو** المتحدث باسم الوفد السوري بقوله : (حتى لو تحقق هذا الحلم الذي يدور في رؤوسكم معشر السوفييت فلن يتغير الحال ابدا لان الحزب الشيوعي الاسرائيلي في كل تاريخه لم يكن اقل جورا وتعسفا نحو العرب من الاحزاب اليمينية الاخرى وان الفوارق بين الاحزاب الاسرائيلية من يمينية ويسارية هي فوارق مذهبية في كيفية قيام النظام الاقتصادي فيها ولكنهم مجمعون ومتحمسون لقيام دولة مصطنعة زائفة لا مؤيد حقوقي لها ولا تاريخي لوجودها ولكنها تقوم على العدوان والاغتصاب ، وقد ولدت نتيجة غزوة همجية غذاها الذين خلقوها وما زالوا يمدونها بأسباب الحياة وكان من آثار هذه الغزوة المجرمة انها شردت شعبا آمنا مطمئنا من وطنه الاصلي الذي يقطنه منذ آلاف السنين وحرمته من كل اسباب الحياة فهو يعيش الآن مشردا تحت كل نجم بلا مأوى وبلا وطن ، محروم من جميع الاسباب التي يجب أن يتمتع بها الانسان لاستمرار حياته ، وقد اضحى الفلسطيني فريسة سهلة للفقر والجهل والمرض فتراه يعيش في خيام مهلهلة ممزقة لا تقيه حر الصيف وبرد الشتاء عرضة لجميع انواع الاوبئة ، ان اللاجئين الفلسطينيين اليوم في وضع ينفطر له قلب اقسى الناس واكثرهم طغيانا وهمجية واذا بقوا على ما هم عليه فانهم مهددون بالهلاك المحتم) .

ولم يجد الاستاذ بوظو ومن معه جوابا على هذه الايضاحات !!

كما ان السيد **عبد الصمد الفتيح** نائب رئيس مجلس النواب السوري روى لي قصة اكدها **الاستاذ علي بوظو تؤكد اهتمام الدول الشيوعية** (رغم ان ذلك لا يحتاج الى تأكيد) باقامة تعاون وثيق بين الشعوب العربية عن طريق الاحزاب الشيوعية فيها ، واسرائيل ، وتتلخص هذه القصة ، عندما ذهب الوفد البرلماني السوري بزيارة رسمية للصين الشعبية عام ١٩٥٦ عقد اجتماعا مع اقطاب الحكومة الصينية واثار رئيس الوفد السوري الاستاذ علي بوظو موضوع (اسرائيل) واصفا اقامة هذه الدولة في قلب

الامة العربية بالجريمة الكبرى اشترك فـــي ارتكابها الشرق والغــرب .. الكتلتان المتناقضتان .. معا ، وفي خلقها وجعلها خطرا يهدد حرية البــلاد العربية ويقف حائلا دون وحدتها المنشودة فقال له السيد **ماوتسي تونــغ** الزعيم الفكري الاكبر للصين الشعبية ورئيس جمهوريتها عامذاك : **ارى ان تتعاونوا مع الاحزاب الاشتراكية اليهودية ولا سيما الحزب الشيوعي الذي لا يحمل نوايا عدوانية نحو العرب ويرغب بالتعايش السلمي معكم** ، فأجابه الاستاذ علي بوظو بأن قضيتنا مع (اسرائيل) ليست قضية صلة بحزب او احزاب ولكنها قضية حياة او موت بالنسبة لنا فضلا عـــن ان الحـــزب الشيوعي كان في مقدمة الاحزاب الصهيونية التـــي عملت لتحقيق هـذه الجريمة النكراء بحق الانسانية وساهم بطرد اكثر من مليون عربي من ديـار آبائهم واجدادهم وان العرب جميعا يؤمنون بأن لا حياة لهـــم ولا يمكن ان يقيموا دولة موحدة في جميع اجزائهم التي اقـــام فيها المستعمرون عقيب الحرب العالمية الاولى دويلات وحكومات تفصل بينها حدود مصطنعة زائفة .. في حين أن الارض واحدة يسكنها شعب واحد ويدين معظـــم افراده بدين واحد ويجمع بينهم تاريخ طويل مـــن الذكريات المشتركـــة والماضي الطويل وتوحدهم اهداف كبرى نحو المستقبل الذي ينشدونه .. وبعد ان تهامس السيد **ماوتسي تونغ** مع السيد **ليوتشاوشي** رئيس مجلس النواب الصيني عهد ذاك (ورئيس الجمهورية الصينية الشعبية فيما بعد) اجـاب **بقوله : (اننا كشيوعيين هذه هي وجهة نظرنا بالنسبة للاحزاب الشيوعيـة ولكنكم تدركون امانيكم واهدافكم اكثر من غيركم وتعلمون من وقائع الامور في بلادكم اكثر منا) .**

محمد امين الحسيني .. ضحية ثأر المخابرات البريطانية

قال لي فارس الخوري ذات يوم :

لم يؤذ رجل في حريته ، وفي كرامته ، وفـــي سمعته ، كمـا أوذي السيد محمد امين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليـا الذي تضافرت جهود دوائر المخابرات البريطانية واليهودية على النيل منـه والطعن فيه وتحميله مسؤولية كل ما حدث في فلسطين من تشريد لابنائها وحرمان لهم من اوطانهم واتهامهم اياه ونفرا من اخوانه بانهم اتبعوا سياسة سلبية ورفضوا جميع ما تقدم به الانكليز مـــن عروض وحلـول لقضيـة



كتب الي الاستاذ عبد الوهاب فتال رئيس تحرير جريدة الشباب الحلبية ونقيب محرري المنطقة الشمالية في سورية ، يقترح علي ان اتوج كتابي هذا باهداء الى سماحة المفتي الاكبر ورئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين ورمز كفاحها ونضالها وجهادها السيد محمد امين الحسيني اطال الله حياته وابقاه ذخرا للعروبة والاسلام .. ولكن سماحته ابى علينا ذلك حرصا منه على وصول الكتاب الى كل يد ووقوعه تحت كل سمع وبصر .. بالنظر للتيارات المتضاربة في العالم العربي ، وكان الاستاذ الفتال قد اقترح علينا ان يكون نص (الاهداء) كالاتي :

« الى الرجل القديس ، الرجل الانسان ، رجل الرجولة يوم عزت القداسة والانسانية والرجولة في النفوس .. الى الرجل الطود الذي ما زال يصارع الاعاصير بينما هوى الجميع امام ارتعاشات النسيم ، الى الرجل الذي تتهاوى عند اقدامه كل القاب البطولة والامجاد صاعدة تستجدي نثرا من امجاد نضاله .. الى امين الحسيني .. »

والصورة .. تمثل سماحة السيد محمد امين الحسيني وقد جلس بجواره محمد الفرحاني

فلسطين ومنها التقسيم الذي عرض ايام الانتداب وانه لو قبل المفتي والزعماء الفلسطينيون المحيطون به بتلك الحلول والعروض لما وصلت الحال الى ما وصلت اليه .. الى اخر ما هنالك من اشياء تلقفها بعض الناس دون روية ولا تفكير .. وابدى لي الاستاذ الخوري اسفه لان تلك الدعاية الباطلة قد وجدت لها بعض الصدى عند بعض العرب بل عند بعض الفلسطينيين انفسهم وعزا سبب هذا الى جهل الناس بحقيقة المطامع اليهودية في فلسطين .. تلك المطامع التي لم تكن لتقف عند حد .. وقال لي فارس الخوري مرة : لقد كان السيد محمد امين الحسيني ولا يزال وسيظل اشرف من عمل بصدق وجد واخلاص لدرء الخطر عن بلاده وكان ولا يزال اعمق الناس ادراكا لحقيقة الخطر اليهودي واكثرهم فعالية في الكفاح والنضال ضد ذلك الخطر .. وليسمح لنا الذين يهاجمونه ويعملون لتحطيمه بأن نشك في حقيقة الدوافع التي تدفعهم لذلك والغايات التي يترسمونها.

مختلف القوى العالميـة كانت تعاضد اليهـود

وقال لي فارس الخوري :

الواقع ان اليهود كانوا يستخدمون مختلف القوى العالمية على ما بينها من تناقض وخلاف وتنافس لمعاضدتهم ومساندتهم من اجل احتلال فلسطين تمهيدا للتوسع فيها على حساب سكانها العـرب وليقيموا دولتهم التـي يمنون نفوسهم في ان تضم ما بين الفرات والنيل . ومساعيهم في هـذا السبيل قديمة .. ويخطىء من يظن ان انتصار الدول الحليفة فـي الحرب العالمية الاولى هو الذي ادى الىنكبة فلسطين لما رافقه من صدور وعد بلفور في اثنائه ، لان اليهود ، في الوقت الذي كانوا فيه يفاوضون هذا الوزيـر البريطاني لكي يقطع لهم وعده المشهور .. كانوا فـي الوقت نفسه يتصاون بالقيصر الالماني غليوم الثاني من اجل الغاية نفسها .. وقـد انتهز القيصر المذكور زيارة الصدر الاعظم طلعت باشا لبرلين في عام ١٩١٦ وعرض عليـه مشروع اعطاء اليهود وطنا قوميا في فلسطين ولما عاد رئيس الوزارة العثمانية الى الاستانة دعا نواب القدس في مجلس المبعوثان لاخذ رايهم فيه فرفضوه .. وما يدرينا لو كانت المانيا هي المنتصرة في تلك الحرب .. الى اي حـد ستضغط على حليفتها الدولة العثمانية لتحقيق مثل هذا الوطن القومـي الذي يحلم اليهود به .

عبد الحميد الثاني .. ضحية ثار اليهودية العالمية

وقال لي فارس الخوري ذات يوم :

لم اندم في حياتي على شيء ندمي على (القصيدة) التي نظمتها اثـر اعلان الدستور العثماني وهجوت بها السلطان عبد الحميد الثاني حيث تاكد لي فيما بعد بما لا يقبل الجدل ان هذا الخليفة الاسلامي قد راح ضحيـة ثار اليهودية العالمية التي ساءها رفضه لاقتراح تيودور هرتسل واتخـاذه مختلف الوسائل لمنع اليهود من الهجرة الـى فلسطين ووضعه قانـون (الجواز الاحمر) الخاص بكل يهودي يدخلها للسياحة والزيارة ، ومنعـه اياهم من تملك الاراضي ، مما ادى لحنقهم عليه ، وشروع منظماتهم بالعمل مع الدول الاستعمارية على مناواته شخصيا وعلى كيان الدولة العثمانية يوم اتخذوا من مدينة (سلانيك) وكرا رئيسيا لدسائسهم ومؤامراتهم لان هذه

المدينة تضم عددا كبيرا من (الدونمة) اليهود الذين انتحلوا الاسلام وتظاهروا باعتناقه والعمل له وتغلغلوا بواسطة ذلك في مختلف وظائف الدولة العثمانية حتى تمكن فريق منهم من بلوغ اعلى المناصب فكان منهـم الوزراء والنواب والصحفيون والكتاب والاساتذة والتجار .. وكان احد الثلاثة الذين انتدبهم مجلس المبعوثان العثماني لابلاغ السلطان عبد الحميد الثاني قرار خلعه عـن العرش ، نائب يهودي يدعى (عمانوئيل قره‌صو افندي) .

علاقة اليهود بخلع عبد الحميد

وبهذه المناسبة اروي قصة (قره‌صو) هذا عـلى لسان الوطني الكبير السيد فخري البارودي في الجزء الاول من مذكراته حيث قال :

« ومما يؤسف له ان الاحرار لم يختاروا لتبليغ قرار الخلع الى عبـد الحميد ـ وهو سلطان المسلمين ـ غير عمانوئيل قره‌صو افندي ، وهو زعيم يهود سلانيك ، وكانت وقعت له حادثة تاريخية مع عبد الحميد طرده علـى اثرها من القصر .. ففي سنة ١٩٠٠ دخل قره‌صو علـى السلطان بفضل القرين عارف بك وابلغه انه موفد من قبل الجمعية العالمية الصهيونية وانـه قادم يطلب اليه اعطاء تلك الجمعية الاراضي الواقعة في المثلث القائم ما بين يافا وغزة والبحر الميت مقابل خمسة ملايين ليرة ذهبية عثمانية تدفعهـا الجمعية الصهيونية هدية الى الخزينة ـ السلطانية ـ الخاصة ، وعشريـن مليونا تقرضها الجمعية الى الحكومة دون فائـدة لمـدة تعينها الحكومة .. فغضب السلطان وطرده من حضرته ..

وعلى الاثر، الف اليهود جمعية سرية اكثر اعضائها من اليهود المعروفين بـ (الدونمة) والدونمة كما هو معروف ومشهور ، لقب يطلقه الاتراك على جماعة اليهود الذين هاجروا الى تركيا مـن اسبانيا واستوطنوا سلانيك وهم طائفة يتظاهر افرادها بالاسلام مع احتفاظهم باطنا بالديـن اليهودي ـ ومنهم **جاويك بك** وبعض كبار رجال الاتحاد والترقـي ، فاتصلت بأحـرار الترك ، ودخل اعضاؤها حزب الاتحاد والترقي وتعاونوا مع كثيرين مـن شبان الضباط كانور ونيازي وكانت لهم اليد الطولى فـي الانقلاب الثاني وخلع عبد الحميد .. وظل اليهود ذوي نفوذ قوي فـي اوساط الاتحاديين وكانوا في حملة العناصر التي بثت الفساد في الشعب التركي وفي حكامه.»

فارس الخوري يقول لي :
اوصيت بعدم قبول الهدنة .. والان
اوصي بعدم الصلح مــع اليهود

وكثيرا ما تحدث الي فارس الخوري عن الجهود العربية التي بذلهــا واخوانه رؤساء وفود الدول الاسلامية وفي مقدمتها باكستان ، للتأثير فــي اعضاء الوفود الاجنبية لتأييد حق العرب في فلسطين وان هذه الوفود لــم تقصر .. ولكن ، كان من الواجب الا يقبل العرب بالهدنة التي عرضت عليهم في فلسطين وكانوا هم المنتصرون لانهم هيأوا بقبولهم اياهــــا ، لليهود ، ان يستوردوا اسلحة لم تكن لديهم في بداية القتــــال ، وان يستعدوا اتــم الاستعداد ، فكان ان خسرنا الجولة الاولى مع الاسف .. واكد لــي فارس الخوري انه كان اوصى واصر على العرب بعدم قبول هذه الهدنة وهم لـــو رفضوها حينذاك لما كان بوسع الدول الاستعمارية الا الرضوخ للامر الواقع والتسليم بالقضاء على مطامع اليهود ولكن قادة العرب لــم يأبهوا لنصائحه وتحذيراته ولم يأخذوا بها فـ (سودوا) بذلك وجهه وخذلوه خذلانا مبينـا حتى لقد صار يمشي في اروقة المنظمة الدولية و (راسه بالارض) !! ..

ويستطرد فارس الخوري يقول لي :

كم كنت اتمنى لو ان المسؤولين العرب جعلوا من مشكلة فلسطـــين قضية ، فوق مستوى خلافاتهم الطارئة كما هو الحال مع قضية الجــزائر المجاهدة .. في الوقت الحاضر .. (ولم تكن الجزائر قد استقلت بعــد) ولكن للاسف .. اراهم جعلوا منها سبيلا للمتاجرة والمهاترة .. والآن،دون لديك نصيحتي يا فرحاني واقراها على مسامع الاجيال اذا ما قدر لك ان تفعل .. نصيحتي لكل عربي ولكل مسلم ولكل عامل في الحقل الوطنـــي والسياسي ، الا صلح مع اليهود مهما يكن نوع ذلك الصلح ومداه .. فان اي (صلح) مع اليهود .. مهما كان نوعه .. ومهما يكن الاسم الــذي يعنــون به ، هو تضحية بالامة العربية على مذبح الحماقة والجهل والمطامع الوقتية وهو عار يلحق مرتكبه على مدى الازمان لانه سيكون حتما ، بداية القضاء على هذه الامة وعلى جميع مقوماتها المادية والروحية .. ثم ان عقد الصلح مع اليهود سيجعل العرب مسؤولين دوليا عن المحافظة على الوضع الـــذي سينشأ عن قيامه ويفقدهم حرية العمل ويجعل من العسير عليهم القيام في المستقبل باي عمل يرجى منه صيانة عروبة فلسطين فضلا عن تحريرها .

ولا يصدقن أحد ما تردده دوائر الاستعمار من أن الصلح مع اليهود سيقر الامن والسلام في الشرق الاوسط كما تزعم الدول الاستعمارية وستضع حدا للمطامع اليهودية في بقية الاقطار الاخرى لان اليهود سيلجأون لاساليب اخرى في القضاء على الامة العربية ، (لو تم صلح ما معهم) عن طريق نشر المبادىء والآراء والعقائد و (الاخلاق) التي تجافي آداب العرب وروح الاسلام والمسيحية في هذه الديار مما يسهل عليهم بمرور الزمان القضاء على الكيان العربي وعلى الروح الاسلامية القضاء المبرم الذي لا نهوض بعده . فليتدبر المسلمون والعرب أمرهم وليقاوموا اشد المقاومة كل فكرة لفرض صلح عليهم مع اليهود وليستعدوا دائما وابدا للجولة الحاسمة ولو اقتضى الامر منا الصبر قرونا وأجيالا . .

البترول العربي ومسؤوليته في عدم دفع النكبة

كما روى لي أنه عندما كان في هيئة الامم ، يحاول اقناع رؤساء الدول الاجنبية بتأييد حق العرب في فلسطين قال له مندوب كولومبيا ذات يوم : « لماذا تسألوننا الوقوف الى جانبكم وقضيتكم في يدكم ؟! لو ان الدول العربية المنتجة للبترول اوقفت الضخ يوما واحدا وهددت بقطعه نهائيا عن الغرب لتراجعت دول الغرب ولو قفت كلها الى جانبكم ، بل ان ذلك الرجل وحده ــ وأشار الى الامير فيصل آل سعود ــ لو ذهب الى البيت الابيض وهدد بقطع البترول وكان جادا في تهديده لانقلبت سياسة أمريكا راسا على عقب ولوقفت منكم محايدة اذا لم تقف مؤيدة . ان القضية في ايديكم وحدكم وانتم تدركون هذه الحقيقة فلماذا تتجاهلونها ؟!؟! » . ويستطرد الاستاذ فارس الخوري فيقول لي بأنه اجتمع أكثر من مرة بالامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود رئيس وفد بلاده لدى الامم المتحدة وقال له ارجوك ان تكتب الى والدك برجائنا والحاحنا بقطع البترول عن امريكا ، والافضل لو يقطعه فعلا ، مع التهديد بعدم اعادة ضخه ما لم تصن الحقوق العربية صيانة كاملة في فلسطين . وانه اكد للامير فيصل ان هذا العمل سوف يساعد الى حد كبير في جعل الاميركان يفكرون الف مرة ، ويترددون قبل ان يقدموا على عمل فيه اجحاف بحقوق عرب فلسطين . ورغم ان الامير فيصل كان مقتنعا بصواب هذه الفكرة ونتائجها الحسنة فانه لم يتمكن من اقناع والده بالاخذ بها . . فالتقى به ــ أي فارس الخوري ــ بعد أيام وسأله عن جواب والده

على ذلك الاقتراح ،فأرسل يديه في الهواء علامة اليأس والاسى ، وفهم منه بأن والده قد أجابه بأنه لا يريد ان يقطع علاقاته مع الامريكان الا بعد أن يقطع العرب كلهم علاقاتهم مع واشنطن .. فكان ان خسرنا قضية فلسطين !!

وحول هذا الموضوع ، دار بيني وبين السيد جواد المرابط حديث اتفقنا فيه على أن فارس الخوري انما كان يعتبر قضية فلسطين مشكلة العرب اجمع وأنه لا يجوز قصر معالجتها على الاقناع .. وعن طريق المناقشات في المجالس الدولية وانه لا ندحة لحلها من توفر الجسارة والعمل اللازم لتحريرها .. روى لي السيد المرابط قال :

زرت فارس الخوري عام ١٩٤٩ مودعا ، وكنت قد عينت وقتذاك وزيرا مفوضا للجمهورية السورية لدى المملكة العربية السعودية فقال لي انه اذ كان يقيس ما يتوقع منه ان يحصل على ما كان من بطولات يعلم انها متوفرة في الملك عبد العزيز آل سعود فانه كان يتوقع منه أن يكون الذي أعلم امريكا انه سيقطع البترول اذا هي واصلت تأييدها لـ (اسرائيل) وانه لو قطع البترول فعلا عند اول تأييد لها لكان الوضع تبدل تماما لمصلحة العرب ،وقال لي انه تحدث بالموضوع مع الامير فيصل بالذات .. ولما سافرت الى المملكة العربية كان في جملة ما سألت عنه هذه الناحية ، وقال لي الامير فيصل ، ولم يعد الامر الآن سرا يكتم .. قال لي ، ومن اين ننفق على القضية الفلسطينية وعلى ما نجابهه من مشاكل دولية تثار بوجه العالم العربي في كل ناحية .. وقد كانت المملكة العربية هي التي تنفق يومئذ على الوفود الفلسطينية واللاجئين اليها منهم كما كانت هي التي تتحمل اكبر النفقات لمشاكل العالم العربي في المستعمرات . وقد يبدو أن الجواب الذي قاله لي الامير فيصل غير كاف لو لم اتحقق فيما بعد ان الاميركان من المنعة بالظهران بحيث أنه يستحيل على المملكة بوضعها الذي كانت فيه وبسبب الظروف الدولية آنئذ ان تخرجهم منها وان المخاطرة تكون على أتمها من ناحية ان الاميركان لا يبعد ان يبقوا وان يحموا تدفق البترول بالقوة ، وان يجعلوا ذلك سببا لتجميد قيمة البترول عندهم ليحال دون انفاقها على القضايا العربية ، ومن جملتها قضية فلسطين . ثم ان ذلك قد يجعل الاميركان منه سببا لاتفاقهم مع الانكليز الذين من برامجهم تقسيم المملكة العربية بحيث تعود بريطانيا لنفوذها على الحجاز وأن يبقى الاميركان بالقسم الساحلي لحماية مصالحهم بالبترول ريثما تنتهي الفتنة التي يعرف المستعمرون كيف يشعلونها ويواصلون اشغالها .. وقد اتفق ان كرر الاستاذ فارس الخوري امامي سنة

١٩٥٩ بعد عودتي من زيارتي الاخيرة للملكة ما كان قاله لي سنة ١٩٤٩ وذكرت له ما سمعته من الامير فيصل وما تحققته بنفسي فقال : ان الانسان لا يمكنه ان يدرك جميع آماله وكثيرا ما يكون مجبرا لاختيار أهون الشرين :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ولكنني لا اظن ان فارس الخوري قد اقتنع بالذي رواه له السيد المرابط، بدليل انه استمر في الاشارة — في احاديثه الخصوصية — الى مسؤولية البترول العربي في مأساة فلسطين وعدم رد النكبة عنها ، وفي (تقصير) المملكة العربية السعودية بعدم تهديدها للاميركان بقطع البترول عنهم .

الملك عبد العزيز .. كان انوفا أبيا

على اية حال ، لا بد وان تكون هنالك ملابسات وظروف لم نحط بها الاحاطة الكافية بعد ، هي التي حالت بين المملكة العربية السعودية وبين تهديد الامريكان بقطع البترول العربي عنهم في حالة استمرار تأييدهم للباطل الصهيوني في فلسطين ، وربما يكون تفسير الاستاذ جواد المرابط حاملاً للكثير من الواقع والموضوعية وربما يكون المغفور له فارس الخوري مغاليا في الاعتقاد بجدوى هذا التدبير عهد ذاك ، وآمل ان يتمكن المؤرخون المتتبعون من جلاء هذه النقطة وتوضيح ما احاط بها من ملابسات وظروف. اذ ان المعروف عن الامام الراحل الملك عبد العزيز بن السعود صدق جهاده في سبيل الدعوة الاسلامية وعظيم مروءته ونخوته ، ونجدته وشهامته في القضايا التي تعرض لها العرب في عصره ، وتاريخه حافل وما فيه الا كل ما يشرفه ويحيط بالمهابة والاحترام والاجلال اسمه .

ولم يكن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود يتقاعس عن نصرة دين الله وهو الذي خاض المعارك والحروب بنفسه من اجل اعلاء راية هذا الدين وتحقيق الذات العربية المسلمة المؤمنة .. وكان يخوضها معه اولاده الميامين واعوانه البررة عالمين بوحي من عقيدتهم وايمانهم ان لهم آجالا اذا حضرت فأكرمها القتل في سبيل الله ولم يكونوا يخافون الموت ولا يكرهونه . ثم ، ان خدمات الملك عبد العزيز واولاده للقضية الفلسطينية اشهر من ان تذكر أو تروى وهي غير مقتصرة على الخطب والتصريحات بل تتجاوزها الى البذل والسخاء واظن ان زعيم فلسطين الاكبر الحاج امين الحسيني هو اصدق شاهد في هذا المجال .

ولقد اذيع اخيرا ما احتوته التقارير السرية في وزارة الخارجية الاميركية من ان هذا الملك العظيم قد رفض مبلغا يقدر بعشرين مليون جنيه ذهبي عرضه عليه الدكتور حاييم وايزمن (مؤسس ـ دولة اسرائيل ـ فيما بعد) بواسطة المستر سانت جون فيلبي وبكفالة المستر فرانكلين روزفلت رئيس الولايات الامريكية المتحدة ، فرفض هذا المبلغ رفضا باتا في وقت كان فيه واسرته وشعبه يعانون شظف العيش وقسوة الحياة ومرارة الحرمان اذ لم يكن النفط قد تفجر بأراضيهم بعد .. ورفض بالتالي اي تساهل حيال اليهود معتبرا هذا العرض ـ بحد ذاته ـ طعنا بكرامته ومساسا بحرمته .

التفكك العربي وأثره على قضايانا

وكثيرا ما حدثني فارس الخوري بقوله ان **مصيبة العرب هي منهم وفيهم،** فلولا تخاذلهم وتنازعهم وظهورهم امام العالم بمظهر المتفكك لما جرؤ على المساس بهم احد .. ويقول **ان فقدان التضامن العربي كان ولا يزال من اقوى الدعائم التي تسند (اسرائيل)** ويلي ذلك مساعدة الغرب لليهود . **أي ان فقدان التضامن العربي يأتي في الدرجة الاولى .**

وبهذه المناسبة اذكر طرفة ان دلت على شيء فانما تدل على ايمانه بهذه الحقيقة المؤكدة .. طرفة صدرت عنه في أشد حالات مرضه ..

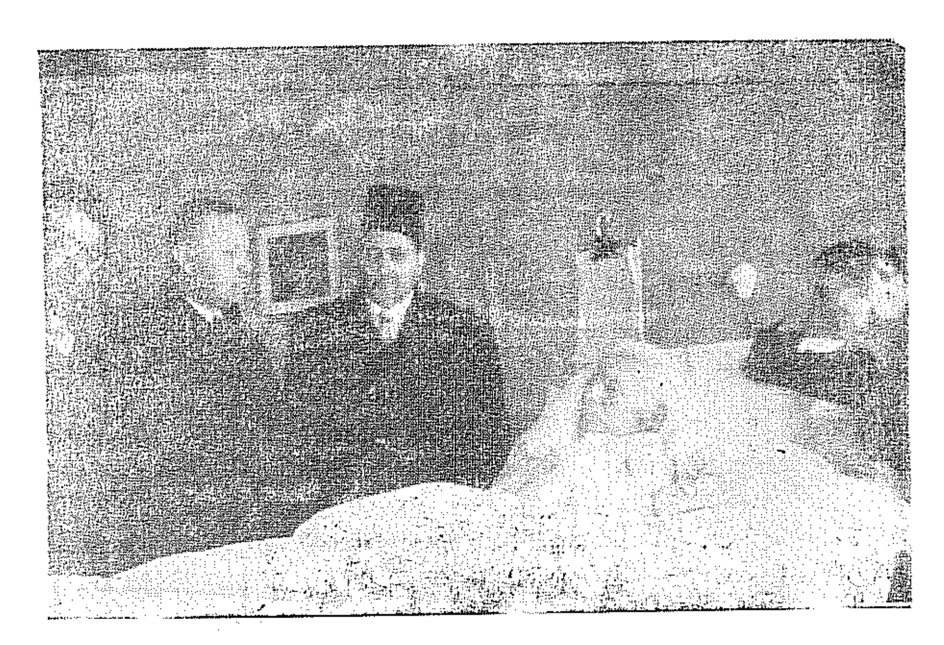
قال لي فارس الخوري في ١٩ تشرين الاول ١٩٦٠ بحضور الاستاذ عبد الوهاب الازرق :

حلمت في منامي انني التقيت بالسيد جمال عبد الناصر وسألته : ما معنى الزحف المقدس ؟ وما الغاية منه ؟ وما هدفه ؟ من يعلنه ؟ ومن ينشئه؟ ومن يأمر به ؟! فأجابني : انا الذي اعلنه وانا الذي آمر به .. فقلت له: يصبح واجبا على من، عندما تعلنه ؟! فقال لي : على العرب . فقلت له : وهل يصبح ملزما على جميع رعايا الجمهورية العربية المتحدة ؟! فقال لي : نعم !! ..

واستدار الاستاذ فارس الخوري بوجهه نحو **الاستاذ عبد الوهاب الازرق** وقال له :

يعني .. لئن امر رئيس الجمهورية العربية المتحدة بالزحف على الاردن او على لبنان مثلا .. او على العراق .. تزحف بدون أن تتردد وبدون ان تسأل عن الغاية من زحفك !! ..

فأجابه عبد الوهاب الازرق مسايرا :



العلامة فارس الخوري ملازما لسريره في مستشفى السادات وقد انحنت نحوه قرينته الرؤوم السيدة اسماء ، في حين وقف من حوله القاضيان الكبيران الاستاذان عبد القادر الاسود وعبد الوهاب الازرق ومحمد الفرحاني .

يعني مثل الجهاد !! ..

وراح فارس الخوري وهو في فراشه يكمل لنا (منامه) ، قال :

قلت لجمال عبد الناصر : يعني مثل الفتوحات !! اذا قاومتك الاقطار التي تزحف نحوها .. هل تحاربها ؟! . فأجابني : طبيعي .. اذا قاوموا زحفنا نحاربهم .. **فقلت له : واذا لم يقاوموا ورحبوا بنا وقالوا اهلا وسهلا ..** فأجابني : (يكونوا عملوا احسن وانضموا الينا والذي يريدنا يرحب بنا فكأنه بذلك يصوت للالتحاق بدولتنا) . **فقلت له : فاذن صارت بالقوة .. معناه ان دولتنا العربية صارت بالقوة .. وزحفنا هذا مخالف لاصل المبدأ الذي اعلناه بأننا لا نستعمل القوة مع احد .. ثم سألته عن الجهاد وعن الفرق بينه وبين الجهاد الاكبر** . فأجابني جمال : ذاك من اجل الدين ونحن لا نغضب احدا ولا اكراه في الدين **فقلت له : هذه لن يفهمها الناس وهذا النوع (من الفتوح) لم يسبق استعماله . وانا ارى ان من الافضل (بلاها .. هالشغلة)!!**

فسكت الرئيس جمال ولم يجبني بشيء !! ..

فقلت للاستاذ فارس الخوري :

وهل اقتنعت بجوابه ؟!

فأجابني :

لا .. لم اقتنع !!

واذ كان في تلك الايام يشغل ذهنه سواء أكان في حالة وعي وادراك .. او في حالة اللاوعي .. بمسألة (**الزحف المقدس**) الذي كان الرئيس جمال عبد الناصر يكثر من ترديد (شعاراته) وظننته يتوهم بسبب وطأة المرض وما يصاحبها من حالات الغيبوبة واللاوعي ، ان هذا الزحف المقدس سيكون ضد الدول العربية المجاورة فاغتنمت فرصة روايته هذا المنام وقلت له :

ان الزحف المقدس — يا أبا سهيل — لن يكون موجها ضد الدول العربية المجاورة ولكنه سيكون نحو الارض المحتلة من فلسطين لاستعادتها لاهليها العرب !!

فقال :

وهل هذا معقول ؟!

فقلت (وقد اخذت الدهشة مني كل مأخذ) :

وما الذي يمنع معقوليته ؟!

قال :

طالما نحن مختلفون .. متنافرون متناحرون .. نتآمر ضد بعضنا البعض وندس على بعضنا البعض ونتبادل الاتهامات والشتائم بحيث اصبحنا أضحوكة عند العالم .. متجاوزين في ذلك نص الآية القرآنية التي تقول: ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)) فلن يرجى للارض السليبة استعادة ولا تحريرا .. فلنتفق اولا .. ولنوحد صفوفنا .. ثم فلنقم بزحف مقدس اجماعي لا يتخلف فيه منا احد . اما الزحف المقدس الافرادي الذي يزعم جمال عبد الناصر انه سيقوم به فلن يؤدي الى اية نتيجة ايجابية ولن يكون له اي وزن أو تأثير !!

كيف يمكننا استعادة فلسطين ؟!

سألت فارس الخوري ذات يوم :

كيف يمكننا استعادة فلسطين ؟!

فأجابني :

ان استعادة فلسطين في الوقت الحاضر تكاد تكون ضربا من ضروب المستحيل، لان كلا الشرق والغرب متضامنان معا على دعم (اسرائيل) وتأييدها وحمايتها من كل خطر يأتيها من جهتنا .. ولكن ذلك لا يجب ان يفت في عضدنا او يفل من عزائمنا . ولا بد من حدوث فرصة ملائمة ، كأن تقوم حرب طاحنة بين الشرق والغرب ينشغلان بها عنا .. فنغزو (اسرائيل) ونمحوها من الوجود بضربة صاعقة لا يكاد العالم ينتبه الينا بعدها الا ويكون قد اضحى امام امر واقع .. وفي سبيل هذا الهدف الذي لا بد لنا من الوصول اليه عاجلا او آجلا .. **علينا ان نتحد ونستعد لذلك اليوم الموعود بتدريب ناشئتنا على حمل السلاح من بعد ابعاد الميوعة والتحلل عن نفوسها وان تزرع غريزة الثأر فيها تجاه اليهود !!**

ألا تجدي حرب العصابات ؟!

وسألته ذات يوم.. وبالتحديد في ٢٧ تموز ١٩٥٩ :

الا تستطيع (اسرائيل) الآن ، غزونا ؟!

قال :

بالتأكيد ، لا .. ان (اسرائيل) مستعدة في الواقع للدفاع عن اراضيها فقط .. لان لديها قوة دفاعية حسنة قد تجعلها تصمد للعدوان الذي يقع عليها وقتا غير قصير ربما يعود بالتعب والاجهاد على الذي سيهاجمها قبل ان تستسلم !! (هذا اذا لم يأتها عون من الخارج) وسبب سهولة دفاعها عن اراضيها هو ان (اسرائيل) ضيقة الرقعة وبامكانها أن تنقل قواتها الى الجبهات المختلفة بالسرعة المناسبة .. اما من حيث استعدادها للهجوم فليس لها منه الآن شيء !!

قلت :

الا يمكن ايجاد نوع من حرب العصابات داخل اراضي فلسطين المغتصبة؟!

قال لي :

لا .. لان هذا سوف يجر حتما الى قيام حرب بين اليهود والدول العربية المجاورة حينما تلجأ تلك العصابات العربية في فرارها الى الاراضي العربية فيتعقبها اليهود لتأديبها فيصطدمون مع الجيوش العربية المرابطة . وكما قلت لك ان الظروف الدولية الآن ليست في صالحنا من حيث اعلان الحرب

الفاصلة ضد (اسرائيل) !! ..

قلت :

ولماذا لم تقرر الدول العربية تشجيع حرب العصابات ضد اليهود بدلا من دخول الجيوش النظامية .. وانا اذكر ان **سماحة السيد محمد امين الحسيني** كان يصر على الاقتصار على حرب العصابات وابقاء المجاهدين الفلسطينيين في ميدان المعركة لانهم بطبيعة الحال اشد العناصر العربية تصميما على القتال واستماتة في الذود عن وطنهم وانفسهم وممتلكاتهم على ان تمدهم الدول العربية بما يحتاجون اليه من مال وسلاح .. كما انني اذكر جيدا ان **رمضان باشا الشلاش** ارتأى عام ١٩٤٨ على المسؤولين في سورية مثل هذا الراي بقوله ان دخول الجيوش النظامية انما يهيء لليهود فرصة الاستنجاد بالدول العظمى كي تحميهم في حين ان حرب العصابات اذا مدت بالرجال والمال والسلاح تجعل الحياة في فلسطين بالنسبة لليهود جحيما لا يطاق ، ثم هي لا تعود على الدول العربية من الناحية الرسمية بأية مسؤولية .. واستشهد لي رمضان باشا بحادثة تنازل الدولة العثمانية عن طرابلس الغرب وبرقة للطليان عام ١٩١٢ وسحبها جيوشها النظامية الى اليمن بحجة وقوع فتن وقلاقل فيه .. وفي الوقت نفسه اوعزت الى الفريق الركن عزيز علي المصري وعدد كبير من ضباط العرب وجنودهم ان يستقيلوا شكليا من الجيش ويتوجهوا الى طرابلس وبرقة لمقاومة الاحتلال الايطالي حتى اذا فوجيء الايطاليون بقوات عربية جرارة تقف بوجههم احتجوا لدى الباب العالي الذي اجاب بأن هؤلاء متمردون عصاة علينا وعليكم .. ولم يتم لايطاليا احتلال هاتيك البلاد الا بعد بذلها الكثير من الخسائر والغزير من الدماء ..

فقال لي فارس الخوري :

نحن الآن ابناء اليوم .. ولا يمكننا ان نستفيد من التساؤل عن عدم تشجيع حرب العصابات قبل عشرة اعوام !! ..

واستطرد الاستاذ فارس الخوري يقول لي :

المس وكأن هنالك خلافا قائما بين الرئيس جمال عبد الناصر والسيد محمد امين الحسيني ارجو الا يستفحل .. **فالسيد الحسيني هو اصدق من خدم القضية الفلسطينية خاصة والعربية عامة اجل الخدمات حسب قدرته وامكاناته** .. ولقد حورب بكل عنف وشدة من قبل دوائر المخابرات البريطانية ومن عملاء اليهودية العالمية في كل بلاد العالم . وقد راحت بعض

صحف ومجلات مصر في الآونة الاخيرة كـ (آخر ساعة) و (روز اليوسف) تتهمه باتهامات جائرة شتى .. لا يجوز ابدا ان توجه الى مثل هذا الرجل العظيم المفجوع بوطنه .

البواخر والبضائع اليهودية وخليج العقبة

وفي اليوم التالي ، وعلى مائدة الغداء ، سألته :

لماذا نتذرع في منعنا بواخر (اسرائيل) وبضائعها من المرور بقناة السويس بالحجة القائلة اننا في حالة حرب معها .. ولا نتمسك بوجهةنظرنا التي لا تعترف بوجود دولة اسمها اسرائيل ؟!

فأجاب :

ان (اسرائيل) اليوم عضو بهيئة الامم المتحدة فهي بذلك (دولة) معترف بها قانونا .. ولا قيمة لعدم اعترافنا نحن في الاوساط الدولية ، فهي دولة في واقع الحال شئنا أم أبينا . ولذلك ليس هنالك من حجةنبرر بها منعنا البضائع اليهودية من المرور بممراتنا الا القول بأننا في حالة حرب مع (اسرائيل) !! ..

واستطرد الاستاذ فارس الخوري يقول لي :

ولكن المثير للاستغراب حقا هو هذا التناقض في سياسة السيد جمال عبد الناصر تجاه (اسرائيل) ففي الوقت الذي يمنع فيه بضائعها من المرور بقناة السويس رغم عدم جواز هذا المنع في القوانين الدولية .. نراهلا يحرك ساكنا ولا ينبس ببنت شفة حيال مرور البواخر الاسرائيلية ذاتها في خليج العقبة تسرح فيه وتمرح بكل حرية وطمأنينة مع ان الخليج المذكور هو خليج عربي صرف .. ومياهه مياه اقليمية عربية بحتة .. ومنع هذه البواخر من المرور بقناة السويس .. وخليج العقبة .. هو حق صريح من حقوقنا .. لا ينازعنا فيه منازع !!

واستدرك الاستاذ فارس الخوري يقول :

انا لا اظن عبد الناصر منع الباخرة الدانيمركية (انجه توفت) الحاملة لبضائع يهودية من المرور في قناة السويس الا لان الدانيمرك دولة صغيرة مسالمة .. ولو كانت هذه الباخرة انكليزية او اميركية او سوفييتية لكان تغير الحال .. اذ لا ندري كيف يستطيع منعها دون ان يثير دولها عليهوالى اى حد سيصمد في قراره هذا ؟!!!

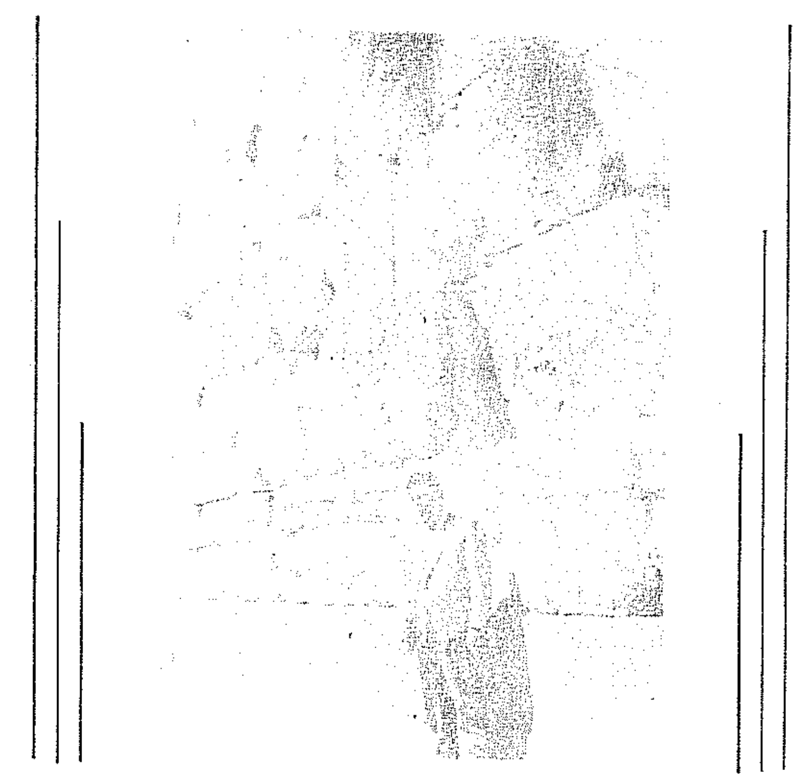
وفي الحديث عن خليج العقبة .. واستعمال اليهود لمياهه .. أذكر ان فارس الخوري كلفني ذات يوم ان الفت نظر العقيد احمد الحنيدي وكـــان مديرا لمكتب المشير عامر الى امره وان اسأله عن سبب سكوت العربية المتحدة عن استعمال اليهود له .. ففعلت .. ولكن العقيد احمد الحنيدي صمــت ولم يجبني !! ..

كنا معشر السوريين لا نألوا جهدا

ولا بد لي من ان اختم هذا الموضوع .. بحديث .. افضى الي بــه فارس الخوري ذات يوم قال :

لقد كنا معشر السوريين لا نألو جهدا على الصعيدين الرسمي والشعبي .. المنظم والافرادي في التعبير عن مشاعرنا القومية والوطنية المتأججة حيال ما كان يتراءى لنا من اخطار تحيق بفلسطيننا الغالية . فكانت بلادنا علـــى اختلاف ميولها ونحلها واتجاهاتها .. تضرب عن بكرة ابيها .. عند كـــل مناسبة .. كاحتجاج صامت منها على الجرائم التي كانت ترتكب بـــدون انقطاع في سبيل تنفيذ وعد مشؤوم بذلته بريطانيا في تشرين الثاني ١٩١٧ بلسان وزير خارجيتها **اللورد بلفور** لبضعة اشخاص من صهيونيي اليهود بان **(حكومة جلالته تعطف على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين وتبــذل احسن مساعيها لتحقيق هذه الغاية مع عدم الاخلال بالحقوق المدنية والدينية للقاطنين في فلسطين من غير اليهود)** .. وكنا لا نفتأ نحتج على ذلك الشكل الغريب من الحكم الانكليزي المباشر الذي كان قائما في فلسطين تحت ستار الانتداب حيث جعلت بموجبه الادارة في ايدي الصهيونيين وايدي بعـــض رجال الانكليز ممن هم اشد تعصبا للصهيونية من اليهود انفسهم وحـــرم العرب اصحاب البلاد حتى من حق الاشتراك في ادارة بلادهم ..

كما كنا لا نفتأ نحتج بالاضراب تارة وبارسال البرقيات ورفع الصـــوت تارة اخرى ، وبدعم المجاهدين بما لدينا من امكانيات لسوء الحظ كـــانت ضئيلة ، على التحيز الشنيع الذي كان يظهره الحكم الانكليزي نحو اليهود في فلسطين .. حتى جعل الاقلية الضئيلة اليهودية تتحكم بالاكثرية العظيمـــة العربية وتعتدي علنا على مقدسات العرب وتنتهك في ظل **(الاسد البريطاني)** حرمة الحقوق التي ما وضع الانتداب ــ في الاساس ــ الا لصيانتها !! .. وعلى نكث بريطانيا عهودها الصريحة التي قطعتها للشريف حسين لحســـاب



جدار البراق..كما يسميه المسلمون ، او حائط المبكى كما يسميه اليهود ، الاثر الوحيـد الباقي من هيكل سيدنا سليمان في القدس ، وقد وقف عنده ، محمد الفرحاني .

**

العرب عام ١٩١٥ اي قبل وعدها لليهود بسنتين بأن تبقى فلسطين عربية وتكون جزءا غير منفصل من سورية العربية واعتمادا على هذه العهود والوعود ، **اشترك العرب في الحرب العامة الى جانب الحلفاء الذين مـا لبثوا ان نقضوا عهودهم لدولة عربية ذات كيان دولي معروف لاجل تنفيذ وعد قطعته لبضعة اشخاص لا يمثلون احدا وليس لهم صفة دولية تصح معها العقود ..** نعم .. كنا ولا نزال نستنكر تلك السياسة الصهيونية ونعتبر حوادث فلسطين ــ التي كانت تتلاحق بأيام الانتداب البريطاني ــ ان هي الا حلقات من سلسلة فواجع تولدها هذه المطامع الاستعمارية المنكرة الناشئة عن ذلك الوعد المشؤوم .. فكنا ننبه الاذهان ونلفت انظار قناصل الـدول ومعتمديها الى **ان الامة العربية لا تطيق باي حال ان ترى في قلبها وفي مركز**

مواصلاتها شعبا اجنبيا معاديا لها ما جيء به الا لتقطيع اوصالها ومنع اتصالاتها وتأسيس مقر اندس عليها واعداد وسائل اضعافها واهتضامها .

وعد الله لم يمكن تحقيقه فهل ينتظر تحقيق وعد بلفور؟!

واستطرد الاستاذ فارس الخوري يقول لي :

وكنا ننبه الاذهان ايضا ، ونلفت انظار معتمدي الدول الاجنبية وممثليها الى ما هو معروف عن اليهود من انهم لايرضون من مساكنيهم الا المحو والانقراض وكنا نستشهد على صحة ما نتهمهم به من ذلك .. بما جاء عن تاريخهم وتوراتهم وتلمودهم .. وقد حاولوا يوم كانوا يدعون انهم شعب الله الخاص ان يغتصبوا هذه البقعة السورية وطنا قوميا يبقون فيه الى الابد فكانت مدة محاولتهم على طولها مخضبة بالدماء مفعمة بالفواجع والحروب المستمرة مع اصحاب البلاد الى ان خرجوا منها وعادت الارض الى اصحابها.

وابتسم فارس الخوري وهو يقول :

انهم — ويقصد اليهود — يسمون فلسطين ارض الميعاد بحجة ان الله وعدهم بها .. فاذا كان وعد الله لم يمكن تحقيقه . فهل ينتظر تحقيق وعد بلفور ؟!!

واستدرك — رحمه الله — قائلا :

انني — على الرغم من قيام دولة اسمها (اسرائيل) — لا اعتقد ان وعد بلفور قد تحقق لان العبرة ليست باقامة الدولة بل ببقائها واستمرارها .. وانا اشك تماما في ان (اسرائيل) ستبقى او تستمر ..

واضاف الاستاذ فارس الخوري يقول :

ان حياة الامم لا تقاس بالسنين والآجال بل بالقرون والاجيال وقد **سبق وحاولت اوروبا بأسرها انتزاع فلسطين من ايدي العرب في حملاتها الصليبية فلم تفلح الا امدا قصيرا عادت بعده بالخيبة والندم ، فكان على الصهيونية ومناصريها ان يعتبروا سوابق التاريخ ويستفيدوا من عبره البارزة ولا يتآمروا لاقحام مشروع محروم من مباديء العدل ومن عناصر النجاح** .. ان تاريخ اليهود القديم المسرود في التوراة مملوء بالوجائع والفظائع . واحتلالهم ، كما هو معترف به في ذلك التاريخ .. كان قائما على افناء السكان اصحاب البلاد الاصليين وابادتهم وقد مضى عليهم حتى اليوم تسعة عشر قرنا وهم متفرقون في اقطار الدنيا لا يجمعهم كيان سياسي ،

وانما ظل البعض منهم يمنون انفسهم بآمال خائبة باعادة سيرتهم الاولى واغتصاب القطر الفلسطيني من سكانه ليجعلوه وطنا قوميا ويقيموا فيه معالم الدولة التي تمتعوا بها في قسم منه مدة ثلاثة قرون وعجزوا عن الاحتفاظ بها ستة وعشرين قرنا !! ..

وختم الاستاذ فارس الخوري حديثه القيم هذا لي بقوله :

لقد كنا نطالب بوضع حد بأسرع ما يمكن للحكم الانكليزي المباشر في فلسطين وتسليم ادارة البلاد الى اهلها لتقوم بها حكومة وطنية نيابية يمثل بها العرب واليهود بنسبة عددهم ، ويكتفي الانكليز بالاشراف والارشاد لتأييد المساواة بين السكان كما هو مراد الانتداب المعهود لهم به في المادة الثانية والعشرين من عهد عصبة الامم والاقلاع عن وسائط الظلم والارهاق لاجل تحقيق وعد لا يمكن تحقيقه ما دام المسلمون والمسيحيون في الارض قاطبة يعتمدون في سدانة هذه البلاد المقدسة على حمية الامة العربية وبسالتها.. الا ان الانكليز لم يكونوا يأبهون .. رغم المجازر الدموية التي حدثت .. حتى اذا تم لهم تنفيذ سياستهم المجرمة في تقوية اليهود وتيسير كل الوسائل المادية والمعنوية التي تمكنهم من التمركز في قلب العالم العربي وانشاء ما سموه بـ (دولة اسرائيل) انسحبوا فجأة تاركين الفلسطينيين في حالة يرثى لها .. ومن المؤسف ان قادة العرب يومذاك لم يكونوا على مستوى الاحداث ولا على ادراك عميق للنكبة فظلوا مشغولين بحزازاتهم وخلافاتهم الطارئة وقبلوا بـ (الهدنة) التي فرضت عليهم وما كان من رايي قبولها ، بل لقد حذرت بكل شدة من الانصياع لها فكان ما كان .. ولا حول ولا قوة الا بالله .

الفلسطينيون لم يقصروا في الدفاع عن بلادهم

ومعلوم ان الفلسطينيين لم يقصروا في الدفاع عن بلادهم ، نقول هذا على الرغم من التهمة التي روجتها المصادر الاستعمارية والصهيونية القائلة بذلك ، ويروى عن الهر ادولف هتلر دكتاتور المانيا انه قال للسيد خالد القرقني مستشار المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود في مقابلة رسمية له عام ١٩٣٨ انه معجب كل الاعجاب بكفاح عرب فلسطين وبسالتهم ، وكذلك جاء في بيان رسمي وجهه الهر هتلر الى الالمان في السوديت حينما كانوا يحاولون الخلاص من حكم تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٨ والانضمام الى المانيا

يطالبهم بأن يتخذوا من عرب فلسطين قدوة لهم حيث يكافحون انكلترا اكبر امبراطورية في العالم واليهودية العالمية معا ، ببسالة خارقة ، وليس لهم في الدنيا نصير او مساعدة ..

كما ان المرحوم رستم حيدر الوزير العراقي الاسبق قال لبعض زواره في لبنان عام ١٩٣٩ بأثناء عودته من اوروبا (لقد كنا في زياراتنا الماضية لاوروبا نتحاشى التظاهر بأننا عرب ولكننا في هذه المرة بعد جهاد عرب فلسطين وبطولتهم التي طبق ذكرها الآفاق اصبحنا نفخر بعروبتنا وصرنا نلقى من الاوروبيين كل اجلال واحترام .)

وفي كتاب ألفه الجنرال هنري ميتلاند ولسون الذي اشترك في المعارك ضد عرب فلسطين قوله : « ان خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يعتصمون في الجبال ويقومون بحرب العصابات لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح اي خمسة عشر الف جندي » .

ونتمنى هنا على القائد الكبير فوزي القاوقجي ان يذيع على الملأ ولخدمة التاريخ مذكراته عن الحرب الفلسطينية التي خاض غمارها ونسجت الاساطير حولها .

وداع وعتاب للسلطان السابق عبد الحميد

وهذه هي القصيدة التي قالها المرحوم فارس الخوري في هجاء السلطان عبد الحميد الثاني العثماني اثر خلعه عام ١٩٠٩ ،وما لبث ان ندم على ذلك على النحو الذي ذكرت في الفصل المنتهي ، وكان قد نشرها في حينها بمجلة (المقتبس) بتوقيع (ف ..) :

الله اكبر فالظلام قد علموا ... لاي منقلب يفضي الالى ظلموا
لقد هوى اليوم صرح الظلم وانتفضت ... اركانه وتولت اهله النقم
وحصحص الحق في عز وفي ظفر ... يحفه خادماه السيف والقلم
ثارت له عصبة كانت مشردة ... وقد تهددها الارهاق والعدم
من كل اروع في حيزومه حنق ... في نفسه عزة في انفه شمم
عبد الحميد استمع منهم مناقشة ... فطالما صبروا بل طالما كظموا!
غادرت امتك المنكود طالعها ... تغص مقلتها ان عدت الامم

اطلقت فيها سيوف الغادرين وقد … كانت بحبلك بعد الله تعتصم
الله الله يا راعي القطيع فقد … لاقت مصارعها في رعيك الغنم
حملتنا ما تنوء الراسيات به … كيف الصنيع وانت الخصم والحكم
فكم شكونا ولم تسمع شكايتنا … وكم دعونا وحظ الدعوة الصمم
ولي نعمتنا قل لي اما بطلت … تلك الولاية لما ضاعت النعم
فلو رفقت امير المؤمنين بنا … ما كان أنفث مصدور وسال دم
محافظ الحرمين اعدل فهل أمنت … في ظلك الكعبة الزهراء والحرم
ام حج حجاج بيت الله في دعة … بدون أن يرهقوا فيه ويهتضموا
وليته فاسقا (١) لم يرع حرمة من … في ذمة الله ضاعت عنده الذمم
كم استجاروا عليه فازدريت بهم … ان لم تكن ناقما فالله منتقم
رب الهلال اجب هل كنت تمنحه … ما اعتاد من نصرات ذلك العلم
ماذا فعلت باحرار البلاد وما … جنوا على الدين والدنيا وما احترموا
حتى قسمتهم شطرين فازدحمت … على جسومهم الرينان والرخم
مزقت شملهم في كل ناحية … فأرغموك بحول الله والتأموا
ويا سلالة عثمان اما اتصلت … منه اليك الصفات الغر والهمم
اين الغطاريف ارباب العزائم من … اسلافك الصيد من بالعدل قد عظموا
شادوا لك العزة القعساء من قدم … فجئت تهدم ما شادوا وما رسموا
كانت لهم دولة بالسيف ناهضة … وفي زمانك لا سيف ولا قلم
حصدت ما زرعوا فرقت ما جمعوا … هدمت ما رفعوا بعثرت ما نظموا
ملكتنا فرأينا منك طاغية … لم يدر ندا له المشهود والقدم
نيرون عندك أو فرعون قد غفرت … زلاته واستحبت شاهها العجم (٢)
حجاج عصرك بل تولي العقاب بلا … ذنب ومزاك عنه الجمع والنهم
قد اخترعت ضروبا للمظالم والتـ … ـنكيل ما فطنوا فيها وما حلموا
خليفة الله قد خالفت ما امرت … به الشريعة والتنزيل والكلم
وسيرة الخلفاء الراشدين بها … خير المواعظ للظلام قد فهموا
ركبت مركب جور ليس يقبله … ممن يخلفه في قومه الصنم
دمرت بيتك يا هذا فانت اذن … عدو نفسك او قد مسك اللمم

(١) راتب باشا وكان والي الحجاز في عهد عبد الحميد .

(٢) احمد شاه قاجار امبراطور ايران وكان سيء السيرة ما لبث ان خلعه رئيس وزرائه رضان خان بهلوي وجلس مكانه على العرش عام ١٩٢٤ والاخير هو والد الشاه الحالي.

حشدت زمرة غدارين كم سفكوا   واستنزفوا ثم لا قيدوا ولا غرموا
المخلصون تولوا منك وانهزموا   والخائنون على ابوابك ازدحموا
اسرفت في نهب بيت المال فاستلبت   منه الجواسيس ما شاؤوا وما غنموا
عصابة ثقلت في الناس وطأتهم   صموا عن الحق في اغراضهم وعموا
اخترتهم واختيار المرء شاهده   يا ليتهم رفقوا بالخلق او رحموا
خانوك لما رأوا منك الخيانة في   بنيك والمرء موسوم كما يسم
حبست آلك حتى بعضهم هلكوا   كأنما لم تكن قربى ولا رحم
حاولت اطفاء نور الحق وهو لظى   تثور افواهه ان سد منه فم
طال الزمان على جور تعالجه   وعيل صبر الورى واستحوذ السأم
ضيقت دارتهم في الارض فاتسعت   والمرء مستبسل ان عضه الالم
قد جمع الظلم منهم كل مفترق   وشد ما استتروا في الامر واكتتموا
وكلما نام عنهم رهطك انبعثوا   يدبرون وان لاحظتهم جثموا
وعندما اكتملت للوثب عدتهم   توكلوا واستخاروا بالذي عزموا
سلوا عليك سيوف العدل مرهفة   كأنها شهب في الافق او رجم
شقوا بها في جلابيب الدجى شفقا   بشت له الارض وانجابت به الظلم
وطالبوك بحق كنت هاضمه   وحاكموك الى البتار واختصموا
فادوا بارواحهم حبا بأمتهم   فلتحيى تلك السجايا الغر والشيم
قد كان ما كان والرحمن ناصرنا   فالعدل منتصر والجور منهزم
دبرت فتنة سوء تستعيد بها   من مجدك الباطل الغدار ما هدموا
مجد طويل طوته ظلمة كشفت   ثم انجلت فاذا ما تحتها ورم
كروا بعزمة حر جاء منتصرا   لنفسه واستباحوا منك ما احترموا
فانزلوك عن العرش الرفيع وما   كانوا يريدونها لكنهم رغموا
تأبى الشريعة ان تبقيك حافظها   وانت بالغدر والاغواء متهم
فاليوم تعلم عقبى من يخون ومن   يطغى وتندم اذ لا ينفع الندم
هبطت من قمة الامجاد منحدرا   كصخرة حطها من شاهق عرم
ففي هبوطك عاد الملك مرتفعا   وفي هلاكك كل الخلق قد سلموا
كانت باقبالك الاقدار عابسة   فاصبحت بعدما ادبرت تبتسم

فارس الخوري

ذكرياته وآراؤه

قصيدة لفارس الخوري في رثاء الدكتور كرنيليوس فانديك نظمها عام ١٨٩٦

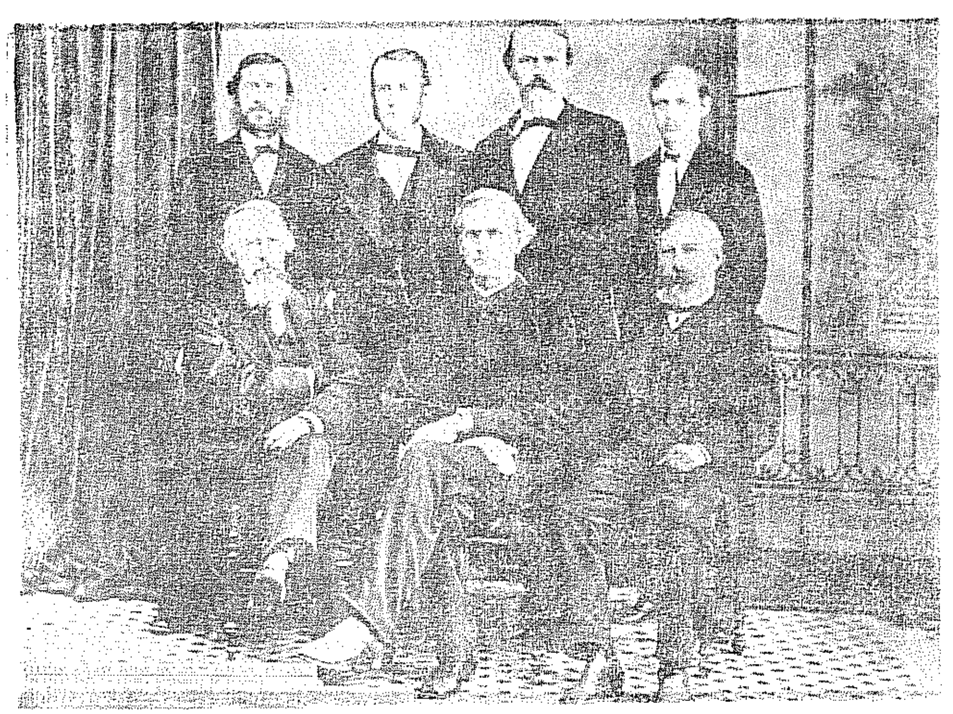
الدكتور كرنيليوس فانديك ، هو عالم جليل عرفته البلاد السورية عامة واللبنانية خاصة خلال القرن الماضي وقدرت فيه غزير علمه وجزيل فضله ومناقبه ومزاياه ، ويعود اليه الفضل بتأسيس الكلية السورية الانجيلية في بيروت ، تلك الكلية التي ما لبثت ان اصبحت اضخم وارقى معهد علمي في الشرق الاوسط ، تحمل اسم (الجامعة الامريكية) في العاصمة اللبنانية حتى يومنا هذا . قال فيه القائلون ووصفه الواصفون باخلاص الطوية وصفاء النية وحرية الضمير وانه كان محبا لاهل الشرق العربي حتى انه اقتبس عوائدهم وتزيا بزيهم زمنا غير قصير ، في الملبس والمأكل والمشرب . وفي نيسان ١٨٩٠ احتفلت بيروت بمرور خمسين عاما على وصوله (لبنان) أول مرة واطلق على ذلك الاحتفال اسم (اليوبيل الخمسيني) منحه السلطان عبد الحميد الثاني فيه ، الوسام المجيدي الثالث .

وفي ١٣ تشرين الثاني ١٨٩٥ توفي الدكتور كرنيليوس فانديك فكان لوفاته رنة حزن وأسى في كافة الحواضر السورية (واللبنانية) وبكاه تلاميذه وعارفوه بدموع غزار .. وكان من جملة من رثاه في ذلك الحين **جميل صدقي الزهاوي** فيلسوف العراق المشهور **وأسعد داغر وفارس الخوري** ، وقد أطلعني الاستاذ الكبير **الدكتور جبرائيل جبور** (الاستاذ في كلية الآداب بالجامعة الامريكية) على كتاب قديم صدر بعنوان (حياة كرنيليوس فان ديك) مطبوع في (المطبعة العثمانية) في (بعبدا ــ لبنان) عام

١٩٠٠ وفيه ، قصيدة للاستاذ فارس الخوري برثاء هذا العلامة العظيم .. جاءت في الصفحة ١٥١ ثم بما يليها من صفحات ، كما يلي :

وقال جناب الشاعر الاديب فارس افندي الخوري المدرس في الكلية السورية الانجيلية :

ان كان قاربك السلوان فافتهمي ... مقالتي واستثيري جمرة الالم
خذي الاحاديث عني وهي صادقة ... تعطي وقودا لما في القلب من ضرم
لما تركتك والاشجان سائدة ... على فؤاد بسهم البين منفصم
أخذت اضرب في البر الفسيح ودمعي ديمة همعت عن ماطر الركم
أبكي وتبكين من حر المنون أسى ... ومن قضاء بنا اواه منبرم
أجري فان وقعت عيني على شبح ... يجري فيحجبه كالعارض الرزم
أرى ألفيافي سرابا كيفما نظرت ... عيناي يسطع مثل الصارم الخذم
أما أمامي فمومأة أهال بها ... وخلفي الآل في والاحزان والاضم
ولم أكن طالبا خلا يؤانسني ... بل زاهدا باصطحاب الخلق كليم
فلم تهج في بانات الحمى شجنا ... ولا تذكرت جيرانا بذي سلم
رمت التنائي عن الاصحاب معتزلا ... اريق دمعي بعيدا عن ربوعهم
حتى اذا فيلق الاصباح كر على ... جيش من الدجية الدجياء منهزم
عاد التجلد رغما في الصبابة عن ... وجد كمين بطي الصدر مكتتم
كفكفت دمعي عن طرفي لانظر ما ... حولي وفي أي ارض اثبتت قدمي
فكنت ارسله طورا لصدر على ... وتارة للفيافي الغبر والاكم
رأيت وجه السما في الغرب معتكرا ... حتى اكفهر وعادت دولة الظلم
فالافق من بعد أن خفت غواسقه ... وكدت انسى ظلام الاليل البهم
وكادت الشمس تبدو وهي سافرة ... تجلو الصدأ في البرايا عن قلوبهم
غارت عليها يعاليل تقاومها ... وألبستها قناعا محكم اللزم
وقفت فيها فريدا ليس من أحد ... حتى دليلا على الايناس لم أشم
والارض من غضب الافلاك واجفة ... وقد أتاها نذير الهول والنقم
كأن تلك الروابي وجه ذي شجن ... يبغي مداواة جرح القلب بالكتم
رأيت عينين منها الماء خارجة ... كأنها دمعه السجاح بالسجم
وباسم البرق تقفوه رواعده ... كأنما هبطت شهب من الرجم
فكنت أحدق في تلك الغيوب الى ... أن انجلى الافق عن روض من السلم
سعيت اطلبه علي ارى احدا ... لجا اليه ليوقى مشرف الديم



صور تاريخية تمثل هيئة التدريس في الكلية السورية الانجيلية في بداية تأسيسها (وهي الجامعة الامريكية فيما بعد) وذلك في الفترة الواقعة بين ١٨٧٠ - ١٨٧٤ م وقد جلس في الوسط العميد دانيال بليس وعن يمينه الدكتور كرنيليوس فانديك (موضوع القصيدة) وعن يساره الدكتور يوحنا ورتبات. ووقف من خلفهم ، من اليمين الى اليسار: الدكتور هارفي بورتر ، الدكتور ادوين لويس،الدكتور جورج بوست ، الاستاذ دافيد دودج.

حتى دنوت الـــى الجدران مستمعا حفيف أشجاره مـن عابث النسم
وقــد تخللــه صوت يلين لـــه قلب الجماد ويبكي كـل مبتسم
يقـول أواه مـــن يدري رزيتنـــا بين الحواضر والامصار والخيم
وهل لنـا شـركاء فـي مصيبتنا وهل يمر لنـــا ذكر بحد سهم
من يا ترى حسرة البلوى يشاطرنـا وواحد مثلنا فـي الدهر لم يضم
أطبقت طرفـا كليلا عـن تعذبنــا عهدي به قبل هذا اليوم لم ينم
أفق فكيف غدت عيناك فـي كلـل رجلاك في شلل أذناك فـي صمم
والآن قد كنت في ذي البيد قائدنـا هل صرت واحسرتي لحما على وضم
لمـا سمعت وادركت المقال تقــد مت الهوينا وقلبي بالسهام رمي

حتى وصلت مقر الصوت مرتجفا | كقلب صب بنار الوجد مضطرم
هناك زوج من الفلمان قد ركعا | تجاه شلو قتيل الفضل والكرم
مزمل بجياد لا حراك به | من شامخ العلم والامجاد منقسم
أما هما فأرى الباري انا لهما | محاسنا ضاق عن تبيانها قلمي
لكنما خدت البلوى خدودهما | حزنا بدمع كفيض المزن منسجم
ما خط عارض وجه بالنبات سوى | ان المدامع خطت آية السقم
فقلت احرقتم قلبي بناركم | وكدت اغدو من الاوصاب ذا لمم
انسيتماني حالي مذ سمعتكما | فمنكما غير شرح الحال لم أرم
قالا استمع يا فتى واجزع لنكبتنا | وجد بدمع على خديك كالعنم
هذا الصريع الذي تلقاه والدنا | قد كان مرشدنا في البؤس والنعم
فكم جلا ليل جهل عن بصائرنا | ورد عنا البلا في كل مزدحم
وكم أماط نقابا كان منسدلا | كالشمس تصرع جيش الاليل الدهم
قد كان افصح آل العلم في لسن | وها رمته يد الايام بالبكم
قد كان أحكم من اولي الورى حكما | والآن في الصمت يبدي افصح الحكم
قد كان قراع جيش الدهر منتصرا | حتى رمى في حشاه سهم منتقم
قد كان يقظان عين لا ينام الى | ان تستكن وتغفو أعين النجم
قد كان ذا عزم فتيان بلا ملل | وان يكن في مقام الشيب والهرم
قد كان شهما تقيا فاضلا ورعا | كزاهد بحبال الله معتصم
قد كان للفضل معضادا ومنتصرا | زاكي الشذا في السجايا عاطر الشيم
قد كان نبراسنا في كل داجية | وكان نصارنا في كل مصطدم
قد كان أستاذنا في كل مشكلة | فصل الخطاب لدى اشكال مختصم
قد كان يمتاز في لين العريكة عن | كل امرىء بالصفات الغر متهم
قد كان سيد كل العارفين وها | أضحى به معقل العرفان كالرمم
قد كان في طرق الايام قائدنا | في كل مبتدأ منها ومرتكم
قد كان للكل معوانا فما طمحت | في العمر أبصاره الا لخيرهم
طبيب علتنا فراج كربتنا | رواء غلتنا جبار منثلم
فعال خير اذا ما قل فاعله | بغير كسب الثنا والحمد لم يهم
فانه لمواسينا وسيدنا | يقودنا في الظلما للمنهل الشبم
افنى لياليه حتى يشيد لنا | صرحا بأوج المعالي غير منهدم
يأتي بنا حيثما نجني الهناء كما | يأتي الرعاة خصيب الروض بالغنم
يا طالما قد جرى فينا السراع الى | ربع العلاء كجري الانيق الرسم

حتى اتينا الى هذي الربوع وقد   رمته فيها يد البلواء بالوصم

زارته في الحاجة الكبرى منيته   بئس المنية ضيفا غير محتشم

قضى وقد قضت التاساء من أسف   أواه كيف زمان الصفو لم يدم

ناشدتك الله قل هل في الورى أحد   قد ذاق لوعتنا في العرب والعجم

الا يحق لنا في ذا المصاب بأن   نجري مدامعنا ممزوجة بدم

فقلت من انتما روحي فداؤكما   غادرتماني بعجاج من الحمم

قالا بنو الفيلسوف المرتدي كرما   (فنديك) راعي المعالي صاحب الهمم

وما هما غير سوريا ومصر ينو   حان على والد بالبين مخترم

رباهما منذ دبا في العلوم وقد   روى بنهل زلال العلم كل ظمي

من لا يشق الحشى عند النواح على   من ذكره سائر في سائر الامم

نعم يليق بنا (شق القلوب) لمن   في الدهر اصبح نبراسا على علم

ولا أرى حاجة في وصف من شهدت   له جميع الملا في النأي والامم

وان قضى فله ذكر يخلد ما   دامت ملائحه تتلى بكل فم

اليه جل مقالي ينتهي وكفى   حسنا لمبتدئي فيه ومختتمي

فارس الخوري يحرج الوزراء العثمانيين

طلبت الى فارس الخوري ذات يوم ان يروي لي بعضا من ذكرياته عن مجلس النواب العثماني الذي كان عضوا فيه فقال :

عندما نشبت الحرب الكبرى حصل توتر شديد بين الدولة العثمانية والارمن ، فاتهمتهم بالتواطؤ مع الاجنبي ، وخاصة مع روسيا القيصرية للتخلص من حكمها . واعتقلت الدولة عددا كبيرا من زعماء الارمن ووجهائهم فرفع بطريرك الارمن في استمبول عريضة يحتج فيها على اعتقال وجهاء طائفته ويطلب الافراج عنهم ، وكان في عداد الموقعين على عريضته النائبان الارمنيان **(زهراب ، ووارتكس)** وكان زهراب عالما كبيرا واستاذا في معهد الحقوق في الاستانة وشخصية محترمة جدا . واستاء الاتحاديون المسيطرون على الدولة من العريضة ومن النائبين اللذين وقعاها ، وادرجوا اسميهما في اللائحة السوداء .. وبعد مدة استدعي النائبان لاداء شهادة في ديار بكر ، فتوجها اليها .. وكان يصحبهما خفر عسكري مزود باوامر سرية بشأنهما ويظهر ان النائبين اغتيلا في الطريق .

وبعد انقطاع اخبار النائبين بمدة ، تلي مرسوم في المجلس بانتخاب

نائب عن استمبول . فما كان مني (والحديث للاستاذ فارس الخوري) الا ان قدمت طلبا لمعرفة اسم النائب الذي حل محله هذا النائب الجديد،وماذا جرى للنائب القديم ؟!! ووافق المجلس على هذا الطلب وكان على **طلعت باشا** ان يعطي الجواب ، فتبادل الوزراء النظرات صامتين وليس في نيتهم ذكر اسم النائب المفقود ، ووقف طلعت والتمس امهاله باعطاء الجواب الـــــى **الاسبوع التالي وعندما انتهت الجلسة** استدعاني اقطاب الحكومة العثمانية **وسألوني : (الا تعلم ان النائب الجديد اتى مكان زهراب ؟!!)** وطلبوا مني ان اسحب سؤالي فلا احرجهم لانهم لا يمكنهم اعلان خبر مقتل زهراب .. الا انني ابيت ورفضت !!

فسألته :

وماذا كان بعد ذلك ؟!

اجابني فارس الخوري رحمه الله :

لقد ارغموني على التخلف عن حضور الجلسة التالية وبموجـــب النظام الداخلي لمجلس المبعوثان العثماني كان اذا غاب صاحب الســـؤال يسقط سؤاله اذا لم يتبنه عضو آخر .. وانتهت القضية على هذا الشكل .

عمامـــة علـــى راس فارس الخوري فــــي البرلمان العثمانـــي

وروى لي الوجيه الدمشقي الكبير ، الوزير السابق ، **السيد بديع المؤيد العظم** الذي كان هو الآخر مبعوثا عن دمشق في مجلس المبعوثان العثماني ، في ذلك الحين ، قال :

في اواخر العهد العثماني ، قام مدير التمليك **محمود اسعد بك** بجولـة في عواصم اوروبا ، وعاد ليضع قانونا فيه اكثر من مخالفة جوهرية لاحكـام الشريعة الاسلامية وقامت المظاهرات في الاستانة ضد هذا القانون واحاطت هذه المظاهرات بمجلس المبعوثان العثماني تهاجم الحكومـــة وتطالب برفض القانون ، فتشكلت لجنة برلمانية قوامها خمسة عشر نائبا لدراسة القانـــون وتعديله برئاسة نائب دمشق ، ابن عمي **محمد فوزي باشا العظم (والـــد** السياسي السوري المعروف السيد خالد العظـــم) وانتخب فارس الخوري مقررا لهذه اللجنة ، وكان بين الاعضاء نائب بورصة الشيخ احمد افندي **وهو**



فارس الخوري على الكرسي المتحرك ، وقد احاط به السادة بديع المؤيد العظم وفريد مرهج ومحمد الفرحاني .

●

استاذ جليل وصاحب مهابة ووقار اذا ما رآه وزراء السلطنة العثمانية هرعوا اليه لتقبيل يديه والتبرك بلمس جبته .. واجتمعت اللجنة ووقف فارس الخوري يتكلم ساعة من الزمن في تجريح القانون وبيان مخالفاته لاحكام الشريعة الاسلامية السمحاء والسنة النبوية المطهرة ، فما كان من **الشيخ احمد افندي** الا ان هرع نحوه آخذا عمامته بكلتا يديه ووضعها على رأس فارس الخوري قائلا له بالتركية ما ترجمته : « ان هذه العمامة تليق بك اكثر مما تليق بمثلي » !!! وكان ان الغي القانون .

فارس الخوري لم يكن موافقا على مبدأ اعلان الملكية في سورية بعض ما يجمل ذكره عن العهد الفيصلي

ومما رواه لي فارس الخوري انه كان مختلفا مع الشريف فيصل بشأن مبدأ اعلان الملكية وانه سأله مرة بقوله : يا مولاي .. هل هنالك دولة عظمى

توافق على الاعتراف بك ملكا على سورية ؟!!.. فأجابه الشريف فيصل « يجوز ان الانكليز يوافقون » فلم يقتنع فارس الخوري ، وذهب الى ممثل انكلترا وسأله عن رأيه في الموضوع فأجابه الممثل البريطاني بأن لا موافقة هناك واضاف قوله : « نحن لا نقاومكم ولكن الامر على مسؤوليتكم » . وعاد الى الشريف فيصل يخبره بالامر فأجابه الشريف ان سبب عدم موافقة الانكليز يرجع الى ان فرنسا تريد ان تحتل سورية ولذلك فهم يرجئون اعترافهم الى ما بعد اعتراف الفرنسيين بالعرش السوري !!

ربما كان فيصل يرى ان الدول الكبرى سوف تسلم بالامر الواقع بعد اعلان الاستقلال والمناداة بالملكية بناء على ان السوريين يبايعونه ولكن الحلفاء لم يعترفوا بهذا الاستقلال وانما كانوا يعتبرون فيصلا اميرا هاشميا يدير البلاد بصفته قائدا للجيوش الشمالية وتابعا للماريشال اللنبي .

واستطرد فارس الخوري يحدثني ، قائلا :

كنت في حيفا حينما استدعاني الملك فيصل للقدوم الى دمشق على وجه السرعة وكانت الملكية قد اعلنت . وقال لي : « لقد قررنا ادخالك في الوزارة كوزير للمالية » فأجبته موافقا بقولي « امرك يا مولاي » .. ولكن وزارة علي رضا باشا الركابي اختلفت مع المليك على السياسة الخارجية حينما استدعي جلالته من قبل وزير الخارجية البريطانية للتوجه الى مؤتمر الصلح الذي كان منعقدا في باريس وكان الملك يشترط لقبول هذه الدعوة ان يعترف به الانكليز ملكا على سورية ويستقبلونه كما يستقبل الملوك في العادة ووزارة الركابي تصر عليه ان يقبل الدعوة كيفما كان الحال ويذهب الى باريس ولندن من اجل المذاكرة بشأن سورية الا ان الملك كان يرفض بشدة.. واثناء ذلك عقد المجلس الاعلى للحلفاء في سان ريمو بايطاليا في ٢٥ نيسان ١٩٢٠. مؤتمره الذي وزع الانتدابات على البلاد العربية بين الدول الطامعة بالحكم بحيث تصبح فلسطين والعراق تحت انتداب انكلترا وسورية تحت انتداب فرنسا .. فاستقالت الوزارة الركابية في ٣ ايار ١٩٢٠ .

وهنا استدعى المليك ، رئيس المؤتمر السوري السيد هاشم الاتاسي الذي كان يقوم ايضا برئاسة اللجنة المكلفة بوضع دستور للبلاد وكلفه بتأليف حكومة دفاع وطني ، فألفها ، وحل محله برئاسة المؤتمر **الاستاذ رشيد رضا.** وفي ذلك الحين **كان خبراء الحرب يجمعون على القول اننا لن نستطيع الوقوف بوجه القوات الفرنسية اربعا وعشرين ساعة لنقص كبير في جيشنا وسلاحنا وذخيرتنا فكانوا يشيرون على الملك فيصل بالمسايرة والملاينة لعلنا**

نخرج من تلك الازمة بسلام .. الا يوسف العظمة رئيس اركان حرب الجيش الذي كان يعارضهم جميعا ويزعم انه قادر بقواته على رمي جنود فرنسا في البحر .. وكان ان اخذ في الوزارة الاتاسية الجديدة وزيرا للحربية ، وما كادت تتضح لنا الامور حتى جئت الى يوسف العظمة يوما أسأله بقولي : ها ان الفرنسيين قد حطوا رحالهم في موقع (التكية) الذي لا يبعد عن العاصمة اكثر من اربعين كيلو مترا بعدد وعتاد لا قبل لنا به فماذا انت صانع وكيف تحاربهم بلا سلاح ؟!. فأجابني يوسف بقوله : ان خطتي هي ان أهاجم الفرنسيين بغتة واستولي على اسلحتهم وذخائرهم واحاربهم بها !! فأجبته (والكلام للاستاذ فارس الخوري) : ولكن هذه مغامرة قد تصيب وقد تفشل واحتمالات فشلها اكثر بكثير من احتمالات صوابها فهل يجوز لنا ان نعرض سلامة البلاد للخطر في مغامرة يائسة من هذا النوع ؟! على ماذا كنت مستندا في اقوالك انك قادر على رمي الفرنسيين في البحر ؟!.. فأجابني يوسف العظمة رحمه الله : كنت اريد بهذه الاقوال الابقاء على معنويات جنودي قوية .. وارهاب الفرنسيين كي لا يقوموا بعمل شيء ضدنا !!..

واضاف فارس الخوري ، يروي لي :

ولكن يوسف العظمة لم يبق على اندفاعه هذا وحماسته تلك ، فانه ما لبث ان شعر بفداحة الخطر وعظم المسؤولية ، فوافق وهو وزير الحربية على مطلب الجنرال غورو بالغاء الجيش النظامي ، كما ذهب بنفسه بمعية الرئيس هاشم الاتاسي الى بناية العابد في المرجة لابلاغ المؤتمر السوري الذي كان يعقد جلساته هناك ، قرار تعطيله .. واخيرا ، كان لا بد له من الذهاب الى ميسلون وهو يعلم انه لن يعود من ذلك المكان حيا ..

حادثة خربة الغزالة

قال لي فارس الخوري :

بعد مصرع يوسف العظمة في ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠ رفع السيد هاشم الاتاسي استقالة حكومته فاستدعى الملك على الفور ، **السيد علاء الدين الدروبي** وكلفه بتأليف الوزارة الجديدة ، وكان الدروبي رجلا وطنيا ولكنه كان اشد ضبطا لعواطفه وانفعالاته ، **واشتركت معه في الحكم لرغبتنا في الا يدخل الفرنسيون دمشق وهي بدون حكومة وطنية فيفرضون حكمهم المباشر متذرعين بهذا الفراغ ، وليبقى للبلاد كيانها واستقلالها ولو من الناحية**

الشكلية ، **وفي ذلك الحين** كان الحوارنة الذين ساءهم اخراج مليك البـــلاد بالشكل الذي اخرج فيه ينوون الالتحاق بالاردن الذي لم يكن تقرر كيانـــه بعد ويدعون لذلك بقوة وعنف ، والانكليز يشجعونهم عـــلى ذلـــك ، فطلب الافرنسيون الى الرئيس علاء الدين الدروبي ان يتوجه هو ووزراؤه الـــى حوران لاقناع اهليها بالبقاء ضمن الاسرة السورية ، والحوا في هذا الطلب ، الا اننا معشر الوزراء كنا نعلم الا فائدة من ذهابنا الـــى هناك لان الحوارنـــة متعصبون ومستعدون — على مـــا يخيل الينـــا — للمقاومة . وكنت ادرك شخصيا ان الوزراء لو ذهبوا الى هناك فلسوف لا يجدون آذانا صاغية وربما يهانون و (يتبهدلون) وعلاء الدين الدروبي نفسه لـــم يكن يرغب بالذهاب الا انه مال لمسايرة الفرنسيين على ما يظهر .. وكان **جميل الالشي** اشدنـــا حماسة لذهاب الوزراء الى حوران فقد كان علـــى اتصال وثيق بالفرنسيين وكان يذهب اليهم ويعود الينا بطلباتهم وكان يقول لنـــا في محاولاته اقناعنا بالذهاب الى حوران (اذا راحت منا حوران فماذا تبقى دولتنا السورية انهـــا ولا شك ستبقى دولة صغيرة !!) ، في حين كنت لا افتأ اعارضهم وابصرهـــم بالعواقب التي قد تنتج عن ذهابهم الى هناك !! ..

فسألتـــه :

اذن .. لماذا لم يذهب جميل الالشي معهم طالما هذا رأيه ؟!

قال فارس الخوري :

كانت العادة ان يبقى ممثل للحكومة السورية ليصلـــي بالجامع الاموي وكان سفر الوزراء في يوم جمعة وحقيقة الامر انه كان في قرارة نفسه لا يريد الذهاب معهم .

واستطرد فارس الخوري يروي لي :

فذهب رئيس الوزراء علاء الدين الدروبي ووزير الشورى عبد الرحمن باشا اليوسف ووزير الداخلية عطا الايوبي ، وتخلفت انا عـــن الذهاب وكنت وزيرا للمالية ، كما تخلف جميل الالشي وزير الحربية وجلال زهدي وزيـــر العدلية وبديع المؤيد العظم وزير المعارف ، والسيد المؤيد كان ينـــوي الذهاب معهم وقد اعد محفظته لهذا الغرض لانه كان من اشد المتحمسين للذهاب الى حوران ولكن عمه عبد القادر بن مؤيد باشا العظم توفي مساء الخميس (ليلة السفر) فقال لنا : (لقد مات عمي ولم يعد يمكنني الذهاب ؟!!) .. **وهكـــذا فان موت عمه انقذه** .. **وبعد الظهر** ورد نبأ هاتفي الى جميل الالشي ينقـــل اليه تفاصيل الحادثة وان الوزير الايوبي قد نجا من الموت بأعجوبة ، فاتصل

بي تلفونيا وقال لي : **(الوزراء قتلوا)** فقلت مندهشا : **(قتلوا ؟!!)** فقال لي : **(نعم قتلوا)** فقلت له : (اما قلت لك ما لازم حدا يروح ؟!) فاجابني جميل الالشي : (انا عارف انهم وحوش بهذا الشكل ؟!) واضاف انه سيسوق عليهم حملة عسكرية لتأديبهم ، وفعلا ، تولى جميل الالشي رئاسة الوزارة السورية وساق على الحوارنة حملة تأديبية ناجحة .

وفي مجال عمله الوزاري حدثني فارس الخوري قال :

لقد انجزنا خلال قيامي بمهام وزارة المالية موازنة الدولة وقمنا بتحديد الضرائب وحصرها واصدار النقد الذهبي السوري (الدينار السوري) ولكننا لم نسك اكثر من احد عشر قطعة ـ اذ كنا في مجال وضع تصميم لهذا الدينار ـ قدمتها فيما بعد الى المتحف الوطني ، وكنا نتعامل بالجنيه المصري الذي ادخله الانكليز معهم الى سورية ، وظل في التداول الى ان حلت محله الليرة السورية الورقية في بداية ايام الانتداب وكانت الحالة المالية عام ١٩٢٠ حسنة وكان الانكليز يقدمون لنا مساعدات مالية ضخمة بحيث تكاد تكون كل تغطية ميزانيتنا منهم !!!

جميعهم رحلوا .. ونحن باقون

كانت وزارة الدروبي ، قد اجرت استقبالا للجنرال غورو الذي قدم دمشق في ٧ آب ١٩٢٠ واقامت على شرفه في ذلك اليوم حفلة غداء في قصر الرئاسة بالمهاجرين حضرها الوزراء وعدد من وجوه ورجالات دمشق .

واثناء الطعام .. اخذ غورو يمتدح مناظر دمشق وغوطتها .. ثم اجال نظره في القاعة وقال بلهجة التهكم والتشفي والاستخفاف : (اهذا هو القصر الذي كان يسكنه الشريف فيصل ؟!) فأجابه فارس الخوري وزير المالية على الفور : (نعم يا صاحب الفخامة ، هذا هو القصر الذي سكنه الملك فيصل ، وقد بناه وال عثماني اسمه ناظم باشا ثم حل فيه جمال باشا ثم الجنرال اللنبي ثم الملك فيصل وجميع الذين ذكرتهم لك أكلنا معهم في نفس هذه القاعة كما نأكل معك الآن ، وكلهم رحلوا ، وبقي القصر ، وبقينا نحن !!) وبهت غورو وسكت، وكذلك وجم كل من كان على المائدة من وزراء ووجوه ولم ينبس احد منهم ببنت شفة ، حتى انتهاء المأدبة ، وعند خروجهم من القصر اقترب الشيخ تاج الدين الحسني من فارسنا وقال له : (منذ هذا اليوم قد انتحرت ولن تقوم لك مع الفرنسيين قائمة !!) فأجابه فارس الخوري على

الفور : (وانا ايضا لم ارغب في ان تقوم لي مع الفرنسيين قائمة ، انما هـي معركة بدأت وستنتهي عندما يحدث ما ذكرت ويرحل الفرنسيون عن هـذه البلاد !!) .

غورو .. حفيد الصليبيين !

وعلى ذكر الجنرال غورو
روى لنا الاستاذ جواد المرابط ، قال :

قال لنا فارس الخوري ذات يوم اذ ذكر صلاح الدين الايوبي ، انـه الرجل الذي عرف ان يجمع تحت لوائه بشخصيته الفـذة العادلة الجذابة المستمدة قوتها من ايمانها بالله ، أمته كلها ، بل انه البطل الذي عقد صداقته مع كل انسان ، فهو اذ انتصر في حروبه على من أتـوا لاستعمار بلادنا باسم الدين ، فانه تمكن بما كان له من شخصية سامية وعادلة ومحببة ، ان يجد من النصارى العرب واليهود العرب اكبر عون له على المستعمرين الذيـن غزوا بلادنا باسم الدين فلقد كان في معرفته سلامة امتـه وسبيل مجدها وتحسسه بأحاسيسها مكمن قوته وعوامل انتصاره ...

واضاف فارس الخوري رحمه الله يقول :

ولما جاء غورو وزار ضريح صلاح الدين وقال موجها كلامه اليه : (لقـد قلت انك اجليت الصليبيين عن بلادك ، الا فاعلم بأنـي حفيد الصليبيين ، وانا عدنا ، واننا لن نخرج بعد اليوم !!) .

قال استاذنـا :

ان غورو في قوله هذا اراد التستر ايضا باسم الدين كما فعل من قبله الصليبيون بغية شق العرب بعضهم عـن بعض ، وقصـد ان ينشر بين المسيحيين ان مجيء فرنسا انما هو من اجلهم ، ومـا قوض غورو للعـرب كيانهم في قوله ما قال ، ولكن ، قوض الثقة بفرنسا انها التي تعمل للتفريـق ولتفقد العروبة ذاتها .. وليس من شك في ان دفع خطر الاستعمار يتوقف على وعينا لكل ما يدس بيننا ، ويعمل على تفرقتنا ، قدر ما يتوقف على تجنب كل ما يثير خلافا ، وقدر ما يتوقف على تحسنا بمشاعر بعضنا البعض وبالمزيد من تفكيرنا بوطننا والعمل لسلامته ولتحريره .

وتابع فارس الخوري حديثه القيم هذا قائلا :

ان غورو لم يفعل ما فعله هرم الغزاري ولا هو من مصلحته ان يفعله ،

روي ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب اراد ان يكشفه ويسبر ما عنده فسأله: « لو تنافر اليك علقمة وعامر ، ايهما كنت تنفـــر ؟ واي الرجلين كنت مفضلا لو فضلت ؟!! » فأجابه : « يا امير المؤمنين ، لو قلت فيهما كلمة لعادت بينهمـــا الفتنة » وقد كانت الفتنة بين الحيين على اشدها زمن الجاهلية . . . فقـــال عمر بن الخطاب : « لهذا العقل تحاكمت اليك العرب !! » .

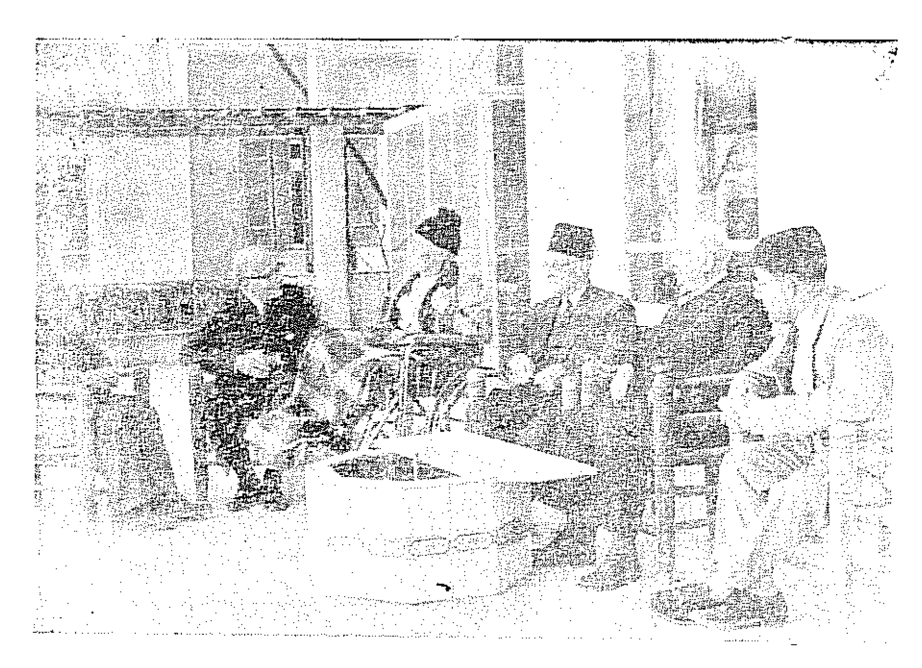
ثم ختم استاذنا الجليل فارس الخوري كلامه بقوله :

« ان الروح التي كانت سائدة بين العرب على عقلية هرم الفزاري وعلى تقدير ولاة الامر لمن يكونون على مثل تلك العقلية كما بدا ذلك من عمر بـــن الخطاب . . والحياة المثلى بالمجتمع على دستور يدعو لابتغاء تلك العقلية هـــو الذي جعل للعرب نصيبا من التقدم اتسع الى ما لم تتسع الى مثله امة » !!

غضبة الجنرال ساراي للمحاكم المختلطة

ومن النوادر التي تروى عنه عندما كان نقيبا للمحامين ان مفوضا ساميا جديدا وفد الى دمشق في مطلع عام ١٩٢٥ بدلا من الجنرال ويغاند ، هـــو الجنرال ساراي ، وفي عهده قررت السلطة الفرنسية تأليف محاكم مختلطـة في سورية فقاوم نقيب المحامين فارس الخوري هذا المسعى لانه لا يأتلف مع المصلحة الوطنية ورفع باسم النقابة احتجاجا شديد اللهجة ضد قرار السلطة وقررت النقابة مقاطعة هذه المحاكم ، فلا يدافع المحامون ولا يرافعون امـــام قاض اجنبي ، فاستاء الجنرال ساراي استياء شديدا .

وفي اوائل شباط ١٩٢٥ وجه المسيو شوفلر ، المنـــدوب الفرنسي المعاون بدمشق ، الدعوة الى كبراء دمشق واعيانها لحضور حفلـــة استقبال يقيمها على شرف المفوض السامي القادم لزيارة العاصمة ، وكان مـــن جملة المدعوين النقيب فارس الخوري وبعض اعضاء النقابة ، وصادف ذلك اليوم ان المحامين كانوا مضربين ضد المحاكـــم الاجنبية ، ورأى فارس الخوري ان يلبي دعوة المندوب فذهب للسلام على المفوض السامي ومعه **سعيد الغـــزي وخير الدين القهماني** ، ودخلوا القاعة وكان الجنرال ساراي واقفا فـــي وسطها يتحدث الى الذين كانوا حوله ، فلما قدم لـــه فارس الخوري نقيب المحامين ، صاح المفوض السامي بأعلى صوته : **« ما دمتم مضربين لا نستقبلكم، انكم تقاطعون القضاء الافرنسي وترسلون الاحتجاجات فاخرجوا مـــن هنا »** واشار بيده الى باب القاعة التي دخلوا اليها منه ، فحار فارس الخوري فـــي



العلامة فارس الخوري على كرسيه المتحرك يتحدث الى العلامة الكبير الدكتور فؤاد صروف نائب رئيس الجامعة الامريكية في بيروت . وقد جلس عن يمينهما دولة الوطني الكبير السيد لطفي الحفار ، وعن يسارهما الاستاذ عبد القادر العظم رئيس الجامعة السورية الاسبق فالاستاذ عفيف الصلح الوزير والنائب السوري السابق ومحمد الفرحاني .

●

امره ولكنه رأى ان الكرامة تقضي بعدم خروجه فقال للمفوض السامي الافرنسي برصانة وحزم : « لقد اتينا الى هذا المكان بدعوة رسمية من مندوبك المسيو شوفلر للقيام بواجب السلام على ممثل دولة فرنسا ، وليس من مجال الآن للبحث في الاضراب واذا شئتم البحث ففي مناسبة اخرى ، على انه لا يمكننا الخروج الان ما لم نقم بالواجب الذي جئنا من اجله » فصاح الجنرال ثانية وبحماقة جنونية : « اذا كنتم لا تخرجون من هنا فأنا اخرج » فأجابه فارس الخوري : « ذلك لك فاخرج ، اما نحن فاننا هنا بدعوة رسمية ولو انا غير مرغوب فينا فقد كان على مندوبكم الا يدعونا » وبكل حدة ونزق قفز الجنرال ساراي الى قاعة اخرى واوصد الباب وراءه ، عند ذلك التفت فارس الخوري الى الموجودين وقال : « لقد اتينا الى هنا بدعوة رسمية من المندوب المسيو شوفلر للقيام بالواجب نحو ممثل فرنسا ، وبما ان فخامة

الجنرال ابى قبول الكرامة ، وخرج من بيننا ، عابثاً بأصول المجاملات الرسمية ، فانه لم تبق لنا حاجة هنا ، فنخرج الان مسجلين لانفسنا القيام بالواجب ونسجل على فخامة الجنرال تقصيره فيالواجب واخلاله بالمجاملات»
وخرج فارس الخوري ورفيقاه واذا بالجنرال يتطلع من وراء باب الفرفة حتى اذا ما تأكد من انسحابهم عاد الى القاعة الاولى .. ويبدو انه شعر بعد مدة بخطئه فلما ذهب لزيارة حلب استقبل فيها نقابة المحامين هناك وكلف رئيسها ان يبلغ زميله في دمشق اسفه على الحادث واعتذاره .

كيف استقبل الجنرال ساراي حرم فارس الخوري ؟!!

روى لي فارس الخوري ، قال :

في مساء الثلاثاء الواقع في ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٥ وصلت الى بيروت قادما من معتقل ارواد وقابلت زوجتي وابني واخي فائز في نزلبسول حيث كانوا بانتظاري منذ ١٧ تشرين الاول وكان فرحنا بهذا اللقاء عظيما جدا اثبتت زوجتي عظمته عندها بالانخراط بالبكاء والشهيق ، واشرافها على نوبة عصبية ما كانت لتنصرف عنها لولا اصراري واصرار سهيل عليها بالا تفعل ولا تمثل هذه الرواية المحزنة امام الناس ، وبعد ان انفرجت عنها الازمة وجلسنا للتحدث اخبرني سهيل حكايتها منذ عشرة ايام مع الجنرال ساراي، فانها طلبت مقابلته للتكلم معه بقضيتي ، وحضرت في الموعد الذي ضربه لها مع سيدة اخرى رافقتها ، وحالما اخبروه بمجيئها فتح لها باب غرفته بنفسه وسد الباب بوجهها بشخصه الكريم ، وقال لها بصوت عسكري مخيف « ماذا تريدين ؟! » فقالت له : اريد ان اخاطبك بشأن زوجي !! ، فقال : (زوجك عدو فرنسا وهذا نعرفه عنه منذ عشر سنوات) فأجابت ان ذلك غير صحيح .. وسبقت دموعها كلامها فسقطت الى الارض مغمى عليها ، ولم يسع قسوته وفظاظته الوحشية الا اللين امام هذا المنظر المفجع فأسرع بجلب الماء ودعوة الطبيب ولكن قبل وصول الطبيب عاودها الصحو بفضل معاونة السيدة التي كانت معها ، وخفف سعادته من لهجته القاسية ولاطفها بكلمات لينة ووعدها بالافراج عني في القريب العاجل ، ورافقها الى رأس الدرج ، وعرض عليها سيارته لتنقلها الى الفندق ، فشكرته واعتذرت عن قبول السيارة بوجود عربة بانتظارها ، وقد استغرب رجال المفوضية هذه المعاملة الشرسة ، وقالوا لعل الجنرال حسب نفسه يخاطب ضابطا عنيدا .. وكان حضرته قد غادر

بيروت عائدا الى فرنسا قبل وصولي ببضعة أيـــام فلــم يسعدني الحظ بمقابلته الناعمة .

من المغارة .. الى الوزارة ؟! ..

وثاني يوم وصولي الى بيروت ، قابلت صبحي بك بركات رئيس الدولة السورية في نزل سنترال مع أخي فائز ، فاحتفى بي احتفاء عظيما واظهـــر كثيرا من الحفاوة والاهتمام ، ليستر زلته معي بهذا الاعتقال الشائن ، واخذ يحدثني عن أسفه وكدره مما حصل ويبريء نفسه من الجرم زاعما ان رجال الانتداب واخصهم المسيو غوتيه مدير الشعبة السياسية هم الذين تشبثوا باعتقالي واستخلصوا الامر به من الجنرال ساراي وانـــه وقف تجاه هـذه الحادثة اول الامر موقفا حياديا الى ان وصله كتابي من ارواد فخرج مـــن عزلته واخذ يسعى للافراج عني ، وكان مأخوذا اثناء هـــذا البيان بالارتباك الشديد مما حملني على الشك في صحة روايته ، فأسرعت بنقل الحديث الى موضوع اخر حبا بتخليصه من هذا الموقف الحرج ، ولم اجبه بشيء على تلك الحكاية ، وفي اليوم نفسه رد الي الزيارة في نزل بسول وعرض علي قبـــول وزارة في حكومته وانه ينوي ايضا ان يأخذ الشيخ تـــاج الديـن الحسني لوزارة اخرى ، وبما أن أوراق الدعوى التي اقامها علي الادعاء العام لــدى المحكمة الاستئنائية ما زالت قيد التدقيق ولم يصدر قرار بمنـــع محاكمتي وجدت تكليفه اياي سابقا لاوانه ، هذا فضلا عن ارتباك الاحوال واضطراب البلاد واستفحال أمر الثورة في انحاء سورية ، وبقاء الجرح الـذي جرحني به داميا ، ومع ذلك ملكت نفسي وعواطفي ولم اجبه بكلمة ما على هـــذا الامر واما هو فعلى عادته من انه يتكلم بدون انقطاع (بالتركي طبعا) ولا ينتظـــر جوابا من مخاطبه جرى في حديثه وانتقل منه الى اخر دون ان يطلب منـــي جوابا بالقبول أو بالاعتذار فسررت لهذه النتيجة وعـــدم احراجي واجباري على اسماعه ما يكره على انه عاد بعد بضعة ايام الى هـــذا الحديث بواسطة أخي فائز ثم سألني مباشرة فقلت له ان الافضل ارجاء التعديل الى ما بعـــد وصول المسيو دي جوفنيل المفوض السامي الجديد وانجلاء الموقف السياسي المبهم ، ومعرفة الامور التي اعتزمت الدولة المنتدبة على اقرارها في سورية ، وافهمه أخي ايضا انني اعتذر عن دخول الوزارة في الوقت الحاضر وانـــه ليس من المعقول ان انتقل من المغارة الى الوزارة ، وبعد عودته – أي صبحي

بركات الخالدي ــ الى دمشق استدعى مصطفى بك برمدا من حلب ، وعندما علمت انه وصل الى دمشق اتصلت به تلفونيا الى نزل الخوام واتفقنا على الا ندخل في عمل وزاري مع صبحي بك الان ، فاعتذر وعاد الى حلب .

واقمت في بيروت معتزلا السياسة والاشتغال بها شهرا مــن الزمان زارني فيه عدد كبير من اصدقائي البيروتيين واللبنانيين والدمشقيين ، ورغما عما كان يجتاحنا من اخبار التدمير والتقتيل في حاصبيا ومرجعيون وراشيا وسائر قرى وادي التيم وغوطة دمشق كنتاري حياتي سعيدة رضية وعندما اجلس مع أصدقائي على شرفة نزل بسول المطلة على البحر وعلى جبال لبنان واقابل هذا المقعد مع مقعدي في كهوف القلمة في ارواد احسب نفسي فــي اوج السعادة والعيش الخضال واردد قولي من موشح نظمته في ايام الصبا :

ما أحب الصبح من بعد الدجى   وخضال العيش بعد النصب
عندمــا أشرق وضــاء الرجــا   وانجلت عنــي دياجي الكرب

كانت زوجتي وسائر النزلاء في هذا الفندق يكثرون الشكوى من رداءة الطعام اما انا فكنت اجده شهيا جدا بالنسبة لما طعمته في ارواد . .

مــا هي الاسباب العميقة لقيام الثورة السورية ؟! وما الذي كانت تتضمنه مطاليب السوريين ؟!! حديث تاريخي هام بين فارس الخوري والمسيو دي جوفنيل

طلبت الى فارس الخوري ذات يوم أن يحدثني عــن ماهية الاسبــاب العميقة التي ادت الى قيام الثورة السورية العامة عام ١٩٢٥ وعما كانت تتضمنه مطاليب السوريين المتواضعة التي أبت فرنسا الاستجابة لشيء منها فقال لي:

ان الاسباب العميقة لثورة عام ١٩٢٥ قد شرحتها بتفصيل كاف وواف للمسيو دي جوفنيل عندما استدعاني لمقابلته في ١٧ كانون الاول من ذلــك العام وامضيت معه اكثر من ساعتين بينت لها خلالها الادارة الخرقاء التــي جرى عليها اسلافه منذ الاحتلال الى اليوم واسباب الثورة الناشئة عن تسرع الجنرال ساراي وعامله كاربييه في جبل الدروز ، وقبل ان اروي لك ما دار **من حديث بيني وبينه ، يجمل بي ان الفت نظرك** الى ان المسيو دي جوفنيل كان قد جاء الى بيروت في اوائل كانون الاول ١٩٢٥ وبدأ باستقبال الوفــود **من مسلمين ومستقبلين ، بعد ان مر بلندن** وتفاهم مع حكومتها ، ثــم مــر بطريقه بالقاهرة حيث اجتمع فيها بأعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري

الفلسطيني وفاوضهم بأسلوب حل المشكلة السورية التي جاء من اجلها فقدموا له بيانا يتضمن تاريخ القضية السورية واسباب الثورة الحاضرة وعرضوا له المطالب التي حسبوها اساسا صالحا لاعادة السلام الى البلاد وهي تتلخص بالامور الستة الآتية : (**اولا :** اعطاء سورية استقلالها على قاعدة السيادة القومية في الداخل والخارج . **ثانيا :** اعلان الوحدة في البلاد الواقعة تحت الانتداب الافرنسي ما عدا لبنان . **ثالثا :** الغاء الانتداب وعقد معاهدة بين فرنسا وسورية تضمن مصالح الطرفين . **رابعا :** جلاء الجيوش الاجنبية عن سورية . **خامسا :** اعلان العفو العام . **سادسا :** انشاء حكومة وطنية موقتة تقوم بدعوة الجمعية التأسيسية بالانتخاب الحر لتضع الدستور للبلاد) واقترحوا في ختام مذكرتهم ان يعلن لهم قبول هذه المطالب مبدئيا ليذهب وفد منهم الى جبل الدروز ويسعى لايقاف القتال ، ولكن المسيو دي جوفنيل اغتاظ من هذا الاقتراح الذي عده فرض ارادة ، واجابهم انه يلقي تبعة دوام القتال عليهم ، واستمر بطريقه الى بيروت .

واستطرد فارس الخوري يروي لي :

ولقد تلخص حديثي مع دي جوفنيل حول مساويء الادارة (وكان يصغي الي في اهتمام ظاهر) بالامور الآتية :

اولا : تجزئة البلاد الى دويلات على أساس الطائفية فأحدثوا دولة للمسيحيين في لبنان واخرى للنصيرية في جبل اللكام (العلويين) واخرى للدروز في جبل حوران وجعلوا باقي البلاد دولة اسلامية وبذلك احيوا النعرات الدينية والتعصبات الطائفية التي كاد الاتراك يقضون عليها في الحرب العامة بما انزلوه بالسكان من القسوة والتنكيل بدون تفريق بينهم حتى اصبح السوريون يشعرون بوحدتهم العنصرية والقومية ، ولم تكن هذه التجزئة التي احدثها الافرنسيون على نمط واحد بل كانت خاضعة للتجارب الادارية مرات متعددة بتكبير الدول وتصغيرها وضم احداها الى الاخرى ثم فصلها عنها حتى صارت الحالة الادارية ريشة في مهب الريح مقدورا لها التبدل السريع في كل يوم .

ثانيا : انتشرت فوضى التشريع بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ هذه البلاد ولا في غيرها فكان المفوض السامي يشترع القوانين ويفعل فعله حكام المقاطعات والمندوبون لدى الدول بدون روية ولا تحقيق وصارت القرارات التشريعية التي لها قوة القانون تعد بالالوف في مدة اربع سنوات او خمس ، ومع الاسف كانت اكثر هذه القوانين غير مشبعة درسا وتدقيقا

فكانت تنشر وتعلن بعجلة **وهي وليدة ادمغة ليست لها خبرة ادارية** فتأتي في الغالب ضعيفة مثلومة يكشف التطبيق خطأها فيسرعون الى اصلاحها بقرارات متتالية حتى ضاع الناس بين الاصول والذيول وكثرة تساؤلهم عن صحة ما كانوا يعتقدون به من مقدرة الشعب الفرنسي في التشريع وحرصه على حرمة القوانين .

ثالثا : عمدت السلطة الى الادارة المباشرة فأقامت في لبنان وجبل الدروز وبلاد العاويين حكاما افرنسيين ، ووضعت في دمشق حكومة وطنية اقصت عنها الرجال المقتدرين وسلمتها الى ضعفاء الحلوم من عباد الكراسي الذين يأتمرون بأمر رجال الانتداب ويكونون خشبا مسندة حيال المصالح الوطنية وهكذا اصبح المستشارون الافرنسيون هم اصحاب الحل والعقد في جميع شعب الادارة لا ينفذ عمل الا بأمرهم وموافقتهم ، فبينما كان السوريون يظنون ان لهم استقلالا في ديارهم عملا بوعود الحلفاء وجدوا انفسهم محكومين حكما ضيقا منعوا فيه عن تنسم ريح الحرية ، فقد اجتمعت في شخص المفوض السامي وهو **رجل عسكري يجهل اصول الادارة المدنية** جميع اختصاصات الدوائر العليا في الدول المستقلة ، فهو رئيس الجمهورية وهو مجلس الاعيان ومجلس النواب ومجلس الوزراء ومجلس الشورى في وقت واحد يتمثل في شخصه الجهاز الحكومي برمته، فيضع القانون ويعلنه باسمه وينفذه بذاته او بواسطة اعوانه المؤتمرين بأمره واجتماع هذه القوى التشريعية والتنفيذية في شخص واحد لا يملك العلم الكافي ولا الخبرة الواجبة ولا المحيط الصالح هو حال عجيب يستغرب قبوله من مثل الامة الافرنسية المشهورة بعنايتها بالنظريات الادارية والتشريعية وبالقواعد المدنية المعقولة .

رابعا : دوائر الاستخبارات التي اقامتها المفوضية في البلاد وجمعت اليها كل دساس ومشاء بنميم جلب على الامة ويلات كثيرة ووسعت شقة الخلاف بين رجال الانتداب وبين الموظفين لان رجال السلطة المنتدبة اصبحوا ماخوذين بتقارير هذه الطغمة من الجواسيس المحرومين من الاخلاق الفاضلة يدسون اليهم على هذا انه محب للشريف (يقصد الملك فيصل الاول) وعلى ذاك انه ميال للانكليز وعلى غيره انه عدو فرنسا وعلى اخر انه حليف الاتراك او حزب العرب او من دعاة الاستقلال ، وعند دخول الافرنسيين الى سورية كان احزم الوطنيين واقدرهم قد اشتركوا في اعمال الحكومة العربية التي اسسها الشريف فيصل في سورية ولم يبق خارج هذا النطاق الا من هم ليسوا في العير ولا في النفير، فتنكر الفرنسيون لهذه الفئة

الطيبة وصاروا ينظرون اليها نظر العداء ، واذا وجدوا فرصة علـى بعض افرادها يغتنمونها للايقاع بهم بالعزل وبالابعاد او بالحبس ، فنتج عن ذلك اقصاء افاضل الناس وعقلاء الامة عن مناصب العمل وتسليم الادارة الى الايدي الضعيفة العاجزة ، فأورث ذلك تألب الفريق العاقل ضد الادارة الانتدابية وانتهاز الفرص للنقد عليها والحط من مكانتها وبذلك زاد خصوم الانتداب زيادة عظيمة وقل مناصروه الى الحد التافه وحرمت الادارة والمصالح العامة من الاكفاء الصالحين .

خامسا : التعرض للحرية الشخصية بدون وجه قانوني استفحل امره في عهد السيادة الافرنسية وقد كان الناس يحسبون ان فرنسا هي مهد الحرية الشخصية وموضع تقديسها فكبر عليهم الامر عندما رأوا المفوض السامي يصدر امره بطرد عدد عديد من السوريين خارج حدود الانتداب ويمنع المطرودين او المشكوك باخلاصهم من العودة الى بلادهم وهذا الفعل يجري بدون محاكمة وبدون اسناد جرم الى هؤلاء المغضوب عليهم وهم غير ضالين ، **ولم يسمع في الحقوق الجزائية هذا النوع من العقوبة بطرد انسان من بلاده** ، كما ان حوادث الاعتقال الاداري تكررت على عدد من افاضل السوريين الذين قبض عليهم وارسلوا مخفورين مهانين مقهورين الى تدمر او الحسكة على الخابور او ارواد او قلعة بيت الدين او غيرها بدون ان يعرفوا جرمهم وبدون ان يمن عليهم بالوقوف امام القضاء للجواب والمدافعة عن انفسهم ولا يفك اسرهم الا بعد تكرر الاسترحام والتوسل من المفوض واعوانه للافراج عنهم واعادة حريتهم المسلوبة اليهم فيطلق سراحهم بدون ان تقال لهم كلمة عن الاسباب التي اوجبت العبث بحقوقهم وحريتهم الى هذا الحد المنكر !! .. وذكرت له حوادث كثيرة من هذا النوع ومن جملتها حادثة اعتقالي واعتقال رفاقي في ارواد حيث بقيت امدا طويلا محجوبا عن النور والهواء والى الان لم نعلم ما هو الجرم الذي نسبوه الينا وها ان اوراق قضيتنا قد اودعت الى مستنطق المحكمة الاستثنائية فلم يجد فيها شيئا يستلزم استجوابنا وقد سأل المدعي العام عما عنده من الشكوى فأجابه بأن ليس عنده علينا شيء مطلقا وهكذا اجاب وزير العدلية ومندوب المفوض السامي في دمشق ومدير الغرفة السياسية ومدير الامن العام ، فاستغرب المجلس العدلي امر توقيفنا وحبسنا وامتنع عن قبول الدعوى ، ورحت اصف للمفوض السامي الاسواء وضروب التضييق والارهاب التي لاقيناها في ارواد ، فبدت على وجهه علائم الغضب والتأثر الشديد وصار يصر بأسنانه ويضرب بقبضة يده على المائدة امامه

حنقا على رئيس الاتحاد الجنرال ساراي ، فاغتنمت هذه الفرصة وقلت لـه انه يوجد خمسة اشخاص من رفاقي ما زالوا فـي ارواد يقاسون هـذه المصاعب وثلاثة اخرون في الحسكة علـى حدود الفرات ايضا فقال انـه سيهتم بامرهم في هذين اليومين ، وكنت قبلها قد عرضت أمرهم علـى **المسيو اوبوار** مندوب المفوض السامي في دمشق عندما قابلته فـي بيروت فأخذلهم امرا من وكيل المفوض السامي بجمـع شملهم المتفرق واباحـة الاختلاط لهم في محبس واحد وهكذا خف ما بهم من العذاب الاليم ووجدوا سبيلا للتسلي بهذا الاجتماع وذكرت له ايضا كيفية القبض على زعماء دروز الجبل وسوقهم الى تدمر والحسكة ظلما واعتسافا وان ذلك كان مـن جملة الاسباب المباشرة التي اوقدت نار الثورة ، كما ان اعتقالنا في دمشق وتعقب اخرين غيرنا لاعتقالهم وشيوع الخبر بأن جداول كثيرة الاسماء تهيأ للاعتقال حمل الناس على الهرب من وجه الظلم والالتحاق بالثائرين .

سادسا : السياسة الطائفية التي جرى عليها المفوضان الاولان **غورو ، وويغاند** ، لا تلائم السوريين فان هذه البلاد فيها من الطوائف ما لا يوجد في غيرها وان اتحد اهلها بالعنصر واللغة والاقليم الجيوغرافي فهـم مختلفون بالاديان وتكثر بينهم النعر المذهبية والانقسامات الدينية ، ولاجـل الخلاص من هذه البلية **وجدنا أن الاحزم للمصلحة العامة ان ندعو الـى القوميـة السورية ونحلها محل الطائفية لنجعل الناس يشعرون انهم ابناء وطن واحـد تجمعهم القومية واللغة ويتناسون العداوات الدينية التي كانت بينهم وهذه هي السياسة التي جريت عليها منذ دخولي في المعترك الاجتماعي ولا تزيدني السنون والاختبار الا رسوخا بصحة هـذه العقيدة ومنفعتهـا خصوصا للمسيحيين السوريين فهم اقلية ضعيفة في البلاد ولا يمكن ان تقوم لهـم قائمة أو يستقيم لهم امر ما دام المسلمون يعتبرون الاسلام حزبـا سياسيا يفصلهم عن المسيحيين** ، وهذا بعض ما جاء في مباديء حزب الشعب ، مـن قاعدة السعي لتأييد القومية السورية بالاشتراك بين المسيحيين والمسلمين ، **وانني اعتقد انه لا يجوز للنصارى في سورية ان يتخـذوا لانفسهم سياسة نصرانية** ، بل عليهم ان يوحدوا خطتهم مع المسلمين فلا يفترقوا عنهم فـي شيء من المصالح العامة ، **وانا واثق من ان فرنسا وجميع دول اوروبا عاجزة عن حماية الاقليات ما لم يحموا هـم انفسهم بحسن معاشرتهم ومماشاتهم للاكثرية في القضية الوطنية ، وان لدينا عبرتين ناطقتين يجب ان نعتبر بهما وهم نصارى الاناضول ونصارى مصر ، فان الاولين كانـوا يعقبون سياسة نصرانية وهم في اكثرية تركية ساحقة فأفضى انفرادهم عن المسلمين الـى**

دمارهم وانقراضهم في تلك البلاد ولم يستطع العالـــم المتمدن ان يمدهم بشيء من المعونة والحماية ، والثاني ماشوا المسلمين في مصر واتحدوا معهم في الامور الوطنية فبقوا مطمئنين آمنين . وما احرى السوريين ان يحـذوا في الاعمال الوطنية حذو جيرانهم المصريين ويعتبروا بما جرى في الاناضول وكيليكيا للارمن والروم ، ولا يؤاتينا نحن نصارى سورية ان تحابينا فرنسا وهي دولة مسيحية بترجيح على المسلمين في شيء ، بل ربما كان اوفـــق لمصلحتنا ان تبقى هذه المحاباة للمسلمين لان ذلك اضمن لتمكين عرى الوئام والوفاق بين الطائفتين ، **على ان رقي سورية ونجاحها لا يتوقف على رقـــي النصارى بل على رقي المسلمين** فنحن نريد منكم ان تبذلوا جهودكم فـــي ترقية المسلمين ومعاونتهم على التقدم ونحن نجري معهم في هذا المضمار .

سابعا ، ان الدروز في جبل حوران والاقاليم التابعة لدمشق لم يكونوا قبلا اعداء فرنسا بل هم في الاصل اصدقاؤها وربما كانوا اعلق بها مـــن موارنة لبنان لو احسنت ادارتهم وعرف رجـال الانتداب كيف يستفيدون منهم ويحتفظون بصداقتهم . حتى ان جميع المساعي التـــي بذلها الشريف فيصل ورجاله لاستدراج الدروز في جبل حوران الـــى مؤازرتهم ذهبت سدى ، وبقي بعض زعمائهم يجتازون دمشق الى بيروت ويفاوضون المندوب الاول المسيو جورج بيكو والمفوض الجنرال غورو ويؤكدون اخلاصهم لفرنسا واستعدادهم لمناصرتها اذا ارسلت جيشا لاحتلال دمشق ، وقد صبروا على جميع المكاره التي نالتهم على يد الكابتن كاربييه والجنرال ساراي وما كانوا ليصبروا على تلك الاهانات القاسية والادارة الهوجاء لـــولا ميلهم لفرنسا وكراهتهم حمل السلاح ضدها ، فقد اضاع رجال الانتداب اعـز اصدقائهم بسبب سياستهم الهوجاء ، **لقد اوصى معاوية بن ابي سفيان ابنه يزيد بأهل العراق وقال له : ان طلبوا اليك كل يوم عزل عامل فاعزله لهم فان عـــزل عامل واحد اهون عليك من تعبئة مائة الف رجل لقتالهم** ، ومـــا كان يضـر الجنرال ساراي لو ادرك في القرن العشرين ما ادركه الخليفة العربي فـــي القرن السابع ؟! فان الدروز لم يكن لهم طلب سوى ابـدال الحاكم كـــاربييه بحاكم افرنسي اخر فأبى عليهم اجابة هذا الطلب العادل كما أبى ايضا القيام بتحقيق اداري على الشكاوى الصريحة التي سردوها من افعال هذا الرجل، واخذ من يدهم عهد فرنسا الذي اعطاهم اياه الجنرال غورو وطردهم مـــن حضرته طردا قبيحا ، ولم يكتف لهم بهذه المعاملة الخشنة بـل امر باعتقالهم وحبسهم بصورة غادرة ، **وهم اهل شمم وانفة لا يصبرون على الضيم** ، **ولا**

اعتادوا ان يجار عليهم وقد صبروا حتى عيل صبرهم ولم يبق في قوسه منزع ، وعندما نشبت الثورة في الجبل ، خانت الجنرال ساراي خبرته العسكرية وحكم عليه جهله بتاريخ الجبل ومقدرته على الدفاع فبعث اليهم **الجنرال ميشو** مع حملة صغيرة لا تتجاوز الثلاثة الاف مقاتل اكثرهم من المتطوعة السورية فاقدة الحنكة الحربية وامره بمواقعتهم والزحف على السويداء عاجلا فكان ما كان من اندحاره وفناء جيشه في آب الماضي واستصغار الدروز لشأن فرنسا وكفاءتها العسكرية ، وهذا الفشل زاد الدروز حماسة واشرأبت اليه اعناق المستائين من السوريين حتى صار بعضهم يحسبونه فرصة لا تجدر بهم اضاعتها ، ولو عرف الجنرال كيف كان قواد الاتراك لا يقتحمون جبل الدروز الا بعد ان يجمعوا له اكثر من عشرين الف مقاتل يلقون الرعب في قلوب الدروز ويجلبوا سكان حوران والبادية لمعاونة الجيش والاحاطة بالجبل من اطرافه لكان اعتدل في هذه الازمة وتروى قبل ان يباشر خطته الخائبة ، وقد وقع بالخطأ الذي وقع به **ابراهيم باشا المصري** قبله بنحو ٩٣ سنة حين ارسل الى الدروز شرذمة من جيشه فكسروها شر كسرة وتعذر عليه بعدها اخضاعهم التام طيلة مدة اقامته في سورية .

ثامنا : مقدرة فرنسا على قمع هذه الثورة بالقوة القاهرة امر مسلم به عند جميع عقلاء السوريين فانها تملك من وسائل التنكيل والقتال ما لا تملكه دولة أخرى في الزمن الحاضر ، وجيشها اعظم جيش في العالم فهي لا تعجز عن ان تسوق الى سورية مائة الف مقاتل تهلك الحرث والنسل ولا تبقي دارا او ديارا ، ولكن فرنسا قد جاءت الى سورية لتعميرها وليس لتدميرها ، فلا اعتقد انه يحق لها الاستعانة بالمدفع ما دامت الوسائل السلمية متيسرة لها ، وهنا قال لي انه آت لهذه الغاية ولو كانت فرنسا تريد قمع الثورة بقوة السلاح لما كانت ارسلته الى سورية وهو مندوبها في جمعية الامم والمعروف بحبه للسلام ، بل كانت اكتفت بالجنرال العسكري ، وهو يعلم جيدا انه اذا استمرت اعمال التخريب والتدمير في سورية يعسر عليه بعد ذلك استجلاب القلوب النافرة وتأسيس الوئام والتفاهم بين الامتين ، وطلب الي ابداء رأيي في اسلوب سلمي لوقف القتال واعادة السلام.
فقلت له : ان القضية قد توسعت اليوم ولم تعد قضية الدروز فقط بل اصبحت قضية سورية قاطبة والسوريون لهم مطالب ما زالوا يرفعون الصوت بها منذ احتلال الحلفاء لهذه البلاد في اواخر سنة ١٩١٨ وسيبقون

يطلبونها بالطرق السلمية الدستورية ولو بعد انقضاء الثورة الى ان ينالوها، فهم يطلبون وحدة بلادهم ليكون لهم دولة واحدة ويطلبون استقلالهم الذي قطع لهم الحلفاء به عهدا ، **فقضية السوريين الواسعة من جهة الوحدة هي اعادة فلسطين وشرقي الاردن الى سورية** وادماج الدويلات الصغيرة بها ما عدا لبنان الذي يترك مصيره لرغبة اهله ، ولا يفهمون الباعث لتجزئة البلاد الى هذه الدويلات الكثيرة ويحملون ذلك على سوء نية الحلفاء واضمارهم الشر للسوريين ، وقد وافقت فرنسا على انشاء دويلتين مستقلتين في جنوبي سورية وهذه الموافقة لم تكن لمصلحة السوريين بل لمصلحة الانكليز واليهود ، كما انها امرت بتجزئة البلاد الباقية تحت انتدابها الى اربع دويلات **وشطرت من سورية الاقضية الاربعة ومدينة بيروت واقضية طرابلس وعكار ومرجعيون وصور وصيدا والحقتها بلبنان** وهي ليست منه واكثرية سكانها لا تريد هذا الالحاق ، وهي اليوم ساعية لفصل لواء الاسكندرونة ايضا بحيث لا يبقى لسورية منفذ بحري مطلقا ، **فقال لي** : انه يرى شيئا من الصواب فيما حدثته به ولكنه لا يريد ان يغير الاوضاع الحاضرة الا بالاستناد الى رغبة السكان ، ولهذا ، فهو سيأمر بالانتخاب للمجالس التمثيلية ويمنح هذه المجالس حق وضع الدستور والتصويت لتقرير مصيرها وعلاقاتها السياسية بالبلاد المجاورة ، فان قررت الاتصال وصلها ، وان قررت الانفصال ، فصلها . . **فقلت له** : انها لم تفصل اولا برغبة اهاليها بل ان الجنرال غورو قسم البلاد ووضع فواصلها بسيفه بدون ان يستشير احدا من السكان فكما فصلت بأسلوب اعتباطي يمكن الان وصلها بقرار منك وبذلك تكون قد اعدتها الى حالتها الاصلية لان الوحدة اصل في هذه البلاد والتجزئة امر عارض فنحن نطلب الرجوع الى الاصل وبعد ذلك اذا طلب سكان بعض المقاطعات الانفصال التام عن جسم الدولة او ادارة مختارة لبلادهم فانما يطلبون ذلك من المجلس التأسيسي العام وهو يقرر لهم ما هو حقهم ونافع لمصلحتهم ، **فقال** : ان هذا لا يمكن فعله وان كان اسلافي قد ارتكبوا خطأ الاستئثار بالسلطة فأنا رجل دستوري لا يسعني اصلاح الخطأ بمثله بل انني اترك تعيين مصير الامة السورية للامة نفسها فهي تنتخب ممثليها بالحرية التامة وهؤلاء الممثلون يعربون لي عن رغبة ناخبيهم وانا انفذ ارادتهم بقدر الامكان فلا تطلبوا مني اكثر من ذلك وامامكم مجال فسيح لاقناع ابناء بلادكم وبث الدعاية الانتخابية لبلوغ امنيتكم ، **فقلت له : ان دولة لبنان قد اعتدت على دولة سورية واخذت منها مقاطعات لا حق لها بها وانت**

هنا مفوض الدولة المنتدبة لا تسمح للسوريين ان يستردوا بالقوة مـا سلب منهم ، فهل تصرح لنا ان هذه المنازعة تبقى قضية غير مفصولة وتقبل منـا الدعوى التي نقيمها على حكومة لبنان بشأن هذه الاراضي وتسمع مدافعات الطرفين وتسجلها وبعد ذلك تصدر بها حكما باسم دولة فرنسا محتويا على العلل والاسباب القانونية لصحته وتبيح للطرفين بعد ذلك استئناف هـذا الحكم الى جمعية الامم ، قال : انني لا ارى بأسا من هذا الاقتراح مبدئيـا وان الدولة المنتدبة وجمعية الامم هي الحكم بـين الدول الموضوعـة تحت الانتداب بيد انني لا ارى التصريح مستطاعا بأن القضية غير مفصولة لاسباب شتى (ويستدرك فارس الخوري قائلا : وهنا لحظت في كلامه انه لا يريـد اثارة اللبنانيين عليه بفتح هذا الباب ويخشى ان يحدث ذلك شغبا قد يؤثر عليه ويعرقل مساعيه في سورية . .)

ونعود الان الى كلام المسيو دي جوفنيل فنراه يقول : وانـني سأتأمل بهذا الاقتراح وارى رأيي فيه . **قلت** (والكلام لفارس الخوري) : ان قبلت هذا الاقتراح فانني اظن انه سيكون اساسا صالحا لقضية الخلاف مـع لبنان ، **قال** : انني لم اقبله بعد وسأنظر به ايضا ، والان ، مـا هي الطريقة التي تراها لاعادة السلام ؟! **قلت** : انني ارى الانتظار الى ان يعود الامير **امين ارسلان** ورفاقه من الجبل فقد سافروا هذا الصباح وننتظر عودتهم بعـد اسبوع وعندها نعرف منهم ما هي مطالب زعماء الثـورة ودرجة امكـان الاستجابة لها ، وبعد ذلك ارى ان يذهب جماعة الى **فلسطين** ويرافقهم احد رجالكم مزودا بتعاليمكم وهناك يجتمعون مع بعض الزعماء مثل **الدكتور عبد الرحمن شهبندر والامير عادل ارسلان ورشيد بك طليع** في حيفا او فـي القدس او في موضع اخر وارجو ان يكون هذا الاجتماع حاسما للنـزاع ، **قال** : ارى ان تكون انت معهم . **قلت** : ليس لدي ما يمنع ذلك . **قال** : انني سأنتدب **المسيو لامازير** مراسل جريدة الكوتيديان الموجود اليوم في بيروت وسأوعز اليه للاجتماع بك منذ الان لتتفاهما علـى الاسس الصالحة للسلام وهو يطلعني على مذكراتكم ، فوافقت على ذلك . . وبما ان الوقت كان قـد طال ، فقد استأذنته للخروج ، فقال ، سنجتمع ايضا ونكمل البحث فـي وقت اخر ، واثنى علي بعبارات طيبة معربا عن امله بقـرب اليوم الـذي استطيع فيه ان اخدم وطني بما عندي من علم وعقل ، وكان يدون امامـه خلاصة اقوالي ويصغي الي بانتباه شديد .

الشيخ تاج يسعى لتولـي رئاسة الدولـة

فقلت لفارس الخوري : زدني من هذه الذكريات التاريخية الهامة .

قال : في هذه الاثناء كان الشيخ تاج الدين افندي بن الشيخ المحدث بدر الدين افندي الحسني الجزائري ، يتردد على المفوض السامي ، وكان يشغل منصب القاضي الشرعي الممتاز لمدينة دمشق ، ويسعى ليتولى رئاسة الدولة السورية بعد استقالة السيد **صبحي بركات** ، وكان متصرف دمشق **نورس افندي الكيلاني** موجودا في بيروت ايضا وعاملا على اقناع صبحي بك بوجوب الاستقالة ، وفي ٢١ كانون الاول ١٩٢٥ عرف في بيروت ان وجهاء دمشق ومفكريها قد اجتمعوا في دائرة البلدية بايعاز من الجنرال اندريا قائد موقع دمشق وتفاوضوا بالحالة الحاضرة وما تنذر به من الخراب والكوارث وانتخبوا وفدا يذهب الى بيروت ويقابل المفوض السامي ويتوسط لديه بوضع حد للقتال وان هذا الوفد تشبع بالعداء لصبحي بك وحكومته (وكانت حكومة صبحي بركات الخالدي مؤلفة منه رئيسا ومن **جلال زهدي** وزيرا للمالية **وعطا الايوبي** وزيرا للعدلية **ونصري بخاش** وزيرا للداخلية **وحسن عزت باشا** وزيرا للاشغال العامة والزراعة والاصلاح الاقتصادي **والدكتور رضا سعيد وزيرا المعارف**) وسيجعل ــ أي الوفد ــ همه الاول اسقاط هذه الحكومة الضعيفة قبل كل شيء ، فخشي صبحي بك ان يكره على الانسحاب بعد وصول الوفد واستعجل الفرصة قبل فواتها فقدم استقالته ، والذي كتب له كتاب الاستقالة هو الدكتور نجيب الارمنازي ، بالاتفاق مع نورس افندي ، وعرضا علي صورته قبل تقديمه فاستحسنتها ، وقد ضمناها اقتراح صبحي بك على المفوض السامي ان يجيب السوريين الى مطاليبهم المشروعة ويمنحهم الاستقلال ضمن الوحدة السورية ما عدا لبنان الصغير ويوفر لهم السيادة القومية ويعلن عفوا عاما عن الذين اشتركوا بالثورة وكان كتابه يشتمل على المطالب التي قدمتها اللجنة التنفيذية في مصر ما عدا الجلاء العاجل والغاء الانتداب ، وقد ساء هذا الكتاب العصبة الافرنسية في سورية ووثبت جرائدهم على صبحي بك تقرعه وتعنفه لاجل هذا الموقف الغريب الذي وقفه وتحتج عليه لانه حرض الجنرال ساراي واوغر صدره وحمله على حبس الوطنيين واعتقالهم لاجل نفس هذه المبادىء التي جاء اليوم ينصح المفوض السامي بقبولها .

وفي مساء اليوم الذي استقال فيه صبحي بك استدعي المفوض السامي

نورس افندي وعطا بك الايوبي والشيخ تاج الدين الحسني فاجتمعوا به الواحد تلو الاخر ويقال انه كلف كلا منهم بالرئاسة فأباهـا الاولان وقبلها الثالث واخذ يفاوضه بشروط القبول وما هي القواعد التي ينوي المفوض السامي ادارة البلاد بموجبها وما هي الخطة التي اختطها لانهاء الثورة ، وقد اخبرني كل من عطا بك ونورس افندي ان المفوض السامي عرض عليهما الرئاسة غير اني لم اتحقق صحة ذلك من مصدر اخر ولا ادعاء احد منهم بصورة علنية حتى ان عطا بك كان ينكر ذلك على من يسأله والظاهر ان المفوض السامي أوعز للشيخ تاج بأن يختار الرجال الصالحين لمراكز الوزارات معه واوعز اليه بالا يمانع بادخالي وادخال نورس افندي مع من يتفق عليه غيرنا ، وهكذا كاشفنا الشيخ بالامر بدون ان يصرح لنا بقبوله العمل بل بقي متكتما متخفيا حتى اخر يوم !! ..

الوفد الدمشقي الذي زار المفوض السامي دي جوفنيل

وسألت فارس الخوري عن الوفد الدمشقي وماذا فعل بعدئذ فأجابني:

وصل وفد دمشق الى بيروت مؤلفا **مني ومن الامير سعيد الجزائري وعطا بك الايوبي وشاكر بك الحنبلي واحمد افندي الحسيبي نقيب الاشراف وعبد القادر افندي الخطيب مفتش الاوقاف ورشدي باشا الصفدي واحمد بك اللحام وشكري افندي الشربجي وزكي افندي المهايني وعارف افندي القوتلي وفوزي بك الغزي ولطفي افندي الحفار ويوسف افندي لنيادو وابو الخير افندي الموقع والحاج ياسين ذياب ومحمد افندي كرد علي وعبد المحسن افندي الاسطواني واخرين** ، فطلبنا مقابلة المفوض السامي واستقبلنا في اليوم الثاني مجتمعين ثم منفردين ثم مجتمعين وقدمنا له لائحة تتضمن الاسس التي يستطيع الوفد ان يتوسط بها بين المتحاربين وهي الوحدة السورية ما عدا لبنان الصغير على ان يستفتي سكان البلاد الملحقة به ، والعفو العام ، ودعوة المجلس التأسيسي لوضع الدستور على قاعدة السيادة القومية ، واستبدال الانتداب بمعاهدة بين فرنسا وسورية وتأليف حكومة موقتة لانفاذ هذا البرنامج وقد ناقشناه طويلا في هذه البنود ، وبعد انتهاء المفاوضة قرا لنا تصريحا منه بالاجوبة على لائحتنا اهم ما جاء فيه انه يأمر بالانتخاب حالما تضع الحرب اوزارها ويترك وضع الدستور لنواب الامة المنتخبين ويعفو عن الثائرين الذين يقدمون سلاحهم ويسلمون للسلطة ضمن



لطفي الحفار وفارس الخوري اثناء انعقاد مؤتمر جامعة الدول العربية في مصيف بلودان في اوائل حزيران سنة ١٩٤٦

●

خمسة عشر يوما ما عدا الزعماء فانه يضمن لهم الحياة فقط وقال لي في حديثي الخاص معه انه ايضا يعفو عن الزعماء ولكن بعد اتمام الانتخاب ووضع الدستور والمعاهدة وهذا لا يطول اكثر من بضعة اشهر والظاهر انه لم يشأ تعجيل العفو عنهم خوفا من ان يفضي ذلك الى تدخلهم بالانتخاب وعرقلتهم لبرنامج الدستور والمعاهدة الذي ينوي حمل النواب على قبوله ، وثاني يوم بعث الينا الى نزل بسول بنسخ عن هذا التصريح مع مستشاره **المسيو مليا** فأظهرنا له ما نعترض به على هذا التصريح واتفقنا معه على مقابلة المفوض السامي في اليوم التالي ، وكان المفوض السامي في ذلك اليوم قد نشر قرارين احدهما بالعفو على الصورة التي ذكرناها مع زيادة تتضمن مصادرة اموال الزعماء ، والاخر بالانتخاب في ألوية حمص وحماة وحلب

ودير الزور واسكندرونة على ان يكون الانتخاب الاول في ٨ كانون الثاني والثاني في ٢٢ منه ١٩٢٦ (اذ كان الانتخاب على درجتين) وان نواب كل لواء يجتمعون بعدها ويقررون علاقات لوائهم السياسية مع الالوية الاخرى (وحول هذا الموضوع اذكر ان مجلس نواب دير الزور اجتمع في ٢٦ آذار ١٩٢٦ في دار البلدية برئاسة البرلماني المعروف المغفور له السيد **محمد نوري الفتيح** وقرر بالاجماع المطالبة بوحدة البلاد السورية بما فيها فلسطين وشرقي الاردن ولبنان والاسكندرونة فاضطر الافرنسيون الى حله في اليوم التالي) .

ويتابع فارس الخوري حديثه التاريخي القيم ، لي ، فيقول :

في الوقت المعين ذهبت ومعي **رشدي باشا الصفدي وعارف افندي القنواتي** لمقابلة المفوض السامي ، بالنيابة عن الوفد الدمشقي وقدمت له مذكرة تتضمن خلاصة الاقوال الشفاهية التي ادلينا بها اليه واصررنا على قضية الوحدة التي بقيت في جوابه مسكوتا عنها سوى ما نصحنا به،ان نهتم بعمران بلادنا اولا قبل ان نشتغل باستلحاق بلاد اخرى واننا متى عمرنا البلاد التي في ايدينا واظهرناها في حلة البهاء والنجاح نجد المقاطعات المنسلخة تطلب الانضمام الينا بدون ان ندعوها وان الثورة الحاضرة تقصي عنا جيراننا وتجعلهم ينفرون من الوحدة وانه يعجب من انصار الوحدة كيف يسلكون خطة عدائية للوحدة نفسها وانه لا يريد ان يكره العلويين ولا الدروز على الانضمام الى سورية وانما يجيب طلبهم اذا هم قرروا ذلك ، وقد احتججنا على قانون الانتخاب الذي نشره واباح فيه لنواب كل سنجق ان يقرروا على حدة مصير سنجقهم من جديد مع ان هذه الاستشارة قد تمت في مجلس النواب الماضي حينما قرر نواب حلب ودير الزور والاسكندرونة الانضمام الى دمشق وبموجب قرارهم هذا الغيت **دولة حلب** التي انشأها الجنرال غورو واتحدت مع دمشق في دولة واحدة فكيف يجوز الان ان يعاد هذا الاستفتاء ثانية بعد ابرامه ؟! .. ومن الغريب ايضا ان يترك هذا الخيار لكل سنجق على حدة ويفسح مجالا لكل سنجق بتقرير الانفصال وايجاد دولة معتزلة ، فهذا يفتح بابا جديدا للتجزئة علاوة على الدول الموجودة اليوم ، ومن يضمن لنا ان الحلبيين او الديريين او الحمويين او الحمصيين او الانطاكيين لا يقررون الانفصال وانشاء دويلة جديدة في كل سنجق خصوصا مع ما نعرفه من الاصابع التركية التي تلعب في سورية الشمالية وتود انفصالها عن دمشق ليسهل على الاتراك ابتلاعها ، وما هو شائع عن

المندوبين الافرنسيين في هذه السناجق من الرغبة في تفريق البلاد عن بعضها وتجزئتها من جديد وها ان المندوب في حلب **المسيو ركاو** يبذل كل وسائله المشروعة وغير المشروعة في حمل الناس على طلب الانفصال ، او ليس من الغريب ايضا ان توضع هذه القاعدة في سورية ولا توضع في لبنان ؟!! ولماذا ترك نواب المحافظات اللبنانية يقررون مصيرهم مجتمعين ولم يسمح لنواب كل محافظة ان يجتمعوا او يعينوا علاقاتهم السياسية بالمقاطعات السورية واللبنانية الاخرى ؟!! **ولو وضعت هذه القاعدة في لبنان لرأينا نواب طرابلس والبقاع وجبل عامل يقررون فك ارتباطهم بلبنان والالتحاق بسورية** ، واصررنا على هذه القضية لتزال من قانون انتخاب سورية ولتدخل في قانون انتخاب لبنان ايضا فوعدنا المفوض السامي انه سيتلافى هذا الخرق بوسيلة اخرى فلا يفسح مجالا لتجزئة جديدة ويلحق هذا القرار فيما بعد بذيل يجعل مقررات مجلس السنجق موقوفة في انفاذها على اجازتها من قبل المجلس العام الذي يمثل سناجق سورية كلها .

واسترسل الاستاذ فارس الخوري يروي لي قائلا :

ثم اعترضنا على قانون الانتخاب الذي وضعه **الجنرال ويغاند** سنة ۱۹۲۳ لانه موضوع على اساس القضاء ولا يجوز لاهل القضاء ان ينتخبوا نائبهم الا من سكان قضائهم واكثر اقضية سورية خالية من المتعلمين الذين يجوز أن يعهد اليهم بوضع دستور البلاد وطلبنا ان يكون مشابها لقانون الانتخاب اللبناني الذي يجيز لكل لبناني ان يرشح نفسه في اية محافظة كانت فأبى علينا قبول هذا الطلب الان ووعد انه بعد هذا الانتخاب ينظر في تحوير هذه الجهة فاصررنا على تحويرها منذ الان واوضحت الضرر الذي ينجم عنها فوعد أن يوعز لمعاونه المسيو مايا للنظر في هذه القضية ولكنه لم يحور شيئا منه ، ثم انتقلنا الى كون قانون الانتخاب الموجود موضوعا على اساس الطائفية ولا يبيح لكثير من الناس الصالحين ان يتقدموا للانتخابات في منطقة ما فتعجب وانكر وجود مثل هذه القيود مصرحا ان قانون الانتخاب يجب ان يكون مانحا لكل وطني حقا بترشيح نفسه في احدى الدوائر الانتخابية فقلت له : اقدم لك مثالا بنفسي كي لا انعرض لذكر غيري فانني بصفتي بروتستانتيا لا يحق لي ان ارشح نفسي للانتخابات في دائرة ما من الدوائر السورية مع انني متوطن في هذه البلاد وانا من ابنائها الاصليين وكنت مبعوثا في البرلمان العثماني عن لواء الشام وكنت وزيرا ومندوبا في مجلس الاتحاد وانا اليوم نقيب المحامين واحد اساتذة معهد الحقوق وذلك

لان القانون جعل نائب الاقليات من الاقلية الاكثر عدداً وقد ضمت طائفة البروتستانت الى طائفة السريان التي هي اكبر منها فوجب ان يكون نائبنا سريانيا من اهالي حمص حيث تجتمع اكثرية السريان فأظهر استغرابه من وضع هذه القاعدة ووعد بالنظر فيها ولكنه لم يفعل .

بعد ذلك عرضنا له أن قرار العفو الذي نشره جاء قبل اوانه وتضمن شروطا تجعله عقيما للامور الآتية :

ان الوفد الدمشقي يرجو ان يكون له وسيلة الى الثائرين بواسطة زعمائهم فان لم يتناول العفو هؤلاء الزعماء لا يرجى منهم ان يمهدوا سبيل الوفد ، كما أن الشرط الاخر بتسليم السلاح يلاقي عراقيل كثيرة لان الدروز لا يسلمون سلاحهم ما داموا معرضين لغزو البدو من جهة البرية وهؤلاء البدو الضاربون في صحراء سورية كلهم مسلحون فكيف نقنع الدروز بتسليم سلاحهم قبل ان نجرد جيرانهم وخصومهم من السلاح ؟!! وقد جربت الدولة العثمانية هذا الامر ففشلت فيه مرارا عديدة وكلما جمعت أسلحة الدروز عادوا الى التسلح في بضعة اشهر لان **الدرزي الجبلي يستغني عن أولاده ولا يستغني عن بندقيته** ،وليست هذه البنادق من ادوات الزينة عندهم وانما الحاجة الماسة هي التي تدعو لاقتنائها ويجب على الحكومة ان تزيل هذه الحاجة فيستغني الناس عن أسلحتهم ، واما ثوار الغوطة فاكثرهم عزل من السلاح .. وقد اجابنا على هذه الملاحظات بأنه يصرف النظر عن تسليم الدروز اسلحتهم ولكنه لا يستطيع العفو العاجل عن الزعماء ولا يستطيع ان يترك الاسلحة موجودة في ايدي سكان قرى دمشق .

وبعد هذه المقابلة اذن لنا بنشر خلاصة المفاوضات فنشرناها في الصحف المحلية ، وعاد الوفد الى دمشق بدون ان يتوفق لبلوغ الاغراض التي ذهب لاجلها . وبعد عيد الميلاد رجع من جبل الدروز الامير امين ارسلان ورفاقه فوزي الغزي ولطفي الحفار وعفيف الصلح وفهمنا منهم انهم لم ينجحوا في مهمتهم لانه لم يكن في ايديهم شروط صالحة للمذاكرة وقد سألهم زعماء الدروز والثائرون في الجبل عما جلبوا لهم من الشروط النافعة فأخبروهم ان المفوض السامي يمنح الامة دستورها ويدعوها للانتخاب الحر ويترك تقرير مصير المقاطعات لحرية نوابها ولا يعلن الوحدة من نفسه فلم يقتنعوا بذلك بل طلبوا الوحدة السورية والعفو العام واستبدال الانتداب بمعاهدة وجلاء الجيوش الافرنسية وغير ذلك من الامور التي

لا تخرج عن روح المطالب التي قدمتها اللجنـــــة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني في مصر .

عودة الى مساعي الشيخ تاج وشروطنا لقبول الحكم

وتابع الاستاذ فارس الخوري حديثه الشيق هذا فقال :

بعد ان قبل الشيخ تاج بتولي رئاسة الحكومة اجتمع بـــي وبنورس افندي الكيلاني في اوتيل رويال وتذاكرنا بالبرنامج الذي نستطيع قبـــول العمل على اساسه وبعد المناقشة والاخذ والرد بضعة ايام كنت في اثنائهـــا راغبا في التخلص من هذه المشقة والشيخ تاج يصر علي بالاشتراك معه قررنا ان نقدم للمفوض السامي صورة البيان الذي ننشره بعد موافقته عليه عندما نتولى العمل فكتبته وبعد ان اتفقنا عليه قدمناه بهذا النص :

اقدمت الوزارة السورية الحاضرة على تقلد امور البلاد وهي عالمـــة بثقل المهمة الملقاة على عاتقها في هذه الازمة الشديدة التي تحتم على كـــل وطني ان يبذل قصارى جهوده لتحقيق رغائب الامة وانقاذها مـــن الاخطار المحدقة بها من كل جانب وستكون عاملة بعد الاتكال على الله على ايجـــاد حل يكون مقنعا ومـــرضيا للسوريين من غـــير ان يناقض المصـــالح الفرنسية الحقيقية وستضع نصب عينيها تشييد اركان سلام دائم يرضى عنه ابناء الوطن سواء المقيمون منهم او النازحون حتى يتعاونوا على انهاض البلاد من كبوتها واقالتها من عثرتها ويمهدوا لها سبيل النجاة من الكوارث التي اجتاحتها وكادت تهد اركانها وتقوض عمرانها .

لاجل بلوغ هذه الغاية التي نرى الامة بأشد الحاجة اليها لم نجد بـــدا من اقتحام هذه الغمرة ومقابلة الشدائد الحاضرة برباطـــة جأش مخاطرين بالنفس في سبيل سلامة الوطن .

بعد امعان الفكرة وتمحيص القضية مـــن جميـــع وجوهها والمفاوضة بمطالب الامة الحقة التي تسعى لادراكها لم نجد وسيلة للخروج من هـــذا المأزق الحرج الا بالعمل على القواعد الآتية :

١ ــ تحقيق الاستقلال بوضع الدستور على قاعدة السيادة القوميـــة وذلك بدعوة المجلس التأسيسي من جميع البلاد السورية حالمـــا تعـــود السكينة الى البلاد ليقوم بهذا العمل .

٢ ــ توحيد البلاد السورية جميعها وجعلها دولة واحدة تتألف مـــن

سورية وبلاد العلويين وجبل الدروز والاقضية الاربعة التـــي سلخت مـن ولاية الشام بقرار عرفي واضيفت الى لبنان سنة ۱۹۲۰ وهي بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا لان هذه الاقضية جزء لا ينفك عـــن سورية ولا يمكـــن الاستغناء عنها بسبب ضرورة المواصلات والموقـع الجغرافي ورغبة الاهلين وحقوقهم ، اما سائر الاقاليم التي اضيفت الى لبنان فان الحكومة تعمل على استردادها اما بتسوية مباشرة مع الحكومة اللبنانية واما بدعوة اهلها لتقرير مصيرهم بطريقة مشروعة بعد عودة السلم الى نصابه ، وعلى كل حال فــان البلاد تصان من كل تجزئة جديدة وتدار على قاعدة اللامركزية بالصورة التي يقررها المجلس التأسيسي العام .

٣ ــ تعيين الصلات بين فرنسا وسورية بمعاهدة تعقد لمـــدة معينـــة وتكون نافذة بعد ان يبرمها البرلمان السوري وهذه المعاهدة تبنى على قاعدة السيادة القومية مع المحافظة لفرنسا علـــى النفـوذ السياسي والرجحان الاقتصادي اللذين لا يتعارضان مع السيادة القومية .

٤ ــ تسعى فرنسا لادخال سورية وقبولها عضوا في جمعية الامم .

٥ ــ جلاء الجنود الافرنسية عن البلاد بصورة تدريجية متـــى تألفت فيها قوى أمن كافية .

٦ ــ التعويض على منكوبي الثورة .

٧ ــ توحيد القضاء وتنظيمه على اسلوب يأتلف مـــع حقوق الامـــة السورية وسيادتها ويصون مصالح الوطنيين والاجانب معا .

٨ ــ تحقيق العفو العام عن جميع الذيـــن اشتركوا بالثورة وسائـــر الجرائم السياسية في انحاء سورية المختلفة مـــع بقاء الحقوق الشخصية مصونة لاربابها .

٩ ــ العمل على اصلاح النظـــام الاجتماعي بمقياس واسع واصلاح النظام النقدي .

١٠ ــ تطلق يد الحكومة في أجراء الاعمال الادارية ضمن نطاق القانون.

علاوة على ما تقدم فان وزارتنا الموقتة التي قبلت العمل على ان تكون وزارة سلمية تسعى لانهاء حالة الاضطرابات الحاضرة وتأسيس صداقـــة قائمة على اركان صحيحة من المنفعة المتبادلة والثقة المتقابلة بـــين الدولة الفرنسية والشعب السوري وهي ستعمل على اتخاذ تدابير سريعة لاستعادة الطمأنينة وتهدئة النفوس القلقة ، ونحن واثقون ان فخامة العميد المسيو دي جوفنيل الذي عرفت مواقفه الحرة في جمعية الامم يكون عونا لنا في هذه

المهمة الشاقة ويؤيد هذا الشعب السوري النشيط العامل على بلوغ الحياة الحرة والوصول الى حقه الطبيعي في الوحدة والاستقلال ولا يخفى ان البلاد السورية بأسرها من البحر الى حدود العراق تؤلف امة واحدة في عنصرها ولسانها وتقاليدها وآمالها ، ولم يفرد لبنان بادارة ممتازة في اواسط القرن الماضي الا بسبب حالة استثنائية دعت اليها الضرورة ، والضرورة تقـــدر بقدرها ، فليس من الحق والعدل ان تمتد هذه الضرورة الخاصة الى الاقاليم التي ليس فيها ما يوجبها ، واننا نرجو من امتنا السورية الكريمة وابنائهـــا المفكرين العقلاء ان يؤيدوننا في مساعينا وهم يعلمون ان نجـــاح الحكومة يتوقف على تأييد الشعب ومؤازرته .

●

وقال لي فارس الخوري :

ارسلنا هذا البرنامج الى المفوض السامي مع ترجمانه واقمنا ننتظـــر جوابه عليه حتى اذا وافقنا على نشره وتحقيقه قبلنـــا ان نتولى الحكومـــة ونفاوض زعماء الثورة الموجودين في جبل الدروز وغوطة دمشق لينزلـــوا على هذه الاحكام ويأمروا تابعيهم بالقاء السلاح والخلود الى السكينة ، وكنا نرجح ان هذه الشروط تصلح لاقناع الثوار واستجلابهم الـــى طاعة الحكومة فانها تحتوي الاستقلال الداخلي للبـــلاد السورية واطلاق حريـــة مجلس المؤسسين بوضع الدستور وتعيين شكل الحكومة وتعيد الى سورية مقاطعتي العلويين وجبل الدروز والاقضية الاربعة وتترك بقية المقاطعات الملحقة بلبنان تحت الدعوى مع حكومته يفصل امرها بطريقة التحكيم فـــي جمعية الامم ، وبالنظر الى صحة دعوانا وحقها كنا واثقين اننا سنربحها في جمعية الامـــم فان فرنسا ارسلت في السنة الماضية (يقصد سنة ١٩٢٤) احـــد اعضاء مجلس النواب الفرنسي المسيو **اوغست برونة** لدرس اسباب الحوادث في سورية وقابلناه وجادلناه في قضية هذه الملحقات وعندما رجع الـــى فرنسا ورفع تقريره الى حكومته وجدناه يقول فيه ان الحاق هــــذه البلاد بلبنان مخالف للعدل والمنطق ويقترح اعادتها الى سورية ، فلا نعدم من عصبة الامم انصارا ينصفوننا ويعيدون لنا هذه البلاد المسلوخة ، وقـــد تضمن البرنامج استبدال الانتداب بمعاهدة تعقد بين سوريا وفرنسا ، ولا خوف ان تكون هذه المعاهدة جائرة على الشعب السوري ما دامت لا تنفذ الا بعد تصديقهـــا من البرلمان وتبنى على السيادة القوميـــة ولا تصون لفرنسا الا نفوذهـــا السياسي ورجحانها الاقتصادي .

ما الذي يعنيه نفوذ فرنسا السياسي ورجحانها الاقتصادي ؟!

وسألت فارس الخوري عما كانوا يعنونه بنفوذ فرنسا السياسي ورجحانها الاقتصادي فأجابني قائلا :

اردنا بالنفوذ السياسي ان نتخلى - في ذلك الحين - عن التمثيل الخارجي لممثلي فرنسا بالبلاد الاجنبية ولم يكن في هذا التخلي آنذاك تضحية كبيرة لاننا لم نكن نستطيع ان نعين لنا سفراء وقناصل فيعواصم الدنيا وحواضرها وقدرنا بانه لن يضيرنا ان يحمي الفرنسيون في البلاد الاجنبية مصالح السوريين في مدة المعاهدة بين الدولتين . واما الرجحان الاقتصادي فهو ترجيح الراسمال الافرنسي على غيره عند تساوي الشروط وليس في هذا ما يخل بالاستقلال السوري ومنافع السوريين .

واستطرد فارس الخوري يروي لي ذكرياته عن تلك الحقبة من تاريخ سورية فقال :

وبمذاكرتنا مع المفوض السامي وافقنا على ان المستشارين الفنيين للحكومة السورية تقدمهم لها فرنسا على ان يكون رأيهم استشاريا فقط فلا تبقى له صفة تنفيذية كما كانت الحال في ذلك الحين ، وبعد انتستقل سورية وتصبح دولة ذات كيان معروف تسعى فرنسا لادخالها عضوا في جمعية الامم وبذلك تصبح تحت الضمانة الدولية العامة وتصان حدودها من التعرض الاجنبي خصوصا بعد دخول الحجاز وتركيا والعراق في هذه العصبة ولا يبقى بسورية حاجة الى ضمان حدودها من قبل الدولةالافرنسية وقد وافق المفوض السامي على هذا البند بتمامه .

اما قضية جلاء الجنود الافرنسية عن سورية تدريجيا فقد قبلها مبدئيا وانما افرغها في قالب اخر ترك به لفرنسا وحدها تعيين الوقت المناسب لهذا الجلاء محتجا بان فرنسا لا ترغب بترك جنودها في سورية بدون لزوم ، لان ذلك يحملها نفقات طائلة ، فهي يسرها جدا ان ترى السوريين في غنى عن مساعدتها لحماية امنهم الداخلي والخارجي وتجلو عن البلاد عندما ترى ذلك واجبا وها ان الجيش كان في عهد الجنرالغورو ثلاثين الفا فانزل من بعد ذلك تدريجيا حتى جعله الجنرال ساراي سنة ١٩٢٥ سبعة الاف فقط ولولا الثورة الحاضرة لكان نقص الى اصغر حد ممكن .

ومن جهة التعويض على منكوبي الثورة فهذا امر يشكل قاعدة عادلة قبل بها المفوض السامي تماما وانما اراد حصرها بمن لم يشترك بالثورة واما الاضرار التي الحقت بالثائرين انفسهم فلا يجوز لهم طلب تعويضها فاجبته باننا نترك هذا البند على حالته من الابهام على ان توضع قواعده فيما بعد بين المفوض السامي والحكومة السورية المقبلة وكنا نعتقد بان الحكومة الافرنسية لن تبخل باعطاء مبلغ من المال كاعانة للمنكوبين يضاف اليها مبلغ اخر من الخزينة السورية تتلافاه من املاك الدولة او من الضرائب العامة او من ضريبة خاصة يشترك بها اهل البلاد كافة ويعوض على المصابين بخراب دورهم وتلف اموالهم .

واردنا بتوحيد القضاء ازالة تعدد المراجع القضائية التي كانت موجودة وجمعها بقضاء واحد للاجانب والوطنيين فلا تكون محكمة الاجنبي غير محكمة الوطني ، وقد وافقنا المفوض السامي على هذا الشرط . كما وافقنا ايضا على قبول مبدأ العفو العام عن الجرائم السياسية مع بقاء الحقوق الشخصية مصونة لاربابها كما هي القاعدة العامة عند اصدار عفو من اي نوع كان وانما لم يشأ تعيين الزمن الذي يعلن فيه هذا العفو ليبقى له مجال ابعاد الزعماء مفتوحا حتى اذا اطمأنت البلاد وسن الدستور وانتهى امر المعاهدة فسح سبيل العفو وعودة المبعدين الى اوطانهم ولا يرضى ان يدخل في البرنامج سوى السماح للحكومة بطلب العفو والالحاح لاجله فقط .

ما الذي يعنيه اصلاح النظام الاجتماعي والنظام النقدي ؟!!

وسألت فارس الخوري عما عناه البيان الوزاري المقترح ، باصلاح النظامين الاجتماعي والنقدي ، فأجابني بقوله :

لقد اردنا يومذاك ، باصلاح النظام الاجتماعي اموراً كثيرة اتفقنا على اجرائها ، منها اصلاح حال المرأة السورية بتقييد الطلاق ومنع تعدد الزوجات ورفع الحجاب والغاء محاكم الاحوال الشخصية كالمحكمة الشرعية والمجالس المذهبية والغاء الاوقاف الذرية واصلاح القانون المدني وسائر الاصلاحات الاجتماعية على النحو الذي قبله الاتراك في بلادهم ولقد كنا نعتقد ان هذا الاصلاح الاجتماعي هو المدار الاصلي لرقي البلاد واعدادها للعراك السياسي والاقتصادي في ذلك العصر وفي العصور الآتية ، وقد

وافقنا المفوض السامي على هذا البند ووعد بتأييدنا فيه كما اوافق على اصلاح النظام النقدي والعودة الى التعامل على اساس الذهب وبذلك تخلص البلاد من الكارثة الاقتصادية التي اجتاحتها بهذه العملة الورقية التي اصدرها المصرف السوري على اساس الفرنك الافرنسي الورقي ، واردنا بالبند العاشر اطلاق يد الحكومة السورية في تنفيذ هذا البرنامج بدون سيطرة المستشارين الافرنسيين وتدخلهم لان هذا الاطلاق هو الضامن الوحيد لسلامة الانفاذ ولاثبات حسن النية من جهة السلطة المنتدبة فلا يبقى معه مجال للتدخل وعرقلة المساعي الوطنية . ولكن المفوض السامي لم يقبل هذا البند واحب ان تبقى الحالة على شكلها الحاضر من جهة الاجراء المشترك الى ان يوضع الدستور ، والبند المتعلق بالوحدة لم يقبله المفوض السامي بل بعث الينا بنص يفيد بقاء الخيار للمقاطعات بالانضمام او بالانفصال وكان قد دعا العلويين لانتخاب مجلسهم التمثيلي وسيدعو الدروز الى مثل ذلك بعيد انتهاء ثورتهم فان قرر ممثلو كل من هاتين المقاطعتين الانضمام الى سورية يضمهم اليها ويبيح للحكومة السورية في دمشق ان تفاوض الحكومات السورية واللبنانية الاخرى بشأن الوحدة او تصحيح الحدود او استرداد اقاليم وعند تعذر الاتفاق بالمفاوضة المباشرة وطلب احدى الدولتين ، يكون هو حكما بينهما ، يدرس القضية المنازع بها ويفصلها باسم الدولة المنتدبة ويبقى حكمه قابلا للاستئناف الى جمعية الامم ، ولا يتعهد بصيانة البلاد من تجزئات جديدة الا اذا سكنت الثورة عاجلا اي في غضون شهر من ذلك التاريخ .

واستدرك فارس الخوري يقول :

لقد كانت المفاوضات مع المفوض السامي المسيو دي جوفنيل تجري احيانا بصورة مباشرة واحيانا بواسطة مندوبه **المسيو بيير آليب** او صديقه المسيو ميليا (وكان المسيو آليب يحكم سورية مباشرة منذ استقالة صبحي بك بركات في ٩ شباط ١٩٢٦ حتى ٢٦ نيسان من ذلك العام حيث تعذر تشكيل وزارة سورية جديدة خلال هذه الفترة) .

واستطرد الاستاذ فارس الخوري يروي لي :

وكان موارنة لبنان في اثنائها ، شديدي الاضطراب والحذر خوفا من ان تلين لنا قناته ، ويرضى بنقض ما ابرمه الجنرا لغورو من جهة حدود لبنان الكبير ، وكانت البرقيات والعرائض تأتيه كل يوم بالوف التواقيع من مسلمي طرابلس وجبل عامل وغيرها واشترك معهم بذلك بعض النصارى

من غير المارونيين يطلبون الوحدة السورية ويحتجون على تكبير لبنـــــان وضمهم اليه ، وكان المسيو دي جوفنيل ميالا للعطف على قضية طـــلاب الوحدة لولا خوفه من ان ينتقض عليه الموارنة ويرفعوا اصواتهم بالشكــوى الى باريز ولهم فيها انصار كثيرون قد ينجحون بزعزعة مركزه كما زعزعوا مركز الجنرال ساراي قبله حتى ان بطريرك الموارنة **غبطة السيد اليـــاس الحويك** قال في احدى خطبه انه مستعد للالتجاءالى دول الحلفاء كافة اذا لمس ميلا من فرنسا لان تنقض عهدها معهم وتسترجع الاقاليم التيضموها الى لبنانهم وردتها الى سورية ، وقد لحظت من المفوض السامي انه يتجانف عن اثارة هذه العاصفة المارونية ويخشى عواقبها .

حيرة وتردد ، حول الاشتراك في الحكم او عدمــه !!

واسترسل الاستاذ فارس الخوري يروي لي ذكرياته ، قال ،

بعد ان وقفنا على الحد الاعظم الذي يريد المفوض السامي ان يمنحه للسوريين ووقوفه موقف الصلابة عند هذا الحد واصراره على **الشيـــخ تاج الدين الحسيني** وعلينا بقبول العمل على هذه الاسس وقفنا وقفـــة الحائر المتردد ، وقد علمنا اننا اذا ابينا العمل لا يمكن ان يجسر غيرنا علـى اقتحامه ولو اقتحمه لايكتب له سوى الفشل وان اقدمنا نحن عليه لا نثق من النجاح لان الثائرين لا يرضون بهذه الشروط ويحسبون ان الوحـــدة السورية وحدها هي العوض عن الدماء التي سفكت والاموال التي اتلفت ولا يرضون عنها بديلا وهذا اخطر ما تحدثوا به الى **الامير امـين ارسلان** ورفاقه الذين كانوا عادوا من الجبل وهذا ما كان ترشح الى بعض اصدقائنا من اخبارهم بطريق مصر وفلسطين وهو منطبق على بياناتهم في الجرائد ، فلا بد ان ينحوا علينا باللائمة الشديدة اذا نحن قبلنا واستلمنا الحكومـة على هذه الشروط كما ان جميع من احاطوا بنا في بيروت وما تنسمناه من اخبار دمشق لم يكن منشطا على الاذعان وقبول العمل بل كان على العكس من ذلك ، منذرا بالفشل والسقوط ، ونظرنا من الجهة الاخرى الى مـــا ينتظر حدوثه من تمادي الشرر والويل عند فشل مفاوضاتنا ، فان فرنسا اذا يئست من اعادة السلام بهذه الصورة قد تعمد الى اعادته بقوة السلاح وتلجأ الى التنكيل بالثائرين وبالقرى التي يحلون بها وهذا يهدد قرىحوران والغوطة والقلمون ووادي العجم ووادي التيم والبقاع ومدينة دمشقنفسها

وحمص وحماة بالخراب والدمار واذا اجتاحت الجيوش الافرنسية هـــذه البلاد وانزلت بها الشقاء واخمدت الثورة بقوة السلاح والارهاب ننذم نحن على تخلينا عن الموقف وترك الحبل على الغارب ونجر على انفسنا لوم اهل البلاد لاستنكافنا عن قبول المسؤولية واقتحام هذه الغمرة الصعبة ، ويبقى لنا بعد دخول هذه المعمعة باب الاستقالة مفتوحا اذا تعذر علينا بلـــوغ النجاح . وبما انني كنت منسوبا لحزب الشعب فقد ابلغت المسيو دي جوفنيل انني لا استطيع قبول الوزارة بدون موافقة الحزب على ذلك فقال لـي ان الحكومة قد اصدرت قرارا بحل حزبكم ولم يعد موجودا ، **فقلت له** : انـه غير موجود بنظر القانون ولكنه موجود باتحاد مبادئنا والعمل معا ، فقبـــل مني هذا العذر وترك لي الوقت الكافي للاستشارة ، وكان رفاقنا الموجودون في بيروت من اعضاء حزب الشعب واقفين على مجرى المفاوضات ومؤيدين للخطة التي سرنا عليها ، وابرقنا الى احد اركان حزب الشعب في حلـــب مصطفى بك برمدة ندعوه للحضور الى بيروت ، وقبل وصوله الينا طلبنـا من المفوض السامي ان يؤخر الانتخاب في حلب عن موعده المعين فـــي ٨ كانون الثاني ١٩٢٦ الى موعد اخر بحيث يجري الانتخاب في الالويـــة السورية بوقت واحد فأبى علينا هذا التأخير ووجد الشيخ تاج الدين ان موقفه يزداد حرجا اذا هو قبل رئاسة الدولة في تلك الايام .. وبعـــد ثلاثة ايام جرى الانتخاب في الاقاليم الاخرى ما عدا دمشق وحوران وجبل الدروز طبعا وافضى الامر الى انفصال حلب عن دمشق ولذلك اصر معنـا بوجوب هذا التأخير وصرح للمفوض السامي في ٥ كانون الثاني ١٩٢٦ انه لا يقبل المنصب بدونه . وفي اليوم التالي وصل الى بيروت السيد **مصطفى برمدا** واجتمعت معه في اوتيل بسول وشرحت له ما جرى لنا من الحوادث والمفاوضات مع المفوض السامي وما هي الشروط التي قدمناها له ومـــا اجابنا اليه وما منعه عنا منها ، فوافق على البرنامج المعروض وصرح انه لا يرضى الدخول بالوزارة الا على اساس هذا البرنامج الوطني الذي قدمناه ، ثم زار المفوض السامي بعد ذلك ومعه **السيد نجيب الارمنازي** يترجم بينهما وحدثه بسيئات الحالة الحاضرة وايد الشروط المعروضة ثم عاد الى حلب في ١٠ كانون الثاني .

رشيد طليع وشكيب ارسلان والثورة السورية

وتابع الاستاذ فارس الخوري الحديث فقال :

بعد ابائنا قبول مسؤولية الحكم وتمسكنا بقواعد البرنامج الـــذي عرضناه وانفراط المفاوضات على غير جدوى مع المفوض السامي راحت الصحف الافرنسية في بيروت تهاجمنا وتتهمنا بالخيانة وبالاشتراك فـــي اعمال الثورة وبالحيلولة دون السلم ، مسندة معلوماتها الى احد المستوزرين من قبل الشيخ تاج الدين الحسني فاتجهت التهمة نحو **خليل معتوق** احد الافاقين من كاثوليكيي دمشق وقد كان يتحرش بالشيخ ليعطيه منصبـــا في وزارته ويوهم الناس انه مرشح لذلك مع ان الشيخ لم يعزم على ذلك وانما كان يداهنه بوعود عرقوبية حذرا من مشاغبته عليه ويعتقد انادخاله في حكومته مسقط لهيبتها ، واتهم ايضا **جميل بك الالشي** وكان الشيـــخ يريد ادخاله في حكومته وانا شددت عزمه على ذلك ثم تبين لنا ان **الشبيبة الوطنية** تنقم عليه امورا كثيرة وتنسب اليه انه كان يدس على الشـــريف فيصل ويسعى بابهان موقعه امام الفرنسيين يوم كان رئيسا لحجابـــه وضابط ارتباط عنه في بيروت وانما لم يقم دليل على صحة هذه التهم .

ومضى الاستاذ فارس الخوري في حديثه الشيق هذا قائلا :

الملدوغ يخاف جر الحبل .. فانا كنت قريب العهد من كهوف ارواد واخشى بطش الدول ولذلك خفت ان ينتج لنا رفض الوزارة شرا مع انني اوضحت موقفي للمفوض السامي وقلت له انني لا ادخل في الوزارة مـا لم يدخلها آخر من حزب الشعب وها ان مصطفى برمدا قـد رفـض الدخول والشيخ تاج الدين نفسه امتنع ايضا مع انني اصررت عليه كثيرا ان يقبل الرئاسة وحده بدون وزراء ونحن نسعى معه لتأييد خطته واعادة السلام فابى ان يقتحم هذه الغمرة وحده واخيرا لم يعد يرضى بالحكم لا وحده ولا بالتعاون مع غيره وهو يحسب لغضب الامة عليه الف حساب ، وهذا ما كان يجعلنا نحجم عن قبول هذه المسؤولية الثقيلة . ثم ان السيد نجيب الارمنازي اطلعني على كتاب ورده من **رشيد بك طليع** احد زعمـاء الحركة الوطنية السورية المسموعي الكلمة في جبل الدروز خصوصا عنـد **سلطان باشا الاطرش** يقول له فيه انه يحمل وثائق تخوله حق المفاوضـة وعقد الاتفاق النهائي بخصوص الثورة التي كانت قائمة وكانت هذه الجملة مضروبا عليها في الرسالة غير ان قراءتها بقيت مستطاعة ، واطلعني **الامـير امين ارسلان** على كتاب ورد اليه من رشيد بك هذا من القدس يقول لـــه فيه انهم متشددون بشروط الصلح ولا يرضون باقل من شروطهم المعروضة ويوعز اليه بوجوب التشدد في المفاوضة لان اقل تراخ يفضي بها الـــى

الفشل ، وهذا ما حمل الامير امين على الاستنكاف عن السفر ثانية الى جبل الدروز للسعي في عقد الصلح . واطلعني **الامير طاهر الجزائري** في دمشق على صورة كتاب بعث به **الامير شكيب ارسلان** الى سلطان باشا الاطرش يحرضه على عدم ترك السلاح ما لم يحصل على شروط صريحة تسجلها فرنسا على نفسها في عصبة الامم وتضمن فيها لسورية استقلالها التام في الداخل والخارج وتعيد اليها البلاد المسلوخة عنها والملحقة بلبنان الصغير وتدمج فيها دولتي العلويين وجبل الدروز وتضمن لفرنسا مصالحها المشروعة في سورية بموجب معاهدة تعقد بين الدولتين تراعى فيها القواعد بين الاكفاء ، وترامت الينا اخبار من هذا القبيل تشير الى تشدد الثائرين بمطاليبهم ، وقد علمت ان المفوض السامي لا يمكن ان يوافق على هذه المطالب ولا ينوي تنفيذ شيء منها ، فكل توسط بين المتحاربين بعد هذا الموقف السلبي الذي وقفه الفريقان محكوم عليه بالعقم والخيبة . وجاءني كثيرون من حاملي لواء الوطنية يشيرون علي باجتناب هذا المأزق الحرج ، وفوق ذلك فقد كانت الاخبار تأتينا من دمشق باستفحال امر الثورة وتفاقم بأس الثوار وجرأتهم حتى صاروا يدخلون مدينة دمشق ويختطفون من ارادوا من سكانها وقد دخلوا الى بيت **رئيس البلدية السيد يحيى الصواف** ليلا بقصد اختطافه فلم يجدوه في بيته لانه كان يبيت في القلعة خوفا من مثل ذلك فاخذوا صهره وذهبوا به من منتصف محلة القيمرية وهي في قلب المدينة وساروا به الى مغاورهم في جبال حلبون ولم يطلقوه الا بعد ان وصلت اليهم الفدية التي فرضوها عليه ، واستمر هذا الاختطاف كل ليلة والسلطة عاجزة عن منعه ، فكيف يجسر بعد ذلك احد من الزعماء على قبول منصب يشتغل فيه بجانب سلطة الانتداب وهو يعلم ان الثوار يقدرون على غزوه في عقر داره وانتشاله من فراشه . بحسب هذه الاسباب وجدت ان الافضل لي التزام الحياد والرجوع الى عزلتي السياسية.

فشل مفاوضات الشيخ تاج مع دي جوفنيل

واستمر الاستاذ فارس الخوري في سرد هذه الذكريات التاريخية ، لي ، فقال :

ومما زاد الطين بلة ان المفوض السامي لم يبرهن لنا بالفعل انه حسن النية في تنفيذ البنود التي وافقنا عليها من البرنامج ، فانه بينما كان يفاوضنا



فارس الخوري على كرسيه المتحرك ، وقد جلست عن يمينه السيدة نجلاء المؤيد العظم، كريمة المغفور له شفيق المؤيد العظم احد الذين اعدمهم جمال باشا عام ١٩١٦ والمثبت رسمه في الصفحة ٣٨ من هذا الكتاب ، فابن عمها وزوج شقيقتها الاستاذ عبد القادر العظم . وعن يساره المجاهد والوزير والنائب السابق السيد نسيب البكري فالاستاذ انطـون جنـاوي الاستاذ في العلوم بجامعة دمشق .. ووقف من ورائهم ، السيدة اسماء حرم فارس الخوري وعن يمينها السيدة ايزابيل حرم انطون جناوي ، فالسيد عبد الرحمن محمد نوري الفتيح ، فالمؤلف محمد الفرحاني ، وعن يسارها السيدة مسرة السقطي (حرم الرئيس لطفي الحفار) فالسيد احمد غبور من شباب قرية عقربا .

**

فيها ويؤكد لنا انه مع رجاله لا يعارضون الوحدة السورية بل يريدونها ان ارادها السوريون وانهم يقفون على الحياد في هذا الامر كانت الاخبار ترد الينا من حلب ان مندوبه يصرف كل نفوذه ويستخدم قوة الدرك لاعـداد المضابط وتوقيعها بطلب الانفصال عن دمشق كما ان مندوبه الآخر فيحوران يسجن الشيوخ ولا يتركهم ما لم يوقعوا بطلب فصل حوران عن دمشق ، وفي الوقت نفسه ينشر المفوض السامي قراراً بسلب الصلاحية في قضايا الانتخابات عن رئيس الدولة السورية الوطني ويمنحها لمندوبه الافرنسي ، ويعلن للالوية انفراد نواب كل منها بتقرير مصير اللواء ويسعى مندوبه في اسكندرونة بحركة انفصال عن الوحدة السورية ويجمع المفوض السـامـــي

لجانا عنده لاعداد قوانين جديدة للبلديات وللعدلية وللشركات ذوات الامتياز وغير ذلك من المشاريع الواجب تركها للمجالس التشريعية ، ويزيد عـدد مراكز مندوبيه في الالوية والاقضية ، ويقوم باعمال لا تدل مطلقا علـى ان هنالك تبدلا في اصول الادارة . كل هذا ليس مما يبعث في نفوسنا الجرأة على قبول العمل وانتظار النتائج المرضية للشعب السوري . ثم ان مـن الاسباب التي ادت الى فشل المفاوضات ايضا ، انقطاع اخبار الثائرين عنا ورغباتهم الحقيقية وعدم وجود صلة مباشرة لنا بهم بحيث لم نكن نعرف درجة نفوذنا عليهم واحتمال نزولهم على رأينا .. فلم يكن يأتينا منهم خبر، لا رأسا ولا بالواسطة ، ولا جسرنا على مراسلتهم ، خوفا من اتهام السلطة ايانا بفعل ممنوع ، فبقينا طيلة مدة هذه المفاوضة ، نجهل مركزنا عنـد الثائرين ودرجة ارتياحهم لاعمالنا السلمية جهلا تاما . ولو كان لنا وسيلة للحصول على شيء من هذه المعلومات ، ربما تمكنا من ادارة المفاوضـات على أساس مثمر !! وفي تلك الاثناء ، كثر خروج المستائين والتحاقهـم بالثائرين فازداد عددهم زيادة فاحشة حتى صارت عصابات الغوطـة والقلمون تقدر بنحو خمسة الاف وعصابات الدروز في وادي التيم ومجدل شمس والبقاع الشرقي بنحو ثلاثة الاف ، وبدأت حوادث الاعتداء تقع على ابناء السبيل والقرى المسيحية خاصة فنهبوا قرية راشيا الفخار وقتلـوا منها نحو ثمانية اشخاص وقرية عين عرب وقتلوا منها خمسة وقريـة كفير مشكي وقتلوا منها نحو اثني عشر واغاروا على قرية معرونة فقتلوا منها نحو ٣٠ شخصا وفتكوا ببعض المسحيين عابري السبيل على طريق صيدنايا ومعلولا حتى انهم قتلوا مرة عشرة اشخاص راكبين سيارة كبيرة على طريق صيدنايا وجروا على هذا النهج القبيح في وادي العجم ووادي التيم باغتنام الفرص لقتل المسيحيين وسلب اموالهم وكان لاعمالهم هذه صدى فظيع جدا في سوريا ومصر واوروبا وامريكا استنكره العقلاء واتهموا الثائرين بانهم قائمون لذبح المسيحيين لا غير ، والانكى في الامر ان هذا التعدي علـى المسيحيين لم يكن له مبرر في اكثر حالاته حيث لم يسبق من النصـارى تحريك مادي لهذه الافعال بل اقاموا على الحياد لا يتدخلون ضد الثورة ولا معها ، وفي بعض الجهات انضم منهم اناس للثائرين بعوامل مختلفة كانضمام **عقلة بك القطامي** شيخ قرية **خربا** الحورانية الى الدروز مـع فريق من جماعته ،وكان فريق من المسيحيين يعطفون على الثائرين ويعتبرونهم على حق في ثورتهم وانما لم يشتركوا معهم بالفعل ولا مدوهم بوسـائل

القوة .. وقد كان هذا الحياد يؤلم بعض الثائرين الذين يدعون أن من ليس معهم فهو عليهم .

رمضان الشلاش واستسلامه للسلطة الافرنسية

واستطرد الاستاذ فارس الخوري يقول لي :

بعد انتهاء المفاوضات التاجية بالفشل اقمنا في بيروت ننتظر انفراج الازمة لنعود الى دمشق وفي هذه الاثناء جيء برمضان باشا شلاش مستأسرا للسلطة في حماة وترك حرا في اوتيل سنترال وقد ادلى باقوال للصحف انه اقتنع بالتصريحات التي اعلنها المفوض السامي من جهة عزمه على منح الامة السورية حقوقها وخرج من صفوف الثائرين حبا بالسلام وحقن الدماء ونشر بيانا نصح فيه سائر الثائرين بالاستسلام والنزول على حكم المفوض السامي ، وقد اعلن الثائرون في صحف مصر انهم قد طردوا رمضان شلاش من صفوفهم وجردوه من سيفه وسلاحه بسبب خيانته المالية عندما كان في عصابة الغوطة وهذا الحكم اصدره عليه وجاها مجلس حربي برئاسة نسيب بك البكري وعهد بتنفيذه الى السيد حسن الخراط وهكذا عللوا سبب انفصاله عنهم والتحاقه بالسلطة الافرنسية .

فقلت لفارس الخوري : ان رمضان باشا لم يستسلم للافرنسيين طائعا مختارا بل انه سلم اليهم تسليما من قبل زعماء الطائفة الاسماعيلية الامراء **ميرزا المصطفى وتامر المصطفى وسليمان العلي** وقد بلغني أن الامير ميرزا قد حصل بسبب ذلك على وسام اللجيون دونور .. صحيح ان خلافا شديدا قد نشب بينه وبين زعماء الثورة ولكن هذا الخلاف كان سببه التنافس والتحاسد والانانيات ولم يكن هنالك اية اسباب تتعلق بمصلحة الثورة والثوار . وقد صرح لي مرة ، **نسيب البكري** نفسه ، بانه يقدر جهاد رمضان باشا الشلاش وتضحياته ولكنه يأخذ عليه انه كان يحتكر الزعامة لنفسه ويعتدي بذلك على دوائر نفوذه وهذا لا يجوز لان (كل ديك على مزبلته صياح) .. بهذا الكلام عبر لي نسيب بك البكري عن حقيقة الخلاف بينه وبين رمضان باشا .. ثم هنالك خلاف هام نشأ بين الرجلين حول مسألة دخول الثوار مدينة دمشق ، ففي حين كان الشلاش يرى ان من الواجب عدم دخول المدينة خوفا عليها من الخراب والدمار وفيها من التحف وفيها من القصور الاثرية ما لا يقدر بثمن كما ان فيها سكانا ابرياء



المجاهد الكبير المغفور له امير اللواء رمضان باشا الشلاش ، ومحمد الفرحاني

**

لا يجوز تعريضهم لقنابل الافرنسيين ، كان نسيب البكري يصر على دخولها بدعوى انه يجب محاربة الافرنسيين في اي ارض حلوا وفي اي مكان نزلوا . . فكان ان افترقا وتوجه رمضان باشا الى جبال القلمون وانشأ هناك حكومة عسكرية برئاسته فاستاء منه نسيب البكري واوعز لحسن الخراط على ما يبدو ان ينفرد برمضان باشا ويسلب منه سيفه واوسمته. فلم يجد رمضان شلاش بعدما بدأ من التوجه نحو جبال البلعاس وفي عزمه ان يشق طريقه الى دير الزور حيث منطقة نفوذه ليشعل الثورة هناك ولجأ الى امراء الاسماعيلية هؤلاء ليؤازروه ويساندوه في مهمته ولكنهم بدلا من ذلك فرضوا عليه التوجه الى بيروت لمفاوضة المسيو دي جوفنيل لحل المسألة سلميا وحقن الدماء مؤكدين له حسن نوايا المفوض السامي المذكور وانه يختلف كثيرا عن ذلك الاحمق ساراي الذي امر بضرب دمشق وتعهدوا له في حالة عدم وصوله مع المفوض السامي الى نتيجة ايجابية ان يعيدوه الى مأمنه ويسهلوا له طريق الذهاب الى دير الزور ووجد رمضان باشا نفسه مرغما على العمل حسب مشورتهم لانه لو خالفهم فليس هنالك ما

يضمن له ان هؤلاء القوم لن يسلمونه غنيمة باردة للافرنسيين .
فقال فارس الخوري : أن من واجب مؤرخي الثورة السورية انيجلوا لنا هذه النقطة ، ولا يجوز ابدا تشويه سمعة مجاهد حر كريم كرمضان باشا الشلاش .

مساع جديدة لانهاء الثورة واحلال السلام

وتابع الاستاذ فارس الخوري حديثه بقوله :
عدت الى دمشق في ٩ شباط ١٩٢٦ وغب وصولي قابلت المندوب الممتاز والجنرال اندريا حاكم دمشق العسكري وغيرهما من اركان السلطة الافرنسية وتحادثت معهم بالاحوال الحاضرة في جلسات مختلفة اباحوا لي في اثنائها برغبتهم في السلام وانهم يودون من صميم قلوبهم ان يتعقل الثائرون ويرجعوا للصواب بترك السلاح وفسح المجال للمفوض السامي ليقوم بالاصلاح الواجب واخبروني انهم وافقوا على اقتراح **انور بك البكري** بعقد اجتماع عام في دائرة البلدية يحضره عقلاء المدينة ومفكروها لايجاد وسيلة لاعادة السلام بدون استعمال الجيوش والمدمرات التي كان ورودها الى سورية من فرنسا متواصلا ، وفي الاجتماع الذي كان لي مع الجنرال اندريا في ١٧ شباط حينما طلبت منه الافراج عن **الامير بهجت الشهابي وامين بك الحشيمي وفخري بك البارودي** ووعدني بذلك قريبا ، اومأ الي بحضور الاجتماع في اليوم التالي .
واجتمع في بهو البلدية نحو المائة من اعيان دمشق وعقلائها في ١٨ شباط ١٩٢٦ وفتح الخطابة **شاكر بك الحنبلي** بكلام معتدل بين فيه غرض الاجتماع لانتخاب وفد يفاوض السلطة ثم يذهب الى جبل الدروز ويسعى للتوفيق بين الجانبين ، وتبعه **ناصيف بك ابو زيد ورشدي باشا الصفدي وعبد الرحمن افندي الكزبري ونسيب افندي الكيلاني** وشيخ ميداني آخر بخطب حماسية مهيجة جدا عددوا فيها الفظائع التي ارتكبها متطوعة الشركس والارمن في ذلك الاسبوع في حي الميدان من حيث قتل النساء والاولاد والاعتداء على الاعراض ونهب الاموال وحرق البيوت وقطع ايدي النساء لاخراج الحلي منها واشباه ذلك من المهيجات المبالغ بها جدا ، واشتدت الحماسة بالمجتمعين ضمن البهو والواقفين في الخارج ينتظرون النتيجة حتى كان الشرر يتطاير من العيون وامائر الحنق والغيظ بادية على

الوجوه مما نسب الخطباء للجند من الفظائع ، والجيش من اطلاق المدافع على الدور المأهولة ، ولحظت من هذا التهور ان غاية الاجتماع اوشكت ان تنقلب الى ضدها وكادت الحماسة تدفع بالناس الى الفتنة فوقفت وخطبت فيهم خطبة طويلة كشفت لهم فيها جميع ما جرى من مفاوضاتنا السلمية في بيروت ونتيجة مساعي الوفد الدمشقي السابق والمطالب التي وافقنا عليها المفوض السامي وانها تتضمن مزايا كثيرة لا يستهان بها وربما كانت اقصى ما يمكن بلوغه في الحالة الحاضرة وانني ذهبت اليه قبل يوم واحتججت عنده باسم المسيحيين على اطلاق ايدي الارمن بالنهب والقتل حتى كاد المسلمون ينقمون على النصارى بسبب هذه الاعمال وطلبت اليه ان يخرج الارمن من الجيش ، وان **المطران نيقولاوس القاضي ،** الوكيل البطريركي الكاثوليكي ذهب ايضا للغاية نفسها ، وقد كان لاحتجاجنا نتيجة حسنة حيث أن الجنرال اندريا عزل الارمن المستخدمين في الشرطة المحلية وامر بتحقيق شديد على ما فعله المتطوعة في حي الميدان وبرد المنهوبات التي حملها العسكر من البيوت ، واما اطلاق المدافع على الدور فهو ناشيء عن اعتصام الثوار بالمنازل واطلاق الرصاص على افراد العسكر من نوافذها وان القواعد الحربية في الدنيا كافة تجيز للجيش ان يطلق ناره على كل دار يخرج منها رصاص على الجنود حتى انهم كانوا يطلقون المدافع على القرى الافرنسية في حربهم مع المانيا عندما يعتصم فيها العدو ويحاربهم منها ولا يحاذرون على سكان تلك القرى الذين يكونون باقين فيها مختلطين بالاعداء ، فهو يخطر الاهلين ان لا يؤووا الثوار الى منازلهم ولا يسمحوا بمحاربة العسكر من النوافذ اذا كانوا يريدون ان تبقى بيوتهم بمعزل عن وقع القنابل ، وقد نصحت في خطبتي بالاعتدال ورباطة الجأش والاعتصام بالصبر والعقل فان الكوارث لا تنصرف بالحدة والحماقة والهيجان بل بالتعقل والروية وان هذه الكارثة تنذر بما هو اشد منها نكاية وشرا اذا لم نتداركها بالحكمة والصبر ونعالجها بالعقل والاعتدال ، وما زلت بالمجتمعين حتى صرفتهم عن الغضب وملت بهم الى جانب العقل وانتهى الاجتماع بانتخاب وفد مؤلف من خمسة عشر شخصا لمقابلة الجنرال اندريا والمندوب والتوسط عندهما بتخفيف (الويلات الحاضرة) ومعالجة اعراض الداء في مدينة دمشق ، ووفد آخر مؤلف من ستة اشخاص لمعالجة اصل الداء والوصول الى الصلح بمفاوضة رجال السلطة المسؤولين وتقرير شروط الصلح معهم ثم الذهاب الى جبل الدروز واقناع زعماء الثائرين بقبولها ،

وكنت من اعضاء هذا الوفد الثاني ومعي احمد بك اللحام **وزكي افنـــدي المهايني** منضم الى الاربعة الذين ذهبوا اولا الى الجبل وهم **الامير امـــين ارسلان وفوزي بك الغزي ولطفي افندي الحفار وعفيف بك الصلح** .

وبعد انفضاض الاجتماع ابرق احدنا فوزي بك الى الامير امين وعفيف بك المقيمين في بيروت بلزوم الحضور الى دمشق وابرق رئيس البلديـــة اليهما بان مدينة دمشق انتخبتهما في وفد السلام وتدعوهما اليها عاجلا ، ورغما عن تكرار الطلب اليهما امتنعا عن المجيء ، وكنا نعلق اهمية عظيمـة على حضور الامير امين بنجاح مهمة الوفد بالنظـــر لمكانته عنـد الـــدروز واعترافهم له بالتقدم على كل درزي آخر .

في ٢٨ شباط اجتمعنا نحن الخمسة الموجودون في دمشق من اعضاء وفد السلام مع اركان المندوبية في جلسة رسمية كانوا يدونون فيهـــا اقوالنا حضرها امامنا المندوب الممتاز المسيو **بيير آليب والجنرال اندريــا قائد موقع دمشق والمسيو دي فيرال** القائم باعمال وزارة الداخلية **والكابتن بورجوا** مدير المطبوعات مع كاتب آخر ، فاوضحت لهم الغرض من هـذه الزيارة وقرار الاجتماع البلدي والمهمة التي جئنا لاجلها وثقتنا بوعـــود المفوض السامي واعتمادنا على عدل فرنسا وانصافها واعترافنا بقـــوتها وبأسها وتاريخها المجيد بتحرير الشعوب وانا عازمون على السفر الـــى جبل الدروز لاطلاعهم على الشروط التي يرضى المفوض السامي بمنحهـا للشعب السوري واقناعهم بالنزول عليها واعادة السكينة الى البلاد ولنبين لهم ما وصلت اليه مدينة دمشق العزيزة عليهم من الخراب والدمار وما نـزل باهلها من الكوارث الحيوية والعمرانية والاقتصادية مع ما انتاب الاقـاليم الاخرى من الدواهي والمصائب ولذلك نريد قبل الذهاب ان نتسلـــح بالشـروط الموافقة فـلا يكون نصيبنا الخيبة كمـا كانت نصيب التشبث الاول واننا واثقون بان رجال الانتداب العقلاء يسهلون لنا هذه المهمـــة ويعاونوننا في نجاحها بتساهلهم في الشروط .

اجابني المندوب على هذا الكلام بانهم يقدرون سعينا قدره ويتمنـون لنا النجاح ويمهدون لنا وسائل الذهاب والاياب كي لا يقال انهم يقفون في سبيل السلام على ان آمالهم بالنجاح ليست قوية بل ربما كان هذا السعي سببا لاشتداد شكيمة الثوار واندفاعهم بالصلف والغرور فقد علمهـــم الاختبار ان كل خطوة يخطونها نحو الصلح يحملها الثائرون على محمل الضعف والعجز عن قمع الثورة بقوة السلاح فقد كتب المفوض السامي لهم جوابـا

على كتاب جاءه من عبد الغفار باشا والتزم جانب اللطف في هذا الجـــواب فاتحا لهم باب الصلح على مصراعيه فما كان منهم الا ان اجابوا علــى هذا اللطف والتؤدة بغزوة كبيرة من الدروز ارسلوها لشن الغارة على دمشـــق وتخريبهم الخط الحديدي الحوراني وكرروا هذه المقابلة السلبية مرارا في كل ظرف عرضنا فيه عليهم الصلح الشريف ، ومن كان هذا ديدنهم وهــذه عقليتهم لا يبعد ان يحسبوا ذهابكم اليهم علامة مــن علامات ضعفنا وعجزنــا فيجب ان تعلموا جيدا اننا لا نشوقكم للذهاب ولا نكلفكم العمل لحسابنــــا بل نترك لكم الخيار التام لتعملوا من اجل منفعة بلادكم ، واما الشروط التي نطلبونها فقد سبق للمفوض السامي ان اوضحها ولا ننوي اليوم ان نضيف شيئا الى اقواله السابقة فاحملوا معكم خطبه وتصريحاته الكثيرة في بيروت ودمشق وحلب واطلعوا الثوار على مضامينها فان فيها ما يطمن جميـــــع الرغبات الوطنية ولا تنتظروا شيئا غيرها . **فقلت له** : ان الحقائق في هذه الخطب والتصاريح مبعثرة في الصحف ولا نتمكن من جمعها وانما نستطيع تلخيصها وافراغها في قالب واضح بصفحة او صفحتين وكنت قد اعطيتك وانت في بيروت في ١٣ كانون الثاني مذكرة ضمنتها خلاصة هذه المفاوضات والوعود واستأذنتك ان ننشرها ونجعلها نتيجة لاعمال الوفد الدمشقي وما زالت هذه المذكرة عندك فهل لك ان تراجعها وتأذن لنا الآن بالتوسط على اساسها ؟! فوعدنا باعادة النظر في تلك المذكرة والاجابة عليها في اليــــوم التالي وهكذا انصرفنا من عنده على ان نقابله فيما بعد .

مذكرة الى المفوض السامي واخذ ورد حـول بنودها

وتابع الاستاذ فارس الخوري حديثه قائلا :

في اليوم التالي ذهبت مع المرحوم فوزي الغزي الى المسيو بيير آليب وسلمناه نسخة عن المذكرة التي كنت اعطيته اياها في بيروت بعـــد ان ترجمناها الى الافرنسية ، وهذا نصها العربي بحسب ما لخصتها عــن تصريحات المفوض السامي وعــن المناقشات التــي دارت بيننــا مــع بعض الزيادات التي اردنا استخلاصها منه :

اولا : جمع مجلس تأسيسي بالانتخاب الحر يتولى وضع دستــور البلاد على قاعدة السيادة القومية وهذا يتضمن تأسيس برلمان ووزارة مسؤولة ورئاسة للدولة فيكون للبلاد قوة تنفيذية وقوة تشريعية تقومان

باعمال التشريع والادارة والقضاء كما هو الحال في سائر الدول المستقلة بدون ان يكون عليها سيطرة خارجية .

وافقونا على هذا البند مبدئيا وانما لم يوافقوا على افراغه في هذا القالب الصريح واصروا على الاكتفاء بالفقرة الاولى منه زاعمين ان الجمل الباقية لا لزوم لها بعد التصريح بالسيادة القومية ، وهذا الحذف قد شغل بال بعض الرفاق وحسبوا لهذا الابهام المقصود الف حساب .

ثانيا : العلائق بين فرنسا وسورية تعين بموجب معاهدة تعقد لمدة محدودة بين الحكومتين ويتوقف انفاذها على تصديقها من البرلمان السوري ويحترم في هذه المعاهدة اساس السيادة القومية للدولة السورية ويحتفظ فيها لفرنسا بالنفوذ السياسي والرجحان الاقتصادي مع عدم الاخلال بالسيادة القومية وتبنى هذه المعاهدة على تبادل المنفعة بين الدولتين وتقوم مقام الانتداب فلا يبقى معها محل للابهام واساءة للتأويل .

رضوا معنا بهذا البند واضافوا اليه جعل مدة المعاهدة ثلاثين سنة وان الخلاف بين الدولتين عند وضع هذه المعاهدة يرفع الى مجلس جمعية الامم ويكون حكمها نافذا ، ولا يخفى ان هذا القيد يعيد القضية الى نصوص صك الانتداب الذي وضعته فرنسا وابرمته جمعية الامم ، وكل امر تختلف عليه الحكومتان او يمتنع البرلمان السوري عن تصديقه تفصله جمعية الامم وبهذه الصورة تصبح المعاهدة رهنا على ارادة جمعية تأمر بأن يدخل فيها معنى الانتداب بالصورة التي تفهمه بها . ومع ذلك فقد رضينا بهذا الشرط ونعتقد ان المتطرفين ايضا لا يستطيعون رفضه .

ثالثا : يقبل مبدأ الجلاء التدريجي للجيوش الافرنسية عن البلاد السورية عندما تؤسس القوى الوطنية وتندرج بالاستغناء عن معاونة الجيش الافرنسي وتعين حالات الجلاء واوقاته وواجبات فرنسا في الدفاع عن الحدود السورية بالمعاهدة المذكورة بالفقرة السابقة .

لم يرضوا بهذا البند على هذا الشكل بل قبلوه على ان تكون فرنسا صاحبة الكلمة باختيار الوقت المناسب للجلاء ، ولا ادري لماذا تشددوا بهذه القضية واعجزوني عن اقناعهم بها مع ان البند لا يخل بمصلحتهم ويفضي الى ترك الجلاء وشروطه معلقة على قرار جمعية الامم وهم فيها اصحاب الكلمة العليا .

رابعا : تتعهد فرنسا بالسعي بقبول الدولة السورية وادخالها عضوا في جمعية الامم .

لقد رحبوا بهذا الشرط وقبلوه كما هو مصرحين ان وجود سورية في جمعية الامم يكسبهم رأيا مماشيا ، وهم يعلمون ان جمعية الامم لا تقبل سورية عضوا فيها ما دامت تحت الانتداب فلا يمكن انفاذه الا بعد انقضاء امد المعاهدة .

خامسا : يوحد القضاء على قاعدة السيادة القومية بصورة تصون حقوق الاجانب والوطنيين معا وتمكن من الغاء الامتيازات الاجنبية بصورة قطعية .

قبلوا هذا الشرط بدون ذكر الامتيازات الاجنبية وذلك لان الغاؤها الحالي هو موقت معلق على بقاء الانتداب فاذا زال الانتداب عادت الامتيازات الى حالتها القديمة .

سادسا : تجد الحكومة السورية بالاتفاق مع المفوض السامي وسيلة التعويض على منكوبي الثورة .

لم يجادلوا في هذا البند لان المفوض السامي قبله .

سابعا : تندمج بطريق المفاوضة وتأييد المفوض السامي بلاد العلويين وجبل الدروز في الدولة السورية على ان تدار البلاد على الاصول اللامركزية .

رفضوا من هذا البند عبارة تأييد المفوض السامي واستعاضوا عنها بأن المفوض السامي لا يعارض في هذا الاندماج اذا طلبه نواب تينك الدولتين وانه لا يحجم عن الحكم عند الاحتكام اليه بامر الانضمام على ان يبقى حكمه خاضعا للاستئناف لدى جمعية الامم .

ثامنا : المنازعات على الاراضي التي الحقت بلبنان تحل بطريق المفاوضة المباشرة لمصلحة سورية بين الحكومتين السورية واللبنانية وعند تعذر الاتفاق المباشر يصار الى تحكيم الدولة الافرنسية على ان يبقى للطرفين حق رفع القضية الى عصبة الامم .

حذفوا من هذا البند عبارة (لمصلحة سورية) ووافقوا على الباقي .

تاسعا : تؤلف حكومة وطنية موقتة وتطلق يدها في انفاذ هذه القواعد الى ان يسن الدستور وتؤلف الحكومة البرلمانية وتستمر في انفاذها .

حذفوا هذا البند برمته بدعوى انه امر طبيعي .

عاشرا : يقبل مبدأ العفو العام عن الجرائم السياسية المتعلقة بالثورة مع بقاء الحقوق المادية في عهدة القضاء السوري مصونة لاربابها .

وهذا البند قبلوه مبدئيا وكان المفوض السامي قد وافق عليه قبلا .

وبعد ان انتهت بيننا المفاوضات ووقفنا على آخر ما يمكن الحصول

عليه من الدولة المنتدبة كما هو مبين في الفقرات السابقة اجتمعنا وزرنا المندوب الممتاز في ٦ آذار ١٩٢٦ لنعرض عليه اللائحة الاخيرة المنقحة بموافقتهم ونستأذنه بالسفر الى الجبل على موجبها ، وقد اعلمنا قبل الاجتماع انه لا يصرح لنا بصورة رسمية بالموافقة على شيء مطلقا وان هذه اللائحة يعتبرها من صنعنا وانه غير مسؤول عنها وانما يستمع تلاوتها بصورة خصوصية ولا يتعهد بشيء منها البتة ، وتردد كثيرا بقبولنا مجتمعين لهذا الغرض واخيرا قبل بزيارتنا فذهبنا اليه ووجدناه بانتظارنا مع الجنرال اندريا وتتمة الهيئة الاولى .

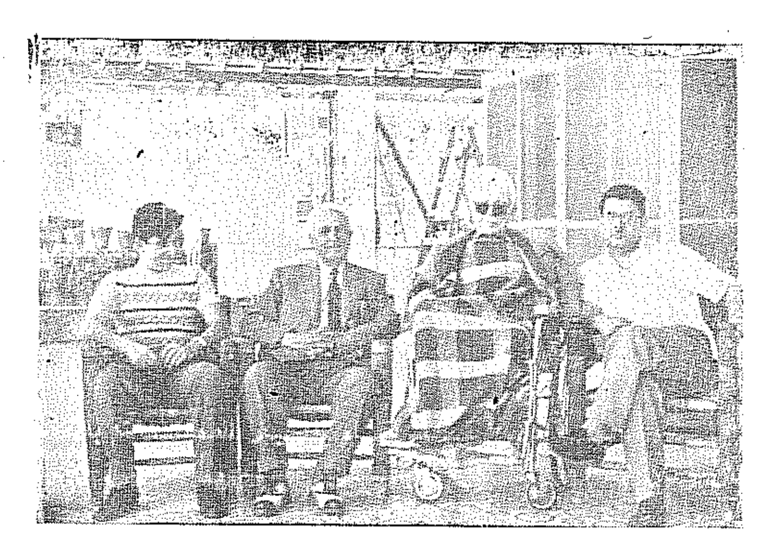
عبد الغفار باشا الاطرش يحطم مساعي السلام

واستطرد الاستاذ فارس الخوري في حديثه قائلا :

بحال دخولنا عليه قال لنا سأقرأ عليكم وثيقتين الاولى لا بد انكم تعرفونها والثانية جديدة عليكم . ثم قرأ الاولى فاذا بها كتاب من **عبد الغفار باشا الاطرش** الى المفوض السامي ضمنه بيان بتوقيع (**الشعب الدرزي**) يتضمن ان زعماء الوطنيين الثائرين اجتمعوا في قرية **داما** في جبل الدروز بتاريخ ٢٥ شباط ١٩٢٦ وقرروا عرض المطالب الآتية :

(اولا : اعلان استقلال سورية . ثانيا : اعلان الوحدة السورية ما عدا لبنان الصغير . ثالثا : عقد معاهدة مع فرنسا . رابعا : اعلان العفو العام . خامسا : جلاء الجيوش الافرنسية حالا الى السواحل وانصرافها الى البحر حالما يجتمع المجلس التأسيسي) .

فدهشنا لهذه الوثيقة وقلنا له اننا لا نعرف عنها شيئا . ثم قرأ الثانية وهي من المفوض السامي تتضمن انه **حيال هذه المطالب لا يسمح بالمفاوضة مع الثائرين لا رأسا ولا بالواسطة وانما يطلب منهم التسليم بلا قيد ولا شرط** . واخبرنا المندوب الممتاز انه تناول هذه الوثائق من المفوض السامي في اليوم السابق وبناء عليها ابلغنا ان مهمتنا قد انتهت . وحاولنا بعد ذلك ان نكلمه في الموضوع الذي جئنا من اجله ، وكان معنا في هذه المرة، **الشيخ تاج الدين الحسني وواثق بك المؤيد العظم** فلم يقبل البحث مطلقا وبعد اصرار كثير اخذ منا اللائحة التي كنا احضرناها على اسس المذكرة السابقة ووضعها في ملف اوراقه .



فارس الخوري وعن يمينه صديقه وزميله عارف النكدي.. ثم حفيده فارس سهيل الخوري وعن يساره محمد الفرحاني .

والاستاذ النكدي هو الذي وصفه الشيخ علي الطنطاوي في الصفحة ٢٠ من هذا الكتاب بانه الكاتب الالمعي الاديب والخطيب المفوه البليغ الذي علم الاجيال تقديس الشرف وتقديس الرجولة .. ويقيم اليوم في (عبيه ـ لبنان) ويترأس (بيت اليتيم الدرزي) في بيروت . وكان قد ولي في الماضي عدة مناصب كبرى حساسة في سورية كما كان استاذا في كلية الحقوق بجامعة دمشق .

******

واجتمعنا بعد ذلك بضع مرات واستعظمنا المصائب المحدقة بالبلاد وتمنينا ان نجد وسيلة للتدخل في سبيل اعادة السلام وحجب الدماء فلم نجد طريقا الى ذلك ، فذهبت الى بيروت في اواسط آذار لآتي بالامير امين وعفيف بك الصلح وهناك اقنعتهما بوجوب المجيء الى دمشق للاجتماع بسائر اعضاء الوفد واوضحت لهما الشرور المنبعثة في داخلية سورية والمخاطر التي تتهددها بالدمار ويأس الناس من هذه الحالة التاعسة وخطر المسؤولية علينا بسكوتنا وقعودنا عن التوسط لإغماد السيوف واقرار السلام فاقتنعا مني ووعداني باللحاق بي الى دمشق في اليوم التالي او بعده . فرجعت واقمت انتظرهما اياما جاء في آخرها عفيف بك وتخلف الامير امين وعلمت انه قابل المفوض السامي فلم ينشطه على المجيء ، وبعد المذاكرة مع **عفيف بك الصلح** بالاشتراك مع اعضاء الوفد **وعارف بك**

النكدي وواثق بك المؤيد راينا ان التوسط لا يجدي نفعا وقد تأهب الجيش للزحف على جبل الدروز ، ورجال السلطة كانوا يأملون ان يحملوا الدروز على التسليم متى شاهدوا عظم القوة الزاحفة عليهم ، وقد تبين لنا ان الطرفين المتحاربين لا يرغبان بتوسطنا ، فالشعب الدرزي مع علمه بتأهبنا للذهاب اليهم قاطعوا مسعانا بالبلاغ الذي رفعه عبد الغفار باشا الى المفوض السامي راسا ، وتسربت الاخبار الى دمشق بانهم واثقون من مقدرتهم على المقاومة ولا ينوون ترك السلاح الا بعد بلوغهم رغباتهم كما ان رجال السلطة ايضا لا يرغبون بتوسطنا خوفا من ان يتخذه الثوار دليلا على الضعف والعجز .

احتلال السويداء وتأليف حكومة الداماد

وتم للفرنسيين دخول بلدة السويداء ، عاصمة الجبل الدرزي ، في ٢٥ نيسان ١٩٢٦ ففاوض المفوض السامي الافرنسي احمد نامي بك (وهو كان صهرا للسلطان عبد الحميد الثاني وملقب بالداماد ، وهو ابن فخري بك المصري من اصل شركسي وكان قدم سورية من الاستانة متصرفا على نابلس ثم توطن بيروت وصار فيها رئيس بلدية) واخيرا اتفق معه وجعله رئيسا للدولة السورية وقد التف حوله وهو في بيروت جماعة من الشبان هم حسني البرازي من حماة وعفيف الصلح من بيروت (ما لبث ان اضحى عفيف الصلح دمشقيا وكان نائبا عن دمشق في مجلس النواب السوري لعدة دورات كما ولي الوزارة مرة) وفوزي الغزي وجميل مردم واحسان الشريف من دمشق وغيرهم ، وحضر الى دمشق مع المفوض السامي في ٢٩ نيسان وشرع بتأليف وزارته .

وفي ٢ ايار ١٩٢٦ استدعاني المندوب الممتاز لزيارته في قصره وعندما ذهبت وجدت عنده السادة **حسني البرازي وفوزي الغزي وعارف النكدي ورشيد الحسامي ولطفي الحفار** ولحظت انه ينوي ان يعرض علينا منصب الوزارة مع الداماد وما اطمأن بنا المجلس حتى شرع بالكلام راميا الى هذا الهدف وقال لنا ان المفوض السامي عازم على اعطاء السوريين حقوقهم المشروعة وانه يمنحهم حق سن دستورهم على قاعدة السيادة ويستبدل الانتداب بمعاهدة ويحقق الوحدة السورية بطريق المفاوضة والتحكيم ويعلن العفو العام وانه يريد منا ان نناصر الداماد ونؤيده . ثم وجه الى كل منا اسئلة

مختلفة عن اغتباطنا بهذا الشكل وآمالنا بائتلافه مع الرغائب الوطنية فقبل العمل مع الداماد **حسني البرازي** بالاستناد الى ما كان سمعه من الوعود المبذولة من المفوض السامي واستحسن **لطفي الحفار** برنامج الداماد ووعد بتأييده بصورة مبهمة ، واستمهلت انا الى ان اقابل الداماد وافهم منـــه البرنامج الذي ينوي السير عليه ، واعتذر الباقون عن العمل باعذار مختلفة، وقد كانت لهجة المندوب منذرة بما يترتب على الرفض من الويـــلات والتعرض للتبعات وكان في كلامه ايماء تشتم منه رائحة التهديد ، وفـــي تلك الليلة قابلت الداماد واطلعني على بيانه فاذا به موجز يتضمـــن النقاط الآتية :

انه سوري يقاسم الشعب السوري امانيه وآلامه وانه قبل رئـــاسة الحكومة ليساعده على تحقيق رغائبه وتخفيف مصائبه .

اننا لا نقدر ان نصل الى غايتنا بالقوة بل المخابرات وبالاعتماد علـــى الحق ونيل النجاح بمساعدة الدولة المنتدبة .

ان الوحدة السورية لا توجد بمحاربة اخواننا بل باستمالتهم الينا .

ان الثورة ما عدا التخريب الذي احدثته ، قد اوجدت هوة عميقـــة بيننا وبين الاقاليم الساحلية ومنها الاسكندرونة فيجب ان نطمر هــــذه الهوة بايجاد منفذ على البحر تسعى الحكومة لنيله بالطرق السلمية .

انه سيخابر الدولة المنتدبة لاعطاء الانتداب شكل معاهدة مستمدة من روح المعاهدة بين بريطانيا والعراق ، وستنتخب جمعية تأسيسية يعترف بواسطتها بحقوق جميع السوريين في استعمال الحرية والاستقلال .

وقال ان هذا البيان كان قد نشره في ٢٨ نيسان الماضي ١٩٢٦ ، واردفه بجواب المفوض السامي له وقد خاطبه فيه بـ (صاحب السمو) وقـــال فيه :

ان البيان الذي اطلعتموني عليه والذي يؤلف برنامج الحكومةالوطنية السورية يؤكد ثلاث نقاط :

١ ـ : وجوب اعطاء الانتداب شكل معاهدة لثلاثين سنة تعقد مـــع الدولة المنتدبة ، انني اقبل بهذا الطلب .

٢ ـ :حق سورية بوضع دستورها ، انني على اتفاق مع حكومتكـم بهـــذا الحق .

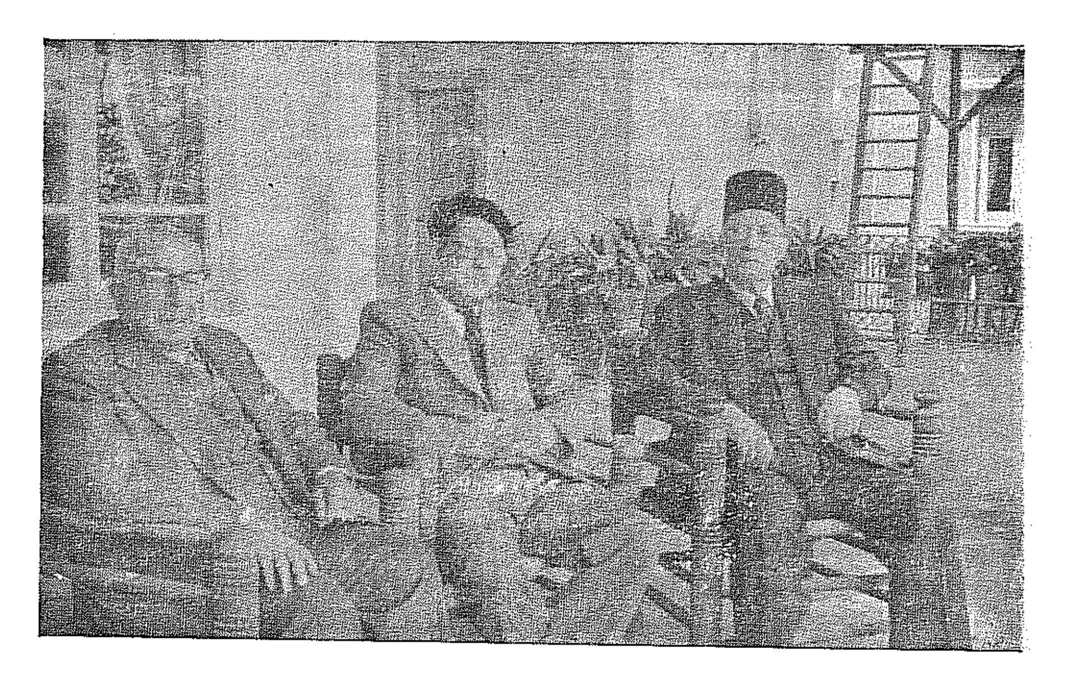
٢ ـ : حق سورية بوضع دستورها ، انني على اتفاق مـــع حكومتكـــم الحبية مع بقية الدول ، انه يجب ان يفهم ان هذه المخابرات لا يمكن الشروع

بها قبل مصادقة البرلمان السوري المقبل على المعاهدة التي تتعهد فيهـــا سورية ان لا تستعمل القوة في أي حال ضد جاراتها وان تلجأ الـى تحكيم الدولة المنتدبة عند وقوع خلاف ، ان الدولة المنتدبة ليست حكما على اماني الشعوب الواقعة تحت الانتداب ولكنها تحكم في الطرق التي تظهر فيها هذه الاماني ولا يوجد اقل تناقض بين مصالح فرنسا ومطاليب اقسام سوريـــة المختلفة ولبنان وجبل الدروز والعلويين واسكندرونة ولكن هـــذه المطالب يناقض احيانا بعضها بعضا ، يجب ان يحصل الاتفاق بينكم وبين اخوانكـــم الذين ولدوا معكم على ارض واحدة لا بينكم وبين الافرنسيين . على الانتداب واجبان هما صيانة السلام الخارجي لهؤلاء الشعوب واعطاؤهم كل الحريات الداخلية لا حرية استبداد فئة بأخرى ، لا يمكن ان ابرهن عــن امانة فرنسا نحو واجباتها بأحسن مما برهنت به الان وهو تسليم سورية الـــى حكومة وطنية حتى في الساعة التي كان النصر لنا فيها يخولنا تنفيـــذ السلطـة المطلقة ، ولي الامل ان يفهم السوريون هذه الثقة ويقابلوها بمثلها ، فاذا تـــم ذلك ، قدرتم يا صاحب السمو ان تعجلوا الرقي الذي يقـــود البلاد نحـو النجاح والراحة والسلم بدلا من الثورة التي تحمل معها الخراب .

●

وهنا اوضحت ــ والكلام لفارس الخوري ــ للداماد ان هـــذا البيان مبهم جدا خصوصا فيما يتعلق بالوحدة وليس في جواب المفوض الســامي اشارة الى المنفذ البحري ولا الى مناصرته لما يدعيه السوريون في البلاد التي الحقت بلبنان او انشئت بها دولة العلويين ، فرد على ذلك انـــه ذكر لـواء الاسكندرونة مع الدول السورية مع ان هذا اللواء لم يكن انفصل عن سورية بعد وجل ما هنالك ان نوابه الخمسة اجتمعوا وقرروا الانفصال مع انهـــم سبقوا في سنة ١٩٢٣ وقرروا الوحدة وانضم لواؤهم مع ولاية حلب الـــى دمشق ، ونحن لا نشك ان قرار هذا الانفصال كان بايعاز من رجال الانتداب في ذلك اللواء ، وقد ذكر المفوض السامي ان مدة المعاهدة ثلاثون سنة مـع ان بيان الداماد ليس فيه مدة معينة ويوجد في الخطاب والجواب غمـوض كثير في اكثر النقاط . فأجابني الداماد ان هذا الغموض قد جلبته المحادثات الشفهية ولكن المفوض السامي لا يريد التصريح الان بأكثر من ذلك وانما بعد تشكيل الوزارة لا يأبى ان يلبي مطالبها ..

وكثرت المداولات في امر تأليف الوزارة تلك الليلة واليوم التالي ودعي بضعة اشخاص للمفاوضة بهذا الشأن وقد اعتذرت في اول الامـــر متهيبا



محمد الفرحاني يتوسط الرجلين الكبيرين ، لطفي الحفار عن يمينه ، وعبد القادر المظم عن يساره . في شرفة منزل العلامة فارس الخوري .

**

الاقدام على هذا الموقف الحرج في ذلك الزمن العصيب وبقيت حائرا مترددا بين القبول والرفض .. فالبقاء في الموقف السلبي يثير ظنون الافرنسيين ويحملوه على نية المعاكسة وقد صرح لنا المندوب المتاز بذلك عندما اجتمعنا به ، واذا لم تنجح حكومة الداماد في اعمالها ينسبون فشلها الى مساعي الوطنيين ، وفوق ذلك فان استمرار الثورة كاد يودي بالبلاد ويقضي على الثروة القومية ويحول الحركات الى تعصبات دينية ومذابح مؤلمة ، وليس في وسع السوريين ان يثابروا على القتال تجاه القوات الافرنسية الكثيرة ولا يمكن ان ترجى فائدة من هذه المثابرة .. ومن ثم اجتمعت بكثيرين من اصدقائي الوطنيين مثل **الامير طاهر الجزائري واحمد بك اللحام وتوفيق بك شامية ولطفي افندي الحفار وعفيف بك الصلح** وغيرهم وجميعهم اصروا علي بالقبول وعلمت ان **عثمان افندي الشراباني وهو من اشد الوطنيين غيرة واقداما** هو الذي اعطى اسمي للداماد في بيروت ونصحه بدعوتي للوزارة ثم

ما لبث ان اكد لي عثمان افندي ذلك بنفسه عند عودته الى دمشق . فاستخرت الله بالامر واجبت بالقبول ، وصدر المرسوم بتسليمي وزارة المعارف في الرابع من شهر أيار ١٩٢٦ مع يوسف بك الحكيم ولطفي الحفار وواثق المؤيد العظم وحسني البرازي وشاكر نعمت الشعباني .

فارس الخوري .. الشاعر

طغى الحديث عن فارس الخوري بأنه عالم حقوقي وخطيب مفوه وسياسي بارز ادى لامته العربية خاصةوللانسانية عامةاجل الخدمات وأثبتها اثرا في التاريخ المعاصر .. وقل من يعرفه شاعرا فحلا يقتدر على المنظوم اقتداره على المنثور ..

لا شك ان الشعر يدخل احيانا في عداد ملكات الخطابة من حيثهو أبانة وتعبير .. وقد سلس الشعر له قياده نظرا لما تميز بهفقيدنا الغالي من سعة اطلاع في اللغة وسلاسة الاسلوب في التعبير والاعتدال في المشرب والتحقيق في المعلومات وهي ميزات تجعل مما ينظمه فارس الخوري شيئا فريدا في بابه وبالغا من الجودة اقصى المستطاع ..

فقد كان فارس الخوري في مطلع هذا القرن ، اي منذ ستين عاما .. يملأ صحف سورية ومصر بمنظوماته وكتاباته .. وقد ذكر لي احد قدامى المتتبعين انه لا زال يذكر تخميسا لـ « نونية » ابن زيدون المشهورة،نظمها فارسنا في سنة ١٩٠٦ وفيها يقول :

الطيف في النوم يرضينا اذا عبرا ان عزت العين صرنا نطلب الاثرا
لا تعجبوا أن صبرنا نحمل القدرا انا قرانا الاسى يوم النوى سورا
مكتوبة واخذنا الصبر تلقينا

نرضى الهوان بديل العز اكمله والجسم ينحل سقما من تحمله
ونرتضي وشلا عن فيض جدوله اما هواك فلم نبدل بمنهله
شربا وان كان يظمينا فيروينا

اعرضت عنا واعرضنا على وصب نكتم الناس ما في القلب من لهب
فما اتخذنا تجافينا بلا سبب ولا اختيارا تجنبناك عن كثب
لكن عدتنا على كره اعادينا

ضاقت على رحبها الدنيا فلا سعة تحوي فؤادا واحشاء مقطعـــة
نأسي اذا الشمس جازتنا مودعة نأسى عليك اذا حثت مشعشعة
فينا الشمـول وغنانا فغنينــا

لا شيء يسكن شيئا من بلابلنا ولا نرجى عزاء من وسائلنـــا
ظعائن الانس شالت عن منازلنـا لا اكؤس الراح تبدي من شمائلنا
سيما ارتياح ولا الاوتار تسلينا

فارس الخوري يرثي شهداء أيــار

ومن قصائد فارس الخوري .. تلك التي نظمها عام ١٩١٦ على اثـــر اعدام رفاق له ، بأمر من قائد الجيش الرابع وناظر البحرية العثمانية احمــد جمال باشا بعد صدور الاحكام عليهم من قبل مجلس الحرب العرفي فـــي عاليه ، ومن بينهم زملاء له في البرلمان العثماني ومجلس الاعيان ومن بينهم صحفيون وكتاب ووجوه كبار .. وفي القصيدة ما فيها من مرارة واسى، قال:

كان التجلد في البلوى يؤاتينـــي فما لـــه حين ادعو لا يلبينـــي
ضاق الفــؤاد بــآلام تبرحنـــي وفاجعــات بنــار الوجد تكوينـــي
وطارد الهم عن عيني الرقاد وهل تنــام مقلة موتور ومغبـــون
اين الصفاء الذي قد كنت امنحه للنفس من خفرات القيد والعـين
مع كل مناعة باتت تسامرنـــي من خمرة الحب اسقيها وتسقيني
قضى على صفو ايامي وبدلــــه من امره الامر بين الكاف والنون
اصبو الى كل كئيب في الديار ولا آوي الى غير محروب ومحـزون
اجيب دعوة من يدعو لمأتمـــة وان دعيت للهـو ، قلت خلونـــي
وكفكفوا لحظات النور عـن بصري فنظرة من شعاع الشمس تـؤذيني
فانني حلف هـم لا يفـــارقني ورب قلب على الاحزان مرهـون
كيف السبيل الى يوم تصح بـه جروح قلب برمح الجور مطعون
بل كيف يهنأ لي عيش ويسعـدني دهـري وتعبثني الدنيا وترضيني
ومعشري بـين مطرود ومنتبـــذ عبر الفيافي ، ومصلوب ومسجون
ابكي ومعذرة عيني اذا ذرفـت على الغطاريف منها والاساطـين
على النجوم الدراري التي افلـت واطلعت من دموعي كـل مخزون
على ظلال الافانين التي قصفت واطول شوقي الى ظل الافانين

على الشيوخ على رهط الفتوة بل ... على الليوث على الغر الميامين
على مناهل فضل غاض كوثرها ... وخلفت ورد زقوم وغسلين
فياصل الحزم غراء شمائلهم ... معالم للهدى شم العرانين
بيض الصحائف ما هانوا ولا غدروا ... انقى واطهر من زهر البساتين
قد عابهم بقضاء الترك انهم ... اصحاب قلب بحب العرب مفتون
ضحوا بهم واسروهم الى حفر ... في الرمل من غير تكفين وتلقين
رب التتار اله الظلم ما نظرت ... عيناه اشرف من تلك القرابين
فاستنطق الرمل عما ضمن حفرته ... من كل ندب بقاع الرمل مدفون
ما كان افجعه صبحا طلعت به ... يا يوم (بيروت) بل يا يوم (جيرون)
ما لاح نورك الا بعد ان غربت ... فينا شموس الهدى والعزم والدين
من كل اروع عنوان المضاء به ... يمشي الى الموت لا يمشي الى الهون
كيف التأسي اذا طلت دماؤهم ... فالدمع مهما تجارى لا يؤاسيني
وهل تجلد موتور بمدمعه ... قبلي لاقنع منه اليوم بالدون
اريد قوما مغاويرا لثأرهم ... في معقل النسر او في معقل النون
ابكي على أمة لج الشقاء بها ... تجري الى طالع بالبؤس مقرون
العز غادرها والذل جاورها ... والدهر ساورها بعد ابن هارون
ولى الزمان عليها كل معتسف ... من طينة البغي والطغيان معجون
من معشر جعلوا جلى مفاخرهم ... منهاج جنكيز او انماط نيرون
مثل الزرازير في ادبار دولتهم ... وعند اقبالها مثل الشواهين
بيارق في رقاع الشوم رافعة ... رؤوسها فوق هامات الشواهين
قالوا سياستهم والغدر ديدنهم ... سياسة العدل والاحسان واللين
يستدرجون بحلو القول مأربهم ... وفي حلاقيمهم سم الثعابين
لاحت لهم فرصة في العرب سانحة ... فنكلوا واستباحوا كل قانون
دسوا لنا كل مفتر يعيث بنا ... نهبا ويرجع في اموال قارون
تحللوا السلب والتمثيل فانبعثوا ... وخربوا كل معمور ومسكون
جاحوا البلاد بفعل ليس يقحمه ... اضرى الوحوش ولا اطغى الشياطين
لم يكفهم برجال العرب ما فتكوا ... حتى محوا آية الزيتون والتين

*

يا ليت شعري اما سارت فضائحهم ... لصاحب التاج في علياء برلين
فكيف يرضى على دعواه من شرف ... بأن يكون حليفا للمجانين
ما كان حالفهم لو لم تكن ثبتت ... له مناسب طوران وطوطون

عليه نقمة اهـــل الارض قاطبــة ... ولعنة الله مـــن بـــين السلاطين

*

قل للالى عفروا حر الوجوه عـلى ... اقـدام طاغية دامــي السكاكين

ومنهم الشاعر المطبـوع علمهـم ... حني الرؤوس لـدى تمثـال تنين

اتخفض الراس اجــلالا ومكرمة ... لرسم مفتـرس دامــي البراثين

قل للشقيري مفتيهـم ورائدهم ... بل قل لكـرد علــي والغلاييني

وزمرة مثــل ملاط ورفقتــه ... من سوقة الشعر عبدان الدهاقين (*)

وكل من حملوا الاقـلام واندفعوا ... جريا الى السبق في تلك الميادين

ماذا دهاكم وفيكم اهـــل منزلـة ... حتى اشدتـم بتمداح الملاعين

ما احدثوا فـي ديار العرب موبقة ... حتى صدعتم بتحبيـذ وتحسين

هل سركم صلبهم احــرار امتكم ... ام راقكم هتـك اعراض الخواتين

امـــا سمعتم شهيق الباكيات ولا ... شكوى السجين وانـات المساكين

ولا اطلعتم على مـــا كان من عبر ... منثورة بـين بـيروت وصنين

سلوا فلسطين تنبئكـم حوادثه ... وما جرى فيهمن (يافا) ﻟ (حبرون)

الآمنون بـه صارت مقابرهـم ... حواصل الطير او جوف السراحين

وما رثيتم لنــا فـي يوم نكبتنا ... وقد رثى فيه أهل الهند والصين

هي المنافع قــد اعمت بصائركم ... وانطقتكم بقـول غـير موزون

حتى تركتم لكم فـي قومكم صحفا ... مشؤومة بين دفـات الدواويـن

فكلما ذكرت اسماؤكـم لعنـت ... كرا على الدهر من حين الـى حين

فاستهدفوا لنبال الـذم دامية ... وراقبوا يـوم تحريـر الموازين

وفي حفلة ذكرى هؤلاء عام ١٩٢٥ اضاف اليهـا بعض الابيات نقتطف منها ما يأتي :

بكيتم وجدار السجن يحدق بـي ... وعين حافظـة بالشزر ترمينـي

وصاحب الحكـم يمليـه لكاتبـه ... وناصب الحبل في الميدان يدعوني

(*) الشيخ اسعد الشقيري (والد الدبلوماسي المعروف السيد احمد الشقيري) كـان مفتيا للجيش العثماني الرابع وصديقا شخصيا حميما للوزير احمــد جمال باشا وصاحب الكلمة المسموعة لديه ، اما العلامة محمد كرد علي ، فكان يحبر المقالات الطوال في مـديح جمال باشا وتأييد اعماله ، بجريدة الشرق التي كان يحرر فيها ، وبغيرها .. ثم الشيخ مصطفى الفلاييني احد علماء بيروت وصاحب مجلة النبراس فيها . والشاعر اللبناني السيد شبلـي ملاط ، والجميع اصحاب حظوة وقرب من الوزير العثماني السفاح .

الحظ قدمهم عنـــي واخرنـــي حتى ارى دول التاميـز والسين
تسدي الوعود بتحقيق العهود لنـا عن كل حـق بالاستقلال مضمون
لا بـــد ان يرجعوا للشام وحدتها من بعدما فصلوها عـــن فلسطين
من الفرات الـــى الاردن رابطـــة مثل الـــذي بين صنين وقسيون

فارس الخوري يرثي الامير علـــي الجزائري

ومن قصائده في الرثاء .. تلك التي تلاها علـــى ضريح رفيقه فـــي البرلمان العثماني ، الامير علي باشا الجزائري مبعوث دمشق ، الذي هو نجل البطل الخالد الامير عبد القادر الجزائري الحسني الكبير . ووالـــد الامـير محمد سعيد الجزائري رئيس الحكومة العربية الموقتة اثـــر انهيار العهـد العثماني توفي في الاستانة عام ١٩١٨ وقال فارسنا يرثيه :

سئمنا في الدنا العيش الوبيـلا — وصرنا نشتهي عنهـــا رحيـــلا
فنحن نطوف منها فـــي فـــلاة اضعنا فـــي غياهبها الدليلا
تولتنـــا الفجائـــع والدواهـي وذقنا الصبر حتى الصبر عيـــلا
وبالغ دهرنـــا فيمـــا تجنـــى واعمل بيننـــا العضب النفيـلا
وحيلت بهجـــة الدنيا كـــدورا وصار الظبي فـــي الانظار غولا
تنوعـت المصائـــب والرزايـــا وجـــر الدهـــر احداثا نكـــولا
وافجعهـــا بهـــذا اليوم خطب يعز علـــى الليالـــي ان يـزولا
ونائبـة بجانـب مـــا اثـــارت جسيم النائبات غـــدا ضئيـــلا
خبـــا فـــي معشر الانـــوار نـور سبيح مـــا حسبت لـــه فاولا
ومـــال بمعقل الامجـــاد ركـــن فكاد المجـد معـــه ان يميـــلا
وفل مـــن العلـى والعزم سيف ظبـــاة قط مـــا عرفت فلـــولا
قضى (الحسني) نبراس المعالـي وزاد غليـــل حسرتنـــا غليـــلا
امير الفضل والهيجا (علـــي) سليل الفخـــر أعـــلاه سليـــلا
سليل فـــي المناقب (هاشمي) الا حـــي الارومـــة والاصـــولا
تسيل عليـــه ادمعنـــا غـــزارا خليـــق بالمدامـــع ان تسيـــلا
أضعنـــا سيـــدا لمـــا نعـــوه أطـــار نعيـــه منـــا العقـــولا
نعـــي زعـــزع العزمات حتـــى كان القـــوم قـــد شربـــوا الشمولا
ابـى الداء الضعيف فهد جسما قويـــا طالمـــا هـــد الخيـــولا
وغيـــب همـــة كالنـــار شبـــا ترد الطـــرف مبهـــورا كليـــلا



فارس الخوري اثناء مرضه وقد جلس على الكرسي المتحرك واحاط به حفيده وسميه (فارس سهيل الخوري) ومحمد الفرحاني .

**

نودع فيها محمدة السجايا ... وحسن الخلق والشرف الاثيلا
نودع فيها افضل من عرفنا ... جوادا باسلا حرا اصيلا
واخلاقا كماء المزن طهرا ... وصدقا ما رأيت له مثيلا
وفي والمروءة فيه طبع ... على العزمات يأبى ان يحولا
باقبال الحظوظ يرى عزيزا ... ولا يرتد ان ولت ذليلا
يقابل خصمه من غير كبر ... ويصبر في الاسى صبرا جميلا
عليه انة في الشرق تغدو ... بأرض الغرب ان سمعت عويلا
وتبكيه البلاد ومن عليها ... وتندبه وترثيه طويلا
وتذكر من محاسنه اللواتي ... يدوم حديثها جيلا فجيلا
ربوع الشام قد خسرت عميدا ... تأوب ولا ترى عنه بديلا
فكيف اقول في خطب اليم ... وجرح القلب يمنع ان اقولا
أعزي آله غر اعالي ... ونحمل معهم الرزء الثقيلا
أطوف بتربة ضمت علاه ... وحازت في الثرى قدرا جليلا

الثـــورة .. والتطـــور

وروى لي الاستاذ عبد القادر العظم ، ان المفوض الســامــي الفرنسي المسيو دي جوفنيل قرر زيارة معهد الحقوق وكان الاستاذ العظم رئيسا له، وكان مكانه في سوق ساروجة ، وذلك في عام ١٩٢٦ ابان الثورة السورية، وتقرر ان يجري له استقبال حافل فاصطف الطلاب على جانبي الباحة وعلى جانبي الدرج المؤدي الى الطابق العاوي ، وعندما دخـــل المفوض الســامــي وصحبه فوجئوا بالطلاب جميعا يديرون له ظهورهم فاستاء من ذلك أبلـــغ الاستياء واسقط في يد الادارة .. وعندما صعد الى الطابق العلوي فوجيء برؤية فارس الخوري بين الاساتذة فسألة : « وما شأنك ههنا ؟! » فأجابــه فارس الخوري « انني استاذ في هذا المعهد » فقال دي جوفنيل : « وهل تعلم الطلاب الثورة **Revolution** » فأجابه فارس الخوري بكل رصانة ووقار : « اظن فخامة المفوض السامي قد اخطأ التعبير وهو يقصد القـــول بانني أعلم الطلاب التطور **Evolution** » !!.. فأسقط فـــي يـــد المفوض السامي ولم يحر جوابا .

فارس الخوري يرثـــي فوزي الغزي

وفيما يلي ، مقطع من قصيدته التي تلاها علـــى ضريح زميله ورفيق نضاله الوطني ، فقيد الدستور السوري والاستاذ في معهد الحقوق ، فوزي الغزي الذي اغتالته يد اثيمة مجرمة .. تلاها فارس الخوري على ضريحه في مساء السادس من تموز ١٩٢٩ وكان قد نظمها في صباح ذلك اليوم :

سلوا القبور عن الصحب الالى ذهبوا ... فخر العروبـــة والصيابة النجب
ولو اغضابا عن الدنيا ومـــا ظلمت ... وخلفوا رفقـــة تبكـي وتنتحب
عاشوا وللحق فـــي افواههم رسل ... ماتوا وللعهد فـــي ايمانهم كتب
ماتوا كراما ومافـــي موتهم عجـب ... حياة من عاش مظلوما هي العجب

*

لا كان يوم تـــلا الناعي بـــه خبرا ... ثرنـــا عليه وقلنـــا انـــه كذب
قالوا قضى المدره المحبوب طالعـــه ... قضى الزعيم الجريء الفيصل الارب
فيالـــه مـــن حديث تستثار بـــه ... كوامـــن النفس والآلام والنصب

حتى فشا فراينـا الشام واجمـة تكاد مـن مسعـر الانفاس تلتهب
مصيبة ضاق عنهـا طوق واصفها عم البلا ، بهـا والويل والخرب
لئن تكـن نابت الفيحاء مـا سلمت بيروت منهـا ولا حمص ولا حلب

*

يـا راحلا وقلوب الناس تتبعـه وكل قلب لـه فـي سعيه ارب
أحسنت للناس صنعا فاصطنعتهـم والناس عشرة احسان اذا نسبوا
يبكيك أحـرار سوريـة وانت اخ يبكيك دستور سورية وانـت أب
مـن للصعاب اذا اشتدت معاضلها من للخطابة يا ملسان مـن خطبوا
مـن للشؤون اذا ضاقت مسالكها من للكتابة يـا نحرير من كتبوا
فكـم اصبت ورب الراي مرتبـك وكم عصمت وحبل الامن مضطرب
عرفت فيـك سجايا كلهـا شمم عرفت فيـك حديث كلـه أدب
شهدت فيك نشاطا مـا بـه خور وهمة صلبـة مـا شابها تعـب
كهوف ارواد مـدت بيننا نسبـا يـا حبذا السجن بل ياحبذا النسب
حر الجزيرة اذكى مـن مودتنـا فزاد حـر قلـوب حشوها لهب
أخا السجون أخا المنفى اخـا وصبي ها فرق الموت ما قد ألف الوصب

*

يا خازن الدمع ها قـد جاء موعده اخلق بدمعك هذا اليـوم ينسكب
لمن يصان وصنو الـروح مضطجـع بين الصفائح تحشى فوقه الترب
هذا الذي كان نـورا يستضاء بـه في صمته حكمة . في نطقه ذهب
أولى النيابـة تشريعـا وتضحيـة ورب نواب قـوم كلهـم نـوب
ما بات عنا بهـذا الخطب محتجبـا مـن المكاره الا اليـأس واللغب
ان مات (فوزي) فما ماتت قضيتنا ردى المطالب لا يردي بـه الطلب
ان ادركت سيـدا منـا منيتـه فمـا علينا ونحن السادة الغرب
قد عودتنا البلايـا خوض لجتهـا الى الحناجر امـا غاصت الركب
لنـا مـن الصبر درع لا ينهنهـه ريب المنون ولا السيف الذي خضبوا

حديث الفرنسي فـي بلـده غـير حديثه فـي بلدنـا

قال لي الاقتصادي الكبير والوزير السابق ، المغفور له الاستاذ محمـد سعيد الزعيم :

منذ عام ١٩١٨ والمرحوم الاستاذ فارس الخوري فارس كل ميدان من ميادين المجتمع السوري والعربي فـــي حلبـــة السياسة وتركيز أسس الاستقلال .. استقلال سورية في حدودها الطبيعية ، وفي ميادين النضال القومي والفكري وفي حركات التحرر والنهضة العلمية ، فهو بحق (الف) تاريخ سورية الحديث و (ياؤه) ولست الان في مقام المتحدث عـــن تاريخ صاحب هذا التاريخ الطويل العريض .. فعلم ذلك مسطور فـــي اسفـار الجهاد وعلى صفحات الزمان وفي قلوب من عاش احداث البلاد ، الا انني مورد خاطرة عن الرجل الكبير الذي طواه الردى وخلدته الآثار .

نزلت باريس لاول مرة في شهر تموز من عام ١٩٣١ واستقبلني فـي محطة كارده ليون صديقي السيد صادق الفراوي ، واخذ بيدي الى فندق (هليو بوليس) حيث حل فيه في ذات اليوم الاستاذ فارس الخوري والسيدة عقيلته ، يزوران عاصمة النور لاول مرة ، وسر رحمه الله لوجودي معه في ذات الفندق ، وكنا كثيرا ما نقضي الوقت معا ، الا في الليل !!..

وذهبنا في احد الايام لزيارة وكالة المفوضية الفرنسية فـــي سورية ولبنان ، في العاصمة الفرنسية ، لزيارة مفوض القسم السوري في معرض باريس الاستعماري آنذاك الاستاذ ليون مراد ، وكان الماريشال ليوتي هـو الرئيس الاعلى للمعرض ، والسيد بيير آليب مندوب المفوض السامي السابق في دمشق هو مدير الوكالة الآنفة الذكـر ، فرحب الاخير بالاستاذ الخوري كثيرا .. وانتهز فرصة زيارته هذه للحديث معه في جلسات تعددت حـول شؤون بلاد الشرق (سوريا ولبنان) .. وكان عقب كل زيارة .. ينبئني.. فارس الحوري .. بحديث عنها ، ويقول :

((ان حديث الفرنسي في بلده غير حديثه في بلدنا ، انه هناك تتقمص فيه روح الحاكم العاتي الجبار ، وهنا في باريس ، يشعر ان للطرف الاخـر الكيان الذي يجب ان تعترف بوجـوده فرنسا دون كبريـاء او صلف ولا خيلاء ، فهو هنا متزن هادىء وهناك هائج احمق)) .

مديـــر الخارجيـــة الفرنسية
يشرب نخب ملك القطرين

وروى لي الاستاذ محمد سعيد الزعيم رحمه الله .. الذكرى التالية:
وذات يوم ، جاء (ويقصد فارس الخوري) وعلى وجهه البشر ، وقال

لي : ان الملك فيصل الاول (رحمه الله) يزور فرنسا وان مدير الخارجية الفرنسية العام شرب نخب ملك القطرين (العراق وسورية) وان المليك يطلبه الى الاجتماع به ، وقد طلب المرحوم **الامير شكيب ارسلان ،** والاستاذ احسان الجابري ، واعتقد انهما كانا في اسبانيا ، وانه لا بد ان تكون لهذه الدعوة علاقة ببحث موضوع سورية ومعاهدة لها مع فرنسا على نسق معاهدة العراق وانكلترا .. وتركت فرنسا وقد تم الاجتماع ، واشرقت آمال ، ولكنها ما لبثت ان تبددت وغيبتها الغيوم الدكناء ، وقد عقب ذلك اجتماع فارس الخوري بالزعيم الشهبندر في الاسكندرية مرسلا من قبل فيصل ، واجتماعات اخرى لرجال الكتلة الوطنية في الازرق ، ودمشق ، واستبعدت فيها الفكرة وحوربت ، وكان ما كان ، وصار ما صار ..

ولا بد لي هنا من تعقيب على رواية الاستاذ الزعيم ، ذلك ان الاستاذ الخوري كان روى لي ما دار بينه وبين المليك فيصل حول موضوع العرش السوري العتيد ، قال لي فارس الخوري :

في عام ١٩٣١ كنت في باريس ، وجاء الى هناك المغفور له الملك فيصل الاول فاجتمع بي ومعه الامير شكيب ارسلان وطلب الي ان اسعى لاقناع زملائي في الكتلة الوطنية لتأييد اقامة عرش في سورية يعتليه شقيقه الاكبر الملك علي الذي كان لاجئا عنده بعد طرده من الحجاز .. فأجبته .. ان تعدد العروش في البلد العربي الواحد سيعرض البلد للفرقة والشقاق ، وسيعرقل حتما أي توحيد للقطرين ، وانت يا جلالة الملك تسعى لتوحيد سورية والعراق .. فاذا اعتلى شقيقك على عرش سورية وحانت بعد ذلك فرصة ملائمة واردت ضم سورية اليك فسيكون اول من يقف بوجهك هو الملك علي بالذات وسيقول لك كيف تطلب مني ان اتبعك وانا الاكبر منك سنا وبمقام ابيك ولماذا لا تتبعني انت ؟! في حين انه اذا كان النظام جمهوريا ففي الوقت الذي نشاء نستطيع اجبار رئيس الجمهورية على الاستقالة فيصبح الوضع ممهدا لوحدة القطرين .. فاقتنع الملك فيصل برأيي ونفض يده من قضية تنصيب الملك علي .. على عرش سورية !! ..

فارس الخوري .. والفتوة العربية

روى لي الاستاذ جواد المرابط قال :

اذكر انني زرت العلامة الاستاذ فارس الخوري عام ١٩٤٣ اثر عودتي

من الحج ، وكان بين يديه كتاب قرأ علي منه قول الشاعر :

ان انت لم تنفع فضر ، فانما　　يرجى الفتى كيما يضر وينفع

فقال فارس الخوري : كيف يرجى من الفتى ان يضر ؟! ..

قلت (والكلام للاستاذ المرابط) : يرجى منه ان يضر الاعداء وينفع الاصدقاء ، وفي البيت ، انك اذا لم تنفع بعمل ايجابي نحو صديق فذب عنه وعنك عدوا يريدكما بسوء .

قال : ومن اين اتيت بهذا المعنى ؟!

قلت : لانني قرنت كل فعل بما هو اخلق به ، والنفع اخلق ما يكون ان يتوجه به الى النفس والى الصديق ، والضر اجدر ما يتوجه به ان يكون نحو العدو .

قال : الارجح ان تستنبط المعنى الذي ذكرته من لفظ (الفتى) لان الفتوة معروفة لدى العرب . فهي المروءة والكرم ، وقد وصل العرب الى اسمى مراتب النبل في ذلك .. يحكى ان فتى زار اخر فوجده مكتئبا فسأله عن سر اكتئابه فقال : كان عندي يتيم فمات ، فقال له صاحبه : اجتلب يتيما اخر مكانه ، قال : اخشى ان لا اصيب يتيما بسوء خلقه .. قال له صاحبه : اما لو كنت مكانك لما تحدثت عنه الا بخير حتى يضاعف لك الاجر فيه .. ولقد كان صاحبك وجارك وان من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره !! » .

قلت : الواقع ان معنى البيت اصبح اكثر وضوحا بالاعتماد في تفسيره على ضوء كلمة (الفتى) الواردة فيه .. وكم من دعوى ربحها محامون بسبب التفاتهم الى سر خفي في كلمة وردت في نص او وثيقة ، وكم من معاهدة حصل من اجلها خلاف لما لكلمة فيها من تأويلات ووجوه مختلفة ، او اللفظ فيه التباس .

فقال فارس الخوري : ان اقتران الكلمة بالكلمة وسياق العبارة هو الذي يفسر المراد والقصد .. فلما علم ان الضرر يطلب اتيانه من (فتى) ولم يحدد له الهدف ولا اين سيوجه ، وسلم بأن لو وجه الضرر الى الصديق او لمجرد الاضرار لما كان القول موجها الى فتى .. اي الى انسان كريم ذي مروءة وعفاف .. عرف من ذلك أن المراد بالضرر هو كف العدو بمقابلته بما يصلحه لان من الناس من لا يردعهم الا الاخذ بالبأس .. هذا احق ما يفسر به قول الشاعر واحجاه .. لا سيما ان من اصل الشرع عدا وجوب

الاحتياط لدرء المفاسد ، فان فيه نصا على ان الاعمال بالنيات ، وان العبرة للمقاصد والمعاني لا للالفاظ والمباني ، وهذا الاصل يوجب الا يكتفي بأخذ الكلام على ظاهره بل ان يحمل على خير وجوهه وعلى ما يسهم بارساء معاني الخير والحق والسلام في النفوس ، قال الشيخ محيي الدين بن العربي : (لحن القلوب واعراب اللسان حرمان ، ولحن اللسان واعراب القلوب هو المطلوب عند اهل العرفان ، والفتوة ، بذل الندى ، وكف الاذى ، وحلاوة الاجتناب ابلغ من حلاوة الاكتساب) .

الذكرى التي لا ينساها فارس الخوري هي ذكرى توقيعه لميثاق هيئة الامم المتحدة

سألت فارس الخوري ذات يوم عن الذكرى التي لا ينساها.. فقال لي:

ان الذكريات التي لا ينساها الانسان في حياته كثيرة ، منها الحسن ومنها السيء ، ومن الذكريات التي لا انساها .. في حزيران عام ١٩٤٥ كنت رئيسا للوزارة السورية ورئيسا لوفد بلادي لدى مؤتمر سان فرنسيسكو الذي لم ندع اليه في باديء الامر ، فبذلت وزملائي رجال الحكم جهودا جبارة لكي ندعى الى ذلك المؤتمر فنجحنا ودعينا ، وفي المؤتمر بذلت جهد المستميت لتحقيق غرضين ، الغرض الاول هو تدوين عضويتنا الرسمية في هذا المؤتمر ، والثاني ، هو **ادخال نص في الميثاق على ان الاعضاء المؤسسين لمنظمة الامم المتحدة هم دول مستقلة استقلالا تاما ناجزا ولا يجوز اخضاع هذه الدول لاي نظام من انظمة الوصاية والانتداب** وبحمد الله نجحنا في ادخال مادتين تؤيد هاتين النقطتين ، وعندما جلست بدوري لاوقع على ميثاق الامم المتحدة اسوة برؤساء وفود الدول الخمسين الذين اشتركوا بوضع هذا الميثاق وتوقيعه ، كانت اجل لحظة في حياتي السياسية ، لانه بنتيجة هذا التوقيع اعلنا استقلال سورية الحقيقي بعد اذ كان صوريا ، وتخلصنا من الانتداب الفرنسي وفي عام ١٩٤٦ قدمت مذكرة الى مجلس الامن أطالب بجلاء القوات الاجنبية (الفرنسية والبريطانية) التي كانت بأرضنا ، ونجحت باقناع مجلس الامن في ان يصدر قرارا بأن يتم الجلاء خلال مدة شهرين فبعثت اهنيء رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي بأن الغاء الانتداب واستقلال سورية التام الناجز وتحقيق الجلاء كل ذلك تم في عهده فهو اذن بطل الاستقلال وبطل الجلاء .. على ان السيد

القوتلي ما زال يعترف لي بالفضل بهذه النتائج العظيمة التي حصلت عليها بجهودي ، ومن غرائب الاتفاق ان قرار الامم المتحدة ، بوضع نظام مجلس الامن والمحافظة على السلام العالمي تم في يوم ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٥ وهو نفس اليوم والساعة التي وضع فيها الوفد السوري (برئاسة المرحوم سعد الله الجابري) مع وفود الدول العربية في مؤتمر (سان استيفانو) بالقاهرة مبادىء ميثاق جامعة الدول العربية ، وذكرت ذلك اكثر من مرة ، في خطب لي القيتها بمنظمة الامم المتحدة في سان فرنسيسكو بشكل لفت نظر الدول الاعضاء وكان موضع التقدير عندهم .. وكانت لحظة ظريفة تلك اللحظة التي جلست فيها لاوقع ميثاق الامم المتحدة حين قلت عند التوقيع : **(ارجو ان تكون قوة الحق في هذه المنظمة اقوى من حق القوة)** واستشهدت بعبارة **لابي بكر الصديق** حينما ولي الخلافة انه قال : (سيكون قويكم ضعيفا عندي حتى آخذ الحق منه ويكون ضعيفكم قويا حتى آخذ الحق له) . فكانت عبارتي هذه محل اعجاب الوفود ، وموضع حديث في اروقة المنظمة الى حين انصراف المؤتمر .

واستطرد فارس الخوري يقول لي : لذا .. تلاحظ ان هذه العبارات وامثالها ، اهم ما منح خطبي من الرونق والسمو في نظر الوفود ، فالفضل في ذلك يرجع لابي بكر رحمه الله ونفعنا به .

فارس الخوري .. والامن السعودي في لوس أنجلوس

بعد ان روى لي فارس الخوري ما تقدم مما دونته عن لسانه في اللحظة التي كان يتكلم فيها طلبت منه ا نيزيدني من هذه الذكريات الطريفة فقال :

بعد انتهاء مؤتمر سان فرنسيسكو ، دعيت الى حفلة عشاء اقيمت على شرف الوفد السوري في (لوس انجلوس) وهي مدينة عظيمة في جنوبي كاليفورنيا ، من قبل الجاليات العربية ، وكان معنا في الحفلة الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود رئيس وفد المملكة العربية السعودية لدى الامم المتحدة جالسا بجانبي ، ودعيت لالقاء كلمة ، ففعلت ، وذكرت والده الملك عبد العزيز في كلمتي ، وقلت فيما قلت : « ان البوادي في جزيرة العرب ، لم يعرف بها الامن ، منذ اول تاريخها ، كما هو معروف بها الان ، ينطبق عليه قول الشاعر العربي » :

يلم على اللصوص بكل تجر | ويضمن للصوارم كـــل جان
اذا طلبت ودائعهم ثقــات | دفعن الـــى المحاني والرعـــان
فباتت فوقهن بـــلا صحاب | تصيح بمن يمـــر الا تراني ؟
ولوطرحت قلوب العشق فيها | لما خشيت من الحدق الحسان

واستطرد فارس الخوري يروي لي :

وكان حاكم لوس انجلوس جالسا بجانبي ، فقلت له : (هل تستطيع بقوى الامن التي عندك أن تحفظ الامن الى هذا الحد فـــــي نفس مدينتك هذه ؟! ..) فسكت ولم ينبس ببنت شفة ! !..

الدكتـــوراه الفخريـــة

واستطرد فارس الخوري يقول لي :

وفي اليوم التالي دعيت الى جامعة كاليفورنيا وهي جامعة عظيمة يزيد عدد طلابها على العشرة الاف ، فراعني ان استقبلت في قاعة الجامعة ســن قبل مجلس الاساتذة جميعا وكلهم بألبستهم الرسمية مع الارواب التقليدية، وبعد أن رحبوا بي وتبادلنا جملا بسيطة ، وقف الرئيس وفي يده ورقـــة تلاها .. فاذا بها ان مجلس الجامعة قـــد قرر بتاريخ امس (٢٩ حزيران ١٩٤٥) : ((**منح درجة الدكتوراه الفخرية فـــي الخدمة الخارجية لحضرة صاحب السعادة رئيس وزراء سورية ورئيس الوفـد السوري البروفسور فارس الخوري اعترافا بمآثره العظيمة في حقل العلاقات الدولية**)) واشار الي بالشهادة وسلمني اياها .. وتركت هذه الذكرى فـــي نفسي سرورا واغتباطا لا يمحى وهي من اهم الحوادث التي لا انساها .

يرفض منصب (رئيس الدولة) غـــير الدستوري كما يرفض رئاسة الوزارة بعهـــد الشيشكلي

بعد عصر السابع من حزيران ١٩٦٠ واثناء زيارة قام بها **اللواء توفيق نظام الدين** رئيس اركان الجيش السوري سابقا ، للاستاذ فارس الخـــوري وكان مريضا في مستشفى السادات ، وبحضور الرئيس السوري السابـــق السيد حسن الحكيم ، رأيت فارس الخوري يذكر اللواء توفيق نظام الدين

كيف زاره هو (اي اللواء توفيق) **واديب الشيشكلي وعزيز عبـــد الكريم** وغيرهم بعد استقالة السيد هاشم الاتاسي رئيس الجمهوريـــة السوريـــة (استقال الاتاسي في ٢ كانون الاول ١٩٥١) وكلفوه بتولي سلطات (رئيس الدولة) الذي وليه بعدئذ ، الزعيم فوزي سلو بشكل صوري ، وكيف ابـى فارس الخوري قبول هذا المنصب بقوله لهم (انا لا اتولى الحكم بعهد غـــير دستوري) كما تطرق بينهما الحديث الى محاولات اديب الشيشكلي التـــي بذلها لاقناعه (اي فارس الخوري) بتولي رئاسة الوزارة في عهـد الرئيس هاشم الاتاسي في صيف عام ١٩٥١ اثر استقالة وزارة خالد العظم الرابعة وكيف اصر فارس الخوري على عدم قبول مهمة التكليف هذه مـا لم يرضخ اديب الشيشكلي لطلب الاحزاب السياسية باعادة ربط قوات الدرك بوزارة الداخلية وهي عقدة العقد عامذاك ، فقال له اديب الشيشكلي : ومـا الذي يهمك من امر الدرك ؟! .. انا والجيش والدرك كلنا تحت امرك !! .. فأجابه فارس الخوري : انني كرئيس للوزراء لا يحق لـي التدخل بشؤون الجيش ولا بد لي من قوة عسكرية خاصة بي لحفظ الامن والنظام في البلاد ، والدرك هو القوة العسكرية الخاصة بي ، وهو مرتبط بوزارة الداخلية في كـل بلد من بلاد العالم .. فقال له اديب الشيشكلي : ومـــاذا يفيدكم ربط الـدرك بوزارة الداخلية ؟!! انني على اهون سبيل استطيع تجريدهم مـن سلاحهم وشل نشاطهم متى اردت ؟!!.. فأجابه فارس الخوري : طالما نواياك سيئـة بهذا الشكل فأنا لا يمكنني قبول الحكم .. واضاف فارس الخوري يقـــول لنا ونحن حول سريره ان هذه المناقشة جـــرت بحضور الرئيس الجليـل السيد هاشم الاتاسي رئيس الجمهورية .

انقلاب الشيشكلي الرابع .. كان انتكاسة !

وتجدر الاشارة الى ان انقلاب الشيشكلي (المعروف بالانقلاب الرابع) قام صبيحة ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥١ اثر صدور المراسيم الجمهورية بتأليف وزارة برلمانية شرعية برئاسة الدكتور معروف الدواليبي ، ومما رواه لـــي عن ذلك العهد ، المغفور له الاستاذ محمد سعيد الزعيم الذي تولـــى وزارة المالية السورية في حكومة اللواء فوزي سلو مـن حزيران ١٩٥٢ حتـــى تمـوز ١٩٥٣ قال :

في عهد الزعيم اديب الشيشكلي كان فارس الخوري فـــي حفلـــة



العلامة فارس الخوري ، وعن يساره الدكتور محمد معروف الدواليبي رئيس وزراء سورية الشرعي خلال فترة الاغتصاب الشيشكلية ، ووراء الدكتور الدواليبي يبدو القاضي الكبير الاستاذ عبد القادر الاسود رئيس المحكمة السورية العليا .

دبلوماسية شهدها الزعيم المذكور وعاتبه بحضوري لانه لم يحضر حفلة الاستعراض لـ (العيد القومي) الذي اصطنعه لنفسه يوم ٣ كانون الاول من كل عام .. فاعتذر لاسباب .. ولكنه أسر في اذني قائلا :

اي عيد قومي هذا ؟!.. الحكومة على وزارة الدكتور معروف الدواليبي تعمل عيداً قومياً يحل محل عيد الجلاء ؟!؟!

وتوجه فارس الخوري نحو الزعيم الشيشكلي قائلا :

اسمح لي يا حضرة الزعيم ان الفت نظرك الى هذه البادرة في قطع الطرق طويلا في كل مرة يمر بها رئيس الدولة اللواء سلو ، وتعطيل حركة المرور ردحا كثيرا من الزمن ، وهذا ما لا يتفق وعادات الحكام الذين يعفون عن المظاهر ويترفعون عما كانوا يعدونه على غيرهم معرة ؟!! ..

وكان لملاحظة الاستاذ الخوري احسن الاثر ، في تلافي امثال هذه المزعجات للناس .

قاضٍ يخاف عبد الناصر .. واخر لا يخاف الله

روى السيد عبد الصمد الفتيح وزير الزراعة السورية الاسبق بحضوري ، وبعهد الوحدة السورية المصرية ، للاستاذ فارس الخوري قصة دعوى قضائية رفعها الشيخ احمد الساوي رئيس عشيرة الجوالة بمنطقة القامشلي امام محكمة بداية الحقوق هناك **ضد الحكومة وضد الرئيس جمال عبد الناصر** لاصدارهم قانون الاصلاح الزراعي الذي حال بينه وبين تصرفه باراضيه تصرفا يؤدي الى وفائه الديون المتراكمة عليه ويطلب الحكم على الرئيس بالاضافة لمنصبه وعلى الحكومة بوفاء الديون التي بذمته لاصحابها واعطائه تعويض عمل عن السنين التي قضاها بخدمة الارض المنتزعة منه وعن احيائه اياها ، عملا بنصوص قانون العمل .. ولكن المحكمة ردت هذه الدعوى ورفضت أن تنظر بها .. فضحك الاستاذ فارس الخوري وقال : تحضرني بهذه المناسبة قصة لطيفة لا بأس بروايتها .. كان المرحوم زاهد الالشي ، والد المرحوم جميل الالشي رئيس الوزارة السورية الاسبق ، قاضيا في دوما ، وجاءته يوما دعوى من احد الفقراء الذين يكاد يقتلهم (الطفر) واسمه محمد عبد النافع ابو غنيم .. مرفوعة اليه ضد الله تعالى جل شأنه ، فاستغرب زاهد الالشي هذه الدعوى واسرع يعرضها على القائمقام ويدعوه لحضور جلسة المحاكمة التي ستكون في نفس اليوم كما جعل حضور تلك الجلسة مقصورا على كبار موظفي القضاء .. وعندما عقدت الجلسة نودي على المدعي فحضر ، اما المدعى عليه فلم يحضر ، فسأله وهو يتصنع الجد عن مضمون شكواه فقال المدعي بأن المدعى عليه قد خلقه بغير ارادته ودفع به الى خضم هذا العالم دون ان يستشيره واعطاه اولادا كثيرين من ذكور واناث .. ومن كثرتهم افلس .. فكانوا سببا لمصيبته .. وهو (اي المدعي) منذ اربعين سنة يعمل في ارضه بلا كلل ولا ملل ولا تنفك المصائب تلاحقه حتى مات اولاده وساءت احواله وكل عام يمر عليه بأنحس من الذي قبله حتى اصبح على الحال التي هو فيها ولهذا فهو يرجو من القاضي ان يحكم على ((**الله**)) !! بأن يصلح من معاملته له ويعوضه عن كل عطل وضرر اصابه !!! فسأله القاضي زاهد الالشي بقوله : انت تقول ان مشكلتك مع الله مزمنة .. صار لها اربعين سنة ، ولقد مر على هذا البلد خلال هذه السنين الكثير من القضاة .. فلماذا لم ترفع دعواك ضده امام احد منهم قبل اليوم ؟! فأجابه المدعي : ان الذين جاءوا قبلك لم يكونوا مثلك

اصحاب جراة ومتانة .. والجميع كانوا يخافون الله كثيرا ولهذا لم اقــدم شكواي لاحد منهم .. ولكنني علمت انك انت الوحيد الذي لا يخاف اللــه فأتيتك بشكواي طالبا منك ان تنصفني منــه !؟! .. وصعق زاهــد الالشي واشتدت الدهشة بالحاضرين ، فقال القاضي للمدعي : والان ، هل تريد ان تتصالح مع خصمك .. فأجابه المدعي بالايجاب .. فقال لــه الالشي : اذن تعال في المساء الى داري .. وفي المساء ذهب عبد النافع ابو غنيم الى دار القاضي الذي قدم له خمس ليرات ذهبية ومؤونة مــن طحين وزيت ودبس وبرغل وزيتون تكفيه لمدة سنة وقال له اكتب لي براءة تبريء فيها ذمة الله من ظلامتك .. ففعل .. فوضع القاضي البراءة فــي جيبه وقال للشهود الحاضرين الذين اشهدهم فيها : (انني سأوصي بانزالها في قبري .. واذا حاسبني الله سأعطيه هذه البراءة الشاهدة بتخليص ذمته من قبلي ليعفـو عنــي !!) .. واستطرد فارسنا يقول : لقد رواها لي المرحوم زاهد الالشي شخصيا ، وكان يتندر بها دائما في مجالسه الخاصة .. ويظهر ان قاضي المحكمة التي اشتكى اليها الشيخ احمد السلومي ، يخــاف الرئيس عبـد الناصر ، فرد دعواه !!

فارس الخوري .. وفيصل آل سعــود

قال لي فارس الخوري ذات يوم ، وكان الامير فيصل معتــزلا الحياة السياسية العامة في بلاده ، بعد ان امتدح لــي خلقه القويم وتواضعــه المحبب وشعوره القومي وتربيته الاسلامية الصحيحة ، كما امتدح لي مرونته وحنكته واخلاصه ، ووصفه لي بأنه من ابرز المصلحين العــرب واذكيائهم النوابغ .. قال لي :

« .. انه لو قدر للامير فيصل بن عبد العزيز أن يحكم فــي المملكة العربية السعودية وتطلق يده في العمل .. لادخل الكثير مــن الاصلاحات الجوهرية على بلاده بشيء من الحكمة والتؤدة اللتين تبعدان عــن المملكة ــ الخام ــ عواقب الطفرة ، وفي الوقت نفسه ترتفع بها الى مصاف ارقــى البلاد في الشرق الاوسط ، فلقد زاملت هذا الامير العربي في هيئة الامــم المتحدة ، فلمست فيه الكثير من الخصال والمزايا والصفات ، التي تجعلــه بنظري وبنظر كل من عرفه ، رجل دولة من ارفع طراز .. »

وقد توفي فارس الخوري قبل ان تسند مقاليد الحكم الــــى الامير

فيصل الذي ما كاد يتولى رئاسة الوزارة في بلاده حتى الغى **الرق** ونادى بالكثير من **المشاريع الاصلاحية** التقدمية مما جعلنا نعتقد – معشر المراقبين المتتبعين – ان المملكة العربية الشقيقة انما هي تشهد الان **ثورة سلمية** هائلة سيكون لها اثرها البالغ العظيم على جميع شعوب المنطقة بلا استثناء .. وان هذه البلاد التي شرفها الله بأن جعل فيها مولد **البعث المحمدي** قبل الف وثلاثمائة وتسعين عاما قد جعل فيها مولد البعث المادي قبل نيف وعشرة اعوام ولكنه لن يكون بعثا ماديا منفصلا بحد ذاته ، بل سيكون تتمة للبعث الروحي المحمدي لتتحقق بواسطته اعلاء كلمة الله ورفعة شأن العرب والاسلام .. « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » !!

فارس الخوري .. واعدام المرشد

يذكر السوريون ولا شك (مأساة) العائلة المرشدية في (جوبة البرغال) بجبال العلويين حينما اعتقل زعيمها (سلمان المرشد) وكان نائبا للحفة في مجلس النواب السوري عام ١٩٤٦ وعدد كبير من اولاده واقاربه واعوانه وحوكم امام مجلس عدلي لـ (جرائم) سابقة نسبت اليه ولما قيل عنه انه ادعى الالوهية حيث اعدم مع اثنين من اعوانه ونفي اولاده ونساؤه ورجاله الى اماكن مختلفة من سورية .. وما لبث اديب الشيشكلي ان اغتال ثالث انجاله المرحوم مجيب المرشد (بواسطة مدير شرطته العسكرية عبد الحق شحادة) ونفى نساءه ورجاله مرة اخرى !!

قال لي فارس الخوري ذات يوم : ان سلمان المرشد لم يدع الالوهية ولم يفرض الوهيته المزعومة على شعبه ولكن شعبه هو الذي اعتقد بألوهيته .. وحتى لو كان هو الذي ادعى الالوهية فليس في القانون ما يوجب اعدامه بهذه التهمة .

قلت له : لماذا اعدم سلمان المرشد اذن ؟!

قال : ظلما وحسدا وعداء ..

قلت : ومن هو الذي ظلمه ؟!

قال : سعد الله الجابري ..

واستطرد فارس الخوري يقول لي : لقد شردوا اولاده غدرا .. على كل حال ، انا ما كنت راضيا عن اعدامه !

وتذكرت (امارات الفرح الشديد) التي ظهرت على المرحوم مجيب

المرشد وشقيقه ساجي المرشد حينما علما بوفاة المغفور لــه سعد اللـــه الجابري عام ١٩٤٧ وكانا منفيين مع بعض اخوتهما ونساء والدهما ورجالهما عندنا في دير الزور وكيف راح مجيب رحمه الله يقول لي بلهجة كلها حقـد وتشف : (سيلتقي والدي وسعد الله المنتقم بين يـدي قاض عادل لا سبيل الى الشك بأحكامه .. بقي صبري العسلي الذي قبض المال الوفير من ابـي بحجة انه سينقذه من الموت فكان اول من غدر به واصر على تصديق مرسوم اعدامه ، وعادل العظمة ، ومحمد علي عزمت ، سيلتقون مع والدي فـي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .. ويومئذ ، الويل ثم الويل للظالمين) .

سعــد اللــه الجابــري

وعلى ذكر المرحوم سعد الله الجابري اقول انه كان صديقـا شخصيا لي ، عرفته منذ عام ١٩٤١ وهو العام الذي عاد فيه من العراق اثر تبرئتـه من تهمة التحريض على اغتيال الزعيم المغفور له الدكتور عبـد الرحمـن الشهبندر ومر بدير الزور – في طريق عودته الى حلب – وكنت يومئـذ فتى في الرابعة عشر من عمري ..

كان سعد الله الجابري رحمه الله عصبي المزاج محبـا للتسلط كثير التدخل فيما هو خارج عن صلاحياته .. سريع التقلب فـي آرائـه وكثير المخاوف .. والى جانب ذلك كان محدثا من الطراز الاول سريع الانتقـال ذكي الفؤاد ، حاد الذهن ، انيقا في كلامه كما هو انيق في لباسه ، ولكنـه كان مستأثرا يعمل دون مشورة ويقول بضرورة الاستبداد واشباع غريـزة الانانية ، لان من رأيه ان من لا يكون انانيا لا يكون مستبدا ومـن لا يستبد لا يفرض هيبته واحترامه على الناس ولا تظهر شخصيته .. هذا هـو منطقه وتفكيره ..

وكان السيد الجابري رحمه الله مسرفا مبذرا متلافا ، روى لـي الاستاذ فارس الخوري ان وفود الدول العربية اجتمعت مرة لمناسبة قومية كبرى في دمشق ، فأقامت الحكومة السورية التـي كان يراسها السيد الجابري حفلة عشاء كبرى في فندق الشرق الكبير كلفت الدولة مبلغ خمسة الاف ليرة سورية ، واقام الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود حفلة مماثلة اوصى على كثير من لوازمها ليؤتى بها بطائرة خاصة مـن ايطاليا .. وكانت من الابهة والعظمة بحيث بلغت نفقاتها خمسة وعشرين الف ليرة سورية ،

وفوجئنا بالسيد سعد الله الجابري يصدر اوامره الى ادارة الفندق بتقييد هذه النفقات على حساب الحكومة السورية ، ويقسم على الامير فيصل بالله الا يدفع منها قرشا واحدا ، وجن جنون مدير الفندق المذكور وراح يلطم نفسه ، لقد كان اعرف الناس بالحالة التي كانت عليها خزينتنا واعلمهم بالمصاعب الجمة التي سوف تعترضه عندما سيطالب بحقه ، هذا عدا عما كان يأمله من اكراميات (بقاشيش) ضخمة له ولخدمه ، لما اشتهر عن الكرم السعودي ووفرة غنى آل سعود ! !

وراح مدير الفندق يطالب الحكومة السورية بالمبلغ والحكومة تسوف وتماطل لعدم وجود مخصصات .. واخيرا اضطر لان يرفع شكواه الى المجلس النيابي ، فسألت سعد الله (والحديث للاستاذ فارس الخوري) عن سبب توريطه ايانا في هذا المأزق ، فأجابني بأن اعضاء هذه الوفود هم ضيوفنا ولا يجوز ان ندعهم يتكبدون نفقات الحفلات التي يقيمونها عندنا .. فقلت له : (وشو علاقتك انت ؟!! ان اخواننا السعوديين جماعة اغنياء وعندهم بترول ولا يهمهم دفع مثل هذا المبلغ التافه بالنسبة لهم في حين اننا نحن نعجز عن دفعه لان خزينتنا خالية الوفاض !!) .

وبعد اخذ ورد .. ووساطات .. تمكنا من تخفيض المبلغ من خمسة وعشرين الف ليرة سورية الى اثني عشر الف وخمسمائة .. دفعت لادارة الفندق بالتقسيط .

واستطرد الاستاذ فارس الخوري يروي لي : وكان السيد الجابري يكثر من دعوة اصحابه وزملائه لتناول طعام الغداء او العشاء او السهرة معه فلا يأتي اخر الشهر حتى يجد ان راتبه لا يكفي لتسديد ما بذمته من ديون فيهرع الى عمه الوجيه السيد فاخر الجابري يسأله المدد .. ويطالبه بحصته من سهم بسيط له في وقف ذري لآل الجابري ، ورغم ان هذا السهم الذي له لا يصيبه باكثر من مائة وخمسين او مائتين ليرة سورية سنويا على الاكثر .. فانه كان (وتدجحا) بالنسبة لاخينا سعد الله يحصل بواسطته على الالوف ..

ولكنه .. اذ كان يسرف ويبذر امواله .. تجده يتعفف عن اموال الدولة فلا يمد لها يدا بسوء ..

وروى لي المغفور له الاستاذ محمد سعيد الزعيم رئيس غرفة تجارة حلب السابق ان المرحوم الجابري عندما توفي كان مديونا ولم يكن لديه مال ولا عقار وليست عنده حتى نفقات **(جنازته) التي تكفل هو وبعض** وجهاء حلب بدفعها ليتمكنوا من اخراج جنازته بالمظهر الذي يليق بعظمته ومكانته.



العمراني الكبير الذي خلف في معظم انحاء سورية آثارا ناطقـــة بسهره واهتمامـــه والسياسي الداهية المشهور الذي تملص من الارتباط مع الافرنسيين باي قيـــد او شرط ، المغفور له الشيخ محمد تاج الدين افندي الحسني رئيس الجمهورية السورية الاسبق ونجل المحدث الاسلامي الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني طيب الله ثراهما ، ولقد بلغ من عفـــة الشيخ تاج الدين ونزاهته أن قصره في حي الحلبوني بدمشق قد بيع بعد وفاته من اجـــل وفاء الديون التي كانت متراكمة عليه لاشتهاره بالكرم والسخاء .. وهو لو شاء لاورث ولديه ضياء الدين وشمس الدين الحسني ، الملايين ، ولقد خلف ايضا ثلاث بنات هن (اسعـــاف الحسني) المتزوجة من الدكتور فريد الخانـــي الدبلوماسي والسفير السوري المعروف ، و (انعام الحسني) المتزوجة من الدكتور منير العجلاني الوزير والنائب والاستاذ الجامعـي السوري المشهور ، (واميرة الحسني) المتزوجة من الوجيه الدمشقي السيد رياض ديـــاب وجميعهن من آيات الفضيلة والحشمة والشرف في المجتمع السوري .

الشيخ تـاج الدين الحسني

واذكر انني سألت الاستاذ فارس الخوري عن المرحوم الشيخ تـاج الدين الحسني الداهية المشهور الذي بادل (الكتلـة الوطنية) الخصومة والعداء طيلة تاريخه .. وعن صحة ما كانت تقوله عنه هذه الكتلة من انـه انما كان صنيعة الفرنسيين وممالئا لسياستهم الاستعمارية فأجابني رحمه الله بأنه لم يكن كذلك ولكنه كان وطنيا سوريا مخلصا وعاملا بارا في الحقل العام . الا انه كان يختلف عنا معشر رجال الكتلـة بالاجتهاد فيقول ليس بالامكان ابدع مما هو كائن ولذا فانـه كان يتظاهر بالتفانـي بصداقتـه للفرنسيين لجلب اكبر نفع لبلاده ودرء ما يمكنه درءه من الضرر اضافة الـى انه كان عمرانيا كبيرا خلف اثارا كثيرة فـي مختلف انحـاء الوطن السوري ناطقة بفضله .. وسألته عما اذا كان راضيا عن دخول شقيقه فائز الخوري في الحكم كوزير للخارجية السورية في عهد الشيخ تاج غير الدستوري عام (١٩٤١ ــ ١٩٤٣) فأجابني : طبيعي انني كنت راضيا والا لمـا كان دخل الحكم واذكر انني قلت له .. العهد ماشي نيك وبلاك) ولانصارك مصالح يجمل بك ان تعمل لقضائها ثم انك تستطيع اداء ما يمكنك من خدمة للوطن.

واذكر ايضا ان الوطني الكبير السيد فخري البارودي اجابني عندمـا سألته عن وطنية الشيخ تاج بما يتفق وجواب الاستاذ فارس الخوري .

جميـل مـردم بـك

واستطعت ان اعرف من العلامة الاستاذ فارس الخوري الكثير مـن صفات الاستاذ جميل مردم بك الذي وان كنت اعرفه شخصيا الا انه لـم يكن هنالك صلة تواد وتزاور بيننا .. كان السيد جميل مردم مـن اقدر السياسيين على تسديد الاجوبة بلباقة ، وابرعهم فـي المداورات البرلمانية والتخلص من الاسئلة التي لا يريد ان يجيب عليها وكان كتلة مـن الحركة والنشاط داخل الحكومة وخارجها ، كما كان لا يمل مـن مقابلـة الانصار والدعاة ووجوه الاحياء والشباب الوطني ولا يمل من التحدث اليهم وقطـع الوعود لهم بقضاء مصالحهم اذ كان من اكثـر المسؤولين وعودا واكثرهم تنصلا من هذه الوعود .. اي انه كان يعـد ولا يفـي ويقول ولا يفعل .. ويتاون في الراي فلا تعرف متى يحزم قراره ومتى يثبت في قوله ثم انـه

كان من احرص الناس على المنصب وكان جلدا على المهمات ، سريع الذكاء في استنباط الحلول للمسائل المعقدة ، سريع الخاطر وقوي الحافظة .

كان جميل مردم بك يتصرف بالمصاريف المستورة على هواه وربما يختص نفسه بمعظمها ان لم يكن كلها فقد كان رحمه الله يحب المال حبا جما .. ويمد يده اليه عن أي طريق ، دخل الحكم عام ١٩٣٦ يلاحقه الدائنون في كل مكان باشمارات الحجز على امواله وخرج منه مليونيرا .. بعكس المرحوم الشيخ تاج الدين الحسني الذي اتضح بأنه توفي وهو رئيس للجمهورية عام ١٩٤٣ مديونا .. اضطر ابناؤه لبيع قصره في الحلبوني ليتمكنوا من وفاء ديونه بثمنه .

خالد العظم

وسألت فارس الخوري مرة عن السيد خالد العظم وعن الصداقة الوثيقة التي تربط بينه وبين ولده الدكتور سهيل الخوري وكانت معنا السيدة اسماء قرينته التي قالت : انها صداقة توارثها الابناء عن الآباء .. فأبا سهيل كان صديقا حميما للمرحوم محمد فوزي باشا العظم وكان زميلا له في عضوية مجلس المبعوثان العثماني . بينما قال لي فارس الخوري ان ولده سهيل يسهر عند خالد العظم للسمر ليس الا .. فسألته عن اثر مكافحة الشيوعية في نفس خالد العظم (كان ذلك في اواخر عام ١٩٥٨) فاجابني بانه لا يدري لان خالد العظم معروف بضبط انفعالاته لا يعبر وجهه عما في داخل نفسه ثم انه (صموت) لا يتكلم .. وهنا تدخلت السيدة اسماء وروت لي ان العظم كان متحالفا في الثلاث سنوات التي سبقت الوحدة مع الشيوعيين والاشتراكيين رغبة بالوصول ليس الا .. فقد كان يطمع بالحصول على منصب رئاسة الجمهورية .. كما روت لي عن تحالف الشيوعيين والاشتراكيين اثناء الانتخابات التكميلية التي اجريت في دمشق ربيع عام ١٩٥٧ أن حرم اكرم الحوراني وحرم صلاح البيطار وحرم خالد بكداش لم يكن يفترقن وكن يحرضن الناس على شتمها (اي شتم السيدة اسماء) واهانتها واتهامها بتوزيع الدولارات كرشوة للناخبين بسبب تأييدها للدكتور مصطفى السباعي ضد مرشح (التحالف الاشتراكي الشيوعي) يومذاك الاستاذ رياض المالكي .. فعقب الاستاذ فارس الخوري قائلا : **(الواقع ان خالد العظم رجل دولة من**



رئيس الوزارة السورية السيد خالد العظم يلقي كلمته الترحيبية بمناسبة زيارة المجاهدة الجزائرية جميلة بوحيرد لمدينة دمشق ، وقد جلست عن يمينه قرينته السيدة ليلى الشريف ، فالمجاهدة الجزائرية زهرة بوظريف فالدكتور معروف الدواليبي ، وعن يساره المجاهدة الجزائرية جميلة بوحيرد .

ارفع طراز ، وهو ذكي ولامع ونزيه عفيف اليد واللسان . الا انه من الناحية القومية ليس على شيء ، فلديه الاستعداد الكافي لمسايرة اي تيار يوصله الى مبتغاه .. ومبتغاه هو الحكم عن اي طريق) .

واذكر انني حضرت حديثا ذات يوم ، دار بين العلامة الاستاذ فارس الخوري وبين السيد عبد الصمد الفتيح عن كيفية اسقاط وزارة الاستاذ الخوري عام ١٩٥٥ وكان الفتيح من اعضائها .. ومما قاله فارس الخوري: (اما خالد العظم ، فقد ضرب المثل الاعلى بالوصولية والانتهازية .. لقد بلغ به الامر حدا انه اصبح ليس حليفا للبعثيين الاشتراكيين فقط وانما للشيوعيين ايضا .. لقد قلت له مرة .. يا خالد بك .. ما هو سر تحالفك مع الشيوعيين والبعثيين وهم اقلية ضئيلة لا يمكنها ان تنفعك بشيء ..

فاجابني ، صحيح انهم اقلية اليوم ولكنهم اكثرية المستقبل .. فقلت له : الك يا مجنون .. هذولة يوم اللي يصيروا اكثرية .. راح يتعرفوا عليك؟!!)
فقال عبد الصمد الفتيح : كان خالد العظم يحسن الظن كثيرا بالشيوعيين والاشتراكيين .. كان يريد الوصول الى رئاسة الجمهورية باي ثمن وعن اي طريق .. أن خالد العظم وصبري العسلي واكرم الحوراني وميخائيل ليان وخالد بكداش هم الذين اوصلوا البلاد الى هذه الحالة من حيث سوء اقتصادياتها وتذمر ابنائها .

فارس الخوري والمجمعين العلمي واللغــوي

سألت فارس الخوري مرة :
ما رأيكم في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وزميله المجمع اللغوي في القاهرة ؟!
قال : لم يؤد احدهما ولا كلاهما الواجب المفروض على كل منهما.
« وجدير بالاشارة اليه ان فارس الخوري هو من ابرز مؤسسي المجمع العلمي العربي ومن ابرز اعضائه !! » . قلت له مستفسرا : والسبب ؟!
قال : قلة الاجتهاد بسبب كسل الاعضاء !؟
قلت : وهل ترى من الافضل الابقاء على هذين المجمعين ام يجب الغاؤهما ؟!
قال : ان ميزانية كل منهما هزيلة لا تفي بالغرض المطلوب ، فاذا كان يمكن تقويتهما فذلك افضل ولاشك .. اما اذا لم يمكن تقويتهما فالاولى حل هذين المجمعين !!
واستطرد الاستاذ فارس الخوري يقول :
منذ عشرين سنة ، وهذان المجمعان منهمكان لوضع قاموس للغة العربية ، وحتى اليوم لم نلمس ما يوحي بقرب صدور هذا القاموس،واظن ان (موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الاسلامي) ستصدر قبل ان تطبع الملزمة الاولى من قاموسنا المرتقب ؟!
قلت (وكنت قد انتهيت من تدوين رايه هذا) :
هل تسمح لي ياباسهيل بتدوين رأيك هذا ؟!
فأجابني بحدة وانزعاج : لا .. لا .. لا اريد مهاجمة زملائي بعيب موجود بي شخصيا .. فانا ايضا قليل الاجتهاد بسبب الكسل !! .



العلامة الاستاذ فارس الخوري يتحدث الى الزعيم الاشتراكي المصري الكبير الاستاذ احمد حسين رئيس حزب (مصر الفتاة) الجالس عن يساره ، وعن يمينه المجاهد العربي الكبير الاستاذ محمد علي الطاهر (ابو الحسن) فالكاتب السوري المعروف المربي الفاضل الاستاذ حسني كنعان .

فارس الخوري .. والموسيقى

حدثني الكاتب المعروف الاستاذ حسني كنعان ، قال :

ضمني ذات يوم مجلس ، وصفوة من اعلام دمشق ، بينهم العالم والاديب والسياسي وجلهم من الذين شغلوا مناصب رفيعة في الدولة السورية ، اطلقوا على مجموعتهم الفذة هذه اسم **(مجلس الشيوخ)** يجتمع اعضاؤها في بيوت بعضهم بعضا ، وقسموا ايام الاسبوع فيما بينهم للاجتماع . والاحاديث التي يتجاذبون اطرافها في جلساتهم تدور حول الادب والفن والامور العامة ، فلا يمل من يحضر جلساتهم لكثرة ما يدور فيها من بحوث وطرف ونوادر !!

وصدف ان سألني **العلامة الاستاذ شاكر الحنبلي** عن رأيي فيما سماه(**الموسيقى المخنثة التهافتة التماوتة**) التي نسمعها من محطات الاذاعة العربية والتي يسمونها الموسيقى العصرية الحديثة المزيجة من الانغام الاوروبية ، فاجبته انني احارب هذا النوع من الفن المختلط الذي افسد علينا سحر فننا العربي القديم ، وامقته ، **وان لنا تراثا فنيا ممزوجا بمعاننا ومندمجا بماضينا فيه السحر والنشوة والمتعة والطرب ، وان لكل امة من الامم طابعها الخاص في فنها الغنائي ، تحافظ عليه لارتباطه بماضيها وعاداتها ورغباتها وميولها ، فهي بموسيقاها المتوارثة تعبر عن حياتها ونهضتها وخلجات افئدتها ..** وقلت بان لا مانع من دمج موسيقانا العربية بشيء من الالحان الغربية والموسيقى العالمية كما هو حال الالحان الحديثة الصامتة التي نسمعها في قطعات الموسيقار **محمد عبد الوهاب ، وعطية شرارة ، وانور منسى ، والاخوين عاصي ومنصور رحباني ،** وغيرهم من ابطال التجدد والتصنيع وان مثل هذه تكون مقبولة ومحببة الى النفوس .

وهنا تكلم العلامة الاستاذ **فارس الخوري** مؤمنا على ما ورد في كلامي وقال :

في الحقيقة ان الموسيقى الغربية ناشزة على مسامعنا ، بعيدة عن انغامنا ، لا تستسيغها آذاننا استساغتها للالحان الشرقية لاننا ما الفناها ، وكثيرا ما كنت اعتذر عن حضور الحفلات التي تعرض فيها هذه الالحان يوم ادعى اليها في ديار الغرب ولا سيما الحفلات التي تعرض فيها الالحان التي يطلق عليها اسم (الجاز) فاين منها الغناء العربي والالحان الشرقية، وانا من الذين يفضلون ان يسمعوا الغناء العربي من اصوات الاناث لا من اصوات الذكور ، مع ان الاناث ليس بينهن من يجدن او يعرفن صناعة التلحين ، لا في الشرق ولا في الغرب ، وانما يجدن صناعة الغناء ،وخشونة اصوات الرجال ...

وراق لي ان اداعبه (والحديث للاستاذ حسني كنعان) فقاطعته بقولي:

طبعا .. الغناء يلذ لك من فم تشتهي ان تلثمه لا ان تلكمه ..

فتعالت اصوات (الهتاف) لهذه (النكتة) وانهال (الشيوخ) على صاحبهم فارس الخوري بشتى عبارات الدعابات المماثلة لها يطرفونه بها .. وهنا روى العلامة المغفور له **الشيخ عبد القادر المغربي** ابياتا بهذا المعنى قال :

ان الغناء الى النفوس محبب لكن على شرط فخذ تفصيله
لا تسمعنه قط الا من فم حلو المراشف تشتهي تقبيله

سبحة فارس الخوري عام ١٩٠٦
وسبحة شاكر الحنبلي عام ١٩٥٦

كان الاستاذ فارس الخوري في شهر اذار ١٩٠٦ يزور صديقه الكاتب الشاعر سليم العنحوري فاذا بسبحة الاستاذ الخوري تنفرط وتتناثر حباتها في ارجاء البهو ، فنهض السامرون يلتقطونها من هنا ومن هناك ، الا حبة واحدة ، زاغت وتوارت ، وضللت الباحثين .

وانصرف فارس الخوري الى داره ، ومن هناك ارسل الى صديقه الاستاذ العنحوري يوصيه بالبحث عن حبة (السبحة) وارجاعها اليه ويداعبه ويحمله مسؤولية ضياعها ان فقدت ، وقد صاغ الاستاذ الخوري رسالته في قصيدة رشيقة هي :

حلت بدارك سبحتي فجمعتها واضعت حبه
صدع الفؤاد بفقدها وغدوت ارجو منك رأبه
هي حبة القلب التي ملكت حشاشته ولبه
ضيعتها في ليلة حلت بها في النفس كربه
قضيتها والقلب لا يقضي تلهفه وندبه
فوددت ابقى في حما ك لعل خيرا في المغبه
اني احب جوارها حتى ولو سقطت بخربه
فتشته ولو ارتضيـ ـت بمنيتي لاخترت نقبه
حتى يئست ولم اجد احدا معي للامر يأبه
فخرجت مكتئبا يضيـ ـع بفسحة الاسواق دربه
والغم ضيق في سبيلي من فضاء الله رحبه
وبقيت مشدوها كمن وقع الخطوب اطار لبه
خوفي اذا وجدت تخبئـ ـها وتتركني مسبه
خوفي لانك شاعر في السلب ليس يخاف ربه
أفما سلبت البحر جو هره وغادي السحب سكبه
وعرجت للفلك الرفيـ ـع تنول رونقه وشهبه
أوما نهبت لشعرك اليا قوت واستحللت نهبه

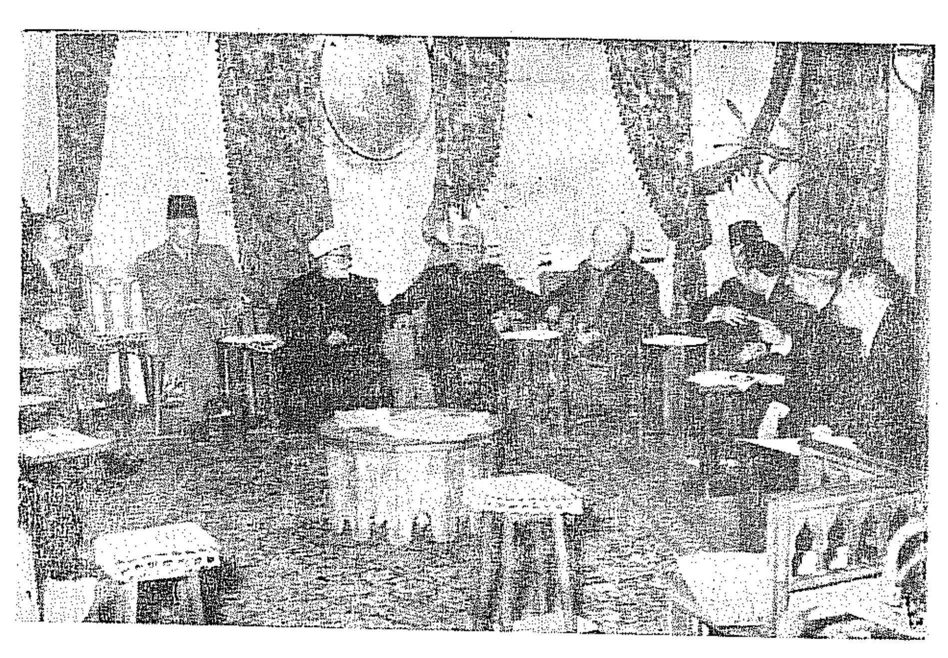
وسـرقت تبـرا واستبحـ ـت لقـالب الاشعـار صبـه
حتـى علـى الصدف انحنيـ ـت لجمعـه واخـذت قلبـه
ودخلـت روض الـزهر تقـ ـطف زهـرة وتسيغ عـذبه
غـارت وقـد شهدت قـر يضـك لـؤلـؤا احسنـت ثقبـه
مرجـانة ومـع الـلآ لـيء أنشأت فـي البحر صحبـه
حنـت وودت أن يكـو ن لهـا بسلـك الشعـر رتبـه
هـي درة عنـدي تظـن بـانها فـي دار غـربه
نظـرت زعيـم الـدر فـار تكضـت اليـه تـريد قـربه
غـاصت ببحـرك انمـا لـك بانتشـال الـدر دربـه
حجـر كـريم يـزدري فـي البحـر لـؤلـؤة ويشبـه
واذا تـوخى قبـة الـ ـفلك المرصـع صـار قطبـه
جمعـت صـواحبها وان الفضـل اجمـع ان تـربه
انـي اخـاف علـى بقيـ ـة سبحتـي تمنـى بنكبـه
احببتهـا والمـرء مفـ ـجوع الفـؤاد بمـا احبـه
فكـأني المطعـون ان ذكـر الطعـان يمـس جنبه
وكـأنني يعقـوب ضيـ ـع يوسفـا فاطـال نحبـه
وكـأنني صـب لـه رشـأ جـزى بالهجـر صبـه
وكـأنني ايـوب حيـ ـن نعمـد الرحمـن ضـربه
وكـأنني بالحـزن آ دم اذ رأى ملكـا وعضبـه
وكـأنني دنـف اضـا ع طبيبـه فـي الـداء طبـه
وكـأنني سـار اضـل بمجهـل البيـداء ركبـه
لـم يحـو قطـر آلشام شيـ ـئا بالبهـاء بهـا يشبـه
واذا شككـت بمـا اقـو ل فسـل اعـاجمه وعـربه
مـن صـار فيهـا هـائما سفـح الدمـوع يصير دأبـه
انـي وعـدت بسبحتـي خـودا علـى الولهان صعبـه
ظـلامة للصـب مهجتـ ـها كقلـب الصخـر صلبه
ليكـون عقـدا بهجـة النحـر المنـير تـزيد عجبه
عقـدا لمـروحة شـذا هـا للنسيـم يطيـب هبـه
وحسبـت انـي استميـ ـل فـؤادهـا وازيـل عتبـه
عللـت نفسـي بالهنـا وبنيـت للآمـال قبـه
تلـك الامـاني اصبحـت حلمـا لوسنـان تنبـه

حـــذري علـــى قلبـــي اذا وجـدت نجـاز الـوعد كــذبه
مـــاذا اقـــول وسبحتـــي نقصـــت وصـرت اخاف اجبـه
فحبيبتـــي تهـــوى الكمـا ل ومـا لهـا بالنقص رغبـــه
وتحـــاش هجـــرة صـــاحب ان كـر لست تطيـق حـــربه
فابعـــث بضـــائعي اذا شئـت البقـــاء علـــى محبـه

فارس الخوري

وبعد خمسين عاما ، وفي اذار بالذات من سنة ١٩٥٦ كان اصدقاء فارس الخوري يزورونه في داره كعادة (شيوخ الشام) في كل ليلـــة ، حيث يوالون جلسات السمر والحديث في كل امسية عند واحد منهـم على التوالي .. واذا بسبحة العلامة الاستاذ شاكر الحنبلي تنفرط بغتة وتتطاير حباتها في انحاء بهو منزل فارس الخوري كما تناثرت سبحتـه هو في دار سليم العنحوري قبل خمسين عام ، فبادر السامرون الـى جمع شمل حبات سبحة شاكر الحنبلي وكان المجاهد الكبير الاستاذ ابو الحسن محمد علي الطاهر اكثرهم اصرارا على جمع الحبات كلها حتـى بين الكراسي وتحت الارائك . ولكن حبة منها ابت أن تظهر ، حالها فـي ذلك كحال حبة سبحة فارس الخوري قبل نصف قرن ، وفي اليوم التالي بعث العلامة الاستاذ شاكر الحنبلي عليه رحمة الله الى صديقه فـــارس الخوري يطالبه بحبة السبحة ويعتبره مسؤولا عنها بقصيدة من نفـس الوزن .. كما صنع الخوري قبل خمسين عاما مع العنحوري ، قال :

فـــي مجلـس الاشيــاخ اصــ ـــغينا الـى شيـخ الشبـاب
اعنـــي (ابـا الحسن) المجـا هـد ذا الحـديث المستطـاب
بجهـــــاده ونضــــاله وثبـــاته قهـــر الصعـــاب
مـــن جهـــره بالحـــق قـد ذاق التشـــرد والعـــذاب
فهـــو الوفـــي لصحبـــه وهـــو الابـــي عـــن الكذاب
فكـــــلامه وبيـــــانه حلـو يسيـل لـــه اللعـــاب
وحـــديثـه مهمـــا تكـــرر واستطـــال حـــلا وطـاب
فاحــــذر يـــراعته فـــان لحـــدها ظفـــرا ونـــاب
خلـــب العقـــول بنطقـــه حتـــى الجمـــاد لـه استجاب
وسبحتـــي قـــد هـــزها وجـــدا فمـــزقت الاهـاب
وتبعثـــــرت حبـــاتهـا وتنـــاثرت مثـــل الحبـاب



العلامة فارس الخوري يتوسط بهو منزله في جلسة (مجلس الشيوخ) ملتفتا نحو معالي الاستاذ بديع المؤيد العظم فالمغفور له الشيخ عبد القادر المغربي فالمرحوم الاستاذ شاكر الحنبلي فالدكتور نجيب الارمنازي ، الجالسين الى يمينه ، وعن يساره الدكتور اسعد الحكيم الاستاذ في المعهد الطبي سابقا فالاستاذ احمد حسين زعيم مصر الفتاة فالمجاهد العربي الكبير الاستاذ محمد علي الطاهر (ابو الحسن) فالمربي المغفور له الاستاذ جودت الماردينـي .

❁

فمضـى يلـم شتاتهـا	ويعـد منهـا مـا أصـاب
فـاذا بـواحدة تغيـ	ـب وتختفـي وسط الرحاب
وكـأنما تبغـي قـرى	حتـى توارت فـي الحجاب
فـي بيـت فارسنا الجليـ	ـل المجتبى بين الصحاب
احسـن قـراها يـا جـوا	د وردهـا بعـد الغيـاب
لا زال بيتـك عـامرا	وشيـوخ صحبـك في شباب

***

كنـا بـآذار نعيش وليـ	ـتنا فـي شهـر آب
فالقـر آذانـا وخلـ	ـنا انـه (كانـون) آب

واليوم كان الاربعا … ء وفي الخميس اتى الجواب
بإياب حبتنا اللعو … ب مصونة من كل عاب
فشكرت مقريها المحب … ب صاحب النكت العذاب
بحر اذا يممت سا … حله دهشت من العباب
فخر العروبة لا جدا … ل وسيفها يوم العذاب
كم سل في وجه العد … و فجاء بالعجب العجاب
في المجلس الدولي شا … د لقومه مجدا يهاب
ما صال في ميدانه … الا وكان له الغلاب
دمغ اليهود بحجة … تعنو لقوتها الرقاب
يا قوم صهيون اللئا … م لقد دنا يوم الحساب
سترون عند الملتقى … ما تفعل الاسد الغضاب
سنرد حقا بالقنا … من بين انياب الذئاب
حقق الهي نصرنا … وافتح علينا خير باب

شاكر الحنبلي

كيف يفرض الزعيم احترام امته له

روى لي السيد مراد زكي المرادي قال :

كنت الاحق معاملة تتعلق بتخصيص راتب تقاعدي لعمي المجاهد (محمد علي المرادي) وصدف ان كانت رئاسة اللجنة التي تنظر بالطلبات، معهود بها للاستاذ حنا مالك الامين العام لرئاسة مجلس الوزراء . فابلغني الاستاذ مالك رفض المعاملة رغم قانونية الوثائق المقدمة فيها بدعوى انها تأخرت عن موعدها وعين لي تاريخا كان من المستحيل على عمي فيه ان يدخل سورية بسبب حكم الفرنسيين عليه بالاعدام . فدخلت الى الاستاذ فارس الخوري رئيس الوزراء وشرحت له القضية فاستدعى حنا مالك لعنده وقال له : **(لو انصفنا الناس لانصفونا)** واتى بمثال ، على كلمة مأثورة لجورج واشنطن ، محرر الولايات الامريكية المتحدة عندما تولى رئاستها وقال بما معناه ان الذي يتزعم الامة لا يكرهها على الاحترام بل يفرض عليها ذلك الاحترام .. ويقصد .. ان الزعيم انما يفرض احترام امته له بعمله وانصافه لها .

فارس الخوري وزواج الحب والحب العذري !

وسألت فارس الخوري ذات يوم : ما رايكم في زواج الحب ؟!

قال : حسن !!

قلت : وما وجه الحسن فيه ؟!

قال : تعذر الندم عليه ، ثم ان الحب هو احد دوافع التجانس والانسجام والشفيع عند الاخطاء !!

قلت : وما رأيكم في الحب العذري ؟!

قال : لا اؤمن به ..

واستطرد فارس الخوري يقول لي : اذا كان الحب بين جنسين مختلفين لا يمكن ان يكون عذريا لان الغاية فيه معروفة . اعني ان الجاذب اليه والمحرك له معروف ، وما دام هذا الجاذب وذلك المحرك (لا يمكن اهمالهما وانكار وجودهما) فهما الدافع الى الحب .

قلت : وهل يستحيل قيام الحب العذري بين الذكر والانثى ؟!!

قال : نعم يستحيل .. لان لا هدف له . والحب بغير هدف لا يستقيم!!

هل يمكن محاكمة خالد بكداش ؟!

كنا ذات يوم في مجلس الاستاذ فارس الخوري نتحدث عن التحالف الشيوعي الاشتراكي الذي كان سائدا في عهد الانحلال السياسي الذي سبق الوحدة السورية المصرية .. فقلت : (... ما من رجل يعتز بكرامته القومية وبماضيه الوطني وبشرفه وخلقه .. يرضى على نفسه ان يتعاون مع اناس تابعين لدولة اجنبية ويجاهرون علنا بتبعيتهم لها دون خجل ولا حياء . واظن الاخ عبد الصمد يذكر عندما كنت في مكتبه في شهر نيسان ١٩٥٦ بمجلس النواب وكان محتشدا بالزوار ودخل خالد بكداش فنهض الجميع لتحيته واستقباله الا انا .. فقد بقيت جالسا في مكاني لا اكترث لقدومه وتشاغلت عنه بدفتر كان بيدي .. وصافح خالد بكداش الموجودين فردا فردا .. الا انا ، فانني لم امد يدي لمصافحته ، وجلس قبالي فترة غير قصيرة دون ان اباشر معه حديثا ما .. وعندما اراد الخروج من المكتب صافح جميع الموجودين ومنهم من كان على يميني ومنهم من كان على يساري الا انا .. لم اقف كما وقفوا ولم

اءد يدي اليه .. لانني لا تشرفني مصافحة رجل يخدم مصلحة الاجنبي ويجعل من نفسه عدوا لبلاده ومواطنيه . فقال السيد عبد الصمد الفتيح : رايت خالد بكداش واكرم الحوراني في احد ابهاء المجلس النيابي يتساروران ولم يكونا ليفترقا فقلت لاكرم الحوراني سيأتي يوم تقع فيه الواقعة بينكم وبين الشيوعيين ويأكلونكم اكلا .. لانهم اقوى منكم وانجح تكتيكا .. بينما سنقف نحن على الحياد . فقال لي اكرم : وكيف تقفون على الحياد ولماذا ؟! فقلت له : لانكم لم تبقوا لاحد منا كرامة او حرمة بعد اذ هدمتم كل القيم والرجالات .. فكلنا بنظركم جواسيس وعملاء استعمار وخونة .. ووجهت كلامي الى خالد بكداش بقولي : واستطيع يا خالد بك ان اهنئك منذ الان برئاسة الجمهورية السورية وانا اعلم انك ستبطش بنا رغم سكوتنا وبرغم وقوفنا على الحياد في معركتك مع اكرم الحوراني بعد اذ تنتهي من تصفيته .. وهنا سألت فارس الخوري عن رأيه بمشكلة خالد بكداش وما اثاره خطاب كان القاه في تلك الايام في الصين الشعبية وادى لانسحاب بعثة الجمهورية العربية المتحدة الدبلوماسية كما ادى لنشوء زوبعة في العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وبكين . فاجابني بانه لم يطلع بعد على النص الكامل لخطاب خالد بكداش الآنف الذكر .. فسألته عما اذا كانت تجوز محاكمته بسبب ذلك الخطاب حيث تفكر حكومتنا بذلك فاجابني فارس الخوري بقوله :

(ان محاكمة محاكمنا لخالد بكداش بسبب آرائه السياسية التي يجاهر بها في الاوساط والمحافل الشيوعية محاكمة غير مجدية ، بل هي مضيعة للوقت . لانه اذا كان المقصود بمحاكمة خالد بكداش التشهير به واثبات التهمة عليه فالتشهير واقع والتهمة ثابتة بنشاطه السياسي واقراره واعترافه دون حاجة للمحاكمة . اما اذا كان المقصود معاقبته ، فسواء أحوكم أم لم يحاكم ، صدر الحكم له او عليه ، فهو ذو عقيدة واضحة ورأي صريح ومبدأ معروف . ثم انه يقيم خارج البلاد وهو لن يعود الى وطنه قبل أن يكون الامر فيه كما يحب ويهوى . فاذا آل الامر لما يرضيه فسيكون الحكم الصادر ضده ، الطي والاهمال . واذا بقي الوضع على حاله ووقع خالد بكداش بيد السلطات بطريقة ما فسيتوجب عليها اعادة محاكمته لان الحكم الغيابي يصبح لاغيا . فليوفر حكامنا وقتهم وليصرفوه على ما هو اجدى وانفع لهم وللشعب) .

أحكـــام المهـــداوي

واثناء محاكمات بغداد الشهيرة كنت اتطرق مع الاستاذ فـــارس الخوري على ذكر العقيد فاضل عباس المهداوي رئيس ما سمي بالمحكمة العليا الخاصة فيصفه لي الاستاذ الخوري بانه عبارة عن مهرج لا يحتـــرم نفسه ولا يحترم المنصة التي يجلس عليها .. حاله في ذلك كحال جمال سالم في مصر عام ١٩٥٤ أو عفيف البزري في سورية عام ١٩٥٧ .. بل ان المهداوي قد فاق على البزري بكثير وتركه في أول الطريق ، وكـــان الحديث يجرنا الى ذكر احكام الاعدام التـــي كان يصدرها العهد الكاستروي في كوبا (كان هذا في كانون الثاني ١٩٥٩) فيصفها فارس الخوري بانها عبارة عن **جرائم وحشية يرتكبها الغالب بحق المغلـــوب ويطلق عليهـــا اسم الاحكـــام .**

ويستطرد فارس الخوري وهو يحدثني : انهم اليوم في كوبـــا يحاكمون كبار موظفي الدولة الذين هم مـــن خيرة رجالات ذلك العهـــد وصفوتهم .. بتهمة التعاون مع العهد السابق .. **كما حاكم المهـــداوي بعض كبار ساسة وموظفي العراق بتهمة عدم استقالتهم من الحكم ومن وظائفهم في العهد المباد .. كما يسمونه .. وليت شعري .. هؤلاء الذين يحاكمون المقصرين عن الاستقالة ، واعني الذين اجلسوا انفسهم على منصة القضاء اليوم .. لماذا لم يستقيلوا هم الاخرون ؟!! الم يكونوا هم انفسهم ضباطا في القوة المسلحة التي كانت تحمي العهد المباد ؟!!**

ويتنهد الاستاذ فارس الخوري وهو يقول لي : **(لعمري .. انهـــا لبدعة سيئة تلك هي بدعة محاكمة الموظفين بتهمة التعاون مع العهـــود السابقة) !!**

وعندما اشيع نبأ اقصاء المهداوي وانهاء اعمال محكمته .. جئـــت الى فارس الخوري اخبره بذلك . فقال لي ((حلهم يقصوه ويقعدوه ببيتو .. خاوه كل ها المدة مثل الكلب السعران !!) .

مأثرة تسجل .. لخالد العظم

عندما اصيب فارس الخوري بالكسر الاليم ، جاء يزوره ، السيـــد حامد الخوجة فما كاد فارسنا يراه حتى شد على يده والتفت الى مـــن



من اليمين الى اليسار : المحامي الاستاذ عادل العجلاني ، الدكتور عبد المجيد هنداوي ، الرئيس خالد العظم ، الدكتور حسان دهموش المشهور ، محمد الفرحاني ، العلامة فارس الخوري

حوله من اطباء وزوار وقال لهم : (هذا هو حامد بك الخوجة الذي رفض تصديق احكام الاعدام على الابرياء) واستطرد يقول وهو لا يزال ممسكا بيد حامد الخوجة : (عندما صدرت احكام الاعدام عن قبل عفيف البزري على الاتاسي والعجلاني والعمري ورفاقهم كان خالد العظم قد سافر الى مصر موكلا حامد الخوجة بمهام وزارة الدفاع كي يضع على عاتقه مسؤولية تصديق هذه الاحكام ، وعندما سمعنا ان حامد الخوجة هو وزير الدفاع بالوكالة ادركنا ان هذه الاحكام لن تصدق نظرا لما نعرفه فيه من الاصالة والمروءة وكرم العنصر وشرف النفس .. ولما عاد خالد العظم الى دمشق ووجد ان الاحكام المذكورة لم يبت بها بعد ، زارني فورا في منزلي واستشارني في امرها مظهرا خوفه الشديد من ان يؤدي به رفضه تصديق هذه الاحكام لما لا يحمد عقباه بالنسبة اليه . واذكر ان خالد العظم قال لي يومذاك .. انا اعلم انه في الساعة التي اصدق فيها هذه الاحكام فلسوف يضع الناس الى جانب اسمي كلمة ـ السفاح !! ـ

وسترافقها ابد الدهر .. ولذلك لو قطعت يدي، فلن اصدق هذه الاحكام، فشجعته على التصلب في موقفه هذا وقلت له .. مهما ينالك من اذى فلا تصدق هذه الاحكام الجائرة الظالمة .. كما انه .. يجب عليك الا تستقيل من منصبك لان استقالتك ربما تيسر لهم الاتيان بغيرك من ضعاف النفوس واصحاب الاغراض فيصدقها !! .. وكانت النتيجة ان خالد العظم تصلب في موقفه هو الاخر وخفضت الاحكام عن هؤلاء المظلومين!!).

(وحول هذا الموضوع عبر لي فارس الخوري اكثر من مرة انه يعتبر تصلب السيد خالد العظم الآنف الذكر ورفضه تصديق الاحكام المشار اليها .. مأثرة خالدة في تاريخ سورية سيسجلها التاريخ لخالد العظم) .

الجزائر ، وحكمة الجنرال ديغول

وكان فارس الخوري يتتبع باهتمام كبير تطورات مراحل الثورة الجزائرية ويصرح دائما باعجابه الشديد بالبطولة الفذة النادرة التي يبديها جيش التحرير الجزائري ويتفاءل خيرا بمستقبل الجزائر .. ولكنه توفي قبل ان تتحقق امنيته برؤية الجزائر وقد اضحت دولة مستقلة ذات سيادة كاملة .. الا انه كان يعتقد بأن هذا الاستقلال ، لا بد آت !!

وعندما اعتقل القادة الجزائريون الخمسة (في اواخر عام ١٩٥٦) كنا في حضرته ، وكانت العواطف مهتاجة لهذا الحدث الغريب ، والخواطر ثائرة ، وسألته عن رأيه ، فأجابني والالم يعصر نفسه : **(انها قرصنة لا تقدم عليها دولة تحترم نفسها) !!**

وعندما اعلن تشكيل حكومة الجزائر المؤقتة برئاسة الاستاذ فرحات عباس في ايلول ١٩٥٨ سألته عن رأيه في هذا الحدث فاجابني : (ان اعلان حكومة الجزائر الحرة حدث عظيم له اهميته الكبرى في المجالات الدولية وهو وسيلة نبيلة اقرها القانون الدولي لتقرير حق الشعوب) واضاف : (ان الشعب العربي في الجزائر يكافح من اجل حقوقه وحريته وسيادته ، والقانون الدولي ينص على حق تقرير المصير للشعوب ، وميثاق الامم المتحدة الذي اشتركنا في وضعه والمصادقة عليه يعتبر حق تقرير المصير للشعوب من صميم حقوق الانسان) .

هذا ..



الجنرال شارل ديغول رئيس الجمهورية الافرنسية

**

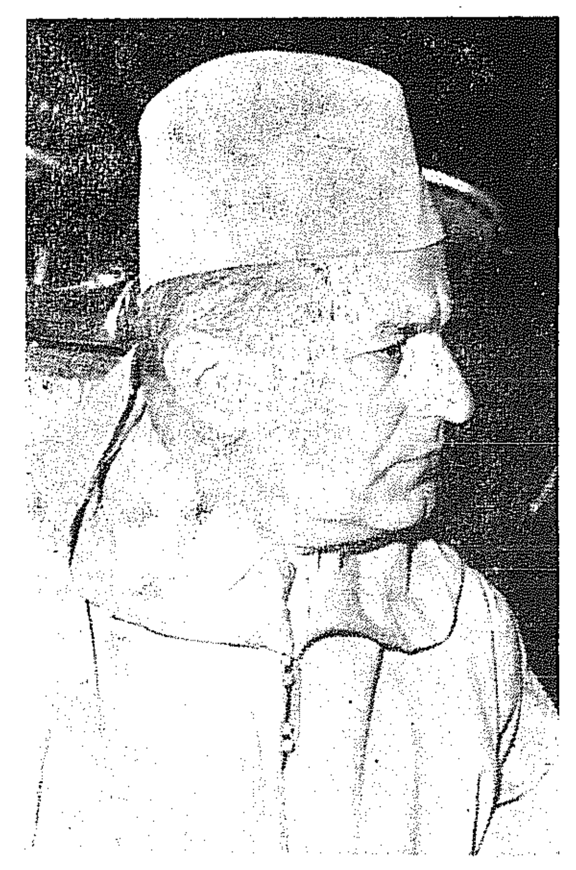
وفي الوقت الذي كان فيه معظم الناس يتشاءمون من استيلاء الجنرال شارل ديغول على مقاليد السلطة في فرنسا عام ١٩٥٨ بالنسبة للقضية الجزائرية كان فارس الخوري يخالفهم ويقول لي : (ليس كالجنرال ديغول من يقدر على حل القضية الجزائرية حلا قريبا من العدل والمنطق والمعقول).

وكان كلما سمع تصريحا للجنرال المذكور ، فيه صدمة للاماني العربية القومية في ذلك القطر الشقيق المجاهد ، اراه يقول لي : (انا لا اريد ان اسلم بأن فرنسا قد قالت كلمتها الاخيرة لان النتائج ستكون وخيمة ولان الحرب الجزائرية الفرنسية ستطول فيما لا طائل تحته بالنسبة لفرنسا اذ لا بد للجزائر من الانتصار في العاجل او الآجل وكلما سارعت الحكومة الفرنسية بالاستجابة الى رغبة الشعب الجزائري في الحرية والسيادة والاستقلال ، كلما وفرت دماء واستلت من القلوب سخائم واحقادا ، وضمنت اقامة تعاون وثيق مع جزائر الغد) !!

وكثيرا ما صرح فارس الخوري لي باعتقاده ان الجنرال شارل دي غول قد (اعتبر) على ما يبدو ، بخلاف غيره من الفرنسيين ، بما يجري في العالم من احداث ، وانه لا بد سيقوم باعمال رائعة في الجزائر خالدة في تاريخ فرنسا خصوصا وان الجزائر قد استثارت اعجاب العالم وتقديره وبرهنت على جدارتها بكل كرامة بما اظهرته من ثبات وتضحية واقدام. الا ان الجنرال ديغول لا بد وان يسير في سياسته السير الوئيد لان هنالك الكثيرين من الفرنسيين الذين لا يريدون الرضوخ بسهولة الى منطق التاريخ ، وهؤلاء المتمنتون فيما ليس يجدي عليهم باية فائدة ، لا افهم معنى تفويتهم لفرص عديدة يستطيعون اغتنامها وهي في متناول ايديهم ، ليشيدوا في الجزائر خاصة وشمالي افريقيا عامة بل وفي العالم العربي والاسلامي اجمع صرح صداقة مخلصة سليمة من كل شائبة ، مطهرة من جميع نوايا السيطرة والاستعباد . ولقد سبق لي ان شرحت نظريتي هذه للعديد من رجالات فرنسا الذين التقيت بهم في دوائر الامم المتحدة ومنهم من عرفته في السابق معرفة شخصية منذ ان كانت فرنسا تحتل بلادنا . وكنت اشرح لهم الاحوال الراهنة لقضايا شمالي افريقيا .. قضايا المغرب والجزائر وتونس والتطور العام الحاصل في كل منها ، ولكن هنالك بعض اليمينيين المتطرفين الذين يأبون ان تتخلى فرنسا عن دورها الاستعماري العريق في تلك البلاد ، وهؤلاء يشكلون خطرا اكيدا على نظام الجنرال دي غول نفسه .. الا انني اعتقد ان سير التاريخ لا بد ان ينتهي لزحزحة اكثر الناس تصلبا عن مواقفهم .. لانه مما لا يقبله عقل .. بقاء النظام الاستعماري قائم بالذات في هذا العهد الذي سجلت فيه احداث جسام قضي بها على الاستعمار في جهات عديدة .. وانني اتوسم بالجنرال شارل دي غول ادراكا عميقا جيدا ، وانه سيفعل شيئا ما قبل فوات الاوان .. وبذلك يكون قد قام بعمل مجيد يحفظ في الصحائف البيضاء .

المغرب العربي ومليكه المجاهد

وما دمنا في ذكر فرنسا وسياستها في المغرب العربي اشير الى انه عندما امتحن **السلطان محمد بن يوسف** عاهل المغرب العربي طيب الله ثراه ، بتلك القوة الاستعمارية الباطشة عام ١٩٥١ يوم خلعه الافرنسيون عن عرشه ، ونفوه عن بلاده ، ووضعوا مكانه واحدا من صنائعهم ، كان فارس الخوري رئيسا للوفد السوري لدى هيئة الامم المتحدة ، فما كان منه الا ان تقدم بالشكوى لدى مجلس الامن الدولي ضد هذا الاعتداء الصارخ ، ثم اوعز اليه اديب الشيشكلي الذي تسلط على الحكم في سورية اثر انقلابه الرابع



الملك العربي المجاهد محمد الخامس بن يوسف عاهل المغرب العربي الراحل

***

المشؤوم ، بسحب تلك الشكوى ، ممالأة منه لفرنسا التي ساعدته في انقلابه الآنف الذكر . فكان ان حل العراق محل سورية في متابعة الشكوى من الناحية الرسمية ، ولكن فارس الخوري لم يفتر لحظة عن تنبيه رجالات العالم الى مدى خطورة ما اقدمت عليه فرنسا ، وصبر عليه السلطان المنفي بعزيمة لا تقهر مضحيا باعز ما يملك المرء في دنيا الناس ومثبتا للملأ كافة أن الحياة بلا حرية هي ليست بافضل من الموت وان الابعاد والتشريد هو خير من البقاء على عرش لا يملك الجالس على ذروته من امر نفسه ومن امر شعبه شيئا .

ويذكر المتتبعون ما قابل به احرار العالم صنيع هذا العاهل العظيم من تجلة واكبار وتقديرهم العظيم لشهامته ولفدائه وتضحيته واعجابهم بروح

كبريائه على المستعمرين المغرورين فكان ان لم يمكث في المنفى سوى سنوات معدودات قاربت الاربع عاد بعدها الى العرش منتصراً انتصار الحق على الباطل والحرية على الاستبداد .. واذكر ان فارس الخوري قال لي في ايامها ــ وكان قد عاد من هيئة الامم المتحدة ــ وفي نفسه اسى وحسرةلعدم تمكنه من الاستمرار في نصرة قضية الملك المنفي ، ان محمد بن يوسف قد جعل من نفسه القدوة الحسنة حينما جازف بعرشه يوم رفض مساومة الاستعمار له على مصالح بلاده وشعبه العربي في مراكش ، كما فعل من قبله ملك تونس الاسبق **السيد محمد المنصف بـاي** ، فكان ان ثارت مراكش باسرها انتصارا لسلطانها الحر الابي واستماتت بنضالها مؤكدة للعالم كله عزمها وتصميمها على انها ستسترد حريتها وحقوقها او تستشهد وتفنى دون هذه الحرية وتلك الحقوق . وراحت فرنسا تبذل ما وسعها من جهد لاقناع الرأي العام الخارجي بان مراكش راضية عن عزل سلطانها ولم تنس ان تتبع اساليب خبرناها وبلوناها من حيث اعتمادها على التفريق والمغالطة وعلى مساومات تحمل في ظواهرها فضلا عن بواطنها سوء النية جليا واضحا، فان ابطال المغرب العربي سفهوا دعواها واروها ان الرضى بالاستعمار كفر وان الرضوخ لصنائعه ذل وعار وان الثورة على اساليبه فرض وواجب .. يقول لي فارس الخوري .. فكان ان بيض المغاربة وجوهنا واقروا عيوننا وسروا نفوسنا لما اثارته صفحات جهادهم وتماسكهم من تقدير واعجاب في العالم كله .

ومعروف عن المغاربة أن لهم بأس شديد ، ناتج عن اخشيشانهم وتماسك افراد القبيلة فيهم وغيرتهم المتناهية على تراث حضارتهم ورجولتهم الكاملة وتدينهم الذي ينتهي في كثير من الاحيان الى التعصب الشديد .

لقد دلل محمد الخامس بثباته الرائع وتضحياته العديدة على صدق في الرجولة وعزيمة في الوطنية لم تكن معهودة في الملوك والسلاطين الذين يشبهونه في الوضع منذ العصور الموغلة في القدم وحتى يومنا هذا ، فكان ما كان من خضوع الاستعمار العنيد لمبدأ الحق رغم انه كان خصما له على الدوام وهذا راجع بالطبع الى موقف الامة المغربية النبيل الرائع والشامل من حدود ليبيا الى ضفاف الاطلسي حينما قامت شعوب شمالي افريقيا المسلمة العربية بما ادهش العالم اجمع يوم واجهوا بسلاحهم المتواضع تلك القوى الجبارة التي كانت حتى الامس القريب تعد (الرابعة) في العالم ولانه لم يشذ عن الكفاح وعن التضحية حتى ملوكهم فمات احدهم محمد المنصف باي شهيدا في المنفى الاستعماري وسلك الثاني السلطان محمد بن يوسف

السبيل نفسه دون ان يخيفه مصير زميله ولم يمنعه من المجازفة بعرشه وبحياته وباسرته في سبيل استقلال امته ، واما شعب المغرب العربي باقطاره الثلاثة ، فلقد برهن على حيوية ونبل نادرين وبرهن على وفاء عريق لدينه ووطنه ولماضي اسلافه بما جعل اعز شيء عند الناس رخيصا لديه .. وهو الامن والحياة ، فكان لاتحاد المغرب ولتعاون ابناء امته في الكفاح ، اثر فعال في احترام الدنيا له ، وفي الاعتراف بوجوده الكريم ، وبحقه في الحياة الحرة وبالاستقلال .

تونس .. وزعيمها الاكبر .. بورقيبة !!

ويجرنا هذا للحديث عن تونس العربية المجاهدة .. وزعيمها المقدام **الحبيب بورقيبة** ، فقد كان فارس الخوري لا يخفي اعجابه بهذا الرئيس التونسي العظيم و (مدرسته) السياسية الناجحة التي ابتدعها في العالم العربي وانتهج بها سياسة المراحل في تصفية الاستعمار الفرنسي في بلاده حيث فعل بدافع من الاضطرار لما كانت عليه الدولة التونسية من القهر (ما آخذه عليه بعض الناس في بداية الامر) ولان تصفية الاستعمار لم تكن وصلت بعد الى مرحلتها النهائية ، ولعله قصد من وراء ذلك ان يسهل على الافرنسيين اجتياز المراحل مرحلة بعد اخرى ، ولا يخفى ان الرئيس الحبيب بورقيبة قد رضي في بادىء الامر بمجرد الحكم الذاتي ثم ظل يطالب حتى حصل على وثيقة الاستقلال وقد دس فيها ،وضوع الدفاع المشترك ، ثم استمر يطالب ويعارك من اجل تجسيم ما كان داخلا بالبداهة في معاني الاستقلال راضيا بالجلاء التدريجي وحتى بالجلاء المنقوص ثم ما لبث ان وجه الى **الجنرال شارل دي غول رئيس الجمهورية الافرنسية** رسالته التاريخية المشهورة قبيل معركة بنزرت الخالدة ، يقول فيها : ((**انه لا فائدة في العناد لان الاستعمار ينبغي ان تتم تصفيته الى النهاية ، وما دام لم يصف بكافة رواسبه ومخلفاته فان العلاقات بيننا لن تكون ابدا سليمة وصافية**)) .

وهكذا كان الحبيب بورقيبة في كل مرحلة من مراحل نضاله وجهاده وقبوله بالنزر اليسير مما يعطى له ، يقصد ان يقيم الدليل على حسن نيته كزعيم قد تعلق عليه الاوساط التونسية آمالها ويحاول ان يضع الافرنسيين في بوتقة الاختبار حتى اذا كانوا صادقي النية ، يكون قد خطا ببلاده الخطوة الشاسعة نحو الاستقلال التام ، اما اذا اتضح له عكس ذلك ، فلسوف يدخل المعركة الحاسمة باكثر قوة ونجاعة ومع توفر الشروط للحصول على تأييد الراي العام العالمي .



امير البيان شكيب ارسلان وقد بدا عليه الانشراح والسرور وهو يصغي لحديث (الزعيم التونسي الشاب) الاستاذ الحبيب بورقيبة وليته عاش الى اليوم ليرى كيف قرت عينه واثلج فؤاده وارتاحت نفسه .

***

وفي الوقت الذي كان فيه السيد الحبيب بورقيبة يناضل ويكافح من اجل استقلال تونس وسيادتها كان لا يغفل عن الغرض الاصلي الذي من اجله فرضت الحماية على تونس .. كان يعلم ان المقصودة ليست تونس بحد ذاتها بقدر ما هي مقصودة الجزائر، لان تونس هي مفتاح الجزائر ، وكان الاستعمار الفرنسي يخشى ان تمتد اطماع غيره الى تونس لو استقلت ويفرض ذلك الغير عليها هيمنة فعلية أو سياسية فيصبح وجود فرنسا في الجزائر بحالة خطر دائم . ولهذا ، فما ان اعلن استقلال تونس حتى وقف زعيمها الاكبر وقائدها الاعظم الحبيب بورقيبة ليعلن على رؤوس الملأ والاشهاد وعلى مسمع من العالم كله ان استقلال بلاده سيظل مهددا ما دامت فرنسا تحتل الجزائر .. وانه مضطر والحالة هذه لان يضع كل امكانيات بلاده ــ وقد وضعها فعلا الى حد المجازفة بسيادة تونس واستقلالها ــ لاعانة الشعب الجزائري ليتخلص من الاستعمار .. وهكذا استقلت تونس ، ومالبثت ان استقلت الجزائر ، واثبت العبقري الفذ الحبيب بورقيبة انه كان ابعد نظرا

واصدق فراسة واكثر حزما وروية من كثير من الزعماء العرب والاجانب الذين نظروا الى سياسته في بادىء الامر بعين الريبة واثاروا حولها حملات جائرة من التشكيك .

ولقد عرف فارس الخوري هذه الهبة السماوية الحبيب بورقيبة عن كثب في بعض المؤتمرات الدولية فاعجب به وبواقعيته وبشدة عزمه وتصميمه وبحصافته السياسية ايما اعجاب .

روى لي المجاهد العربي الكبير **الاستاذ محمد علي الطاهر** ان صحف دمشق نشرت ذات يوم من ايام عام ١٩٥٥ ان الاستاذ الحبيب بورقيبة قد اغتيل في تونس ولم يكن قد تولى الحكم في بلاده بعد . فالتقى في ذلك اليوم مع فارس الخوري ، فكان الحزن العميق والوجوم البالغ هما المسيطران عليهما ، وكان فارس الخوري يحاول ان يرسم في ذهنه صورة عن مدى الخسارة الماحقة التي حلت بتونس خاصة وبالامة العربية عامة من جراء فقدانها مثل هذا الرجل العظيم الذي لا يمكن ان يعوض .. وراح الفارس يروي كيف التقى بالحبيب بورقيبة في امريكا عندما قصدها هذا الاخير ليعرض قضية بلاده على هيئة الامم المتحدة ولما تعذر عليه ذلك راح يعرضها على وفود العالم باسره يطرق ابوابهم ويبث هموم شعبه واشجانه لديهم .. وكيف التقى به مرة اخرى في قصر شايو بباريس عام ١٩٥١ عندما انعقدت دورة (الامم المتحدة) هناك وكيف توثقت بينه وبين البطل التونسي اواصر المحبة والمودة والتقدير .. يريد ان يفسر لزواره فيما يرويه ، اسباب جزعه العظيم وحزنه واساه على فقد الحبيب بورقيبة .. يوم اشاعة الاغتيال ..

وفي صباح اليوم التالي .. دق جرس الهاتف في غرفة الاستاذ الطاهر يوقظه من افكاره وتأملاته السوداء الناتجة عن حزنه الشديد واساه المبرح ولم يكن قد اغمض له جفن في تلك الليلة (والاستاذ الطاهر من اعز اصدقاء الرئيس التونسي المجاهد واخلص خلصائه واقرب المقربين اليه) ومد محمد علي الطاهر يده المرتجفة ، الى سماعة الهاتف ، ورفعها الى اذنه ببطء .. واذا بصوت فارس الخوري الاجش الضخم الرنان يهتف به مبشرا انه سمع في تلك اللحظة من (الراديو) تصحيحا لنبأ الاغتيال ويقول له ان الذي اغتيل هو واحد من اعوان الحزب الحر الدستوري التونسي .. وان رئيس هذا الحزب الحبيب بورقيبة نفسه انما هو سليم ومعافى ويتمتع بصحة جيدة .. وبعد ان حمد فارس الخوري ربه على نجاة الشعب التونسي بشخص زعيمه اكد لابي الحسن انه لم ينم ليلته هو الاخر لانه كان يفكر في مصير تونس الشقيقة بعد فقدها لزعيمها الجبار .



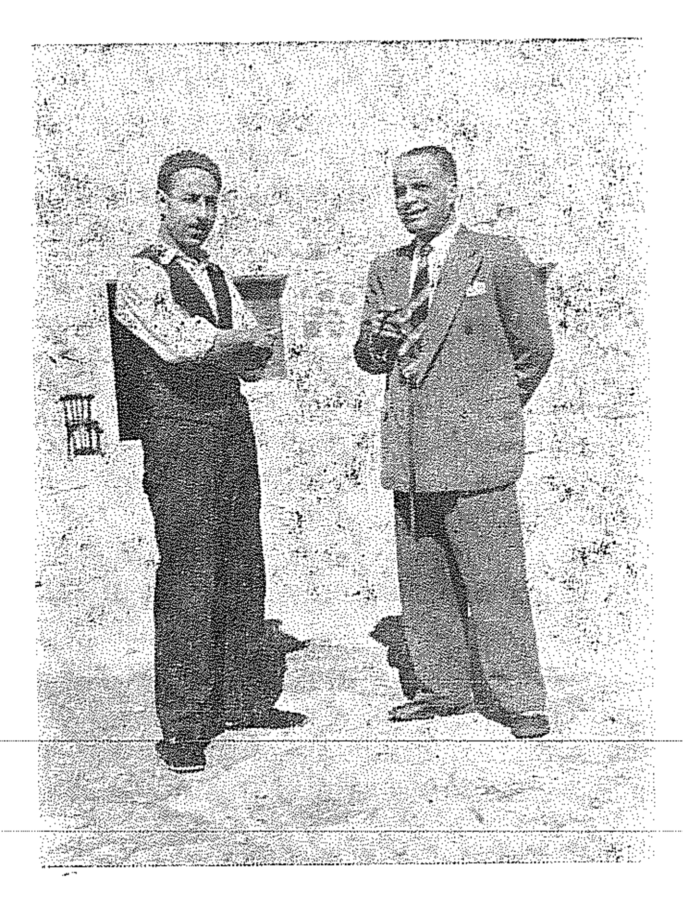
فخامة رئيس الجمهورية التونسية الاستاذ الحبيب بورقيبة (وقد كان رئيسا للوزراء عام ١٩٥٦) يحتفي بصديقه المجاهد العربي الكبير الاستاذ محمد علي الطاهر الواقف عن يساره مرتديا الوشاح التونسي الاكبر .

**

وكثيرا ما قال لي فارس الخوري ان الحبيب بورقيبة انما هو رجل قد يندر ان يكون له مثيل بين الرجال وان (مدرسته السياسية) ستظل والى آماد طويلة منهاجا يحتذى به ونبراسا يستضيء السياسيون بنوره وقدوة يحسن الاقتداء بها اذا ما اريد نجاحا ونهوضا .. وابعادا لعواقب الطفرة والمغامرة والارتجال والطيش الارعن .

والحبيب بورقيبة الى جانب كل هذا مسلم مؤمن يعلم بان التعاليم

المحمدية انما هي مرشدة الى سبيل الحق ومنبهة الى فضائل الاخـــلاق ، وموقظة للعقول ، ومزكية للنفوس ، وداعية الى الكمال الذي بالطموح اليه يتميز الانسان وبالسعي الى تحقيقه تعلو درجات البشر وتستقيم المعاملات وشؤون المجتمع ولذا نراه يقول في خطاب له : « اننا اذ جاهدنا مـــن اجل استرجاع سيادتنا فانما كان الوازع فينا ، الى جانب الذود عـــن الحريـة والكرامة الانسانية ، حماية التراث الاسلامي العربي الذي انطبعت به امتنـا واسهمت ايما اسهام في انمائه وتحريكه والتقدم به اشواطا ذات بال ، فقد كانت نفوسنا تأبى الاخلاد الى الزيف الذي كان يراد بها ، كما كانت تأنف من الاستكانة الى الركود الذي قضى على مجتمعنا بالعجز والفوضى والانحطاط وجره الى مخازي التبعية والهوان » . وبعد ان يتحدث الزعيـم التونسـي الكبير عن التقهقر المستمر الذي اصاب سائر شـــؤون حياتنا الاجتماعية والفكرية والدينية (وما ينطبق على تونس في هذا المضمار ينطبق بكل اسف على جميع الاقطار العربية) بسبب الداء العضال المتمثل في انغلاق الاذهان عن الكد والاجتهاد ، وتخلي النخبة المثقفة عـــن الزم مسؤولياتها الدنيوية واقدس واجباتها الدينية ، ويؤكد في خطابه ان اسباب انحطاطنا لم تكـن بحا لما ، اعراضنا عن الدنيا واسرافنا في العناية بشؤون الدين ، بل علـى عكس ذلك « فرطنا في الدين والدنيا معا لاساءتنا فهم الدين ولعجزنا عـن مواجهة مقتضيات الدنيا ، فقد كان الافراد يغشون المساجد ويقراون القرآن ولكنهم قلما يستفيدون من ذلك لا في تزكية ارواحهم ولا في توجيه اعمالهم بل قلما ينفكون عن الرذائل الخلقية والنزعات الانانية والتنكر للدين وللصالح العام .. ولقد كان الساسة فيهم نازعين عن كل ما امر به الدين وسار عليه الرعيل الاول من الخلفاء الراشدين والامراء الصالحين ، يتنكبون العدل ولا يأخذون بصالح الرعية ويعيثون في النسل والحرث ولا يأبهون لغير الشهوات الحيوانية ونزوات الطغيان والظلم ، ومن هذا وذاك طالما شكـــا المصلحـون الاسلاميون منذ قرون واعتبروه سببا فيما اصـــاب المجتمعات والـدول الاسلامية من مصائب وتدهور وانحطاط وهوان » . ثم يقول الرئيس بورقيبة: « وما ان رجعت الينا مقاليد الحكم حتى تصدينا لعمل شاق طويل النفـس وهو النهوض بهذه الامة على اسس تجعلها في مأمن من غائلات الدهر وذلك بارجاع الحياة في كل عضو من اعضائها وازالة العقبات من طريق نمـوها وتطورها وتسخير الطاقات في سبيل منعتها وازدهارها » .. ويعبر عـن اعتقاده ان من التنكر لروح الدين والخيانة لامانته اذا لم يقترن الحفاظ عليه بالسهر على احيائه وانمائه وان هذا الاحياء والانماء يكونان بادراك اسـراره



صورة تاريخية نادرة تمثل الزعيم التونسي الاكبر الاستاذ الحبيب بورقيبة عندما كان يؤدي عام ١٩٥٣ ضريبة التضحية والفداء في احد معتقلات الصحراء ، وقد ظهر بجانبه رفيق اعتقاله السيد علالة العويتي (امين عام رئاسة الجمهورية التونسية اليوم) .

***

والاجتهاد في معانيه بحسب الاوضاع المتجددة وبصورة تحقق ان الدين صالح لكل زمان ومكان ، ويقول : « لقد آمنت طوال حياتي بان الروح اقوى من المادة وبان الغلبة في النهاية للحق وبان الانسان مدعو من طرف خفي من اعماق روحه الى تغليب الآجل على العاجل ونصرة الخير على الشر والاقتداء بالقيم الروحية التي بها شرفه ونجاته » . ثم يقول الرئيس التونسي : « فالدين في جوهره الصافي طهارة للنفوس الجامحة من ادران ما يلابسها ويخامرها ويدنسها ، كما هو طهارة للابدان من كل زيغ وكل غلو وكل افراط ، والدين ،

العروة الوثقى التي تشد المجتمعات وتمنعها من الانزلاق في الترهات الغاشمة وتركز فيها مبادىء العدالة والتناصر والايثار» . ويوضح الزعيم الرئيس الحبيب بورقيبة فلسفته التوجيهية حيال مسألة الدين بقوله : « وانه لطالما ساورني الخوف ان نصنع اجيالا لها عقول متحررة وليست لها قلوب مستنيرة ، ولطالما توجست خيفة من هذا التيار الذي يندفع فيه شبابنا ، وشباب معظم البلدان المتطورة ، من تغليب العلم على التقدير الروحي وعبادة العقل الجارف واستنقاص الوجدان الديني ، فنكون قد هيأنا جيلا يخضع للعقل ولا يؤمن بالقيم ، ويملك آلة الفهم والادراك ولا يقوى على بلوغ مراتب الحكمة التي تهدي الى التمييز بين الخير والشر . والعقل اذا لم يقترن بالحكمة كان بمثابة الآلة تستخدم في الاغراض الصالحة وغير الصالحة . وليس من رادع للانسان غير نداء الروح والايمان بالخير واليقين بان عليه في هذه الحياة رسالة مقدسة الا وهي نشر العدل والتفاني في خدمة الغير واسعاده . وتلك هي مراتب الكمال التي ينزع اليها الانسان بفطرته فلا هو ينبذ المادة ولا هو يكون عبدا لها ولا يقصر همته على الروحانيات فيفقدها السند الذي عليه تقوم وتزدهر ولا يغلب جانب المادة فيتردى في مخاطر الشهوات ومهاوي الظلم والعسف » .

وبمثل هذه الروح الوثابة تطوقها نفس كريمة ابية ، تمكن صاحب هذه الروح وتلك النفس ، الحبيب بورقيبة من تأسيس دولة فتية ناهضة قوية ، تتطلع الى الامام ، وتشرئب اعناقها الى العلاء ، وترسم للمستقبل العربي منهاجا يجمل الاقتداء به للحلول في المكانة اللائقة بالراغب تحت الشمس .

كميل نمر شمعون

وفارس الخوري كان يرى بالرئيس اللبناني الاستاذ كميل نمر شمعون واحدا من اصدق الذين خدموا القضية العربية بعزيمة وايمان واخلاص ويرى في بعض حملات التشكيك التي قامت ضده من بعض الناس اسبابا لا تمت الى مصلحة الامة العربية بصلة ، ويقدر بأن التاريخ سوف ينصف الرجل ويضعه في المكان الذي يليق بشخصيته وبما اداه الى العالم العربي من الخدمات الجلى يوم تتضح الحقائق وتنكشف اسرار تلك الفترة المضطربة القلقة المشحونة بالتيارات المتضاربة والدعايات المضللة ، وسوف يجعل اللبنانيون ــ وفي مقدمتهم خصوم الرئيس شمعون بالذات ــ من سيرته وحياته قدوة للعمل القومي والوطني البناء . . اما ان يكون للرئيس اللبناني



يجمع هذا الرسم بين جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز العبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، وبين فخامة الرئيس اللبناني الاسبق الاستاذ كميل نمر شمعون ايام كان كل منهمامندوبا لبلاده في هيئة الامم المتحدة ، وقد روى لي الرئيس شمعون انـــه التقى مع (الامير) فيصل لاول مرة ، حينما زاره في الدورشستر في بريطانيا ، بعـد ظهـر الخميس ١٦ اب ١٩٤٥ فوجده ناضجا مفكرا وفهيما معتدلا .. ويذكر ان اول بحث كان لهمعه يتعلق بقضية فلسطين فظهر له ان (الامير السعودي) كان يحبذ فكرة قيام الجامعة العـربية بعمل ما ، ولكنه يجد من مصلحتها ان تدرس وضعها قبل الاقدام وان تزن امكاناتها ومـا اذا كانت البلدان العربية مصممة على نجدة فلسطين بدون تحفظ وبرغم تجاوز الحلفاء قرارها هذا فتحمل السلاح ضد الصهيونيينام انها ستقف مكتوفة الايدي ازاء الضغط الاجنبي .. كمـا انهما تحدثا فيما يتهم به قسم من الرأيالعام العربي والده الملك عبد العزيز بن السعود بانه لم يبرهن عناي تضامن تجاه فلسطين وان (الامير) فيصل اجابه بقوله (ليس صحيحا ما اشيع من ان الملك عبد العزيز اظهر الفتور الذي اتهم به ، ولكن تحفظه كان ناتجا عن عجـز العالم العربيعن تاييد موقفه لمصلحة فلسطين تاييدا ناجما) .

***

السابق بعض الاخطاء فجل من لا يخطيء وهو بشر يخطيء ويصيب والعبـرة بالنيات .

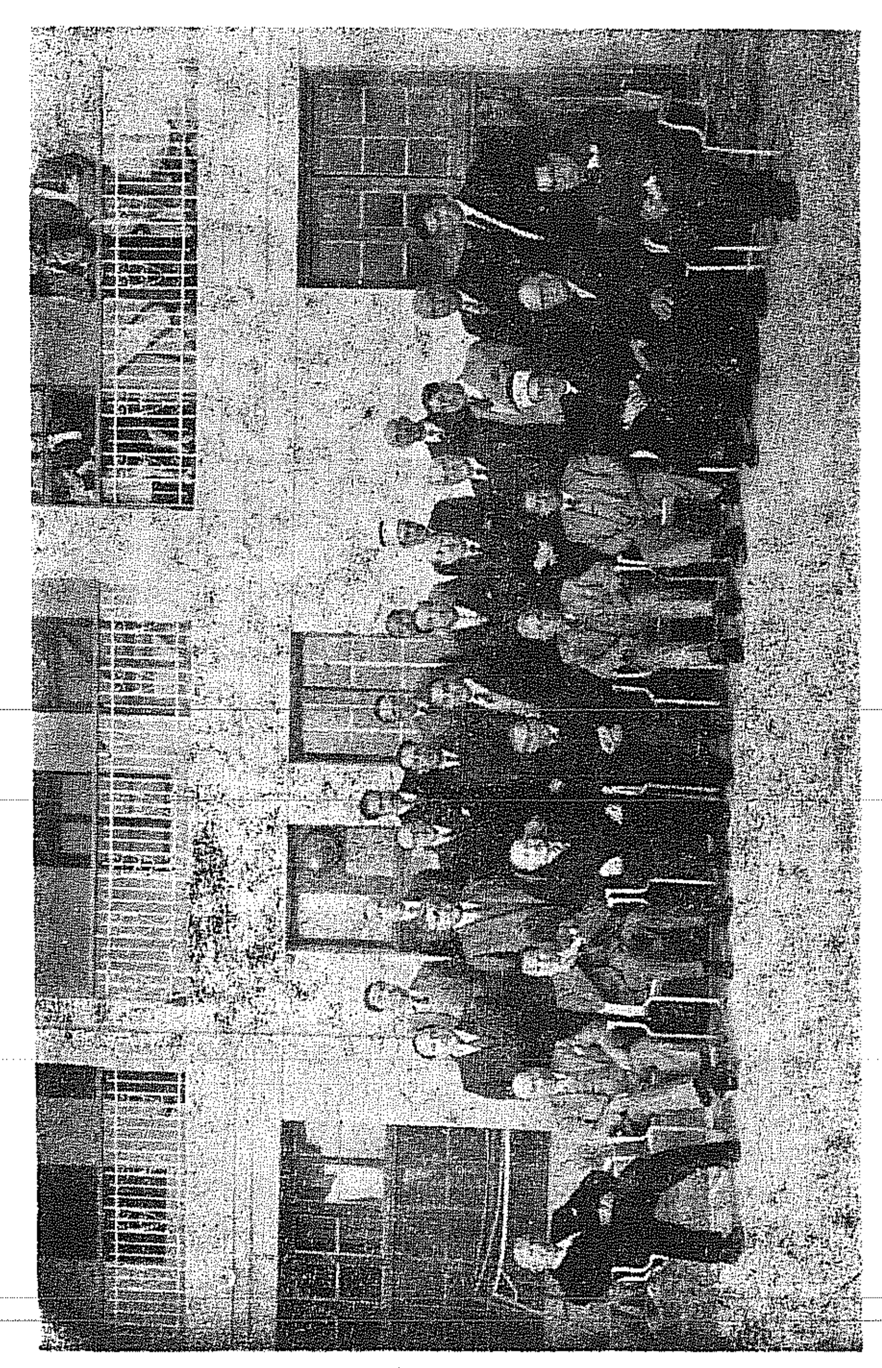
ومعلوم ان الرئيس كميل شمعون ، سبق لــه عندما مثل لبنان كوزير مفوض لدى بلاط سان جيمس ، عام ١٩٤٤ ، ان مثل سورية مدة تزيد علـى الستة اشهر كان خلالها يخدم مصلحة البلديـن السوري واللبناني دون اي تمييز او تفريق ، كما يشهد بذلك جميع رجالات سورية العاملين ، وعندمـا

جمعية انقاذ فلسطين في العراق ، تحتفي بالزعيم اللبناني الكبير الاستاذ كميل شمعون في فندق السندباد ببغداد بتاريخ ١٤ آذار ١٩٤٩ ويبدو الاستاذ شمعون في الوسط وعن يمينه الفريق صالح صائب رئيس اركان الجيش العراقي فالسيد حسين منصور القائم باعمال المفوضية المصرية فالسيد احمد شوقي فاللواء الركن ابراهيم الراوي ، وعن يساره العميد الركن طه الهاشمي من رؤساء الوزارات العراقية السابقين فاللواء اسماعيل صفوت نائب رئيس اركان الجيش العراقي فالاستاذ الشيخ بهجت الاثري فالسيد ابراهيم جلبي عطار باشي فالسيد جميل الاورفلي .

وقد وقف وراءهم في الصف الاول ، من اليمين الى اليسار : الدكتور اسماعيل ناجي ، العقيد طاهر محمد عارف ، عبد الباقي السعيدي ، جميل روحي ، كاظم الصلح وزير لبنان المفوض ، بهاء الدين البكري القائم باعمال المفوضية السورية ، الدكتور جميل دلالي ، الدكتور خليل مصطفى ، محمود فهمي الدرويش سكرتير عام جمعية انقاذ فلسطين ، العقيد عبد القادر العزاوي ، الاستاذ نعيم مغبغب النائب اللبناني المعروف .

وفي الصف الاخير وقف من اليمين الى اليسار : اللواء محمود باشا الشهواني ، المحامي ابراهيم مصطفى الايوبي ، الزعيم الركن توفيق حسين ، الاستاذ توفيق السمعاني ، صلاح الدين بك قنصل مصر ، عثمان آل رئيس الكتاب ، عبد الرحمن الجليلي .

تأزمت الامور بين فرنسا وسوريا عام ١٩٤٥ واعتدي على حرمة البرلمان السوري وضربت دمشق بقنابل الطائرات سارع الاستاذ كميل شمعون الى دمشق وبعد مقابلات له مع المسؤولين السوريين توجه الى العراق (وكان جوا من الفتور يسيطر على العلاقات السورية العراقية بسبب حوادث سوء تفاهم بين رجال الحكم في البلدين جعلت رئيس الوزارة العراقية يحدث الاستاذ شمعون بشيء من المرارة عن سياسة دمشق وبالوقت نفسه يضيف ان الوقت ليس وقت عتاب ولا لوم وان حكومته مستعدة لان تقدم لسورية كل مساعدة تحتاجها) وكان ان ارسلت معدات حربية الى دمشق (هي من تلك التي ارسلتها حكومة فيشي الفرنسية الى بغداد اثناء ثورة رشيد عالي الكيلاني) ثم لا ننسى المواقف المشرفة التي وقفها الزعيم اللبناني الكبير حيال قضية فلسطين ، فمع ان كافة الوفود العربية قد قامت بواجبها على اتم صورة لدى الامم المتحدة يوم اثيرت قضية فلسطين وعروبتها وانتهت بقرار التقسيم المشؤوم كان كميل شمعون (الى جانب الاستاذ فارس الخوري) المتكلم باسم العرب اجمعين لدى الجمعية العمومية ولجانها المختلفة ولدى مجلس الامن الدولي بصورة خاصة . . وعندما عاد من الامم المتحدة عام ١٩٤٨ اضحى الوسيط المتطوع الدائم (بين الدول العربية) لتسوية خلافاتها، يتجول بدون انقطاع بين القاهرة والرياض وبغداد وعمان ودمشق ، ومما





الرئيس كميل نمر شمعون في مكتبه الخاص بقصره في السعديات ، ووراءه ، قرينته الفاضلة ، الرئيسة زلفى ثابت .

***

يذكر له بمداد التقدير ، انه عندما تأزمت الامور بين تركيا وسوريا عام ١٩٥٥ وتبودلت الحملات الصحفية بينهما كما تبودل حشد الجيوش على الحدود صادف ان قام كميل نمر شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية بزيارة رسمية لتركيا تلبية لدعوة رئيس جمهوريتها جلال بايار فقال للحكومة التركية بصراحة متناهية ان مصلحة لبنان وسورية انما هي واحدة وان اي تهديد يقع على سورية يعتبره واقعا على لبنان ، لذلك يقتضي ايقاف الحملة الصحفية التركية ضد سورية ومن ثم يتوجب سحب الجيوش المحتشدة على الحدود السورية فاستجابت الحكومة التركية لرغبته ويعلم بذلك سفير الجمهورية السورية في انقرة حينذاك لانه هو الذي تولى نقل هذه الامور الى الحكومة في دمشق ، كما ان الرئيس اللبناني الاول الاستاذ كميل نمر شمعون ــ في

اثناء حادثة السويس والاعتداء على مصر ، تمكن ، نتيجة مداخلته الشخصية التي حصلت بناء على طلب **الرئيس جمال عبد الناصر** نفسه ، من معرفة يوم وساعة وقف اطلاق النار من قبل الفرنسيين والبريطانيين فابلغه بدوره للرئيس المصري برقيا وهاتفيا بواسطة سفارته في القاهرة .. وفي اثناء انعقاد مؤتمر الملوك والرؤساء العرب عام ١٩٥٦ في بيروت بدعوة منه ، على اثر الاعتداء الثلاثي الذي وقع على مصر ، طلب رئيس الجمهورية اللبنانية كميل نمر شمعون اليهم ان يبحثوا موضوع رسم سياسة تسلح طويلة المدى تتمكن الدول العربية بموجبها من تنسيق خططها وتنظيم وتقوية جيوشها الى اقصى حدود امكاناتها وذلك ليس فقط لاستعادة حقوق العرب بفلسطين فحسب بل حتى لا تكون مرة ثانية عرضة للاعتداء مثل الذي وقع على مصر ، غير ان هذا الاقتراح لم يدرس الدرس الكافي شأنه – لسوء الحظ – شأن السياسة التي تفضل الارتجال على التعمق في الدرس وفي النواحي التكنيكية!

وتروي لي السيدة **اسماء حرم فارس الخوري** انه عندما صدر قرار تقسيم فلسطين ، كان اشد المندوبين العرب ثورة وكآبة هو الاستاذ كميل نمر شمعون وقرينته الفاضلة **السيدة زلفى ثابت** ، التي تصفها السيدة اسماء بأنها على جانب كبير من الاصالة ومتانة الاخلاق وصدق الشعور القومي والحس الوطني ، وانها كانت وراء كل مكرمة طلع بها زوجها على العرب ، وتعبر السيدة اسماء عن اعتقادها بأن الاستاذ شمعون وقرينته لم يغمض لهما جفن في تلك الليلة لانهما استمرا يفكران ويتباحثان ويتحاوران مع اعضاء الوفود العربية والصديقة في فائدة انسحاب الدول العربية من المنظمة العالمية للامم المتحدة او البقاء فيها بعد تلك المخالفة الصريحة منها لميثاقها وللمباديء الانسانية التي قامت عليها ، وتقول ان الرئيس كميل نمر شمعون كان مثال الرزانة والتعقل والحكمة ، والاحاطة بما يطرح من مواضيع ومشكلات ، من جميع نواحيها .

وموقف اخواننا اللبنانيين من قضية فلسطين معروف ، وهو موقف تضحية وفداء وشعور بالمسؤولية وهذا لا يقتصر الاحساس به على عهد دون عهد او رئيس دون رئيس او جماعة دون جماعة ، فقد راينا **الاستاذ شارل الحلو** رئيس الجمهورية اللبنانية يقول في مؤتمر القمة العربي في ايلول ١٩٦٤ : (لا بد ان نجمع الراي على موقف منسجم وعمل موحد من اجل قضيتنا الكبرى فلسطين ، ان ايمان الشعوب العربية بحقها المقدس ... يحيي في النفوس املا وطيدا) ورأيناه – اي الرئيس الحلو – يصارح رؤساء الدول الآسيوية الافريقية المجتمعين في مؤتمر عدم الانحياز في القاهرة في اوائل تشرين الاول من ذلك العام بقوله : (ان اكبر معضلة واخطرها ما زلنا



فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ شارل الحلو وهو واحد مـن الاصدقاء البررة لعلامتنا فارس الخوري ، يمتطي احدى طائرات شركة طيران الشرق الاوسط ـ الخطوط الجوية اللبنانية ـ المريحة الفخمة ، وقد جلس عن يمينه رئيس مجلس اداة الشركة المذكورة الشيخ نجيب علم الدين الذيهو واحد من ابرز رجالات الاقتصاد في القطر اللبناني وله نشاطـات واسعة في مختلف المجالات الحيوية كما ان له اياد بيضاء على المبرات الخيرية ومن السباقين الى المكرمات بعصاميته الفذة ونفسه السمحة وروحه المرحة .

●

نواجهها هي مأساة فلسطين التي شرد شعبها واستبيحت مقدساتها ، واني واثق ان كفاحنا المشترك الذي اتاح لبلداننا ان تستعيد حريتها وحقها فـي وطنها لكفيل ان يعيد الى شعب فلسطين حريته وحقه في وطنه) في حين وقف **الدكتور فؤاد عمون** وزير الخارجية اللبنانية وقتئذ يتساءل مستغربا ما اذا كنا لا زلنا بحاجة الى ايضاح مأساة فلسطين وهي قد تكون اكثـر الحالات انطباقا على امنية المؤتمر بالقضاء على الاستعمـار ، وذلك بينمـا الشعب الفلسطيني بعد ان فقد استقلاله واستعمرت بلاده قد فقد ايضـا وطنه الاصلي . . كما تساءل الدكتور عمون في معرض تحليله للمـأساة الفلسطينية هل ان موقف البرتغال من البلدان التي يحتلها وقد شجبه المؤتمر

يختلف عما هو موقف اسرائيل في فلسطين ؟!! مشيرا الى انه اذا كان هنالك
من اختلاف فهو انالظلم النازل بشعب فلسطين اشد من الظلم الواقع في
شعبي موزامبيق وانغولا وسواهما لان هنالك شعوب تخضع لحكم اجنبي
سيزول يوما ما .. اما في فلسطين فالشعب ليس خاضعا لحكم اجنبي اذ
لم يبق له بلاد .. واضافمتسائلا : هل يكون المبدأ الواحد - اي حق كل
شعب بالاستقلال في وطنه - محترما في هذه المنطقة او تلك من العالم
ومهملا في سواها ؟! .. وطالب بتأييد حق كل شعب (من شعوبنا دون
استثناء) ودون تمييز ودون مفاضلة ايا كانت الاسباب التي حالت حتى الان
دون الاعتراف بهذا الحق .. واشار الى ان بعض رؤساء الدول الافريقية
اقترحوا حلولا وسطا لمشكلة فلسطين فتساءل عما اذا كان احد منا معشر
العرب اقترح حلا وسطا في القضايا التي بحثت بشأن الاستعمار فيافريقيا
وسواها .. وقال الدكتور عمون بلهجة عزم وتصميم وكأنما هو يتكلمبلسان
كل العرب وليس بلسان لبنان الذي كان يمثله فحسب ، قال : (اننا نرفض
كل حل وسط) وتساءل عما اذا كان المبدأ قائما او غير قائم .. وان المبدا
لا يتجزا .. ولذلك نطلب تأييد الاقتراح المقدم والذي ينص على مقاطعة
(اسرائيل) كما تمت التوصيات بمقاطعة البرتغال وافريقيا الجنوبية مقاطعة
تشمل العلاقات الدبلوماسية والقنصلية والاقتصادية . وهكذا يثبت لبنان
وجهه العربي الصحيح .. وهكذا يثبت لبنان انه في مقدمة الركب القومي
في اي عهد من عهوده وفي زمن اي من رؤسائه .. من بشارة خليل الخوري
الى كميل نمر شمعون الى فؤاد شهاب الى شارل الحلو .. وفق الله العاملين
الى ما فيه خير الامة العربية .

العقلية الاستعمارية الافرنسية وما سببته من ارتباك ومناعب للوفد السوري المفاوض في باريس عام ١٩٣٦

البعض على فارس الخوري ، ومنها ، وصفه للمعاهدة السورية الافرنسية
التي عقدت عام ١٩٣٦ بأنها معجزة القرن العشرين ، والمحت الى ان الذين
اخذوا عليه هذا القول لم يتصلوا بروح ذلك الزمان ولم يعلموا كنه الاستعمار
في ذلك الوقت .. وفي اثناء طبع هذا الكتاب اقترح علي بعض المهتمين الا
اغفل عن رسم صورة عن روح ذلك الزمان وكنه الاستعمار الافرنسي اذ ذاك،
فكان لا بد لي من ان استجيب لرغبتهم خدمة للحقيقة والتاريخ ولتكون

وردت في الصفحة ١٩٤ من هذا الكتاب مناقشة ، لبعض مـــا يأخذه مرجعا للباحثين المدققين .

لقد روى لي فارس الخوري أن وصول الوفد السوري المفاوض الــى باريس قد تصادف ومعركة الانتخابات النيابية في فرنسا ، فكـــان النواب والوزراء الفرنسيون منهمكون في دوائرهم الانتخابية بحيث كان يمكن القول انه لا يوجد في باريس حكومة مستعدة للعمل الحازم ولا مجلس منصرف الى ذلك ، واكثر الناس اهتماما بالقضية السورية كان **الكونت دي مارتل** المفوض السامي الافرنسي في سورية ولبنان لانه كان الذي افتتح العمل وحرص على انجازه ، الا ان اصدقاء القضية السورية فـــي باريس كانـــوا يعتقدون ان (الانتخابات النيابية الافرنسية القادمة) ستكون خادمـــة لمصلحة سوريـــة ولذلك كانوا غير مستائين من عدم المباشرة السريعة في المفاوضات الا ان الوفد السوري استمر على الاتصال بالمراكز النافذة تمهيدا لاعماله القريبة ومتفائل بالخير ، وكان الوفد يرغب بانضمام كل من **الامير شكيب ارســلان واحسان الجابري والدكتور عبد الرحمن الشهبندر** اليـــه الا أن السلطات الافرنسية كانت تعارض ذلك بكل شدة متهمة الاول والثاني بالميول الايطالية وكان اعضاء الوفد يعتمرون الطرابيش في العاصمة الافرنسية فيجعلـون مـــن انفسهم موضع اعجاب الجماهير واحترامهم .

الشعور القومي المتأجج يسبب القلق لفرنسا

وفي ٣١ اذار ١٩٣٦ استدعى المسؤولون الافرنسيون في باريس اركان الوفد السوري وقالوا لهم ان الاخبار الواردة اليهم من سورية تبعث علـــى القلق من جهة **موقف الغرور** الذي يقفه الشعب والطلاب والصحافة بتهديـد رجال الحكومة وحواشي الانتداب حتى أن الاشخاص المسؤولين عـــن الامن والنظام العام في سورية صاروا يعتقدون ان التمادي فـــي التساهل يزيد الامر استفحالا والفوضى انتشارا وهذا ما حملهم على تأخير فتـــح مكاتب الكتلة الوطنية واخلاء سبيل بقية الموقوفين مـــن قبل ديوان الحرب ، وطلب المسؤولون الافرنسيون الى اركان الوفد السوري أن يوعزوا الى اركان الكتلة الوطنية في دمشق بوضع حد لهذه الفوضى تهيئة لنجاحهم فـــي مهمتهـم الصعبة فكتب هاشم الاتاسي الى شكري القوتلي وكتب فارس الخوري الـى شقيقه فائز الخوري وجميعهم من اقطاب الكتلة الوطنية ليدعـوا الصحفيين وينصحونهم بالاعتدال وعدم التغني بالظفر والاقلال من غمز قنـــاة رجـال الانتداب فلا يظهرونهم بمظهر المغلوب المنهزم اذ ان هـذه الاوضاع تكهـرب الجو في باريس وتعرقل العمل .

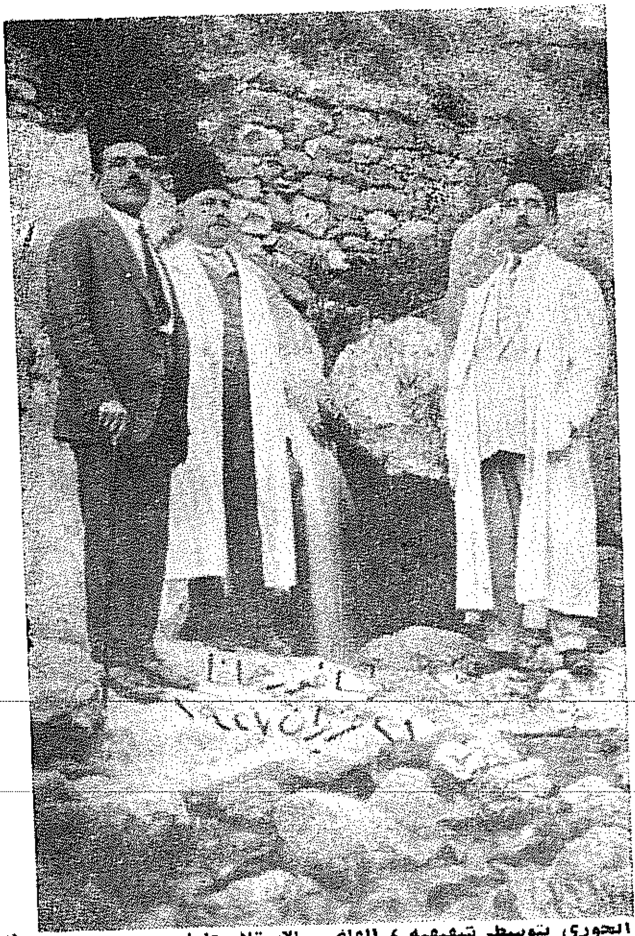


صورة تاريخية نادرة لمؤتمر الكتلة الوطنية المنعقد في حلب بتاريخ ١٧ شباط ١٩٣٣ وقد جلس في الوسط الرئيس الجليل السيد هاشم الاتاسي وعن يمينه المجاهد الكبير ابراهيم هنانو فالسيد مظهر رسلان فالسيد شكري القوتلي ، وعن يساره العلامة فارس الخوري فالسيد نجيب اغا البرازي فالسيد محمد النحاس ، ووقف خلفهم من اليمين الى اليسار : عفيف الصلح ، سعيد الغزي ، سعد الله الجابري ، فائز الخوري ، الدكتور توفيق الشيشكلي ، احسان الشريف .

وشكى لي فارس الخوري من ان الجرائد الافرنسية كانت تتعمد اغفالهم وان ذكرت شيئا عنهم فانها تتعمد نشر اسمائهم محرفة ، كما ذكر لي ان السلطات الافرنسية كانت تفتح الرسائل الواردة الى اعضاء الوفد والصادرة عنهم لمراقبتها ولذلك فقد كان هو يتحفظ في بعض ما يكتبه لاخوانه في دمشق عن تطور المفاوضات .

ومضى شهر نيسان بطوله دون أن يحدث ما يستحق الذكر .

وفي ايار ١٩٣٦ اعطى الافرنسيون الوفد السوري مسودات لمعاهدة وملاحق وكتب متبادلة لكي يدرسها ويدون ملاحظاته عليها وقد وصف لي فارس الخوري نصوص هذه المسودات المعروضة بأن فيها الحسن وفيها القبيح وربما رجح الثاني على الاول بالنسبة الى الاهداف التي يرمي اليها ، بسبب نقص الحقوق عما هي في المعاهدة العراقية وعدم تمكن الطرف الافرنسي من حمل جماعته ومراجعه على احترام اتفاق اول اذار بتمامه ، ذلك الاتفاق الذي يقضي باعتراف فرنسا باستقلال سورية ووحدتها ، اذ انه يحترمه وينفذه من جهة الغاء الانتداب والاعتراف باستقلال سورية وعقد معاهدة تحالف على اساس الاستقلال والسيادة التامة وادخال سورية في عصبة الامم وتجريد صك المعاهدة من القيود المخلة بالسيادة وانما هنالك الملاحق التي تأتي بأساليب للتطبيق تجعل هذه العبارات محجوزة عن ساحة الحقيقة العلمية . . وكنت لا اجد مخرجا من هذا المأزق الا الاكتفاء في باديء الامر بنصوص المعاهدة الاصلية لتقوم في سورية حكومة برلمانية تتقدم بها الى المجلس وتتولى بعد تصديقها المفاوضة من اجل وضع ملاحق في مدى اوسع بحيث تنجز في اثناء دور الانتقال وفي ظروف قد تكون اكثر ملاءمة من الظروف التي كنا نمر بها . . ذلك اننا كنا . . اذا اعتبرنا ان النصوص التي سلمونا اياها نهائية غير قابلة البحث فلا يبقى مجال للتردد باعتبار المفاوضة قد فشلت ولكن آمالنا كانت وما زالت معلقة بخيط قد ينقطع وقد يتحول الى حبل من مسد . يضاف الى هذا أن المفوض السامي الافرنسي في سورية ولبنان الكونت دي مارتل كان ينوي العودة الى الشرق فلم يوافق الوفد السوري على عودته وقابله السيد هاشم الاتاسي ليصرح له بذلك بدعوى ان المفوض المذكور هو الذي قطع على نفسه عهدا في اتفاق بيروت باسم حكومته ان يأتي بالوفد الى باريس ويرجع معه بمعاهدة معينة المدى والحدود والوزارة السورية اعلنت هذا الوعد وارتبطت به وعلى هذا الاساس تألفت الوزارة والوفد وكنا نرى ، اما نجاح فبقاء واما فشل فانسحاب يتناول الذين قطعوا على انفسهم العهد جميعا كما جرى للمرحوم دي جوفنيل حين



فارس الخوري يتوسط شقيقيه ، القاضي الاستاذ خليل يعقوب الخوري الواقف عـــن يمينه ، والحقوقي السياسي اللامع الاستاذ فائز الخوري عن يساره .

***

لم يخن الميثاق غير الداماد احمد نامي وعليه لا نرى مبررا لعودة احد الـــى راس عمله الا في حالة النجاح ، وكنا نعتقد ان الموقف لـــن ينجلي الا عندما تتبوأ الحكومة الافرنسية الجديدة مقاعدها .

حجج الاستعماريين وترهاتهم للحيلولة دون استقلال الشعوب

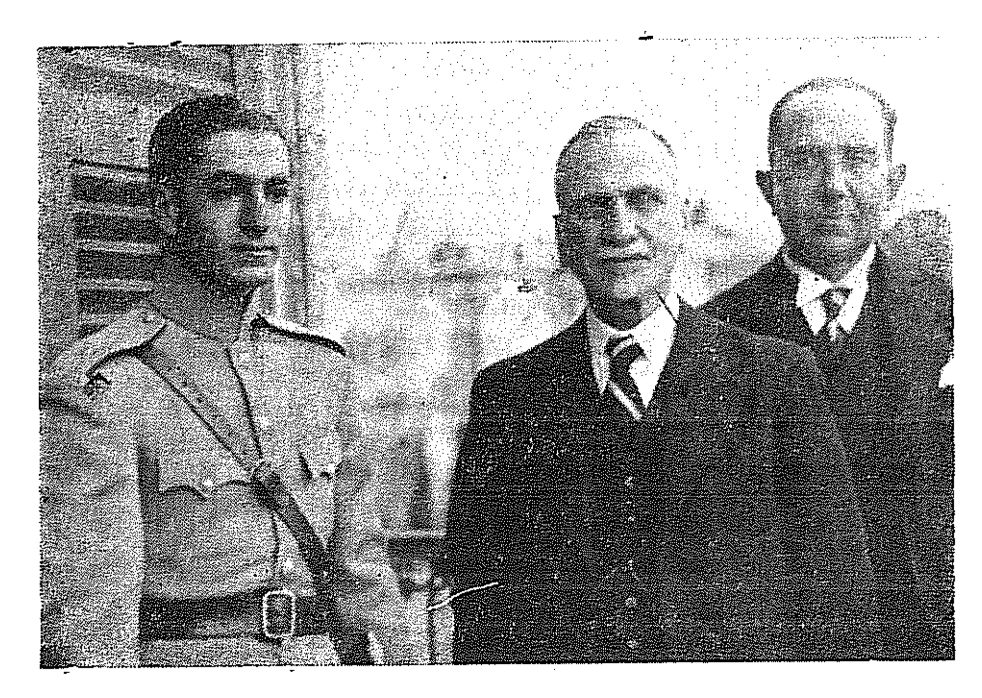
ويضيف فارس الخوري قائلا : على ان الخصوم لـــم يكونوا مقصرين

باقامة المراقيل واظهارنا امام اليساريين بمظهر الراسماليين الذين يطالبون الاستقلال ليرهقوا العمال والفقراء كما يفعل الاقطاعيون وان عدم رضانا عن النظام الذي كان قائما في سورية في العهد الافرنسي انما هو ناشيء عن كونه يقيم العدل والمساواة وما اشبه ذلك من الاضاليل المقواة بلقب Nationaliste الذي تلقب به كتلتنا فكنا نصرف بعض وقتنا في دفع التهم الباطلة .. كما اننا احتفظنا منذ وصولنا الى باريس بسلوك لا غبار عليه وتصرفنا بحزم وجدية فلم نتخذ لانفسنا الا مزية الوفد الرسمي الجاد في عمله ، ولقد كان بعض الناس يريدون ان نكون وفد دعاوة ولكن هذا لم يكن ليأتلف مع مهمتنا .. ان مطاليبنا لا تتبدل بتبدل الحكومات ولا تتأثر بتعاقب الاحزاب فهي حقوق معلومة لا تقبل تحويرا .. وعلى هذا .. هيأنا اجوبتنا على النصوص التي قدمت الينا مع مشروع مقابل ونوينا تقديمه قبل تأليف الحكومة الافرنسية الجديدة بقليل حتى تستلم هذه الحكومة الخطاب والجواب في وقت واحد ولم نسرع بالتقديم الى الذين كانوا يسيرون الامور لاننا كنا نعلم انهم لا يمكنهم البت في الموضوع حيث كانت تأجلت جميع القضايا الخارجية بانتظار ظهور الوضع الجديد في اوائل شهر حزيران .. ولقد كان جميع الشخصيات الكبرى في باريس يعجبون من محاولة الجانب الافرنسي التملص من تنفيذ اتفاقيةاول اذار والتقيد بها تماماويرجون انيكون الاتون اشد حرصا على عهود فرنسا من الماضين .. وكانت قضية المبعدين السياسيين تحت البحث ولم نكن لنضيع فرصة سانحة للحصول على الافراج عنهم وعودتهم الى ديارهم .. وكانت المراسلات بيني وبين الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في مصر وشقيقي فائز الخوري في دمشق متواصلة ، وكان الشهبندر على تفاهم معنا ولذا كنا نعتقد أن لا مجال لاستغلال اسمه من قبل احد .. الا اننا في شهر ايار كنا نقضي فترة انتظار .. فقد انتقل جميل مردم بك الى فارساليا بحجة غاباتها وحدائقها .. وكان هاشم الاتاسي قلقا على ولده عدنان الذي كان سافر الى سورية منذ شهر دون ان يردنا اي نبأ عن وصوله ولا ندري ماذا صنع الله به سوى احتمال يرد على خواطرنا في انه قد يكون على ضفاف البوسفور حيث تقيم خطيبته وآلها .. والمفوض السامي ذهب الى فيشي للاستشفاء بعد أن يئس من موافقتنا على عودته الى سورية ، واحمد اللحام كان يرغب بالعودة وحده الى الوطن لانه كان قد مل من قلة العمل .. واستدرك فارس الخوري يقول : ومع كل هذا لم نكن نائمين ولا متلهين بشيء اخر غير اعداد العدة للموقف الحاسم الذي كنا نظن اننا سنواجه به في النصف الاول من شهر حزيران (القادم) فاذا لم نحصل على حقنا من هؤلاء اليساريين لا يبقى امل بالحصول عليه من غيرهم ولا ننسى

انهم لا يستطيعون ان يكونوا فعالين لما يريدون لان امامهم مـن القوى الجبارة ما لا يسهل تخطيه خصوصا في الدوائر العسكرية واركان الحرب ولم اكـن استطيع التخمين الى اية درجة تستطيع الجبهة الشعبية ان تملي ارادتها على هذه الدوائر القديمة القائمة سياستها على عنعنات تاريخية وتوسعية ، ولقد اكد لي فارس الخوري انه لم يكن هنالك من اتصال مباشر او غير مباشر بين الوفد السوري والشيخ تاج الدين الحسني الذي كان قد سبق الوفد الـى باريس .. كما روى لي ان بعض اركان الكتلة الوطنية كانوا يشكون مـن ان مكاتيب سعد الله الجابري غير مفهومة فكان سعد اللـه يسره القول بذلك لان هذا مراده أن تبقى تحاريره غامضة بخطها ومعناها .

ملل الناس من تأخر اعمال الوفد

واستطرد فارس الخوري يروي لي : وجـاء شهـر حزيران ١٩٣٦ ، وكانت الاخبار الواردة الينا تتواتر عن ملل الناس من تأخر اعمال الوفد وعن التقولات الانتقادية والاحاديث التشاؤمية من خصوم الكتلة الوطنية .. ولـم نكن نرتاب في ان السرعة بمثل هذه الحالة ادعى للطمأنينة واضمن لبقـاء الثقة ولكن مجرى الحادثات كان واضحا معروفا واسباب التأخر بينة جليـة لا يمكن ان تنسب الى الوفد فجماعة اليمين منهاجهم معلوم وقـد سلمونـا نصوصا تشف عما في نيتهم من الاسف على ما بدر منهم في اتفاق اول اذار وكانوا يحاولون التملص من تنفيذه بمراميه الحقيقية ولولا فـوز الجبهـة الشعبية في الانتخابات لكنا نفضنا أيدينا من التفاهم وجزمنا بفشل المهمـة ولكن الانتخابات بدلت الموقف تبديلا جوهريا ومهدت امامنا ساحـة واسعة للرجاء المثمر ، وكنا كلما قابلنا ركنا مـن اركان الجبهة الشعبية يجزم لنـا بالانتظار الى ان تتبوا الجبهة الحكم فتنفذ لنا اتفاق بيروت بحذافيره بـل بأحسن منه بشكل يجعل معاهدتنا في المستوى الذي نريده لها .. وقد دعينا الى حفلة افتتاح البرلمان الا اننا لم نذهب وآثـرنا ان نحضر احدى الجلسات التالية مما هو اجدر بالمشاهدة من جلسة الافتتاح .. وكنـا نـرى ان البلاد انما هي داخلة في طور جديد مع هذه الجبهة الشعبية التي كانت تصرح بأنها عازمة على احترام الحقوق بدون مواربة فكنا نتصور اننا لن نشهد بعد تلـك الايام اساليب العنف والضغط التي تعودنا احتمالها فـي الادوار السابقة .. اما اذا لم تحصل سورية على امانيها فـي عهد الجبهة الشعبية الافرنسية فالموقف يبقى عسيرا والنتائج مجهولة ولذلك كنا شديدي الحرص على اغتنام هذه الفرصة فلا نعود الى سورية الا بحل مقبول لهذه المعضلة الشاذة .



فخامة السيد هاشم الاتاسي رئيس الجمهورية السورية عام ١٩٣٩ يستقبل (الامير) محمد رضا بهلوي ولي عهد ايران (امبراطور ايران اليوم) اثناء مروره في دمشق بطريقه الى القاهرة ليعقد قرانه على الاميرة فوزية ، ويرى وراء الرئيس الاتاسي ، وزير الخارجية السورية الاستاذ فائز الخوري .

★★★

وفي ١٠ حزيران ١٩٣٦ تبوأت الوزارة الاشتراكية مقاعد الحكم معتمدة على اكثرية تناهز ثلثي النواب ولكنها مع ذلك دقيقة المهمة بوقوعها بين تطرف الشيوعيين واعتدال الراديكاليين وخشيتها من اغضاب احدى الفرقتين ولا غنى لها عن مؤازرة كليهما . وكان العمال قد اضربوا بقصد الضغط على اليمينيين كي لا يقاوموا في تنفيذ المشاريع التي ينوونها وكانت الجبهة الشعبية تزعم انها تستطيع تسكين الهياج حالما تصل الى الحكم ولما وصلت وجدت ان اطماع العمال لا حد لها .. يطعمونها الكراع فيطعمون بالذراع .. اما نحن فلم نكن ندري كيف ستكون عقبى امرنا .. ذلك ان الوعود الحاسمة بترويج مهمتنا كثيرة ولا مجال للشك بحسن نية باذلها وكنا نظن ان القضية قضية وقت وهدوء بال وفي الوقت نفسه كنا نخشى ان تعجز هذه الجبهة الشعبية عن التحكم في الموقف فتشبه حالها مرحلة

كيرنسكي او تعود الاحوال وترجع السيطرة الى قبضة عسكرية تقلب الامور رأسا على عقب .. وكان المفوض السامي مشغولا برمد في احدى عينيه قضى على قوة بصرها قضاء تاما فراح يعالج الاخرى ليحميها من مثل هذا المصير..
وكانت البرقيات الى باريس تتوالى من دمشق وحلب وحمص وحماة وطرابلس ودير الزور وسائر المدن فكنا نعجب من فساد السبك والتعبير في بعضها خصوصا طرابلس وحلب ولا ندري كيف غاب عن بال الدكتور عبد الرحمن الكيالي اننا لسنا حزبا فراح يوقع برقياته Parte وانه يخاطب بها Nationaliste الجبهة الشعبية وفيها الشيوعيون فيقول نحن تأييدا لما يتهمنا به اليمينيون ليشوهوا صفحتنا عند الشيوعيين بحسباننا اقطاعيين !

وكان من جملة الاشياء الداخلة تحت البحث والتقرير تعهد سورية باحترام جميع الحقوق المكتسبة المنشأة للافراد والشركات والدول بموجب عقود او امتيازات او معاهدات عقدتها فرنسا في عهد انتدابها باسم سورية وعلى حسابها وهذا شرط مؤيد في معاهدة العراق عند قبولها في جمعية الامم سنة ١٩٣٢ ولذلك كتبت الى شقيقي فائز الخوري اطلب اليه ان يذكر السيد عطا الايوبي رئيس الوزراء ، ووزرائه بهذه القضية الهامة كي لا يقدموا على عقد شيء جديد خصوصا في ذلك الوقت الحرج الذي يعرف رجال الانتداب انهم يستطيعون اغتنامه بانشاء عقود جديدة في هذه الفرصة يضيفونها الى الاعباء الثقيلة الماضية مما نحاول التملص منه او تخفيفه ..
وكنت قرات قبل يوم انهم منحوا امتياز الزفت في بشري قرب دير الزور ، وهذا ضربة قاسية تضع على كواهلنا عبئا باهظا .. كما كتبت لفائز بمسألة الموظفين الاجانب وضرورة عدم تجديد التعاقد معهم لآماد طويلة او بشروط قاسية اذ ان امر هؤلاء الموظفين يضاف الى الحقوق المكتسبة للافراد ..
وكان اكثرنا قد مل وسئم البقاء وفي اليوم التالي ١١ حزيران اجتمعنا بالكونت دي مارتل بعد ان تعافى فاخبرنا انه قابل المسيو فيينو وكيل وزارة الخارجية الجديد وبعد أن أطلعه على مجرى القضية السورية فهم منه انه متفق مع المسيو ليون بلوم رئيس الوزراء على حلها بأسلوب يرضينا وان فيينو طلب منه ايداع الاضبارة لديه ليطالعها وكنا قبيل هذا اللقاء قد سلمناه مذكرة مفصلة بتنفيذ الصكوك المعطاة لنا وهو سيعرضها في اليوم التالي ١٢ حزيران الذي هو موعد الابتداء بالبحث في هذه القضية بوزارة الخارجية وقد الححنا بطلب الاسراع وعدم وجود موجب للتطويل بعد ان توضحت المسألة ولم يبق لها سوى الكتابة وافراغها بالقالب الرسمي الا انني كنت اخشى من الجهة العسكرية ان تحول دون النجاح .. وكانت بعض الجرائد

اليسارية تنشر البرقيات التي ما زالت ترد مــــن مدن سورية وبعضها تعلق عليها بما يقويها ويلائمها . . كان يمكن ان نقدر النتائج بما نسمعه من المقدمات فنكون كثيري التفاؤل الا اننا كنا نخشى مـــن اصطدام آراء زعماء الحكومة والجبهة الشعبية بعقلية القدماء خصوصا رجـال الجيش واحبار السياسة في الوزارات وكانت وزارة ليون بلوم تحتاج الى تأييد القوة عــلى الا تترك جماعة اليمين . . وقد اشتدت وطــأة الاضراب فشمل الفنادق والمطاعــم والمقاهي وصار يتعذر على الغريب مثلنا ان يجد محلا يأكل فيه فيلجأ الــى مشتري ما يسد به جوعه من بعض الدكاكين .

دسائس تنشط لعرقلة المساعي وعوامل تحول دون نجاح الوفد السوري

واستمر فارس الخوري يحدثني بقوله :

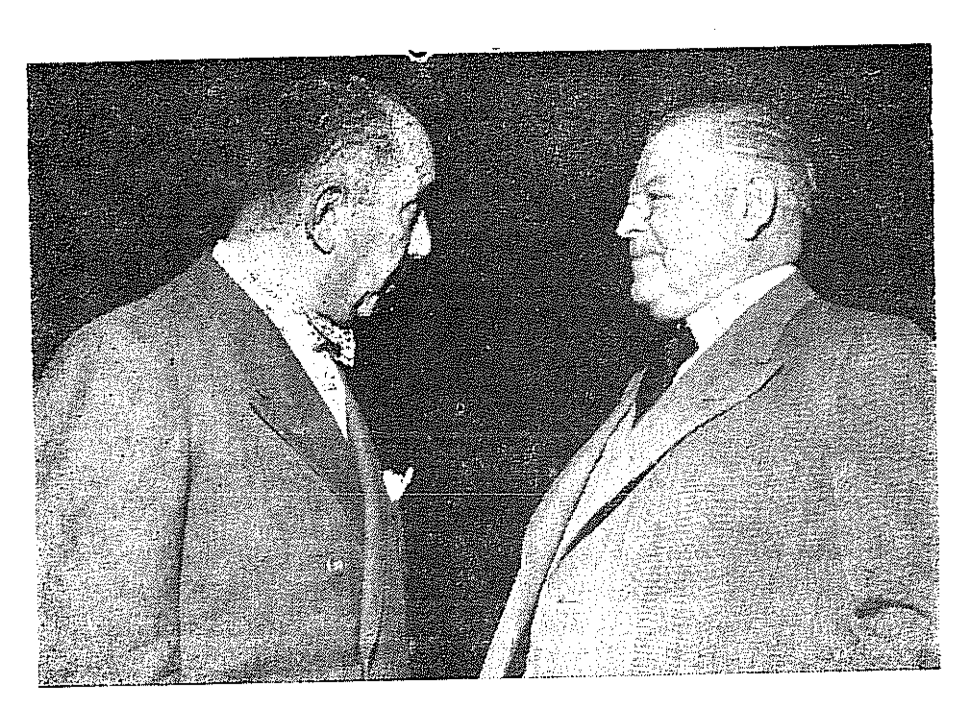
وانتصف شهر حزيران ثم مضى اسبوع وانا مازلت اكتم ضجري مـــن ذلك المكث الطويل فقد كدنا نأسن ونفقد الطلاوة التي نحن بحاجة لاستمرارها . . لقد اكتمل الشهر الثالث على خروجنا من دمشق . . فلم نعد وفدا ، بـل صرنا سفارة او بعثة ، ولكن ماذا عسانا ان نفعل ونحن عازمون منذ البدء ان لا نعود بدون نصوص صريحة وعالمون خطر هـــذه العودة ان كانت مقرونــة بالفشل وامامنا اكوام من الدسائس الناشطة لعرقلة مساعينا . . نعم . . ان رجال الحكومة الجديدة حسنو النية نحـو القضية السورية وانمــا ليسوا وحدهم المسيطرون على الموقف ، فمعهم عناصر قوية استعمارية مـــا زالت تتمتع بنفوذ لا يستهان به يمدها اليهود الخائفون ان يكون في سورية المستقلة معقل منيع لمكافحتهم في فلسطين ، والبريطانيون الكارهون ان تكون فرنسا صديقة محبوبة للعرب ، والموظفون المتمسكون بمناصبهم الممتازة في سورية ولبنان ، وبعض سكان المناطق الممتازة في جبلي العلويين والدروز والمعطرون من مضابطهم سيلا على المراجع العليا فـــي باريس ، والمتمولون الاجانــب الحريصون على رؤوس اموالهم ومكاسبهم ، ورجال البعثات المتخوفون علـى مؤسساتهم حيال تيار القوميـــة الجارف ، وجيران الشمال ــ الاتـراك ــ الكارهون لما قد يكون من اتحاد العرب ، والكنسيون العائشون فــي تضاعيف الاساطير التقليدية من عهد الصليبيين الـــى عهـــد الجنرال ويغان ، كلهم يشددون الحملة على زعماء اليسار ليزحزحوهم عـــن الموقف الذي اعلنــوا عزمهم على الوقوف به ، ونحن بوسائلنا الضعيفة نجاحش عــن خيط رقبتنا ونصد هذه الغارات الرامحة ونبذل الجهود لتنفيذ الوعود ولمقاطعة التراخــي



شكري القوتلي نائب رئيس الكتلة الوطنية عام ١٩٣٦ يستقبل المغفور له البطريرك الكسندروس طحان الواقف عن يمينه .. وعن يمينهما السيد فخري البارودي فالسيد لطفي الحفار ، وعن يسارهما الاستاذ فائز الخوري ، يحيط بهم فريق من كهنة الروم الارثوذكس في دمشق ، ومعروف عن البطريرك طحان صادق وطنيته واصالة عروبته وعظيم اخلاصه .

***

الذي نلمسه عند نصراء قضيتنا بالامس فقد كانوا قبل الوصول يؤكدون الانجاز في اليوم الاول ثم استمهلونا بالايام وما لبثوا ان راحوا يستمهلوننا بالاسابيع فبتنا نخشى بعدها ان يحصل الاستمهال بالاشهر .. هم خائفون على مواقعهم مع هذه الآفات الجبارة التي تجتاحهم في الداخل فلا يرغبون باقتحام عمليتنا قبل ان تستقر اقدامهم ويطمئنوا على مراكزهم وهذا مجهول الاجل والتحقق ، كانوا يقولون لنا .. أن الدوائر المختصة تدرس كلها منها ما يخصها من قضيتنا وعما قريب سيأتوننا بنتيجة هذا الدرس ، وحالتنا تشبه حال المبعد لاجل غير مسمى فلا يعلم موعد الافراج عنه ولا هو يستطيع التخلي عن مكانه !! أؤكد لك انه لم يكن مر بي عهد ـ حتى ذلك التاريخ ـ كنت فيه مخنوق الروح ومنقبض الصدر كما كنت في باريس .. ولا يؤلمني مثل ما كنت اقراه واسمعه عن اننا مسرورون في متنزهات باريس وملاهيها ..



حديث هام بين الاستاذ فائز الخوري سفير سورية في واشنطن ، وعبد الخالق حسونة الامين العام لجامعة الدول العربية .

***

وماذا عسانا ان نفعل ؟!.. القوم يعدوننا من يوم الى يوم ثم من اسبوع الى اسبوع فلا ينجزون الوعد ولا يقضون بالرفض .. وكان الاضراب ما يزال شديداً والمعامل يخيم عليها اليأس بسبب زيادة نفقة الانتاج وما تولده من الخسائر ، وهنالك عجز الميزانية الفرنسية الهائل واصدار حوالات على الخزينة بعشرة مليارات ، والافلاس المستولي ، وحرج الحالة المالية ، وزيادة الاسعار في الحاجيات ، وانقسام الشعب برمته الى قسمين يكادان يكونان متعادلين بين الاشتراكية والقومية وتوتر الحالة بينهما توتراً شديداً ينذر بالانفجار كل ذلك كان يزيد في سوء الطالع .

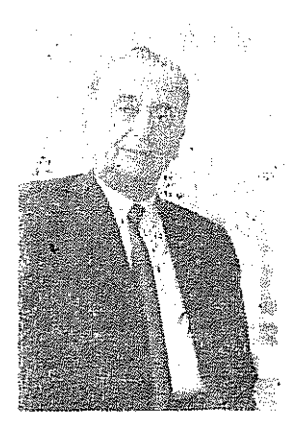
مشكلة الكيان اللبناني بين الوفد والبطريرك الماروني

يضاف الى كل هذا ان تمسك الافرنسيين باوضاع لبنان التي كان

عليها في ذلك العام شديد ، وقد اعطوا عهدا خطيا بانالة لبنان مثلما تنال سورية من استقلال ومعاهدة وهذه الناحية اللبنانية كانت موضع الخطر في مفاوضاتنا .. وما لبث ان جاء الى باريس المطران مبارك والمطران ففالي فاجتمعت بهما وتحدثت اليهما فيما كتبه البطريرك انطون عريضة الى وزارة الخارجية الافرنسية زاعما ان الوفد السوري قد غدر به ونكث عهده القاضي بعدم المطالبة بشيء من اراضي لبنان .. فصرحت لهما بأنه لم يصدر عن احد منا وعد مثل هذا .. فقال لي المطران مبارك ان البطريرك يؤكد صدور هذا الوعد عن فخري البارودي باسم الكتلة الوطنية وانه اتفق مع الكتلة على اساسه فأجبته ان فخري البارودي قد كذب هذه النسبة ونحن واثقون انه صادق في تكذيبه كما ان غيره لم يقل شيئا من هذا القبيل وكيفما كان الامر فان ميثاق الكتلة الوطنية صريح من هذه الجهة ولا يستطيع احد ان يذهب الى خلافه ، واذكر انني كتبت في ذلك الحين الى شقيقي فائز الخوري أطلب اليه ان يعلن بصورة لبقة ان سورية لن تتنازل عن مقاطعاتها الملحقة بلبنان وان احدا من اركان الكتلة الوطنية لم يعد بشيء من هذا التنازل ..

استدراك من قبل المؤلف لا بد منه

لقد آليت على نفسي وانا انما اكتب للتاريخ ان اتحقق من قصة هذا الوعد .. فعلمت أن خلافا كان نشب بين المغفور له البطريرك الماروني انطون عريضة وبين المفوض السامي الافرنسي الكونت دي مارتل عام ١٩٣٥ فرغبت الكتلة الوطنية في استغلاله لصالح الاماني القومية ، واستدعى السيدان شكري القوتلي وسعد الله الجابري ، المحامي الاستاذ نوفل الياس الذي كان يقوم بمهام الوكيل البطريركي العام في سورية وينعم بعطف البطريرك المذكور عليه وعلى اسرته فضلا عما يضطرم في اعماقه من المشاعر الوطنية والقومية ، وكلفاه بالشخوص الى الصرح البطريركي ليقترح على غبطة البطريرك العمل مع الكتلة الوطنية على استقلال البلدين السوري واللبناني وان يتعاونا تعاونا مخلصا في هذا الشأن ، وقبل البطريرك بهذا الاقتراح الا انه اشترط ان يوضع الاتفاق بهذا الشأن خطيا وان يتضمن الاتفاق اعتراف الكتلة الوطنية بحدود لبنان نهائيا فلا تعود للمطالبة بالاقضية الاربعة المسلوبة من سورية عند بدء الانتداب وهي (بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا) .. وتداول رجال الكتلة الوطنية الامر فيما بينهم ، ثم انتدبوا احدهم السيد فخري البارودي للذهاب الى (بكركي) وفوضوه بأن يضع الاتفاق مع البطريرك بالصورة الملائمة ، وقبل ان يجتمع السيد البارودي بالبطريرك التقى بالاستاذين نوفل الياس وعارف الغريب (والاخير صحفي لبناني على علاقة وثيقة بغبطة



الاستاذ نوفل الياس ، مزارع كبير في محافظة اللاذقية ووجيه محترم يتحدر من اسرة عريقة بالمجد والشرف ، كان من تلاميذ فقيدنا الراحل وهو محام لامع وشاعر مطبوع واديب موهوب وخطيب مفوه وسياسي محنك ونائب جريء يذكر له المتتبعون مواقف وطنية خالدة ويحب فيه اصدقاؤه خفة روحه وسماحة نفسه وسخاء يده وكرم طبعه وعظيم نخوته وشهامته ونجدته ، ابرق غداة وفاة استاذه برقية تعزية لعلها من اظرف البرقيات واشدها اثرا في النفوس الملتاعة حيث قال : (دمشق العلامة فارس الخوري انا لا اصدق النبأ المروع بل يخيل الي انك لما اخفقت امام قضاة الارض في القضية القومية التي نذرت نفسك للدفاع عنها رفعتها الى قضاة السماء استئنافا وشخصت الى ذلك العالم الثاني معللا نفسك بالنجاح هناك حيث اخفقت هنا ، فمساك يا عميد هذا الجيل لا تضيف الى ياسك الاول ياسا اخر . نوفل الياس) وبديهي ان الاستاذ نوفل انما يقصد بالقضية القومية التي نذر فارس الخوري نفسه من اجلها ، قضية فلسطين التي تشغل ذهن كل عربي وتستقطب اهتمامه.

***

البطريرك) في مقهى نهر الكلب في بيروت ووضعوا صيغة الاتفاق ومن ثم ذهب الثلاثة الى بكركي واختلوا بغبطة السيد انطون عريضة وتعاهدوا على تنفيذ الخطة المرسومة فما كان من السيد عريضة الا ان اخذ مسودة الاتفاق بيده ومزقها اربا وقال (من لا يحترم كلامه لا يحترم تواقيعه) وكان لعمل البطريرك هذا يومذاك اجمل الاثر في نفوس الوطنيين وابعثه على الثقة والطمأنينة . . وصادف ان حلت مناسبة عيد غبطة البطريرك وكان من عادته ان يدعو المفوض السامي الافرنسي وحاشيته واركان الحكومة اللبنانية للغداء على مائدته في مثل هذه المناسبة ، الا انه في هذه المرة استدعى الاستاذ عارف الغريب وكلفه بدعوة رجال الكتلة الوطنية لتناول طعام الغداء معه . . فزحف اركان الكتلة في موكب شعبي ضخم الى بكركي وكان في مقدمة الزاحفين هاشم الاتاسي وفارس الخوري وجميل مردم وسعد الله الجابري وشكري القوتلي ومحمد نوري الفتيح ولطفي الحفار ونجيب اغا البرازي والدكتور توفيق الشيشكلي ونجيب باقي ومظهر رسلان وفخري البارودي وغيرهم . . وهناك القى نوفل الياس قصيدة من نظمه مخاطبا غبطة البطريرك:

يا صخرة الوادي وحامي بيعة ... ضحكت من الامواج والايام
علمتنا حب المكارم والعلى ... والرفق بالمظلوم لا الظلام

وخلقت منـــا أمـــة فطرت على حمــل الشقـاء وكثـرة الآلام
اليـــوم عهـــد بدايـــة ونهاية اكـرم بعهـد بدايــة وختــام
طلعت على بردى ودجلـة شمسه وبدت علـى الاردن والاهــرام
ومشى السرور يطوف في اقداحه فالكون نشوان بغيــر مــدام

الى ان يقول :

جعلوا المسيح مــع النبي محمد هدفـــا لكـل تنابــذ وخصام
الدين ليس الديـن ديـن تفرق الدين ديـــن محبـــة ووئـــام

ثم يقول :

يــا للعهود وقـــد بدت خلابـة زالـــت زوال الطيف والاحـلام
منا الكريم غـــدا غريب ديـــاره وابــن الكريم يسام كالانعــام
لبنان يــا وطـن الخيال تحيـــة يـــا مســرح الآســاد والآرام
كم فيك من نفس تبيتعلى الطوى كم فيك مــن ثكلى ومـــن ايتام
قد كنت قبل اليوم ابكي من مضى واليوم ابكي الحي فـــي الارحام
حرس وجنـــد رايـــة ورئاسة يـــا دولة قامت علـى الاوهام
ان كان ! ثـم ان نطالب بالعلـــى يـــا مرحبـا بالاثــم والآثـام
او كان جـــرم ان ننــال حقوقنا يـــا مرحبا بالجـرم والاجـرام

واخيراً يختم الاستاذ نوفـل الياس قصيدته موجها خطابه الـــى غبطة البطريرك انطون عريضة :

من أنت قال (الفرد) قلت مفاخرا هـــل انت الا سيـــد الاقـوام
هل انت يـــا مولاي الا (عريضة) ملجى النصارى وقبلـــة الاسلام
هـــل انت الا شيخنا وعميدنـــا وفؤاد لبنـــان وروح الشـــام
لا زلت تطوي العمر جيـلا ساميا حتى يحقق فيك كــل مــرام

عود الى حديث لبنان .. والجبل العلوي ايضا

ويستطرد فارس الخوري وهو يروي لي : وكان المسيو فيينو وكيـــل وزارة الخارجية الافرنسية قد بعث في ٢٢ حزيران ١٩٣٦ برقية الى السيد اميل اده رئيس الجمهورية اللبنانية يؤكد له فيها عدم التعرض لحدود لبنان بحسب ما اختطها الجنرال غورو في ٣١ آب ١٩٢٠ ويصرح لـه بعزم فرنسا على فتح المفاوضات معه لعقد معاهدة مثل المعاهدة المنوي عقدها مع سورية فطلبنا وضع القضية المتعلقة باسترداد الاراضي لسورية موضع البحث .. ولكن الفرنسيين اجابونا بالاعتذار .. فأدركنا ان حدود لبنان مقترنة بتأييـد فرنسـا وحرصها وان لا امل لنا بها الان .. وبتنا في حالة مـــن التردد بشأن

الخطة الواجب اتباعها حيال هذا الجزم البات .. كما ان الفرنسيين يرفضون اقامة وحدة سياسية تامة بين سورية ولبنان فلم يبق امامنا الا السعي للحصول على اعتراف افرنسي ببقاء القضية غير محلولة او توسع العلائق والمصالح المشتركة بين سورية ولبنان بشكل يقرب من الاتحاد ، او قطع جميع الصلات واعتبار لبنان دولة اجنبية محضة في كل شيء .. ولقد زعم الفرنسيون ان برقية المسيو فيينو الانفة الذكر قد قوبلت من اللبنانيين بالرضى والانشراح على اختلاف طوائفهم حتى المسلمون في طرابلس والشيعة في جبل عامل وبعلبك الا اننا نحن لم نكن سمعنا صدى للاحتجاج او عكسة حتى بعد مرور ايام على نشر البرقية ، وكانت حجتنا في باريس بالمطالبة باسترداد مقاطعاتنا تدور على ثلاثة اسباب (رغبة سكانها، وحاجة سورية مع حقها بها ، وتعذر امتزاجها مع لبنان) فاذا كان سكان هذه المقاطعات راضين بالبقاء ضمن الكيان اللبناني نفقد الحجتين الاولى والثالثة وتبقى لنا الثانية وحدها وهي بعرف العدل كافية لولا اصطدامها بالاغراض الاستعمارية .. ثم ما لبث ان ظهر لنا ان الدوائر القديمة استولت على آراء الرؤساء الجدد وجعلتها خاضعة للعنعنات التقليدية حتى صرنا نسمع من هؤلاء الاحرار مثل العبارات التي كنا نسمعها من اسلافهم عندما كانوا يشجبونها وهم بعد خارج الحكم ، ولعلهم يتساهلون في الامور الثانوية التي لا تضير القواعد المقررة .. ثم يبدي لنا الظاهر ان الافرنسيين يجرون على سياسة خارجية واحدة مهما اختلفت احزابهم في الداخل ، فنراهم يقيمون وزنا لمضابط تأتي من بدوي الجبل وابراهيم الكنج وامثالهما ، تهدد بالثورة اذا تقرر ضمهم الى سورية ، ويدلون بهذا حجة على التريث لتلافي الامر ..

البلاد السورية بين الصبر والضجر

واستطرد الاستاذ فارس الخوري يروي لي : وحل شهر تموز ١٩٣٦ .. واتضح لنا انه عند الانقلاب السياسي اذا لم يحصل التبديل بالاشخاص عاجلا فان هؤلاء لا يعتمون ان يحوطوا الرؤساء الجدد بآرائهم ونفوذهم ويسيروهم في منهاجهم .. ورئيس الدائرة الجديد ينقاد بطبيعة الحال الى اعوانه ولا يستطيع ان يخلق لنفسه خطة جديدة الا اذا كان عماله شركاءه في الراي ، حيال هذه الحقائق وجدنا ان المترتب علينا الالحاح بالاسراع قبل تبدل الاراء وانحرافها عنا وكنا معشر اعضاء الوفد على خلاف حول هذه الناحية منا من يلح بالاسراع ووجوب المبادهة ومنا من يقول بالتريث وكان شكري القوتلي يكتب الينا منشطا لهذا الراي الثاني بما يصوغه في تحاريره

من المدح والثناء والثقة العمياء وان لا عبرة للوقت مهما طال واستعداد البلاد للصبر والانتظار وان لا نهاية لصبرها واحتمالها .. رغم انه كانت عندنا مصادر اخرى تقول ان الضجر بدأ يتسرب الى النفوس والملل الى العزائم .. وانا شخصيا كنت اعتقد ان الضرر كل الضرر في هذا التأجيل الذي يفسح مجالا لخصومنا في داخل البلاد وخارجها ليضعوا الاشواك في طريق نجاحنا ولم نكن امام وزارة قوية تنفذ منهاج حزبها غير مكترثة بالمعارضين بل كنا امام رجال يداورون ويجاملون ليمكنوا اقدامهم وينجوا من الخذلان رأيناهم كيف افتتحوا اعمالهم بشدة وحزم ثم بدأوا بالتراجع وانهم كانوا متياسرين معنا فصاروا متياسرين مع اهل اليمين ويهمهم ارضاؤهم اكثر من ارضائنا وصرنا نسمع منهم نفس الاقوال التي كنا نسمعها من سابقيهم ، ولهذا كتبت الى شقيقي فائز الخوري اطلب اليه ان يرجو شكري القوتلي يخفف من هذه المجاملة واقول له (ستي من غير وحام مريضة) وان صدري قد ضاق على رحبه ولم اعد اطيق الصبر على هذه المطاولة وانتظار الاقدار وصرت اخشى من ان تنتهي الى لا شيء بعد هذا المكث الطويل والعذاب المبرح .

تزييف الصحفيين للحقائق

وروى لي فارس الخوري قال : لقد كنا نأبى الاجتماع مع اي صحفي والادلاء للصحافة باي تصريح كان حذرا من تحريفاتهم واخطائهم برغم مطالب الصحفيين الملحة بهذا الشأن .. ولكن .. صدف ان زارنا صحفيان وسألا في جملة ما سألا عن عدد الموظفين في الجمهورية السورية فقلنا لهم انهم بين خمسة او ستةالاف اقل من عشرهم افرنسيون ولم يكتب السائل شيئا في ذلك الاجتماع والظاهر انه بعد ذهابه كتب ان الالاف الخمسة كلهم افرنسيون !! ..

اعضاء الوفد .. مرضى !!

واستطرد فارس الخوري يقول : ثم اصبت بالم في عيني اليسرى مع اكمداد ظاهر في لونها ورحت اتردد على اختصاصي واعالجها بانتظام فتحسنت بعض الشيء .. وهناك بدأ يضايقني حصر البول وانحباسه فراجعت اختصاصيا اخر فقال انها البروستات على ما يرجح ولكن لا بد من الوضع تحت المشاهدة وحيث لم يتيسر لي ذلك حينئذ فقد ارجأت معالجتها الى وقت اخر وكنت افكر بالتأخر في باريس بعد انجاز اعمالنا الرسمية للمعالجة الا انني لم افعل .. والامير مصطفى الشهابي ظهر معه السكر في البول والدم بمقادير كبيرة ، وجميل مردم بك راح يشكو اعراضا كبدية



من اليمين الى اليسار : السيد نجم الدين الرفاعي ، ياسين مغير من موظفي الوفـــد السوري لدى هيئةالامم المتحدة ، الدكتور محمود فوزي مندوب مصر ، الحاج محمد ظفر الله خان مندوب الباكستان ، الاستاذ فائز الخوري سفير سورية في واشنطن .

***

مزعجة ؛ وهاشم الاتاسي راح يشكو الارق ، وسعد الله الجابري راح يشكو البواسير .. وليس من سليم بيننا سوى نعيم الانطاكي وادمون الحمصـــي واحمد اللحام .. وكنا نردد فيما بيننا وبين انفسنا (خلصنا الله من هـــذه الورطة التي وقعنا بها مع هؤلاء الجماعة) !! ..

كيف تدور المفاوضات بين الجانبين السوري والفرنسي

وسألت فارس الخوري : كيف كانت تدور المفاوضات بينكم وبين الجانب الافرنسي ؟! فقال :

انتصف شهر تموز .. وانقضى بعده اسبوع .. وانا اشعر ان سورية لم يعد لها جلد على الانتظار وان الثقة تتضاءل يوما بعد يوم ونحن واركـــان الكتلة الوطنية في سورية عاجزون عن تغذيتها ، وان الدسائس تلعب دورها

الفعال لاحباط المساعي ، وخصومنا او نظراؤنا المفاوضون امامنا لم يبدلوا كثيرا من نياتهم القديمة وعلى عجزنا نجاهد معهم حتى نصل في بعض الاحيان الى توتر شديد ثم تغلبنا الحكمة فنعود الى الوصل ونؤجل البت في الامور التي يقفون عندها ، وماذا عسانا ان نعمل للخروج من هذا المأزق ؟! .. جئنا الى باريس لاجل شهرين فقط وها ان الرفاق يقررون ويطلبون نفقات الشهر الخامس . تصور موقفي وانت تعلم طباعي بهذا الامر المالي ، لا اريد ان آخذ شيئا ، والانفراد صعب جدا بما فيه من ظهور التميز .. نعم لقد كان قطع المفاوضات صعبا ولكن القبول صعب ايضا فلا الموت هين ولا كيد العدى هين .. وتأتينا اخبار لبنان والبلاد الملحقة به فلا نجد محيصا .. يريدون ان يتخذوا من المعاهدة وسيلة لاعترافنا باوضاع لبنان وهذا ما لا نستطيعه !! يريدون بقاء المصالح المشتركة على حالها ما عدا سيطرة الافرنسيين عليها فيتركونها لمجلس يؤلفه السوريون واللبنانيون بالاتفاق لادارتها على ان يبقوا حكما عند الاختلاف . قلنا لهم وافقونا على تأليف كيان حكومي يقوم بالصلاحيات الموجودة في يد المفوضية من تشريع ودفاع وتمثيل خارجي وجمارك وجوازات وبريد وبرق وخطوط حديدية وطرق مواصلات ونظام نقدي بحيث تنتقل الينا جميع الصلاحيات مع بقاء الحدود على حالها فابوا علينا ذلك واوجبوا حصر الصلاحيات بالجمارك والبريد والنقد والخطوط الحديدية على اساس تقسيم الواردات بحسب الاستحقاق فرأينا ان سورية تغبن بهذا الشكل ويتعذر عليها تأليف جيشها وتأدية حصتها من ضمان الخطوط ، قلنا لهم اعطونا منفذا بحريا قالوا هذا مستحيل ، قلنا اتركونا احرارا بجمركنا في حالة تعذر الاتفاق مع لبنان قالوا لا نستطيع ان نفسح مجالا للتفريق ، قلنا سجلوا لنا تحفظنا واجلوا البحث بهذه المشكلة الى ما بعد تصديق المعاهدة قالوا نؤجل ولا نسجل على شرط اعترافكم ببقاء الاشتراك بهذه المصالح ، قلنا دعونا نكمل المباحث الاخرى ، قالوا اما هذا فنعم .. ثم راينا انهم يريدون تأجيل الوضع النهائي للنظام القضائي الى الدورة الانتقالية فقلنا لهم لنضع قواعده من الان ، قالوا قواعده موضوعة بالمحاكم المختلطة ، قلنا هذه لا نرضى بها وعددنا لهم مساوئها ، قالوا ماذا تريدون اذن ؟! قلنا تحديد المصالح الاجنبية وترك الاكثرية في المحاكم السورية ، واللغة العربية وحدها ، واستخدام ستة قضاة افرنسيين لمدة عشر سنوات يشترك واحد منهم في كل محكمة عند النظر بدعوى ذات طرف اجنبي ممن كان يتمتع بالامتيازات قبل الحرب ، قالوا الدول لا تقنع بهذا ونطلب ضمانات اوسع تؤيدها جمعية الامم ، قلنا هاتوا مثال العراق ، قالوا هناك ادغام وانتم لا تريدون الادغام ووقفنا عند هذا الحد ، قلنا لهم الحقوا مقاطعتي اللاذقية والجبل الحاقا



الشقيقان الكبيران المغفور لهما الاستاذان فارس وفائز الخوري يمثلان سورية في هيئة الامم المتحدة .

***

صحيحا قالوا نتخلى لكم عن جميع الصلاحيات التي للمفوض السامي بموجب القرارين اللذين نشرا مع الدساتير و لانستطيع ان نعطيكم اكثر مما نملك، قلنا هذه الدساتير اعترضنا عليها في بيان ٢٦ شباط وجاء اتفاق اذار نافيا لها، قالوا نعم ولكن عصبة الامم تصر على اعطاء اوتونومي (حكم ذاتي) ويمكنكم فيما بعد أن تحددوا هذه الاوتونومي بالاتفاق مع السكان ، قلنا وافقونا على ان يكون البرلمان السوري المشترك فيه هؤلاء السكان صاحب الحق بوضع النظام الخاص ، قالوا دعونا ندرس هذه الناحية ، قلنا نعطيكم قاعدتي طيران قالوا نعم في المزة والنيرب ،قلنا ابعدوهما عن المدن ، قالوا سننظر بالامر ، قالوا يلزمنا مطارات اخرى قلنا نسمح لكم بالاستفادة من المطارات السورية للنزول بها قالوا نعم ، قلنا تسحبون قواكم البرية من سورية قالوا نعم الا من جبل الدروز ـ السويداء وصلخد وشهبا ـ ومن العلويين ـ اللاذقية ومصياف ـ قلنا احصروها بموقعين فقط ، قالوا لا يمكن الان ولكن ينظر به فيما بعد ، قلنا حددوا المدة بخمس سنوات قالوا لا حاجة للتحديد ونجعلها

موقتة لنتفق على جلائها فيما بعد ، قلنا لماذا هذا ؟! قالوا لنرى ان كنتم تستطيعون السيطرةالتامة في هاتين المنطقتين ، قلنا لا نرضى بدون تحديد، قالوا فكروا ونفكر ، قلنا ارفعوا من المعاهدة تعهدنا بحماية حقوق الاقليات قالوا جمعية الامم تصر علىذلك ، قلنا سنتعهد لدى الجمعية كما فعل العراق قالوا انهم يريدون تعهدا منا ، قلنا نتعهد لكم باننا سنتعهد لجمعية الامم قالوا دعونا نفكر .. قالوا اعطونا حق قبول التطوع في جندنا قلنا هذا لا يكون ، قالوا يلزمنا جنود محليون قلنا نعطيكم قطعا لحراسة المطارات كما فعل العراق ، قالوا نفكر ، قالوا ابدوا لنا حق الافرنسيين باتفاق الاقامة ، قلنا على قاعدة المقابلة بالمثل والامة الاكثر رعاية ، قالوا القاعدة الثانية مقبولة .. هذه مسطرة من خلاصة ما كان يجري فيتموز١٩٣٦ .. يأخذون راينا ويفارقوننا لاستشارة الدوائر المختصة وتمضي الايام على هذا الشكل .

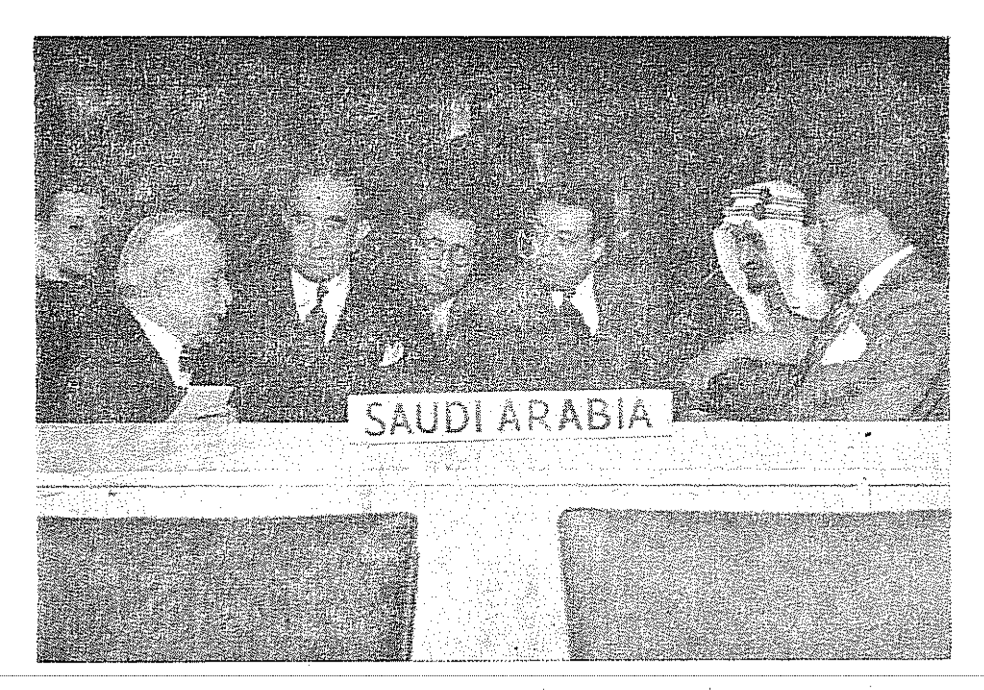
اخبار مخالفة للحقيقة

واستطرد فارس الخوري يقول : ولا ادري كيف كانت تشاع اخبار عن الوفد واعماله وسير المفاوضات مخالفة للحقيقة تماما فنطالعها فيالصحف السورية التي كانت تصل الينا الى باريس ونتألم ونقدر صعوبة موقف الكتلة الوطنية حيالها ونخشى أن يكون لها شيء من الاثر في الرأي العام مثلقولهم ان الوفد تنازل عن نقطةكذا او نقطة كذا وتم الاتفاق على الوجه الفلاني مع اننا لم نتنازل عن شيء من حقوقنا ولم نتفق الا على ما يضمن مصلحتنا ويؤيد حقنا ونبلغ بهاقصىحد مستطاع .. ومن جملة ما قراته في شهر اب ١٩٣٦ مثلا ان السيد ادمون حمصي تزوج في باريس بنت المسيو بيرار مع ان الرجل لم يفكر بالزواج مطلقا ولا كان شيء من هذا البتة فهو مشغول معنا بالمهمة التي جئنا لها وليس له وقت للتفكير بامر الزواج الذي كان منزوعا من باله .. وكنت ارىان مهمة اركان الكتلة الوطنية امام الشعب السورياشق من مهمتنا تجاه دسائس الدساسين واقول انهم قاموا بها خير قيام .

توقيع وضعه احمق يكفي لاشغالنا اشهرا

واستمر فارس الخوري في حديثه لي قائلا : وتوسطنا شهر اب ١٩٣٦ ولم يكن بقي عندنا من عقدة عاصية الا العلاقة اللبنانية من حدود ومصالح مشتركة كان القوم يأبون ان يبتوا بها في باريس ويريدون تعليقها على مفاوضات تفتح حال تصديق المعاهدة وعند انجاز هذه المفاوضات يسلمون لسورية مصالحها الاقتصادية التي تديرها المفوضية ويصرحون ان هذه

المفاوضات لا بد أن تختم على اقرار احد الاساليب الآتية ، اما اتحاد فتسلم المصالح الى حكومة الاتحاد ، واما اشتراك بهذه المصالح الاقتصادية فقط فتسلم الى الهيئة التي يقيمها الطرفان لادارتها ، واما انفصال تام فتسلم الى كل حكومة حقوقها لتديرها مستقلةعن الاخرى ونحن نطلب استلامها سريعا مع اطلاق حريتنا بالعمل لنديرها كما تشاء منافعنا بدون أن نكون مقيدين برأي غيرنا على ان نحتفظ بمسألة الاراضي ونؤيد بقاءها غير محاولة ، وما زلنا نتبادل النصوص بتقريب وجهات النظر حتى مللنا وملوا المجادلةوالمناقشة بوقوف كل من الطرفين عند رايه ، وكانت الاجتماعات مستمرة مرة او مرتين كل يوم وتدوم ساعات كثيرة ولا غرابة في هذا الامتداد فان تمسيحالاوساخ التي اوجدتها الادوار السابقة ليس بالامر السهل وتوقيع واحد وضعهاحمق على عقد ضار يكفي لاشغالنا اشهرا .. مجنون رمى حجرا في بئر ثم يعتب ويحتج على المشتغلين برفع هذا الحجر .. وبدلا من أن يجنح الى زاويةخفية يبكي ندما على ما بدر منه ، نراه يصعر خده .. ويظهر للناس معترضا علينا في انكبابنا على تنظيفاوساخه وايجاد مخرج ومنقذ من الهاوية التي رمى الامة فيها . وهكذا ظلت الجهود اكثر من اسبوعين ، منصرفة الى قضية المصالح المشتركة والمسائل الاخرىمع لبنان الى ان اتفقنا في ٢٢ اب ١٩٣٦ على ان تنتزع أو تستلم الحكومة السورية مصالحها وتتولى بنفسها التشريع الجمركي والجباية والانفاق على ان يتم هذا الاستلام في غضون مهلة تبدأ من تصديق المعاهدة .. نحن نريد تحديدها بسنة واحدة وهم يريدونها سنتين وبقي الخلاف على تحديد هذه المهلة ، وهذا يعني انه بحال تصديق مجلس النواب السوري للمعاهدة تباشر الحكومة السورية المفاوضة من‌اجل تسوية المسائل المعلقة بين سورية ولبنان حتى اذا انتهت هذه المفاوضة على وضع جديد مهما كان شكله يتم العمل بموجبه والا فتبقى سورية حرةبادارة مصالحها ومعاملة لبنان اسوة بغيره من الحكوماتالعربية واما مسألة الاراضي ودعواها فتبقى رهن الاحداث المقبلة ، على ان الافرنسيين اضحوا ميالين يومئذ لمؤازرة فكرة الاتحاد بين سورية ولبنان (فدراسيون) ونحن نعني بالاتحاد ان يقام كيان حكومي مشترك يتولى المصالح والادارات المشتركة التي كانت تقوم بها المفوضية الافرنسية من دفاع وتمثيل خارجي وجمارك وبريد وبرق وهاتف ونقد وشركات ذات امتياز وقد صرحنا لهم ان مطالب سورية الارضية لا يحول دونها الا اتحاد الدولتين اما هم فلا يريدون ان يتقيدوا بشيء من هذه الامور كتابة وانما يعدون شفهيا بتحقيق هذا الامل والمعاونة به .. واجمالا استطيع القول ان ما وصلنا اليه هو اقصىما يستطاع انتزاعه اذ يحقق تأمين تأسيس الكيان القومي المستقل ويفسح للسوريين



فارس الخوري يتحدث .. والقوم يصغون لما يقول .. وهم من اليمين الى اليسار : السيد علي عبد اللطيف رضا زينل ، الامير (الملك) فيصل بن عبد العزيز العبد الرحمن الفيصل آل سعود ، الشيخ اسعد الفقيه ، الاستاذ عصام الانكليزي ، الاستاذ فائز الخوري ووراء العلامة الخوري بدا الاستاذ نجم الدين الرفاعي .

***

مجالات لاثبات كفاءاتهم في المعترك الاجتماعي .. ثم ما لبثنا ان اتفقنا قبل نهاية اب على ان المفاوضة بالمسائل المعلقة مع لبنان تنتهي خلال سنة واحدة فاذا افضت الى الانفصال التامنعطى مهلة ستة اشهر لاجل تهيئة وسائل الحواجز الجمركية ونستلم جمارك بحرية .

من هي الاقلية المقصود حمايتها في المعاهدة ؟!

واستطرد فارس الخوري يروي لي قائلا : وحتى انتهاء شهر اب كان يبدو لنا أن التعهد لفرنسا بحقوق الاقليات امرا لا مناص منه ويفضي الى القطع عند رفضه ونحن مخيرون بالقطع او بالموافقة وكانت جهودنا منصرفة

للخلاص من هذه الورطة .. وكانت الصحف السورية تكتب عـــن هذه المفاوضات وتعلق على اصرار الجانب الافرنسي على حماية حقوق الاقليات تعليقات يفهم منها ان الاقلية المسيحية هي المقصودة بهذا الاصرار مـــع ان الحقيقة عامذاك لم تكن كذلك لان الافرنسيين اصبحوا عالمين يومهـــا ان المسيحيين من العرب بلغوا مرتبة من الثقافة والادراك السياسي لم يعـودوا يصلحون معها ان يكونوا آلة لتنفيذ النيات الاستعمارية فعمدوا للمطالبة بحق المدافعة عن الاقليات العنصرية والمذهبية من مسلمين وغيـــر مسلميـن كالنصيرية والدروز والاسماعيليين والاشوريين والشراكسة والاكراد والاتراك واليزيديون وما شاكل ذلك ، وهذا الموقف كان صريحا في المجادلات الواقعة فقد طلب الوفد السوري الى الجانب الافرنسي ان يخص الاقلية المسيحية فأبى الفرنسيون جازمين بحجة أن فرنسا ليست دولة دينية بل هي علمانية صرفة وكانت جميع الاتجاهات تدل على انهم يريدون الاحتفاظ بنفوذ خـاص في منطقتي العلويين والدروز .. ولقد كان الجانب الافرنسي متمسكا بقضية الاقليات بصورة عجيبة ويدعي أن جمعية الامم لا تقبل بوجه من الوجوه الغاء الانتداب قبل ان تتعهد سورية لفرنسا بمحافظة الحقوق الدستورية وتنفيذ المبادىء العامة التي وضعتها هذه الجمعية بهذه الشؤون وانها تعتبر فرنسا مسؤولة لديها عن حسن تنفيذ هذه التعهدات وكنا مشغولين ومرهقين بجلاء هذه الناحية للتخلص من هذا الطلب الذي صرحوا لنا انهم على استعـداد لقطع المفاوضات بسببه واخيرا توصلنا مع اشراقة ايلول ١٩٣٦ على (حصر المحافظة على الحقوق العامة المنصوص عنها بالدستور للافراد والجماعات) بصرف النظر عن ذكر الاقليات !!

وفي خلال الاسبوع الاول من ايلول تم الاتفاق نهائيا على نصوص المعاهدة السورية الافرنسية وقد اوردتها في الصفحة ٦٨ من هذا الكتاب نقلا عـن تحرير وجهه فارس الخوري الى الدكتور عبدالرحمن الشهبندر بهذا الخصوص.

وبعد ..

فمن يأخذ على فارس الخوري قوله بان هذه المعاهدة انما هي معجـزة القرن العشرين فليعمد من جديد الى مطالعة هذا البحث من اوله .. والفت نظر القارىء الكريم الى ما ورد في الصفحة ١١٣ من هذا الكتاب وكيف تـذرع فارس الخوري بـ (اختباراتنا الماضية) ليعتذر عن القبول بمفاوضة فرنسا بشأن الجلاء عام ١٩٤٦ .. كما الفت نظره الى ما ورد في المقطع الاخير من البحث السالف عن الاقلية التي تريد فرنسا ضمان حقوقها ومقارنته مع مـا اوردته في الصفحة ١١٩ من هذا الكتاب بعنوان (حماية نصارى لبنـان)



العلامة فارس الخوري في سريره يتحدث الى بعض من زواره وهم من اليمين الى اليسار: محمد الفرحاني ، الرئيس السوري السابق حسن الحكيم ، النائب العام الاستاذ محمد آقبيق، الامين العام لوزارة العدل السورية الاستاذ عارف الحمزاوي ، وزير العدلية الاستاذ نهاد القاسم

***

ليتأكد ــ رغم ان ذلك لا يحتاج الى تأكيد ــ ان فرنسا انما كانت تتخذ من حكاية حماية الاقليات ذريعة للبقاء منيخة بكلكلها على دولتي المشرق سورية ولبنـــان ..

ويلاحظ القارىء من مطالعته لهذا البحث ان (القطيعة الاقتصادية) بين سورية ولبنان لم تكن من نزوات خالد العظم وهفواته ولا من ابتداع اهوائه عام ١٩٥٠ وانما هي خطوة كان لا بد منها للمحافظة على حقوق الســوريين وسلامة اقتصاد بلادهم .. وهذا لا يعني بالطبع موافقتنا معشر السوريين على التطرف العنيف الذي صحب تطبيق هذه القطيعة فيما بعد من قبل خلف اساءوا ابلغ الاساءة لما كان يضمره السلف !! ..

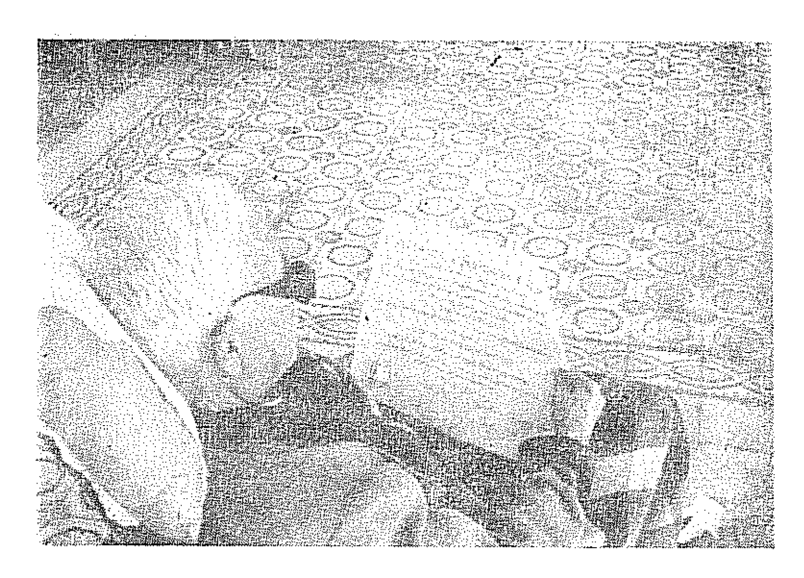
ذكريات ونوادر وطرف .. ومسامرات ونكـات

● في السابع من شهر شباط ١٩٥٩ كنا علـــى مائدة الفداء ، حينما التفت فارس الخوري الى قرينته السيدة اسماء وقال لهـا : اتعرفين **موشي**

شرتوك اليهودي الذي كان يرأس وفد الوكالة اليهودية في امريكا عندما كنا هناك ؟! فأجابته بالايجاب متسائلة عما به فقال بأنه قد رفض ان يرشح نفسه لرئاسة الكنيست .. مجلس نواب اليهود .. فتساءلت السيدة اسماء عما يشغله موشي شاريت الان من مناصب فقا لها بأنه اليوم مجرد عضو في مجلس النواب وقد كان فيما مضى وزيرا لخارجية اليهود ورئيسا لحكومتهم .. وهنا تدخلت في الحديث وسألت فارس الخوري عن سبب رفض موشي شاريت رئاسة الكنيست فقال لي انه يريد ان يظل نائبا له حق الرأي والكلام فاذا ما اصبح رئيسا للمجلس يحرم من هذا الحق لان رئيس البرلمان يجب ان يكون فوق الاحزاب والميول والاهواء .

واستطرد فارس الخوري يروي لي ان موشي شاريت كان صديقا له يتبادل واياه المحبة والمودة والاحترام الا انه لم يكن بينهما تزاور وانما كانا يلتقيان في اروقة الامم المتحدة فيتبادلان التحيات والاحاديث ، فقلت له : وكيف تنشأ لك صداقة مع زعيم يهودي كهذا وانت الد عدو لليهود وهو الد عدو للعرب ، فقال : لم تكن دولة (اسرائيل) قد قامت بعد .. وكنا نلتقي في اروقة الهيئة كما يلتقي المحامون في اروقة المحاكم ، كل منهم يدافع عن قضية موكل بها ، يتخاصمون ويتبادلون النقد والهجوم امام منصة القضاء ويسيرون متصافين جنبا الى جنب في الاروقة .

● وعلى ذكر هيئة الامم ، روى لي فارس الخوري انه عندما كان رئيسا للوفد السوري فيها دارت مناقشة بينه وبين رئيس الوفد البولندي بحضور عدد من رؤساء الوفود الدولية هناك ، كان يلوم الحضور خلالها لم لا يسعون السعي الحثيث لرفع الحيف عن العرب بقضية فلسطين ويذكر المسيحيين منهم بأن هذه الارض المقدسة تحوي مهد المسيح ومصدر اشعاع الديانة النصرانية ، ولهذا فان الله لا يرضى بأن يشرد شعب بأسره ليحل محله شعب آخر ، فما كان من رئيس الوفد البولندي الشيوعي الا ان اجابه : **(انا لا اعتقد بوجود شيء ذي قدسية اسمه المسيح ولا اؤمن بالديانات كلها ، بل انني لا اعتقد ايضا حتى بوجود الله الذي تزعمونه !!)** فرد عليه فارس الخوري بقوله : **(انك حر في ان تؤمن او لا تؤمن ، لو كنت شخصا عاديا ، والى الجحيم ، ولكنك تتكلم الان اذ تتكلم باسم الوفد البولندي الذي يمثل الشعب البولندي وعليك الا تتكلم الا بالذي فوضك به هذا الشعب ، والشعب البولندي ــ على علمي ــ لا يؤيدك بالحادك ولا يقرك عليه ، وحيث انك لم تكن لتصل هذا المنبر لولاه .. فان من الخيانة للشعب ان تصرح هنا بغير ما يعتقده شعبك الذي ارسلك لتتكلم باسمه !!)** فثار رئيس الوفد البولندي وارغى



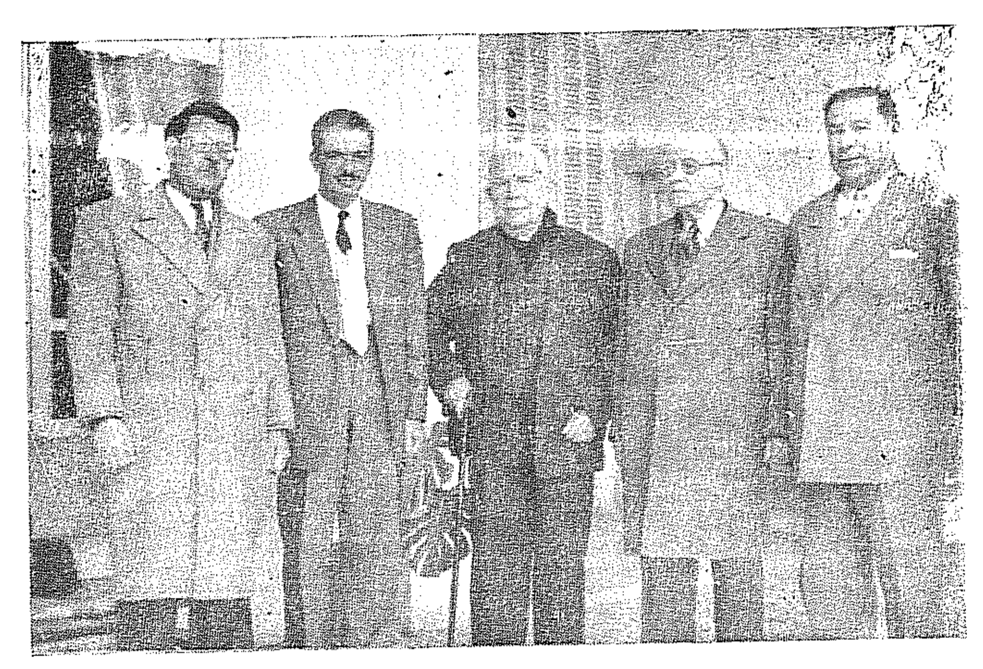
فارس الخوري يتأمــل شهـادة الدكتوراه الفخرية التي منحت له من قبل جامعة كاليفورنيا عام ١٩٤٥

***

وازبد . . وحصل لغط وجدل . . ايد فيـه جميع المجتمعين وجهة نظـر فارس الخوري .

● سألت فارس الخوري ذات يوم : ما هي نصيحتك للشباب العربي ؟!
فقال : نصيحتي للشباب العربي في سورية ان ينصرفوا الى الارض ويعنوا بالزراعة واستنبات الكنوز من التربة الخيرة ، ونصيحتي للشباب العربـي جميعا الانصراف الى العلم بكل قدرتهم وبوعي قومي ناضج ومركز . والابتعاد عن الميوعة الاخلاقية التي هي برأيي معادية للعلم وحائلـة دون النجاح فـي الحياة العملية . . فسألته : وهل تكفي الشهادة لان تجعل من حاملها عالما ؟!. . قال : لا . . ان علما بلا شهادة خير من شهادة بلا علم ، ولكن مـن غير الممكن اثبات العلم الا بالشهادة . . اعني ان ميدان التخصص لا يثبت لصاحبه علما حقيقيا الا اذا كان يحمل شهادة من مراجع التعليم المختصة . وعلى كل شاب ان ينصرف الى العلم بكل قدرته ويتخصص بالفرع الذي يشعر بالميل اليـه ويتوسم النجاح فيه !!

● روى **الاستاذ ظافر القاسمي** نقيب المحامين السابق فـي سورية اذ زار فارس الخوري في بلودان صيف عام ١٩٥٠ وكان معه المغفور لـه **نجيب الريس** فرأياه مكبا على كتاب قديم اصفر الورق رديء الطبع فقال لـه : ماذا



العلامة فارس الخوري يحيط به بعض زواره ، عن يمينه الاستاذ عبد العزيـــز صادق (مدير مكتب جريدة الجمهورية القاهرية في دمشق) ومحمد الفرحاني ، وعـــن يساره معالي الاستاذ عبد القادر العظم والاداري الاقتصادي المعروف المرحوم منير الشريف .

***

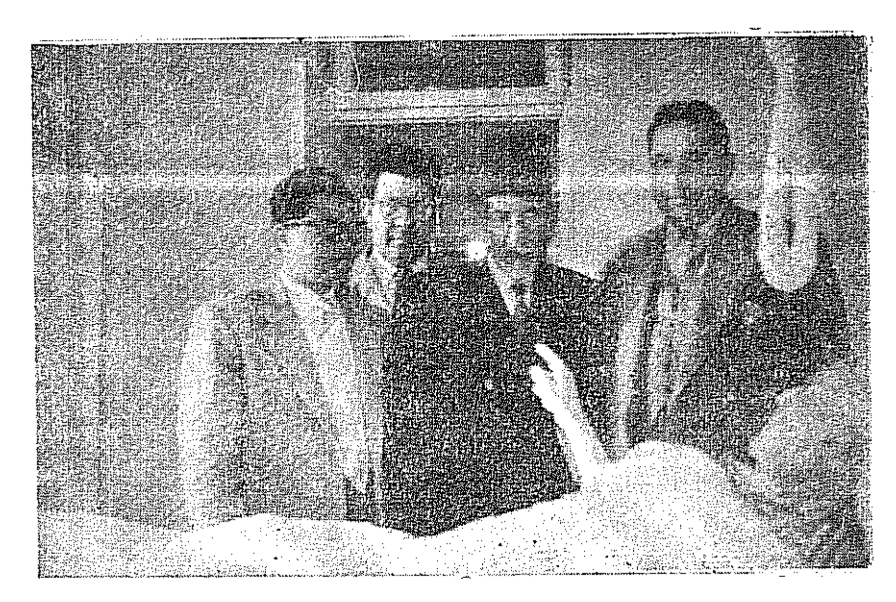
يقرأ استاذنا ؟! فأجابه فارس الخوري (الروضتين في اخبار الدولتين) فقال القاسمي (أالمرة الاولى ؟!) فأجابه (بل قرأته مرات ، وانا اليوم اعود اليه .. انني أعجب من هذه الكنوز الفكرية التي خلفها العرب فلا ارتوي ولا اشبع ، ان هذه الحياة الفكرية العربية ليس لها مثيل في الدنيا لانها استمرت اكثر مـن خمسة عشر قرنا دون انقطاع ولم يكتب لاية لغة من لغات الدنيا ان عاشت كما عاشت لغة العرب ، نقرأ اليوم الادب الجاهلي ، او الاسلامي ، او الامـوي او العباسي ، وبيننا وبينه هذه المئات من الـسنين فنتذوقه وكأن بعضه قد قيل في ايامنا هذه ، انك لا تجد هذا عند الانكليز ولا الفرنسيين ولا الطليـان ولا عند اية أمة اخرى ، ان تاريخ الحياة العقلية او اللغوية على الاقل لـدى الامم الاوروبية لا يعدو مئات قليلة من السنين وقد لا يفهم الفرنسي المعـاصر نصا كتب في القرن الخامس عشر او الرابع عشر الميلادي أي قبل خمسمائة سنة اما نحن فاننا نقرا ما خلف العرب منذ اكثر من الف وخمسمائة سنة فنـرى

فيه الكثير من صور حياتنا اليومية !!

وبينما هو في هذا الحديث الطلي نهض من مكانه ودخل الى بهو الدار، وكان المرحوم نجيب الريس يراه ، ولم يدريا لماذا غادر مجلسهما فاذا بنجيب يقول للقاسمي (انه يبحث عن كأس ، يفتح البراد ، يصب الماء في الكأس ، يشرب) فلما عاد قال له نجيب : لماذا لم تطالب الي او الى أي انسان آخر في البيت ان يسقيك ؟! لقد ازعجت نفسك !! فاجابه فارس الخوري : يا ابا رياض .. لقد ربيت في مدرسة داخلية واعتدت طول حياتي ان لا احتاج الى احد ان يخدمني ما دمت قادرا على خدمة نفسي !!..

● وسألت فارس الخوري ذات يوم عن رأيه في **الشعر المنثور** فأجابني بقوله : (لا احبه ، فالشعر العربي قائم على قواعد ، وهو كلام موزون مقفى ، فاذا أخل بهاتين القاعدتين ــ الوزن ، والقافية ــ لم يعد الشعر شعرا عربيا، بل يصبح كلاما مخترعا من قبل صاحبه لا ينسب الى الشعر ولا يمت اليه بصلة . فسألته : **ومن هو شاعر العرب المعاصر ؟!** قال : كثيرون هم شعراؤنا المعاصرون لا أفضل احدا على آخر .. واستطرد فارس الخوري يقول لي : عندنا في سورية على سبيل المثال لا الحصر .. **شفيق جبري والمرحوم الشيخ فؤاد الخطيب ، ومحمد الفراتي** شاعر دير الزور الذي يعجبني فيه غزارته وفياضيته وصراحته الفطرية المنبثقة عن بيئته البدوية ، ومن شعراء لبنان **سعيد عقل** الذي يعجبني فيه سموه وترفعه وانفته واباءه فضلا عن رقته وعذوبته ، ويعجبني من شعراء العراق **جميل صدقي الزهاوي** بفلسفته وسلاسة شعره وصراحته ، **ومعروف الرصافي** بطرقه لمواضيع ممتازة مثل (الحياة شعر) التي هي من قصائده الحسنة .. ولا انسى **خليل مطران** الذي يعجبني ببلاغته واتقان لغته وضبط معانيه وسموها حتى انه يوم مات **سعد زغلول** ورثاه جميع الشعراء ومنهم **خليل مطران واحمد شوقي وحافظ ابراهيم** وكل شعراء مصر وسورية اجتمعنا ببعلبك في لبنان ورحنا نقابل ونفاضل بين هذه القصائد ، ففضلنا عليها قصيدة خليل مطران وهذا حكم عدل عندما نقابل بين شاعرين في موضوع واحد وفي وقت واحد ، ومن شعراء المهجر **ايليا أبو ماضي** والشاعر القروي **رشيد سليم الخوري والياس فرحات وفوزي المعلوف** كل منهم فيه شيء يعجبني فيه وخصوصا وطنيتهم وعروبتهم فهم شعراء المهجر المتازين . ولا ننسى الاستاذ **(بدوي الجبل)** المتميز بعبقريته الفذة .

وعلى ذكر الشعر والشعراء، والادب والادباء ، جرى مرة ، بحث في المفاضلة بين الاديبة الكبيرة **ماري عجمي والآنسة مي زيادة** بحضور فارس



العلامة فارس الخوري اثناء مرضه يتحدث الى شاعر الفرات الكبير الاستاذ محمد الفراتي الذي احاط به ، عن يمينه الاستاذ عهيدي الصالح العبيد وعن يساره المربي الاستاذ صالح شاهر البربندي وورائهم المؤلف محمد الفرحاني والجميع من اهالي دير الزور .

***

الخوري في أيهن افضل وايهما اطول باعا في الادب فمـــا كان مـــن فارس الخوري الا ان ارتجل هذين البيتين :

يـــا رجـــال الاريحيـــة	سجلوا هذي الشهادة
ان مـــاري العجميـــة	هـــي مـــي وزيـــادة

وسألت فارس الخوري ذات يوم : (ما الذي تفعله كي تظل حافظا مـــا تود حفظه من نصوص واشعار ؟!) فقال لي : لا افعل شيئا . فسألته : (وماذا يجب ان افعل لكي احفظ ما اود حفظه ؟!) قال : مثلما افعل !! قلت : ولكنك قلت لي اللحظة انك لا تفعل شيئا !! فأجابني : نعم ، ولذلك قلت لـــك افعل مثلما أفعل !! وفي اليوم التالي سألني عما كنت سألته ايـــاه بالامس فأجبته : انك تحفظ كثيراً من الاشعار وتظل حافظها فـــي حين أنني أحفظ الشعـــر وانساه بعد سنوات . فقال لي رحمه الله : انك تشكو النسيان والحـــق معك لان آفة العلم النسيان ، وعلاج النسيان اطالـــة المذاكرة وتكرارها كما قال الشاعر (واطل في العلم مذاكرة ، فحياة العلم مذاكرة) .. مثلا .. سمعت مني أشعارا وحفظتها .. [illegible] .. كررتها على مسامعهم

ثم كررها على مسامع غيرهم وهكذا .. جرب هذه الطريقة تجد ان الاشعار التي تحفظها لا تنسى بسهولة !! ..

● عندما اذيع نبأ **اعدام السيد عدنان مندريس** رئيس الحكومة التركية واثنين من وزرائه كان فارس الخوري يعاني آلام المرض في المستشفى فتقدمت من سريره اخبره وسأله عن رأيه .. واجابني بصوت متقطع اجهده الاعياء ، قائلا انه لم يتتبع محاكمات هؤلاء بسبب مرضه ، ولكن مهما يكن الامر ، فمن رأيه لا يجوز (قتل) السياسيين بهذا الشكل كما (قتل) الاتحاديون النائبين الارمنيين **زهراب ووارتكس** وكما قتل **مصطفى كمال اتاتورك** ، الوزير العثماني **جاويد بك ، شنقا** ايضا بعد محاكمة صورية (واقول صورية .. لان المحاكمات لم تحتو ضمانات كافية لتحقيق العدالة التي يجب تأمينها للمتهمين ، فالدفاع عنهم ضعيف والتيار الحكومي ضدهم ، تراهم مجردين من كل القوى الادبية والمادية والمعنوية فيقول لهم صاحب السلطان تعالوا لنحاكمكم وننفذ بكم الحكم .. نحاكمكم بتهمة خرق الدستور والاعتداء على الحريات العامة وهذه خيانة عظمى !!.. ويكون الشخص الذي يحاكمهم ، نفسه ، هو الذي لم يكتف بخرق الدستور حتى تعداه الى الغائه واعتدى على الحريات العامة والخاصة وخان نظام بلاده ابشع خيانة !!) فسألته عما اذا كان هنالك من طريقة ما تحمي السياسيين من الانقلابات التي تحدث ضدهم فأجابني بعدم وجود طريقة لذلك الا انه ما لبث ان استدرك يقول لي : أن علاج الانقلابات العسكرية يكون في تحقيق العدالة الاجتماعية ومنع الشكاوى التي يمكن ان يتذرع بها الانقلابيون لتبرير انتقاضهم على السلطة وبتقوية جذور الوعي والادراك بانشاء شعب يقدر الحرية ويحرص على نظافة الحياة الديموقراطية الدستورية وخلوها من الشوائب ويؤمن أيمانا كافيا بحقه في ان يحكم نفسه بنفسه فلا يسمح لاي عنصر خارجي مهما كان ارتباطه به .. واقصد هنا بالخارجي غير الحزبي وغير البرلماني الدستوري .. بالتدخل بين الحكومة والمعارضة ، بحيث اذا حدث انقلاب عسكري ما ينكمش الجميع على انفسهم فلا يتعاون معارض سياسي مع الانقلابي المغامر المعتدي على السلطة الشرعية مهما يكن موقفه هو من تلك السلطة ومهما يكن مدى معارضته لها وهذا يحتاج الى وعي وطني صحيح وتربية سياسية سليمة ولهذا نرى ان الانقلابات العسكرية لا تنجح الا في البلاد المتأخرة اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا والناقصة وعيا وادراكا وتنجح اكثر ما تنجح عندما تعتاد الحكومات ان تلجأ الى تزوير ارادة شعوبها في محاولة فرض ديمومتها على السلطة بالوسائل غير المشروعة .

وعلى ذكر اضطهاد السياسيين .. اقتحم رجال الامن العام الفرنسي ذات يوم منزل فارس الخوري لينقلوه الى المعتقل وعندما كلفوه بمرافقتهم اخذ يسير ببطء فقال له كبيرهم : ارجو ان تسرع يا سيدي فأجابه فارس الخوري على الفور : ولماذا نسرع يا هذا ؟!.. أانت تريد ان تأخذني الى حبس أم الى حفلة انس ؟!..

ومما يروى ايضا عن الخصومات السياسية ، مر فارس الخوري بحماة عام ١٩٣٥ وحل مع رفاق له بدار السيد **نجيب آغا البرازي** التي احتشدت الجماهير حولها طالبة منه أن يتكلم فيها فما كان منه الا ان القى خطبة مستفيضة ختمها بهذين البيتين من نظمه :

حماة بها عز العروبة والندى	لها في مضامير الجهاد مفاخر
بها من أحب الشعب نال كرامة	وفيها على (العاصي) تدورالدوائر



المغفور له الشيخ تاج الدين الحسني رئيس الجمهورية السورية يستقبل الدوق غلوسستر شقيق ملك بريطانيا (عم الملكة الحالية) عام ١٩٤٢ وقد وقف الدوق الى اقصى يمين القارىء ، وعن يمينه المغفور له الاستاذ فائز الخوري وزير الخارجية السورية فالسيد حسني البرازي رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية فالجنرال هنري ميتلند ولسون قائد الجيش البريطاني التاسع في الشرق الاوسط فالجنرال ادوارد سبيرس اول وزير مفوض لبريطانيا في سورية ولبنان فالمغفور له الشيخ تاج الدين .

واشار بيده الى بيت **السيد حسني البرازي** القريب ، وكـــان السيد حسني اذ ذاك وزيرا للمعارف في وزارة الشيخ تاج الدين الحسني الثانية !!

● كان فارس الخوري ، ككل مفكر كبير ، لا يشعر بأيـــة غضاضة اذا عالج بعض الشؤون الجوهرية بروح المرح والدعابة ، فقد دخل بهـــو المنظمة العالمية مرة وجلس في الكرسي المعد للمندوب الافرنسي الذي لـــم يلبث ان جاء يلفت نظر زميله السوري الى الخطأ الذي وقع فيه فلم يعبأ فارس الخوري وظل جالسا ، ثم قدم الامين العام لهيئة الامم المتحدة يسأله الانتقال الـــى كرسيه فلم يلق بالا ، واخيرا اجتمع اعضاء الوفد الفرنسي بأجمعهم وتصايحوا من حوله محتجين ، فوقف فارس الخوري وقال لهم : **(قاتلكم الله .. ظللتم خمسة وعشرين عاما في بلدي على رغم ارادة سكانه دون ان تشعروا بأنكـــم تحتلون ارضا ليست لكم بينما اجلس انا في كرسي مندوبكم خمس دقائـــق فتقوم قيامتكم ، هذا كرسيكم ورحم اللـــه العدل والمساواة)** !! فبهت اعضاء الوفد الافرنسي ولم يحيروا جوابا ..

● كان **المسيو جورج بيدو** وزير الخارجية الافرنسية يتكلم اثناء البحث بمطالبة سورية ولبنان بجلاء الجيوش الاجنبية عن اراضيهما فيقول بأنـــه لا يمكن لدولته أن تسحب جيوشها بينما تبقى فـــي البلاد السورية جيوش انكلترا .. والجيش الفرنسي انما هو باق لمراقبة الجيش الانكليزي ، في حين وقف **السير الكسندر كادوغان** مندوب بريطانيا وقال ان الجيش البريطاني انما هو باق في سورية ولبنان كـــي يحول دون اصطدام الجنـــود الافرنسيين بأهل هاتيك البلاد ، فما كان من فارس الخوري الا ان وقف في اليوم التالي **ليعلن وجهة نظر بلاده وقد احتوت كلمته فيما احتوت النكتـــة** التالية قال : (لقد اعلن مندوب انكلترا البارحة ان المقصود من بقاء الجيوش البريطانية في سورية هو منع الاحتكاك بين الجيوش الافرنسية وسكان سورية ، كذلـــك اعلن المندوب الافرنسي بأن الافرنسيين سوف لا يغادرون سورية مـــا لـــم يغادرها الانكليز ، فكل منهما يخشى ان يأخذ الآخر مكانه ، وكـــل منهما مقيم ليراقب الآخر ، وهذا الوضع يذكرني بحكاية القنديل الاحمر الذي نصب في وسط احد الشوارع فسأل احد المارة لـــماذا نصب القنديل الاحمر هنـــا ؟! فأجيب : لكي لا يعثر انسان مار بالحجارة التي نصب عليهـــا القنديل ، فسأل ثانية : ولماذا وضعت الحجارة ؟! فقيل له : انها وضعت لكـــي ينصب فوقها القنديل الاحمر !!.. ان هذا الوضع يشبه الوضع الذي نحن فيه والصواب برأيي هو ان ينسحب الفريقان فلا تبقى ثمـــة حاجة لبقـــاء احدهما .) وتبسم الحاضرون .



العلامة فارس الخوري على سريره المتحرك اثناء مرضه وقد احاط به عـــن يمينه الدكتور عدنان الخطيب ، وعن يساره ، المؤلف ، محمد الفرحاني .

● ومما يذكر عن فارس الخوري في هيئة الامـم المتحدة ان المندوبين والصحفيين اعتادوا ان يشاهدوه ممسكا **بسبحة صفـــراء** يداعب حباتهـا بأصابعه فراق **للمستر أرنست بيفن** وزير الخارجية البريطانية ان يسأله ذات يوم عما يقوله في تسبيحه فأجابه فارس الخوري وهو يداعب حبات سبحته حبة حبة (اقول .. اللهم الهم مستر بيفن على الحق .. اللهـم الهم مستر بيفن على الحق) وسكت المستر بيفن .. وصدف أن التقيا في اليوم التالي باحدى الجلسات وكان فارسنا يخفي سبحته فـي جيبه ، وقام المستر بيفن يريد ان يتكلم ، وللمصادفة ، اخرج فارس الخوري السبحة فـي تلك اللحظة بشكل لفت نظر الوزير البريطاني الكبير الذي ظنها حركة مقصودة وصاح به : (مستر خوري .. فهمت عليك .. فهمت عليك !!) .

● عندما قررت هيئة الامم المتحدة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود اراد فارس الخوري ان يطعن بشرعية هذا التقسيم امام محكمة العدل الدولية وراح يكثر من الاتصال بالوفود العالمية لاجل هذا الغرض ولكن امريكا وروسيا عارضتاه في ذلك اشد المعارضة حتى ان **اندريه فيشنسكي** وزيـر الخارجية السوفييتية ثارت ثائرته وصاح بفارس الخوري غاضبا : « الى متى تحاول ان ترفع هذه القضية الى محكمة العدل ؟! اننا لا نريد ذلك !! » فأجابـــه فارس

الخوري على الفور وهو يريد ان يصرف الامر بالحسنى بعد ان اوشك الامر ان يفضي الى الخصومة وليس من مصلحتنا خلق الخصومات لنا في ذلك الحين « الم تسمع يا مسيو فيشنسكي بقصة الزوجين عند القاضي ؟! » فبهت الوزير الروسي واجاب (وما هي ؟!) فقال فارس الخوري : (حكي ان زوجين تخاصما وانتهى بهما الامر الى رفع دعواهما الى القاضي فقال الزوج للقاضي : يا مولانا القاضي ، ان زوجتي هذه لا تقدر وضعي المادي المحدود فهي في كل صباح تطلب مني جنيها وتصر علي بطلبها هذا .. فقال لها القاضي : ولماذا لا تقدرين يا سيدتي وضع زوجك ، فمن اين له ان يدفع لك جنيها في كل صباح ؟!.. فأجابته الزوجة : ولكنني يا مولاي لم اطلب منه جنيها كل يوم .. ففي زماني كله لم اطلب سوى هذا الجنيه الواحد فهل اعطاني اياه واعدت الطلب في اليوم التالي) واستطرد فارس الخوري في حديثه موجها الكلام للوزير الروسي : (وهذه هي واقعة حالنا معكم .. فهل قبلتم الاقتراح وكررناه ؟!!) وضحك اندريه فيشنسكي ومرت الازمة بسلام .

● في عام ١٩٥٤ واثناء **محنة الاخوان المسلمين في مصر** لجأ الى سورية اربعة من اقطاب الجماعة الكبار هناك وهم الاساتذة **عبد الحكيم**



فضيلة الاستاذ الجليل الخطيب البليغ والداعية الاسلامي المؤمن المحامي الشيخ عبد الحكيم عابدين ، صهر المرشد الشهيد المغفور له الاستاذ حسن البنا والساعد الايمن للمرشد الصابر الاستاذ حسن اسماعيل الهضيبي .

عابدين الامين العام للاخوان المسلمين في وادي النيل **وسعيد رمضان وكامل الشريف وسعد الدين الوليلي** من اعضاء مكتب الارشاد العام ، فراحت الحكومة المصرية تضغط على سورية لتسلمها هؤلاء اللاجئين رغم انها كانت قد نزعت عنهم الجنسية المصرية مخالفة في ذلك كل عرف وقانون دولي ، ولكن فارس الخوري رئيس الوزارة السورية اذ ذاك رد عليهم بالحجج القانونية والبراهين الكافية التي تؤكد بأنه لم يعد للحكومة المصرية اي حق باستلامهم بعد نزعها الجنسية عنهم لانهم لم يعودوا من جملة رعاياها فضلا

عن عدم جواز تسليم اللاجئين السياسيين وتساءل عما سوف يقوله الناس عنه وهو القانوني الضليع وعضو لجنة التشريع الدولي وهو يخالف ابسط المفاهيم والقوانين الدولية بتسليم لاجئين سياسيين نزعت عنهم الجنسية ، الى حكومتهم التي تطالب بهم ، ولكـن الحكومة المصرية ظلت راكبة راسها وراحت تضغط عليه ضغطا شديدا لكي يسلمها هؤلاء ، فلما اعيته الحيل قال لهم : (انكم تعلمون انني رجل مسيحي اتولى الحكم في بلـد اسلامي ، يتأجج حماسة للدفاع عن هؤلاء الاخوان المسلمين ، وانني لمتأكد ، من انني ، في اللحظة التي اسلمكم فيها هؤلاء المسلمين ، فسيذبحني أهل الشام في بيتي انتقاما لهم ، وسيوجد بين الناس من يتهمني بأنني انمـا سلمتكم اللاجئين بدافع من تعصبي لنصرانيتي .. فأرجوكم الا تحرجوني وتسببوا لـي الاذى من بني وطني بعد ان بلغت ارذل العمـر) !!.. وعندها كف المصريون عـن المطالبة بالاخوان المسلمن اللاجئين !!

● كان **الاستاذ نوفل الياس** نائب اللاذقية الاسبق يتناول طعام الغداء على مائدة فارس الخوري في آخر مرة التقى فيها معه ــقبل مرضهــ فالتفتت اليه السيدة أسماء تسائله بحزن واسى : أليس حراما يا نوفل بـك ان يكف نظر استاذك فلا يعود يرى شيئا ؟!.. ومعلوم ان الاستاذ فارس الخوري قـد ضعف بصره كثيرا في اواخر سني حياته .. فأجابها الاستاذ الياس علـى الفور : ان هذا من نعم الله عليه حيث وفر عليه رؤية وجهك يا سيدتي !!.. فغضبت السيدة أسماء وارتبكت .. ولاحظ الاستاذ نوفل الياس ما احدثه جوابه في نفسها من اثر فاستدرك يقول : ان اكبر شقاء يلم بالرجل هـو ان يشيخ وتبقى زوجته في ميعة الصبا والجمال ويحرم من التمتع بها . فسري عن أم سهيل وطربت لهذا الكلام وظهر عليها الانشراح في حين التفت فارس الخوري الى تلميذه وقال له : (لقد خرجت منها يا لعين .. لقـد ذكرتني يا نوفل بسهيل عندما دخل على امير المؤمنين وقال له والله انك لاعظم مـن محمد بن عبد الله . فثار غضب الخليفة وقال : ويحك ،ما تعني بهذا الكلام؟! .. اذا خرجت منه عفوت عنك والا ضربت عنقك . فأجابه سهيل قائلا : لقد قال الله تعالى في كتابه العزيز مخاطبا النبي محمد .. ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك .. اما انت يا امير المؤمنين ، فوالله انك فظ ، ووالله انك غليظ القلب ، ولم ينفض الناس من حولك ، فبهذا وحده انت اعظم من محمد .. فقال له الخليفة : خرجت منها يا لعين .. وعفا عنه ..) .

● وجاء لزيارة فارس الخوري ذات يـوم ــ قبـل مرضه الاخير ــ القاضي الكبير **الاستاذ عبد القادر الاسود** يرافقه احد كبار قضاة مصر الذي



العلامة فارس الخوري على كرسيه المتحرك اثناء مرضه وقد احاط بـه عن يمينه رئيس الجامعة السورية الاسبق الاستاذ عبد القادر العظم وعن يساره رئيس الحكومة السورية الاسبق السيد حسن الحكيم ، والمؤلف ، محمد الفرحاني ، بينما وقفت وراءه قرينته السيدة ام سهيل تحيط بها عن يمينها السيدة حياة المؤيد العظم وعن يسارها السيدة الجليلة زهراء اليوسف حرم المغفور له السيد محمد علي العابد اول رئيس دستوري للجمهورية السورية .

***

قال : (ان الذي يزور دمشق لا بد له ان يزور الجامع الاموي وضريح صلاح الدين الايوبي وفارس بك الخوري) فقاطعه فارس الخوري على الفور بقوله : (أبوه . . آثار قديمة !!) .

● وفي بداية ايام مرضه الاخير ، زاره في مستشفى المجتهد **الموسيقار محمد عبد الوهاب** الذي قال له : (أنا واجباتي ان ازورك في اي بلد تكون) فشكره فارس الخوري واجابه (سواء زرتني أم لم تزرني ، سواء أكنت حاضرا أم غائبا ، فأنت حاضر وموجود معي ومع كل انسان في دنيا العرب ، يسافر المسافر من الهند الى المغرب ومن جنوبي افريقيا الى شمالي اوروبا . . بالبر وبالبحر وبالجو وصوتك الشجي لا يفارقه . . فأنت كما قال المتنبي :

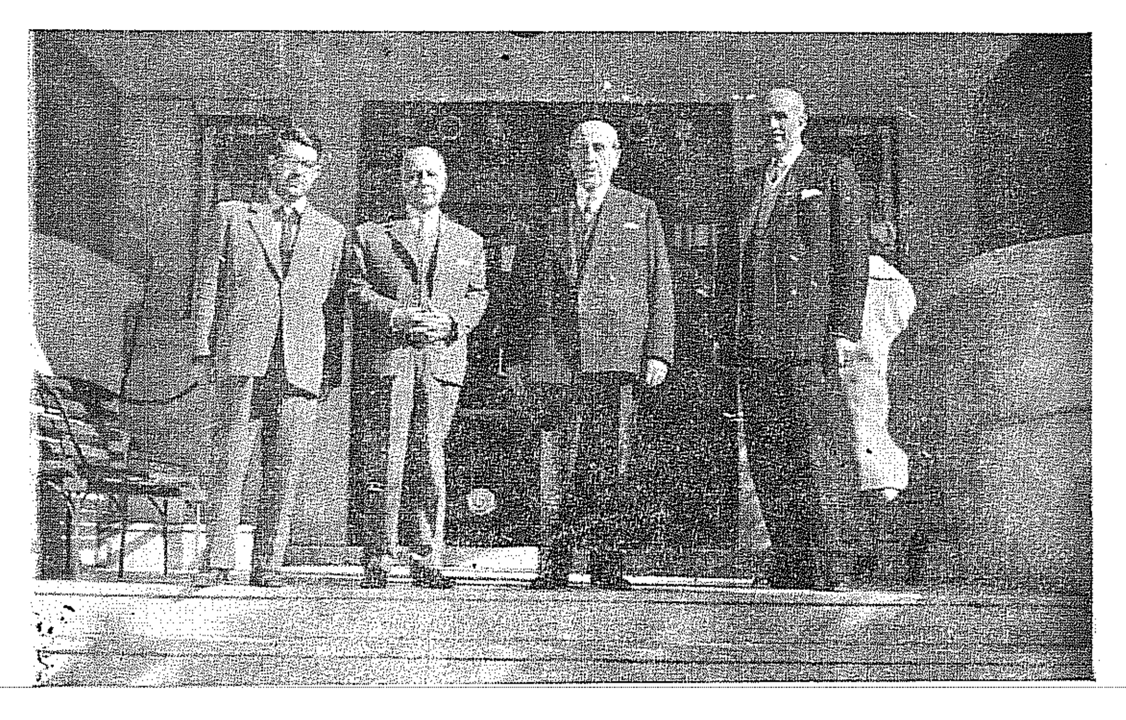
كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدي الى عينيك نورا ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقا ومغاربا
كالبحر يقذف للقريب جواهرا ... جودا ويبعث للبعيد سحائبا

● وفي احدى الزيارات التي قام بها حسن الحكيم لزميله فارس

الخوري في مستشفى دمشق ، روى له بدافع المسامرة والتندر قال : عن المرحوم **الشيخ حسين افندي الغزي** قاضي محلة العمارة سابقا ، هنالك صفات مميزة ببعض عائلات الشام ، نلخصها كالآتي : (**بخل** بيت العابد . **جهل** بيت البكري . **جدبة** بيت العجلاني . **جنون** بيت الخطيب . **كذب** بيت الحسيبي . **غباوة** بيت الشمعة . **حسد ودسائس** بيت الغزي ــ مع ان راوي هذه الصفات هو من بيت الغزي ــ **خداع** بيت العطار . **ممالقة** بيت الايوبي . **عجرفة** بيت العظم) . وصدف وجيء الوجيه المحترم والنائب السابق السيد **ابو الهدى الحسيبي** عصر ذلك اليوم لزيارة الاستاذ فارس الخوري وجلس بجوار سريره وهو يعبر له بحرارة عن اشواقه وانشغال فكره عنه وما الى هنالك .. واذا بفارس الخوري يقاطعه مناديا اياي حتى اذا هرعت نحوه طلب الي ان اروي لابي الهدى بك ما قاله حسن الحكيم اليوم في وصف بيت الحسيبي .. ونظر الي ابو الهدى مستفسرا ولكنني لم انبس ببنت شفة .

● وفي اليوم الذي تلا اصابة فارس الخوري بالكسر الاليم الذي كان السبب المباشر في القضاء على حياته زاره **السيد حسن الحكيم** رئيس الوزارة السورية الاسبق .. ودهشت اذ رأيته ينسى آلامه المبرحة واوجاعه التي لا تطاق ويسأل زميله الحكيم عن تفسير آية قرآنية تكرر ورودها في سورة الرحمن وهي (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وتساءل عمن يكون المقصودان بهذه الآية الكريمة فأجابه السيد حسن الحكيم بقوله انه لا يستطيع ان يجيبه على هذا السؤال قبل ان يستفسر له عن ذلك من ابن خالته **الشيخ محمد بهجت البيطار** .. ولكن ، ما كاد حسن الحكيم ينصرف حتى رأيت فارس الخوري يتحسس ارض النافذة المجاورة لراسه بيمناه فسألته عم يبحث فلم يجبني .. وتناول قرآنا موضوعا فيها وسألني ما اذا كنت متوضئا فأجبته بالايجاب : فناولني اياه وامرني ان اتلو على مسامعه سورة الرحمن وما كدت اصل بالتلاوة الى نصفها حتى هتف بي يقول : لا شك في ان المقصود بهذه الآية هما الثقلان .. الانس والجان !!..

● ونظرا لغربتي عن مسقط راسي ، في دمشق ، فقد كنت اعتبر المرحوم فارس الخوري بمثابة الوالد لي ، وكان هو يرحمه الله يعتبرني بمثابة الابن الثاني له .. ويشاء الله ان تضع الاقدار في طريقي فتاة على جانب لا بأس به من الجمال والجاذبية والانوثة تدعى (**سحاب**) وهي طالبة في احدى ثانويات دمشق فكان رحمه الله يتتبع اولا بأول .. نمو هذه الصلة بيني وبينها ويطلب الي في كل مرة احدثه فيها عنها بأن ابلغها تحياته واراه يبتدرني بالسؤال كلما يراني : (هل امطرت سحابتك ؟!) ويقول لي : (لقد



فخامة الرئيس الجليل السيد شكري القوتلي يحيط به عن يمينه الاستاذ فؤاد الشايب الامين العام لوزارة الاعلام السورية فالمؤلف محمد الفرحاني ، وعن يساره الدكتور عبد الكريم العائدي المفوض العام لمكاتب مقاطعة اسرائيل في الجامعة العربية .

***

احببناها والله من محبتنا لك !!) .. ولم يقتصر الاهتمام بأمر (سحاب) على فارس الخوري وحده بل تعداه الى زميله السيد حسن الحكيم الــذي راح ينظم لها الاشعار متغزلا بها بالنيابة عني .. منها .. اذكر انني كنت ذات يوم بزيارة فارس الخوري وبرفقتي قريبي الطبيبان **عبد المجيد هنداوي وحسان دهموش** فحضر السيد **حسن الحكيم** الذي ما كاد يراني حتــى بادرني بقوله مداعبا وفارس الخوري معنا يصغي لما يقول ، قال حسن الحكيم : حلمت فــي المنام ان **أمير الشعراء احمد شوقي** جاءني يزورني ويقول لي : لقد علمت بأن **محمد الفرحاني** مغرم بحب سحاب ، واعتقد انه سيرى الخير بوجهها ، ومــا عليه الا ان يعجل بالزواج منها .. واملى علي ابياتا من نظمه وكلفني بأن انقلها اليك ، وها انني اؤدي الامانة وناقل الكفر ليس بكافر .. قال احمد شوقي :

مالت على الفرحاني ناهــدة سمت　　برفيع اخلاق وطهــر كرائـم

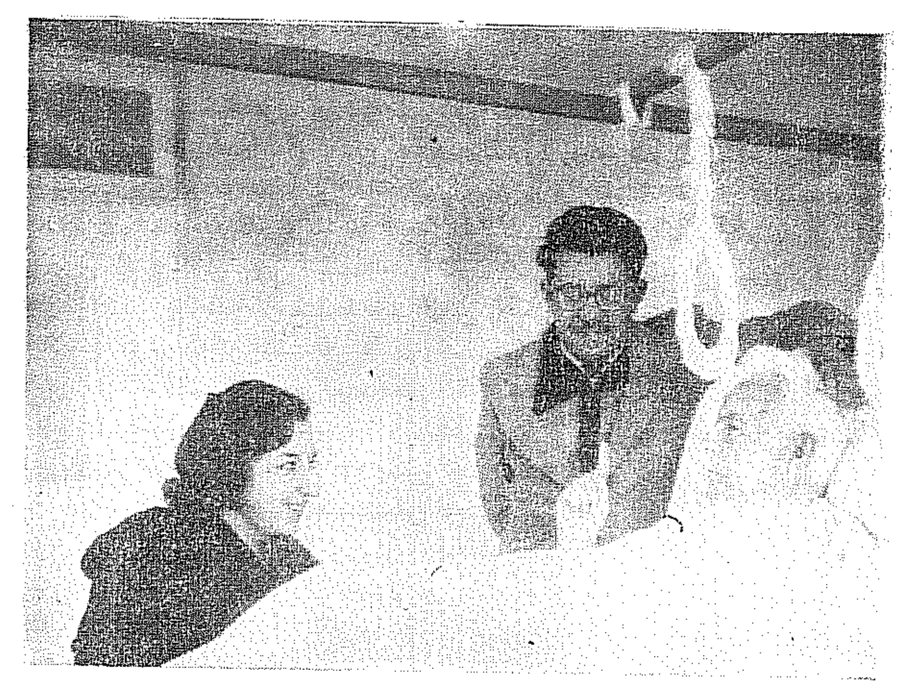
وغدت تبادلـــه الـــوداد بعفــة — فترى بـــه شهما سليل أكارم
وغـــدا يناجيها بمـــا يصبو لــه — ويخاف مـــن مغر لها ومزاحم
ويقول رفقــا يــا سحاب بوالــــه — يرجـوك مديـــد لصب هائـم
فتضمــــه والقلب يطفح بالمنـــى — وتنيله حلـو الوصال لحالـــم

ومضى زمن غير قصير ، وفارس الخوري لا يفتأ يتندر بـ (منـــام) زميله حسن الحكيم هذا .. حتى رأيته يقول لي صباح ذات يوم ، وبالتحديد، صباح يوم الجمعة ٢٥ آذار ١٩٦٠ وكان بحالة حسنة جـــدا في مستشفى المجتهد ، يقول لي : لقد رايت حلما بمنامي ، علـى طريقة منامات اخونا حسن الحكيم ، ان **منصور الاطرش** ــ وكان لا يزال على خلاف شديد مـــع والــده سلطان باشا الاطرش الذي منعه من العودة الى **الجبل الدرزي** ، **قدم طلبا الى** الحكومة يرجوها ان تمنحه قطعة ارض من املاك الدولة في الجزيرة ليستثمرها هو ومن قد يتبعه من الدروز، ليقيموا هناك مستعمرة درزية ..وان الحكومة اجابته لطلبه هذا ، فلما اراد السفر الى هناك رفضت زوجته وهي مسيحية من آل الشويري ان ترافقه ، وعندما حـــان ميعاد الرحيل وقف يودعهـــا بهذه الابيات :

قفي ودعيني قبـل وشك التفرق — فاسمت بمن يحيى الى حين نلتقي
قضيت وما أودى الحمام بمهجتي — وشبت وما حل البياض بمفرقي
قضى الدهر بالتفريق فاصطبري له — ولا تذممي افعالـــه وترفقـــي
قبيح بنـــا ذم الزمان وان جنى — اذا كان فيـــه مثل حوراني وعفلق

وبعد حوالي ساعة من الزمن جاءه الشاعر **شفيق جبري** ، فكرر فارس الخوري الرواية على مسامعه ، وقال بأن أبيات هـــذه القصيدة هي مـــن (الارتقيات) التي قالها صفي الدين الحلي والتي يقول فيها (قبيح بنـــا ذم الزمان وان جنى ، اذا كان فيه مثل غازي بن ارتق) فابتسم شفيق جبـري وقال : ان السنة يأخذون هذا البيت بمحمله الظاهر على انه مديح لغازي بن ارتق ولكن المعتزلة يتعمقون فيه فيأخذونه بمحمله الباطن وانــه هجاء لاذع ، فقال فارس الخوري (والحقيقة انه هجاء بل امر من الهجاء .. فطالما ان فـي الزمان مثل غازي بن ارتق فليس لنا ان نذم الزمان وجنايته علينا لاننـــا لا ننتظر منه خيرا طالما ان فيه مثل هذا) !! ..

نعود الى قصة سحاب .. فقد جئت فارس الخوري ذات يوم ووجدت بحضرته القاضي الكبير الاستاذ **عبد الوهاب الازرق والسيدة حرمه** .. واذ جئنا كالعادة على ذكر سحاب .. راح فارس الخوري يتنـــدر بوجود لفظـة (سحابة) في ابيات لـ (كثير عزة) تلك التي يقول فيها :



العلامة فارس الخوري بأثناء مرضه ، يتحدث الى ابنة اخيه السيدة فائـزة الخوري ، كريمة المغفور له الحقوقي السياسي العلامة الاستاذ فائز الخوري ، بينما اصغى محمد الفرحاني للحديث مبتسما ، والسيدة فائزة تقيم اليوم في بيروت مع السيدة الفاضلة والدتها انجيـل ابراهيم ، وقد عرف عنها متانة الاخلاق وفرط التهذيب والمحافظة على الاداب والتقاليد كما انها تتمتع بثقافة عالية وذكاء وقاد .

***

كأنـي وإياهـا سحابـة ممحـل رجاها ، فلمـا جاوزته استهلت

فقلت له : ولكن سحابتي لن تتجاوزني يا ابا سهيل ولن تتخلى عني ولن اتخلى عنها وستكون لي كما اكون لها .. ولكن فارس الخوري تابـع ينشد ابيات كثير عزة قائلا :

فانـي وتهيامي بعـزة بعدمـا تخليت عمـا بيننا وتخلت

لكا المرتجي ظل السحابة كلمـا تبـوأ منها للمقيل اضمحلت

ولا انكر يومئذ انني تشاءمت لدى سماعي هذه الابيات .. وشاء اللـه ان يفرق بيني وبينها فأشعر بلوعة لم تعجب فارس الخوري فـراح يؤنبني وينصحني منتقدا كون سحاب كانت تتردد علي في منزلي ويقول لي : (عليك ان تشكر الظروف التي فرقت بينك وبين سحاب .. انـا لا احب الغيبة

خصوصا من ناحية البنات ، ولكن مصلحتك تهمني جدا واجد من واجبي ان انصحك واقول لك . . ان الفتاة ليست جديرة بـــك وانت افضل منها . ان فتاة تتردد على شاب اعزب غريب مهما تكن حجتها ومهما تكن درجة طمأنينتها اليه وثقتها بحسن اخلاقه وتختلي به تحت سقف واحد هـــي فتاة (رخوة) لو انك حاولت العبث بها لما وجدت كبير صعوبة في التمكن منها) وقلت له : هب انني احبها حبا عذريا . . الا تؤمن دولتكـــم بوجود الحب العـــذري ؟! فأجابني : انا لا أؤمن بشيء اسمه حب عذري ، فقد خلقت الانثى للذكر وخلق الذكر للانثى ، وعاطفة كل منهما نحو الآخر لا تخلو من الرغبة الجنسية ، فكل ما بالانثى يغري الذكر بالتسلط عليها وامتلاكها والاستئثار بهـــا ، وكل مـــا بالذكر يجذب الانثى اليه ويوقعها تحت اقدامه ، وما دمت اعففت نفسك عنها فاقطع علاقتك بها وستنساها . . واستطرد فارس الخوري يقـــول : الحب العذري غير موجود الا في اوهام بعض الكتاب وخيالات بعض الشعراء !!

ودخل فارس الخوري مستشفى المجتهد اثر اصابته بالكسر الاليم وهـــو لا يزال يفكر فيما آل اليه الامر بيني وبين سحاب . . وما هي الا ايام حتـــى رأيته يقول لي (يا فرحاني ، لا تحزن على ما فات ، عندنا بالشام مثل يقـــول : فاتتك شروة ، فاتتك بلوة) !! وبعد فترة قصيرة مـــن الوقت نـــام خلالها استدعاني الى جواره ليقول لي :

الى الفلك السني تعـــل واخطب لنفسك منه بكـــر بنات نعش

ولم افهم ما يقصد فقال لي مفسرا ذلك البيت : ان بنات نعش هن عبارة عن مجموعة تتألف من سبعة كواكب احداها النجم القطبي الشمالي المعروف بثباته حيث يتألف منها برج الدب الاصغر ، وبجوارها برج الدب الاكبر الذي يتألف هو الآخر من سبعة كواكب وكلها من القدر الاول أي الكواكب البارزة ، فعليك ان تذهب الى الدب الاصغر وتخطب لنفسك منه احدى بنات نعش !!. وكنت حتى تلك اللحظة لم افهم مراده ولم ادرك ما اذا كان يتكلم بتأثير الآلام المبرحة والاوجاع الممضة التي كانت تعاوده كلما تحرك ام تـــراه يمازحنـــي فرأيت ان اجاريه وقلت له : ومن يضمن لي يا أبا سهيل ان الـــدب الاصغر سيعطيني ابنته ؟! فأجابني مبتسما : (بيعطيك . . ان شئت واحـــدة وان شئت اربعا حسبما يسمح لك الشرع الاسلامي . . انهـــن عوانس كسدانات منذ ملايين السنين !!) فقلت بلهجة الاحتجاج : ولكنني ابن ثلاث وثلاثين مـــن السنين ، اليس حراما ان اتزوج ابنة الملايين ؟!. قال : (انك لـــو تزوجت منهن فستنجب الكثير من الكواكب والابراج وتضمن لنفسك في ذلك الخلود) قلت مسايرا : وكيف يمكنني الوصول الى غايتي ؟! قال : (تصعد الـــى الدب



العلامة فارس الخوري اثناء اشتداد وطأة المرض عليه

***

الاصفر بحساب الجمل وتثب من هناك الى السماك الاعلى) فسألته : وما هو حساب الجمل ؟! فأجابني بأنه الحساب الذي يستعمله الشعراء لتاريخ الحوادث في قصائدهم وراح يعلمني اياه حتى تولته نوبة من الاغفاء فقمت من جواره وانا حائر بماذا افسر هذه المحاورة ، فلما كان اليوم التالي ، زاره السيد حسن الحكيم .. فتذكر فارس الخوري حديثه لي بالامس وراح يرويه لزميله الحكيم ويقول له : (لا اريد لولدنا الفرحاني ان يخطب لنفسه من هب ودب من الفتيات ، اريد ان يرتفع بنفسه الى اعلى ولا يرضى لذاته الا بخيرة بنات الشام شرفا وذكاء وخلقا ومنزلة .. ولذا تراني قلت له .. ان الفلك السني تعل واخطب . لنفسك منه بكر بنات نعش) .

فما كان من السيد **حسن الحكيم** الا ان رد عليه فيما بعد ، بلسان حالي، بالبيتين التاليين :

كم قائل دع عنك حب سحاب وأرح فؤادك من هوى وعذاب
فأجبتهم والحب اضنى مهجتي الموت اولى لي بغير سحاب

● ومن طرائف فارس الخوري اثناء مرضه ان الضجر اشتد به بسبب اجباره على تناول الطعام الذي لا تشتهيه نفسه وبدعوى انه لم يشعر بالجوع بعد ، واذ كان الشهر شهر رمضان المبارك فقد صاح بالراهبة التي جاءت

لتطمه مهددا (لقد نويت اشهار اسلامي) فقالت له : (أيش يا فارس بـك) فقال (منشان اصوم فلا تأتونني بالطعام) فقلت له (ولكــــن .. الا تعلم ان الاسلام قد فرض الافطار على المريض ؟!) فابتسم وقال (صحيح .. مــــا استفدنا شي !!) .

● وفي طيلة ايام مرضه ظل محافظا على ذاكرته القوية التي لـم تخنه لحظة واحدة ، وكان يكثر من ترداد الاشعار والنوادر والطرائف ، كما كـــان يكثر من الاهتمام بالادب ، اذكر انه املى علي ذات يــــوم خمسة ابيات مـــن الشعر وقال انها كانت مخطوطة على لوحة جميلة في مجلس شورى الدولـة العثماني وانه اتى بها من هناك واهداها الى مجلس النواب السوري ولها بيت سادس نسيه ولهذا طلب الي أن اتصل بالسيد **جورج أبو جمرة** فـي مجلس النواب واكلفه بمراجعة اللوحة المذكورة ليملي علـي البيت السادس ، وبحث السيد ابو جمرة على اللوحة طويلا دون ان يجدها وقال لعلها فقدت اثنـــاء حوادث العدوان على البرلمان السوري عـــام ١٩٤٥ ، فحزن فارس الخوري لفقدان هذه اللوحة وقال ان فيها من الحكم ما تستحق معـــه ان تؤرخ جيلا بعد جيل وامرني ان اتصل بكل من اعرف بحثا عن البيت الضائـع وصدعت بالامر .. فوجدت الابيات كاملة بين محفوظات الرئيس السابق السيد حسن الحكيم ، وهذه هي كاملة :

كاتب فـي السابق كسرى قيصر ... بم استقام ملككـم والظفـر
فقال قـد طاب لنـا الهنـاء ... بخمسة دام بهـا الـولاء
ان استشرنـا فذوي العقـول ... وان نولـي فـذوي الاصـول
وان نعاقب فعلى قـدر السبب ... من الذنوب لا على قدر الغضب
ولا نقـدم الشباب مطلقـا ... على الشيوخ فـي ولاء أطلقا
وليس فـي وعـد ولا وعيـد ... نخالف القول علـى التأكيـد

● وزاره في مستشفى المجتهـد الاقتصاديان الكبيران ، الوزيـران السابقان الاستاذان **حنين صحناوي ومحمد سعيد الزعيم** وكان حاضرا ولده الدكتور **سهيل الخوري** ، ولشد ما كانت دهشة القوم حينما وجـه الاستاذ فارس الخوري سؤاله الى الاستاذ الزعيم بقوله : بربك قل لي وانت من رجال اقتصادنا ما معنى الديموقراطية التعاونية الاشتراكية ؟! (وكان السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ــ يبشر ــ **بهـذه الشعارات)** فابتسم الاستاذ محمد سعيد الزعيم واجابه قائلا : وهل المسؤول يا سيدي واستاذي بأعلم من السائل وانت الاستاذ فارس الخوري وكفى !!.. فأجابـه الاستاذ فارس الخوري بصوته الفخم الرنان : (وانا لم الق لها تفسيرا ومعنى



الفريق جمال فيصل (قائد الجيش الاول للجمهورية العربية المتحدة في دمشق) يتحدث الى السيدة خولة سهيل الخوري الى زيارة قام بها لجدها الكبير وقد وقف عن يمينها المؤلف محمد الفرحاني وعن يساره مرافقه العسكري النقيب عمر الشيخ ابراهيم .

***

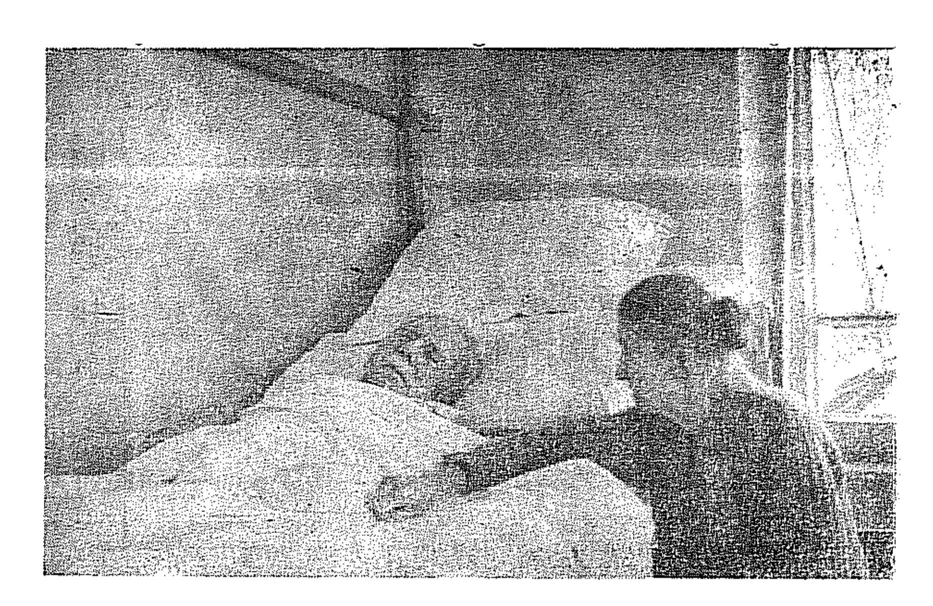
ملموسا وواقعا حسيا يعبر عنه في بلدنا ولئن عادني سيادة الرئيس جمال عبد الناصر فلسوف اطرح عليه ذات السؤال) !!

● وفي ١٢ نيسان ١٩٦٠ نشرت الصحف المحلية النبأ التالي « قال العلامة الكبير الاستاذ فارس الخوري للاستاذ محمد الفرحاني الذي يلازمه انه يعتز كثيراً بلقب **شيخ العروبة** الذي يطلقه عليه زملاؤنا في مصر وقال بأنه يفخر بأن اطلاق هذا اللقب عليه كان بسبب ما أداه من الخدمات للعرب اولا ولكونه اكبر العاملين في القضية العربية سنا » !!

● وكنت يوما اجلسه على الكرسي المتحرك ذي العجلات كي اخرجه الى البهو لاستقبال بعض الزائرين فقلت له ان الناس يشعرون وكأنما هم يقومون بواجب عزيز عندما يزورونك ولذا فان من واجبنا ان نخرج لاستقبالهم فأجابني رحمه الله على الفور :

انـا لفي زمن صنع الوجوب بـه   من اكثر الناس احسان واجمال

●وفي اليوم التالي كنت ادور به في البهو ذهابا وايابا (في الكرسي المتحرك) وكان يؤشر لي نحو باب غرفة النوم كلما مررنا منه يريد بذلك ان يلفت نظري الى رغبته مغادرة الكرسي الى فراشه واتجاهل قصده عن عمد



الزوجة الوفية اسماء عيد ، لم تكن لتفارق جوار قرينها العظيم فارس الخوري لا في الليل ولا في النهار .

***

لانني اريد ابقاءه على الكرسي اطول مدة ممكنة حسب أوامر الاطباء واذا به يخاطبني ببيت من الشعر معاتبا :

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكم علي اذن حرام

● وجاءه يزوره يوما ، القسيس **داود متري** ترافقه قرينته ، فسأله فارس الخوري : هل تعرف لي القسيس **رشيد رعد** ؟! اجابه القس متري : نعم اعرفه !! قال : هل تعرف لي ارملته اين تقيم ؟! اجاب : نعم ، انها في بيروت ، عند ابنها **منيب رعد** . قال : هل بامكانك ان تعطيني عنوانها ؟! أجاب: اظن بواسطة **القسيس فريد عودة** . قال : تأكد من العنوان وآتني به !! فسأله القسيس بدوره عن سبب هذه الاستفسارات واجابه فارس الخوري بقوله : (عندما كنت تلميذا في الجامعة الامريكية في بيروت احتجت للمال مرة وذهبت اليه لاستقرض منه بعض حاجتي فلم يكن لديه الا سبعة مجيديات اعطاني اياها ومات منذ خمس عشرة سنة تقريبا دون ان أفيها له ، والان تذكرتها ، وفكرت كم تساوي بعملة اليوم فوجدت انها تساوي ليرة أنكليزية ذهبا أي ما يعادل ست وثلاثين ليرة سورية افكر بايفائها لارملته) ولفت انتباهي قوله . . عندما كنت تلميذا في الجامعة الامريكية فسألته : منذ متى

استقرضت منه هذه السبعة مجيديات ؟! فصفن لحظة يراجع ذاكرته واجابني : سنة ١٨٩٦ ، ففغرت فاهي دهشة واستغرابا وقلت له : سنة ١٨٩٦ ؟! وما فطنت عليها الا اليوم ؟! لقد اصبحت بعد تلك السنة نائبا في البرلمان العثماني ثم وزيرا ثم استاذا للحقوق ورئيسا لمجلس النواب ورئيسا للوزارة .. فلماذا لم تردها له كل هذه المدة ؟! فأجابني : لقد كنت ناسيا امرها ومنذ خمس عشرة سنة تذكرتها وسألت عن القسيس رشيد رعد فقيل لي انه مات منذ وقت قريب ونسيتها ثانية حتى تذكرتها اليوم وأروم وفاءها لزوجته !!.. وكلفني باستدعاء ولده سهيل حيث اوصاه بوفائها نيابة عنه .

● وصادف أثناء مرضه ان مرض السيد **حسن الحكيم** ، فاوفدني فارس الخوري لزيارته والاطمئنان على صحته وحملني اليه قوله : (ما كفتني مصيبتي حتى اجتني مصيبتك .. عم فكر فيك مثل ما بفكر بحالي .. ضربتين ع الراس ، بتوجع) .

● ونشرت الصحف اليومية بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٦١ النبأ التالي :

سأل محمد الفرحاني دولة العلامة الاستاذ فارس الخوري عن رأيه بالدعوة التي وجهت اليه من **الحكومة الاندونيسية** لزيارة هاتيك البلاد فأجابه : « لي الفخر ان ادعى لزيارة اندونسيا ، ومتى اشار علي الاطباء بامكان السفر ابلغ اندونسيا بتمام الفخر ليعينوا موعد زيارتي لهناك ووضع البرنامج لذلك » . وجدير بالاشارة اليه أن العلامة الخوري ملازم فراشه بصورة دائمة منذ ما يزيد على السبعة اشهر لا يقوم منه ابدا ، وقد اطلعنا الفرحاني على نص البرقية التي وردت من وزارة الخارجية العربية المتحدة والتي تتضمن الدعوة وهذه هي : « سفارة اندونسيا بالقاهرة . توجه الدعوة نيابة عن حكومتها ، الى الدكتور فارس الخوري لزيارة اندونسيا ضيفا على حكومتها . مصاريف السفر والعودة والاقامة على **نفقة الحكومة المذكورة** . نرجو ابلاغ سيادته بذلك والافادة برقيا » .

● وفي ٧ آب ١٩٦١ نشرت الصحف الدمشقية النبأ التالي :

« العلامة الاستاذ فارس الخوري اوفد ملازمه محمد الفرحاني للاستفسار عن صحة المجاهد الكبير اللواء رمضان باشا الشلاش الذي اجريت له عملية جراحية في البروستات بمشفى المجتهد .. كتب الله الشفاء للرجلين الكبيرين » .

وفي ٢١ آب ١٩٦١ لقي المغفور له رمضان باشا وجه ربه فكتمنا نبأه عن الاستاذ الخوري الذي كان يجله ويحترمه .

● وفي ٢١ أيلول ١٩٦١ نشرت بعض الصحف الدمشقية النادرةالتالية:

جيء على ذكر الذين يتقدمون في السن دون ان يتزوجوا وخشيتهم من ان يفوتهم قطار الزواج فقال **حسن الحكيم** (رئيس الوزارة السورية الاسبق) بيتان من الشعر لمهيار الديلمي متندرا :

أراك تريني ناقصـا ونقيصتـي ليـال وأيـام علـي تزيـد
لكـل جديـد باعترافك لـذة فمالك عفت الشيب وهو جديد

ومما يذكر حول هذا الموضوع ان السيد حسن الحكيم زار زميله فارس الخوري مرة وراح يتأمل ذلك (الاكليـل) الابيض المحيط بـرأس الاستاذ الخوري فقال مداعبا ينادي أم سهيل : (دخيلك يا أم سهيل .. تعالي اعطيني الملقط ، في كم شعرا بيضا براس فارس بك .. تـا اشيلها) وعقب ينشد مداعبـا :

وزائـرة للشيب حلـت بمفرقي فبادرتها بالنتف خوفا من الحتف
فقالت على ضعفي استطلت وانما رويدك حتى يأتي الجيش من خلفي

● وكذلك نشرت بعض الصحف الدمشقية الكبـرى بالتاريـخ نفسه وبعنوان **(فارس الخوري يقول الاخلاق بنت العقـل)** ان الآنسة (السيدة) **سهيلة الحاو** ـ وكانت طالبة بكلية التجارة بجامعة دمشق ـ تقدمت من سرير العلامة فارس الخوري وسألته وقد رأته يئن مـن شدة الالـم :ـ جدو .. شو هوه اللي عـم يوجعك ؟! فاجابها فارس العرب الكبير بقـوله : وشو هوه اللي ما عم يوجعني يا بنتي ؟! .. ثم تروي بعض هذه الصحف قائلة :

وهنا اقترب منه ملازمه الزميل محمد الفرحاني وقال له : علمت بالامس ان مجلة نيوزويك الاميركية قد صنفتك بالمرتبة الثانية بين اعظم رجال العالم الذين خدموا القضايا العالمية في هيئة الامم المتحدة .. فاجابه الاستاذ فارس الخوري بقوله : هذا من فضل ربي ، فسأله الفرحاني : الـى م تعزي شهرتك يا ابا سهيل . فأجابه الاستاذ الخوري : ان الشهرة التي تلبستني بأني عالـم عظيم غير مستندة الى حقيقة .. فمثلا .. او نظرنا الى الكيمياء لوجدنا انني لست عالم كيمياء .. ربما يكون طالب البكالوريا يعرف بالكيمياء اكثر مني .. وكذلك قل عن الرياضيات (مع ان الاستاذ الخوري كان فـي بداية حياتـه العملية استاذا للرياضيا ت) والفيزيولوجيا والفقه الاسلامي هنالك كثير من الفقهاء اعلم مني بكثير .. والنحو العربي ، صحيح انني عالم كبير بالنحو ولكن هنالك المرحوم **الاستاذ محمد البزم** نحوي كبير لا يبارى ، والشعـر ، لست اشعر الشعراء ، والحقوق ، يوجد علماء حقوق في اقليمي مصر وسورية بلغوا مرحلة تفوق لا نظير لها . « وقد قريء هذا الجواب علـى مسامع دولـة الرئيس السوري السابق **السيد حسن الحكيم** فعقب قائـلا : هـذا تواضع

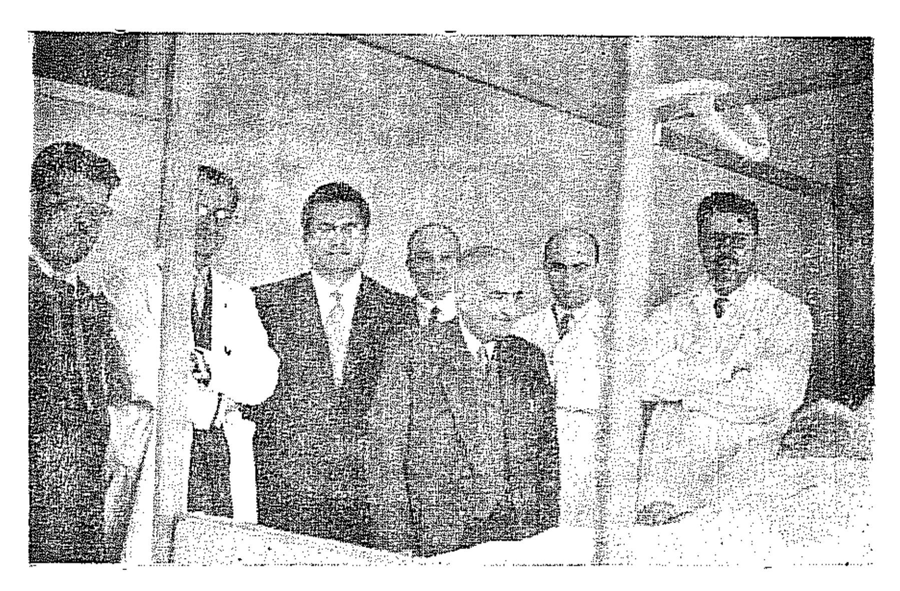
عظيم من علامتنا فارس الخوري لان فارس الخوري ينطبق عليه المثل العامي القائل : مثل الزبدية الصيني ، منين ما نقرتها بترن !! » . قال الفرحاني : الى ماذا تعزي شهرتك اذن ؟! أجاب الاستاذ الخوري : تسألني من اين أتتني هذه الشهرة وصار لي هذا الاسم العظيم . . اظن ذلك لاخلاقي . . قال الله تعالى في كتابه الكريم يخاطب نبيه الامين « وانك لعلى خلق عظيم » فأنا على خلق . . تميزت بأخلاقي التي جعلت لا أحد يسبني لانني لا أسب احدا ولا احد يلوك سيرتي بسوء لانني لا الوك سيرة احد !! . . قال الفرحاني : وانا اعزوها إيضا للعقل . أجاب الخوري : الاخلاق بنت العقل . وسأله الفرحاني : بماذا تنصح الجيل الحاضر ؟! قال فارس الخوري : بالمحافظة على سلامة الاخلاق وحسن المعاملة مع الناس !!

● وفي ٢٥ ايلول ١٩٦١ نشرت الصحف الدمشقية بعنوان **(متعب وماجد آل سعود بزيارة فارس الخوري)** النبأ التالي :

قام الاميران متعب وماجد ، ولدا المغفور له **الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود** اللذان زارا دمشق في الايام الاخيرة يرافقهما **السيد زياد الشواف** قنصل المملكة العربية السعودية في الاقليم السوري بزيارة العلامة الكبير الاستاذ فارس الخوري في مستشفى السادات للاطمئنان على صحته ، وقد عبرا عن مشاعرهما بقولهما : **(جئنا نزور والدنا في هذا المكان ففارس الخوري هو ابو العرب جميعا)** وابلغ الاميران السعوديان دولة الاستاذ الخوري تحيات واشواق جلالة الملك المعظم **سعود بن عبد العزيز** وولي عهده الامين الامير **فيصل بن عبد العزيز** وتمنياتهما له بالشفاء العاجل والعافية التامة . وقد كان لهذه الزيارة ابلغ الاثر في نفس الاستاذ الخوري فأوفد ملازمه **السيد محمد الفرحاني** الى القنصلية السعودية ليقدم جزيل شكره وامتنانه لهذه العواطف النبيلة وتحدث القنصل الشواف الى السيد الفرحاني بقوله ان امراء آل سعود وعلى رأسهم جلالة الملك المعظم تربطهم بالعلامة الخوري اوثق روابط الصداقة والمودة والاحترام ، ولذا فلا غرابة ان يزور الامراء فارس العرب الكبير كلما مروا بدمشق .

● وزاره في أثناء مرضه في مستشفى السادات ، المحامي **الاستاذ سعيد ابو الحسن** ، فأوحت له هذه الزيارة بأبيات نشرها في بعض صحف دمشق اليومية قال :

ما عدته مستفسرا عما به ... بل جاثيا للفكر في محرابه
عيناه مغمضتان لكن عقله ... يزهو على الدنيا ببعض شبابه
استاذ جيل كامل من شعبنا ... طلابه وزرائه نوابه



علامة العرب الكبير فارس الخوري في بداية ايام مرضه وقد احاط به كبار اطبائه يتقدمهم الاستاذ الكبير الدكتور مرشد خاطر .. وقد وقف خلفه من اليمين الى اليسار : الدكتور صبحي برمدا ، الدكتور منذر الدقاق ، الدكتور سهيل فارس الخوري ، الدكتور موسى اسعد رزق ، الدكتور جوزيف صايغ ، المؤلف محمد الفرحاني .

***

ان يسترح جـدا أقـل دماغه	**عمرا فما الداعي الى استغرابه**
افليس يعذر مهر (فارس) دهره	**ان خر تحت جهاده وطلابـه**
والارض ضاقت بالعقول وباشرت	**غزو الفضاء تفض بكـر حجابه**
فقفـوا خشوعا عنـده وتزودوا	**درسا من الجبار قبـل غيابه**

● وفي اوائل تشرين الثاني ١٩٦١ نشرت الصحف الدمشقية النبأ التالي :

قام البروفسور **دوغلاس ادموندز العضو الاميركي فـي لجنة القانون الـدولي** في جنيف ، والسيدة قرينته ، اللذان مرا بدمشق امس بسياحة يقومان بها في الشرق الادنى ، بزيارة العلامة الكبير الاستاذ فارس الخوري ، العضو العربي في اللجنة المذكورة وتبادلا بعض الذكريات التاريخية والاجتهادات القانونية ، وعند انصرافهما قالا للسيدة ام سهيل وللاستاذ محمد الفرحاني (ان البروفسور خوري اعظم رجل انجبته امتكم العربية) !!

ويذكرنا هذا باوائل صيف عام ١٩٦٠ حينما تقدمت لفحص الكفاءة (الآنسة) **رفاه عبد الوهاب الازرق** ، وكان السؤال الموجه اليها والى زميلاتها (من هو اعظم رجل في الامة العربية ؟!) وبديهي بالنسبة لروح ذلك العهد

وتوجيهه المرسوم له انيكون الجواب المطلوب جمال عبد الناصر ، وفعلا اجاب جميع الطلاب باسمه الا رفاه الازرق التي اثبتت في اجابتها ان **اعظم** رجل في الامة العربية هو فارس الخوري ، ويبدو ان المشرفين على الفحص قدروا جراتها وقيمة جوابها فانجحوها .. ورفاه عبد الوهاب الازرق هي اليوم حرم الوجيه الدمشقي التاجر السيد **عاصم هاني الجلاد** .

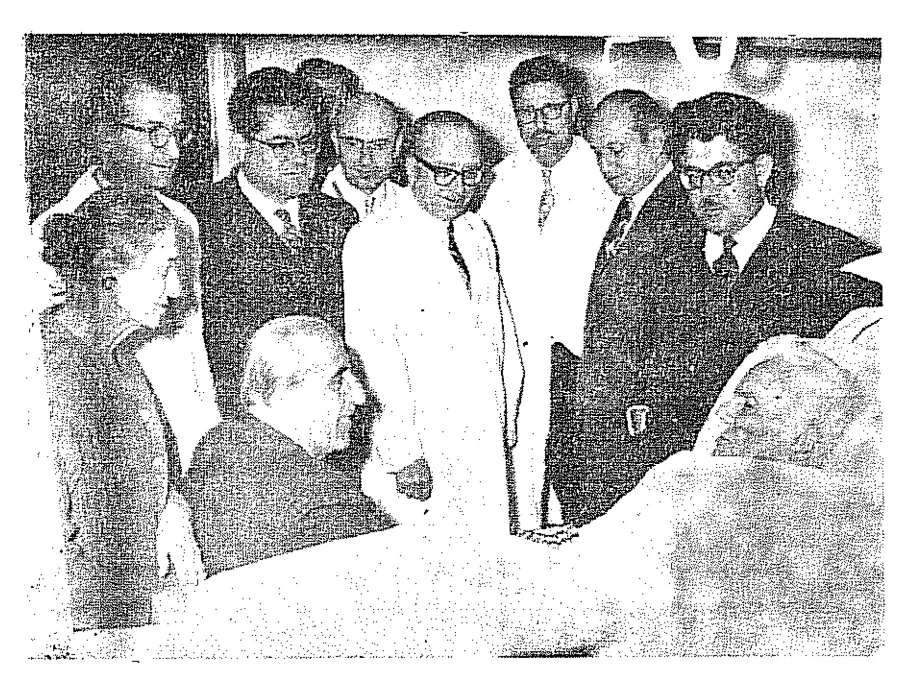
● وفي ١٢ تشرين الثاني ١٩٦١ نشر الاديب **الاستاذ عبد الله الشيتي** في زاويته المشهورة (ابو العينين) بجريدة الايام الدمشقية يقول :

« قام **الدكتور عبد الرحمن الكيالي** بزيارة الاستاذ فارس الخوري الذي سر بلقائه ورحب به بحرارة مرددا : اهلا وسهلا باخي ورفيقي وحبيبي . وراح يسأله عن صحة قرينته واولاده كل باسمه ومكث فترة غير قصيرة حول سريره يتذاكران في الاوضاع العامة ، وقال العلامة الخوري لزميله الكيالي : لقد قرأ محمد الفرحاني على مسامعي نص هذا الميثاق فاعجبني ولقي في نفسي استحسانا .

● سألت فارس الخوري ذات يوم : ما هي الحكمة التي ترددونها في العادة؟ فاجابني : حكمة السيد المسيح (لا تقابل الشر بالشر بل قابل الشر بالخير) وقول الشاعر :

وعامل بمعروف وسامح من اعتدى　　وفارق ولكن بالتي هي احسن

هذه هي الحكمة التي ارددها دائما وأدين بها واطبقها بنفسي على المحيط الذي أجلس فيه فلا اسمح بالنزاع والجدل على الامور الدينية او السياسية او الاجتماعية .. وحالما الحظ وقوع نقاش او نزاع في اي امر كان ، اتدخل في الموضوع واجلو الامور بحيث اعمل للتوفيق بين الطرفين واجد عذرا للمخطىء فليس من العقل ولا من الانصاف أن **نحاسب الناس عن اغلاطهم** في اي امر كان بل يجب ان نتسامح ونفسر تلك الاغلاط بوجه يدعو الى التوفيق بين الطرفين وهكذا كنت في الاوساط الحزبية والسياسية مع رفاقي حتى لقبني بعض المستهزئين بـ (السمكري) لانني كلما وجدت خرقا او خلافا لحمته وعملت للتوفيق بين النظريات المتضاربة جلبا للسلام واستبعادا للنقاش البارد المؤدي الى الخلاف ، وكل نقاش في هذا المعنى لا يضمن له عاقبة سليمة .. وقد كنت في اول نسق شبابي واقفا بالمرصاد لكل جليس من جلسائي يخطىء ويغلط في اي امر كان ، لاثب عليه وثوب النمر وامسكه من خناقه ، حتى نصحني بعض الاصدقاء وفي مقدمتهم المرحوم **رشيد بك طليع** ، فقبلت نصيحته وغيرت هذه الخطة ومشيت على هذا المبدأ وما زلت عليه الى الان رسول السلام ونصير المخطئين لاجد لهم عذرا .



صورة تذكارية لطيفة للرئيس الجليل السيد شكري القوتلي أثناء زيارة قام بهـا لرفيق جهاده ونضاله الاستاذ فارس الخوري ونراه يبادله الحديث مبتسما وقد وقفت وراءه قرينة العلامة الكبير السيدة اسماء جبرائيل عيد ، وقد وقف من حوله من اليمين الى اليسار : محمد الفرحاني ، الدكتور سهيل فارس الخوري ، الدكتور صبحي برمدا ، الدكتور أميـن سعادة ، الدكتور منذر الدقاق ، الدكتور زكاي حقي وقد اختفى وجهه وراء زملائـه ، الدكتور موسى اسعد رزق ، الدكتور جوزيف صايغ .

***

● وكان من اجمل ما ورده واحدث الاثـر الطيب فـي نفسـه ، القصيدة العصماء المنشورة في جريدة الهدى الصادرة باللغة العربية في نيويورك ، في أواسط ايار ١٩٦٠ ، وكانت بعنوان : (**شيخ العروبة . الى العلامة الاوحد فارس بك الخوري**) للدكتور **سليمان داوود** ، وهو اخصائي في جراحةالعظام في العالم الجديد ومن نوابغ الشباب العرب ، وهذه هي القصيدة بكاملها :

عوفيت يا سيدي مـن عثرة القدم — ومن عواقب كسر السـاق والالم
يا ليتني كنت في الفيحاء اسعفه — فكم تعهدني بالحب فـي القدم
اذ كنت في جلق احسو مناهلها — فتى طريداً غريب الاهـل والاجم
كم نلت من صدره الفياض نافلة — علي درت ذكـي العطف والنعم
ما كنت وحدي نهابا مكـارمه — مثلي كثير جنى منه شذى الكرم

بيني وبين عروس الشام مفزعة ... تكشرت عن محيا غير مبتسم
وقاه ربي من كسر يضعضعه ... وصانه من وخيم الخلط والورم
ان ادع ، لم ادع وحدي ، يشاركني ... له الشفاء عيون العرب والعجم
فوق الثمانين ما اذكى مراحلها ... تكللت بجلال المجد والهمم
كدوحة ظللت جيلا بواسقها ... من غوطة الشام حتى مقدس الحرم
قطب العلوم وبحر بالحجى لجب ... في كل زاوية در لمتهم
وللمعارف في جناته ثمر ... تنوء من طلعها بالطيب الدسم
لحومة الادب المنثور فارسها ... وللشريعة امسى حجة النظم
جداول الشعر اصفاها واعذبها ... تنساب من نبعه بالمنهل الشبم
غنى قديما على اوتار ملحمة (*) ... تدفقت بشجي اللفظ والنغم
الفيلسوف اذا ما قام مرتجلا ... يجود في بحثه الموضوع كالديم
يود حداته لو طال مجلسهم ... حتى الصباح امام العالم الفهم
يكفي المقال اذا ما قلت مختصرا ... ان المعالي حبته ارفع القيم

***

شيخ العروبة والعرباء تعرفه ... جحجاحها وعميد الحرف والقلم
ما نام طرفة عين عن معاضلها ... كأنه النجم في العلياء لم ينم
لما تمزق شمل العرب واندحرت ... اعلامها وجدوه حامل العلم
له الصدارة في غرب وفي عرب ... فتواه تحتل دست الشارع الحكم
فكم دوى صوته في شأن كارثة ... في مسمع الدهر او في ندوة الامم
في الشرق في الغرب اصداء لصرخته ... نبوءة انزلت في اصدق الكلم
لا تسترد فلسطين لصاحبها ... ولا ارعوى الخصم ان لم تغتسل بدم
ان النقاش عديم النفع افضله ... ما جاء عن ضربة الصمصامة الخذم
شر البلاد بلاد بات يحكمها ... راع بلا رادع فسل بلا ذمم
ان الغريب دخيل اين مصدره ... في بيت عثمان او من دارة الهرم
باتت دمشق بماضيها وحاضرها ... كالمستعيض عن الغربان بالرخم

***

يا ساهر الليل والانعام نائمة ... افنيت عمرك ناطورا على الغنم
كم ليلة وليالي العرب حالكة ... فيها جلوت الضيا من عتمة الظلم
يمتص من مغلق الاقدار مرقمه ... ايا تصدر هدي الوحي والحكم
ان انس لم انس يوم الترك في وطني ... وشر طاغية بالسفك مرتطم

(*) اشارة الى الملحمة الشعرية المشهورة التي نظمها الاستاذ فارس الخوري عام ١٩٠٥ ووصف بها الحرب الروسية اليابانية .



تدعي (جمالا) ولكن في خلائقه — قبح يعج بلؤم النفس والسقم
والحرب دائرة والنار آكلة — والحر في قبضة العبدان والخدم
والشام راقصة كالطير من الم — واهلها في ثقوب الارض كالرمم
صدمته ببيان الحق تفحمه — لا يبصر الحق علج بالشرور عمي
ما هالك النفي والتشريد في بلد — قاص عن الصحب والورقاء والاكم

***

علامة الشرق هل لي لثم انملكم — ففي نداها شذاء العطر والشمم
يجيش في مهجتي شوق يبرحني — شوق الحجيج الى اهل بذي سلم
في (الصالحية) دار عز سيدها — هي قبلة الروح في بدء ومختتم

فارس الخوري في حياته الخاصة على سرير المرض

تعرفت على الفقيد اول ما تعرفت عام ١٩٤٩ وبمرور الايـــام وتعدد اللقاءات ادركت ان كل جزء من اجزاء وجوده كان ينبض بالعقل ، وكان يظهر عليه التفكير العميق والادراك السريع ، وكان اول ما حببه الي ، نفسه السمحة وادبه الجم ووقاره المحبب ، فما سمع عنه مرة انه غضب او اكتأب او انفعل حتى وهو فـي اشد حـالات الحماس .. روى عنه تلميذه ، الاستاذ **الشيخ علي الطنطاوي** عام ١٩٤٧ قال : « من عجائب حلم فارس الخوري وسعة صدره ووقاره الذي لا يحركه شيء اني اقبلت عليه مرة بعد الدرس . وكانت لـي عليه جراءة ، فقلت له امام الطلاب : يا استاذ .. ما هذا القرار السخيف الذي وضعته البلدية لتقسيم ارض الدرويشية ، أليس من العار ان يصدر عن بلدية دمشق هذا الجهل وهذا الظلم وهذا ... في عشر مترادفات من هذا النمط ساق اليها نزق الشباب ، فلما انتهيت منها قال لي والابتسامة لم تمسح عن شفتيه « انا الذي وضع صيغة هذا القرار » وراح يشرح لي مزاياه ، ولكنـي لم افهم منها شيئا ، وشعرت من الخجل كأن دلو ماء حار صب علي ، وقد مرت على ذلك الان خمس عشرة سنة ولا يزال صوته (يدوي) فـي اذني فاشعر بالخجل من هذا الموقف !! » .

وحادثة اخرى من هذا النوع ، جاءه اثناء مرضه احد الادباء وراح ينتقد تسمية التلفون بـ (الهاتف) وينعت مقترح هذه التسمية ومقررها بالجهل والغباء والسخافة الى اخر ما هنالك ولشد ما كانت دهشته ان يـرد عليه الاستاذ الخوري بقوله والابتسامة تملأ شفتيه : « انا الـــذي اقترح كلمة الهاتف لتكون اسما للتلفون وانا الذي قررت هذه التسمية في المجمع العلمي العربي » وراح يشرح له بهدوء سبب هذه التسية .. وراح الاديب يتشبث



العلامة فارس الخوري ، وقرينته السيدة أسماء ، ورفيق شيخوخته محمد الفرحاني ، على مائدة الغداء .. دائما .

★★★

بقوائم السرير ومسانده كي لا يسقط على الارض وقد اصيب بالدوار لفرط خجله واستحيائه !!

كان فارس الخوري حسن الملقى ، مهذب الكلام ، يوقر من اول نظرة تقع عليه .. بقي الى اخر حياته يعد نفسه انه ليس كبيرا على ان يتعلم شيئا جديدا فكان يسعى للاستزادة من المعرفة والتحرر من الغرور والاتعاظ بعبر التاريخ والاحداث ، يقينا أن هذه الصفات والمزايا لو كانت بجميع رجالاتنا لكان مصيرنا هو غير الذي عليه الان ، ولكنا انتصرنا على كل محنة ، وخرجنا بنجوة من كل كارثة !!

ولقد جمع رحمه الله الى مواهبه الطبيعية من نفس ابية وضمير نقي وعقل المعي اسبابا اخرى هي العلم والعمل والاخلاص ، وما اتخذ يوما شيئا من مواهبه او علمه وسيلة للربح بسبب حاجة محتاج اليه ، واكبر مزاياه انه كان يثق بمن هو محل الثقة . وان من اروع اقواله (ما اهلك امة مثل ان تفقد بين رجالها الثقة ، ولا يستنبت الثقة مثل الاخلاق ، والاصل في ذلك تجنب الطمع) وان من اعلى الحكم قول من قال (عز من قنع وذل من طمع) وقد كان بسبب تقديره هذه الحكمة ان جعلها بقطعة طرزت بخط عربي جميل

يجدها الزائر على احد جدران بهو منزله الكبير .
ولا يذكر له رفاقه عادة سيئة ، ولا سمعوا عنه انه حضر حفلة تنكرية او مجلسا هزليا وكانت رياضته الاكثار من السير على قدميه ، وكان مسيره بمنتهى الوقار بعيدا عن العجرفة او الشعور بان له سلطانا او مكانة .. وكان يحب الهدوء في بيته ، وان يستأثر فيه برعاية زوجه وبزيارة المحبين من اصدقائه والمعجبين به حيث يجدون عنده افضل غذاء للنفس واحاديث النظر البعيد .

كان فارس الخوري يستيقظ في الصباح الباكر ، وبعد ان يستمع الى بعض الاذاعات العالمية يتناول طعام الفطور ومن ثم يتمشى بعض الوقت على الشرفة وفي انحاء البهو حتى اذا زاره احد الاصحاب جلس اليه ، وظل هذا حاله حتى الظهر .. وحوالي الساعة الواحدة ظهرا ، يتجه نحو المذياع القديم الذي اشتراه منذ عام ١٩٣٥ ولم يغيره ابدا ، ليستمع الى نشرة الاخبار ثم يتجه الى غرفة (السفرة) لتناول طعام الغداء فلا يلبث ان ينام بعض الوقت ليستانف بعد العصر استقباله لزواره ، ويستمر ذلك عادة حتى الساعة الثامنة او التاسعة مساء ، وقلما يبقى الزوار عنده الى ما بعد ذلك ، وهكذا حياة رتيبة هادئة لا تبديل فيها ولا تغيير .. بل حتى اثاث المنزل .. لا اظن يد التبديل والتغيير امتدت اليه منذ عام ١٩٣٣ وهو العام الذي غادر فيه منزله القديم في باب توما .. وانتقل الى الطابق الارضي من بنايته التي عمرها في المهاجرين .

ولننتقل الى الحديث عن سيدة بيته ورفيقة حياته اسماء !!
لقد عرفت السيدة اسماء كثيرة الحركة ، بادية النشاط ، لا تكاد تهدأ لحظة ، وظل هذا حالها حتى بعيد وفاته .. فمن غرفة النوم الى غرفة الجلوس الى المطبخ الى الهاتف الى ... حيث يجلس زوجها تشترك في النقاش وابداء الراي .. الى ملاحظة الخدم .. وعلى ذكر الخدم اقول .. يندر جدا ان تراها تخاطب خادما بلطف وهدوء ، ولذلك كان من النادر جدا ان يطيل (خادم) ما ، المقام في هذا المنزل الكبير وقد تقضي السيدة اسماء الاسابيع والشهور دون ان تجد خادما يرضى بان يعمل في منزلها ، فهي فارطة في النزق والعصبية ، وحتى ولدها وآل بيته ، اراهم يتحاشون الاكثار من زيارتها او زيادة الاحتكاك معها .. ولم ار سهيلا زار امه اكثر من مرة في الاسبوع حتى عندما كان والده يعاني حالات الخطر في المستشفى .. ولم اره امضى عندها ــ عندما يزورها ــ أكثر من خمس دقائق .. اللهم الا في الحالات الهامة التي تستوجب بقاءه .. والسيدة اسماء .. كانت تساهم في



الوزير والنائب السوري السابق الدكتور عدنان الاتاسي ، نجل الرئيس الجليل المغفور له السيد هاشم الاتاسي قائد معركة النضال ضد الاستعمار الفرنسي طيلة مدة وجوده في سورية ، وربيب بيت الوطنية والكرامة والشرف والاخلاق ، كان وجوده واخوان له في السجن ، بدافع من احكام جائرة ظالمة ، سببا من اهم اسباب تنغيص حياة فارس الخوري في اواخر عمره واستبداد الحسرة في نفسه .

عديد من الجمعيات الخيرية النسائية ، كانت رئيسة لجمعية نقطة الحليب ولها في ميدانها افضال تذكر ، وهي من مؤسسات جمعية الهلال الاحمر ، ورئيسة لجمعية الاسعاف النسائي ، ورئيسة للجنة سيدات الدفاع المدني ، وهي من اشد الناس اهتماما بقضايا اللاجئين الفلسطينيين ولا غرابة فيذلك فهي نفسها فلسطينية الاصل من مدينة عكا .. ومشهورة تلك هي حادثة مشاجرتها مرة مع **السيدة اليانور حرم الرئيس الامريكي الراحل فرانكلين روزفلت حينما قالت لها** : انني ادافع عن بلادي وعن بني وطني واهلي ..انا فلسطينية وقد اصبحت بلا وطن من جراء جريمتكم النكراء .. ويحلو لفارس الخوري أن يداعب قرينته احيانا فيقول لي بحضورها ان هدنها في كل ما تعمل هو الظهور .. واراه يقول ليمبتسما (الظهور يقصم الظهور) .. وفي الاجمال استطيع ان اقول عن السيدةاسماء انها طيبة القلب جدا ، تخلو من الحقد ومن الضغينة وتغلب عليها العناصر الخيرة .

مشكلة الاتاسي والعجلاني والعمري ورفاقهم

ولعل اهم مشكلة كانت تؤرق فارس الخوري خلال المرحلة الاخيرة من حياته وتشغل ذهنه هي مشكلة المحكومين السياسيين الذين سجنوا كضحايا لمحكمة **(عفيف البزري)** عام ١٩٥٧ ، **الدكتور عدنان الاتاسي والعليم منير العجلاني واللواء صبحي العمري** ورفاقهم ، وما زاره مصري كبير او صفير

الا وتحدث اليه فارس الخوري بقضية هؤلاء (المظلومين) وطلب اليه ان يلفت باسمه نظر الرئيس جمال عبد الناصر لوجوب الافراج عنهم ، أن لم يكن قناعة منه بحدوث ظلم ما ، ضدهم ، فعلى الاقل ، رحمة بشيخوخة ذلك الرجل الصالح الذي لا تذكر له البلاد السورية خاصة والعربية عامة ، الا كل خير ، السيد هاشم الاتاسي .

واذكر مرة انه فتح هذا الموضوع مع **السيد شكري القوتلي** ايام كان يلقب بـ (المواطن العربي الاول) بحضور **السيد حسن الحكيم وعصام الانكليزي وسهيل الخوري وانا** .. والح عليه بضرورة ضغطه ادبيا على الرئيس جمال عبد الناصر كي يفرج عن هؤلاء ، واذكر انني قلت في تلك الجلسة كلاما ايدني فيه الرئيس القوتلي والحاضرون .. قلت ((**من حق هاشم الاتاسي على هذا الوطن ان نقر عينه بالافراج عن ولده**)) !!

وفي مساء يوم الثلاثاء ١٩ كانون الثاني ١٩٦٠ كنت بزيارة الاستاذ فارس الخوري وكان حاضرا الشاعر المهجري **الياس فرحات وخولة سهيل الخوري** حينما حضرت السيدة **اسماء** من زيارة قامت بها مع صويحبات لها **لحرم المشير عبد الحكيم عامر** وقالت انها التقت هناك بالمشير عامر وتحدثت اليه بموضوع المحكومين السياسيين الآنف ذكرهم ولفتت نظره الى الاثر السيء الذي يحدثه في نفوس السوريين ذلك التفاوت في المعاملة بين سياسيي مصر وسورية حيث افرج في مصر عن جميع المحكومين السياسيين ومنهم من تآمر ضد جمال عبد الناصر شخصيا ، وبقي السياسيون السوريون ما بين فار وسجين رغم ان الذي حاكمهم وحكم عليهم بهذه العقوبات القاسية هو عفيف البزري الذي اتضحت لكل الناس حقيقة امره وعدائه للقضية العربية ، فقال **الاستاذ الياس فرحات** : ان الافراج عن هؤلاء انما هو عمل حكيم **جدا يقوم به العهد** ،**وانه يكون (احسن عيدية) يقدمها المشير** عامر للشعب السوري بمناسبة عيد الوحدة القادم ، فراحت السيدة اسماء تؤكد لنا ان المشير قد وعدها بالافراج عنهم بعد اربعة اسابيع ، وخيل الينا ان الافراج عنهم سيتم بمناسبة عيد الوحدة ، حتى ان فارس الخوري فكر بايفادي الى حمص كي ابشر رفيق جهاده ونضاله هاشم الاتاسي بقرب الافراج عن ولده ، وابدى **الاستاذ عبد القادر العظم** (رئيس الجامعة السورية الاسبق) رغبته في ان نذهب سوية الى هناك حيث نبشر الرئيس الجليل ونتغدى على مائدته ونعود معا في المساء ، ولكنا ما لبثنا ان آثرنا التريث لنرى ما سيكون .

وفي الثامن من شباط ١٩٦٠ حدثني فارس الخوري معقبا على قرار

صدر عن السيد الرئيس جمال عبدالناصر في تلك الايام يلغي بموجبه ما صدر من قرارات في الماضي كانت تقضي بحرمان الساسة المصريين القدامى من حقوقهم السياسية والمدنية ، فوصف هذا القرار الاخير بالحكمة ، واوضح لي أن معظم هؤلاء السياسيين لم يمضوا في السجن الا مددا قصيرة جدا رغم ان منهم من تآمر ضد العهد الحاضر في مصر ، ووصف هذا بانه منتهى درجات الحلم والعفو عند المقدرة !! .. واستطرد فارس الخوري يقول لي : ولكن من المؤسف ان هذه القاعدة الحكيمة الرشيدة تطبق على اقليم دون اقليم رغم مضي عامين على قيام دولتنا الموحدة ، اي انها تطبق في مصر ولا تطبق في سورية ، فلا يزال سياسيونا بين سجين وفار خارج البلاد رغما انهم باجمعهم متهمون بالتآمر ضد عهد سابق قضي عليه بالزوال . ولا ادري بماذا افسر هذا التفاوت في المعاملة بين الاقليمين لان هذا قد لا يعني الا ان المصريين قد داسوا على سورية واستعمروها استعمارا حتى عاملوها على النحو الذي يعاملونها به الان ، من حيث تكريم السياسيين المصريين القدامى واهانة واذلال زملائهم السوريين .. ان للسياسيين السوريين المحكومين ، المسجونين منهم والفارين ، حق التساوي مع زملائهم المصريين في الحصول على رحمة الحاكم او نقمته .

وفي يوم الاحد ٢١ شباط ٩١٦٠ وبينما نحن ننتظر حلول موعد الغداء، راح فارس الخوري يستمع الى وصف استقبال السيد الرئيس جمال عبد الناصر في حمص بواسطة المذياع ، فسألته عما اذا كان يعتقد بان الرئيس الجليل السيد هاشم الاتاسي سيحاول اغتنام فرصة مرور الرئيس جمال بمدينته فيتحدث معه بشأن ولده عدنان ورفاقه فاجابني بالنفي وقال ان هاشم الاتاسي قد لزم بيته بعد ان يئس ونفض يده من هذه القضية ولم يعد يهمه ان اطلق سراح ولده او بقي في السجن . ولقد سمعت انه يقول : **((فليمت عدنان في سجنه فلن يكون اول رجل مات في سبيل بلاده على ايدي مواطنيه ظلما وعدوانا)) .**

ويرى فارس الخوري ان عدنان الاتاسي ورفاقه قد تآمروا ضد الشيوعية ، وسابقا ضد **اديب الشيشكلي** . وان الواجب كان يقضي بالافراج عنهم واعادة حقوقهم السياسية اليهم اثر اعلان الوحدة السورية المصرية مباشرة ، لان العفو قد اصبح حقا من حقوقهم بعد تغير الاوضاع ، لا منحة من الحاكم ، الا ان مسؤولينا لم يعترفوا بهذا الحق حتى اليوم .. واراه يهتف بي احيانا : « والله لو كنت انا السجين لما طلبت العفو ممن يحرمني من حقي فيه » ويقول لي : **(اصارحك القول يا محمد ، انه اذا لم يفرج عن المحكومين**

السياسيين فسيكون من حقنا ان نأسف ونعتب ونغضب) !!

في مثل هذه الظروف النفسية السيئة تحيط باستاذنا فارس الخوري من جراء اهمال السيد جمال عبد الناصر الاستجابة لما يجيش في نفوس السوريين ، كان فارس الخوري يعاني اوجاعا وآلاما .. وفي مثل هذه الظروف النفسية السيئة بالذات ، اصيب فارس الخوري بالكسر الاليم الموجع !! ..

قصة مرض فارس الخوري

في الخامس عشر من ايلول ١٩٥٩ كان فارس الخوري وقرينته يصطافان في بلودان حينما شعر فارس الخوري بوعكة صحية تنتابه ،فتتصل السيدة اسماء هاتفيا على الفور بولدها سهيل الذي اسرع نحو صديقه الدكتور موسى اسعد رزق مدرس امراض القلب في كلية الطب ليصطحبه معه الى بلودان .

ولاترك المجال للدكتور رزق يحدثنا عن هذه البداية المشؤومة حيث نراه يقول :

ما ان وصلت منزل الاستاذ فارس الخوري في بلودان بمعية ولده سهيل حتى استرعى انتباهي ان الرجل الكبير كان يتحدث الى جماعة من ضيوفه مسترسلا في حديث ادبي وقد سيطر على الموجودين جو من الاصفاء فالتفت الى الدكتور سهيل وقلت له (ان الخبر كاذب على ما يبدو فليس على وجه ابيك ما ينبىء بالمرض !!) وما كاد ابفارس العربي يرانا بجواره حتى نهض واتجه بي الى الغرفة المجاورة وهو يقول لي : (ها انني قد اصبحت من مرضاك يا دكتور !!) ذلك بانني اعوده للمرة الاولى في حياتي .. واجريت الكشف اللازم ، فلمست ارتفاعا بينا في ضغطه وخذلا في الشق الايسر من جسمه ، ولاحظت بعض تقطع في نبضه ولكنني لم الاحظ اي عرض يشير الى قصور في قلبه ، فالتفت الى الشيخ الجليل وقلت له (الوعكة بسيطة جدا ، وهي ناتجة عن شدة ارتفاع بلودان عن سطح البحر ، والرأي عندي هو ان تعود الى دمشق لتمضية بقية الصيف فيها) فوافق على مضض رغم تعلقه بهواء بلودان وعنبها وقال (انا لا اناقش الاطباء في آرائهم لانني احترم الحقيقة العلمية) !! وعاد الى دمشق فورا .. وبعد فترة وجيزة من المعالجة تراجعت اعراض الفالج الخفيف وصرت اعاوده في فترات متقطعة وانظم له القوام الغذائي وكان يدعوني لتناول الغداء او العشاء معه في كل مرة اصف له فيها طعاما جديدا ويقول لي (عليك ان تذوق ما تصفه لمرضاك من الطعام) واستمر الحال على هذا المنوال دون ان اصف له اي علاج للقلب لان عدم



الدكتور موسى اسعد رزق يقيس ضغط العلامة الكبير فارس الخوري بينما راح ينظر اليه بانتباه ، حفيدة الشيخ الجليل ، خولة سهيل الخوري ، والطالب الطبي الشاب حسان عبد المجيد الدهموش المشهور من اهالي دير الزور .

الانتظام الذي لاحظته هو قديم العهد ومن الاشكال السليمة والمألوفة لمن في مثل سنه ، وفي احد ايام تشرين الاول ١٩٥٩ اصيب فارس الخوري باحتقان شديد في رئته اليمنى وبضيق زائد في تنفسه ، وصل الى حد ، جاب معه انتباه الاطباء نحو امكانية وجود قصور في قلبه . ووصل بعضهم الى حد الاصرار بوجود اصابة قلبية وبان حياة الشيخ الجليل اضحت في خطر .. ولكن تخطيط القلب الكهربي الذي اجريته له على الفور اظهر ان قلب فارس الخوري سليم تماما وان سبب ضيق تنفسه يرجع الى الاحتقان الشديد السالف الذكر والذي ما لبث ان شفي منه هو الاخر بعد تناوله دواءه المفضل (السيغمامايسين) ثم توالت فترات عصيبة على صحته فبدات اعراض (انحباس البول) تعاوده من وقت لاخر .. وكان الاستاذ الكبير الدكتور مرشد خاطر يعوده من وقت الى اخر من اجل ذلك ، ويرشده بالنصائح الطبية اللازمة الى ان جاء ذلك اليوم المشؤوم الذي اهتز فيه الشيخ الجليل وسقط على الارض .

كان فارس الخوري مصابا بتضخم في البروستات ومع شدة منغصاتها

واخطارها فقد كان يصر على عدم اجراء عملية جراحية تنقذه منها لانه يعتقد ان ليس من رجل سليم العقل والتفكير يتوجه ـ بطيب اختياره ـ الى غرفة العمليات سيراً على قدميه ويضع نفسه بين ايدي اطباء تكفي ابسط غلطة من احدهم لان تنقله الى العالم الاخر .. وما زلت اذكر كيف دخل مستشفى السادات في اواخر تشرين الاول عام ١٩٥٩ من اجل اجراء هذه العملية وخرج بعد بضعة ايام دون ان يجريها رغم الحاح ولده سهيل عليه بذلك ..

وكأن فارس الخوري كان يعلم بما هو مسطور له في عالم الغيب فقد رايته يقول للسيد **حسن الحكيم** ولي في اول كانون الثاني ١٩٦٠ حينما ذهبنا نعايده برأس السنة الميلادية : (انني اشعر بالتشاؤم من هذا العام ، ولقد اصبحت متوعك الصحة والمزاج ، فالله يقضيها على خير) !! ..

وفي يوم الاثنين ٢٢ شباط ١٩٦٠ ، قضى فارس الخوري سحابة نهاره قرب المذياع ، يصغي الى تفاصيل الاستقبالات التي اصطنعت للرئيس جمال عبد الناصر وخطبه عله يسمع شيئا عن قضية المحكومين السياسيين التي كانت تشغل ذهنه ، حتى انه تناول غداءه مبكرا ، كي لا يفوته الاصغاء الى شيء منها ، فلما وصل جمال عبد الناصر الى دمشق وانتهت خطبته من على شرفة قصر الضيافة وراحت الاذاعة تبث برامجها العادية ، قام من جانب المذياع حزينا آسفا واتجه الى غرفة نومه يريد ان ينام بعض الوقت فلم يتمكن بسبب ما ناله من غضب واسف والم .. واراد ان ينزل عن سريره وهو في هذه الحالة من الانفعال النفسي العنيف ، وما كاد يغادر سريره حتى وقع على الارض واصيب بالكسر المشؤوم في ذلك اليوم المشؤوم .. ولم يكن في البيت احد سوى قرينته التي لا ادري كيف تمكنت لوحدها من رفعه واعادته الى سريره .. ويشاء الله ان اكون اول القادمين بعد تلك الاصابة ، احمل له معي كمية من صابون زيت الغار الحلبي وعدته بها ، وراعني انني رايت الباب الرئيسي مفتوحا والبهو خال وليس من عادة اهل البيت ترك الباب مفتوحا كما ليس من عادتهم ان يأمروا بفتحه قبل ان يتأكدوا من شخصية القادم بواسطة الخادم الذي يطل من النافذة ، لان فارس الخوري ، بسبب اعتكافه في منزله يبقى مرتديا ثيابه المنزلية فاذا ما زاره رجل كبير اضطر لان يدخل غرفته ويغير هندامه قبل ان يأمر بفتح الباب للضيف القادم .. واسرعت نحوي ام سهيل تخبرني بالذي حدث فذهلت ، واذ نحن كذلك اذا بالوجيه السيد **فريد كحالة** يدخل المنزل ويدرك للتو ما نحن فيه ، فيهتف بي بقوله (وشو ناطر ؟ خلينا نتصل بالاطباء حالا !!) وبما ان في المنزل جهازي هاتف ، فقد امسك السيد فريد بسماعة احدهما وامسكت بسماعة الثاني ورحنا



الاقتصادي الكبير الاستاذ فريد كحالة ، ومؤلف الكتاب محمد الفرحاني في صورة تذكارية .

ندعو الاطباء ونجل المريض ، سهيل الخوري .. وافراد اسرته ، وتجمعنا معشر الرجال حول سرير الشيخ الكبير عندما التأم شملنا .. واذا به ينسى كل ما نزل به من اوجاع وآلام لا تطاق ويسألنا عن الخطاب الذي القاه الرئيس جمال عبد الناصر في الاستعراض الكبير الذي اقيم اليوم في دمشق بمناسبة الذكرى الثانية لقيام الوحدة وعن سبب خلوه من اية اشارة لموضوع العفو عن المحكومين السياسيين واندفع يهدر (هذا لا يجوز ، هذا لا يجوز ، هذه مفاضلة بين مصر وسورية لا نرضاها ، في مصر نراه يصدر عفوا عاما عن المحكومين السياسيين هناك رغم انهم حوكموا وحكم عليهم من قبل محاكمه ذاته ، وفي سورية ، لا يفكر بالعفو عن محكومين سياسيين حكموا من قبل رجل هو نفسه الان طريد العدالة وعدو القومية العربية بنظر العهد ، هذا تفاوت في المعاملة لا نرضاه ، لماذا لا يعفو جمال عن محكومينا ، سنظل عاتبين عليه الى الابد ، سنرحل عن هذه الدنيا حاملين عتبنا الشديد عليه معنا الى لحودنا ، هذا لا يجوز .. هذا لا يجوز !!) فقال له **الدكتور موسى رزق** يهدئه : (شو بدك هلأ بالمحكومين السياسيين ؟! خلينا نشوف اصابتك شو هية ؟!) وقال له **الاستاذ الدكتور مرشد خاطر** بهدوء : (خلينا نشوفك هلأ وبعدين نحكي بموضوع المحكومين السياسيين) ولكن فارس الخوري عاد يهدر بصوته الجهوري : (هذا لا يجوز ، حرام ، حالة هاشم بك بتقطع القلب ، في نفوسنا خيبة وحسرة والم ، في نفوسنا غضب وعتب واسف ، بماذا اجرموا حتى لا يعفى عنهم ؟! الانهم تآمروا ضد الشيوعية ؟!!) وهنا تدخل

ولده سهيل يهدئه بقوله : (بابا ، أؤكد لك ان الرئيس جمال قد قرر العفو عنهم ، انما من غير المعقول يعلن هذا بخطاب من قصر الضيافة ، اليوم يمكن يوقع مرسوم العفو ، وبكرة، بينذاع بالاذاعة والجرائد ويفرج عنهم بمناسبة عيد الوحدة ، خلي الدكاترة يشوفوا شغلهم بقى !!) .

ولم يتمكن الاطباء من معرفة ما حصل لفارس الخوري في ذلك المساء واجلوا اعطاء قرارهم الى صباح اليوم التالي لاحتمالهم في ان يكون الامر مجرد رض بسيط . ولم يغمض لفارس الخوري جفن في تلك الليلة ..

وفي اليوم التالي عاده الاطباء السادة **الاستاذ مرشد خاطر وموسى رزق وجمال الاتاسي وامين سعادة وصبحي برمدا ومروان المحاسني والبير عجم وناديا الشايب** وقرروا بالاجماع أن من المشتبه به اصابة فارس الخوري بكسر ما ، في عظم الفخذ ، واشاروا بنقله الى المستشفى لتؤخذ له صورة شعاعية ، وسرعان ما استدعى ولده سهيل سيارة اسعاف لتنقل والده الى المستشفى ولكن والدته اعادت سيارة الاسعاف من حيث اتت ورفضت نقل زوجها الى المستشفى بدعوى انها (تتشاءم !!) من المشافي والعيادات !! ..

الا ان **الدكتور موسى رزق** اصر يوم الاربعاء على نقله الى المستشفى بدون اي امهال ورضخت ام سهيل للامر الواقع مكرهة .. وهناك اخذت له صورة شعاعية فاتضح ان علامتنا مصاب بكسر في عنق فخذه الايسر فتقرر ابقاءه في المستشفى (المجتهد) لاجراء الاسعافات الضرورية والعمليات اللازمة له ووضع في (الجناح الخاص) المعد في العادة لكبار رجال الدولة المسؤولين . وتقرر ان يعقد الاطباء اجتماعهم في الغد كي يقرروا ما يجب عليهم عمله من اجل جبر العظم المكسور آخذين بعين الاعتبار سن الرجل الكبير وحالته الصحية .

ثم راحت اجتماعات الاطباء تتوالى وام سهيل تعارض باصرار اجراء اية عملية جراحية لزوجها العظيم .

واشهد وانا انما أؤرخ المرحلة الاخيرة من حياة هذا الرجل الكبير انني لمست منه صبرا عجيبا ما رأيت في عمري مثله من رجل في مثل سنه .. عاده في المستشفى نقيب المحامين السابق **الاستاذ ظافر القاسمي** فوجده يتألم فقال له مواسيا (اجر وعافية ان شاء الله) فاجابه فارس الخوري بقوله (نعم .. اجر وعافية ، اجر على الصبر على ما ابتلاني الله من محنة لن اتغلب عليها الا به ، وعافية ، ستكون نتيجة طبيعية لصبري هذا) وعاد ظافر ابن علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي يسأله عن حاله فاجابه (كما ترى ، انني محتاج الى صبر اولي العزم ، انني محتاج للتقوي على هذه

الآلام ، الى هذا الصبر الذي لم يرزقه من الانبياء الاربعين الذين ورد ذكرهم في الكتب المقدسة الا خمسةهم **نوح وايوب وموسى وعيسى ومحمد** .. واخذ فارس الخوري يشرح للاستاذ القاسمي صبر نوح على قومه الذين ما لبث ان دعا عليهم فقال (يا رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) والتفت فارس الخوري نحو ظافر القاسمي وقال له (تصور كم انا متألم) !! ..

وتبين للاطباء من نتيجة فحص الدم ان (البولة الدموية) ما زالت نسبتها مرتفعة وانه لا يستحسن اجراء عملية جراحية قبيل خفضها،وقرر الاطباء بالاجماع ان كسر عنق الفخذ يهدد الحياة في المتقدمين بالسن وان الوفيات تعادل ٣٠ — ٤٠ بالمئة وان سبب الوفاة في الغالب هو الاختلاطات الرئوية والعفونات البولية والخشكريشات .. وتنجم هذه الاختلاطات بالخاصة عن التثبيت المديد والاضطجاع الظهري والآلام التي تضعف المقاومة الحيوية في الشيوخ ، وليس من امل لانقاذ العلامة الكبير الا تسمير عنق الفخذ المكسور وهذا من شأنه ان يقلل مدة التثبيت ، ولكن السيدة أسماء كانت تعارض في اجراء عمليةالتسمير معارضة شديدة لا لسبب معقول ، ولكن ، لان الاطباء لم يضمنوا لها نجاحهذه العملية مائة في المائة ، بل ان الخطر موجود بنسبة لا بأس بها ، خصوصا واننا تأخرنا في نقله الى المستشفى اربعا واربعين ساعة في حين كان يجب ان ننقله خلال الاربع والعشرين ساعة الاولى التي تلت اصابته بالكسر لتجرى له عملية التسمير على الفور وهذا ما صرح به **الاستاذ الدكتور مظهر المهايني** امام تلامذته في كلية الطب مستغربا تأخير محاولة اجراء العملية له عشرة ايام والمتفون حول المريض الكبير هم من خيرة اطباء البلد .. والواقع ان الاطباء المتفين حول المريض لم يقصروا في بذل ما لديهم من مشورة وخبرة ولكن التقاليد الطبيةلا تسمح لهم باجراء العملية بدون أذن صريح من ذوي المريض نظرا لتقدم سنه وخطورة حالته .. والسيدة اسماء ، تعارض في اجراء هذه العملية اشد المعارضة ضاربة عرض الحائط بكل حقيقة علمية بعد اذ فقدت اعصابها ، والنجل الوحيد للمريض ، **الدكتور سهيل الخوري** كان أضعف من ان يبرم امرا لا ترضى عنه والدته ، وكم طلبت اليه ، وكم الحفت الرجاء ، ان يقف العملية ليست مضمونة تماما ويخشى ما اذا توفي والده اثناء اجرائها او امام مسؤولياته كاملة وجها لوجه ، فيجيبني بان موقفه حرج جدا لان باثرها ان تنقم عليه والدته وسيظن الكثيرون من المغفلين والجهلاء انه عمل للخلاص من ابيه لكي يرثه .. وكان الوقت يفوت .. وصادف قبل ظهر



ما أن استقر فارس الخوري في مستشفى المجتهد حتى سارع السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة (وكان يومئذ يزور دمشق) فاوفد وزير الصحة التنفيذي السوري الدكتور شوكت القنواتي لزيارة المريض الكبير وابلاغه تمنياته بالشفاء العاجل ، وقد شكر علامتنا الخوري للرئيس (التفاتته) هذه وطلب الى الوزير القنواتي ان يبلغ الرئيس امتنانه ويقول له عن لسانه « لقد كنت اعد مجيئي الى هذا المستشفى بهذه الحالة نقمة ، ولكن الالتفاتة الكريمة التي بدرت نحوي من الرئيس جمال جعلتني اعدها نعمة » وطلب الى الوزير ان ينقل للرئيس عن لسانه هذا البيت من الشعر : (اذا ما الفجائع اكسبتني رضا . ك فما الدهر بالفاجع) !! وتمثل هذه الصورة الوزير القنواتي اثناء زيارته للعلامة فارس الخوري وقد ظهر من خلفه الدكتور صبحي ارسلان الاخصائي بجراحة الشيخوخة والراهبة الاخت (تيوفان) اللبنانية .



كان لا بد للرئيس الجليل السيد شكري القوتلي ان يزور رفيق جهاده ونضاله فـــارس الخوري في المستشفى وها هو جالساً بجواره يبادله الاحاديث والنوادر بينمـا اصغى المؤلف محمد الفرحاني ، وحفيدة العلامة الكبير ، خولة سهيل الخوري بانتباه تام .

***

الخميس الثالث من آذار ان اعلنت ام سهيل تسليمها باجراء العملية المطلوبة فادخلوه فورا الى غرفة العمليات واستدعي الدكتور برهان العابد الاخصائي في التخدير الذي ما كاد يعطيه جزءا يسيرا من المخدر حتى هبط ضغطـه الى الدرجة التاسعة وهذا حد ضعيف ـ على ما قال لي الدكتور موسى رزق ـ صعب رفعه برافعات الضغط القوية فاستدعي الدكتور سهيل الخوري الى غرفة العمليات وقيل له (قد لا يخرج والدك من غرفة العمليات حيا فهل نستمر بالعمل ام نتوقف ؟!) فاجابهم الدكتور سهيل الخوري بقوله : اذا كنتم

وانتم عصبة من خيرة اطباء البلد لا تتحملون مسؤولية اجراء هذه العملية فهل يعقل ان اتحمل مسؤولية اجرائها وحدي ؟! .. وهنا اتفق الرأي على اعادة فارس الخوري الى جناحه بدون اجراء العملية له وكان في الرواق عدد من الوزراء وكبار الشخصيات ينتظرون واذا بصوت **الامير فواز الشعلان** رئيس عشائر الرولة يرتفع صائحا بلهجته البدوية العذبة (**ويش يقولون ؟!** فارس الخوري جايز ما يطلع من اوضة العمليات .. بلا ما يعملونها .. والله لون يكون كسيح .. ورجلينو مكطعة .. ونشيلو على اكتافنا لازم يظل عايش .. هذا بو سهيل ما عندنا غيرو !!) ويشاء الله ان تكون هذه اخر مرة رأينا فيها فواز الشعلان وسمعنا صوته لان المسكين ما لبث ان اشتدت عليه وطأة مرض عضال انهى حياته قبل وفاة فارسنا بزمن طويل رحمهما الله رحمة واسعة .

وخشي **الدكتور سهيل الخوري** من ان يصاب والده بصدمة نفسية قاتلة اذا ما علم بان العملية التي يعلق عليها آماله بالشفاء لم تجر له ، فاقترح على الاطباء ايهامه بان العملية قد أجريت ونجحت ، واقر الاطباء هذه الفكرة فوضعوا بعض القطن عند اعلى فخذه الايسر وثبتوه بالاشرطة اللاصقة ، وما كاد فارس الخوري يستيقظ من اثر البنج حتى رحنا نبشره بنجاح العملية وقرب الشفاء ، ولم يصدقنا الا عندما مد يده الى مكان العملية المزعومة ولمس القطن بلفه ، حينئذ بدأ يتوهم التحسن يوما بعد يوم ، وبلغ اعتقاده بصحة اجراء العملية الموهومة له حدا انه قال **للدكتور ناظم القدسي** حينما زاره وسأله عن حاله (كنا بوجع واحد ، صرنا بوجعين ، وجع الكسر ، ووجع جرح **العملية وخياطته !!**) فصمت الدكتور القدسي متأثرا بعض الوقت ثم قال له (الا تشعر ببعض التحسن ؟!) فاجابه فارس الخوري (طبيعي ان اشعر بالتحسن بعد الانتهاء من العملية، فانا اليوم خير مني بالامس ، وامس خير من اول امس) ثم استطرد فارس الخوري في حديثه قائلا للدكتور **ناظم القدسي وعلي بوظو وعبد الصمد الفتيح وهاكوب عبد المسيح مرشو** الذين التفوا حوله (يؤجر المرء رغما عن انفه ، وانا الان أؤجر رغما عن انفي لانني اصبر والصابر يؤجر) وصمت لحظة ثم هتف مبتسما (وحتى لو لم اكن اصبر ، فماذا بوسعي ان افعل ؟!) .

ولا بد لي من تعقيب حول هذا الموضوع ، فقد قال لي **الاستاذ الدكتور مظهر المهايني** وهو استاذ الجراحة العامة في جامعة دمشق بانه يجب عند حدوث الكسر في الشيوخ ان ينقل المصاب الى المستشفى فورا ويسمر عنق فخذه بدون ابطاء وبذلك يمكن للمريض ان ينهض ويمشي في اليوم التالي



فخامة رئيس الجمهورية السورية الدكتور ناظم القدسي يلقي نظرة على مخطوطة هـذا الكتاب في احد ابهاء قصر الضيافة في دمشق ، وقد جلس بجواره المؤلف ، محمد الفرحاني

***

للعمل الجراحي او اليوم الذي يليه واستشهد **بالمستر ونستون شرشل** الذي اصيب بكسر هو الاخر ، شبيه بالكسر الذي اصاب فارسنا ، في صيف عام ١٩٦٢ وكيف تمكن من النهوض والمشي بعد مدة وجيزة ، واضاف الاستاذ المهايني يقول : (لقد نهض الطب في عصرنا الحاضر نهضة كبرى كان يمكن معها اجراء العملية بكل سهولة، وقد سبق لي ان عالجت اشخاصا بلغوا من الكبر عتيا فنهضوا ومشوا . . ولو انهم اسندوا الي أمر اجراء عملية تسمير عنق فخذ الاستاذ فارس الخوري لكنت اجريتها بنجاح حتى ولو بالضغط الواطي .) .

والذي لاحظته اثناء ملازمتي الاستاذ فارس الخوري وهو على سرير مرضه انه كا نيملك من الايمان والارادة ما لا يملكه انسان اخر عرفته في حياتي . فلقد رايته مصمما على ان يعيش اطول مدة ممكنة فعاش مدة تزيد عاما ونصف العام على ما قدر الاطباء مجتمعين من انه سيعيش . وقد قيل ان الطب الحديث قد اثبت ان للايمان وللارادة وللايحاء ، **اثر كبير في حالة**

الانسان الجسدية .. بل قد تحدث معجزات عن طريقها وقد تأتـي بنتائج عجيبة حيث يعجز الطب والاطباء !!

ولقد توفي اثناء مرضه المجاهد المعروف **الشيخ محمد الاشمر** ، كما توفي الرئيس السوري السابق السيد **جميل مردم بك** وكذلك السيد **انطوان كمال بهيت** (صهر الاستاذ **حبيب كحالة** صاحب مجلة المضحك المبكي) ومعلوم ان السيدة **ليلى كحالة ، حرم سهيل الخوري** ، هي عمة ارملة الاخير ، واذكر انه بعد وفاة انطون بهيت بيومين راح فارس الخوري يسألنا عن صحته فاجابه الدكتور سهيل بانها حسنة فسألنا ثانية وهل هو مرتاح ؟! فاجابه سهيل بالايجاب في حين تمتمت بقولي (نعم ، مرتاح راحة ابدية) !!

وعلى ذكر السيد جميلمردم بك ووفاته اقول أن عقيلته الفاضلة **السيدة صفوت مردم بك** زارت فارس الخوري في شهر ايار ١٩٦٠ ترافقها قرينة نجلها **زهير مردم بك** وحينما دعوناها لتدخل غرفة المريـض الكبير اعتذرت وظلت في البهو لئلا يراها متشحة بالسواد فيفطن للمصاب فطمأناها بانه يغمض عينيه باستمرار وبالتالي فانه لن يراها فدخلت غرفته وبعد ان حيته ورحب بها كثيرا راح يسألها عن صحة قرينها فاجابته بلهجة فيها حسرة وفيها اسى (مليحة) فقال لها (يا بنتي .. سلمي لي عليه وقوليلو اخوك فارس يقوللك نم على جنبك اليمين حتى يظل قلبكمرتاح) فاجابته وهي تحاول أ نتتمالك اعصابها المرهقة (ايه .. هوه هلأ نايم على جانبه اليمين) !! ..

كما توفي ايضا من اصدقائه ورفاقه الذين كانوا يواظبون على زيارته سواء في مستشفى المجتهد او في منزله او في مستشفى السادات ، **الحاج رشيد الملوحي** ، الوطني والصحفي المعروف ، والسيد **أديب خان مسدية** (شقيق الملكة ثريا الافغانية) **والسيد عبد الرحمن العابد** (شقيق المغفور له محمد علي العابد رئيس الجمهورية السورية الاسبق ونجل المغفور له أحمد عزت باشا العابد) وهذا لم يكن ينقطع عن زيارته رغم انحناء ظهره تحتوطأة التسعين عاما التي يحمل اعباءها فكان فارس الخوري يرجوه بالحاح الا يكلف نفسه مشقة صعود درج مستشفى السادات في سبيل الوصول الى جناحه فيجيبه المرحوم العابد بقوله (انا واجباتي اني ازورك يا فارس بك) .. بل حتى كبير اطبائه **الاستاذ الدكتور مرشد خاطر** الذي كان ينفرد بي في احد جوانب الصالون ليقول لي (عليكم الا تبتعدوا عن فارس بك في هذه الايام لانه مصبح ممسي) رايناه يسبق مريضه بما يقارب العام الكامل فينتقل الى جوار ربه تاركا فارس الخوري وحده يصارع القدر ويقاوم الموت ، كما توفي المغفور



العلامة فارس الخـوري يتمتـع باغفاءة قصيرة في المستشفى

له **السيد هاشم الاتاسي** . . والقائد المجاهد **رمضان باشا شلاش** ، ولم نخبر فارسنا بوفاة احد منهم الا انني اخبرته بوفاة كل من علي ماهر باشا وحسين سري باشا من رؤساء وزارات مصر السابقين فابدى اسفه والمه وقال انهما من اصدقائه ومحبيه ، كما اخبرته بالجريمة النكراء التي راح ضحيتها **هزاع المجالي** رئيس الوزارة الاردنية فابدى استنكاره واستهجانه لحادثة نسف دار الرئاسة الاردنية واعرب لي عن مزيد امتعاضه أن يتوصل الاشقاء العرب الى هذا الحد المخزي المعيب ، من التردي والهبوط اللذين لا يبشران بالخير بالنسبة لمستقبل الامة العربية .

وفي جنازة الاستاذ الدكتور مرشد خاطر رأيت الاستاذ حبيب كحالة يقترب من الدكتور سهيل الخوري ويهتف به :

وكـم عالج المريض الطبيب فعاش المريض ومات الطبيب

فاجابه احد السامعين بقوله :

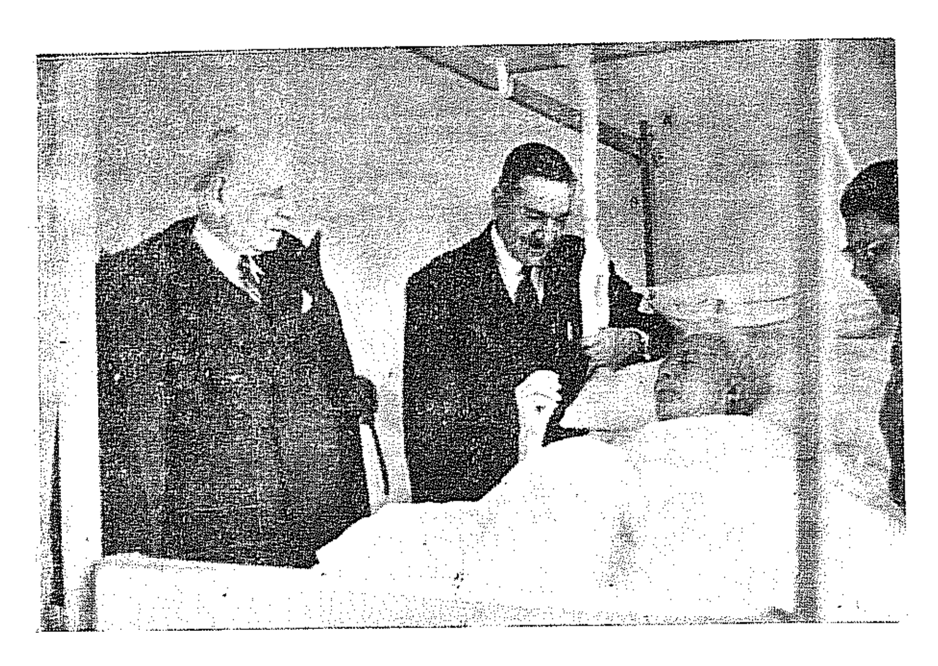
كم من مريض قد تجاوزه الردى فنجـا ومات طبيبه والعـود

ويجدر بالاشارة أن فارس الخوري حينما سقط على الارض وكسر عنق فخذه ، أصيب بارتجاج دماغي ــ على نحو ما يقول الدكتور موسى اسعد رزق ــ افقده شيئا ضئيلا من وعيه ، وظل هذا الخلل البسيط في ملكات فارس الخوري الذهنية يشتد رويدا رويدا حتى تضاءل وعيه الى حدود كبيرة جدا في اخريات ايامه ، ولكنه كان يستعيد هذا الوعي العميق في كل مرة تستدعي ذلك جسامة الاحداث التي كانت تحيط بسورية .

عودة الى موضوع المحكومين السياسيين

في ٢٨ شباط ١٩٦٠ جاء الى مستشفى المجتهد لزيارة فارس الخوري، **السيد حسن الحكيم**، الذي طلب الي ان اتصل بالعقيد الركن **احمد الحنيدي المدير العام لمكتب المشير عبد الحكيم عامر** (باعتباره من اقاربي) واستفسر منه عما اذا كان في النيه اصدار عفو ما عن المحكومين السياسيين ام لا ؟!.. وقال لي : « على الاقل »، اخبره ان حل هذه المشكلة سيساهم الى حد كبير في وحدة الصف الوطني في هذه الظروف الحرجة التي نجتازهـا اذ لا يجوز الكيل بمكيالين والوزن بميزانين » يشير بذلك الى التفاوت في المعاملة بين مصر وسورية، فوصف **الدكتور سهيـــل الخوري** مشكلة المحكومين السياسيين بانها عقدة العقد في سورية، متى انحلت، انحلت كل ازمـة، فاجابه السيد حسن الحكيم بقوله (اخي، لنفترض ان هؤلاء مجرمون حقا استحقوا كل عقاب، لقد مضى عليهم في السجون اربع سنين ولقوا جزاءهم، فلنرحم عائلاتهم واطفالهم) فقالت السيدة **اسماء حرم فارس الخوري** بان من الواجب تأليف وفد من كرام اهل البلد ليقابل الرئيس جمال عبد الناصر ويلح عليه بضرورة الافراج عن هؤلاء . وقد راقت لي هذه الفكرة على مـا يبدو فعرضتها على **الدكتور معروف الدواليبي**، فقال **الدكتور مصطفى الـزرقا** الذي كان يرافقه (اننا لم نلمس حتى الان اي شيء عن الاعمال التي قيل ان جمال سيعلنها في دمشق ولعله ينوي الافراج عن المحكومين السياسيين عند اعلانه هذه الاشياء) في حين قال لي الدكتور معروف الدواليبي بان لا مانع لديه من تأليف هذا الوفد ولكنه يؤثر الانتظار بعض الوقت ريثما نـرى ما سيعلنه الرئيس جمال في الايام القليلة القادمة . فقلت له : ولكنني اخشـى ان يسافر الرئيس جمال فجأة الى مصر ولا تتمكنون من الاتصال به . فاجابني: عندما نكون متفقين على المبدأ فلا مانع عندي ساعتئذ من لحاقنا به الى مصر!!.

ولكن جمال عبد الناصر لم يفعل شيئا مما كانوا يأملونه منه .. كما ان العقيد احمد الحنيدي لم يجبني بجواب شاف عندما ابلغته كل هذه التفصيلات ورجوته ان يرفعها الى الرئيس عبد الناصر والى المشير عامر .. وعندما فعل جمال هذا الشيء واستبدل السجن بالنسبة لهؤلاء بالاقامة الجبرية في مصر، كانت قد مضت شهور وشهور افقدت الامر لذته !! .. وما لبث المغفور لـه هاشم الاتاسي ان مات وفي نفسه الف حسرة وغصة لعدم وجود ولده الحبيب بالقرب منه !! ..



في صباح الاحد ٦ اذار ١٩٦٠ قام السيدان ، نبيه المظمة وزير الدفاع الوطني السوري الاسبق ، والسيد عمر العمري شقيق المحكوم السياسي السيد صبحي العمري بزيارة العلامة فارس الخوري في مستشفى المجتهد ، فاخذ الخوري بيد العمري وقال له : (لقد ارسل لـي الرئيس جمال عبد الناصر وزير الصحة كي يستفسر عن صحتي ويتمنى لي الشفاء والعافية ، فهو يعلم ان شفائي وعافيتي ليستا بيده ولكنهما بيد الله تعالى ولهذا فانـه اكتفى بارسال التمني ، اما اخوك ورفاقه ، فجمال يعلم ان شفاءهم وعافيتهم بيده هـو لا بيد غيره ولست ادري لماذا يضن عليهم حتى الان بهذا الشفاء وتلك العافية) فقال له السيد عمر العمري (كنا نتمنى يا دولة الرئيس لو انك تحدثت انت بالموضوع مع الرئيس جمال عبد الناصر شخصيـا ونحن على ثقة تامة بانه لن يخيب رجاءك) فأجابه فارس الخوري (لو انه هـو الذي زارني بنفسه لكنت حدثته بالموضوع ، اما ان اذهب اليه بذاتي وارجوه على احتمال قبوله لرجائـي او رفضه اياه او تجاهله له فهذا ما لن افعله ، ان الرئيس جمال يعلم ان في السجن محكومين سياسيين ، وان احدهم هو ابن ذلك المناضل الشريف الذي قاد البلاد ضد الاستعمار الفرنسي في احلك العهود واصعب مراحل النضال واقسى ظروفه ، ويعلم ان ذلك الاب المناضل على حافة القبر يتوقع الرحيل عن هذه الدنيا بين ساعة واخرى ، فلو شاء الرئيس جمـال لطيب خاطر ذلك الرجل ولافرج عن جميع هؤلاء المحكومين دونما حاجة لوساطة من قبلي ، على كـل حال ، لا مجال للياس .

والصورة تمثل العمري اثناء حديثه مع العلامة الخوري ، وقد وقف عن يمينه نبيه المظمة وامامه المؤلف محمد الفرحاني .

مغادرة مستشفى المجتهد الى المنزل

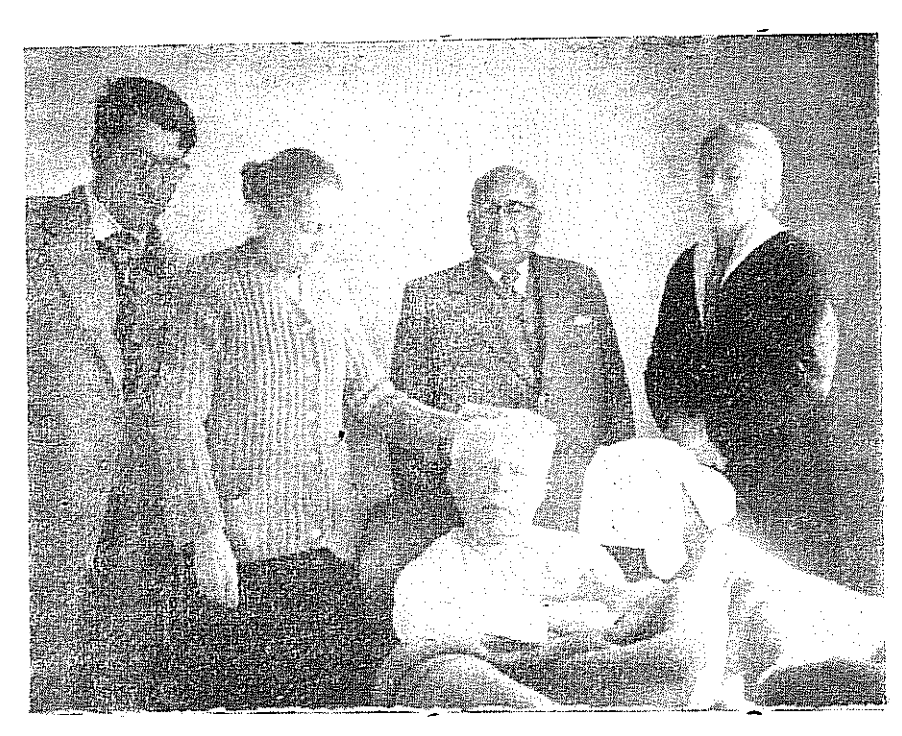
وكان رفاقه في العمل السياسي يوالون زيارته باستمرار فقال لي ذات يوم معقبا على هذه الزيارات : في الماضي كان لبعض الناس تجاهي مواقف غير ودية ، فاليوم يريدون ان يمحوا ذلك الاثر عن تلك المواقف ولسان حالهم يقول:

يا اخي الحامل ضيمي	دون اخواني وقومي
ان يكن ساءك امسي	فلقد سرك يومي
فاغتفر ذاك لهذا	واطرح شكري ولومي

وفي اواخر اذار ١٩٦٠ انتهت ضرورة بقائنا في مستشفى المجتهد وصار من واجبنا ان نعود الى البيت ويؤكد الاطباء ان عودة المريض الى منزله سيشعره بزوال فترة العلاج وسترفع من معنوياته ، ولكن السيدة اسماء كانت تعارض فكرة العودة بكل ما وسعها من قوة ، قبل ان يشفى قرينها تماما من كل ما الم به !!! رغم الظواهر التي كانت تدل على أن فارسنا قد بدأ ينطفىء يوما بعد يوم ، فكنت اثور احيانا على اخي الدكتور سهيل الخوري واقول له (عليك يا سهيل ان تقف امام مسؤولياتك وجها لوجه ، فانت الذي جئت به الى هنا وانت الذي يجب ان تخرجه من هنا) ولكن الدكتور سهيل الخوري لسمو اخلاقه ووافر تهذيبه وجم ادبه ، كان لا يرفع صوتا بوجه والدته ولا يخالف لها ارادة وكان يتحاشى التورط في خصام معها ولا يطيق مجادلتها وهو يعلم انها عصبية جدا وعنيدة جدا .. واستمرت محاولات اقناعها عشرون يوما امكننا في النهاية ، في ٢١ نيسان ١٩٦٠ ، ان نعيد فارس الخوري الى منزله ، فجئته قبل ظهر ذلك اليوم اقول له : (اليوم نرجع من حيث اتينا ، اليوم نعود الى قواعدنا سالمين) فاجابني على الفور ببيتين من الشعر الزجلي متهكما :

خطرت خطرة يا دندوف	حتى تكيد للعدوان
رحت ملتحي ، جيت منتوف	الحمد لله عا السلامة

وما ان وصلنا به المنزل حتى تغيرت حاله من حال الى حال .. من رجل انحطت قواه وتهدمت صحته ولوى برأسه الى احد جانبيه الى اخر ذي حيوية ناشطة ومعنويات قوية .. وابى ان يتناول عشاءه الا بغرفة المائدة وفي نفس المكان الذي اعتاد الجلوس فيه وهو صحيح البدن معافى .. ونحن نتناول الطعام من حوله .. ومضت الايام .. ولم يعد فارس الخوري يشعر بالالم في رجله المكسورة ، اذ صار يستطيع تحريكها بشيء من الصعوبة ، بل صار



في اواسط اذار ١٩٦٠ بوشر باجلاس فارس الخوري مرة كل يوم على مقعد وثير جيء به من غرفة مدير المستشفى لفترة قصيرة لكي يستعيد قواه ولئلا يكون هناك تثبيت مديد واضطجاع ظهري يسببان له الاختلاطات التي نخشى عليه من اخطارها ، ويرى هنا جالسا على المقعد المذكور ووقف وراءه من اليمين الى اليسار : السيدة مسرة السقطي ثم قرينها الكبير الرئيس لطفي الحفار فالسيدة ام سهيل الخوري فالمؤلف محمد الفرحاني .

***

يستند عليها احيانا اثناء محاولاتنا اجلاسه على الكرسي المتحرك .. وعاد يستقبل زواره في بهو المنزل ــ وهو على الكرسي المتحرك ــ يحدثونه ويحدثهم ويسامرونه ويسامرهم .

عودة الى الضعف والمرض
فارس لخوري يرثي نفسه

ولكن .. ما ان مضت بضعة ايام حتى عاد المرض يشتد ، وبت اشعر في الثالث من ايار عام ١٩٦٠ ان نهاية الرجل الكبير قد باتت وشيكة .

فالانحطاط العام والاوجاع المختلفة ، كل ذلك يوحي بان ابا سهيل لـن يقاوم طويلا وانه لا بد مستسلم في وقت قريب !! . .

فقد جاء قبل ظهر ذلك اليوم **الدكتور ايلي نعمان** الاخصائي في الامراض القلبية والداخلية وفحصه فحصا دقيقا واتصل هاتفيا بالمختبـــر الكيماوي **سهيل مشاقة** ، يسأله عن نتيجة التحاليل التي اجريت للفارس العربي الكبير امس ، وافادني بعدئذ (حيث لم يكن الدكتور سهيل الخوري موجودا) ان التهابا في البروستات قد عاوده ، وزيادة في الكريات البيض ونسبة البولة الدموية في الدم ٤٦ ، ويوجد ماء في الخاصرة والظهر ، واحتقان في الرئتين وليس من سليم فيه آلا القلب!!

وجاء لزيارته بعد الظهر **الدكتور امين سعادة** مدير مشفى المجتهد يرافقه **الدكتور صبحي برمدا** الاخصائي بجراحة العظام ، وبعد ان تحدثا اليه واتصلا تلفونيا بالدكتور **ايلي نعمان** وتحدثا معه باللغة الفرنسية التـي لا اجيدهـا انتحى بي الدكتور برمدا جانبا وقال لي (لقد بدات نهاية هذا الرجل !!) واراد ان يقدم لي وزميله ، الوصايا اللازمة ، فقلت ملحا بان من الضروري لام سهيل ان تفهم كل شيء ، واستدعيناها حيث قالا لها : (لقد كنت جلودة منذ البداية فكوني جلودة في النهاية ، ان الاختلاطات التي توقعناها منذ البدء والتي كنا نخشى نتائجها قد حدثت ، رفارس بك في ايامه الاخيرة الان ، والعمر له حد يقف عنده ، وليس بامكان الطب بمجموعه ان يفعل اكثر مما فعلناه ونفعله ، ولكن القضية ليست قضية براعة في الطب بقدر ما هي سنة الله في خلقـه وكل نفس ذائقة الموت !!) . وادمعت منا العيون ، بينما انتفضت ام سهيل باكية تصيح : (انني مستعدة لان ابذل كل ثروته في سبيل شفائه) فقـال لها صبحي برمدا (اظنك تدركين اننا مثل اولاده واننا لم نقصر في اداء واجبنا حياله بكل ما لدينا من خبرة وعلم !!) فقاطعته ام سهيل قائلة : (سانقله اليوم الى مستشفى السادات) فقال لها الطبيبان : (مستشفانا كله تحت تصرفك ، ولكننا نفضل له ان ينتهي في منزله وليس في المستشفى . . عليك ان تيسري له هنا الراحة التامة وعليك ان تتجلدي . . أنه لو بقي عندنا في المستشفى او في منزله لكانت النتيجة واحدة وليس بامكان الطب بمجموعه ان يغيرهـا وانت يا ام سهيل بذلت ما بوسعك بل انك بذلت اكثر من طاقتك ولكـن هي ارادة الله ولا مرد لارادته) !! وفي هذه الاثناء ارتفع صوت المريض الكبيـر يناديني فهرعت نحوه ، فقال لي (شو قالوا الاطباء ؟!) وغمزني الدكتور صبحي برمدا وقال لي هامسا : (قل له انهم لا زالوا يدرسون حالتك) فقلت له (انهم لا زالوا يدرسون حالتك وينتظرون ورود نتيجة التحاليل) !! . .



العلامة فارس الخوري عند اشتداد وطأة الداء عليه في منزله وقد جلست عـــلى حافة سريره قرينته الرؤوم السيدة أسماء ، بينما وقفت الآنسة المهذبة نادرة طرابلسي ، احـــدى زهرات الجامع الدمشقي الفواحة ، وكان رحمه الله يعطف عليها ويقدر فيها صفاتها ومزاياها ومتانة اخلاقها .

***

وبعد انصراف الطبيبين ناداني فارس الخوري وطلب مني أن اقترب منه حتى اذا فعلت عانقني بيمناه وضمني الى صدره بعاطفة وحنان فسألته: (الا تشعر يا ابا سهيل انك اليوم خير منك بالامس ؟!) فاجابني بالنفي .. وسألته (وبماذا تشعر ؟!) اجاب : (اشعر وكانني مشرف على غيبوبة لن تنتهي الا بانتهاء حياتي !!) ومسحت دموعي التي تناثرت من عيني خشية أن يراها بينما استطرد هو يقول :ولكن يعزيني بانه :

قد يعزي دمشقا ان يوما عليها مثل هـذا لـن يعودا

وقال لي متسائلا : (هل فهمت ما اعني بهذا البيت ؟!) فاجبته متجاهلا: لا .. لم افهم !! . قال بصوت متقطع : (انني .. انا .. يعزيني .. بـــان دمشق ..هذه المدينة التي عشت فيها خدمتها .. ستذكرني دائما بالحزن والاسى .. اعني لن يموت شخص اخر في دمشق ، يحزنها كما يحزنهـــا

فقدي !!) . وخرجت من الغرفة وانا في غاية التأثر .. وما لبثت ان عـدت استجابة لندائه لاسمعه يقول لي :

وان اشفى فلم اسلم ولكن سلمت من الحمام الى الحمام

فقلت له : طبيعي .. كل ابن انثى وان طالت سلامته .. يوما على آلة حدباء منقول) فقال لي مصححا : (محمول !!) واستطرد يفسر لي البيت الذي قاله لي : (عندما جاء عمر بن الخطاب الى دمشق ووجد الطاعون يفتك باهلها لم يدخلها بل قفل راجعا فقال له احد الناس : اتفر من قدر الله يا عمر ؟!فاجاب : افر من قدر الله الى قدر الله ، فالموت مدركي سواء اكنت في دمشق ام في البيداء !!) وتابع فارس الخوري يقول : (وانا . . لئن شفيت من هذا الذي يلم بي الان ، فلن اعيش طويلا ، فالموت مدركي ان عاجلا او آجـلا) !!

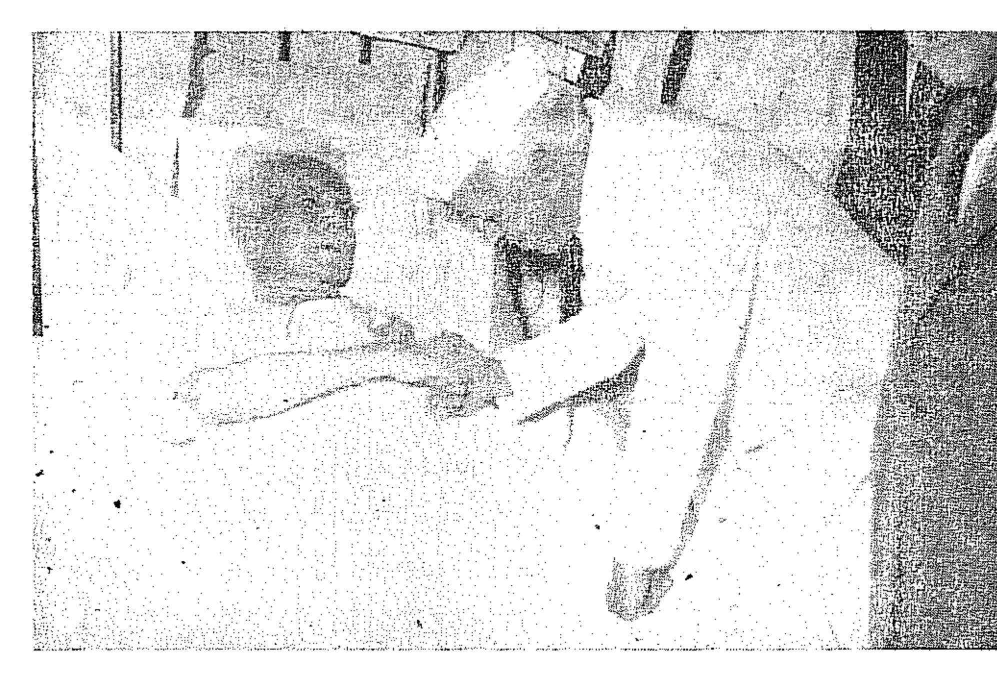
وفي اليوم التالي ، الاربعاء ٤ ايار ١٩٦٠ استدعاني فارس الخوري في الساعة العاشرة قبل الظهر ليقول لي :

من عبرتي عبـر منثورة بيـن عـذره وعذلـه

فقلت له متجاهلا : لم افهم هذا البيت فرد علي معاتبا : وهل تفهم انت كل بيت ؟! ان الذي لا تفهمه اكثر من الذي تفهمه !! . وبعد لحظات قال لي مفسرا البيت :(ان دمعكم سوف يذرف سخينا بمجرد ما تمرون من امـام بيتي بعد رحيلي عن هذه الدنيا الفانية ، فيتسـاءل بعضهم عما يبكيكم ..حتى اذا علموا انكم مررتم من امام منزلي انقسم الناس بين عاذر وعاذل .. وقد تلومون انفسكم لهذا البكاء وتلومون دموعكم .. وتقولون .. ما في لـزوم للبكا .. ليش عم نبكي ؟! هذه هي سنة الله في خلقه .. وكل من عليها فان ، ولكن ـ غصبن ـ عنكم يظل الدمع حائرا في مآقيكم غير ملتفت لعاذر او عاذل !!) .

وبعد ما يزيد على النصف ساعة ، انقضت على انتهاء هذه المحـاورة ، نادى فارس الخوري قرينته ام سهيل وقال لها بحضور حفيدته **السيـدة خولة سهيل الخوري** : (بدي تبعثيلي على **نادرة** .. تخليها تجي لهـون .. منشان احاكيها واقنعها بصفات ومزايا هذا الشاب) ملمحا الي .. وبعـد قليل ناداني ، فاستدعيت خولة لتسمع حديثه معي فقال : (اشعر وكأن طيورا تتنقل داخل رئتي .. ورئتاي ليستا من السعة بحيث تتسع لتنقلاتها هذه ، فتحاول هذه الطيور ان تسد مجرى التنفس .. فاذا حدث هذا .. حصـل لي الموت اختناقا ..) .

وحوالي الساعة الحادية عشرة والثلث .. دخلت لعنده السيدة **لطفية**



كان لا بد للزعيم الهندي الراحل الكبير الباندبت جواهــــر لال نهرو ان يزور صديقه الحميم فارس الخوري وقد مر بدمشق في زيارة رسمية للاقليم السوري فــي اواخر ايــار ١٩٦٠ ، وها هو ينحني امام سريره بخشوع وتأثر .. وبجواره وقف محمد الفرحاني .

ومما هو جدير بالذكر ان فارس الخوري استقبل نهرو بقوله : (منذ زمن بعيد كنت قــد دعوتك الى دمشق وقلت لك اننا نتوق لرؤيتك هنا .. وانا الان مسرور وآسف في وقت واحد ، مسرور لانك هنا عندنا ، وآسف لانني لم اتمكن من استقبالك كما يجب فانا طريح الفراش كمــا ترى ، اهلا وسهلا بك) فاجابه الرئيس نهرو بقوله (شفاك الله ايها الصديق ، ان الهنــــد حكومة وشعبا تصلي من اجلك وتدعو لك بالشفاء وتحفظ لك اسمى مركز في نفوس ابنائهــا واعطــر الذكــر) .

قزعون فناداني ليقول لي : (احببت ان اعرفك على هذه السيدة الطيبة لطيفة بنت سعيد بك قزعون . انها سيدة محترمة ومعتبرة جدا جدا جدا) فشكرته السيدة لطفية (وهي ابنة عم النائب اللبناني المعروف رفعت قزعون) بينمــا استطرد هو يقول لها عني : (هذا محمد الفرحاني ، انه مثل ابننا ، انه مــن دير الزور من الشباب الوطنيين الطيبين !!) .

وفي المساء ، صاحني فارس الخوري ، فهرولت نحوه ملبيا فقال لي :

قــل لشيوخ العروبــة ان يــوما   عليهم مثل هــذا لــن يعــودا



الرئيس الهندي جواهر لال نهرو يصافح الدكتور سهيل فارس الخوري مودعا وقد وقف بينهما المؤلف محمد الفرحاني ، وقد احاط بهم السيدة ليلي كحالة (حـــرم الدكتور سهيل الخوري) وابنتها خولة الخوري والسيدة انديرا غاندي (كريمة الرئيس نهرو ووزيرة الاعـلام الهندية اليوم) والدكتور موسى اسعد رزق والسيد عابد حسن صفراني قنصل الهند يومذاك في دمشق وسفيرها اليوم لدى الجمهورية السورية ، وقـد اوردت الصحف في ذلـك اليوم ، تصريحا عن لساني ، هذا نصه : « استطيع ان اقول انه كان لزيارة الرئيس جواهر لال نهـــرو للعلامة الاستاذ فارس الخوري اجمل الاثر في نفسه وفي نفوس آل بيته ونفسي ، فقد عبـــر بذلك عن اصالة خلقية ، واعطى درسا يحسن ان يتلقنه كل جيل فـي تقدير الرجال المخلصين الذين عملوا بصدق وامانة واخلاص وقدموا اجزل الخدمات للقضايا الانسانية ، ولقد اجابني العلامة فارس الخوري عندما انبأته بأن البانديت نهرو يروم زيارته بقوله : ان الرئيس نهـــرو رجل عظيم فذ يندر ان تنجب مثله الامم فهو مجاهد كبير وزعيم ملهم وسياسي محنك وعاقـل مدرك بصير ، انه صديقي وانا اجله واحترمه واقدر فيه مزاياه هذه مع ما فيه مـــن صفات النبل والوفاء » هذا ، وقد غمزت جريدة الايام الكبرى من قناة اركان (الجمهورية العربيـــة المتحدة) الذين لم يزوروا الشيخ المريض بأنفسهم بوضعها العنوان الضخم التالـــي لتفاصيل زيارة نهرو للخوري : (لا يقدر العظيم الا العظيم) !! ..

***

فقلت له مضطربا (اي يوم تعني يا ابا سهيل .. خذ راحتك واطرد هذه الافكار من رأسك !!) فاجابني : (انه يوم وفاتي ــ يا فرحاني ــ انه يوم وفاتي الذي بت اشعر انـه قريب !!) . وصـــاح ينادي أم سهيل قرينته

الرؤوم حتى اذا هرعت نحوه قال لها : (اين هي نادرة .. تلك التي اخترناها عروسة للفرحاني.. اسرعي باستدعائها وادخليها لعندي لاكلمهـــا بنفسي واقنعها بانها ستجد سعادتها مع ولدنا هذا !!) . واغرورقت عيني بالدموع .. انه يأبى ان يفارق الدنيا قبل ان يدخل السرور الى قلب محبه وملازمه.. وخرجت من الغرفة وانا فيتأثر عظيم .. بينما ظلت ام سهيل تقول لـه : (ستشفى .. ستشفى .. وستلبسهما محابس الخطبة بيدك ،وتعقد قرانهما هنا في منزلك !!) . وخرجت ام سهيل من الغرفة وهي تضرب كفا على كف وتتمتم قائلة (الناس بالناس والقطة بالنفاس .. نيال محمد الفرحاني ، وين حالة ابو سهيل ، ووين بدو يزوجه !!) .

الانتقال الى مستشفى السادات

واذ تدهورت صحة الاستاذ فارس الخوري تدهـــورا خطيـرا بسبب اشتداد وطأة العفونات البولية عليه ، لاصابته المزمنة بالبروستات ، فقد نقلناه قبل ظهر السبت ٤ حزيران ١٩٦٠ الى مستشفى السادات الذي مكث فيـه البقية الباقية من حياته ولم يخرج منه الا جثة لا حراك بها .

وكان فارس الخوري يكثر من القول امام زواره : (انـــي لا اطمئن الا عندما يكون محمد الفرحاني الى جانبي) وصدف انـــه كان يوما ، يتوجـع ويتألم ، فاقتربت منه أسأله (ألم تقل انـــي اطمئن عندما يكـون الفرحاني بجانبي ، فلماذا تشكو ؟!) فأجابني : (بلى .. ولكنني اطمئن مـــن الخطـر وليس من الالم) !!

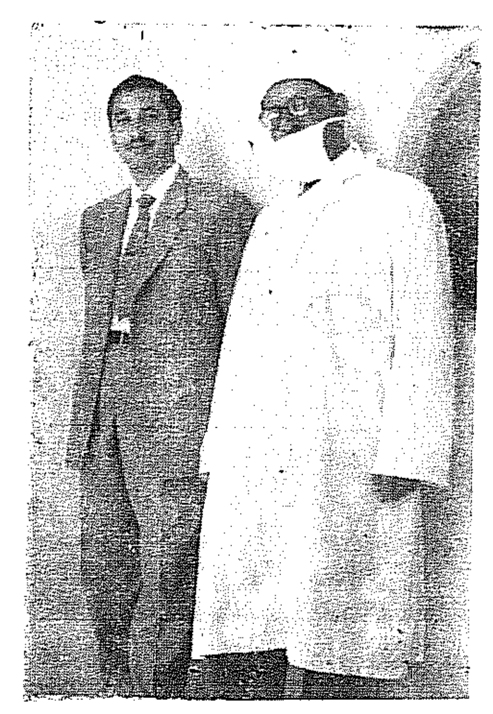
وفي صباح يوم الاثنين ٦ حزيران ١٩٦٠ كانت صحـة فارس الخوري قد تدهورت تدهورا خطيرا وحالته باتت تنذر بالقلـــق الشديد .. فعقـد الاطباء السادة **الاستاذ مرشد خاطر ومنير وعبـــد اللطيف وغسان السادات وموسى اسعد رزق** اجتماعا فيما بينهم يتدارسون الوضع ، واشترك معهـم الدكتور سهيل فارس الخوري يناقشهم ويتدبــر الرأي معهـم — والدكتور سهيل هو دكتور في الحقوق ولكنه يلم بعض الالمام بالطب — فما كان منهم الا ان قرروا اجراء العملية الجراحية للمريض علـــى الفور .. لتحويل مجـرى البول من المثانة الى الخارج بواسطة انبوب من البلاستيك يلازمه بقية عمره.. واذا بالمريض الكبير يأبى ان يهدأ لحظة واحدة في غرفة العمليات ما لم يأتوه بمحمد الفرحاني ويبقوه الى جانبه .. وهكـذا .. ألبسوني الروب الابيض ، والطاقية ، والكمامات الواقية .. وغسلت يدي بالمطهرات .. ورحت احاوره واحدثه بمختلف النوادر والطرف وانا ممسك بيده اليمنى .. في حين راح



العلامة فارس الخوري ، محمولا على المحفة ، اثناء ادخاله الى مستشفى السادات في دمشق

الاطباء يقومون بعملهم بعد تخديرهم اياه تخديرا موضعيا .. وهو لا يدري ما الذي يفعلونه به حتى اذا انتهوا ، ضحكت مبتهجا وانا اقول له : لقد اجروا لك العملية بنجاح تام وانتهوا من ذلك والحمد لله !!) فما كان منه الا أن هتف بي ببشر وحبور : (صحيح ؟!) وعانقني بيمناه ، وجر راسي نحو فمه وراح يلثم وجهي وهو يحمد الله ويشكره .. وشعر فارس الخوري بنشاط عظيم في ذلك اليوم وعاد يتحفنا بالطرف والنوادر وعاد الينا الامل بأن فارس الخوري سيشفى .. ولكن هذا الامل لم يخيم على اجوائنا اكثر من ثلاثة ايام باشرت صحته بعدها بالتدهور من جديد مما استدعى عقد اجتماع جديد للاطباء للمشاورة في حالته الداعية الى القلق .. وفي ١٢ حزيران ، قال لي المغفور له الاستاذ الدكتور مرشد خاطر : « لقد شاخت بنيته !!)

ومسكينة قرينته السيدة اسماء ، لقد كادت تفقد صوابها وهي ترى شريك حياتها في هذه الحالة المؤلمة التي لا تملك لها تخفيفا ، فراحت تبدي (استعدادها) لاستدعاء اطباء عالميين من اوروبا وامريكا اذا ما كان ذلك يفيد قرينها .. فأجابها الدكتور منير السادات بحضوري (اذا كنتم تريدون استدعاء الاطباء العالميين من اجل زيادة الاطمئنان على عدم وجود تقصير في



محمد الفرحاني يرتدي ثيـاب التمريض ، وقد وقف بجواره صديقه الحميم الحقوقـي الاستاذ منير حسن سزائي .

العلاج فلا مانع عندنا .. ولكن .. تأكدي ان اي طبيب مهما بلغ شأوه لايمكنه ان يخرج بالمريض من الحلقة التي هو فيها ولا يمكنه ان يفعل من اجله اكثـر مما نفعل !!) وانهمرت الدموع من عيني ، حينمـا رأيت وزيـر الخارجية

السورية الاسبق **نعيم الانطاكي** ، والاداري المعروف **الدكتور حيدر مردم بك ،** يبكيان حول سريره ، تأثرا من الحالة التي رأياه عليهـا ، ويجففان دموعهما بمنديليهما ..

وبعد يومين قال لي فارس الخوري انه يسلم أمره الى الله ، فاذا كـان الله يريد ان يأخذ أمانته فليأخذها وليرحني من هذا العذاب الذي انا فيه ..

ولقد كان يتعذب كثيرا ، سواء من الآلام الناتجة عن (الامراض المختلفة) التي حلت به ، أو من جراء تنظيفه ، او تبديل ثيابه مـن قبل المرضات .. وفي اوائل تموز ١٩٦٠ رأيته يكثر من ترديد بيتين من الشعر وكأنـه يصف حاله بين ايدي ممرضاته حيث يقول :

كعصفورة في كفي طفل يهينهـا ... تذوق عذاب الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها ... ولا الطير مطاوق الجناح فيذهب



العلامة فارس الخوري يفتح عينيه ليرى حفيده الاصغر ، الطفل سهيل بن فارس سهيل الخوري ، واضعا يده على رأسه ، وقد حمله اليه ، ولده ، جد الطفل وسميه ، الدكتور سهيل فارس الخوري .

***

لقد تحمل من آلام المرض ما لا يطيقه بشر وصبر عليه صبـــر الكرام ، وكانت أم سهيل جهلا منها وعنادا – غفر الله لها – تمنع عنه الحبوب المسكنة والمهدئة والمنومة مخالفة في ذلك اصرار الاطباء والمشفقين من المحبين بدعوى خشيتها من أن يتعود عليها (؟!) فكانت تتركه يكثر من التوجع والانين .

وفي ١٨ تموز ١٩٦٠ ، وبينما كان الاستاذ الدكتور انسطاس شاهيـن يعالجه من (خراج) حدث له في خـــده الايسر .. صاحني فارس الخوري وطلب مني ان اظل واقفا بجواره اثناء المعالجة وراح يردد : « اهلا وسهلا .. يا حبيبي يا محمد .. طالما انت بجانبي فانا مطمئن .. استطيع ان انـام الآن نوما هنيئا يا حبيبي يا محمد) .

وفي اليوم التالي سمعته يهدر بصوته الجهوري (يـــا رب خذني .. تا أخلص من ظلم محمد واستبداده) فدهشت واسرعت نحوه قائلا : « لاسمح الله ابو سهيل .. ليش ؟!) قال : (هيك) قلت : (ولكنني اذكر انـــك قلت مرة انا لا اغضب من استبداد محمد الفرحاني بـــي لانه لا بـــد وان يكون لمصلحتي) قال : (صحيح) قلت (الا ترى تناقضا بين ما قلته بالامس .. وما تقوله اليوم ؟!) قال بلهجة لطيفة : (لا .. لانها مجرد فشة خلق) ..



الوفد اللبناني ، يقدم تعازي الحكومة اللبنانية للسيدة الجليلة أسماء عيد ، ارملة الفقيد فارس الخوري ، التي جلست عن يسارها ، كنتها ، السيدة ليلي كحالة ، حرم الدكتور سهيل فارس الخوري وزير الشؤون البلدية والقروية السوري .

***

وتوالت الاسابيع والشهور .. وصحة فارس الخوري بين مد وجذر .. وكذلك حالات وعيه .. ومنذ شهر آب ١٩٦٠ منعنا الاطباء من اجلاسه على الكرسي المتحرك قائلين ببقائه على سريره حتى نهايته .. ورغم ذلك ، ظل يحسن استقبال زواره بالطرف والنوادر والذكريات التاريخية والنصائح القيمة ولقد دونت لدي الكثير منها .. وفي حزيران ١٩٦١ أنعم الله على حفيده وسميه (**فارس سهيل الخوري**) بغلام ذكر أسماه (**سهيل**) تيمنا باسم جده .. فاذا بفارس الكبير ينشط وتشتد عزيمته وترتفع معنوياته فيفتح عينيه ليرى الوليد الجديد وليصلي من اجله وليباركه .. وفي **٢٨ ايلول ١٩٦١** انفصمت الوحدة السورية المصرية فكان من الطبيعي ان يهتم لهذا

الحدث .. ثم جرت الانتخابات النيابية في سورية ولازمت ولـده (سهيل) في اثناء معركتها حتى اذا أعلن فوزه بالنيابة عن دمشق بانتصار ساحق حمد فارس الخوري ربه واطمأن الى ان دمشق ما تزال وفية له ، مقدرة للذي اداه وولده لها من جزيل الخدمات ، وفي كانون الاول ١٩٦١ اضحى **الدكتور سهيل فارس الخوري وزيرا للشؤون البلدية والقروية** فكان في ذلــك مبعث غبطة وسرور في نفس فارسنا الجليل وهو يرى ولده الوحيد يترسم خطاه ويرتقي الذرى في خدمة مواطنيه والحيازة على ثقتهم ومحبتهم .. في عهد تلميذيه النجيبين ، **فخامة رئيس الجمهورية الدكتور ناظم القدسي** الذي لـم ينس ان يزوره ويمكث حول سريره فترة طويلة من الوقت اثـر انتخابه ، **ودولة رئيس مجلس الوزراء الدكتور محمد معروف الدواليبي** الذي لـم يكن ينقطع عـن زيارته قبل توليه الحكم وبعده ..

ولنستمع الى الدكتور موسى اسعد رزق يروي لنا كيف كانت نهايـة حياة الفارس العربي الكبير حيث نراه يقول لنا :

كنت اعاود الاستاذ فارس الخوري في مستشفى السادات مرة كـل يومين ، وكان قلبه وكليته يعملان على خير ما يرام ، ولكنني كنت أنظر دائمـا الى هذا الانسان القوي كيف اصيب بالكسر وبالفالج وبالحصر فـي البـول وبالارتجاج في الدماغ وبالماء في الخاصرة وبمختلف الامراض والاوجاع وكان هذا المشهد يحز في نفسي دائما .. واستمرت الحال على هذا المنوال حتـى مساء السادس والعشرين من كانون الاول ١٩٦١ حيث زرته ، ولاول مـرة رأيت ضعفا في عضلة القلب فقمت بوصف الادوية اللازمة ، واخبرت علـى الفور نجله ، صديقي الدكتور سهيل الخوري ، وقلت لـه ان حالة الوالـد تستدعي الاهتمام وان الوضع الصحي في خطر .. وظـل الفارس يأخـذ مقويات القلب حتى مساء الثاني من كانون الثاني ١٩٦٢ حيث اصيب بوذمـة رئة حادة .. وقضى .. بعد اسعافات قمت بها بالاشتراك مع الدكتور منيـر السادات كمحاولة اخيرة منا لابقاء هذا المريض الفذ علـى قيـد الحياة .. ولا حول ولا قوة الا بالله !!

المراحل التي مرت بهامشكلة طبع هذا الكتاب وعواطف شكر وامتنان لا بد من اثباتها

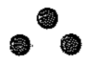
لست واجدا اية فائدة من ذكر العقبات والعراقيل التي وضعها بعض الناس في طريقي بغية الحيلولة دون ظهور كتابي هذا ، اما بدافع من الانانية الرعناء او الحماقة والجهالة ، وما تذرعوا به من اسباب وحجج ظاهرة وباطنة ، ولكنني اكتفي بالاشارة الى ان المغفور له السيد خالد العظم رئيس الحكومة السورية في مطلع عام ١٩٦٣ رغب الي موافقتي على ان تقوم (الدولة) بطبع كتابي وتوزيعه على اوسع نطاق ، تقديرا منه للراحل العظيم فارس الخوري وتخليدا لتراثه وآثاره ، واخذ مني نسخة مخطوطة حولها الى عميد الجامعة السورية الدكتور احمد السمان ليراجعها ويدققها تمهيدا لذلك ، على ان يكتب الدكتور ناظم القدسي رئيس الجمهورية السورية مقدمة الكتاب الرئيسية ، ثم ما لبث الاستاذ فؤاد الشايب امين عام وزارة الاعلام السورية ان ابلغني رغبة حكومة الاستاذ صلاح الدين البيطار التي انبثقت عن حركة ٨ آذار ١٩٦٣ على تبني هذا المشروع بدعوى ان فارس الخوري كان ملكا للامة جميعها ولم يكن ملك فئة دون فئة او جماعة دون جماعة او حزب دون حزب ولكن الاحداث التي تلاحقت الهت المسؤولين على ما يبدو حتى عن اقامة (الحفلة التأبينية) التي كان مزمعا اقامتها في شهر ايار من ذلك العام ، واضطرتني ظروفي الخاصة الى الانتقال ، الى موئل الفكر والاشعاع في هذا الجزء من العالم ، لبنان العربي الاصيل ، لامارس نشاطي الفكري فيه في ظل ما يتيحه من حرية وعدالة ومساواة لابنائه وللاجئين الى حماه ، وفي لبنان ، كان لا بد لي من الاتصال بأصدقاء الفقيد وهم كثيرون بحمد الله ، وبعارفي فضله ومقدري جهاده وعروبته وعقله وعلمه فأدعوهم الى المؤازرة المادية والمعنوية في سبيل اظهار هذا التراث الى حيث يكون في متناول ايدي الاجيال الصاعدة وكان ان باشرنا بـ (الطبع) في مطلع شهر حزيران ١٩٦٤ الا ان تعثرنا بالعقبات المادية وعقبات اخرى لا مجال لذكرها حال بيننا وبين انهاء الطبع في الوقت المناسب والمعقول لمثل ذلك حتى قدر للكتاب اخيرا ان يرى النور والحمد لله من قبل ومن بعد .

وهنا لا بد لي من تقديم اصدق عواطف الشكر والامتنان ، الى كل من ساهم معنويا ، وماديا ، في تشجيع هذا الكتاب ومؤازرته ، وفي مقدمتهم حضرة **صاحب الجلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز العبد الرحمن الفيصل آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية** الذي حمد واثنى ووعد بكل مؤازرة مادية ومعنوية للكتاب عند صدوره وجلالته صديق قديم للراحل الكبير ومقدر منصف لصفاته ومزاياه .. وكذلك فخامة رئيس الجمهورية التونسية **الاستاذ الحبيب بورقيبة وسماحة مفتي فلسطين الاكبر السيد محمد امين الحسيني** الذي شملنا بكل عطف ابوي كريم وحنان اصيل ينبع به قلبه الكبير واصالته

وعظمة نفسه ، والشهم الفلسطيني النبيل **السيد زهدي الحجاج** واولاده ، **بسام** واخوته ، الذين لولا نخوتهم وحسن نجدتهم لما قدر لنا ان نطبع ملزمة واحدة من هذا الكتاب او نتمكن من انهائه ، **والمجاهد العربي الكبير الاستاذ محمد علي الطاهر والشيخ محمد سرور الصبان** الامين العام لرابطة العمل الاسلامي في مكة المكرمة **والسيد حسن الشربتلي** الوزير العربي السعودي السابق **والشيخ عبد الله الجابر الصباح** وزير معارف الكويت السابق **والحاج عبد الله عبد اللطيف العثمان** المحسن الكويتي المشهور ، والاخيران كثيرا ما اشدت بذكرهما ووصفت نوادر جودهما وسخائهما وامتدحت مآثرهما ، سواء في مقالاتي التي انشرها في مختلف الصحف العربية أم في مؤلفاتي ، **والاستاذ تقي الدين الصلح** الوزير والنائب اللبناني المعروف الذي أعتز بمحبته وصداقته، **والاستاذ الكبير نوفل الياس** والاقتصادي السوري اللامع **الاستاذ شكري حنا شماس** مدير شركة الكات الذي بهر العقول بجده ونشاطه وعصاميته وكريم اخلاقه ، وكذلك الداعية الاسلامي المؤمن الاخ **محمد زهير شاويش** نائب دمشق الذي كم بدد من ضائقة ومعسرة حلت بي فلم اجد حولي الا حميته ونخوته ، وان انسى فلا انسى النجدة القيمة التي تلقيتها من شعلة لبنان الوضاءة ، الشاعر الاديب المفكر **الاستاذ سعيد عقل** وصديقه الحميم **الاستاذ حسن الزين** مدير دار الكتاب اللبناني اللذان ملآ صدري املا ورجاء ومدا الي يد المعونة في وقت كنت فيه على ابواب يأس مرير قاتل، دون معرفة شخصية سابقة لهما بي ودون وساطة شخص من معارفهما ودون اية ضمانة تقدمت بها اليهما .. اللهم الا اصالتهما ونبالة محتدهما ، كما لا بد لي من ان اشكر واثني على **حضرة صاحب السمو الامير احمد بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود** (عم العاهل العربي السعودي) **وسعادة الشيخ سعود الدغيثر** سفير المملكة العربية السعودية في بيروت **وسعادة الشيخ عبد الرحمن الحميدي** سفير المملكة العربية السعودية في دمشق على ما حباني كل منهم في ظروف مختلفة من حدب وعطف ورعاية وعناية ، والى الصديق الكريم الاديب **الاستاذ عبد الله الشيتي** على ما بذله معي من جهود في التبشير بالكتاب والمساهمة الفعلية في ملاحظته وتدقيقه .. واخيرا وليس آخرا ، لا بد لي من ان اشكر **الاستاذ فؤاد ناصر الدين** مدير مطابع دار الغد وقد كان فؤاد نعم العون والمؤازرة في اجتيازي للكثير من العقبات وفي حال ما قد يتعقد حولي من امور ، وكل ما ارجوه الان ان يلقى كتابي هذا ، في الاوساط السياسية والاجتماعية والادبية في دنيا العرب ، اللقاء الحسن الذي اتمناه ، وان يغض الطرف عما قد يكون فيه من نقص او قصور اعد بسده ان شاء الله في طبعة وفي مؤلفات مقبلة ، معلنا ترحيبي بكل ملاحظة وبكل تصحيح يرى المخلصون فائدة في توجيهها الي واني لعامل بها ان شاء الله مع الاشارة الى مصادرها . والله من وراء القصد .

بيروت في ٢ نيسان — ابريل — ١٩٦٥ **محمد الفرحاني**

مؤلف الكتاب في سطور



- ولد محمد الفرحاني مؤلف الكتاب في مدينة دير الزور ـ سورية عام ١٩٢٧ وهو ينتمي بنسبه الى قبيلة الحريث احدى بطون طيء الكبرى .

- اقتصر بعد دراسته الابتدائية على المطالعة الخاصة .

- مارس الصحافة كمراسل صحفي منذ عام ١٩٤٥ ثم ككاتب معلق حتى يومنا هذا ، وكان سكرتيرا لتحرير مجلة صوت الفرات الاسبوعية الصادرة في دير الزور عام ١٩٤٦ .

- اختاره اللواء رمضان باشا الشلاش كاتما لاسراره عام ١٩٤٧ .

- انتسب لجماعة الاخوان المسلمين عام ١٩٤٧ .

- أسس (رابطة الشباب المسلم) في دير الزور عام ١٩٥١ .

- اختير امينا لسر رابطة الراسلين الصحفيين في المنطقة الشرقية السورية عام ١٩٥٢ وفي عام ١٩٥٤ انتخب رئيسا لهذه الرابطة ثم حالت ظروف اقامته الدائمة في دمشق دون استمراره بمهام رئاسة الرابطة الفعلية فاعتبر رئيسا فخريا لها .

- ساهم في تأسيس منظمة الشبيبة الاسلامية في دمشق عام ١٩٥٥ فكان امينها العام ورئيس قسم الدعاية فيها .

- يميل كثيرا للسياحة والرحلات .

- له بضع مؤلفات اهمها : (اقوام تجولت بينها فعرفتها) صدر في دمشق عام ١٩٥٨ ويحتوي بعض ما يهم القارىء معرفته عن اليزيدية التي تعبد الشيطان والصابئة التي تعبد النجوم والكواكب والآشوريين سكان سورية الاصليين وقومية هاتـه الطوائف وعقائدهم وكتبهم المقدسة ومعتقداتهم واعيادهم وشعائرهم ومحرماتهم وتقاليدهم الشعبية وطبقاتهم الدينية ، و (الكويت ، بين الامس واليوم) صدر في دمشق عام ١٩٥٩ وهـو مجلد ضخم يبحث في امارة الكويت وجغرافيتها وتاريخها وثروتها البترولية ومجتمعها المحلي وتاريخ الحركة الفكرية فيها وعلماء الدين في ربوعها وشعرائها واحوال معيشتها وتقسيماتها الادارية وما كانت عليه قبل نهضتها وما اضحت عليه بعد تلك النهضة ومرافقها العامة .

فهـرست الكتـاب

***

اعتذار لا بد منه عن الاخطاء

على الرغم من كل حرص بذلناه لجعل هذا الكتاب خاليا خلوا تاما من الاخطاء المطبعية فقد كان لا بد ان تفلت بعضها من رقابتنا الشديدة فارضة نفسها علينا برغم ارادتنا ، ولكنها ، ولله الحمد ، جميعها ، مما يتنبه اليها حتى القاريء العادي ، بسهولة ويسر ، ولكننا مع هذا نلفت نظر القاريء الكريم الى بعضها .. جاء ذكر (هرم الفزاري) القاضي العربي المشهور في الصفحتين ٣٣٢ و ٣٣٣ خطأ (الغزاري) والصواب هو (الفزاري) . كما ورد في اعلى صفحة ٤٣٤ سطر هو في الحقيقة بداية البحث ، المعنون (العقلية الاستعمارية ...) في الصفحة ٤٣٣ السابقة . كذلك ورد في شرح الصورة المنشورة في الصفحة ٤٢٣ ان الاستاذ الطاهر واقف على يسار الرئيس بورقيبة والصواب عن يمينه ، وفي شرح الصورة بصفحة ٤٣٢ ان الشيخ علم الدين جالس عن يمين الرئيس الحلو والصواب عن يساره .. ملتمسين من القاريء الكريم حسن المعذرة .

طبع في مطابع دار الغد، شارع سوريا ، بيروت ـ لبنان ـ تلفون : ٢٢٢٩٢١

علامة العرب الكبير المغفور له فارس الخوري ، رجل ، خلد اسمه في تاريخ عربي معاصر لا تخلو صفحة من صفحات الجهاد فيه من آثاره واعماله بتشييد صرح الاستقلال وتعزيز شأن الامة العربية وتوكيد آهليتها للرفعة وجدارتها بالكرامة ، ودفاعه عن حق الشعوب في تقرير مصيرها ، ونشاطه الدائب لتحريرها من اغلال الاجنبي الدخيل ومطامعه ، مستعينا بما وهبه الله من عقل وافر ورأي سديد وعلم غزير وبعد في النظر وسلامة في الاحكام وتضلع في القانون وبلاغة في المنطق والبيان ، فكان في الاوساط الدولية التي لمع اسمه فيها ، الشهادة القوية والحجة الدامغة ضد التخلف الذي كنا نتهم به ـ معشر العرب ـ والتأخر الذي كنا نوصم فيه .

ومؤلف هذا الكتاب اديب سوري فراتي معروف سبق له ووضع الكثير من الابحاث التاريخية والاجتماعية ، وكاتب سياسي دافع عن آرائه بجراة وصلابة في مختلف الوسائل الاعلامية ، وداعية مؤمن عمل ويعمل مع المخلصين في حقول الدعوة الاسلامية ، كان صديقا للعلامة السياسي الكبير ومن اقرب المقربين اليه والصقهم بمجلسه واطلعهم على شؤونه وخصوصياته ، رأى من النفع للمكتبة العربية ان يقدم اليها هذا الكتاب الذي يبحث ويفصل اهم الاحداث السياسية والقومية والنضالية العربية الكبرى التي عاصرها صاحبه ، من خلال ترجمة مكثفة لحياته وشرح موجز لسيرته وتبسيط لآرائه ونظرياته وتلخيص للبعض المهم من مذكراته وموقفه من الاسلام كدين وشريعة ونظام حكم ومن الصهيونية كعقيدة مخربة مدمرة وكغزو عنصري رهيب مع نماذج من شعره وطرفه ونوادره ولمحة عن حياته الخاصة وصورة مفصلة عن مرض نهايته مزدانا بالصور التي تمثله في مختلف فترات حياته كتب مقدمته السيد حسن الحكيم رئيس الوزارة السورية الاسبق وساهم بالكتابة فيه عدد من كبار ساسة العالم العربي .



٦٥ ل.ل.